مجلة الأزهر

٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٤

المجلد التاسع والستون ـ القسم الثاني
السنة ١٤١٧هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25899823 / 25907497

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail: info@saqifat-alsafa.org

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

هموم الرشيد

للقدر الكريم خيوطه ، ثم هو إرادة الله - عز وجل - وحين نقول : إرادة الله - تعالى - فهى نافذة لا محالة ، والبصيرة المؤمنة لمّاحة لا تفجؤها العناصر التى تحيل أبهج المعالى ، وأجل الدرجات إلى آلام مكبوتة ، أو مصائر مشئومة .

كان الصَّباح الطبرى أخص خواص الخليفة هرون الرشيد ، مضى معه - يوماً - إلى « النهروان »(١) وقد خرج الرشيد إلى « خراسان »(٢) لتأديب بعض الخوارج .

قال الصباح : فقال الرشيد .

يا صَبَّاح ، لا أحْسَبُكَ ترانى أبداً !

فقال الصباح : بل يردك الله سالماً ، قد فتح الله عليك ، وأراك فى عدوك أملك !

(١) النهروان - بلدة بين واسط وبغداد - تتصل بعض حدودها ببغداد .

(٢) خراسان : من أقاليم إيران ، القريبة إلى بغداد ، وتمتد لاتساعها شرقاً إلى حدود سجستان وكرمان .

رجب ١٤١٧ هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦ م الجزء السابع السنة التاسعة والستون

قال : يا صباح ، ولا أحسبُكَ تدرى ما أَجِدُ ..!

قلت : لا ، والله . قال : فتعال حتى أريك .

فانحرف عن طريق الناس قدر مائة ذراع ، فاستظل بشجرة ، وأومأ إلى خدمه الخاصة فَتَنَحَّوْا . ثم قال : أمانة الله يا صباحُ أن تكتم علىّ ! ... فكشف عن بطنه ، فإذا عصابة حرير حوالى بطنه ، فقال :

هذه عِلَّةٌ أكتمُهَا الناس كلَّهُمْ ، ولكل واحد من وَلَدى [يعنى المأمون والأمين وثالث] علىَّ رقيب ، فـ« مسرور »[٣] رقيب المأمون ، و « جبريل بن بَخْتِيشَوَع » رقيب الأمين ـ وسَمَّى الثالث فذهب عنى اسمُهُ ـ وما منهم أحدٌ إلا وهو يُحصى أنفاسى ، وَيَعُدُّ أيامى ، ويستطيل عُمْرى ؛ فإن أردتَ أن تعرف[٤] ذلك فالساعة أدعو بدابة فيجيئوننى ببرذَوْن أعجف قطوف [أى ضيق الخطا] ليزيد فى علتى .

فقلت : يا سيدى .. جعل الله ما يَشْنَؤُك من الجن والإنس والقريب والبعيد فداك ! ... ولا أرانا فيك مكروها ، وعَمَّر بك الإسلام ، ودَعَّمَ ببقائك أركانه ، وشدَّ بك أرجاءه ، وردك الله مظفراً مفلحاً على أفضل أملك فى عدوك ، ومارجوت من ربك .

قال : ثم دعا ببرذَوْن فجاءوا به كما وصف ، فنظر إلىّ فركبه ، وقال : انصرف غير مودَّع ... فودعتُهُ ، وكان آخر العهد به .

● ● ●

تلك رواية تنزل بالنفس فجيعة ، وكم يتمنى قارئها أن تكون كاذبة ، لكن أطبق على روايتها إماما التاريخ الإسلامى : الطبرى وابن الأثير[٥] . فأى شىء ـ فى هذه الحياة ـ يجعل من أسبابها ـ استمداداً لسعادة حَقَّة .

ألَا ، إنه ، إن لم يكن لنا بالله ـ تعالى ـ سبب ، بل أسباب فذاك هو الخسران المبين .

ولقد يبرأ الأمين والمأمون ، ويكون ما حَلَّ بالرشيد أوهام وظنون .. ولكن .. تبقى الدنيا ـ من بعد كما هى من قبل ـ رأس كل خطيئة لمن أحبها لذاتها ، فرآها هواه ومبتغاه ، وهَمَّهُ ورضاه .

وفى آثار سفيان الثورى ـ رضى الله عنه ـ رواية لهذه الحقيقة على لسان نبى من أولى العزم من الرسل ، قال هذا النبى الكريم : « حب الدنيا رأسُ كل خطيئة » ـ

وبعــــد :

فهل وَجَدَتْ أسمى الروابط وأنبل العواطف وقاية تحفظها أمام حب الدنيا .. وبريق المال .. ؟!

---

(٣) مسرور واحد من العاملين بقصر الرشيد ، ومثله جبريل التالى بعده .

(٤) يريد : أن أردت أن تعرف أن ما أقوله حق .

(٥) انظر : تاريخ الطبرى ٣٣٨/٨ ط دار المعارف ـ مصر ، والكامل لابن الأثير ٢٠٧/٦ ط دار صادر ـ بيروت

تفسير سورة البقرة

وبعد أن بينت السورة الكريمة أقسام الناس الثلاثة ، وعاقبة كل قسم منهم ، ساقت لهم نداءً عاماً دعتهم فيه إلى عبادة الله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

ففى هاتين الآيتين توجيه للناس إلى الأمر الذى خلقوا من أجله وهو عبادة الله دون ما سواه ، وبيان البراهين الساطعة التى تدل على وحدانية الله وعظيم قدرته .

و « يا » حرف نداء وهو أكثر حروف النداء استعمالا ، فهو أصل حروف النداء .
و « أى » اسم مبهم لكن يزول إبهامه بالاسم المقصود بالنداء الذى يأتى بعده .

و « ها » المتصلة به مؤكدة للتنبيه المستفاد من النداء .
و « العبادة » الخضوع البالغ الغاية .
وقد كثر النداء فى القرآن الكريم بهذه الطريقة لما فيها من التأكيد الذى كثيراً ما يقتضيه المقام .
وفى ذكره تعالى باسم الرب ، وإضافته إلى المخاطبين ، تقوية لداعية إقبالهم على عبادته .

فإن الإنسان إذا اتجه بفكره إلى معنى كون الله مالكا له ، أو مربيًا له وتذكر مايحفه به من رفق ، وما يجود به عليه من إنعام ، لم يلبث أن يخصه بأقصى ما يستطيع من الخضوع والخشوع والإجلال .

وإفراد اسم الرب دل على أن المراد رب جميع الخلق وهو الله – تعالى – ، إذ ليس ثمة رب يستحق هذا الاسم بالإفراد والإضافة إلى جميع الناس إلا الله .

ثم بيّن – سبحانه – الموجبات التى من شأنها أن تحملهم على عبادته وحده فقال :
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

و **الخلق** : أصله الإيجاد على تقدير وتسوية ، ويطلق على القرآن وفى عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة ، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجًا لا صنعة فيه للبشر .

و **المعنى** : اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده ، لأنه هو الذى أوجدكم فى أحسن تقويم بعد أن كنتم فى عدم ، كما أوجد الذين تقدموكم .

وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره .

وقوله – تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فيه رد على الدهريين من المخاطبين الذين يزعمون أنهم إنما خلقهم آباؤهم فقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .
فكأن قوله : « وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » تذكيرا لهم بأن آباءهم الأولين لا بد أن ينتهوا إلى أب أول قد خلقه الله – تعالى .

وجملة « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » تعليل للأمر بالعبادة ، ولذلك فصلت .
و « لعل » حرف موضوع ليدل على الترجى ، وهو توقع حصول الشىء عندما يحصل سببه وتنتفى موانعه . والشىء المتوقع حصوله فى الآية هو التقوى وسببه العبادة ، إذ بالعبادة يستعد الإنسان لأن يبلغ درجة التقوى وهى الفوز بالهدى والفلاح ، والترجى قد يكون من جهة المتكلم وهو الشائع وقد تستعمل لعل فى الكلام على أن يكون الترجى مصروفًا للمخاطب ،

فيكون المترجى هو المخاطب لا المتكلم ، وعلى هذا الوجه يحمل الترجى فى هذه الآية ، لاستحالة توقع حصول الشىء من عالم الغيب والشهادة ، لأن توقع الإنسان لحصول الشىء هو أن يكون مترددًا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الوقوع ، وعليه فيكون المعنى : اعبدوا ربكم راجين أن تكونوا من المتقين ، الذين بلغوا الغاية فى الهدى والفلاح .

ثم أضاف - سبحانه - أسبابًا أخرى تحمل الناس على عبادته وطاعته فقال :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ .

الفراش : مايفترشه الإنسان ليستقر عليه بنحو الجلوس أو المنام . أى : اجعلوا عبادتكم لله الذى صير الأرض لأجلكم مهاداً كالبساط المفروش ، فذللها لكم ولم يجعلها صعبة غليظة ، لكى يتهيأ لكم الاستقرار عليها . والتقلب فى مناكبها ، والانتفاع بما أودع الله فى باطنها من خيرات .

وتصوير الأرض بصورة الفراش لاينافى كونها كروية ، لأن الكرة إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح فى إمكان الانتفاع بها .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ يُقال لسقف البيت بناء أى : جعل السماء كالسقف للأرض ، لأنها تظهر كالقبة المضروبة فوقها كما قال - تعالى - ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . سورة الأنبياء

وقدم خلق الأرض على خلق السماء لأن الأرض أقرب إلى المخاطبين ، وانتفاعهم بها أظهر وأكثر من انتفاعهم بالسماء .

قال بعض الأدباء : « إذا تأملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل مايحتاج إليه ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم منورة كالمصابيح ، والإنسان كالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه ، وضروب الحياة مصروفة لمصالحه « فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل ، وتقدير شامل ، وحكمة بالغة ، وقدرة غير متناهية » .

ثم قال - تعالى - ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ :

السماء : السحاب . والثمرات : ماينتجه الشجر . والرزق : ما يصلح لأن ينتفع به . والباء فى **(به)** للسببية .

أى : أنه جعل الماء سببًا فى خروج الثمرة ، وهو القادر على أن ينشئها بلا سبب كما أنشأ الأسباب .

وأورد ﴿ **ماء** ﴾ و ﴿ **رزقًا** ﴾ فى صيغة التنكير التى تستعمل عند إرادة بعض أفراد المعنى الذى وضع له اللفظ لغة ، وذلك لأن من الماء مالم ينزل من السماء ، ومن الرزق مالا يكون من الثمرات . فمعنى الجملة الكريمة : أنزل من السماء بعض الماء ، فأخرج به من الثمرات بعض

مايكون رزقًا لكم .

ثم قال – تعالى – ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

الأنداد : جمع ند ، وهو مثل الشيء الذى يضاده وينافره ويتباعد عنه .

وأصله من : ند البعير يند ندا ونداداً وندّا ، إذا تفرد وذهب على وجهه شاردًا .

والمعنى : فلا تجعلوا لله أمثالا ونظراء تعبدونها آلهة ، وتعتقدون فيها النفع والضر ، وتجعلون لها مالله تعالى وحده ، وأنتم تعلمون أنها أشياء لا يصح جعلها أندادًا مساوية له تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى : وأنتم من ذوى العلم والنظر ، فلو تأملتم أدنى تأمل لانصرفتم بقوة إلى عبادة الله وحده . ولتركتم الإشراك به .

وصدرت الجملة الكريمة بالفاء لترتبها على الكلام السابق ، المترتب على الأمر بعبادة الله وحده

وسمى القرآن الشركاء المزعومين أندادًا تهكمًا بالعابدين لها ، ولأن المشركين لما تركوا عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة ، قادرة على مخالفته ومضادته ، وذلك معنى جعلها أندادًا الذى هو مصب النهى فى الآية .

وجملة (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ، حالية ، ومفعول تعلمون متروك ، لأن الفعل لم يقصد تعليقه بمفعول ، بل قصد إثباته لفاعله فقط فنزل منزلة اللازم ، وفى هذه الجملة مبالغة فى زجرهم عن عبادة الأوثان من دون الله ، لأن ارتكاب الباطل من الجاهل قبيح ، وهو من العالم ببطلانه أشد قبحاً ، وأدعى إلى أن يقابل بأغلظ ألوان الإنكار . كما أن فيها إثارة لهممهم ليقلعوا عن عبادة غير الله فإن من كان من ذوى العلم لا يصح منه أن يفعل أفعال من لا عقل له ، وهذا لون جليل من ألوان التربية ، فإن من سمات المربى الناجح أن يجمع بين القسوة فى النهى عن القبيح ، وبين إثارة همة الموعوظ حتى لا يقتل همته باليأس ، لأن الإنسان إذا ساءت ظنونه بنفسه خارت عزيمته ، وفترت همته .

هذا ، وقد استفاضت الأحاديث النبوية التى تدعو إلى توحيد الله ، وتنهى عن الإشراك ، ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم عند الله ؟ (قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك) .

قال الإمام ابن كثير : وهذه الآية دالة على توحيده – تعالى – بالعبادة وحده لا شريك له ، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الله – تعالى – ؟ فقال : يا سبحان الله !! إن البعر ليدل على البعير ؛ وإن أثر القدم يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل هذا على وجود اللطيف الخبير[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٨ .

وبعد أن ساق – سبحانه – فى هاتين الآيتين البراهين الساطعة الدالة على وحدانية الله ؛ ونفى عقيدة الشرك ، أورد بعد ذلك الدلائل الدالة على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن ربه ، وعلى أن هذا القرآن ليس من صنع بشر ، وإنما هو كلام واهب القوى والقدر فقال – تعالى – :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

ففى هاتين الآيتين انتقال لإثبات الجزء الثانى من جزأى الإيمان ، وهو صدق النبى – ﷺ – فى رسالته ، بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك وهو وحدانية الله – تعالى – وعظيم قدرته .

والمعنى : إن ارتبتم أيها المشركون فى شأن هذا القرآن الذى أنزلناه على عبدنا محمد على مهل وتدريج ، فأتوا أنتم بسورة من مثله فى سمو الرتبة ، وعلو الطبقة واستعينوا على ذلك بآلهتكم وبكل من تتوقعون منهم العون ، ليساعدوكم فى مهمتكم ، أو ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بما يماثله ، إن كنتم صادقين فى زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن الكريم .

والمقصود بقوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... ﴾ نفى الريب عن المنزل عليه – وهو محمد ﷺ – بنفيه عن المنزل وهو القرآن الكريم .

والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم هو الارتياب فى شأنه ، أو للتنبيه على أن كلامهم فى شأن القرآن هو بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح الدلائل الدالة على أن القرآن من عند الله – تعالى – .

وعبر بقوله : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ ولم يقل : وإن ارتبتم فيما نزلنا ، للإشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق إليها ريب ، ولا يطير إلى أفقها شرارة من شك ، وأنه إن أثير حوله أى شك فمرجعه إلى انطماس بصيرتهم ، وضعف تفكيرهم ، واستيلاء الحقد والعناد على نفوسهم .

وأتى بإن المفيد للشك مع أن كونهم فى ريب مما نزلنا على النبى ﷺ أمر محقق ، تنزيلا للمحقق منزلة المشكوك فيه ، وتنزيهًا لساحة القران عن أن يتحقق الشك فيه من أى حد ، وتوبيخًا لهم على وضعهم الأمور فى غير مواضعها .

ووجه الإتيان بفى الدالة على الظرفية ، للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف .

وقال ﴿**نزلنا**﴾ دون أنزلنا ، لأن المراد النزول على سبيل التدريج ، ومن المعروف أن القرآن قد نزل منجما فى مدة تزيد على عشرين سنة .

قال صاحب الكشاف : (فإن قلت : لم قيل : «**مما نزلنا**» على لفظ التنزيل دون الإنزال ؟ **قلت** : لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا القرآن من عند الله ، لم ينزل هكذا نجومًا سورة بعد سورة ، وآيات عقب آيات ، على حسب النوازل ، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقًا حينًا فحينًا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة ... فقيل لهم : إن ارتبتم فى هذا الذى وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج ، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه ، وهاتوا نجما فردا من نجومه : سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى متفرقات ، وهذا غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل)[2] أهـ ملخصاً

والمراد بالعبد فى قوله - تعالى - : ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد - ﷺ - وفى إضافته إلى الله - تعالى - تنبيه على شرف منزلته عنده ، واختصاصه به .

وفى ذكره ﷺ باسم العبودية ، تذكير لأمته بهذا المعنى ، حتى لا يغالوا فى تعظيمه فيدَّعوا ألوهيته كما غالت بعض الفرق فى تعظيم أنبيائها أو زعمائهم فادعت ألوهيتهم .

والسورة : الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص ، والتى أقلها ثلاث آيات ، والضمير فى قوله (مِّن مِّثْلِهِۦ) يعود على المنزل وهو القرآن .

والمراد من مثل القرآن : ما يشابهه فى حسن النظم ، وبراعة الأسلوب وحكمة المعنى . وهذا الوجه من الإعجاز يتحقق فى كل سورة .

وقيل : إن الضمير فى قوله (من مثله) يعود على المنزل عليه القرآن ، وهو النبى - ﷺ - ولكن الرأى الأول أرجح .

قال الإمام الرازى ما ملخصه : وعود الضمير إلى القرآن أرجح لوجوه :

أحدها : أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى باب التحدى لا سيما ما ذكره فى سورة يونس من قوله : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾ .

وثانيها : أن البحث إنما وقع فى المنزل وهو القرآن ، لأنه قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا .. ﴾ **فوجب صرف الضمير إليه ، ألا ترى أن المعنى ، وإن ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيئا مما يماثله ، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله ﷺ أن يُقال : وإن ارتبتم فى أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثله .**

وثالثها : أن الضمير لو كان عائدا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا وسواء كانوا أميين أو عالمين ، أو لو كان عائدا إلى محمد ﷺ فذلك لا يقتضى إلا كون آحادهم من الأميين عاجزين عنه ، لأنه لا يكون مثل محمد إلا الشخص

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٩٧ .

الأمى ، فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد ، لأن الجماعة لا تماثل الواحد . والقارىء لايكون مثل الأمى ، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى .

ورابعها : أننا لو صرفنا الضمير إلى محمد ﷺ لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن مما لم يكن مثل محمد فى كونه أميا ممكن ، ولو صرفناه إلى القرآن لدل ذلك على أن صدور مثله من الأمى ومن غير الأمى ممتنع فكان هذا أولى)[٣] .

وقوله – تعالى – : ﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ ﴾ .

وادعوا : من الدعاء ، والمراد به هنا : طلب حضور المدعو أى : نادوهم .

وشهداءكم : أى : آلهتكم ، جمع شهيد وهو القائم بالشهادة ، فقد كانوا يزعمون أن آلهتهم تشهد لهم يوم القيامة بأنهم على حق – **وقيل** : الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو الناصر أو الإمام ، وكأنه سمى به لأنه يحضر المجالس وتبرم بمحضره الأمور .

ودون : بمعنى غير : وتطلق فى أصل اللغة على أدنى مكان من الشىء ، ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، ودونك هذا أى : خذه من أدنى مكان منك ، ثم استعير للتفاوت فى الرتب فقيل : زيد دون عمرو أى : فى الشرف ، ومنه الشىء الدون ، ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد ، وتخطى أمر إلى أمر .

قال الجمل : (والمعنى) : وادعوا إلى المعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله ، فإنه لايقدر على أن يأتى بمثله إلا الله .. ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ماأتيتم به مثله ، ولا تستشهدوا بالله ، فإن الاستشهاد به من عادة المبهوت العاجز عن إقامة الحجة ، أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة[٤] ...) .

وفى أمرهم بدعوة أصنامهم وهى جماد ، وفى تسميتها شهداء مع إضافتها إليهم مع أنها لا تعقل ولا تنطق ، فى كل ذلك أقوى ألوان التهكم ، لكى يثير فى نفوسهم من الألم ما قد يكون سببًا لتنبيههم إلى جهلهم ، وانصرافهم عن ضلالهم .

وقوله – تعالى – : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ جملة معترضة فى آخر الكلام وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق دلالة واضحة حتى صار ذكره فى نظم الكلام ممايتزل به عن مرتبة البلاغة .

والمعنى : إن كنتم صادقين فى زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن فأتوا بسورة من مثله . وادعو آلهتكم وبلغاءكم وجميع البشر ليعينوكم أو ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بما يماثله فى حكمة معانيه وحسن بيانه .

---

(٣) تفسير الفخر الرازى حـ ١ ص ٢٢٢ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين حـ ١ ص ٣٨ .

وفى هذه الآية الكريمة إثارة لحماستهم ، إذ عرض بعدم صدقهم ، فتتوفر دواعيهم على المعارضة التى زعموا أنهم أهل لها .

ثم قال – تعالى – : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

المعنى : فإن لم تفعلوا أى : تعارضوا القرآن ، وتبيّن لكم أن أحدًا لا يستطيع معارضته ، فخافوا العذاب الذى أعده الله للجاحدين وهو النار التى وقودها الناس والحجارة .

والوقود : ما يُلقى فى النار لإضرامها كالحطب ونحوه ، والحجارة : الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله كما قال – تعالى – : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة الأنبياء

واقتران المشركين بما كانوا يعبدون فى النار مبالغة فى إيلامهم وتحسيرهم والاقتصار على ذكر الناس والحجارة لا يؤخذ منه أن ليس فى النار غيرهما بدليل ما ذكر فى مواضع أخرى من القرآن أن الجن والشياطين يدخلونها .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بـ « إذا » الذى للوجوب دون « ان » الذى للشك ؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام .

والثانى : أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يعاديه : إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكمًا به(٥) .

وقال : فإن لم تفعلوا ، ولم يقل فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، لأن قوله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ جار مجرى الكناية التى تعطى اختصارا ووجازة تغنى عن طول المكنى عنه ، ولأن الإتيان ما هو إلا فعل من الأفعال ، تقول : أتيت فلانا . فيقال لك : نعم ما فعلت .

وجملة ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء ، جيء بها لتأكيد عجزهم عن معارضته . فإن فى نفيها فى المستقبل بإطلاق تأكيدا لنفيها فى الحال .

قال الإمام الرازى : (فإن قيل : فما معنى اشتراطه فى إتقاء النار إنتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ فالجواب أنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار ، فاتقاء النار يوجب ترك العناد ، فأقيم المؤثر مقام الأثر ، وجعل قوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾ قائما مقام قوله فاتركوا العناد ، وهذا هو الإيجاز الذى هو أحد أبواب البلاغة ، وفيه تهويل لشأن العناد ، لإنابة إتقاء النار منابه متبعًا ذلك بتهويل صفة النار)(٦)

ومعنى ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ هيئت لهم ، لأنهم الذين يخلدون فيها ، أو أنهم خصوا بها وإن

(٥) تفسير الكشاف حـ ١ ص ١٠١ .

(٦) تفسير الفخر الرازى حـ ١ ص ٢٢٤ .

كانت معدة للفاسقين – أيضاً لأنه يريد بذلك نارًا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال – تعالى – ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء / ١٤٥]

وفى هذه الآية الكريمة معجزة من نوع الإخبار بالغيب ، إذ لم تقع المعارضة من أحد فى أيام النبوة وفيما بعدها إلى هذا العصر .

قال صاحب الكشاف : (فإن قلت : من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو عليه حتى يكون معجزة ؟ .

قلت : لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواضعه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ، لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددًا من الذابين عنه ، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به ، فكان معجزة)(٧) .

وقال بعض العلماء : (هذه الآية الجليلة من جملة الآيات التى صدعت بتحدى الكافرين بالتنزيل الكريم) . وقد تحداهم الله فى غير موضع منه فقال فى سورة القصص :
﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الآية / ٤٩]

وقال فى سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الاية / ٣٨]

وقال فى سورة يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . وكل هذه الآيات مكية .

ثم تحداهم أيضاً فى المدينة بهذه الآية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ .. إلخ . فعجزوا عن آخرهم ، وهم فرسان الكلام ، وأرباب النظام ، وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم ، جعل الله لهم ذلك طبعًا وخلقة وفيهم غريزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون ، ويمدحون ، ويقدحون ، ويتوسلون ، ويتوصلون ، ويرفعون ، ويضعون ، فيأتون بالسحر الحلال ... ومع هذا فلم يتصد لمعارضة القرآن منهم أحد ، ولم ينهض – لمقدار سورة منه – ناهض من بلغائهم ، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط فى المضارة والمضادة . وقد جرد لهم النبى – ﷺ – الحجة أولا ، والسيف آخرًا فلم يعارضوا إلا السيف وحده ، وما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنهم أعجز من المعارضة ، وبذلك يظهر أن قوله – تعالى – ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ معجزة أخرى ، فإنهم ما فعلوا ، وما قدروا .

وحيث عجز عرب ذلك العصر فما سواهم فى هذا الأمر ... فدل على أن القرآن ليس من كلام البشر ، بل هو كلام خالق القوى والقدر أنزله تصديقًا لرسوله ، وتحقيقًا لمقوله(٨) ...

---

(٧) تفسير الكشاف حـ ١ ص ١٠٢ .
(٨) تفسير القاسمى حـ ٢ ص ٧٧ .

– يتبــع –

قبس من أنوار النبوة

من هدى الرسول ﷺ فى تصحيح العقيدة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ؛ ولا هامة ؛ ولا صفر ، وفِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد » .

رواه البخارى وغيره بروايات وألفاظ وزيادات مختلفة .

المفردات :

١ – لاعدوى : انتقال المرض من جسم إلى آخر . كما تطلق على انتقال الخلق من شخص إلى غيره .

٢ – ولاطيرة : التطير : التشاؤم بالطير

٣ – ولا هامةً : بتشديد الميم وتخفيفها : هى الرأس ، واسم طائر ليلى هو البومة أو غيرها .

٤ – ولا صفر : اسم للشهر ، واسم حية عظيمة فى بطن الإنسان .

٥ – وفر من المجذوم : من أصابه المرض الذى تتآكل منه الأعضاء وتتساقط .

البيـــان

الإسلام دين الاعتقاد السليم الذى يطهر القلوب من الأوهام والأباطيل . ويصحح نظرة معتنقيه فى هذا الكون المحيط بهم ، بتصحيح عقيدتهم وتخليصها من كل مايشوبها من الشرك والتعلق بالوهم والخرافات والعقائد الباطلة .

وأساس الاعتقاد الصحيح الذى جاء به الإسلام يجعل القلوب فى يقين كامل بأن النفع والضر ، والمرض والشفاء بأمر الله وبإذنه . فهو على كل شىء قدير .

ولما كان شائعا فى الجاهلية بعض الخرافات والأوهام جاء التوجيه النبوى فى مواجهتها للقضاء عليها ؛ منها : اعتقاد تأثير الأمراض بذاتها وطبيعتها فى انتقال عدواها من المريض إلى السليم بمجرد القرب أو المخالطة . وهو معتقد باطل لصق بعقول بعض العرب فى جاهليتهم الأولى ويعنى ذلك أن العدوى تنتقل من المريض المخالط للسليم بذات المرض وطبعه وليس عن قضاء الله وقدره . فكان هدى النبى ﷺ « لا عدوى » مسببة عن مرض المخالط بطبعه وذاته ، بل بتأثير الله – تعالى – وأن المؤثر الحقيقى إنما هو رب العالمين لا هذه الأسباب ، ومالم يرد الله فلا تأثير . فقد وضع الخليل إبراهيم عليه السلام – فى النار – وهى محرقة – ولما لم يرد الله للنار أن تحرقه كانت عليه بردا وسلاما .

وهذا سيف الله خالد بن الوليد تجرع وعاء السم كاملا بعد أن سمى الله – تعالى – وذلك مرجعه سلامة العقيدة ، والعلم أن الله – تعالى – مسبب الأسباب ، والله تبارك وتعالى – قادر على إيجاد المسبب دون السبب ، كما هو – سبحانه – قادر على إبطال مفعول السبب .

وروى البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال النبى ﷺ – « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابى : يارسول الله فما بال الإبل تكون فى الرحل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ؟! فقال النبى ﷺ « فمن أعدى الأول » ؟!

ومع هذا فقد أقر الإسلام أن نأخذ بالأسباب مع اليقين الكامل والإيمان الراسخ بأن (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن) .

كما قال ﷺ : فى نهاية حديث الباب « وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

« ولاطيرة » كانت العرب تعتقد أن من أراد البدء فى عمل أو الشروع فى سفر أن يزجر الطير الذى يلاقيه فإن انصرف إلى جهة اليمين تفاءل ومضى فى عمله ، وإن انصرف جهة الشمال تشاءم ورجع عن قصده . فنفى – ﷺ – خرافة التطير والتشاؤم ؛ لأن الطيرة تَوقُّع للبلاء ، وسوء للظن . جاء فى الأثر عن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : وما كفارة ذلك ، قال : أن يقول : اللهم لاخير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك .

« ولا هامة » كان العرب يعتقدون أن روح القتيل الذى لايؤخذ بثأره تصير طائرا يطير بالليل ، ويصيح قائلا : اسقونى من دم قاتلى حتى يثأر له فتستقر .

وقيل : إن المراد بالهامة : البومة ، كانت إذا سقطت على دار أحدهم رأى أنها ناعية إليه نفسه أو بعض أهله .

فبين الرسول الكريم أن هذا من الحمية والجاهلية الأولى التى تحارب الدين الذى جاء بالعفو والصفح والتسامح .

ثم قال ﷺ : « ولا صفر » كانوا يتشاءمون من دخول هذا الشهر ، ويتوهمون فيه كثرة الدواهى لوقوعه بعد الأشهر الحرم ، فكانوا لايعقدون فيه زواجاً ولاينشئون سفرا لتجارة أو لغيرها . وفى ذلك تعطيل للمصالح وإخلال بنظام الحياة وقيل : المراد من « صفر » المنفى فى الحديث : ماكانت العرب تعتقده من أن منشأ الألم الذى يشعر به الجائع هو وجود حية عظيمة فى بطنه تنهش من أحشائه وأضلاعه فأبان لهم – ﷺ – أن هذا خرف لا يليق بعاقل أن يستسلم له ، كما أنهم كانوا يحلون شهر المحرم وينقلون التحريم إلى شهر صفر فكانوا يجعلونه حراما إذا اقتضت مصلحتهم أن يحاربوا فأبطل الإسلام ذلك . لقد وضح ﷺ حكم الإسلام الذى يؤكده طهر النفوس وينير البصائر والعقول والخير كل الخير لمن عرف ووعى وتمسك بماهدى إليه الرسول .

وصدق الله حيث يقول : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ يونس – ١٠٧

إن الأخذ بالأسباب لا ينافى الإيمان – فقد جاء وفد يبايع الرسول ﷺ وكان بينهم مجذوم فقال ﷺ : قد بايعناك فأرجع .

وقال : لايوردن ممرض على مصح – وكما قال عمر – رضى الله عنه فرارا من قضاء الله إلى قضاء الله .

من رجال الحديث الشريف

الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروى

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م

دراسة بقلم الأستاذ / أحمد تقى الدين

ولد أبو عبيد فى هراة من أعمال خراسان فى العقد السادس من المائة الثانية ، وكان أبوه عبداً رومياً . وبدأ حياته بحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة . فلما شب عن الطوق ارتحل طالبا للعلم وكان أول مقصده « البصرة » ثم « الكوفة » حاضرتا العلم آنذاك وفيها تلقى أبو عبيد العلم على أيدى الصفوة من علماء الحديث والفقه واللغة والأدب ، ولما تم له ما أراد عاد إلى خراسان حيث عمل (مؤدباً) لأبناء هرثمة بن أعين والى خراسان فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد ، وكان (التأديب) آنذاك . احدا من أرفع الأعمال العلمية التى لا يليها إلا عالم ضليع باللغة والأدب .

ثم اتجه إلى (مرو) قصبة خراسان فأقام بها لفترة مواصلا عمله فى التأديب والتعليم ، وفى تلك المدينة التقى بطاهر بن الحسين وهو رجل من كبار الوزراء ، والقواد وكان فى طريقه إلى خراسان فطلب رجلا يحدثه ليلة فقيل له : ما هنا إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه أبو عبيد ، فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه ، فقال له : من المظالم تركك أنت بهذا البلد ، وقدم له ألف دينار قائلًا : أنا متوجه إلى خراسان فى حرب ، ولست أحب استصحابك خوفا عليك ، فأنفق من هذا المال إلى أن أعود إليك ، فلما عاد طاهر من خراسان اصطحبه معه إلى (سامراء) حيث واصل التأليف والتحديث بتلك المدينة .

ثم ارتحل ابن سلام إلى (بغداد) حاضرة العالم الإسلامى وفيها التقى بثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الذى انتدبه ـ لما توسمه فيه من علم وورع وصلاح ـ لتأديب ولده ، فلما تولى ثابت بن نصر إمارة (طرسوس) صحب معه أبا عبيد حيث ولاه القضاء بها ، وظل أبو عبيد قاضياً بطرسوس طيلة ثمانية عشر عاما هى مدة ولاية ثابت بن نصر .

وفى ٢١٣ هـ ترك أبو عبيد قضاء طرسوس مفضلا الرحلة فى طلب العلم وسماع العلماء وتوجه إلى مصر مع يحيى بن معين حيث سمع من علمائها وألف بها .

ثم ارتحل إلى دمشق طالباً للعلم ومنها إلى بغداد ـ مرة أخرى ـ حيث بدأ يفسر غريب الحديث ، وأقبل عليه طلاب العلم يسمعون منه ، إلى أن انتهى بتأليف سفره الجليل « غريب الحديث » (وقد أخرجه مجمع اللغة العربية محققاً فى خمسة مجلدات) ، ولما فرغ أبو عبيد منه عرضه على (عبدالله بن طاهر بن الحسين) .. وكان من رجال المأمون المقربين ـ فاستحسنه وقال : « إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش » وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر .

وقصد أبو عبيد مكة للحج عام ٢١٩ هـ وظل مجاوراً بها حتى وفاته عام ٢٢٤ هـ عن ثلاث وسبعين عاما وقيل عن سبع وستين[1] .

مكانته ورأى العلماء فيه :

كان ـ رحمه الله ـ إمام عصره فى كل فن : ويروى أن حمدان بن سهل كان يقول : « سألت يحيى بن معين عن الكتابة عن أبى عبيد والسماع منه ، فتبسم وقال : مثلى يسأل عن أبى عبيد ؟ أبو عبيد يُسأل عن الناس ، لقد كنت عند الأصمعى يوماً إذ أقبل أبو عبيد ، فشق إليه بصره حتى اقترب منه فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم ، قال : لن تضيع الدنيا ـ أو لن يضيع الناس ـ ما حيى هذا المقبل » (تاريخ بغداد ٤١٤/١٢) .

(١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ـ للحافظ أبى بكر أحمد ابن على الخطيب البغدادى ، طبع مكتبة الخانجى بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد ط ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣١ ص ٤٠٣ : ٤١٧

وكان إبراهيم الحربى يقول : « أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، تعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث ، فما شبّهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل ، فرأيت كأن الله جمع له علم الأوّلين من كل صنف ، يقول ما شاء ، ويمسك ما شاء » (تاريخ بغـــداد ٤١٢/١٢) .

وكان إسحاق بن راهويه يجلّ أبا عبيد ، ويعترف له بالفضل والنبوغ فى العلم ، إذ يقول : « أبو عبيد أوسعنا علماً ، وأكثرنا أدباً ، وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبى عبيد ، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا » (تاريخ بغداد ٤١١/١٢) .

وكثيراً ما كان الناس يقرنون أبا عبيد بأئمة الفقه والحديث ، ويفاضلون بينه وبينهم .

وسئل أبو قدامة عن الشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبى عبيد فقال : « أما أفهمهم فالشافعى ، إلا أنه قليل الحديث ، وأما أورعهم فأحمد بن حنبل ، وأما أحفظهم فإسحاق ، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد » (تاريخ بغداد ٤١٠/١٢) .

وقال عبدالله بن طاهر : « علماء الإسلام أربعة : عبدالله بن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، والقاسم بن معن فى زمانه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام فى زمانه » (تاريخ بغـــداد ٤١١/١٢) .

وذكر السبكى أن أبا عبيد ناظر الإمام الشافعى فى معنى « القُرْء » هل هو الحيض أو الطهر ؟ فلم يزل كل منهما يقرر قوله ، حتى تفرقا وقد انتحل كل منهما مذهب صاحبه ، وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد . ثم قال السبكى تعليقاً على هذا : « وإن صحّت هذه الحكاية ففيها دليل على عظمة أبى عبيد ، فلم يبلغنا عن أحد أنه ناظر الشافعى ، ثم رجع الشافعى إلى مذهبه » .

كان أحمد بن حنبل يقول عنه . « أبو عبيد أستاذ » ولما عرض عليه كتاب « غريب الحديث » استحسنه وقال : « جزاه الله خيراً ، وكتبه أولًا » وقال عباس الدورى : « سمعت أحمد ابن حنبل يقول : « أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً » . ويروى عن محمد بن أبى بشر أنه قال : « أتيت أحمد بن حنبل فى مسألة فقال لى « ائت أبا عبيد فإنَّ له بياناً لا تسمعه من غيره ، قال : فأتيته فشفانى جوابه ، فأخبرته بقول أحمد فقال : يا ابن أخى ، ذاك رجل من عمال الله » (تاريخ بغداد ٤٠٧/١٢ ، ٤١٤) .

ومما يدل على ورعه وعزة نفسه وحبه للجهاد فى سبيل الله ، أنه كان مع عبدالله بن طاهر ، فوجه إليه أبو دلف العجلى يستهديه أبا عبيد مدة شهرين ، فأنفذه إليه ، فأقام عنده شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : أنا فى جنبة رجل ما يحوجنى إلى صلة غيره ، ولا آخذ ما فيه من نقص . فلما عاد إلى طاهر بن الحسين وصله بثلاثين ألف دينار فقال له : أيها الأمير قد قبلتها ،

ولكن قد أغنيتنى بمعروفك وبرك وكفايتك ، وقد رأيت أن أشترى بها سلاحاً وخيلًا وأوجهها إلى الثغر ، ليكون الثواب متوفراً على الأمير ، ففعل . (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٦) .

وكان رحمه الله يربأ بالعلم أن تُنال به الحظوة أو يُسعى به إلى مجالس الملوك والأمراء ، وحدث أن طاهر بن عبدالله كان ببغداد ، فطمع أن يأتيه أبو عبيد ليسمع منه كتاب (غريب الحديث) فى منزله ، فلم يفعل أبو عبيد إجلالا لحديث رسول الله ﷺ ، فكان طاهر هو الذى يأتيه وهو آنذاك رجل المأمون القوى الملقب بـ (ذى اليمينين) وفى المقابل كان ابن سلام يحمل كتاب (غريب الحديث) قاصداً على بن المدينى وعباس العنبرى عندما أرادا أن يسمعاه منه ، فكان يأتيهما فى منزلهما فيحدثهما فيه إجلالا لعلمهما . (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٧) .

كان ــ رحمه الله ــ يرى أن التمسك بالسنة أفضل من الجهاد فى سبيل الله روى على ابن عبدالعزيز : « سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : المتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله عز وجل (تاريخ بغداد ١٢/٤١٠) .

شيوخه :

روى أبو عبيد ــ رحمه الله ــ عن جمع كثير من رجال اللغة والأدب ، والقراءات ، والحديث والفقه ؛ فقد روى فى اللغة والغريب والأدب عن مشاهير علماء البصرة والكوفة .

وهم : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو زيد الأنصارى ، والأصمعى ، وأبو محمد يحيى ابن المبارك اليزيدى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وأبو زياد الكلابى ، وأبو محمد عبدالله بن سعيد الأموى ، وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى ، وعلى بن المبارك الأحمر ، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء وغيرهم .

وأخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن :

إسماعيل بن جعفر ، وسليم بن عيسى ، وشجاع بن أبى نصر البلخى ، والكسائى ، ويحيى ابن آدم ، وحجاج بن محمد ، وسليمان بن حماد ، وعبد الأعلى ابن مسهر ، وهشام بن عمار وغيرهم .

وسمع الحديث عن :

إسحاق بن يوسف الأزرق ، وإسماعيل بن جعفر ، وحجاج بن محمد ، وسعيد بن أبى مريم ، وشريك بن عبدالله النخعى القاضى ، وعبدالرحمن ابن مهدى ، ويزيد بن هارون ، واسماعيل ابن ابراهيم بن علية ، وإسماعيل بن عياش ، وحماد ابن سلمة ، وسفيان بن عيينة ، وعبدالله ابن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، وهيثم ابن بشير [٢] .. وغيرهم .

---

(٢) كتاب الأمثال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ، ط كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٩٨٠ ص ١١ .

تلاميذه :

من تلاميذه على بن عبدالعزيز البغوى ، وأبو محمد ثابت بن أبى ثابت اللغوى ، وعلى ابن محمد بن وهب المسعرى ، وعبدالرحمن اللحنة ، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمى صاحب السنن ، وأحمد بن القاسم ، وأبو بكر ابن أبى الدنيا ، والحارث بن أبى أسامة ، وعباس ابن عبدالعظيم العنبرى ، وعباس الدُّورى ، ووكيع ابن الجراح ، وأحمد بن يحيى البلاذرى الكاتب ، ومحمد ابن يحيى المرورى وغيرهم .

وكان على بن عبدالعزيز البغوى (٢٨٦ هـ) أخصَّ تلاميذ أبى عبيد ، وكان يلقب بصاحبه وكاتبه ، وقد روى عنه كل كتبه . قال عنه الدانى : وهو أجل أصحابه وأثبتهم وراوية كتبه ، أصله من خراسان ، فانتقل إلى مكة ، ولزم أباعبيد حتى مات بمكة عن بضع وتسعين عاماً .

وكان أبو محمد ثابت بن أبى ثابت اللغوى من أثبت أصحاب أبى عبيد فيما أخذ عنه ، وروى عنه كتبه . وله عدة كتب فى اللغة ، أهمها كتاب « خلق الإنسان »(٣) .

مصنفاته :

كان أبو عبيد القاسم بن سلام من المصنفين المعدودين وكان العلماء يتلقون مصنفاته بالاستحسان . وكان حافظاً للحديث وعلله ، عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأسا فى اللغة ، إماما فى القراءات .

يقول الخطيب البغدادى : « أما كتبه فى الفقه فإنه عمد إلى مذهب مالك والشافعى ، فتقلد أكثر ذلك ، وأتى بشواهده ، وجمعه من حديثه ورواياته ، واحتج فيها باللغة والنحو ، فحسنها بذلك » (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٥) .

وقد ألف ابن سلام فى غريب اللغة ، وغريب الحديث وعلوم القرآن والفقه والشعر ، وبلغت مؤلفاته بضعة وعشرين كتاباً رواها الناس عنه غير كتب كثيرة أخرى لم ترو عنه . يقول ابن درستويه « وله كتب أخرى لم يروها ، قدر رأيتها فى ميراث بعض الطاهريين تباع كثيرة فى أصناف الفقه كله » (تاريخ بغداد ١٢/٤٠٤ ، ٤٠٥) .

وفيما يلى نذكر مؤلفاته :

- الغريب المصنف (مخطوط) .
- غريب الحديث (طبع بحيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٩٦٤ وأخرجه مجمع اللغة العربية محققا فى خمسة مجلدات) .
- كتاب فضائل القرآن (حققه محمد تجانى الجوهرى فى رسالة ماجستير بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣ هـ) .
- كتاب الأموال (تحقيق محمد خليل هراس سنة ١٣٨٨ هـ) .
- كتاب القراءات .
- كتاب معانى القرآن .

(٣) المصدر السابق ص ١١ ، ١٢ .

(٤) الأمثال ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

ـ كتاب الأمثال (تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ط كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٨٩٠ م) .

ومن مؤلفاته : كتاب غريب القرآن . كتاب عدد آى القرآن . كتاب الناسخ والمنسوخ . كتاب الإيمان ومعالمه . كتاب الأحداث . كتاب الأيمان والنذور ، كتاب الحيض . كتاب الطهارة . كتاب الحجر والتفليس . كتاب أدب القاضى . كتاب الشعراء . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب النسب . كتاب الأضداد فى اللغة . كتاب ما خالفت فيه العامة لغات العرب . كتاب أنساب الخيل . كتاب أنساب العرب . كتاب استدراك الخطأ . كتاب الرحل والمنزل . كتاب الخطب والمواعظ . كتاب فضائل الفرس . كتاب الأمانى . كتاب فعل وأفعل . كتاب الإيضاح ، رسالة فيما اشتبه من اللفظ واختلف فى المعنى . كتاب الأمثال[٥] .

ونعرض فيما يلى لاثنين من مؤلفاته وهما :

ـ غريب الحديث .

ـ كتاب الأمثال .

● **غريب الحديث :**

يقول عنه الإمام أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتابه : (غريب الحديث ...) أول من سبق إليه ، ودل من بعده عليه أبو عبيد القاسم ابن سلام ، أول من ألف فى غريب الحديث ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماما لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون »[٦] .

ويقول عنه ابن الأثير فى مقدمة كتابه (النهاية فى غريب الحديث والأثر) : « واستمرت الحال إلى زمن أبى عبيد القاسم بن سلام ، وذلك بعد المائتين ، فجمع كتابه المشهور فى غريب الحديث والآثار الذى صار ، وان كان خيرا ، أولًا لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة فى هذا الشأن ، فإنه أفنى فيه عمره ، وأطاب به ذكره ، حتى لقد قال فيما يروى عنه : [إنى جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة وهو كان خلاصة عمرى] ولقد صدق ـ رحمه الله ، فإنه احتاج إلى تتبع أحاديث رسول الله ﷺ على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين على تفرقها وتعددها حتى جمع منها ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها وحفظ رواتها »[٧] .

ويقول عنه ابن درستويه : « وأما تصنيفه فرغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه »[٨] .

● **الأمثـــال :**

ونورد هنا المقدمة التى افتتح بها الحافظ أبى عبيد القاسم بن سلام كتابه نتبعها نماذج مما أورده

(٥) الأمثال ١٦ ، ١٧

(٦) غريب الحديث لأبى سليمان الخطابى ، تحقيق الدكتور عبدالكريم إبراهيم الغرباوى ط ١٩٨٢ .

(٧) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود الطناحى ط ١٩٦٣ .

(٨) تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢ .

من أحاديث مأثورة عن النبى ﷺ ضربها ، وتمثل بها ، هو ومن بعده من السلف .

قال رحمه الله :

رأيت فى أول نسخة الشيخ الإمام أبى بكر محمد بن الأنبارى اللغوى . وهى التى قرأها على أبى العباس أحمد الأحوَال اللغوى .. قال على ابن عبدالعزيز كاتبُ أبى عُبَيْ القاسم بن سلام : كتبتُ هذا الكتاب من نسخة أبى عُبَيْد من خطه بيدهِ . وعارضتُ بها حَرْفاً حَرْفاً ، ثم قرأناه على أبى محمد سَلَمة بن عاصم النحوى ، صاحب الفرَّاء ، فزادنا فيه أشياء ألحقتها فى حواشى الكتاب ، ثم قرأتُه على أبى عبدالله الزُّبَيْر بنَ بكَّار ، وهو قاضى أهل مكة ، فكتبتُ أيضاً ما زادنا فيه ، ونَسَبْتُ ذلك إليه ، فوجدت خَطَّ أبى عُبَيْد هذا كتاب الأمثال ، وهى حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تُعارض كلامها فَتَبْلغ بها ما حاولتْ من حاجاتها فى المَنْطق ، بكناية غير تصريح ، فيجتمعُ لها بذلك ثلاثُ جلال ؛ إيجازُ اللفظ ، وإصابةُ المعنى ، وحسنُ التشبيه . وقد أَلَّفناها فى كتابنا هذا على منازلها ، ولخَّصْنا صنوفِها ، وذكرنا المواضع التى يتكلَّم بها فيها ، وتُضرب عندها ، وأسندناها إلى علمائها ، واستشْهدنا بنوادر الشعر عليها ، أو على ما أمكن منها . **وكان مِمَّا دعانا إلى تأليف هذا الكتاب وحَثَّنا عليه ما رَوَينا من الأحاديث المأثورة عن النبى ﷺ أنه قد ضربها وتمَثَّل بها هو ومَن بعده من السَّلف . وقد ذكرنا بعض ذلك ليكون حُجَّة لمذهبنا .**

فكان مِمَّا حُفظ عنه ﷺ منها المثلُ الذى ضربه للإسلام والقرآن ، وهو قوله ﷺ :

« ضَرَبَ الله مَثَلًا صِراطاً مُسْتَقِيماً ، وعلى جَنْبَتَى الصِّراطِ سُورٌ فيه أبوابٌ مَفْتُوحة ، وعلى تلك الأبوابِ سُتُورٌ مُرْخاةٌ ، وعلى رَأْس الصِّراط داعٍ يقول : ادخُلوا الصِّراط ولا تَعُوجُوا » .

قال : فالصِّراط : الإسلام ، والسُّتُور : حدود الله ، والأبواب المفتَّحة : مَحارِم الله ، وذلك الداعى : القرآن .

ومن الأمثال أيضاً قوله ﷺ :

« مثل المؤمن كَمَثَلِ الخَامَة من الزَّرْع ، تُفيئُها الرِّيحُ مَرَّةً هَهُنا ، ومَرَّةً هَهُنا ، وَمَثَلُ الكافِر كمثلِ الأَرْزَةِ المُجْذِيَةِ على الأرض حتى يكون انْجعَافُها مَرَّةً » ومنها قوله حين ذكر الفتن والحوادث التى تكون فى آخر الزمان ، فقال له حذيفة بن اليمان : أبعد هذا الشر خير ؟ فقال : هُدْنَةٌ على دَخَنٍ ، وجماعة على أقذاء فقيل له وما هو ؟ فقال : **« لا ترجع قلوب قوم على ما كنت »** .

قال أبو عبيد : فقد علم الأقذاء إنما تكون فى العين أو فى الشراب ، وأن الدخن إنما هو مأخوذ من الدخان ، فجعل ذلك رسول الله ﷺ مثلا لنغل القلوب وما فيها من الضغائن والأحقاد .

ومنها حديثه ﷺ حين ذكر الدنيا وزينتها فقال :

وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم فأراد ﷺ أنها ، وإن كانت ذات زهرة وجمال ، فقد تؤول بصاحبها ، إذا سلك بها غير القصد ، إلى سوء المغبَّة ، كما أن آكله الخضر من الماشية إذا لم

تقتصد فى مراعيها آل ذلك بها إلى أن تستوبله حتى تحبط عنه بطونها فتهلك . ومنها قوله عليه السلام لأبى سفيان بن حرب :

أنت يا أبا سفيان كما قيل : « **كل الصيد فى جوف الفرا** » أى إنك فى الرجال كالفرأ فى الصيد ، وهو الحمار الوحشى ، قال له ذلك يتألّفه على الإسلام . ومنها قوله حين ذكر الضرائر فقال :

« **ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء ما فى صحفتها** » فقد علم أنه لم يرد الصحفة خاصة ، إنما جعلها مثلًا لحظها من زوجها ، يقول : إنه إذا طلقها لقول هذه كانت قد أمالت نصيب صاحبتها إلى نفسها .

ومنها قوله ﷺ حين ذكر الغلو فى العبادة فقال :

« **إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى** » يقول : إن هذا إذا كلف نفسه فوق طاقتها من العبادة بقى حسيراً ، كالذى أفرط فى إغذاذ السير حتى عطبت راحلته ، ولم يقض سفره .

ومنها قوله ﷺ :

« **إياكم وخضراء الدمن قيل : وما خضراء الدمن ؟** » قال : « **المرأة الحسناء فى منبت السوء** » . ومنها قوله ﷺ حين ذكر كثرة الربا فى آخر الزمان فقال :

« **من لم يأكله أصابه من غباره** » فقد علم أنه ليس ثم غبار ، إنما هذا مثل لما ينال الناس منه .

ومنها قوله ﷺ :

« **الإيمان قيد الفتك** » فقد علم أنه ليس هناك قيد ، ولكنه جعل منع الإيمان إياه تقييداً ثم قال :

« **الحرب خدعة** » (قال على : قال أبو محمد سلمة : من قال : « الحرب خدعة » فمعناه أنه من خدع فيها خدعة فزلت قدمه وعطب فليس له إقالة ، ومن قال : « خدعة » أى أنها تخدع أهلها ، ومن قال : « الحرب خدعة » [بضم الخاء وتسكين الدّال] فهى تخدع ، فإذا خدع أحد الفريقين صاحبه فكأنما خدعت هى . قال أبو عبدالله الزبير بن بكار القاضى : هى عندنا « خدعة » قال الزبير : حدثنى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : قال رسول الله ﷺ « الحرب خدعة » قال على : فقلت للزبير : أتراها محكية ؟ فقال : نعم) ، وقال فى فرس ركبه :

« **وجدته بحرا** » وقال أيضاً :

« **إن من البيان لسحراً** » وقال فى أهل الإسلام وأهل الشرك :

« **لا تراءى ناراهما** » وقال :

« **للعاهر الحجر** » وقال :

« **لا ترفع عصاك عن أهلك** » فقد علم أنه لم يرد ضربهم بالعصا ، إنما هو الأدب ، وكذلك الحجر ، إنما معناه أنه لا حق له فى نسب الولد .

وقوله ﷺ :

« **لا يلسع المؤمن من جحر مرتين** » فى أشياء كثيرة لا تحصى ، من الأمثال عنه ﷺ ، ثم جاءت عمن بعده من الصحابة وغيرهم .

وبعد :

فلقد جاد الأستاذ الدكتور عبدالمجيد قطاش بتحقيقه كتاب الأمثال الذى حمل لنا هذا الكنز العظيم .

فضائل شهر رجب

بقلم الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

أخرج الطبرانى عن محمد بن سلمة : عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا .

وخرج أبن أبى الدنيا والطبرانى وغيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعا : «اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فان لله نفحات من رحمته يصيب منها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم». كنز العمال ج ٢ ص ٧٤ ـــ الجامع الصغير ج ١ ص ١٤٣ .

وهذا الحديث يذكرنا بما يجب علينا نحو ربنا فى أيام دهرنا ، فقد كفاناهم الرزق ، وأغدق علينا من نعمة الوفيرة ، وخيراته الكثيرة ، ولكنا انشغلنا بالحطام الزائل والمتاع الفانى ، وعكفنا على جمع ما هو مضمون لنا ، وتركنا ما هو مطلوب منا حتى حق علينا ما يقوله ابن عطاء الله السكندرى ـــ فى حكمه الرائعة : «انشغالك بما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك» .

حقا إن انشغال الإنسان بالفانى عن الباق ، وبالزائل عن الخالد قِصَرُ نظر وسوء تدبير ، فما أحوجنا إلى أن نتنبه إلى ما هو مطلوب ، ونتذكر ما هو واجب علينا .

ونفكر فى الحساب غداً ولهذا الحساب لابد أن نتنبه .

ولجزاء الآخرة لابد أن نستيقظ .

ولحفرة القبر لابد أن نستعد .

ولسؤال الملكين لابد أن نعد الجواب .

وليوم مقداره خمسون ألف سنة لابد أن نعد الزاد .

ولقد وفق الله بعض العلماء لمهمة التذكير والتنبيه ، ونصَّبهم لهذه المهمة الجليلة التى تأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور ، وتذكرهم بحق الله عليهم فى الأيام والشهور ، ومن هؤلاء العلماء الإمام النسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ فقد ألف كتابه «عمل اليوم والليلة» والإمام الحافظ ابن السنى المتوفى سنة ٣٦٤هـ له كتاب بنفس العنوان

وللمنذرى وأبى نعيم الأصفهانى لكلٍّ كتاب فى نفس الموضوع .

ولعل من أجمع الكتب فى هذا الفن كتاب ابن رجب الحنبلى وعنوانه «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف » وقد تناول فيه واجب الإنسان فى كل لحظة من لحظات حياته وحقوق الأيام والشهور عليه .

وليس معنى ذلك ان ينفض الناس أيديهم من الدنيا تماما ، ويتحولوا إلى زهاد وعباد ويتركوا الدنيا لمن هى فى أيديهم يستخدمونها فيما يضر بالمسلمين ، ويلقون بالمسلمين إلى آخر الصفوف .

إن المطلوب أن يسعى الإنسان جهده فى عمله الدنيوى مستعينا بالله ، معتمدا على مولاه فسعيه فى هذه الحالة عبادة ، وانشغاله فى طلب الحلال قمة التقوى وذروة الإيمان وتقرب إلى الله وجهاد فى سبيله .

ثم إن الثروة من أسباب القوة التى أمرنا بإعدادها للعدو والتقصير فى اقتنائها تقصير فى إعداد القوة ، ولأن يكون الاقتصاد إسلاميا موجها للخير أفضل من أن يكون عدوانيا موجها للشر .

إن المسلم الحق ، الله فى قلبه والعمل فى يده .

وإذا كان كذلك كان عمله عباده ، وتقلبه عبادة ، وسعيه عبادة، وشعاره الذى يجب أن يتخذه هو الدعاء المأثور : اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا .

ونيته التى يجب أن تكون فى قلبه : أن يطلب الدنيا لله ، ويبذلها فيما ينبغى أن تبذل فيه من وجوه الخير ، وستر العرض وعفة النفس والأهل والجهاد فى سبيل الله ، لا للتباهى والاستكثار والتعالى على عباد الله .

من هو ابن رجب ؟

وابن رجب هو الإمام الحافظ الحجة عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الملقب بزين الدين ، والمكنى بأبى الفرج وهو ابن الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أبى العباس البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى .

ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـ وطلب العلم وأتقنه وتفنن فيه وأنتج ، وله مؤلفات شتى تفوق الحصر فى مختلف الفنون والعلوم ، والعلوم ، منها هذا الكتاب الذى أشرنا إليه .

كان ابن رجب كريما زاهدا غنى النفس ورعا كثير العبادة يقول بما يفعل ، وهذه ميزة العلماء العارفين والأئمة المجتهدين .

وقد أثنى عليه العلماء ثناء هو له أهل ، وتوفى بعد حياة علمية حافلة بالخير والفضل سنة ٧٩٥هـ فى شهر رجب من السنة المذكورة .

من موضوعات كتابه

وقد تحدث فى كتابه عن أن الله ـــ جلت قدرته ـــ فضل بعض الشهور على بعض وبعض الأيام على بعض ، وبعض الساعات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، ومن الشهور المفضلة شهر رجب الذى تعددت أسماؤه بفضل خصة الله به ، وجعله من الأشهر الحرم التى يحرم فيها القتال .

من أسماء رجب

قال ابن رجب : ذكر بعضهم أن لشهر رجب أربعة عشر إسما هى : شهر الله ، ورجب ، ورجب مضر ، ومنصل الأسنة ، والأصم ،

والأصب ، ومنفس ، ومطهر ، ومعلى ، ومقيم ، وهرم ، ومقشقش ، ومبرىء ، وفرد .

وللإشارة إلى معانى هذه الأسماء : أن رجب ، من الترجيب وهو التعظيم ، فقد كان يرجب أى يعظم كما قال المفضل الضبى والأصمعى والفراء .

وقيـل : لأن الملائكـة تترجب للتسبيـــح والتحميد فيه ، وأما قولهم : **رجب مضر** : لأن مضر كانت تزيد فى تعظيم هذا الشهر واحترامه فنسب إليهم ذلك الشهر ، وقيل : بل كانت ربيعة تحرم رمضان ، ومضر تحرم رجب فنسب إليهم ، وقد نسبه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليهم فى خطبته فى حجة الوداع .

أما قولهم : **منصل الأسنة** فمعناه : أن الناس ينزعون الأسنة من أماكنها فى الرماح فى هذا الشهر حتى لا تصلح للقتال .

وسمى **الأصم** لأنه:لا يسمع للسلاح صوت فيه ، وتسميته بذلك من قبـل المجاز ، وذكـر صاحب اللسان حديثا يشير إلى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سماه بذلك فقال : «شهر الله الأصم رجب» ــ مادة صمم ــ

ويقال : إنه سمى بذلك لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث ، لأن الناس جميعا كفوا فيه عن القتال .

أما **الأصب** فلعله من تصبصب القـوم إذا تفرقوا ، فلا اجتماع لديهم على قتال أو تشاور فيه .

وقولهم : **منفس** بمعنى مفرج وموسع، لأن الناس كفوا فيه عن الضيق والحرج الذى تسببه الحرب والقتال .

واسمه : **مطهر** من التطهير ، **ومعلى** : من العلو والارتقاء ، **ومقيم** : إقامة النـاس فى أمـاكنهم وابتعادهم عن ميادين القتال . وقولهم : **هرم** ، على المجاز أيضا ، لأن الهرم لا حركة له ، وقد يكون من قولهم : قدح هرم أى منثلم ، والمنثلم لا أذى له ، فهذا الشهر لا أذى فيه .

أما قولهم : **مقشقش** فهو من القشقشة وهو التهيؤ للبرء ، وتقشقش الجرح أشرف على البرء . ويقال لسورتى : «قل هو الله أحد» ، «وقل أعوذ برب الناس» : المقشقشتان لأنهما كانا يبرأ بهما من النفاق وقيل : **هما** : «قل يأيها الكافرون» ، «وقل هو الله أحد» ــ اللسان ــ .

وسمى **مبرئاً** لهذا المعنى .

أما تسميته **الفـرد فلانفـراده عن الأشهـر الحرم ، فقـد جاء ــ وحـده ــ بين أشهـــر حلال ، وبقية الأشهـر الحرم جاءت متتابعة وهى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .**

من أحكام شهر رجب :

كان الجاهليون يذبحون فى شهر رجب ذبيحة يسمونها « العتيرة » وقد أبطلها الإسلام ، وقد جاء فى صحيح البخارى فى كتاب « العقيقة » باب الفرع وباب العتيرة ــ قول النبى ــ ﷺ : « لا فرع ولا عتيرة » ــ رواه أبو هريرة .

وان كان بعض العلماء قالوا : هى مستحبة والذى أبطله الإسلام هو الوجه الذى كانت تذبح له ــ فأهل الجاهلية كانوا يذبحون للأصنام وهذا باطل ، أما المسلمين منهم يذبحون لله ، وهـذا حق .

صــلاة الرغائب :

قال ابن رجب : والأحاديث المروية فى فضل صلاة الرغائب فى أول ليلة جمعة من رجب كذب

وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين الحفاظ : أبو بكر السمعانى ، وأبو الفرج بن الجوزى ، وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم .

ونقول : ومنهم كذلك سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، وله كتاب فى ذلك يحاج فيه « ابن الصلاح » الذى كان يقول بجوازها ـ راجع طبقات الشافعية ـ للسبكى جـ٦ صـ ٨٠ .

كم الصوم فى رجب :

قال ابن رجب : وأما الصيام فلم يصح فى فضل صوم رجب بخصوصية شيء من النبى ﷺ ولا عن أصحابه ، ولكن روى عن أبى قلابة ـ وهو تابعى ثقة كثير الحديث ـ اسمه : عبدالله ابن زيد ـ .

قال : « فى الجنة قصر لصوّام رجب » .

وعلق البيهقى على هذه الكلمة بقوله : أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ .

أما صيام الأشهر الحرم كلها فقد ورد فيها الحديث الذى رواه أبوداود فى كتاب الصوم ـ باب فى صوم أشهر الحرم : « صم أشهر الحرم » .

وقد كان بعض السلف يصوم الأشهر الحزم كلها منهم : ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ والحسن البصرى وأبو إسحاق السبيعى وغيرهم .

حوادث عظيمة حدثت فى رجب :

قال ابن رجب : من الأحداث العظيمة التى ذكرها بعض الناس ولم تصح أن النبى ﷺ ولد فى أول ليلة من رجب .

وأنه بُعث فى السابع والعشرين منه ـ وقيل فى الخامس والعشرين ـ ولا يصح شيء من ذلك .. .

وصدق ابن رجب فى نفيه هذا ، فالمشهور عند الرواة أن النبى ﷺ ولد فى ربيع الأول فى ليلة الثانى عشر منه .

والحدث العظيم فى رجب هو : الإسراء بالنبى ﷺ فيه ، فقد روى القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهم ـ أن النبى ﷺ أسرى به فى السابع والعشرين من رجب ، وإن كانت هناك أقوال أخرى فى تاريخ هذا الحدث العظيم .

الجاهليون يعرفون فضل هذا الشهر :

وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فى شهر رجب على الظالم وكان يستجاب لهم ، ولهم فى ذلك أخبار مشهورة ذكرها ابن أبى الدنيا فى كتابه « مجابو الدعوة » .

وقد ذكر ذلك لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال : إن الله كان يصنع لهم ذلك ليحجز بعضهم عن بعض ، وإن الله جعل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .

أما النبى ﷺ فقد كان يبتهج لدخول رجب ، وكان يدعو الله فيه قائلا : « **اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان** » ـ رواه أحمد فى مسنده جـ١ صـ٢٥٩ من حديث أنس بن مالك .

روى عن أبى إسماعيل الأنصارى أنه قال : لم يصح فى فضل رجب غير هذا الحديث .

وفى هذا الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان الفاضلة لإدراك الأعمال الصالحة فيها ، فإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا ، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله ،

وكان السلف الصالح يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح من صوم رمضان أو رجوع من حج .

قال ابن رجب : كان بعض العلماء الصالحين قد مرض قبل شهر رجب فقال : إنى دعوت الله أن يؤخر وفاتى إلى شهر رجب فإنه بلغنى أن لله فيه عتقاء فبلغه الله ذلك ، ومات فى شهر رجب . [فقد كان ذلك أجله] .

مفتاح أشهر الخير :

هذا شهر رجب ، وهو مفتاح شهور الخير ، فبعده شعبان ، ثم رمضان ، ثم شهور الحج التى يحج فيها الحجاج بالتلبية والدعاء والتسابق نحو بيت الله الحرام .

كان أبوبكر الوراق البلخى يقول : شهر رجب شهر الزرع ، وشهر شعبان شهر السقى للزرع ، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع .

وأثر عنه أنه قال : شهر رجب مثل الريح ، وشهر شعبان مثل الغيم ، ومثل رمضان مثل القطر ..

ويمضى الخيال السليم بأصحاب الوجد والشوق إلى الله فيقول أحدهم : السنة مثل الشجرة ، وشهر رجب أيام توريقها وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطعها ، والمؤمنون قطافها ، فجدير بمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى هذا الشهر ، وبمن ضيع عمره فى البطالة أن يغتنم فيه ما بقى من العمر .

حظ الشعر فى التعبير عن ذلك :

والشعراء الصالحون الذين استثناهم الله ـ تعالى ـ فى آية الشعراء بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

لهم حظ فى التعبير عن مواجيدهم فى الاستئناس بالأشهر الحرم عامة ، وبشهر رجب خاصة ، ومن ذلك ما يقوله بعضهم :

بيض صحيفتك السوداء فى رجب
بصالح العمل المنجى من اللهب
طوبى لعبد زكا فيه له عمل
فكف فيه عن الفحشاء والريب

وقال بعضهم أيضا متخيلا أن رب العزة يخاطب عباده ويحثهم على اغتنام هذا الشهر العظيم للتوجه إليه بصالح الأعمال ومختلف الطاعات .

يا عبد أقبل منيبا واغتنم رجبا
فإن عفوى عمن تاب قد وجبا
فى هذه الأشهر الأبواب قد فتحت
للتائبين فكل نحونا هربا
حطوا الركائب فى أبواب رحمتنا
بحسن ظن فكل نال ما طلبا
وقد نثرنا عليهم من تعطفنا
نثار حسن قبول فاز من نهبا

وبعد ، فكتاب ابن رجب حافل بكثير من التوجيات والفوائد التى يجدر بكل مسلم أن يقتطفها ، وبخاصة فى هذا الزمن الذى طغت فيه المادة ، وكثرت فيه الغفلة ، وانصرف الناس عن كل جد ، وانكبوا على كل لهو ، وأصبحت الحياة عيثا لاهيا ، ولغوا فارغا .

نرجو الله أن يبصرنا بما يجب علينا ، ويذكرنا بعاقبة أمرنا والذكرى تنفع المؤمنين .

(١) آخر الشعراء .

النزعة العقلية عند الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد ابراهيم الفيومي (*)

مولد الإمام الشافعي ونشأته :

ولد الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ فى مدينة غزة أو عسقلان[1] . كما روى عن نفسه : ولدت بغزة وحملتنى أمى إلى عسقلان ، وكانت ولادته عام ١٥٠هـ ، وهى السنة التى توفى فيها الإمام أبوحنيفة .

يقول الربيع بن سليمان : « ولد الشافعى يوم مات أبوحنيفة » .

أما عن نسبه فهو قرشى الأصل ، يقول البيهقى : فنسب الشافعى فى قريش ، واشتهاره بالمطلبى عند الخلفاء والعلماء والشعراء ، أشهر من ضوء النهار عند المبصر .

(*) ـ الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(١) راجع مناقب الشافعى ـ البيهقى ص ١٥٧ ج ١ تحقيق : السيد أحمد صقر ـ دار التراث .

وكان أبوه قد خرج إلى فلسطين لحاجة ، فتوفى . وعادت به أمه إلى مكة وهو ابن سنتين خوفا من ضياع نسبه . وعاش بشعب الخيف حياة فقر وإملاق ؛ لأن عائلته كانت فقيرة ــ وقد قال الشافعى ــ عن نفسه : «كنت يتيما فى حجر أمى ولم يكن لها مال ، وكان المعلم قد يرضى منى أن أخلفه إذا قام ، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد وكنت أكتب فى العظم ، فإذا كثر طرحته فى جرة عظيمة ــ وخرجت من مكة ولزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها ، وآخذ اللغة العربية وكانت أفصح العرب» .

وكان أمه أزدية من الأزد[٢] . يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : «نعم الحى الأزد والأشعريون ، لايفرون فى القتال ولا يغلون ، وهم منى وأنا منهم» .

«أخرجه أحمد والترمذى» .

وقد تعلم الشافعى الرماية ، وأغرم بها وأجادها حتى إذا رمى من السهام عشرا أصابت كلها .

قال الشافعى : خرجت أطلب النحو والأدب ، فلقينى مسلم بن خالد ، فقال : يافتى : من أين أنت ؟ قلت : من أهل مكة . قال : وأين منزلك بها ؟ قلت : بشعب الخيف ، قال : من أى قبيلة أنت ؟ قلت : من ولد عبد مناف قال : بخ بخ !! لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة ، ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه ، فكان أحسن بك ؟

وفى العشرين من عمره قصد «مالكاً» وكان قد قرأ الموطأ ــ يقول الشافعى بعد ما سمع توجيه مسلم بن خالد : حفظت الموطأ قبل أن آتى مالك ابن أنس ، فلما أتيته قال لى : اطلب من يقرأ لك . فقلت : لا عليك أن تسمع قراءتى فإن أعجبتك قراءتى ، وإلا طلبت من يقرأ لى . فقال : هات ، فلما قرأت أعجبته قراءتى ، فقرأت عليه فأتيته وأنا ابن ثلاث عشرة سنة [٣] .

واستطاع الشافعى الوصول إلى مالك بوصية من والى مكة ــ فلما قدم عليه ورآه مالك وكانت له فراسة أعجب به واتخذه تلميذا مقربا له[٤] .

ودامت ملازمته له حتى بلوغه (٢٩) عاما حيث توفى مالك . وبعد ذلك خرج الشافعى إلى اليمن حيث تولى بعض المناصب فيها ــ وبعد المحنة ــ التى سوف يأتى ذكرها ــ فيما بعد ــ أقام فى بغداد وانصرف إلى العلم .

لم تعرف مدة إقامته فى بغداد على وجه الدقة ، والأغلب أنها كانت سنتين ، وفيها خرج على الناس بمذهبه بعد أن كان تلميذا لمالك ثم عاد إلى مكة .

رجع الشافعى إلى بغداد ثانية عام ١٩٥هـ وهناك استرعى انتباه كل العلماء ، وكان عمره نحو ٤٥ عاما فالتف حوله تلاميذه .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ . الأسد والأزد واحد ، وهما عبارتان عن قبيلة واحدة .

(٣) مناقب الشافعى ــ البيهقى ج١ ص ١٠١ .

(٤) سيأتى لذلك مزيد بيان وإيضاح عند الحديث عن نزعة الشافعى العقلية .

وفى هذه المدة من إقامته فى بغداد ألف كتابه (الرسالة) التى وضع بها الأساس لعلم (أصول الفقه) ثم أعاد كتابتها فى القاهرة .

وفى عام ١٩٩هـ رحل الشافعى إلى مصر وكان السبب فى ذلك تمكن العنصر الفارسى فى بغداد ، أيام المأمون وغلبة فرقة المعتزلة ، وتبنيهم لمسألة خلق القرآن .

الشافعى فى العراق :

قدم الشافعى بغداد عام ١٩٥هـ فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة فأقام بها شهرا خرج ـ بعده ـ إلى مصر .

يقول أبو ثور : لما ورد الشافعى جاءنى (حسين الكرابيسى) وكان يختلف معى إلى أصحاب الرأى .

فقال : قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه ، فسأله الحسين عن مسألة ، فلم يزل الشافعى يقول : قال الله تعالى ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه[٥] .

قال أبوثور ـ إبراهيم بن خالد : لولا أن الله ـ عز وجل ـ مَنَّ علىَّ بالشافعى للقيت ربى وأنا ضال .

ويقول أيضا : قدم علينا ـ أى الشافعى ـ وأنا أظن أن الله ـ تعالى ـ لم يعبده أحد بغير مذهب الرأى .

ويقول إبراهيم الحربى : قدم الشافعى بغداد وفى المسجد الجامع الغربى عشرون حلقة لأصحاب الرأى ، فلما كان فى الجمعة الثانية لم يثبت إلا ثلاث حلق أو أربع حلق[٦] .

يصف حسين بن على مجلس علمه فيقول : ما رأيت مجلسا قط أنبل من مجلس الشافعى ، كان يحضره أهل الفقه وأهل الشعر .

وكان يأتيه كبراء أهل الفقه والشعر ، فكل يتعلم منه ويستفيد . وكان أحمد بن حنبل ألزم للشافعى منا .

ويقول : رأيت أحمد ابن حنبل مغطى الرأس عند الشافعى .

وزاد غيره : وكذلك كان أحمد بن حنبل يدور على الفقهاء مغطى الرأس .

ويروى الربيع بن سليمان عن الشافعى ، قال : لما قدمت بغداد نزلت على (بشر المريسى) فأنزلت فى العلو وهو أسفل إكراما منه لى ، فكنت عنده مدة ، فقالت أمه لى ذات يوم : ايش تصنع عند هذا الزنديق ؟ فخرجت من عنده وتركته !

ثم نزل فى درب الزعفرانى على الحسن بن محمد الصباح الزعفرانى ، وكان فتى أديبا متصلا بالسلطان ، وكان الشافعى يعرِّفه عورات مذهب الكوفيين حتى استجاب له ، وسمع منه كتبه وصار داعية للشافعى .

وقيل لأبى ثور : قد قدم مدينة السلام رجل قريشى من ولد عبدمناف ، ينصر مذهب أهل المدينة فقلت : ولأهل المدينة مذهب يُنْصر ..؟ قوموا بنا ، اذهبوا بنا إليه نسمع ما يقول . فقمت مع أصحابى ، فنظرت إليه فإذا هو شاب ، وإذا له لسان لداغ ، فسمعته يقول : قال الله ـ عز وجل

---

(٥) مناقب الشافعى للبيهقى ج١ ص ٢٢١ .
(٦) البيهقى ج١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

ـ فى خبر خاص يريد به عاما . وقال فى خبر عام يريد به العام ؟ وما العام الذى يريد به الخاص ؟ (وكنا لانعرف الخاص من العام ، ولا العام من الخاص) .

فقال ببيانه قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾[7] ، إنما أراد به أبا سفيان .

وقوله ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[8] . فهذا خاص يريد به العام .

وربما كان خوض الشافعى فى مثل تلك المسائل الأصولية سببا مقنعا (لعبد الرحمن بن مهدى) لأن يكتب للشافعى ، وهو شاب ، أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ، ويجمع قبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة ، فوضع له كتاب (الرسالة) .

وكان عبدالرحمن بن مهدى : أول من أظهر رأى مالك بالبصرة[9] . وكتب عبدالرحمن بن مهدى إلى الشافعى : أن اكتب إلى ببيان من علم . فكتب إليه بالرسالة . فلما قرأها عبدالرحمن قال : ما ظننت أن يكون فى هذه الأمة اليوم مثل هذا الرجل ، أو أن الله ـ عز وجل ـ خلق مثل هذا الرجل .

وكان الزعفرانى يقول فى وصف عبدالرحمن بن مهدى بن حسان ـ أبى سعيد البصرى : إنه أحد أركان أهل العلم بالحديث .

يقول أحمد بن حنبل : إن الشافعى حين خرج إلى مصر وصنف الكتب المصرية ـ أعاد تصنيف كتاب (الرسالة) وفى كل واحد منها من بيان أصول الفقه ما لا يستغنى عنه أهل العلم .

وحين قُسِّمَتَ مكتبة الإمام أحمد بعد وفاته على ولديه : صالح وعبدالله وجدت فيها رسالتى الشافعى العراقية والمصرية .

رحل الشافعى إلى بغداد بعد أن تفقه على يدى الإمام مالك إمام أهل المدينة ، وقرأ عليه (الموطأ) ثم نال (الإجازة) عليه حينما قال له : إن الله ـ عز وجل ـ قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية . ثم خرج إلى اليمن . وكنا نرى أن كتاب المناقب قد بالغوا القول فيما ذكروه من مناظرات الشافعى لمحمد بن الحسن وإفحامه فى كل مناظرة تناظر فيها .

وكان الشافعى ارتحل من مكة إلى اليمن من أجل مناظرة محمد بن الحسن أحد صاحبى أبى حنيفة وفى نهاية كل مناظرة يعقد كتاب المناقب لواء النصر للشافعى ، وأظهروا محمد بن الحسن متحيرا .

قال بعضهم : رأيت الشافعى ومحمد بن الحسن تناظرا ، فألقى عليه الشافعى مسألة ، فأجابه ، فأدخل عليه الشافعى حتى انقطع ، فتفاحش عليه القول ، فقال له الشافعى : تقلد قولى وأتقلد قولك . ففعل ، ثم أدخل عليه الشافعى حتى انقطع محمد أيضا ، ثم قال : ما أدرى ما أصنع. إذا خالفتك لم أقو عليك ، وإذا تابعتك لم أقو عليك[10] .

لا أدرى لم بالغ كتاب المناقب فيما رووه عن مناظرات الشافعى لمحمد بن الحسن وتعقب الشافعى له . فناظره فى مكة وأفحمه ، وناظره فى اليمن وأفحمه ، وناظره فى بغداد وأفحمه .

(٧) آل عمران : ٧٣
(٨) الطلاق : ١
(٩) البيهقى : جـ١ ص ٢٣٠ .
(١٠) البيهقى جـ١ ص ١٠٤ ، ص ١٨٠ .

فربما كان ذلك من قبيل الارهاصات بميلاد مذهب للشافعي يفوق مذهب أبي حنيفة ، فبالغوا بإظهار ضعف محمد بن الحسن الذى اعترف به محمد نفسه للشافعي حين قال له : يا أبا عبدالله ـ أى الشافعي ـ .. إن ناظرتني بقولك خصمتني ، وإن ناظرتني بقولي خصمتني . وعلى حد قول قتيبة بن سعيد : فكان محمد بن الحسن فى يده كالكرة يديرها كيف شاء[11] ويظهر من ناحية أخرى : إن كتاب ـ المناقب ـ ولاسيما البيهقى كان لايميل لأهل الرأى فاتخذ محمد بن الحسن هدفا أسقط عليه كل سهامه ، وانتحل من مناظرات الشافعي له وسيلة فعالة فى نقض مسائل الرأى عند أبي حنيفة ثم يؤسس للشافعي مذهبه الوسط بين (الرأى والنقل) ، وذلك حين أكد البيهقى فى كتابه على قول الشافعي : لايحل لصاحبكم ـ محمد بن الحسن ـ يفتي ـ يعني برأيه ، لأنه لم يكن له عقل . أراد به الرأى الذى هو اجتهاد وقياس .

ثم عقدت موازنة بين مالك وأبي حنيفة ، وزعم كتاب المناقب أن محمد بن الحسن قال : صاحبنا ـ أبو حنيفة ـ أعلم من صاحبكم مالك .

ثم دارت على تلك الأفضلية مقارنة بينهما . فهل هى المكابرة أو الإنصاف .. إلخ وانتهت الموازنة بأن أبا حنيفة أعلم بالقياس من صاحبه . ومالك أعلم من أبي حنيفة بالكتاب والسنة والإجماع .

ثم قال محمد بن الحسن : فنحن ندعى القياس أكثر مما تدعونه وإنما يقاس على الأصول ، فمن لايعرف الأصول لايعرف القياس . وفى موازنة أخرى بين مالك وأبي حنيفة يرجحون مالكا بأنه عالم بالكتاب والسنة واختلاف أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما أبو حنيفة فيتفق مع مالك بأنه عالم بالكتاب والسنة دون اختلاف الصحابة ، ولكنه كان عاقلا أى صاحب رأى الذى هو اجتهاد وقياس[12] .

وبعد تلك الموازنات ـ وهى كثيرة ويبدو عليها الصنعة والتكلف والانتحال فى أغلبها ـ فاضوا فى ذكر مسائل فقهية اختلف فيها الشافعي مع مذهب أبي حنيفة ورتبوها فى شكل مناظرات وقعت بين محمد بن الحسن والشافعي ، وكان الهدف فى نظرنا إظهار ضعف المسائل الفقهية التى قامت على الرأى والقواعد العقلية ، ومن وراء ضعفها يتبين ضعف مذهب أبي حنيفة ، ولقد رتب البيهقى لتلك النتيجة بما قدم له فى باب عقده لبيان حسن مناظرة الشافعي وغلبته بالعلم بقوله :

سمعت يونس بن عبد الأعلى ـ وذكر الشافعي ـ وكان من أعقل الناس ، لو أن الناس ألقُوا فى عقله لغرقوا فى عقله ـ وكان لا يأخذ فى شيء إلا نقول : هذه صناعته ، إذا أخذ فى الشعر والعربية ، نقول : هذه صناعته ، وإذا أخذ فى أيام العرب نقول : هذه صناعته . كان يناظر الرجل فلا يزال يناظره حتى يقطعه ، ثم يقول لمناظره : تقلد أنت قولى ، وأتقلد قولك . فيتقلد المناظر ويتقلد الشافعي قول المناظر ، فلايزال يناظره حتى يقطعه .

---

(11) البيهقى ج1 ص 181 .

(12) البيهقى ج1 ص 183 .

ثم ، ومن الطريف ــ بعد ــ ما يقول له محمد ابن الحسن فى مكة : إن تابعتك لا أقوى بك ، وإن خالفتك لا أقوى بك[١٣] .

تتعدد المناظرات بينهما فى مكة وفى المدينة وفى اليمن وفى العراق وأمام هارون الرشيد .. الخ .

وكأنهما موصوفان لبعضهما لا يهدأ للشافعى نار وجدانه إلا إذا ناظر محمد بن الحسن وأفحمه، ولا يهدأ لمحمد بن الحسن نار إلا إذا أقام عليه الشافعى الحجة ..

ثم يتابع البيهقى نقده لأهل الرأى فى العراق حين ذكر على لسان أبى ثور والكرابيسى أنهما كانا من أصحاب الرأى ، ولما حضرا للشافعى للسخرية به ، فهو من أهل الحديث يتفقه وسألاه عن مسائل ، فأخذ الشافعى يجيب بالحديث والرأى حتى قالا : فتركنا بدعتنا واتبعناه . وكان (المسجد الجامع الغربى) عشرون حلقة لأصحاب الرأى وكان من أثر الشافعى أن أصبحت ثلاث حلق أو أربع .

ثم أبان البيهقى عن كراهيته لأهل الرأى حين وصف (بشر المريسى°) على لسان أمه ــ أى أم بشر ــ بأنه زنديق . ومهما بالغ كتاب المناقب فى ذم الرأى الذى استوى منهجه بالعراق واكتمل على يدى أبى حنيفة ، فإن الشافعى قد استفاد منه كثيراً فيما سبق إلى تأليفه من أهم كتبه (الرسالة) وصفها إسحق بن راهويه لأحمد بن حنبل وهو يرسل إليه (قد أنفذت إليك ما يدلك على عوام أصول العلم) .

ووصفها أحمد بقوله : إنها بيان أصول الفقه .

ووصفها المزنى : أنا أنظر فى كتاب (الرسالة) عن الشافعى منذ خمسين سنة ، ما أعلم أنى نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن أعرفه[١٤] .

وكان الشافعى ــ كما وصفه الرازى ــ أسبق فى وضع علم جديد : (أصول الفقه) فى العربية كأرسطو فى وضع علم المنطق فى اليونان .

والرأى أن كتاب (الرسالة) جمع المسائل الأصولية ورتبها ووفق بينها وأقامها علما قائما برأسه بناه على قواعد عقلية لمعالجة فهم النص الإلهى حتى لا يصدر العقل فى فهم النص الإلهى عن هوى أو مصلحة شخصية أو رؤية ذاتية إنما هى قواعد عقلية تعينه لغاية دينية هى فهم النص الإلهى .

الشافعى فى مصر :

قدم الشافعى مصر ١٩٩هـ ، وتوفى بها ٢٠٤هـ ، يقول الربيع سليمان : رأيت الشافعى بـ(نصيبين) قبل أن يدخل مصر فلم أره آكلا بنهار ولا نائما بليل ، وكانت له جارية سوداء تخدمه ، وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول : يا جارية قومى إلى القداح ، فتقوم فتسرج له ، فيكتب مايحتاج أن يكتبه ويرسمه فى موضعه ، ثم يطفىء السراج ويستلقى على ظهره ، فيعمل الباب من العلم ثم يقول : ياجارية قومى إلى القداح فتقوم فتسرج له ، فيكتب الباب من العلم ويرسمه فى موضعه ، ثم يطفىء السراج ، فكان على هذا

---

(١٣) البيهقى ج١ ص ١٨٧ .

(١٤) البيهقى ج١ ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٦ .

° أجمعت الأمة على ضلال بشر بسبب فتنته التى أذاعها فى « خلق القرآن » والعياذ بالله .

منه . فقلت : يا أبا عبدالله ، لوتركت السراج متقد ، فإن هذه الجارية منك فى جهد ، قال : إن السراج يشغل قلبى .

قال : وقال لى يوما : كيف تركت أهل مصر ؟ فقلت : تركتهم على ضربين :

فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك وأخذت به ، واعتمدت عليه وذبت عنه وناضلت عنه .

وفرقة مالت إلى قول أبى حنيفة فأخذت به وناضلت عنه فقال : أرجو أن أقدم مصر ، إن شاء الله ، وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعا . فقال الربيع : ففعل ذلك ــ والله ــ حين دخل مصر[١٥] .

قال ياسين بن عبدالواحد : لما قدم علينا الشافعى مصر ، أتاه جدى ، وأنا معه ، فسأله أن ينزل عليه فأبى وقال : إنى أنزل على أخوالى الأزد ، فنزل عليهم يقول هارون بن سعيد الأيلى : ما رأيت مثل الشافعى : قدم علينا مصر ، فقالوا : قدم علينا رجل من قريش ، فجئناه وهو يصلى ، فما رأيت أحسن صلاة منه ، ولا أحسن وجها منه فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن كلاما منه فافتتنا به[١٦] .

يقول ابن عبدالحكم : الشافعى علم أهل مصر الاحتجاج . يقول الحميدى : خرجت مع الشافعى إلى مصر ، فكان هو ساكنا فى العلو ونحن فى الأوساط ، فربما خرجت فى بعض الليل فأرى المصباح ، فأصيح بالغلام فيسمع صوتى فيقول : بحقى عليك ارق . فأرقى فإذا قرطاس وجزء ، فأقول : مه يا أبا عبدالله فيقول : تفكرت فى معنى حديث ، أو فى مسألة ، فخفت أن يذهب على ، فأمرت بالمصباح فكتبته .

ولم تطل إقامته فى مصر أكثر من أربع سنوات حيث وافته المنية وهو فى القاهرة[١٧] .

ماحمله معه من الكتب إلى مصر :

وقدم الشافعى من الحجاز إلى مصر ومعه هذه الكتب :

- ★ كتب ابن عيينة .
- ★ وكتاب من آثار من كلام ابن لأشهب .
- ★ وكتاب مما علقه من يحيى بن حسان .
- ★ كتاب الاختلاف بين الأوزاعى وأبى حنيفة .

وهو كما قال أحمد : وهو (كتاب فى السير) صنفه أبو حنيفه فرد عليه الأوزاعى ماخالفه فيه . ثم رد أبو يوسف على الأوزاعى رده على أبى حنيفة ، وهو الكتاب الذى يعرف بسير الأوزاعى .

وأما كتاب أشهب فإنه أخذه ليعرف منه ما شذ عنه من أقاويل مالك وأصحابه فيمكنه الرد فيما خالفهم فيه .

مصنفات الإمام الشافعى

وله كتب مصنفة فى «أصول الفقه» ثم فى فروعه . فمن الكتب التى تجمع الأصول وتدل على الفروع :

١ ــ كتاب الرسالة القديمة .
٢ ــ كتاب الرسالة الجديدة .
٣ ــ كتاب اختلاف الأحاديث .
٤ ــ كتاب جماع العلم .

(١٥) مناقب الشافعى ج١ ص ٢٣٨البيهقى .
(١٦) البيهقى ج١ ص ٢٤٠ .
(١٧) منقول بتصرف من كتاب المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب . العميد/عبدالرازق محمد أسود ١٥٦ ــ ١٥٨ ــ المجلد الثالث . المواد العربية للموسوعات .

٥ ـ كتاب إبطال الاستحسان .
٦ ـ كتاب أحكام القرآن .
٧ ـ كتاب بيان فرض الله ـ عز وجل .
٨ ـ كتاب صفة الأمر والنهى .
٩ ـ كتاب اختلاف مالك والشافعى .
١٠ ـ كتاب اختلاف العراقيين .
١١ ـ كتاب الرد على محمد بن الحسن .
١٢ ـ كتاب على وعبدالله .
١٣ ـ كتاب فضائل قريش .

ومن الكتب التى هى مصنفة فى الفروع ، وهى التى تعرف بالأم :

فى الطهارات

١ ـ كتاب الوضوء . ٢ ـ والتيمم . ٣ ـ والطهارة . ٤ ـ ومسألة المنى . ٥ ـ وكتاب الحيض .

فى الصلوات

١ ـ كتاب استقبال القبلة .. ٢ ـ كتاب الإمامة . ٣ ـ كتاب الجمعة . ٤ ـ كتاب صلاة الخوف . ٥ ـ كتاب صلاة العيدين . ٦ ـ كتاب الخسوف . ٧ ـ كتاب الاستسقاء . ٨ ـ كتاب صلاة التطوع . ٩ ـ الحكم فى تارك الصلاة . ١٠ ـ كتاب الجنائز . ١١ ـ كتاب غسل الميت .

فى الزكوات

١ ـ كتاب الزكاة . ٢ ـ كتاب (زكاة) مال اليتيم . ٣ ـ كتاب زكاة الفطر . ٤ ـ كتاب فرض الزكاة . ٥ ـ كتاب قسم الصدقات .

وفى الصيام

١ ـ كتاب الصيام الكبير . ٢ ـ كتاب صوم التطوع ٣ ـ كتاب الاعتكاف .

وفى الحج

١ ـ كتاب المناسك الكبير . ٢ ـ مختصر الحج الأوسط . ٣ ـ مختصر الحج الصغير .

فى المعاملات

١ ـ كتاب البيوع . ٢ ـ كتاب الصرف . ٣ ـ كتاب كتاب السلم . ٤ ـ كتاب الرهن الكبير . ٥ ـ كتاب الرهن الصغير . ٦ ـ كتاب التفليس . ٧ ـ كتاب الحجر وبلوغ الرشد . ٨ ـ كتاب الصلح . ٩ ـ كتاب الاستحقاق . ١٠ ـ كتاب الحمالة والكفالة . ١١ ـ والحوالة والوكالة والشركة ١٢ ـ كتاب الإقرار والمواهب . ١٣ ـ كتاب الإقرار بالحكم الظاهر . ١٤ ـ كتاب إقرار الأخ بأخيه . ١٥ ـ كتاب العارية . ١٦ ـ كتاب الغصب . ١٧ ـ كتاب الشفعة . ١٨ ـ كتاب الإجارة . ١٩ ـ الأوسط فى الإجارة . ٢٠ ـ كتاب الكراء والإجارات . ٢١ ـ اختلاف الأجير والمستأجر . ٢٢ ـ كتاب كراء الأرض . ٢٣ ـ كراء الدواب . ٢٤ ـ كتاب المزارعة . ٢٥ ـ كتاب المساقاة . ٢٦ ـ كتاب القراض ٢٧ ـ كتاب عمارة الأرضين وإحياء الموات .

وفى العطايا

١ ـ كتاب المواهب . ٢ ـ كتاب الأحباس . ٣ ـ كتاب العمرى والرقبى .

وفى الوصايا

١ ـ كتاب الوصية للوارث . ٢ ـ والوصايا فى العتق . ٣ ـ كتاب تغيير الوصية . ٤ ـ صدقة الحى عن الميت . ٥ ـ وصية الحامل .

وفى الفرائض وغيرها

١ ـ كتاب المواريث . ٢ ـ كتاب الوديعة . ٣ ـ كتاب اللقطة . ٤ ـ كتاب اللقيط . ٥ ـ كتاب التعريض بالخطبة . ٦ ـ كتاب تحريم الجمع . ٧ ـ كتاب تحريم الجمع . ٨ ـ كتاب الشغار . ٩ ـ كتاب الشغار . ١٠ ـ كتاب الصداق . ١١ ـ كتاب الوليمة . ١٢ ـ كتاب القسم. ١٣ ـ كتاب إباحة الطلاق . ١٤ ـ كتاب الرجعة . ١٥ ـ كتاب الخلع والنشوز . ١٦ ـ كتاب الإيلاء . ١٧ ـ كتاب الظهار . ١٨ ـ كتاب اللعان . ١٩ ـ كتاب العدد . ٢٠ ـ كتاب الاستبراء . ٢١ ـ كتاب الرضاع . ٢٢ ـ كتاب النفقات .

وفى الجراح

١ ـ كتاب جراح العمد . ٢ ـ كتاب جراح الخطأ والديات . ٣ ـ (اصطدام السفينتين) . ٤ ـ الجناية على أم الولد . ٥ ـ الجناية على الجنين . ٦ ـ خطأ الطبيب . ٧ ـ جناية المعلم . ٨ ـ (جناية) البيطار والحجام . ٩ ـ كتاب القسامة . ١٠ ـ صول الفحل .

وفى الحدود

١ ـ كتاب الحدود . ٢ ـ كتاب القطع فى السرقة . ٣ ـ قطاع الطريق . ٤ ـ صفة النفى . ٥ ـ كتاب المرتد الكبير . ٦ ـ كتاب المرتد الصغير . ٧ ـ الحكم فى الساحر . ٨ ـ كتاب قتال أهل البغى .

وفى السير والجهاد

١ ـ كتاب الجزية . ٢ ـ كتاب على سير الأوزاعى . ٣ ـ كتاب على سير الواقدى . ٤ ـ كتاب قتال المشركين . ٥ ـ كتاب الأسارى والغلول . ٦ ـ كتاب السبق والرمى . ٧ ـ كتاب قسم الفىء والغنيمة .

وفى الأطعمة

١ ـ كتاب الطعام والشراب . ٢ ـ كتاب الضحايا الكبير . ٣ ـ كتاب الضحايا الصغير . ٤ ـ كتاب الصيد والذبائح . ٥ ـ كتاب ذباح بنى إسرائيل . ٦ ـ كتاب الأشربة .

وفى القضايا

١ ـ كتاب آداب القاضى . ٢ ـ كتاب الشهادات . ٣ ـ كتاب القضاء باليمين مع الشاهد . ٤ ـ كتاب الدعوى والبينات .
٥ ـ كتاب الأقضية . ٦ ـ كتاب الإيمان والنذور . ٧ ـ كتاب القرعة .

وفى العتق وغيره

١ ـ كتاب البحيرة والسائبة . ٢ ـ كتاب الولاء والحلف . ٣ ـ كتاب الولاء الصغير . ٤ ـ كتاب المدبر . ٥ ـ كتاب المكاتب . ٦ ـ كتاب عتق أمهات الأولاد . ٧ ـ كتاب الشروط . فذلك مائة ونيف وأربعون كتابا .

الأبعاد الإنسانية للدعوة الإسلامية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر (*)

لقد خلق الله الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وبهذه النفخة العلوية رفع شأنه وأعلى قدره وكان أمر الملائكة بالسجود له : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٧٢ ﴾ (سـورة ص)

وإضافة الروح إلى الله ـ سبحانه ـ وهو مالكها وخالقها ـ يعتبر الإشارة الأولى إلى قيمة الإنسان ومكانته .

أما الإشارة الثانية فتأتى عند الحديث عن المهمة التى سيكلف الله بها الإنسان حين يخلقه إذ يجعله خليفة فى الأرض يقوم بعمارتها والانتفاع بما فيها ، وهى كذلك منزلة سامية ومكانة عالية

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ سورة البقرة ٣٠ .

وهاهم الرسل جميعاً يذكرون أممهم بضرورة القيام بهذا التكليف حفاظاً على تلك المكانة . فهذا نبى الله صالح ـ عليه السلام ـ يخاطب قومه قائلاً :

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١ ﴾ (سـورة هـود)

وهذا شعيب ـ عليه السلام ـ يقول لقومه :

﴿ .. وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ... ﴾

سورة الاعراف ٨٥

(*) الكاتب الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر .

ويخاطب القرآن الناس فيقول :

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

سورة الأعراف ٥٦

أما الإشارة الثالثة فتأتى عندما يذكر الله ـ سبحانه ـ أنه خلق آدم بيديه ، وآدم هو أبو البشرية وأول إنسان .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

سورة ص ٧٥ ـ ٧٦

لكن هذا الإنسان الذى رفع الله شأنه وأعلى قدره قد يضل طريقه وينسى مهمته ويفقد بصيرته ويتغلب عليه شيطانه فيهدم ما سبق أن بنى ويخرب ما سبق أن عمر ، بل ربما راح يهدم وهو يظن أنه يبنى ، ويسعى فى الخراب وهو يظن أنه يعمر .

وهذا يحدث للإنسان حين يعرض عن منهج الله ويبتعد عن شرع الله الذى زوده بالمنهج الذى يسعده :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

سورة طه ١٢٣ ـ ١٢٦

من هنا نستطيع أن نفهم معنى قول الله ـ تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

سورة التين ٤ ـ ٦

إن الإنسان هو موضوع الدعوة الإسلامية التى تصله بربه وتعلمه كيف يعبده ، وتحقق له إنسانيته وتلفت نظره إلى قيمته وتحدد له ـ على طريق السمو ـ مسيرته . وتكشف له غايته كى يسير على الهدى ويتحرك فى النور :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة الأنعام ١٢٢

فى دعوة الإسلام أن الناس جميعاً إخوة ينتسبون لأب واحد وأم واحدة فلا فضل لأحد على آخر بالنظر إلى أصل نشأته ولا بالنظر إلى أصل تكوينه فأصل النشأة واحد :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

سورة النساء ١

وإذا كانت إرادة الله وقدرتـه قد صنعت وأحكمت ، فأصبح بعض الناس سوداً وبعضهم بيضاً أو حمراً أو صفراً فما ذلك إلا ليكون دليلا جديداً على قدرة الله . وأمارة على بديع صنعه وآية من آياته الكثيرة المبثوثة فى الأنفس والآفاق :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾

سورة الروم ٢٢

إن ذلك التنوع والاختلاف لا ينبغى أن يكون أساسا للتفاضل أو سببا للتنازع والتقاتل ، إنما ينبغى أن يكون سبيلا إلى التفاهم وأساسا للتعارف والتعاون :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات ١٣

بل إن دعوة الإسلام ترفض أن يكون اختلاف الدين سببا للظلم أو مبرراً للعدوان ؛ لأنه هكذا خلق الله الناس مختلفين ولا يزالون مختلفين :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ... ﴾

سورة هود ١١٨ ــ ١١٩

إن تحقيق العدل بين الناس جميعا بلا تفرقة غاية من غايات دعوة الإسلام وأصل من أصولها وهدف يعمل له المؤمنون الذين آمنوا بهذه الدعوة وتقبلوها بالرضا والتسليم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سورة المائدة ٨

إن إعلان التوحيد هو فى الواقع إعلان لحرية الإنسان وكرامته وإقرار لقاعدة المساواة بين بنى الإنسان وأساس لتحقيق العدل فى الأرض . حيث لا يخضع الإنسان إلا للخالق الرازق . وفى الخضوع لله وحده عزة الإنسان وكرامته .

إن المسلمين حين يقاتلون أعداء بلادهم ودينهم لا يقاتلون لدنيا يصيبونها أو لجاه يحصلون عليه أولتوسيع ملك أو لتسخير شعب وإذلال أمه . إنما يقاتلون رداً على العدوان وزجراً للمعتدين وتأمينا للخائفين ونصرة للمظلومين وحماية للمستضعفين .

يقول الله ــ تعالى :

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

سورة البقرة ١٩٠

لهذا فإن الحروب التى خاضها المسلمون كانت متناسقة مع طبيعة الإسلام فلم تعرف البشاعة والقسوة التى عرفت بها حروب الآخرين .

وهذه هى الوصايا الملزمة التى كانت توجه إلى جيوش المسلمين حين تخرج للقتال « لا تقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخاً ولا راهباً فى صومعته ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء » .

إنه قبل أن تعرف الدنيا شيئا اسمه حقوق الإنسان ومنذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان جاءت دعوة الإسلام وطبقت حقوق الإنسان فى أرفع صورها .

الإنسان حر فى اختيار العقيدة التى يريدها إن شاء آمن وإن شاء كفر :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

سورة الكهف ٢٩

والدولة مسئولة عن توفير هذه الحرية والدفاع عنها والضرب على يد المتسلطين الذين يسلبون الناس حريتهم ويستعبدونهم .

ولا يجوز بحال من الأحوال أن تنتهك آدمية الإنسان حتى وإن قاتل واعتدى ووقع فى الأسر . إن الله جعل الجنة من نصيب أولئك الذين يحسنون معاملة الأسرى . قال ـ تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

سورة الإنسان ٨

إن دعوة الإسلام تسعى للقضاء على كل عصبية وتدعو للإخاء بين الناس ، وقد نجحت فى مسعاها فهؤلاء المؤمنون بهذه الدعوة تنوعت طبقاتهم واختلفت ألوانهم وتباعدت أعراقهم وأجناسهم وقومياتهم ، ولكن دعوة الإسلام ألفت بين قلوبهم ووحدت بين صفوفهم فكانت الأخوة تجمع بين أبى بكر وعمر وبلال وصهيب وسلمان . هذا عربى وذاك حبشى وثالث رومى ورابع فارسى وهم ما بين أبيض وأسود ومن كان حراً ومن كان عبداً ، لقد أزالت دعوة الإسلام هذه الفوارق .

إن من الأبعاد الإنسانية فى الدعوة الإسلامية تلك اللفتة الكريمة فى حق المرأة المرضع فقد يستأجر بعض الناس امرأة ترضع لهم طفلهم ، إن الإسلام هنا ـ تكريماً لإنسانية هذه الموضع ـ لا يجعلها مجرد بائعة لبن وإنما يجعلها أماً لهذا الرضيع تستحق ما تستحقه الأم من رعاية وبر وتكريم بل ويجعل أولادها إخوة له من الرضاع .

ومن الأبعاد الإنسانية فى الدعوة الإسلامية تلك الوصية الشاملة برعاية كل أصحاب الحقوق وهم كثير . بداية من الوالدين :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

سورة الإسراء

ومرورا بالأقارب والجيران وإن لم يكونوا مسلمين ، وكذا اليتامى الذين فقدوا عائلهم والمساكين الذين أسكنهم الفقر والعوز وكذا الأضياف ، الرفقة فى الحضر والسفر والأزواج وأبناء السبيل الذين انقطعوا عن مواردهم أو انقطعت عنهم مواردهم وأولئك الذين جعلهم الله تحت أيدينا من الخدم ولو شاء الله لجعلنا تحت أيديهم . دائرة واسعة ومجموعة كبيرة ذكرتها آية شاملة فى كتاب الله :

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

سورة النساء

وتتسع الدائرة لتشمل الكبار والصغار والعلماء وأهل الفضل : « **ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه** » **رواه الإمام أحمد والحاكم** .

إن الإسلام حرض إتباعه على الرفق فى كل شىء وعلى الرحمة بكل الضعفاء .

والإحسان إلى جميع اليتامى والفقراء وتحرير كل العبيد والأرقاء وصولا إلى رضوان الله وجنته وتخطى العقبات التى تعوقهم عن الوصول إلى تلك الغاية .

يقول الله ـ تعالى :

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾

سورة البلد ١١ ـ ١٨

وإن الرحمة التى عرف بها المسلمون وكانت صفة بارزة من صفاتهم إنما تخلقوا بها عن طريق دعوة الإسلام السامية . إنها رحمة فاضت بها مشاعرهم حتى شملت الإنسان والحيوان طمعا فى الحصول على مرضاة الله ورحمته وليس لغرض من أغراض الدنيا ، ذلك هو الدافع لهم فقد حفظوا عن رسول الله ﷺ قوله : « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى .

ثم إن الدعوة إلى الله مسئولية مشتركة بين جميع أفراد الأمة يتحملها كل منهم على قدر موقعه وعلمه واستطاعته بدليل قول رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » متفق عليه .

كما وأنه مطلوب من كل مسلم أن يدعو إلى الله بقدر ما يحسن . وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « **بلغوا عنى ولو آية** » جزء من حديث « رواه البخارى » .

فعلى كل منا أن يصلح نفسه وأن يدعو غيره وأولى الناس بدعوتنا وبرنا وحسن توجيهنا أهلنا الأقربون وأزواجنا وأولادنا يقول الله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

سورة التحريم ٦

إن صلاح أمرنا كله لن يكون بغير الإسلام وصلاح أمر البشرية كلها لن يكون إلا بصلاحنا . وذلك لأننا أمة القيادة يأخذ منا الآخرون القدوة والمثل .

ولن تكون لنا القيادة إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب ربنا وسنة نبينا . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

سورة الأنبياء ١٠

نسأل الله أن يجعلنا ممن يعقلون ويدركون ويعملون بما يعلمون . وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

من رجال القضاء فى الإسلام

العلامة عبدالرحمن بن خلدون

٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ م - ١٤٠٦ م

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

هو : أبو زيد ولى الدين عبدالرحمن المشهور بابن خلدون ، كان إماما حكيما فى التاريخ وعالما كبيرا فى الاقتصاد ونواميس العمران ، وقد وضع بمقدمة كتابه « العبر » ميزانا اجتماعيا توزن فيه الوقائع والروايات التاريخية حتى يتبين منهما المحتمل والبعيد الاحتمال ، ولا يقتصر هذا الميزان على الوقائع التاريخية أو الماضية فحسب ، بل إنه ينير الطريق لمؤرخى المستقبل حتى يتمكنوا من غربلة الأمور التى يؤرخونها ، كما أنه يضىء الطريق لقادة الفكر وسادة الدول بأن يتخذوا من القواعد التى وضعها نبراسا يهتدون بنوره فلا تزل أقدامهم ، وبذلك تكون أحداث الماضى عبرة لتفادى مثيلاتها فى المستقبل[١] .

---

(١) كتاب أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة العربية تأليف الدكتور مختار القاضى ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

أصـله وتاريخ أسرته :

ذكر الإمام أبومحمد على بن حزم الأندلسى فى كتاب (جمهرة أنساب العرب) أن أسرة ابن خلدون ترجع إلى أصل يمانى حضرمى ، أما نسبها فى الإسلام فيرجع إلى (وائل بن حجر) ، وهو صحابى معروف روى عنه رسول الله ﷺ سبعين حديثا ، وبعثه ــ عليه السلام ــ ومعه معاوية بن أبى سفيان إلى أهل اليمن يعلمهم القرآن والإسلام .

كما يذكر ابن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) أن وائل بن حجر لما وفد على النبى ﷺ بسط له رداءه وأجلسه عليه ، وقال : « اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة » .

وقد دخل من أفراد هذه الأسرة بلاد الأندلس مع العرب الفاتحين (حسب رواية ابن حزم) خالد ابن عثمان الذى اشتهر فيما بعد باسم (خلدون) وفقا للطريقة التى جرى عليها حينئذ أهل الأندلس والمغرب فى علامات التعظيم من حفدة وائل بن حجر فيسموهم (بنى خلدون) حيث استقروا فى مدينة قرمونه ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى مدينة أشبيلية ، وقد بدا نجم تلك الأسرة يسطع فى عهد الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأموى ؛ ذلك أنه فى أثناء ولاية هذا الأمير اضطربت بلاد الأندلس بالفتن وثارت معظم نواحيها ، وكانت أشبيلية فى مقدمة المناطق الثائرة ، واشترك فى ثورتها ولدان من حفدة خلدون هما : كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد ، وانتهت الثورة بعد عدة مراحل بأن استبد كريب بن عثمان بن خلدون بأمر الحكم ، واستقل بإمارة أشبيلية لكن تجددت الثورات بها مرة أخرى وانتهت بقتله .

وقد بقى بنو خلدون فى أشبيلية بعد ذلك لا شأن لهم طيلة عهد الأمويين وعهد ملوك الطوائف ، وكذلك فى عهد دولة المرابطين حتى إذا جاءت دولة الموحدين بالمغرب انتزعت بلاد الأندلس من المرابطين ؛ فأتيح لبنى خلدون لاتصال بأحد ولاة وعمال هذه الدولة الناشئة ، ويدعى أبو خوص زعيم قبيلة (هنتاته) والذى تولى أمر أشبيلية وغرب الأندلس ، كما توارث بنوه ولايتها من بعده فاستعاد بنو خلدون بعض ما كان لهم من العزة والرياسة والجاه .

ولما ضعفت دولة الموحدين واضطربت أمور الأندلس ،وأخذت قواعدها وثغورها تسقط تباعا فى يد ملك قشتالة النصرانى فرّ بنو حفص من أشبيلية ، ونزحوا إلى تونس سنة ٦٢٠ هـ ــ ١٢١٣ م حيث دعوا لأنفسهم ضد ولاتها من دولة الموحدين فنجحت دعوتهم ، واستولوا على قسم كبير من تلك البلاد ، وقد تبعهم بنو خلدون فرحلوا إلى تونس حيث أكرمهم الحفصيون وعطفوا عليهم فولوا أبا بكر بن محمد ــ الجد الثانى ــ لابن خلدون شئون دولتهم ، واستمر فى خدمة الدولة حتى قتله بعض الخوارج على الحفصيين .

كما وَلَّوا جده الأول محمد بن أبى بكر شئون الحجابة لحاكم بجاية ، وقد بقى فى عمله بعد مقتل أبيه أمداً طويلا ، كما ظل محتفظا بمكانته بعد أن

دالت دولة بنى حفص وغلب على تونس زعيم الموحدين الأمير أبو يحيى بن اللحيانى ، فقد قربه الأمير المشار إليه حتى اعتزل من نفسه الحياة العامة ، ولكنه بقى مع ذلك على مكانته ونفوذه فى الدولة حتى توفى سنة ٧٣٧ هـ ـ ١٣٢٧ م .

أما والده أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر فقد عزف عن السياسة ، وآثر الدرس والعلم فقرأ وتفقه كما كان له بصر بالشعر وفنونه ، وقد توفى سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٣٩ م عن خمسة أبناء كان واحدا منهم عبدالرحمن صاحب هذه الترجمة[٢] .

مولده ونشأته ومعلموه :

ولد العلامة عبدالرحمن المشهور بابن خلدون فى مدينة تونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ التى توافق ٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م ، ولما بلغ سن التعليم بدأ يحفظ القرآن الكريم ويجوده حسب المنهج الذى كان متبعا فى كثير من بلاد الإسلام ، وكان (مسجد القبة) فى تونس هو المعهد الذى حفظ وجَوَّد فيه القرآن الكريم على حفظته ومجوديه .

ولما كانت تونس حينئذ مركز العلماء والأدباء فى بلاد المغرب ومهبط رهط من علماء الأندلس الذين فروا أمام زحف الجيوش النصرانية ، فكان من هؤلاء وأولئك أساتذته ومعلموه مع والده فدرس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكى الذى كان ولا يزال المذهب السائد فى المغرب ، كما درس عليهم علمى الأصول والتوحيد ، وكذلك العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب ، ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية .

وحظى فى جميع دراساته بإعجاب أساتذته ونال إجازاتهم ، وقد عنى بذكر أسماء معلميه وأساتذته فى مختلف هذه البحوث ، ومن أظهر من عنى بذكرهم من أساتذته : (محمد بن سعد بن بُرَّال الأنصارى ، ومحمد بن العربى الحصايرى ، ومحمد بن الشواش الزرزالى ، وأحمد بن القصار ، ومحمد بن بحر ، ومحمد بن جابر القيسى ، والفقيه المالكى محمد بن عبد الله الجيانى ، وأبو القاسم محمد القصير ، ومحمد بن عبد السلام ، ومحمد بن سليمان الشَّطِّىّ ، وأحمد الزواوى ، وعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى ، وكذلك محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدَيلى شيخ العلوم العقلية وكانت تسمى كذلك العلوم الفلسفية أو العلوم الحكمية ، وقد كان لهذين العالمين الأخيرين أكبر الأثر فى ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية[٣] .

أهم الكتب التى درسها فى صباه :

ولقد عنى ابن خلدون أيضا بذكر أهم الكتب التى درسها على أساتذته العلماء ، ومن أظهرها :

اللامية فى القراءات ، والرائية فى رسم المصحف ، وكلتاهما للشاطبى ، والتسهيل فى النحو لابن مالك ، وكتاب الحماسة ،

---

(٢) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) ، بقلم الدكتور على عبدالواحد وافى ، سلسلة أعلام العرب ، تحت إشراف وزارة الثقافة المصرية .

(٣) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) المرجع السابق .

والمعلقات ، وطائفة من شعر أبى تمام والمتنبى ، ومعظم كتب الحديث وخاصة : موطأ الإمام مالك ، وصحيح الإمام مسلم ، والتقصى لأحاديث الموطأ لابن عبد البر ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، وكتاب التهذيب للبرادعى ، ومختصر المدونة لسحنون فى الفقه المالكى ، ومختصرا ابن الحاجب فى الفقه والأصول ، والسيرة لابن إسحاق ، كما قرأ كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى .

انقطاع ابن خلدون عن متابعة الدراسة والعلم :

عندما وصل ابن خلدون إلى سن الثامنة عشرة من عمره حدث حادثان خطيران عاقاه عن مواصلة دراسته ، وكان لهما أثر بليغ فى مجرى حياته .

أما أولهما فهو وباء الطاعون الذى انتشر سنة ٧٤٩ هـ فى معظم أنحاء العالم شرقيه وغربيه ؛ فطاف بالبلاد الإسلامية من سمرقند إلى المغرب ، ثم انتقل شمالا فعصف بإيطاليا ومعظم البلاد الأوروبية وكذلك بلاد الأندلس ، وقدر من هلك بتونس فى يوم واحد بألف ومئتى نسمة ، وسمى وقتئذ بالطاعون الجارف ، وكان من كوارثه أنه أهلك لابن خلدون أبويه وجميع من كان يأخذ عنهم العلم من شيوخه .

أما الحادث الآخر فهو هجرة معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من ذلك الوباء الخطير من تونس إلى المغرب الأقصى سنة ٧٥٠ هـ .

وكان من نتيجة هذين الحادثين أن استوحش ابن خلدون فى بلده فرغب فى الخروج إلى المغرب الأقصى لكن أخاه الأكبر أفلح فى صرفه عن رغبته مما جعله يتطلع إلى تولى الوظائف العامة مثل القدامى من أسرته [٤] .

الوظائف العامة التى تولاها عبد الرحمن بن خلدون فى بلاد المغرب :

تقلب ابن خلدون فى عديد من الوظائف الديوانية والسياسية خلال المدة من سنة ٧٥١ هـ حتى ٧٧٦ هـ لدى حكام المغرب الأوسط ــ وهو ما يسمى بإقليم الجزائر حاليا ــ وحكام مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، وكذا سلطان غرناطة ببلاد الأندلس .

١ ــ فتقلد وظيفة (كتابة العلامة) وهى وضع عبارة (الحمد لله والشكر لله) بالقلم الغليظ مما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم .

٢ ــ ثم عين ضمن عضوية المجلس العلمى وشهود الصلوات مع سلطان تلمسان .

٣ ــ كما تولى وظيفة كتابة السر والترسل عن السلطان والإنشاء لمخاطباته ، وقد نهج فى أثناء قيامه بهذه الوظيفة نهجا جديدا فى كتابة الرسائل فحررها من قيود السجع التى كانت قاعدة الكتّاب فى ذلك العهد .

---

(٤) كتاب (عبدالرحمن بن خلدون) المرجع السابق .

٤ ــ ثم تولى (خطة المظالم) فأداها بعدالة وكفاية .

٥ ــ لما سافر إلى غرناطة كلفه سلطانها بالسفارة بينه وبين ملك قشتاله ، فنجح فى مهمته لما كان يتمتع به من مهارة دبلوماسية وحنكة سياسية ودراية بأخلاق الملوك ، ولعجب ملك قشتاله به عرض عليه البقاء عنده ، وأغراه على ذلك بأن يرد له أموال أسرته بمدينة أشبيلية التى كانت دولة قشتالة قد استولت عليها من قبل ، لكن ابن خلدون اعتذر عن ذلك بأمور قبلها ذلك الملك فسمح له بالعودة إلى غرناطة .

٦ ــ لما عاد إلى المغرب تولى أمر الحجابة لسلطان بجاية ، وهى أرقى منصب فى الدولة بعد منصب السلطان ، ويشبه منصب رئيس الوزراء فى زماننا المعاصر .

٧ ــ ثم قدمه السلطان المشار إليه للخطابة بجامع القصبة وفى ذلك الجامع قام ابن خلدون أثناء النهار بتدريس العلم بعد انصرافه من تدبير أمور السلطنة .

وبذلك جمع ابن خلدون سنة ٧٦٦ هـ بين أرقى مناصب الدولة وأرقى مناصب العلم .

٨ ــ ثم ابتعد عن وظائف الدولة مدة تسع سنوات حيث عزم على أن يترك شئون السياسة وينقطع للقراءة والتأليف فولى وجهه شطر منازل أصدقائه بنى عريف فأنزلوه مع أسرته بأحد قصورهم فى قلعة ابن سلامة من بلاد توجين .

٩ ــ وفى هذا المكان المنعزل قضى ابن خلدون أربعة أعوام نعم فيها بالاستقرار والهدوء ، وأخذ فى تدوين أبحاثه يكتب عن حفظه ومن ذاكرته وبالرجوع إلى مذكراته وإلى المراجع القليلة أو الكتب التى اطلع عليها فى أسفاره أو تلك التى أتيح له الحصول عليها فى أثناء ذلك ، وإلى ما عسى أن يكون لديه من كتب فى مكتبته الخاصة لكنه رأى ضرورة الرجوع إلى الكتب والمصادر الموسعة الضرورية والتى لا تتوفر إلا فى مسقط رأسه تونس ، حيث تقدم له مكتباتها الغنية بالكتب ما يحتاج إليه من مراجع .

١٠ ــ وقد نجح ابن خلدون فى استرضاء حاكمها أبى العباس أحمد سلطان قسنطينه التى كانت تضم فى إدارتها تونس أيضا ، لذلك بعثه إليها وأصدر أوامره بتوفير ما ينبغى توافره لراحته من معاش ومكان وجزيل الإحسان ، وهناك عكف على الاطلاع والبحث والتدريس حتى أتم مؤلفه الذى اشتهر به فى علم الاجتماع ، وفى علم التاريخ ، وفور الانتهاء منه رفع نسخة منه إلى السلطان المشار إليه ، وكان ذلك أوائل سنة ٧٨٤ هـ ــ التى توافق أوائل سنة ١٣٨٢ م مع قصيدة شعرية يمدحه بها وينوه فيها بفضله نذكر منها بعض أبياته التى استهلها بقوله :

هل غير بابك للغريب مؤمل
أو عن جنابك للأمانى معدل
هى همة بعثت إليك على النوى
عزما كما شحذ الحسام الصيقل

ثم يشير إلى كتابه الذى قدمه للسلطان فيقول :

وإليك من سير الزمان وأهله
عِبراً يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الألى
غبروا فتجمل منهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها
وثمود قبلهم وعاد الأول
والقائمون بملة الإسلام من
مصر وبربرهم إذا ما حصلوا (٥)

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر :

لم يؤلف ابن خلدون مؤلفه السابق الإشارة إليه إلا بعد أن نضجت معارفه ، واتسعت مداركه ، وزادت دائرة اطلاعه ، وارتقى تفكيره ، وأفاد من تجاربه ومشاهداته فى شئون الاجتماع الإنسانى ، خاصة وأنه قضى نحو ربع قرن فى غمار السياسة متقلبا فى خدْمة أمراء وسلاطين دول المغرب العربى ودولة المسلمين فى الأندلس يدرس أمورها ويستقصى سيرها وكذا أخبارها ، ويتغلغل بين القبائل يتأمل طبائعها وأحوالها وتقاليدها .

ويمكن تقسيم الكتاب إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : ويعرف بالمقدمة ، وهو الذى نال به شهرته العظيمة التى طارت فى آفاق الشرق والغرب ، وهو بحث هام فى الاجتماع الإنسانى وقوانينه ، وقد اشتهر فيما بعد باسم (مقدمة ابن خلدون) ويشمل خطبة الكتاب وتمهيدا صغيرا أسماه (المقدمة فى فضل علم التاريخ) ثم الكتاب الأول ويشتمل على ستة أبواب كبيرة فى شئون العمران ، ويشغل نحو ستمائة وخمسين صفحة تناول فيها العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض ، ثم العمران البدوى ، كما ذكر القبائل والأمم الوحشية ، ثم الدول والخلافة والملك وكذلك المراتب السلطانية ، ثم العمران الحضرى والبلدان والأمصار ، ثم الصنائع والمعاش ، والكسب ووجوهه .

القسم الثانى : وهو فى تاريخ العرب وغيرهم من الشعوب ، ويبدأ منذ أول الخليقة إلى القرن الثامن الهجرى .

القسم الثالث : ويتناول فيه تاريخ البربر ، ثم ينتهى هذا المؤلف بكتاب مستقل أودعه ابن خلدون تاريخ حياته وسماه (رحلة ابن خلدون فى المغرب والمشرق)(٦) .

هجرته إلى مصر دون عودة إلى بلاد المغرب :

رغم أن ابن خلدون عاف السياسة ، وكان قد اكتسب الحظوة لدى حاكم قسنطينة أبى العباس أحمد ، لكنه لم يأمن غدر السلطان وسعاية الساعين إلى السلطة والمتزاحمين عليها فاعتزم مغادرة تونس وكل بلاد المغرب بلا عودة ، واتخذ

---

(٥) مجلة الفيصل السعودية ، العدد (٢٩) ، ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٩ م ، مقال تحت عنوان ابن خلدون فى الفكر المعاصر ، بقلم الدكتور حسين فوزى النجار .

(٦) كتاب ابن خلدون العالم المفكر والمربى الفيلسوف ، تأليف الأستاذ أبوالفتوح محمد التوانسى ، صدر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ - سنة ١٩٦١ م .

من رغبته فى الحج عذراً للرحيل فتضرع إلى السلطان أن يخلى سبيله ويأذن له فى قضاء الفريضة وما زال به حتى أذن له .

فرحل عن المغرب فى منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ ـ أكتوبر سنة ١٣٨٢ م ، ولما وصل إلى مصر لم يكمل رحلة الحج ، وإن حج واعتمر بعد ذلك بسنوات ، وكانت شهرته قد سبقته إلى الديار المصرية ، وعليها فى كرسى الحكم السلطان الظاهر برقوق ، فأكرم وفادته وحفه بالرعاية كما لقى من علماء مصر وأهلها أحسن استقبال وأروعه [٧] .

وصفه للقاهرة ومظاهر الحضارة فيها لدى وصوله إليها :

لقد بهرته القاهرة لدى وصوله إليها ونزوله بها فوصفها وصفا رائعا إذ يقول : « رأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وإيوان الإسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى جوه ، وتزهو الخوانق والمدارس آفاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه ، وقد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ، ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النَّهَل والعَلَلَ سيحُه ، ويجبى إليهم الثمرات والخيرات ثُجه ، ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم ، وما زلنا نُحدِّث عن هذا البلد ، وبُعْدَ مداه فى العمران واتساع الأحوال ، ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه ، سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبدالله المقَّرى مقدمه من الحج سنة أربعين وسبعمائة فقلت له : كيف هذه القاهرة ؟ فقال : من لم يرها لم يعرف عِزَّ الإسلام .. وسألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : « كأنما انطلق أهله من الحساب ، يشير إلى كثرة أممه وأمنهم العواقب »[٨] .

تكليفه بالتدريس فى الجامع الأزهر :

وفى مصر كلف بأعمال التدريس فتصدر للإقراء فى الجامع الأزهر ؛ لأنه كان أكثر معاهد العلم فى القاهرة استعدادا لمثل الدراسات العالية التى يحملها ابن خلدون ، فدرس للطلبة علم الحديث والفقه المالكى ، كما شرح نظرياته الاجتماعية التى ضمنها مقدمته ، وقد كانت تلك الدروس خير إعلان عن غزير علمه وواسع اطلاعه وعظيم قدرته على الإبانة عن أفكاره والتأثير على سامعيه ، فقد كان إلى جانب تمكنه فى البحوث العلمية محدثا بارعا ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وبلاغة عباراته .

ولزيادة رعاية السلطان برقوق لابن خلدون عينه أيضا فى منصب تدريس الفقه المالكى بمدرسة القمحية التى سبق أن أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى لدراسة الفقه المالكى [٩] .

(٧) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .
(٨) كتاب (عبدالرحمن ابن خلدون) المرجع السابق .
(٩) كتاب (عبدالرحمن ابن خلدون) المرجع السابق .

تعيينه فى منصب قاضى قضاة المالكية فى مصر حتى تاريخ وفاته :

حدث أن غضب السلطان على قاضى قضاة المالكية فعزله وعين ابن خلدون مكانه ، وبهذا التعيين ارتقى إلى أرق مناصب الدولة فى مصر فباشره بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع عن نفسه رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان ، ولم يدخر وسعا فى تحقيق العدالة فى أمثل وجوهها وأدق معانيها ، كما حرص على المساواة بين جميع الناس أمام القانون والابتعاد عن طرائق الحيل والالتواء وأمور المحاباة ، فكثر الشغب عليه من كل جانب مما اضطره إلى أن يطلب من السلطان إعفاءه فوافقه على ذلك بعد عام من توليه هذا المنصب .

وبعد تركه لولاية القضاء قام بتدريس الفقه المالكى بالمدرسة الظاهرية التى أنشأها السلطان الظاهر برقوق فى حي بين القصرين ، كما درَّس الموطأ للإمام مالك فى مدرسة (صرغتمس) وكانت تقع قريبا من القلعة شمال جامع ابن طولون ، وتهيأت له الفرصة لأداء فريضة الحج واعتمر كما زار المسجد الأقصى بيت المقدس ثم ولى القضاء مرة ثانية ثم عزل عنه بسبب شدة أحكامه وجفوته للوساطة ، ثم وليه بعد ذلك مرات عديدة يولى فيعزل حتى وليه للمرة السادسة قبل وفاته بأسابيع قليلة ، ففى السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٠٨ هجرية ـ ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م توفى ذلك العلامة الكبير عن ثمان وسبعين سنة بعد حياة حافلة بالأحداث بدأت فى تونس وانتهت فى القاهرة(١٠) .

علماء الغرب وموقفهم من التراث الفكرى لابن خلدون :

عرف الفكر الغربى ابن خلدون فى وقت متأخر ، ولم يكشف عن تلك العبقرية إلا فى منتصف القرن التاسع عشر عندما نشرت المقدمة بنصها العربى سنة ١٨٥٨ م ، ولم تمض بضعة أعوام أخر حتى نشر العلامة (دى سلان) ترجمة كاملة للمقدمة بالفرنسية ، رغم أن الغرب فى وقت متقدم عرف كثيرا من المؤرخين والفلاسفة العرب كالمسعودى وأبى الفدا وابن رشد والفارابى وابن سينا وابن خلكان ، ويرجع سبب المعرفة المتأخرة لابن خلدون إلى أن أوروبا لم يكن قد استقام لها منهج علمى لعلوم الإنسان والعلوم الاجتماعية إلا أخيرا .

فلما استقام لها النظر والقاعدة بدأ الفكر الأوروبى يكشف عن تلك العبقرية الفذة التى سبقت جيلها بقرون ، وأدركت أن مفكرا عربيا قد سبق مفكريها فى هذا الميدان فنوهوا به واعترفوا له **بفضل السبق** .

فهذا عالم الاجتماع الكبير (لودفيج جميلوفتش) يقرر فى دراسته لابن خلدون أنه سبق أوجست كونت بل سبق **فيكو** الذى وضعه

---

(١٠) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .

الإيطاليون على رأس علماء الاجتماع ومن كلامه فى ذلك يقول (جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وخرج من دراساته بآراء عميقة ، وكان ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع) .

أما (**رينيه مونييه**) فقد نشر بحثا فى مجلة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى عام ١٩١٢ قدم فيه ابن خلدون بوصفه **فيلسوفا واجتماعيا واقتصاديا** فى آن واحد .

ويـــــدى المستشرق الألمانى (فون فيسنديك) إعجابه الفائق بملاحظات ابن خلدون عن تأثير المناخ وطبيعة الحياة فى تكوين أخلاق البشر وأبدانهم ، كما أبرز أيضا أثر المال فى دعم قوة الدولة فى داخلها وبين كيف يؤدى سوء الإدارة المالية والإسراف إلى انحلال الدولة وانهيارها حين تنضب مواردها وتضعف قوتها العسكرية وتعجز الموارد عن الوفاء بحاجة السكان ومطالبهم فى الوقت الذى تتزايد فيه أعداد السكان وتتزايد مطالبهم .

كما سبق ابن خلدون ما ذهب إليه مؤرخو الحضارة المحدثين إلى تحليل دورة التاريخ حين قرر أن المجتمع يبدأ من البداوة ثم التحضر ثم الانحلال وأن ذلك عملية أبدية دائمة مستمرة ، وهو ما ذهب إليه « شيلنجر » الألمانى و « توينبى » الإنجليزى فى نشأة الحضارة وانحلالها .

ثم قال ذلك المستشرق الألمانى : (**إنّ مؤرخ الحضارة المسلم العظيم** يقف فريدا فى المشرق ، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسخ ، وأنا لنرى أن ما فكر فيه أو دعا إليه هو ما يدور فى أوروبا القرن التاسع عشر تماما ، وقد بقيت اتجاهات هذا المفكر والسياسى الإفريقى تدوى فى معترك الأحداث مهما كان مرماها دويا يتردد صداه فى عالم الفكر المعاصر) .

وفى فلسفة التاريخ يقول شيخ مؤرخى العصر الإنجليزى (أرنولد توينبى) فى المجلد الثالث من موسوعته (دراسة التاريخ) عن نمو الحضارات : (إن ابن خلدون عبقرية عربية أتيح لها فى فترة هدوء لا تجاوز أربعة أعوام أن **تبدع (مآثر الحياة**) على قدر من البيان الرائع لا يقل إبداعا عما قام به « **ثيوديد ، وميكيافيلى وكلارندن** » عمقا وسعة أفق فضلا عن القدرة العقلية الخالصة بل إن ابن خلدون ليبدو أكثر تألقا ولمعانا إذا ما قيس بكثافة الظلام الذى خيم فى عصره .. وهو فى مقدمة تاريخه العام قد استوحى وصاغ فلسفة للتاريخ هى دون ريب **أعظم عمـل استوحـاه وأبدعه عقل من العقول** فى أى عصر وفى أى مكان) .

أما الكاتب والفيلسوف الأسبانى (خوسيه أورتيجا) فيقول : (**إن مقدمة ابن خلدون هى** من حيث الزمن أول كتاب يؤلف فى فلسفة التاريخ ، وما كان لغيره أن يحتل مكانته) .

ثم يصف ابن خلدون بقوله : (كان عبقرية باهرة تشع بالنور ، وإن نور عقله ليهتك الستر عن كل غموض ، وإنه ليغوص إلى الأعماق ، وكأن ما كتبه قد خطته يد مهندس صَنَّاع ، ثم إن كتابه

فى فلسفة التاريخ هو البداية لعلم الاجتماع فى نفس الوقت) [11] .

ويقول العلامة (روبرت فلنت) إن من يقرأ المقدمة بإخلاص ونزاهة لا يستطيع إلا أن يعترف أنَّ ابن خلدون يستحق لقب « **مؤسس التاريخ وفلسفته** » .. وإن الأدب العربى يتحلى باسم من ألمع الأسماء ، **فلا العالم الكلاسيكى** فى القرون القديمة **ولا العالم المسيحى** فى القرون الوسطى يستطيعان أن يقدما إسما يُضاهى فى لمعانه اسم ابن خلدون [12] .

وأخيرا نختم مقالنا عن تلك العبقرية العظيمة ما ذكره الأستاذ جمال الدين الرمادى بأن ابن خلدون يعد بحق أول من اكتشف معنى كون التاريخ عِلْما ما دامت غايته جمع الحقائق وتنظيمها وتنسيقها لاكتشاف أسبابها ونتائجها [13] .

وبما قاله الدكتور مراد هوفمان السفير الألمانى المسلم أنه (يحسن بالذين لا يزالون يعتقدون **أن الإسلام** بطبيعته يعوق التقدم أن يقرأوا المقدمة أو الكتاب التمهيدى للمؤلف الشامخ فى تاريخ العالم ابن خلدون كتاب العبر المكتوب فى عام ١٣٧٧ م ، وإذا لم يكن ابن خلدون كبير القضاة فى القاهرة قد كتب أكثر من هذه المقدمة الواقعة فى (٦٥٠ صفحة) لكفاه ذلك لأن يخلد فى تاريخ الفكر ، وكان هو وليس كارل ماركس) الذى كتب أن الربح هو القيمة الناتجة عن العمل الإنسانى ، وأنه سبق (فردريك ، هيجل) فى ملاحظة أن للدول أعمالا طبيعية كما للأشخاص ، وأنه قبل (كارل فون كلا وزفتر) بقرون علمنا أنه لا وثوق فى الحرب بالظفر ، وهنا ينبغى لنا ألا ننسى أن ابن خلدون لم يكن عبقريا فذا ولا ضالا ولكنه **كان نتاجا للثقافة الإسلامية فى أروع صورها** [14] .

---

(١١) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ٢٩ ، المرجع السابق .
(١٢) كتاب ابن خلدون العالم المفكر والمربى الفيلسوف ، المرجع السابق .
(١٣) كتاب سير وبحوث إسلامية ، تأليف الأستاذ جمال الدين الرمادى ، طبعة ١٩٦٥/١١/١٩ .
(١٤) كتاب يوميات ألمانى مسلم ، تأليف الدكتور مراد ويلفريد هوفمان ، ترجمة الدكتور عباس رشدى العمارى .

المخطوطات العربية في أوزبكستان

للأستاذ/ خالد محمد عزب

اهتم المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز منذ القرن الماضى بتراثهم المخطوط ، وتضم هذه البلاد معاهد تخصصت فى حفظ وترميم وفهرسة ونشر المخطوطات . وفى أوزبكستان[1] مراكز عديدة تضم مخطوطات ووثائق تاريخية وكتباً نفيسة كمعهد حميد سليمانوف ، والإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر ، والأرشيف الدولى المركزى فى « طشقند » ، والجامعة الدولية بسمرقند ، ومكتبات ومتاحف بخارى وفرغانة واندجان وقوقان ، ويحتل معهد البيرونى للدراسات الشرقية بطشقند مكان الصدارة بين هذه المراكز ؛ لأنه يحتفظ بمخطوطات نادرة يقوم على إجراء البحوث بها .

تأسس معهد البيرونى سنة ١٩٣٤م ، وكان يعد مكتبة عامة تحمل اسم الشاعر الأوزبكى عليشير نوائى ، ثم تغير اسمه سنة ١٩٥٠م إلى معهد دراسات المخطوطات الشرقية ، وكلف المعهد بالبحوث الاجتماعية والسياسية والثقافية المعاصرة فى البلدان الشرقية فسمى معهد الاستشراق ثم أخيراً وفى سنة ١٩٥٧م سمى معهد أبى الريحان البيرونى . وتقديراً للجهود التى بذلها علماء المعهد منح جائزة ابن سينا الدولية .

وتعتبر خزانة مخطوطات معهد البيرونى من أكبر الخزائن فى العالم ففيها نحو ٤٠,٠٠٠ مخطوطة منها ١٨,٠٠٠ كتبت باللغات الشرقية . وعشرات الألوف من الوثائق المختلفة ، وتحمل هذه المخطوطات تاريخ بلدان آسيا الوسطى والدول المجاورة لها وتعد من المصادر المهمة لدراسة الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية

(١) أوزبكستان : إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التى استقلت حديثاً عن روسيا ، وعاصمتها طشقند وتضم العديد من المدن الإسلامية الهامة كسمرقند وخيوة واوركنج ، وهى تقع إلى الشرق من بلاد القوقاز وشمال أفغانستان .

والثقافية فى هذه الدول ، بالإضافة إلى تاريخها .

ومخطوطات معهد البيرونى يعود بعضها إلى ألف سنة خلت ، وهى تتميز بتنوع موضوعاتها التى تغطى مجالات العلوم الإسلامية والعربية والأدب والفلسفة والكيمياء والطب والجغرافية والموسيقى وغيرها ، وفيها نسخ من المصاحف والتفاسير ، كتبها خطاطون فى قرون مختلفة .

ويحتفظ المعهد بنسخة فريدة من كتاب « سر الأسرار فى تاريخ الكيمياء » لأبى بكر الرازى ، كما إن لديه مؤلفات الفارابى الملقب بالمعلم الثانى ككتاب « عيون المسائل » و« فصوص الحكم » و« رسالة فى تحصيل السعادة » وغيرها من المؤلفات .

ويبذل علماء المعهد جهودهم لدراسة هذه المخطوطات ونشرها حتى غدا المعهد مركزاً عالمياً للدراسات الشرقية ، وأولى المعهد ابن سينا عناية كبيرة ، فاهتم منذ الخمسينات بتحقيق تراثه الطبى ، وعهد إلى الباحثين بترجمة كتابه « القانون فى الطب » إلى الروسية والأوزبكية سنة ١٩٥٢م وطبعت الترجمتان سنة ١٩٦١م .

أما الاتجاه الرئيسى للمعهد فهو دراسة أبى الريحان البيرونى ومؤلفاته ، والتى تضم مقتنيات المعهد معظمها ، ومنها موسوعته العلمية « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » ونشر المعهد عدداً من مصنفاته بالروسية منها « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، « كتاب الهند » ، « تحرير نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » ، « الصيدلة فى الطب » ، « أفراد المقال فى أمر الظلال » .

وفى إطار اهتمام المعهد بالتراث الإسلامى المخطوط ، نشر فى الذكرى الألفية لميلاد البيرونى سنة ١٩٧٣م ، كتاب « سيرة البيرونى ومؤلفاته » للبروفيسير (باويل بلغاكوف) . وتخصص عدد من باحثى المعهد فى تراث البيرونى ، وهم : عبيدالله كريبوف ، وعبدالفتاح رسولوف ، وأشرف أحمدوف .

وبمناسبة احتفال العالم بمرور ألف ومائتى عام على ميلاد الخوارزمى طبع المعهد رسائل لهذا العالم الكبير أهمها : « فى الجبر والمقابلة » « الزيج » « تقويم البلدان » ، « منتخب مؤلفات الخوارزمى » وذلك باللغة الأوزبكية . وقام الدكتور أشرف أحمدوف بمناسبة الذكرى الستمائة لولادة (ألوغ بك) ، حقق مخطوطته « زيج جديدى كوركانى » وترجم هذا التحقيق من الفارسية إلى الأوزبكية والروسية مع الشروح والتعليقات .

وبالإضافة إلى ذلك فقد نشر المعهد عدداً كبيراً من المطبوعات فى مجال تاريخ بلدان آسيا الوسطى والدول المجاورة لها وفلسفتها وآدابها .

ويعمل المعهد على تزويد خزائنه يوماً بعد يوم بالجديد من المخطوطات ، فحصل فى السنوات الأخيرة على « كتاب السندباد » ونسخته مكتوبة فى القرن ٧هـ/١٣م ، وتاريخ (أبى الخيرفانى) لـ (مسعودبن عثمان كوهستانى) ، و« قلندر نامة » لأبى بكر قلندر ، ونسخة هذا الكتاب هى النسخة الوحيدة فى العالم وحصل المعهد على نسخة من ديوان على شيرنوائى « نولدر النهاية »

كتبها فى حياة الشاعر خطاط عصره عبد الجميل .

والجدير بالذكر أن بعضا من مخطوطات المعهد مزينة بالزخارف والنقوش والخطوط والرسوم والصور الجميلة والتى لها أهمية بالغة فى دراسة تاريخ صناعة الخط والتصاوير .

ويهتم الباحثون فى المعهد بتجهيز فهارس هذه المخطوطات ونشرها ، وقد أصدروا فيما بين سنتى ١٩٥٢ و ١٩٨٧ م أحد عشر مجلداً من الفهارس باللغة الروسية بعنوان « مجموعة المخطوطات الشرقية لأكاديمية العلوم الأوزبكية » وتضم هذه المجموعة (٧٥٧٤) مخطوطا ، ولا يزال عملهم قائماً ويعمل الباحثون حالياً بتجهيز فهرس للمخطوطات بحسب الموضوعات ، وأكملوا ثلاثة مجلدات من فهرس مخطوطات التاريخ ، والطب ، والعلوم الطبيعية .

ولما كان الباحثون العرب يفتقدون معلومات وافية عن مخطوطات معهد البيرونى ، فقد أصدر مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث بالاشتراك مع معهد البيرونى فهرساً لبعض هذه المخطوطات عنوان هذا الفهرس « المنتقى من مخطوطات معهد البيرونى للدراسات الشرقية بطشقند » وتم التركيز على المخطوطات المكتوبة باللغة العربية حيث يضم المعهد (٥) آلاف مخطوطة عربية ، وقام بإعداد هذا الفهرس كل من : الدكتور عبد الرحمن فرفور ، والدكتور محمد مطيع الحافظ .

ومن هذه المخطوطات :

- إنشاء الدوائر (فلك) لابن عربى محمد بن على ، ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م نسخ هذا المخطوط سنة ٩١٦ هـ .
- تاريخ حكماء الإسلام (تاريخ) تأليف ظهير الدين البيهقى ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ، ونسخ هذا المخطوط سنة ٦٦٤ هـ .
- تذكرة الكحالين (طب) ، تأليف على بن على بن عيسى ، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م ، نسخ هذا المخطوط سنة ١١٢٦ هـ .
- جامع الأصول لأحاديث الرسول (حديث) لابن الأثير مبارك بن محمد بن محمد ، ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م .
- حاشية على شرح تلخيص مفتاح العلوم (بلاغة) للسمرقندى أبو القاسم بن أبى بكر الليثى . ت بعد ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م . نسخ هذا المخطوط سنة ٩٨٩ هـ .
- الحاوى لجميع المعانى البسيط والوسيط (تفسير) للواحدى ، على بن أحمد بن محمد ، ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م . نسخ هذا المخطوط سنة ٥٣٦ هـ .
- رسالة فى الجبر والمقابلة ، أو التجنيس فى الحساب للسجاوندى ، محمد بن محمد بن عبد الرشيد ، ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م .
- الصراح فى ترجمة الصحاح (لغة) للقوشى ، محمد بن عمر بن خالد الجمالى ، ت بعد ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .
- طبقات الشافعية ، (تراجم) للشيرازى ، إبراهيم بن على بن يوسف . ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م .
- عنوان الشرف الوافى فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى (معارف عامة) لابن المقرىء ، إسماعيل بن أبى بكر بن عبد الله ت ٨٣٧ هـ .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السيد / صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد .. فالمرجو التكرم ببيان حكم إعطاء (القريب) شيئاً من الصدقة أو زكاة المال، هل هذا يجوز ؟ أم لا يجوز بدعوى أن ما يأخذ يكون حقاً له - لا صدقة ولا زكاة - ؟ فالبعض يستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ **[الاسراء/ ٢٦]**

رجاء التفضل بتوضيح هذا (الحق) ومدى صلته بالزكاة أو الصدقة . مع خالص التقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعـد ..

فالصدقة نافلة يجوز إعطاؤها للغنى والفقير ففى الحديث الشريف : «أن أحدهم قد تصدق بليل على غنى فأصبح الناس يتحدثون ... تصدق الليلة على غنى .. وفيه أن الله قد قبلها» .

ويمكن أيضاً أن تخرج للأقارب جميعاً حتى على من تجب عليه نفقتهم ففى الحديث : « أن أعرابيا جامع زوجته فى نهار رمضان فوجبت عليه الكفارة ولما بيّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقره بقوله : والله ما بيّن (لأبتيها) أهل بيت أفقر منا قال : تصدق بها على أهلك » .

أما الزكاة فلا تصرف إلّا لمستحقيها المذكورين فى الآية (٦٠) من سورة ﴿التوبة﴾ فلا تصرف لمن وجبت على المزكّى نفقتُهم كالزوجة والفروع (الأبناء) والأصول (الأب والأم والجد والجدة) ويجوز إخراجها إلى الأخوة، وأبناء العمومة، والزوجة تخرج لزوجها وهكذا لأن هؤلاء ليسوا ممن تجب على المزكى النفقة عليهم وإخراجها لأولئك الأقارب أكثر ثواباً لما فيه من صلة الرحم

أما الآية فحق ذى القربى أعم من الصدقات والزكوات فهو يشمل أيضاً خدمتهم وصلة رحمهم والقيام بشئونهم . والله أعلم

السيد / صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فنحن أسرة مسلمة نقيم فى كندا وقد حصلنا على الجنسية الكندية منذ عشرين عاماً تقريباً . وفى ١٩٩٦/٧/٤م توفى زوجى تاركاً زوجة وابنين، وبنت من زوجة أخرى وترك تركة . وعليه ديون أكثر مما تركه للورثة . ولما كان القانون الكندى يعطى كل ماتركه المتوفى

للزوجة فقط دون أولاده فإننا بصفتنا مسلمين نريد توزيع الميراث حسب الشريعة الاسلامية من أجل ذلك أرجو التكرم بإعطائى فتوى شرعية بتوزيع الميراث والديون حسب الشريعة الإسلامية حتى يمكننى تقديمها إلى الجهة المختصة بكندا . علماً بأن الديون لأحد البنوك وغيرها لأحد الأشخاص فى كندا .

ولفضيلتكم جزيل الشكر

تحريراً فى يوم ١٩٩٦/٩/٢٩م

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فنفيد بأن هناك حقوق متعلقة بتركة المتوفى منها : سداد ديونه أولاً ؛ أى الديون الثابتة للبنوك وللأشخاص تخرج أولاً من التركة . وحيث إن الديون قد استغرقت جميع تركته فلا ميراث للورثة ومادام هناك ديون باقية عليه فإن الديون توزع على ورثته كل حسب نصيبه فيكون على زوجته $\frac{1}{8}$ ثُمن الديون الباقية والباق على الابنين والبنت كل بحسب نصيبه . للذكر مثل حظ الانثيين . والله تعالى أعلم .

السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)

فقد ذكر واقف فى وقفته هذه العبارة :

- ثم بعد انتقاله يؤول نظر هذا الوقف واستحقاق غلته لأولاده، ثم لأولاد أولاده ونسلهم وحرثهم مهما تناسلوا وتوالدوا طبقة بعد طبقة، وبطنا بعد بطن، وجيلا بعد جيل ؛ وماله إلى الفقراء والمساكين والنظر فيه للأكبر فالأكبر من الموقوف عليهم من أهل الاستحقاق فى جميع الطبقات .

السؤال : هل ينحصر استحقاق الوقف على نسل الموقوف عليهم من الذكور فقط مهما

نزلوا . أم يدخل فى استحقاق غلته نسل البنات أيضاً مهما نزلن .

مع قبول وافر التحية والتقدير

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .. فنفيد بأنه تبيّن من الاطلاع عل النص الذى نقله السائل من حجة الوقف أن عبارات الواقف وردت مطلقة دون تخصيص بالنسبة للأولاد ؛ فمن ثم فإن لفظة الأولاد تعم الذكور والإناث . إذ أن القاعدة أن : شرط الواقف كشرط الشارع .

وبناءً عليه لا ينحصر استحقاق الوقف فى نسل الموقوف عليهم من الذكور فقط مهما نزلوا وإنما يتعداه إلى نسله من البنات أيضاً مهما نزلن .

هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ عبدالمجيد ح. ع.

توفيت كريمتى عن زوج، وأم، وأب، وبنت وتركت منقولاتها الزوجيـــة ، وكان وقت زواجها أعطاها والدها ذهبا هدية لها وكذلك أحضر زوجها لها شبكة ذهبية وتركت ملابسها الشخصيـة ولها مؤخـر صداق فمـــن يرث ومانصيبه ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الشبكة التى أعطاها زوجها لها جزء من المهر وأصبحت ملكاً خالصاً لها بالدخول عليها ؛ وكذلك الذهب الذى أهداها والدها حال حياتها يعتبر هبة منه لها وبموتها أصبحت هذه الهبة ملكاً خالصاً لها وكذلك مؤخر الصداق حل لها بالموت وبناءً على ذلك فإن الذهب الذى وهبه والدها وكذلك الشبكة ومؤخر الصداق يُضاف إلى المنقولات ويعتبر كله ملكاً خالصاً للمتوفاة وأصبح تركة يقسم على ورثتها الشرعيين فيكون للزوج الربع فرضاً وللأم السُدس فرضاً وللأب السُدس فرضاً لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصِّبها والمسألة من اثنى عشر جزءًا وتعول إلى ثلاثة عشر جزءًا للزوج ثلاثة أجزاء وللأم جزآن وللأب جزآن وللبنت ستة أجزاء من كل ما تركته المتوفاة والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ح . ت . :

هل يجوز للرجل الذى يقوم بتغسيل الموتى من الذكور أخذ أجر على ذلك . وما الحكم ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أخذ أجر على تغسيل الميّت وتكون من تركة الميت . والله تعالى أعلم

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

فى ظلال الإسلام

للأستاذ الدكتور زكى مبارك

اعداد وتقديم : أ/عبد الفتاح حسين الزيات

المتتبع لذكر كلمة « العقل » فى القرآن الكريم ، يجد أنها تربو على الخمسين ، وهذا دليل على احتفاء القرآن الكريم بأهمية « العقل » وتأثيره على مجريات الحياة لدى الإنسان . ولقد فهم المسلمون الأوائل روح الإسلام منهجاً ورسالة ، ولم يجمدوا أمام نصوصه ، فأقبلوا على دراسة ما وصل إليهم من آثار العقول السابقة ، ونظروا فيها نظرة تفحص وتمحيص ، فما وافقهم أخذوا به ، وما خالف العقيدة ضربوا عنه . وبذلك أغنوا العلم والفلسفة بألوف المصنفات التى أثرت المكتبة الإسلامية ، واهتموا بالعلوم العقلية اهتماماً لم يعرف عن العالم القديم . الذى كان لا يسمح بوجود مثل هذه العلوم ، بل الجلد والتحريق عقوبة من يقدم على التأليف بنبوغ لأنه يدخل عندهم فى أعمال الهرطقة والزندقة . وليس معنى هذا أن العقل لم يحارب من بعض العلماء المسلمين ، ولكل حججه وأدلته ، ولكن الإسلام جاء بمفهوم جديد ، وهو الاستماع إلى الرأى والرأى الآخر ، فلا حجر على العقول مادامت تتعامل مع الواقع الذى لا يصادم الشريعة ولا يخرج عن الناموس الطبيعى لرسالة الإسلام ، قال الأستاذ الدكتور ـ رحمه الله :

(١)

ماذا صنع الإسلام فى إعزاز العقل والدعوة إلى طهارة الوجدان :

الإسلام يدعو إلى إعزاز العقل ، وهى ليست دعوة كلامية ، وإنما هى دعوة عملية ، فالإسلام هو الذى سن طرائق المنطق فى الجدل ، وعلم الناس كيف ينكرون ويعرفون ، وكيف يضلون ويهتدون ، هو الذى دعا الناس إلى درس أنفسهم ، وحبب إليهم السير فى الأرض ، والنظر فى طبائع الأشياء .

لقد اصطدم الإسلام باليهودية والنصرانية ، أفتدرون ما صنع بالتوراة والإنجيل ؟

أرفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة التى توهمكم أن الرسول كان يتودد إلى النصارى واليهود .

أرفعوا عن أعينكم تلك الغشاوة ، فإن الرسول انتصر فى زمن قليل ، ولم يبق أمامه إلا التشفى من النصارى واليهود ، إن كان الإسلام يسمح لأهله بمكايدة المنهزمين .

(وذلك مجال) .

انظروا فى القرآن ، أيها الناس ، فإن فعلتم فسترونه تحدث عن موسى وعيسى وعن التوارة والإنجيل بأساليب من الرفق لم يعرفها النصارى ولا اليهود .

إن موسى لم يثن عليه اليهود بمثل ما أثنى عليه القرآن ، وعيسى لم يثن عليه النصارى بمثل ما أثنى عليه القرآن . فما معنى ذلك ؟

أليس معناه أن الإسلام دين المنطق والعقل ؟

أليس معناه أن المعانى الباقية هى أول ما يحرص عليه القرآن ؟

كان يستطيع القرآن أن يسخر من الديانة اليهودية والديانة النصرانية ، ولكنه لم يفعل ، لأن القرآن لم يكن إلا نفحة سماوية تعز الحقائق وتنصر المرسلين .

(٢)

ثم انتقل الرسول إلى جوار الرفيق الأعلى ، وبقى المسلمون ينظرون بعيون الناس ، ويفقهون بقلوب الناس .

أتذكرون ما صنعوا ؟

لقد كانوا يملكون الغض من اليهودية والنصرانية ، ولكنهم لم يفعلوا ، لأن دينهم حبب إليهم كلمة الحق ، وأوصاهم بحب الأنبياء .

انظروا فى مؤلفات المسلمين لتروا كيف أثنوا على موسى وعيسى ، وكيف اقتبسوا من التوارة والإنجيل .

انظروا ثم احكموا .

إن رجال الدين من النصارى واليهود لا يذكرون الإسلام فى مؤلفاتهم بغير الملام .

أما المؤلفون من المسلمين فلا يذكرون موسى وعيسى بغير الإعزاز والإجلال .

أكان ذلك يقع لو كان الإسلام راض أهله على عقوق العقل ؟

(٣)

آمنت بالله !

إن الإسلام حين يوصى باحترام جميع الأنبياء والمرسلين إنما يشير إلى حقيقة أبدية هى التعاون

الإنسانى على تطهير القلوب من أدران الشرك والرياء .

الإسلام أكبر من أن يقول : إنه صنع كل شىء، فهو يعترف بأنه ليس إلا خطوة سديدة موفقة تؤيد ما جاهد فى سبيله كرام الأنبياء من حرب الشرك ونصرة التوحيد .

وقد فهم المسلمون روح الدعوة الإسلامية ، فأقبلوا على درس ما وصل إليهم من آثار العقول ، ثم انطلقوا فاختلفوا فيما بينهم اختلافاً شديداً ، أغنوا العلم والفلسفة بألوف من المصنفات ، ولا يعرف العالم القديم أمة أوغلت فى الفلسفة على نحو ما صنعت الأمة الإسلامية ، وظل علماؤها وباحثوها يذكرون بالخير ، وإن أطافوا بمعالم الشك وتنكروا لأصول اليقين .

حارب الإسلام كيف شئت ، وخاصم أهله كيف أردت ، ولكن ثق أنك مردود إليهم مادمت تحتكم إلى العقل !

(٤)

قد تقولون : ولكن تاريخ الإسلام لم يخل من أحداث حورب بها العقل .

نعم ، ولكن هل وعدكم القرآن بأن الناس سيأتلقون على الزمان ؟

إن القرآن نفسه دعا إلى احترام الخلاف حين قال :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (سورة البقرة) ٢٥١

وحين قال :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .

سورة هود

وتلك دعوة صريحة إلى احترام الخلاف ، وفيها النص على إعزاز العقل ، فلولا الخلاف ما تقدم الناس فى دنيا ولا دين .

(٥)

أما بعد : ففى ظلال الإسلام تصاولت المبادىء والآراء والعقول .

وفى ظلال الإسلام اختلف أهل الشرق والغرب ، فكانت النحل والشيع والأحزاب .

وفى ظلال الإسلام نهضت دعوات جريئة لو نبتت فى غير حماه لقوبلت بالسيف .

وفى ظلال الإسلام عاشت ديانات حمتها رعايته من الانقراض ....

فإن كان فى إخوانى من يخاف على عواقب ما درجت عليه من قسوة الجدل وعنف النضال ، فإنى أوجه إليهم هذا القول :

لا تخافوا على أيها الرفاق ، فإنى أعيش فى ظلال الإسلام !

زكى مبارك

طرائف ومواقف

للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

امرأة حديثة .. وامرأة قديمة

تزوج رجل بأخرى على زوجته الأولى ، وكان للزوجة الحديثة جارية ، وكذلك كان للأولى ، فكانت جارية الحديثة تمر على باب الأولى فتقول :

وما تستوى الرجلان : رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فمرت جارية الأولى على الحديثة فأنشدت :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

تسعون حجة

قال إدريس بن عبدالكريم المقرى ، لما بلغ التسعين من عمره :

أرى بصرى فى كل يوم وليلة
يكل وخطوى عن مرادهن يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجة
يغيرنه والدهر لا يتغير
لعمرى لئن أمسيت أمشى مقيدا
فكم كنت أمشى مطلق القيد أكثر

صدق

قيل لعبد الله بن عمر ، ـ رضى الله عنه ـ : إن (المختار) يزعم أنه يوحى إليه !

قال : صدق ؛ الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

حقيقة

قال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول :

إذا ثبتت الأصول فى القلوب نطقت الألسنة بالفروع ؛ والله يعلم إن قلبى لك شاكر ؛ ولسانى ذاكر ومحال أن يظهر الود المستقيم من الفؤاد السقيم .

لم يتفق ذلك لامرأة غيرها!

قيل : إن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبدالملك بن مروان حرمت على أحد عشر من الخلفاء من بنى أمية :

معاوية جدها ، ويزيد أبوها ، ومروان ابن زوجها ، والوليد وسليمان وهشام بنو عبدالملك أولاد زوجها ، والوليد بن يزيد ابن ابنها ، ويزيد ابن الوليد ابن زوجها وإبراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ، ويزيد بن عبدالملك ابنها ، ومعاوية بن يزيد ابن معاوية أخوها .

أنت من الأغنياء

قال جليس للحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ : أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء ؟ .

قال له : هل تغذيت اليوم ؟ .

قال : نعم .

قال : فهل عندك ما تتعشى به ؟ قال : نعم .

قال : فأنت إذاً من الأغنياء .

حقا

أخفض الصوت إن نطقت بليل
والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حيث يبدو
بقبيح يكون أو بجمال

لا أحل ما حرم الله

مر ابن سيرين بقوم ، فقام إليه رجل فقال : يا أبابكر إنا قد نلنا منك فحللنا ، فقال : إنى لا أحل لك ما حرم الله عليك ، فأما ما كان إلىّ فهو لك .

قد رُدّ إليك

مات ابن لسيدنا أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فقال أنس عند قبره :

اللهم عبدك ، وولد عبدك ، وقد رُدّ إليك فارأف به وأرحمه ، وجاف الأرض عن بدنه ، وافتح أبواب السماء لروحه ، وتقبله بقبول حسن ، ثم رجع فأكل وشرب وادَّهن وأصاب من أهله .

دعاء

اللهم اقض حوائجى من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجعل قرة عينى فى عبادتك ، وارزقنى غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود .

اللهم إنك تعلم ما يصلحنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حفيا .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد يوسف موسى

بين دروس الفلسفة والتشريع الإسلامي

- ٢ -

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

حين انتقل الدكتور موسى إلى دراسة الفقه الإسلامى بكلية الحقوق تاركا ما ألفه من دراسة الفلسفة بكلية أصول الدين ، لم ينتقل إلى شيء غريب عنه ، بل كأنه انتقل إلى بلدة كبيرة يعرف شوارعها ومنازلها وميادينها من قبل ، وله فيها مسكنه المطمئن ، ومكانه المريح ، فبدأ نشاطه العلمى بدءًا حميدا ، وأظهر من المؤلفات الممتازة فى حقله الجديد ماجعله زميلا كُفْئا لأمثال الأساتذة الكبار: عبدالوهاب خلاف ، ومحمد أبى زهرة وعلى الخفيف ممن قضوْا فى دراسة الفقه الإسلامى بكلية الحقوق عُمرًا طويلا ، وصارت مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ذات ابتكار حديث إذا قُورنت بمؤلفات سواه ، لأنّه حرص على التجديد المتزن العاقل ، الذّى ينفخ به البصر الثاقب السديد ، ولعلّ الأستاذ أحمد حسن الزيات قد عنىَ ذلك حين أشار إلى انتقاله من الأزهر إلى كليَّة الحقوق فقال تحت عنوان : (ثروة علمية من ثروات الأزهر تنتقل إلى جامعة فؤاد)[1] .

« قرر مجلس جامعة فؤاد الأول بجلسة ٣٠ يونيو سنة ١٩٥١ تعيين الأستاذ الدكتور محمد يوسف

(١) الرسالة : العدد ٩٤١ ـ ١٩٥١ .

موسى أحد علماء الأزهر وخريج جامعة باريس أستاذًا مساعدًا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، وكان الأزهر أولى بهذه الثمرات الناضجة . التى تفتحتْ فى جوه ، وعاشتْ بروحه ، وتعمقتْ فى ثقافته ، ثم أخذتْ بنصيبٍ مَوْفُور من العلم الحديث بِلُغَتِهِ وفى موطنه ، فاكتملَتْ لها الأداةُ لتجديد البالى ، وإصلاح الفاسد .

وقد بدأت طلائع هذه الثروة فيما كتبه الدكتور عن الفقه الإسلامى من بحوثٍ ذات أصالة فى مؤلفات مستقلة ذات هدف سديد ، ومن أشهرها كتاباه: (الفقه الإسلامى ـ مدخلٌ لدراسة ونظام المعاملات فيه) و(الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى) وهذا غير بحوثه الأكاديمية فى المجلات المتخصصة فى الشريعة والقانون ، وسألم ببعضها فى هذا المجال .

على أنّ الذى يقرأ مقدمات هذه البحوث يلمسُ ما يشبه الثورة على أوضاع يراها المؤلّف فى حاجة إلى تصحيح ، والغريب أنك فى مجلس المؤلف تراهُ عذب الحديث ، هادىء النفس ، تستمع منه الرأى المعارض فى كل تؤدة وأناة، وتظنُّ أن هذا مسلكه فى مؤلفاته ، ولكنّك تقرأ دعوته للنهوض الفقهى ، فترى هذا السكون قد تبدّد ولاحيلة له فى هذا ، لأنّ متحدث المجلس يعلمُ أنه يُسامِر ويتجاذب أطراف الحديث ، ولا يُقدر لتوجيهه من الذيوع والانتشار مايدعوه إلى الشدّة ، ولكنّ المؤلف يخاطب آلاف القراء ، وقد يرجو النفع من مئات يُعْديهم تحمسه الشديد إلى الحق الذى يعنيه ، فيواصل الطرق الملح ، وقد تستولى عليه فكرةٌ فيظل يرددها أكثر من مرة ، وماذلك من خواء عقلى ، أو جدب فكرى ، ولكنّه التأكيد القوى لأمور يراها صحيحة لاشك فى نفعهما ، ويرى الآخرين بمنأى عنها ، ويحسبون أنهم قد أتوا حظا من اليقظة والانتباه .

لك أن تقرأ ماكتب الباحث الغيور عن (طريق الإفادة من الفقه الاسلامى) فإنّك تجده مبدئيًا يجهر بقوله : « يجب أن نكف عن ترداد صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، من غير أن نتقدم بأى عمل يثبت فعلاً هذه الصلاحية ، ويجليها للناس ، علينا أن نكفّ عن هذا الكلام ونبدأ فى الخطوات اللازمة إلى تحقيقه ولنْ يكون ذلك ـ أوّلا ـ إلا بنشر المؤلفات الفقهية العميقة التى كتبها الأئمة قبل أن يقفل باب الاجتهاد ، وأن يكون العمل شاملاً لجميع المذاهب الفقهية المعتبرة ، عند ذوى الإنصاف ، فان دراسة هذه المذاهب الأصيلة فى كتبها الأولى ذات نفع محتم ، ثم علينا ـ ثانيًا ـ أن نغيّر منهج الدراسة فى كليات الشريعة ، لأنّها دراسةٌ تعتمد على كتاب واحد فى مذهب واحد ، ونحن نريد دراسة مقارنة ، دراسة تقارن فيها المذاهب الفقهية الإسلامية بعضها مع بعض ، ثم تقارن كلها باعتبارها وحدة مع القانون الحديث ، وفضل هذه الدراسة المقارنة لاينكر ، لأنها تميز صحيحنا الصريح من سواه ، وعلينا ـ ثالثا ـ أن نختار بعض الأساتذة بكليات الشريعة ليتخصصوا فى دراسة المعاملات المالية فى الأسواق والبنوك والمتاجر ، وتطبيق مايردد من حسابات هذه المرافق على ماسنّته الشريعة ، كما أن دراسة علم (الاقتصاد السياسى) واجبةٌ فى هذا النطاق على عالم الشريعة إذ يرى مدى انطباق أسواق الحبوب والمتاجر والمحاصيل على ما هو مقررٌ فى الفقه ، ثم يَكْتُبُ ما يعن له مؤيدا بالدليل ، إذا قمنا بذلك كله فاننا نجد السبيل ممهدا لجعل الشريعة الإسلامية قانون الناس لدى جميع المسلمين ، دون أن نغفل عن تقنين مواد

الفقه حسب الاصطلاح المعاصر ، حتى لايضل الباحث فى أداء متضارب ومتناقض ونخرج بذلك بالفقه الإسلامى إلى وضح النهار .

وهذا الكلام الذى سجله الدكتور لم يرسله عبثا فى الهواء ، فقد بدأ بتحقيقه حين ألف كتابه الرائع (الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى) فى ٥٢٤ صفحة ، وقد قال فى مقدمته : « إذا كان لكل قانونٍ سماوى أو وضعى طبيعته وسماته وخصائصه التى يتميز بها عن غيره من القوانين ، فان للفقه الإسلامى من هذا كل مايجعله بحق ضربا فريداً فى التشريعات والقوانين التى عرفها العالم الآن ، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها أو المقاصد والغايات التى استهدفها، والأحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور » والكتاب فى ثلاثة أقسام ، أولها مدخلٌ لدراسة الفقه وفلسفته ، وثانيها فى الأموال ، تعريفا وتقسيما مع إيضاح حقوق المنفعة والارتفاق والأسباب الناقلة للملكية ، وثالثها فى نظرية العقد وتكوينه وشروطه ، وقد لاقى الكتاب تقريظاً كثيراً من المنصفين ذوى الاختصاص ، وأذكر أن استاذنا العلامة الشيخ محمد على النجار خصه بنقد جوهرى فى مقالين متتابعين بمجلة الأزهر . بدأهما بالثناء الجم على صنيع الأستاذ المؤلف حين قال[٢] : « هذا كتاب فى الفقه وضع على نمط جديد ، وهو تذليل سبل الفقه ، وجمع أطرافه ومباحثه ، وتقريبه من لغة القانون (وهذا ما دعا إليه المؤلف من قبل فى كتاباته التوجيهية) وقد استتبع ذلك ذكر آراء الفقهاء ، ووجهة أنظاوهم واختيار أدناها إلى مصالح الناس ، مع ذكر رأى القانون بجانب الفقه ، فكان فى هذا دراسة ممتعة مفيدة وكان هذا منهجا مفيدا لما يسمونه (الفقه المقارن) .

ثم تعرض الأستاذ إلى مناقشة أحكام رواها الأستاذ المؤلف عن الصحابة من أمثال : أبى بكر وعمرو وعلى ، واستنبط منها ما رآه الأستاذ مجالا للنظر ، وهذا هو النقد الحقيقى ، الذى يبين وجهات نظر مختلفة ، ومأأتاه من اختلاف النظرة المحافظة عن النظرة المجددة ، ولكل وجهة هو موليها ، ولابد أن تحتدم الآراء وتصطك حتى ينجلى النقاش عن حكم بصير ، ولم يضق المؤلف ذرعا بناقده ، بل أوسعه شكرا وتقديرا ، وقال فى الرد عليه[٣] (إن نقده يدل على ماعرف به السيد الأستاذ من قراءة واعية عميقة ، وعلم أصيل ، وخلق كريم وتثبت ودراية بما يقول ، كما يدل ذلك على نزعته المحافظة هذه النزعة التى قد تذهب أحيانا إلى تقديس كل ماأُثر عن الماضين ، والزراية والتعصب على من يوصفون بالمجددين) .

ثم انتقل المنقود إلى تفرقة صريحة بين الدارس للفقه ، والفقيه الحق ، فالدارس للفقه هو من قَرَأ الكتب وعلم ما بها ، أما الفقيه الحق فهو ذو رسالة تقتضيه فهما عميقا للكتاب والسنة المقدسين ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية ، كما قررها علماء أصول الفقه ، ومعرفته بعلل هذه

---

(٢) مجلة الأزهر : شوال ١٣٧٢هـ ص١٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق : صفر ١٣٧٣هـ ـ صـ٢٥٥ .

الأحكام ومسالكهما ، وقدرته على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة . ووقوفا على الأعراف فى البلاد الإسلامية المختلفة الى غير ذلك .

والكتاب جديد فى منحاه حقا ، لأنه تطبيق لدعوة جادة كررها الأستاذ كثيرا ، هذه الدعوة هى الخروج عن النظام المألوف فى تدريس الفقه بالكليات الإسلامية ، إذ يكون مقرر السنة الواحدة مشتملا على عدة أبواب لاتجد الإشباع العلمى الدقيق نظرا لقصر العام الدراسى ، فيخرج طلاب الكليات بمحصول أشبه بمحصول تلاميذ المعاهد الدينية الثانوية ، والأَوْلَى فى رأى الأستاذ محمد يوسف موسى أن تختار الكلية موضوعا واحدا للسنة الدراسية يشبعه الأستاذ تحليلا وتشريحا واستدلالا لطلبته ، ويؤلف فيه كتابا قائما برأسه ، وفى العام الثانى يختار موضوعا آخر سائرا على منهج التحليل والتشريح والاستدلال ، وهكذا حتى تكتمل دراسة الفقه ممتدة فى حيز علمى يتيح النقاش والاستدلال والاقناع ، وتتكون من مجموعة هذه الدروس موسوعة فقهية تشمل جميع الأبواب ، وقد قامت على تأليفها هيئة علمية لا أستاذ واحد ! وتكون ترقية المدرسين والأساتذة المساعدين وفق مايتضح من جهودهم فى هذا النطاق ،وقد جاء كتاب « الأموال ونظرية العقد » تطبيقاً نموذجياً لما رآه الأستاذ ، ولو امتد الأجل به إلى الآن لرأى أن كتبا فقهية سلكت نهجه المختار ، فظهرت مؤلفات مستقلة فى أبواب مثل : الشفعة والربا والحدود والإجارة والرهن والوصية والمزارعة ، وغيرها ، وبمجموعهما يكون التأليف الفقهى قد انتقل من حال إلى حال ، وليس المهم فى رأيى طريقة التأليف بل أهم منها أن يكون المؤلف من طراز راق ، يعتمد على سعة الأفق ، والبحث المقارن السديد .

ومع دعوة الأستاذ إلى الوثوب السريع فى مجال التجديد الفقهى ، فقد حذر كل التحذير من نفر من الشباب المتعجل لم يدرسوا الفقه فى مظانه الأصيلة ، ولم يتسلحوا للتأليف بالاطلاع والفهم والاستنباط ودراسة علم الأصول وعلم الخلاف فى كتب التراث ثم هم يتأثرون بقراءات صحفية ترمى علماء اليوم بالجمود على ماقال الأقدمون فيقدمون على التأليف خطفًا خطفًا ، وفيهم من يقرأ النص دون أن يدرك سياقه ، ومناسبته ، ومايحمل من مطاو دفينة فيفهم الفهم الطائش ويضم الفهم إلى الفهم ، ويخرج كتابا ليس من العلم فى شىء .

وقد يتورط فى تحبيذ آراء منكرة تجد صداها المستحسن لدى قوم لايحبون أن تسود شريعة الله فينعتونه بالمجدد المصلح !! ويعتقد تبعا لذلك أنه صار كما يزعمون !!

حذر الأستاذ من هذا النصر المتسرع وكتب يقول لأمثال هؤلاء : « لايمكن أن نقول بأنّ الأحكام الشرعية كلها قابلة للتغيير تبعا للمصلحة ، فهناك العدد الأكبر الذى لايتغير بحال مثل حرمة الربا ، وشرب الخمر والزنا إلى مثل ذلك من الأحكام ، وإنّما الكلام فى طائفة من الأحكام

الفقهية ذهب الفقهاء إليها فى أزمان تناسبها ، ثم لاتكون محققة للمصلحة التى يصح اعتبارها شرعًا فى أزمان أخرى وذلك ككثير من المعاملات التى أجازها الفقهاء استحسانا فى عصور مختلفة »[٤] . والمهم أن يفهم هؤلاء أن الرجل الكبير يتحدث عن رأى الفقهاء لاعن نص قرآنى أو حديث نبوى أو عمل صحابى ! عن رأى الفقهاء فى بابى المصالح المرسلة والاستحسان وأقول ذلك وضعاً للنقاط على الحروف .

هذا وقد رأس الدكتور محمد يوسف موسى (جماعة الأزهر للنشر والتأليف) وهى جماعة علمية من صفوة علماء الأزهر قدر لها أن تخرج كتبا قيمة ممتازة فى موضوعها وفى أسلوبها ، ومن بينه كتاب (عثمان بن عفان) للأستاذ محمد صادق عرجون ، وكتاب (الموالى والعرب) للدكتور محمد الطيب النجار ، وكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للعلامة الكبير أبى الحسن الندوى ، وقد لاقى رئيس اللجنة صعوبات معترضة حين حثّ اللجنة على أن تنشر كتاب (تفسير مجمع البيان لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى) وهو كتاب قال عنه الدكتور محمد يوسف موسى[٥] :

« والقارىء لهذا الكتاب ، والباحث الذى يلجأ إليه فيما يعانى من تفسير كتاب الله العظيم ومعضلاته ، والمتتبع لتطور علم التفسير ، وماكتب فيه على مر القرون ، يتبين كيف وفق المؤلف ــ رضوان الله عليه ــ للوفاء بكل ماقال فى المقدمة عن علوم القرآن المتعددة ، وإلى أى مدى عالٍ مرموق بلغ من ذلك كله ، وبأى أسلوب بليغ عالى المنزلة ، عالج النواحي التى عالجها ، وبأى أمانة وصدر رحب ، نقل مانقل من آراء مخالفيه فى الرأى والمذهب على ندرة هذه الخطة الأخيرة بين غير قليل من العلماء الذين يتصدون للتأليف فى العلوم التى يكثر فيها الخلاف ويشتد . كما نرى بوضوح فى كثير من المؤلفات فى علمى الكلام والفقه » .

ووجهة نظر الدكتور فى الاهتمام بنشر هذا التفسير القيم ، أنه التفسير الشيعى الذى التزم الحيدة فى القول ، وحفظ للأئمة من المفسرين ــ مذهبه وغير مذهبه ــ أقدارهم واستند إليها ، وأثنى عليها ، فنشره مدعاة للتقريب الصحيح بين أهل العلم فى الإسلام ، ووجهة نظر غيره : أن الاكتفاء بكتب أهل السنة أولى ، ولعل تبادل الكتب المعتدلة هنا وهناك مما يقرب مسافة الخلف فى أمة واحدة : كتابها واحد ، ونبيها واحد ، وهدفها واحد ، إذا سلمت السرائر عن كل دخيل معلول .

كما كتب الاستاذ ترجمتين علميتين لابن رشد وابن تيمية ، وقد أخذ بعض النقاد على ترجمة ابن رشد أنها جاءت مختصرة مكتنزة ، وقد نسى أن سلسلة (أعلام الإسلام) التى أصدرتْ هذه

ــ (٤) المرجع السابق : شوال ١٣٧٣هـ ــ تحت عنوان : (كفانا تقليدا فى الفقه) ص ١٩٢

(٥) رسالة الإسلام : ربيع الأول ١٣٧٠هـ ص٦٨ .

الترجمة ذات حجم عددى لاتتعداه ، وأن الدكتور قد خضع لهذا الطابع الشكلى ، وليس به أن يقصر فى شأن ابن رشد ، وقد كتب عنه بحثا ضافيًا كان أحد شقىّ الرسالة السربونية التى ظفر بها بالدكتوراه ، فلا يعجزه أن يبسط القول فى كتاب عن ابن رشد أُلف لقراء العربية .

أما ترجمة ابن تيمية فمستفيضة شافية ، تحدثت عن جهاده السياسى ، واجتهاده العلمى حديثًا ، حالفه التوفيق من كل نواحيه . وكان باعثه على التأليف عن هذا الإمام الجليل أن بعض من نقدوا كتابه الفقهى عن الأموال (وقد سبقت الاشارة اليه) أخذوا عليه الاعتماد على آراء هذا العلامة الكبير فكأنه أراد أن يطلعهم على حقيقة الرجل المجتهد علميا وإصلاحيا ، وحسنا فعل ، وبهذه المناسبة أذكر أن الكتاب تعددت طبعاته ولاقى من الرواج مايستحق ، كما أذكر أن للدكتور مؤلفا رائعا جديرا بالترجمة إلى عدة لغات هو كتاب (الإسلام وحاجة الناس إليه) والموضوع موضوع الساعة وقد جاء الأستاذ بفصل الخطاب فيما انتحاه من الحديث ، لأنه عثر على نصوص فقهية لكبار العلماء أبرزت سماحة الإسلام على وجهها الصحيح ، وهى نصوص لم تشتهر من قبل ، ولولا خوف الإطالة لاقتبست منها مايشبع القارىء ويمتعه .

هذه صفحة من جهاد هذا المفكر المتزن المجدد ، وقارئها فى حاجة إلى أن يرجع إلى مؤلفاته التى أشرت إلى بعضها ، لأنها ذات معدن نفيس ، وقد يغنى كتاب نفيس فى موضوع عن عشرات الكتب فى الموضوع ذاته اكتفت بالنقول ، وفاخرت بالمقدمات الطويلة دون الوصول إلى مايرضى من النتائج المقنعة ، والمؤلفون كثيرون كثيرون ، ولكن الأمر كما قال القائل :

خليلىّ قطاع الفيافى إلى الحمى كثير ، وإن الواصلين قليل ..

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :

د.محمد عبد الحكيم محمد

حدّثى ياقدس

للشاعر

رشاد محمد يوسف

حدّثى ياقدس يامسرى النبى — حدثى عن رحلة النور السنى
كيف سار الركب من أم القرى — يَعْبُرُ الآفاق للبيت القصى
حدثى عن ليلة طاب السُرَى — فى دياجيها وطابت فى العشى
سبح الكون وحيا ركبه — وتناجى كل مخلوق زكىّ
يقطع البيد وفى أحداقه — كل ما يهفو له القلب الندى
ينهل الوجدان من فيض السنا — من عطاء الله من نور ورِىّ
إنه الكون كتاب ناطق — ما سوى الرحمن من يطويه طى
فاقتبس من كل آى حكمة — والتمس هذا العطاء السرمدى
ها هو القدس وهذا ركنه — ضم فى أعطافه النفح الشذى
أنبياء الله جَمْعٌ بينهم — احمد كالبدر فى الليل البهى
وسما جبريل بالضيف الذكى — خير حاد وأمين وقوى
من سماء لسماء يرتقى — فى أمان الله والنور الوضى
ورأى الناس فريقا ناعما — فى ذرا الجنة والعيش الهنى
وفريقا تزخر النار به — من كفور أو ظلوم أوشقى
كل من خاصم أنوار الهدى — كل من كَذَّبَ فى القول نبى

• • •

حدثى كيف ارتقى ثم ارتقى — ودنا يكسوه نور قدسى
قاب قوسين جلال ورضا — وسلام يملأ القلب الرضى

وجـــوار طاب لم يسعـــد به أى مبعـــوث ولا أى صفـــى
التحيـــــــــات لربى قالها وهـــو فى حضـــرة رحمــــن على
فرأى الإشراق يغـــزو قلبـــه بفيـــوضات من الله الغنـــى
ورأى الســـــدرَة غشاها السنا فى فجاج النـــور والأفـــق السنـــى

● ● ●

أمتـــــى يا رب أدرك خطوهـــــا واهدهـــا يا رب للـــــدرب السوى
نجهـــا من كل شـــر وامحهـــا يا كريم العفـــو من إفك وغـــى
وارض عنها واغتفـــــر زلاتها بالـــرضا السمـــح وبالعفـــو الهنـــى
ويُجابُ الضيـــف محمـــود القـــرى والعطايـــا من يَدَىْ رب سخـــى
صَلِّ بالأمـــــــــة خمساً إنها تعـــدل الخمسين فى الأجـــر لدى
وتشفـــــع ساعـــــة الحشر لها يوم يعنـــو كل مخلـــوق إلـــىّ
ويعـــود الـــركب موفـــور السنـــا وشذا التكـــريم بالضيـــف التقـــى
كذبـــوه وهـــو مذ كان فتـــى صادق الوعـــــد أمين ونقـــى
حدثى يا قدس عن إسرائـــــه علّ فى الذكـــرى خلاص للشجـــى
عَلَّنـــا نجمـــع أشتـــات القـــوى ونعيـــدُ النـــورَ للبـــيت الـــقصى

لَيْلَة الإسْرَاء

د. محمد عبد المنعم خفاجى

ليـــــلة أى ليـــــلة هى بالنـــــور وبالعطـــــر ذكرهـــــا علوى
كل ســـــاعاتها عظيـــم مجيـــد وعظيـــم صباحهـــــا والعشـــى
وقـــف الدهـــر خاشـــعا فى حماهـــا وهـــدى الأرض نورهـــا الأحمـــدى
واصطفاهـــــا رب الســـــماء وجبريـــــل هـــو الحـــــادى والبـــــراق المطى
رحـــــلة جنـــــدها المـــــلائك واللـــــه اجتباهـــــا والعـــــرش والكرســـــى
والنبيـــــون خشـــــع والســـــماء ازينت والصحـــــراء مـاء ورى
ســـــدرة المنتهـــى مداهـــا وكل الكـــون بالحمـــد والثنـــاء روى
يا رســـــول الحيـــــاة شـــرعك بالهـــدى وبالحـــق والخـــلود حرى
يا نبـــى الســـماء دينـــك للحـــب وللعـــدل والاخـــاء ســـمى

في ذكرى الإسراء والمعراج

امتحان اليقين في الإسراء والمعراج

شعر / عبد الغني أحمد ناجي

سُبحان مَن أسْرى بخير المرسلين .·. أسْرى به في صُحبة الرُّوح الأمين
مِن بعدِ ما لقيتْ خديجة رَبَّها .·. ومَضَى الحِمامُ بعمّه في الرَّاحلين
واشتدَّ نابُ الكفرِ في بَثِّ الأذى .·. لمحمدٍ ، والمسلمين الأوَّلينْ
لم يَرضَ ربُّ العرشِ تْركَ حبيبه .·. مِن غير تَسْريةٍ تصدُّ المشركينْ
مكروا لإطفاءِ الهداية ، والهُدَى .·. أنَّى لهم ، والله خير الماكرين
نادَى الإلهُ حبيبه في ليلةٍ .·. فاقت بهذا الدهر آلاف السنين
جازاه بالإسراء أسمى منحة .·. لم يُعطها من قبله للمرسلين
فالأنبياء جميعهم صلى بهم .·. رَمزًا لختم الأنبياء السابقين
هو خاتم ، هو رحمة ، هو نعمة .·. وهداية للحائرين المدلجين
من رحلة الأنوار عَادَ «محمَّدٌ» .·. معه الصلاةُ طهارةٌ للمسْلمين
طلَعَ النبيُّ على الورى بنبُوة الْـ .·. إسراء والمعراج يمتحن اليقين
نجح الأُلى قد صدَّقوا خبر السَّما .·. وأذعَنُوا للحقّ وَضّاح الجبينْ
مَلأ اليقينُ قلوبَهم ونفوسهم .·. تركوا المراءَ ، وفِرْية المتكبّرينْ
أمَّا الذين قلوبهم قد أُغلقتْ .·. دونَ الهُدَى فلهم عنادُ المفترين
ضربوا الأكفَّ تحيرًا ولجاجةً .·. قد أذهل الإسراءُ عقلاً لا يلينْ
إن الذى أسرى به هو ربُّهم .·. هو خالقُ الأكوان رَبُّ العالمين
هو موجدُ الأحياءِ تسعى فى الدُّنا .·. هو مُوجِدُ الإنسانِ من ماءٍ وطينْ

(*) الشاعر : موجه عام للغة العربية بالفيوم

العلوم الكونية

البيئة ومشكلاتها
من منظور إسلامي
الإنسان والبيئة في العقيدة الإسلامية

٢

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

سبق أن أوضحنا [١] أوجه القصور فى التعريف الشائع لمفهوم « البيئة » ومشكلاتها المتفاقمة فى الفكر والواقع على حد سواء ، واستحسنا أن يكون الكون بأسره ، أو عالم الشهادة ، هو المفهوم الأصوب والأشمل لبيئة الإنسان الكبرى ، حتى يمكن وضع تصور عام يتضح فيه الربط بين البيئة ومشكلاتها من جهة ، وبين العقيدة من جهة أخرى ، وعندئذ يتحدد الهدف المطلوب لتصويب النظر إلى الموقع الذى ينبغى أن تتخذه البيئة ومشكلاتها فى أرجاء الدراسات الإسلامية المتعلقة بقضايا الوجود الكبرى ، وذلك من خلال التناول الموضوعى لعدة جوانب نعتبرها ضرورية للمنطلق العقدى فى فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وهذه الجوانب هى :

١ ـ **التوحيد الخالص** : فهو أول الثوابت الإيمانية التى تمثل نقطة الانطلاق وحجر الزاوية فى توجيه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والوجود ، وقد طالبنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بالتوحيد الكامل الخالص فى أول أمر إلهى أنزله على رسوله الأمين لقراءة آيات الله فى الكتابين : المسطور والمنظور . قال ـ تعالى ـ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [٢] .

ومن كانت عقيدته الدينية هذا التوحيد الخالص فإنه يجد فى نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، فيبحث عن محور الوحدانية فى الكون بأسره مجتمعا فى وجود واحد ، ويبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية

(١) راجع الجزء الأول من هذه الدراسة فى العدد السابق من مجلة الأزهر .

(٢) سورة العلق : ١ .

الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب[٣] .

ومن هنا كانت دعوة الإسلام ـ إسلام القرآن والسنة ـ إلى الإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية فى تأمل آيات الله فى الآفاق وفى الأنفس ، وصولا إلى معرفة الخالق الواحد حق المعرفة ، ولئن كانت العلاقة بين ثلاثية الدين والإنسان والكون .

محورا للنقاش والجدل منذ قديم الزمان ، فإن القرآن الكريم قد رتب العلاقة الصحيحة بين هذه القضايا الثلاث فى معرض الحث على النظر فيها ، وصولا إلى الحق المطلق الذى هو فى النهاية غاية كل إنسان عاقل ، وذلك فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤]

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد أن الترتيب الذى تقتضيه طبيعة القضايا الثلاث ، بدأ بالكون (البيئة) الذى هو أول ما يبصره الإنسان حين يفتح عينيه ، فهو الينبوع الأول للإيمان ، وهو المسرح الأول للفكر ، والذهول عنه سقوط إنسانى ذريع ، وحجاب عن الله غليظ ، وعجز عن وصايا القرآن التى تكررت فى عشرات السور لتبصرة العقول بالدلائل الموجودة فى كل شىء ، تدل على الله وتشرح أوصافه الجليلة ثم ثنى الترتيب القرآنى المعجز بالإنسان المنوط بعملية التفكير فى قضايا الوجود الكبرى ، وانتهى بقضية الألوهية التى عرفت قديما بالفلسفة الأولى أو العلم الأعلى[٥] . وما دام الإنسان هو محور هذه القضايا الرئيسية ، فلا بد أن يعرف حقيقة مكانه فى هذا الوجود ، وعلاقته بالكون ومن فيه وما فيه ، وعلاقته بخالق الكون والحياة الذى حمله أمانة الاستخلاف بتطبيق أوامره ونواهيه على مسرح الأرض ، وهو فى الحقيقة مسرح البيئة بمستوياتها المختلفة ، أو مسرح الكون بأكمله ، ولعل التعبير بالأرض فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦] .

مبعثه أن الإنسان ألصق بها من غيرها ، فيكون الكون بذلك فى مقام الوسيلة التى يحقق بها الإنسان غاية وجوده[٧] ، وهى غاية الاستخلاف القائم على التوحيد الخالص .

٢ ـ التوازن البيئى (الكونى) : فالإيمان بواحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذى أوجب هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة ، وخلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال ، وأخضعه لنواميس ثابتة لا يحيد عنها ، وحفظ تناسقه وتوازنه فى

---

(٣) د . أحمد فؤاد باشا ، نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى : تحديد الثوابت والمتغيرات ، مجلة منبر الحوار ، العدد (١٧) ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

(٥) د . محمود زقزوق ، الدين والفلسفة ، مجلة المسلم المعاصر ، عدد (٦٢) ، ١٩٩١/١٩٩٢م .

(٦) سورة البقرة : ٣٠ .

(٧) د . عبدالمجيد النجار ، الإنسان والكون فى العقيدة الإسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٧٧) ، ١٩٩٥ م .

ترابط محكم بين عوالم الكائنات ونظمها البيئية ، وبين آحادها ومجموعاتها ، وجعل بناءه آية فى الروعة والكمال ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل ، قال ــ تعالى ــ :
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (٨) .

وقد أكد القرآن الكريم حقيقة التوازن البيئى (الكونى) فى مواضع مختلفة ، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والنظام فى خلق هذا الكون ، وذلك فى مثل قوله ــ تعالى ــ :
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٩) .
وقوله ــ عز من قائل ــ :
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (١٠) .

وعندما نتأمل الواقع البيئى نرى العديد من الأمثلة التى تؤكد سمة التوازن فى الكون ، والإسلام ــ إسلام القرآن والسنة ــ يمنح أتباعه رؤية شاملة ومنهجا سليما يؤسس فيه عقيدة التوحيد من خلال عرض مشاهد الكون وانضباط قوانينه وحركته ، فضلا عن أنه يلفت الأنظار إلى أهمية اكتشاف قوانين التسخير الكونية باعتبارها أساس التقدم العلمى والتقنى لعمارة الأرض ــ قال تعالى ــ :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (١١) .

وقال سبحانه ــ :
﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (١٢)

٣ ــ العلاقة بين الإنسان والبيئة : وتتميز هذه العلاقة بخصائص وأبعاد أهمها أنها علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة والأحياء ، بما فيهم البشر الذين هم قمة الأحياء ، وليست أبدا علاقة حرب وقلق وتنافر وعداء وصراع كما يزعم بعض الماديين الطبيعيين naturalists الذين يقولون إن العالم الطبيعى وجد نفسه دون علة خارجة عنه ، ويتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها « كوارث طبيعية » خالية من أى خير ، ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون ، وكل تسخير لطاقة من طاقاته ، وكل اختراع لتقنية متقدمة جديدة ، انتصارا على الطبيعة ، أو قهرا لها وهيمنة عليها .

ولقد صور القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة حقيقة تلك العلاقة الحميمة بين الإنسان والبيئة ، وأخبر الحق ــ سبحانه وتعالى ــ فى محكم التنزيل بأن كل مكونات البيئة فى هذا الكون الفسيح قد أعدها لاستقبال الحياة ولكفالة الأحياء ، فقال ــ سبحانه ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (١٣) .

---

(٨) سورة الملك : ٣ .
(٩) سورة القمر : ٤٩ .
(١٠) سورة الحجر : ٢١ .
(١١) سورة الجاثية : ١٣ .
(١٢) سورة لقمان : ٢٠ .
(١٣) سورة لقمان : ٢٠ .

كما أن السنة المطهرة تزخر بما يؤكد هذا التصور الإسلامى لعلاقة المودة الصافية بين الإنسان وما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق : « هذا جُبيل يحبنا ونحبه » [١٤] ، فيخلع عليه الحياة ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له ، ومثل هذا الشعور بالقربى يلقى فى النفس بُعدا إيمانيا يزيد من انفساحها للكون والإقبال على التعامل معه بكل الطاقات الإبداعية .

ومن البين أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيمانى والشعور النفسى القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة (الكون) كما يعرضها المنهج الإسلامى المتفرد ، هو الذى يدلنا على طبيعة الحرب التى شنها الإنسان على نفسه فى غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية ، فهى حرب ضد الحياة على كوكب الأرض ، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذى يسعى جاهدا لأن يكسبها .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [١٥] .

من ناحية أخرى ، عند استقصاء حكمة الخالق فى خلق الكون يجب أن يستشعر الإنسان حقيقة البعد الجمالى فى العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وهو ما يقابل القصد الإلهى فى إبداع الكون الجميل الصفات العجيب التلوين والتكوين ، يقول الله ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [١٦] .

وهذه الدعوة القرآنية إلى تأمل الجمال الكونى هى فى حقيقتها دعوة إلى التفوق فى مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود .

ويؤكد أهل العلم أهمية البعد الجمالى فى علاقة الإنسان بالبيئة إلى الحد الذى يجدون فيه أن النظر البليد إلى الأرض والسماء دون إحساس بالجمال هو نوع من المعصية ينبغى أن نتوب عنه [١٧] ، فالمتأمل فى السماء وما يدور فيها من كواكب وما ينتشر فيها من أفلاك ، يجب ألا يغفل عن زينتها التى نبه إليها الحق فى قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [١٨] .

وعند النظر إلى الأنعام من زاوية فوائدها المادية وقيمتها كثروة حيوانية ، يجب أن نحافظ على الصورة الجمالية التى عبر عنها القرآن الكريم

---

(١٤) لتخريج الحديث راجع د . عبدالمجيد النجار ، الإنسان والكون فى العقيدة الإسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٧٧) ، ١٩٩٥ م .

(١٥) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(١٦) سورة فاطر : ٢٧ ــ ٢٨ .

(١٧) الشيخ محمد الغزالى ، فلسفة الفن فى الإسلام (حلقة نقاشية) ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٥٨) ، ١٩٩٠/١٩٩١ م .

(١٨) سورة الحجر : ١٦ .

بقوله : ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾[19]

ولما كان الجمال مقصوداً قصدا فى خلق الكون ، وكان البعد الجمالى ضروريا فى علاقة الإنسان بالبيئة ، فإن ما يحدث فى عصرنا من أشكال التلوث البيئى المختلفة يجب النظر إليه على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم وتشويه متعمد لشكلها الجمالى الذى جعلها الله عليه . ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث والفساد ، والإبقاء على الجمال فى صفحات الكون ، مطلبا إسلاميا عزيزا تستحث لأجله الهمم وتستثار العزائم .

٤ ـ **توافق الفكر والواقع** : حيث توفر العقيدة الإسلامية لأتباعها أهم مقومات النظر السليم فى التعامل مع البيئة المسخرة لهم من قبل الله ـ تعالى ـ وفق تشريعات حكيمة تنظم الحياة فى كل جوانبها ومرافقها ، وعندما يتصالح الفكر مع الواقع يكون الإنسان أكثر قدرة على بناء صرح الحضارة المتوازنة روحيا وماديا ، ولنا فى تاريخ الإسلام خير مثال ، عندما أنتج علماء المسلمين فكرا يتلاءم مع واقعهم ، وقدموا للعالم حضارة زاهرة معمرة ، كما قدموا حلـولا شافيـة للمشكلات البيئية التى واجهتهم على المستويين الفكرى والعملى ، ذلك أن العلم والفكر اللذين لا يعمر بهما الكون ، ولا تصلح بهما البيئة ، ولا ترقى بهما الحياة فى جانبيها الروحى والمادى معا ، هما علم وفكر قاصران ، وضررهما أكبر من نفعهما ، ولعل الواقع المعاصر يؤكد هذه النظرة ، بعد أن رأينا تخلى الحضارة المعاصرة عن الجانب الروحى وانغماسها فى سياق التقدم العلمى والتقنى ، بمعزل عن القيم الهادية ، وتمسكها بالمذاهب النفعية (البرجماتية) لتحقيق مصالح خاصة ، وها نحن نرى المتقدم الذى يمتاز بصناعة الأفكار ، وهو فى صناعتها لديه المادة الخام ، ولديه الآليات ، ولديه السوق المفتوحة لنشر بضاعته من الفكر والحضارة . قد فشل فشلا ذريعا فى إدارة حضارته إلى الحد الذى أصبحت فيه هذه الحضارة نفسها مصدر تهديد لحياته ، قد يفضى إلى فنائه ، كما أن دراساته المستقبلية لم تحقق النجاح المطلوب فى تقدير التحديات التى يملى مواجهتها ذلك الفكر المادى ، ويشترطها ازدهار حضارته المزعومة .

وإذا كان هذا الفكر المادى قد تخلف عن واقعه فى البيئة التى أنتجته ، فإنه لا محالة مخفق فى مهمته حين يُزرع فى غير تربته ، على نحو ما نجد فى الدول المتخلفة التى تعيش فى الأغلب على فكر وافد .

وهنا تظهر أهمية الدور الحيوى الذى يمكن أن يؤديه المنهج الإسلامى الرشيد فى تحقيق المصالحة بين الإنسان وبيئته ، ذلك أن العلم والتقنية يأتيان ثمرة لفلسفة وعقيدة ، ومن ثم فإنهما يتجمدان فى مجتمع تغاير عقيدته واقعه[20] .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم ـ إن شاء الله ـ

---

(١٩) سورة النحل : ٥ ـ ٦ .

(٢٠) راجع : الشيخ محمد الغزالى ، كيف نتعامل مع القرآن ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

أخطار الشذوذ الجنسى وعلاجه

٤

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

يمكن ـ ابتداء ـ أن نعتبر أى أداء جنسى ـ لم تسمح به الشريعة الإسلامية ـ شذوذاً ، وحيث إن هذه الشريعة قد أباحت الاتصال الجنسى بين رجل وامرأة تم بينهما الزواج شرعاً ، وحل له منها ، وحل لها منه ما أباحته الشريعة من أوضاع ، فإن الاتصال ـ فى حدود ذلك ـ أمر سوىّ ، وما عداه شذوذ ، خارج على القاعدة الشرعية ، وفاعله شاذ . وفى الحديث الشريف : « ومن شَذَّ شذ إلى النار »[(١)] .

وفى حديث لكاتب هذا المقال مع فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق ـ وكان فضيلته قد تناول فى فتاويه دراسة بعض الأوضاع الشاذة فكتب فى :

(أ) الوطء الحرام والأمراض التناسلية .

(ب) الإيدز والشذوذ الجنسى .

(جـ) اللواط .

(د) إتيان المرأة فى الدبر .

(هـ) السحاق وإتيان البهائم[(٢)] .

وكانت النية متجهة إلى إضافة هذه الدراسة التى بين يدى القارىء إلى كتابات الشيخ على نفس المنهج المشار إليه بالحاشية رقم (٢) حيث تعرض الحالة طبياً ، ويعقب عليها فضيلته بالحكم الشرعى ، ومن حديثه ـ مع كاتب المقال : أنه إذا لم يتطرق علماء المسلمين وأطباؤهم إلى هذه الموضوعات الحساسة ، فمن الذى يتطرق إليها ؟.

ولقد صدق حدسه ـ رحمه الله ـ تعالى ـ فإن جهة « إنجيلية » ببعض البلاد الإسلامية قامت ببحث ميدانى على ما يسمى أبناء الشوارع من الأطفال المشردين .

وبعد : فمهما يكن من شىء فإن البحوث العلمية فى ألوان الشذوذ عند الأطباء أحصت الأنواع التالية :

---

(١) سنن الترمذى ٤ / ٤٤٦ .

(٢) راجع لفضيلته ـ أحكام الشريعة الإسلامية فى مسائل طبية عن الأمراض النسائية ص ٧٦ ـ ٨٤ . طبع المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ـ جامعة الأزهر . ولعل المركز يقوم بطبعه لتستفيد الجماهير الإسلامية من معلوماته ، فإن المنهج فى الكتاب يجمع فى كل دراسة من موضوعاته : دراسة طبية ، يعقبها الدراسة الشرعية .

١ ـ أداء جنسى غير طبيعى طرفاه آدميان :

( ) يتم بين ذكر وذكر ـ وهو اللواط ANAL INTERCOU ـ أو بين أنثى وأنثى وهو السحاق FELLATO وكلاهما محرم شرعاً ، كما أن اللواط محرم حتى بين الزوج وزوجته لا كما يظن بعض الذين انساقوا إليه من الطرفين . وإذا تجاوزنا صورة اللواط بين رجل وامرأة ؛ فإن صور هذا اللون يطلق عليها : « **الجنسية المثلية** » .

يتحكم التكوين الجسمانى وكذلك توزيع الهرمونات بالإضافة إلى التربية غير الصحية فى اتجاه الشاذ ناحية الجنسية المثلية ؛ فمثلا فى حالة عدم توازن المهرمونات فى جسم ، أو فى حالات التربية الخاطئة ، وإهمال الأطفال قد يعرضهم هذا وذاك للانتهاك الجسدى بواسطـــــة من يكبرونهم . وللأسف فإنهم ـ فى أغلب الأحيان ـ وكما أثبتت ذلك دراسات عديدة ـ يكون المعتدى من أقرب أقرباء الضحية .

وقد توجد شواهد فى مرحلة البلوغ على هذا التوجه : مثل مصاحبة من هو أكبر سناً ، وتركيز الاهتمام على أفراد من نفس الجنس ، وقد تكون لدى الفرد هوايات شاذة ؛ ففى حالة الذكر قد يكون لديه هوايات نسائية مثل تفصيل الملابس وإسدال الشعر والتشبه بالفتيات ، وفى حالة الإناث قد تكون لديهن بعض الهوايات مثل الملاكمة والتشبه بالرجال .

وفى الحديث الشريف : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه والبيهقى بسند صحيح .

٢ ـ أداء جنسى طرفاه مختلفان :

بيستياليتى Beastiality :

وهو حالة من الشذوذ المفرط الذى يتجاوز به صاحبه الجنس الإنسانى كله ، فلا تحدث لديه المتعة إلا فى حالة ممارسة الجنس مع الحيوان .

وهذا النوع له حكمه الرادع فى الشريعة الإسلامية ففى الحديث الشريف : « من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه » رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه .

وهناك بعض الدراسات توضح أن سبب هذه الحالة قد يكون الإحساس بالعنة أو الخوف منها . وقد أثبتت دراسات أن هذه الحالة قد تحدث قبل البلوغ لبعض أطفال القرى ، وتوجد بين الذكور أكثر ، ويكون الطفل غير مستقر نفسيا وغير سعيد .

٣ ـ طلب اللذة من طرف واحد :

(أ) الفتشية (الفيتشيزم) Fetishism :

فى هذه الحالة يستمتع الشخص بمشاهدة الملابس الداخلية للأنثى ، أو مشاهدة جزء من قدميها أو شعرها أو حذائها ، وسبب هذا راجع إلى تربية غير سوية .

(ب) التلذذ الجنسى بالمشاهدة (فيوريزم) : Voyeurism

وفى هذه الحالة يتم الاستمتاع الجنسى عن طريق النظر فى الأعضاء التناسلية للجنس الآخر ، أو مشاهدة الجماع بين رجل وامرأة ، أو مشاهدة بعض أفلام الإثارة ، وقد تكون هذه حالة متوقعة فى سن المراهقة ، ولكنها قد تستمر إلى ما بعد

الزواج ، وقد تؤدى هذه الحالــة إلى عدم الاستمتاع عن طريق الجنس العادى . وقد تكون لذلك عواقب سيئة على كيان الأسرة .

(جـ) إظهار الأعضاء التناسلية Exhibitionism :

وهذه حالة يعمد فيها الشخص إلى إظهار أعضائه التناسلية واستعراضها ، مستمتعاً بملاحظة ما يحدث من آثار رؤياها على الآخرين، يجسد ويزيد من إثارته ما يراه من خوف أو رغبة ، وهذه الحالات قد تكون مصحوبة بعنف تكون له آثاره .

٤ ـ وهناك بعض الطرق الأخرى الشاذة ولكنها أقل انتشارا :

وفيما يلى أخطار بعض أنواع الشذوذ المنتشرة :

السحاق (الإيجابى) الفاعل :

ـ سيلان الفم .
ـ تشققات بالفم .
ـ الزهرى .
ـ التهاب كبدى وبائى .
ـ التهابات معوية .

السحاق (السلبى) المفعول :

ـ تشققات بالأعضاء التناسلية .
ـ سيلان فى فتحة مجرى البول .
ـ الإيدز .
ـ الأمراض التناسلية الأخرى .

اللواط (إيجابى) الفاعل :

ـ السيلان والإيدز .
ـ الهربس التناسلى .
ـ التهاب البروستاتا والبربخ .
ـ التهابات فطرية .
ـ التهاب كبدى وبائى .

اللواط (سلبى) المفعول :

ـ تمزقات بفتحة الشرج والمستقيم .
ـ سيلان الشرج .
ـ الإيدز .
ـ التهاب كبدى وبائى .

السادية أو الماسوشية :

ـ جروح قطعية وتشققات .
ـ جروح مع عدوى والتهاب .

مخاطر الشذوذ :

وأهم مخاطر الشذوذ أنه فى معظم هذه الحالات يكون الشريك فى العملية الشاذة غير معروف غالبا ، فيصعب تتبعه فى حالات مثل الإيدز وهى حالة تحتاج إلى معرفة كل المشاركين فى الجنس مع المصاب حتى يمكن حصر المرض ، ومن هنا ينتشر بلا حدود مثل ذلك : حالات الاختطــاف والاغتصاب بواسطة مجموعة مثلا .

إن الوقاية من هذه الأنواع الشاذة جميعا يعتبر أهم خطوات استئصاله من المجتمع .. ولكن كيف ؟

إن فى المجتمع نَشْئًا ، وفيه كبار تجاوزوا مرحلة التعليم ، والاتجاه التربوى للطرفين لابد يختلف .

فأما النشء فأمامنا الأسلوب الإسلامى التربوى وفيه الوقاية ، وقد سبق لرئيس تحرير هذه

المجلة أن تحدث فيه بإفاضة فى مجلة الأزهر ونشرت مقاله الأخبار ، كما نشرت المقالة المجلة الطبية التى تصدر عن دار الهلال .. والمنهج الإسلامى هنا تربوى مباشر يربى من خلال الأحكام الشرعية نفسها .. الأمر الذى يحيط النشء بقدسية الدين وطهارته فيتلقى الطالب والطالبة العلم ممزوجا بالدين وما يدعو إليه الدين من طهارة وقاء .

فأما الكبار فإنه ينبغى أن تكون هناك أكثر من جهة ومؤسسة تتعاون إعلاميا وثقافيا ودينيا للإرشاد وللتقويم ، وإن الله ـ تعالى ـ ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. وعلى الكبار ـ من جانبهم ـ أن يكونوا قدوة للصغار ، فكثيراً من الانحرافات تنشأ عن طريق مشاهدة الصغار للكبار .

وفى أحوال كثيرة يعوق العلاج عدم قدرة المريض على مصارخة الآخرين بأعراض مرضه ، ولذلك ، فإن ما يصل إلى الأطباء ـ هو غالبا ـ الضحايا ؛ فكم من ليال قضاها أطباء وهو يرتقون جرحا بالعجان[٣] تركه مجرم لا يعرف الرحمة فى الأعضاء التناسلية لطفلة لم تتجاوز الست سنوات من عمرها ، وكم من حالات يحاول الأهل فيها خداع الأطباء بالادعاء أن الطفلة وقعت على آلة حادة لكى يخفوا اسم المجرم الحقيقى الذى قد تكون له صلة حميمة بالطفلة .

وأريد فى النهاية أن أطمئن الناس إلى أن معظم هذه الحالات تشفى عن طريق العلاج النفسى السليم ، ولكن من المهم سرعة العلاج ومصارحة الطبيب .

---

(٣) العجان : المكان من نهاية الفرج إلى ثقب الدبر .

المدرسة ودورها في التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/ عبد السلام ناصف

كما رفع المولى ـ عز وجل ـ منزلة العلماء ، رفع من قدر آلات العلم : القلم .. المداد .. (القراء) .. ولقد أقدم المصطفى ﷺ على محو الأمية من أطفال المسلمين .

ولم يعد خافياً ـ اليوم ـ أن هذا التراث الإسلامى الرفيع وهذه المخطوطات النادرة ، هى التى بددت ظلمات الجهالة فقد كتب جهابذة الفكر الإسلامى فى كل ميادين الحياة الدينية والسياسية واللغوية والطبية والدوائية والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والأحياء والفلسفة والمنطق والشعر والبلاغة والأدب .

وكان القلم والمداد والقرطاس وسيلة كل هؤلاء فى تسجيل ما يجيش بخاطر كل منهم . وكان لكل منهم وجهة هو موليها ـ انتظم فى مسلكها وبرع فى التحصيل ممن سبقوه يسعى إلى مجالسهم وينهل من علمهم . فلما توسعت رقعة بلاد الإسلام وترسخت أقدامه فى البلاد المفتوحة وظهرت أهمية التعليم وما لحاجة المسلمين إليه لإعداد جيل الطفولة الجديد برز دور المدرسة ، والمدرسة قد تكون (الكُتَّاب) وقد تكون حلقة المسجد وقد تكون البناء المعروف بالمدرسة .

التربية والتعليم :

وقبل أن نعرض لدور المدرسة وأثرها فى تنشئة الفرد يجدر بنا أن نفرق بين التربية وبين التعليم فى العملية التعليمية فالمدرسة هى المؤسسة الاجتماعية التى تضطلع بالقيام بهما معاً وبينهما خيط رفيع **إذ التعليم هو العملية التى يتم عن طريقها نقل التراث الفكرى من جيل إلى جيل** بكل ما فيه من معارف وحقائق ومفاهيم علمية أو طبيعية أو اجتماعية أو إنسانية أو ميدانية عن طريق معلم يستخدم الكتاب أو وسيلة الإيضاح لتوصيل المعلومة إلى ذهن الطالب وقد تطورت وسائل الإيضاح حتى يمكن أن تكون معامل تجريبية أو ميدانا عمليا للتدريب والتجريب فى إطار مسبق الإعداد ووفق خطة مدروسة موزعة على مدار العام الدراسى المحدد .

فهى إذن عملية تحصيلية بحتة يكتسب فيها الفرد نوعاً محدداً من المعرفة تتناسب وإمكانياته وقدراته واحتياج المجتمع لإعداده كى يتبوأ دوراً مناسباً إيجابياً يشارك به فى مواجهة تحديات المستقبل .. لكن هذه المعرفة المكتسبة لا تؤثر فى أنماط سلوكه ، وإنما يكفيه منها أن تعده للارتقاء لدور ما فى مجتمعه .

أما التربية فهى أعم وأشمل حيث تعنى بتنمية الفرد من كل جوانب حياته : الجسمية والعقلية والوجدانية ، والروحيـة ، والأخلاقيـة ، والاجتماعية ، والنفسية ، والعقائدية .. وكل ما يتعلق بمظاهر وأنماط سلوكه فى الحاضر والمستقبل على أن تستغل كل ما أوتى من قدرات وإمكانيات واستعدادات حتى ينشأ نشأة صحية سوية مؤهلة لأن يصبح مبدعاً منتجاً بصورة إيجابية ؛ يؤثر فى مجتمعه ـ الذى أهله ـ ويعمل على تطويره ، إذ هو يستمد أسلوب تربيته وإعداده من البيئة التى تحيط به والتى يتعايش معها ويتفاعل مع أعضائها

لذا يمكن القول أن التربيه هى تنمية الفرد داخل جماعة وفى ظل ثقافة مجموع أفرادها معدة إعداداً صالحاً لينفع ذاته وينفع مجتمعه على المدى القريب والبعيد . فهدف التربية إذن هدف اجتماعى إذ هى تحقق أهدافها داخل المجتمع فى ظل الثقافة السائدة بين أفراده والتى تحكم سلوكياتهم ـ مع الأخذ فى الاعتبار بما بينهم من فروق فردية وكذلك الرجل المناسب فى المكان المناسب بهدف الاستغلال الأمثل لإمكانيات ومهارات واتجاهات وميول كل فرد .

فلا تنمية لمجتمع دون تنمية أفراده . وإذا ما كانت الثقافة السائدة صحيحة وسليمة وسوية كانت التربية سوية وصحيحة وكانت عملية التنشئة الاجتماعية إيجابية تكفل الصحة النفسية المنشودة للفرد وبالتالى للجماعة ثم للمجتمع ككل .

ويأتى دور المدرسة فى التنشئة الاجتماعية بعد أن يكون التلميذ قد اكتسب الكثير من المهارات والخبرات من أسرته ومن جماعة رفاقه إذ تقوم بتعديل سلوكه وصبغ خبراته بصبغة اجتماعية وتصحح له معلوماته وتنميها وتوجهها الوجهة السليمة السوية .. فمما هو معلوم أن المدرسة تقوم بكلا الدورين حيث يستعيض الطفل بهيئة التدريس عن والديه وبزملاء الدراسة عن رفاقه فى الشارع أو سواه .. ولذا فالمدرسة تعمل على تنمية المعايير بشكل منظم ومدروس ومخطط وفق أساليب ومناهج تربوية مقننة يسهل تقييمها ، وتحديد نقاط الضعف فيها لتعديله وتصحيح مساره .

وفيها يتعلم الطفل كيف يشبع حاجاته مع مراعاة حاجات زملائه ، فتنمى عنده ملكة الانضباط فى السلوك لينشأ على ما يحقق له ولمجتمعه الصحة والسلامة وهى تعده لأدوار القيادة فى حياته المستقبلية .

ثم تحقق له بيئة سوية داخل جدرانها وتساعده على التغلب على مشاكله وإيجاد أنسب الحلول وأنجعها ليتمكن من الانتقال من سلبيته الطفولية إلى أن يعتمد على نفسه بصورة متوافقة .

ومما يرفع من مستوى تأثير المدرسة فى عملية التنشئة الاجتماعية الالتزام بالجدية والانضباط خلال اليوم المدرسى دون تسلط أو تجبر أو قسوة ، فكلما كان التنظيم رائد بنيانها والأسلوب التربوى يملأ جنباتها كلما كان دورها ذا أثر بالغ الأهمية فى بناء شخصية الفرد ، فينمو عوده على الاعتماد على النفس ، والمشاركة الإيجابية ، والتفاعل المثمر ، مع بقية أعضاء مجتمعه فلا يكون منه إلا الخير ولا يكون لجماعته إلا الخير منه ويكون كل الخير لمجتمعه وهو ما تهدف إليه كل الشرائع .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد[*]

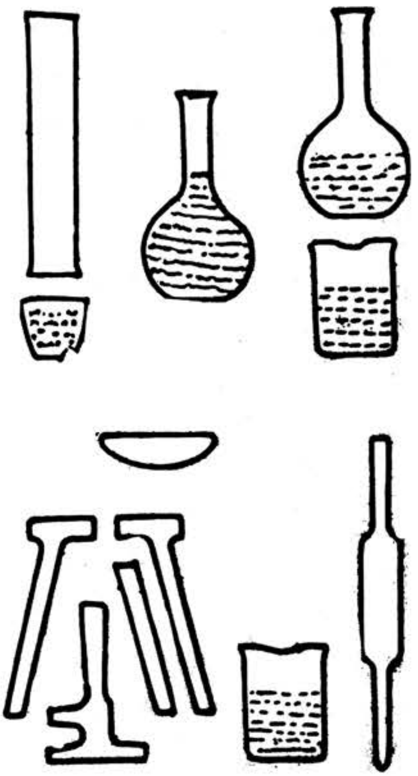

القمر الصناعى الفرنسى

يكشف جمال الطبيعة :

تمكن القمر الصناعى الفرنسى من التقاط مجموعة نادرة من الصور لكوكب الأرض من ارتفاع شاهق ومنها صور تنطق بالجمال الطبيعى للأرض ، وتؤكد عظمة الخالق فى إبداعه لخلق الأرض ، فإحدى هذه الصور لجزر (هاواى) المائية ، والتى تظهر فيها خمسة براكين يتجاور فيها الماء والنار ، وأخرى ، للنهر الأسود المتعدد الألوان فى الغابة الاستوائية الذى يلتقى فيها بنهر الأمازون ، كما التقط العديد من الصور التى ترصد دورة الأرض فتوضح أن الوقت يكون ظهرا فى وسط المحيط الهادى ، بينما تدخل أمريكا الجنوبية فى الليل ، ويكون النهار ساطعا فوق (أوروبا) و (إفريقيا) ، وعندما يهبط الليل على استراليا ، فإن الشمس تسطع على (بيرو) و (البرازيل) .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

التعرض لقدر ضئيل من الأشعة

يفيد الصحة :

أعلنت مجموعة من العلماء بإحدى الجامعات الهندية نظرية جديدة وهى أن تعرض الإنسان لقليل من الأشعة ـ سواء كانت طبية أو غير طبية ـ مفيد صحيا ، وأوضحوا أن الافتراض الشائع بأن تعرض الإنسان للإشعاع ضار بكافة أشكاله غير صحيح ، وأن أبحاثهم كشفت أن التعرض لقدر ضئيل من الأشعة يفيد فى علاج بعض الحالات المرضية ، وفيها حالات نقص التمثيل الغذائى ، لكن هذا الرأى يحتاج إلى دراسات مستفيضة للتأكد من صحته وتحديد جرعات الأمان المطلوبة والحالات العلاجية المعينة التى تتطلبها .

تلميع الأحذية آليا

طرحت إحدى الشركات الفرنسية مؤخرا جهازا جديدا لتلميع الأحذية يعمل بالكهرباء يتولى تلميع الحذاء خلال ٣٠ ثانية فقط أى بمعدل ١٢٠ حذاء كل ساعة ولا يستهلك سوى ٢,٥ كيلو وات كهرباء فى الساعة ، الجهاز يحقق أرباحا خيالية لمحلات تلميع الأحذية ، ويوفر الوقت والمال للأسر التى تستخدمه .

جزئيات الكربون لتخزين الغازات :

اكتشف الباحثون الأمريكيون أن جزئيات الكربون تستطيع حجز الغازات فى الحيز الصغير الموجود بين جزئياتها البللورية مما يجعلها ملائمة لتخزين الغازات ، وتبين من الأبحاث أن (١٪) فقط من هذا الحيز يمكن أن يمتلىء بالغاز ، وباستخدام ضغط كبير أمكن زيادة هذه النسبة وتعبئة أكثر من نصف الحيز الموجود بالغازات وتوصلت الأبحاث إلى أن تخزين الغاز بشكل مستمر يحتاج إلى بقاء جزئيات الكربون تحت ضغط مناسب لمنع التسرب .

كرة سحرية لغسيل الملابس

اخترعت مجموعة من الخبراء الفيزيائيين بأوروبا كرة سحرية تتولى غسل الملابس ويتم وضعها فى طبق غسيل مزود بالماء الساخن وسط الملابس المتسخة وبدون مساحيق ، حيث تنهى عملية الغسيل فى أقل من دقيقة لأنها تصدر موجات صوتية متناهية فى الصغر بمعدل ٢٠ ألف ذبذبة فى الثانية ، وتجرى التجارب والأبحاث لزيادة قدرة كرة الغسيل لإزالة جميع الأوساخ العالقة بالملابس والتى لا تستطيع أن تزيلها مثل بقع الدهون والشيكولاته والفواكه .

مصيدة للقضاء على الذباب في حظائر الحيوانات :

نجحت (السويد) فى تحقيق معادلة صعبة تتمثل فى إيجاد حظائر ومزارع واصطبلات دون وجود للذباب ودون استخدام مواد كيماوية ضارة على الحيوانات ومنتجاتها ، حيث بدأ أخيرا استعمال مصيدة للذباب على نطاق واسع ، وهى عبارة عن خيوط خاصة مغطاة بطبقة من المواد الطبيعية قوامها (راتنجات الهيدروكربون) الطبيعى وزيت شمع (البارافين) وهذه الخيوط لها جاذبية لا يستطيع الذباب مقاومتها فيقع عليها ويلقى حتفه ، ويتجدد خيط المصيدة باستخدام بكرات دوارة ، وتحتوى البكرة على ٣٣٠ مترا من الخيط يكفى للقضاء على ١٥٥ ألف ذبابة .

وصلة بلاستيكية لحماية أطباء الأسنان والمرضى من العدوى :

أنتجت شركة أوروبية وصلة بلاستيكية يتم تركيبها على قطعة وسيطة من الألومنيوم التى يتم تركيبها هى أيضا على « السرنجة » المتعددة الوظائف التى يستخدمها طبيب الأسنان فى نواحى العلاج المختلفة للمرضى ، والوصلة تستخدم مرة واحدة فقط ، وبذلك تمنع انتشار العدوى ، والجزء الداخلى للوصلة الجديدة مكون من انبوبتين رفيعتين تضخان الهواء والماء داخل فم المريض ، وتتميز الوصلة البلاستيكية بمرونتها التى تسمح بالوصول إلى الأماكن المتعذر الوصول إليها داخل تجويف الفم .

جهاز آلى دقيق « روبـــوت » يجرى جراحات داخل الأمعاء :

قارب أحد المخترعين الأمريكان على الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة على « الروبوت » الصغير الذى اخترعه ، ويستطيع أن يجرى جراحات داخل الأمعاء الغليظة ، وهو مزود بمصدر للطاقة والإضاءة ، ويقوم بإرسال الصور إلى الجراح الذى سيتولى عملية توجيهه ، ويحتوى على ستة عشر مجسا مهمتها البحث عن القرح المعوية وأورام الغشاء المخاطى للأمعاء بالإضافة إلى مخلب دقيق مهمته تدمير هذه الأورام والقرح ، ومن المعروف أن الأمعاء الغليظة بيئة لا تناسب استخدام « الروبوت » ولكن « الروبوت » الجديد صمم لكى يستخدم داخل الأمعاء الغليظة .

جهاز على هيئة كرسى هزّاز لتنشيط المخ

اخترعت شركة (يابانية) جهازا يعرف بالنظام الصوتى لاسترخاء الجسم حيث يجعل الشخص يشعر باهتزازات موسيقية ذات إيقاع جميل من خلال الكرسى الذى يجلس عليه وهو يسمع بعض القطع الموسيقية ، وقد جذب الجهاز انتباه الخبراء فى المجال الطبى لما يتميز به من طريقة الموازنة التى تساعد الأشخاص على الاسترخاء للجسم والعقل فى آن واحد حيث إنه مزود بإرسال موجات تفيد فى تنشيط المخ ، والجهاز الجديد يطلق عليه « نظام الاسترخاء وتنشيط المخ » .

اللغة والنقد والأدب

طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام

الأستاذ الدكتور عبد المجيد دياب

١٠

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

من الذى يحقق .. ؟ ! .

لا يسوغ ، ولا يجوز ، بحال أن يُعتبر التحقيق غرضا وهدفا ودريئة لهواة ، أو مجرد ممارسة ومزاولة لنفر من آحاد الناس ، أو ممن قلت بضاعتهم من العلم لمجرد المزاولة .

إنها قاعدة مقررة محررة من المحفوظات التى لا تخالجها ريبة ، وهى أنه : « ليس كل عالم محققا ، ولكن كل محقق لابد أن يكون عالما » .

لابد أن يكون المحقق موسوعىّ الثقافة ، وعلى إحاطة تامة كاملة بعلوم اللغة العربية وآدابها وبصفة خاصة : النحو والصرف وبمفاتيح العلوم الأخرى لا سيما العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والبلاغة القرآنية وعلوم القرآن ، وما تيسر من المذاهب والفرق المختلفة وقبل هذا علم الأصول ، وعلم النفس والمنطق والفلسفة وغيرها ...

ثم إن الإلمام بالشعر (وهو ديوان العرب ومؤرخ أيامها وحياتها ودستورها المحفوظ) يجب أن يكون معنيا به ومتوفرا عليه ، إذ إن عليه تعويلا كبيرا فى ممارسة التحقيق على وجه الدقة والإتقان ، فضلا عن الدربة والدراية لقراءة الخطوط المختلفة .

وليس معقولا أن يكون المحقق خالى الوفاض من علم النحو والصرف وأمثال العرب ، أو لا

يعرف شيئا عن علم العروض والقوافى ... الخ ، وليس مطلوبا منه أن يكون متبحرا فى كل هذه العلوم ، فإن هذا ضربٌ من المحال ، فإن الإلمام بالأصول هو أداته للتحقيق وذلك ـ والحمد لله . ـ تعالى ـ رأى الأستاذ الدكتور المحقق الفذ عبدالمجيد دياب ، فإنه يشاركنا ذلك عن عقيدة راسخة .

إن التحقيق فن إيصالنا بالماضى ـ ماضينا العلمى الرفيع ـ وحسبنا من التحقيق أنه يسد فجوة ، هى واقعة لا محالة بيننا وبين ما يحققه ، وبإبرازه لما حقق من تراث قد بنى قنطرة وطيدة يسرت لنا السبيل إلى إشباع حاضرنا بأضواء ماضينا ، وليس ـ إلا التحقيق ـ هو السبيل الذى علمنا به هذا الماضى الرائع ... وهو ماضٍ ليس ككل ماض فيعاب علينا الإشادة به .. لا ، لأنه الماضى العلمى الذى هو قواعد المعرفة المتعددة الروافد فى أيامنا هذه وما بعدها من مستقبل العربية الخالد ..

ثم هو دور المحقق الرصين الذى ـ بأمانته وحدها ، وصبره الفذ ـ يضع أمامنا فكر المؤلف من أجدادنا على خير صورة أرادها هذا المؤلف .

ويرحم الله ـ عز وجل ـ الجميع .

● ● ●

نشأ صديقنا العلامة المحقق الدكتور عبدالمجيد شعبان عبدالمجيد دياب نشأة طيبة فى ريف مصر العزيز ، وقد ولد سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف ١٩٣٢ للميلاد ببلدة (محلة) « شفا » ، مركز بسيون ، من أعمال مديرية الغربية بجمهورية مصر العربية .

كان والده ـ رحمه الله ـ رجلا واعيا لم ينل حظا كاملا من التعليم ، لكنه لم يحرم من دراسة أصيلة ، فقد اكتفى بالثانوية الأزهرية تقريبا ثم التفت إلى شئون أخرى شغلته وصرفته عن إتمام مراحله ، ولئن كان فاته شيء من العلم فقد رزقه الله ـ تعالى ـ بهذا الابن المكافح العالم المحقق والمؤلف الكبير الذى عوَّض ما فات ، فامتد له من أبيه وامتد لأبيه منه هذا الصرح العلمى الذى أشرق إشعاعه على العربية أين حلت .

وأكثر عظماء مصر والعالم ممن غيَّروا وجه التاريخ هم من ذلك الريف الوريف الظلال ، الممدود الأفياء .

وليس الدكتور دياب هو الابن الوحيد لأبيه ، بل له شقيقتان ، وقد توفيت أمه ـ رحمها الله ـ أثناء طفولته ، فتزوج أبوه وأنجب إخوة وأخوات آخرين ..

لقد كانت البداية شديدة الصعوبة ، والأيام تحمل فى أطوائها ، وألفافها وتجاليدها كل ما هو شاق مؤلم ، وليس خافيا على أحد ما يلقاه إنسان عندما تغيب الأمومة الأصيلة ؛ لذلك كان صاحبنا يرزح تحت نير هذه الظروف ، ولولا لطف الله ـ تعالى ـ وبره به إذ اختلف إلى كتاب القرية ؛ فحفظ القرآن الكريم فى شرخ صباه فما إن بلغ أربع عشرة سنة حتى كان أتم حفظه ، فكان ذلك فاتحة خير وبركة ، شرح الله بها صدره ، وقوَّى بها عزيمته ، ودفعه دفعا إلى التوفيق والتمكين .

كان كما لابد أن يكون عصاميا فى هذا الريف ، وكنف زوج أبيه حتى لا تقضى عليه كلتا القسوتين ، وفيه يصدق قول الشاعر :

نفس عصام سوّدت عصامـــــا
وعلمتـــه الكـــرَّ والإقدامـــا

فمرق وانطلق إلى سماء المجد فى همة وإصرار ، لا يلوى على شيء ، ولقد يذكر ما مر به الدكتور عبدالمجيد بقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ :

وكَرَبٌ نازلة يضيق بها الفتى
ذرعـا وعنـــد الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفـــرج

خرج إلى الحياة مولعا بالعلم ، منهوما بالثقافة ، مشغوفا بالمعرفة .

عكف على كتب المنفلوطى فقرأها قراءة متأنية ، إذ كانت هناك ثلاثة أجزاء أو أربعة مقررة على السنة الأولى الابتدائية ... فشعر بارتياح إلى أسلوب المنفلوطى ، وإنشاءاته التى تنطوى على رصيد ضخم ، وثراء هائل من القيم الشعورية والوجدانية ، ناهيك بالسخاء النفسى والأدبى ، لاحتوائها على ألوان مختلفة من أحداث الحياة مصوغة بأسلوب مشوق جذاب ، وأحداث رهيبة مسوّقة فى صياغة أدبية رائعة...

حقا : لقد كنا صغارا ونحن نقرأ « نظرات » المنفلوطى و « عبراته » ، فلا نملك أنفسنا من البكاء من شدة التأثر والانفعال .

كانت هذه « النظرات والعبرات » تسرد كثيرا من أحوال الحياة والأحياء ، فهذا موسرٌ غنىٌّ دهمته النوائب ، ونزلت به النوازل فتركته معوزا لا يكاد يجد قوت يومه .

وهذا آخر كان جوادا معطيا بالأمس فإذا هو يسأل الناس : أعطوه أو منعوه .

ثم ذاك الحبيب المخدوع الذى مَحَّضَ الود ، وأخلص البذل لمن يحب ثم كشفت له الأيام كم كان غرا وغافلا ... الخ .

هذا هو شأن الحياة ودولاب الأيام ؛ غنى يفتقر ، وفقير يصير غنيا ، محب مسئوم مملول ، وملول سائم محبوب ، ودواليك .

وارتحل عبدالمجيد إلى الأزهر ،وصحبه والده إليه .. حيث التقى بالشيخ تاج وتحدث إليه وأحسن الشيخ استقباله .

ثم اشترى له والده ـ رحمه الله ـ من حى الأزهر مجموعة من الكتب والمتون فى مختلف العلوم المقررة عليه آنذاك ، بلغ سعرها ـ وقتئذ ـ ستين قرشا صاغا ، فإذا عاد إلى بلدته لإجازة عكف بمكتبة بلدية طنطا ، يختلف إليها ليقرأ بنهم وشغف ، وفى هذه المكتبة قرأ « ماجدولين » للمنفلوطى ، واستدرجته القراءة إلى مؤلفات ومترجمات أخرى لغير المنفلوطى .. حتى صارت لديه حالة إدمان . وهو الإدمان المحمود المغبة ، الجميل العاقبة .. إدمان القراءة والبحث والدراسة .

واصل عبدالمجيد الدراسة بالأزهر حتى حصل على الثانوية ثم التحق بكلية دار العلوم وفيها تخرج .

وفى سنة أربع وستين وتسعمائة وألف للميلاد ١٩٦٤ كان فى الثانية والثلاثين من عمره تقريبا

ـ فتزوج ، وأعقب ولدا وبنتا .

ثم حصل على درجة الماجستير فى تحقيق التراث وأثره فى الأدب العربى من جامعة القاهرة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد ١٩٧٣ ، وكان سبق أن حصل على دبلوم فى التربية وعلم النفس سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف ١٩٦٣ ، ثم نال الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وألف .

ويعمل ـ حاليا ـ بمركز تحقيق التراث « بالهيئة المصرية العامة للكتاب » . كما يعمل أستاذا للدراسات العليا بآداب قنا ، والمنيا ، والمنوفية ، وقناة السويس . كما يعمل أستاذا زائرا بالبلاد العربية .

وهو عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بلجنة تحقيق التراث ، فضلا عن كونه خبيرا بمجمع اللغة العربية .

● ● ●

من أساتذته الكرام الذى ينطوى لهم على تقدير شديد وحب بالغ عميق فضيلة الشيخ عبدالحكيم سرور ، والأستاذ محمود شاكر ـ أطال الله عمره وشفاه وعافاه ـ والشيخ محمد حجاج ، والمرحوم محمد أبوالفضل إبراهيم .

● ● ●

أما عميد المحققين أستاذنا البحاثة إبراهيم الإبيارى ـ رحمه الله ـ فقد كان من كلينا (من الدكتور دياب والسيد الجميلى) مناط الثريا إذ كان يختص كُلا منا بحدْب وإشفاق ودفء أبوى خالص .

كان عبدالمجيد دياب من أخلص أحباء الإبيارى ، ولما لم يعقب أبناء ؛ فقد اتخذ من دياب إبنا له يحوطه برعايته ، ويتعهده بعنايته .

كان عبدالمجيد دياب بمثابة قطعة من كيان الإبيارى ، تسكن قلبه ووجدانه ، وأراد ـ رحمه الله ـ أن يكون قريبا منه مثوى وإقامة ؛ فاختار له شقة فى منيل الروضة حيث يسكن ليكون قريبا منه ؛ وحتى لا يكون بعد الدار الشطون داعيا لنزرة المزار .

كان الإبيارى آية من آيات الله فى التواضع والعلم والحلم ، ورقة الشعور ، وسهولة الطبيعة ، ورهافة الإحساس .... وكان ـ إلى ذلك ـ ، ـ رحمه الله ـ مهيبا ، وهذه المهابة تصنع مسافة واسعة وعميقة بينه وبين مريديه ، لكن المختارين يقربهم منه بكل مستطاعه بإذابة هذه المسافة .

وهذا ما حدا به إلى اجتذاب عبدالمجيد دياب الباحث الألمعى الموهوب ، فقد احتواه أستاذه الإبيارى عندما كان مديرا لإدارة التراث سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف ١٩٦٣ ، لما رأى فيه من طهارة ونظافة وإتقان .

لكن شيئا أصيلا ربط بين هذين المحققين الكبيرين .. ذلك هو تماثل أخلاقهما تماثلا عجيبا فإن من يرى عبدالمجيد دياب فى أريحيته ودماثة خلقه وطيب غراسه ـ يكاد يرى الأستاذ الإبيارى ـ رحمه الله ـ ، بما كان مفطورا عليه من العلم والتواضع والحياء .

ـ رحم الله ـ الإبيارى وأطال عمر صديقنا العبقرى الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب .. آمين آمين .

نشاطه العلمى والتأليفى والتحقيقى :

صنف وألف د . عبدالمجيد دياب كثيرا من الكتب التى تدل وتشهد على طول باعه ، وامتداد ذراعه فى عالم التحرير والتصنيف .

أهم هذه الكتب المؤلف الموضوعة :

ـ تحقيق التراث العربى ، منهجه وتطوره ، نشر دار المعارف سنة ١٩٩٢ م .
ـ أبو الطيب المتنبى ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ١١١ .
ـ أبو العلاء المعرى ، الزاهد المفترى عليه .
ـ خلاصة المتنبى ، شرح ودراسة ، دار سعاد الصباح سنة ١٩٩٢ م .

تحقيقـات :

١ ـ إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبدالباقى اليمانى . (مجلد طبع فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض سنة ١٩٨٦ م .) .
٢ ـ شرح ديوان المتنبى لأبى العلاء المعرى (أربعة مجلدات) .
ـ سلسلة ذخائر العرب رقم (٦٥) دار المعارف بمصر طبعة ثانية سنة ١٩٩٢ م .

٣ ـ تاريخ الأقباط . من خطط المقريزى .
٤ ـ ربيع الأبرار للزمخشرى . (خمسة مجلدات . نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب . مركز تحقيق التراث) .
٥ ـ تاريخ اليهود . من خطط المقريزى .
٦ ـ الأدب فى الدين ، المنسوب للقرافى ، كتاب اليوم ، العدد ٣٠٧ ، إبريل ١٩٩٠ م .
٧ ـ رسالة فى علم الموسيقا للصفدى بالاشتراك مع غطاس عبدالملك . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ م .

● ● ●

هذا جانب من نشاط الأستاذ الدكتــور عبدالمجيد دياب التحقيقى الذى قدمه للمكتبة الإسلامية والأدبية وغيره الكثير والكثير مما يدل على رسوخ قدمه وقوة أثره وتأثيره فى عالم اليوم العلمى والثقافى المشهود .

وللدكتور دياب نفس العقيدة التى كان يؤمن بها ويرددها دائما أستاذنا الإبيارى ـ رحمه الله ـ وقد قالها لى (صاحب هذه الدراسة) أكثر من مرة ، وهى : أن مجد التحقيق وازدهاره لن يعود أبدا إلا بعودة القسم الأدبى لدار الكتب المصرية إلى ما كان عليه من خالى مجده ، وسالــف ازدهاره .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أكرم مسئول أن ينفع به وبعلمه ، وأن يجعله من أهل الله الخلصاء الحنفاء المقبولين كفاء ما أعطى ولقاء ما قدَّم وسوَّغ من علم نافع ، أطال الله عمره وسدد خطوه وبارك خطواته ، وشكر سعيه وتقبل منا ومنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين .

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٤

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

هناك واقعة يرويها (الصولى) ، بقوله :

حدثنى على بن عيسى ، قال : كان البحترى معى جالساً ، فسلَّم علىَّ ابنٌ لعيسى بن المنصور ، فقال لى : من هذا ؟

قلت : هذا ابن عيسى بن منصور ، الذى يقول ابن الرومى فى أبيه :

يُقتِّـــرُ عيســـى على نفســـــــه   وليــس بــاقٍ ولا خالــــــــــدِ
فلـو يســــــــــتطيع لتقْتيــــــره   تَنَفُّــس من مَنْخَـــــــر واحـــد !

فقال لى : أُفٍّ وَتُفٍّ ! هذا من خاطر الجن ، لا من خاطر الإنس ، ووثب ومضى ..(١)

ونحن مع البحترى فى نسبة شعر الهجاء إلى إيعاز أو إيحاء الشياطين ، لأنه يتفق وطبائعهم الشريرة ، والشاعر – والحالة هذه – يصبح مطيَّة سهلة لهم ، إذا كان ضَعيف البصيرة .

★ ★ ★

وجاء فى (طبقات الشعراء) للجمحى ، أن الشاعر الفرزدق أتى الحسن البصرى ، فقال له : إنى هجوت إبليس ، فاسْمَعْ .. !

قال : لا حاجة لنا بما تقول . قال : لتسمعنّ أو لأخرجنّ فأقول: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس .. فقال الحسن :

ـ اسكتْ ، فإنك عن لسانه تنطق(٢) !

---

(١) انظر كتاب (نُقْل الأديب) للاستاذ محمد إسعاف النشاشيبى . ط دار ريحانى ببيروت ص ٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٩ .

ولعل الفرزدق كان يعنى قوله فى قصيدته :

ألا طالما قد بات يُوضع ناقتى ... أبو الجن ، إبليس ، بغير خطام
يظل يُمنِّينى على الرَّحْل داركا ... يكون ورائى مرة وأمامى
يُبشِّرنى أنْ لن أموت ، وأنه ... سَيُخلدنى فى جنة وسلام
فقلت له : هَلَّا أُخَيَّك(٣) أخرجت ... يمينُك من خُضْر البحور طوامى
رَمَيْتَ به فى اليَمِّ لما رأيته ... كفرقةِ طَوْدَىْ : يذبل وشمام(٤)
فلما تلاقَى فوقه الموج طاميا ... نكصْتَ .. ولم تحتل له بمرام

* * *

وآدم قد أخْرَجْتَه وهو ساكن ... وزوجته فى خير دار مُقام
وأقْسمت يا إبليس أنك ناصح ... له ، ولها .. إقْسَام غير أثام
فظلاً يخيطان الوِراق عليهما ... بأيديهما من أكل شَرٍّ طعام

* * *

وكم من قُرُونٍ قد أطاعوك ، أصبحوا ... أحاديث ، كانوا فى ظلال غمام
وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى ... رضاه ، ولا يقْتادُنى بزمام
سأجزيك من سوآت ما كنْت سُقْتنى ... إليه .. جُرُوحا فيك ذات كِلَام
تعيَّرها فى النار ، والنار تلتقى ... عليك بزقوم لها وضرام

وقد ذكر ابن إسحق أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما أَيِسَ من خير ثقيف ، انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلى ، فمر به النفر من الجن الذين ذكر الله – تعالى – : وهم فيما ذكر لى سبعة نفر من أهل (جن نصيبين) فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ، ولّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصَّ الله – تعالى – خبرهم عليه ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة الأحقاف)

---

(٣) يعنى فرعون الذى غرق فى اليم .

(٤) اسم جبلين .

ثم أنزل الله – تعالى – :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ، إلخ ، القصّة من خبرهم فى هذه السورة .

وذكر ابن إسحق – عن محمد بن كعب القرظى – قصة خروج النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى الطائف ، ودعائه إيَّاهم إلى الله – عز وجل – ، وإبائهم عليه ، فذكر القصة بطولها ، وفيها دعاء النبى – صلى الله عليه وسلم – : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهَوَانى على الناس ، ياأرحم الراحمين . أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى صديق قريب ملّكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بى غضبك ، أو يحل بى سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

قال : فلما انصرف عنهم ، بات بنخلة ، فقرأ تلك الليلة من القرآن ، فاستمعه الجن من أهل نصيبين »(١)

ومن هذا نعلم أن الشياطين كلهم أشرار ، أما الجن فمنهم المؤمنين الأخيار ، ومنهم الأشرار ، بدليل قوله تعالى فى سورة الجن على لسانهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ الجن – ١١

وهناك قصة طريفة ، رواها الجاحظ ، الذى لم يكن له من الوسامة أى نصيب ، ودمامته مشهورة معروفة ، يقول الجاحظ : – أخْجلتْنى امرأة أتتنى وأنا على باب دارى ، فقالت : – لى إليك حاجة .. وأريد أن تمشى معى . فقمت معها إلى أن أتتْ بى إلى صائغ يهودى ، فقالت له : – مثل هذا .. وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها ، فقال : إنها أتتْ إلىَّ بفصٍّ ، وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة الشيطان ، فقلت لها : – ياسِتِّى ! ما رأيت الشيطان .. فأتتْ بك !

أما الدكتور عبدالوهاب عزام ، فإنه قال تحت عنوان : (إبليس يهجر الأرض) ، بديوانه (المثانى) :

قال إبليس : يابنى هلمُّوا نَهْجر الأرض ، خيفة الإنسان
هو يصْلَى بناره ، وَسَيصْلى بلظاه قبائل الشيطان

وليت الشيطان (عملها) وهجر الأرض ، التى أصبحت تموج بشرور البشر ، الذين يحاولون إطْلاق (الذرَّة) من عقالها ، وأصبح الإنسان أظْلم لأخيه الإنسان ، فى عالمنا المعاصر من أى وقت مضى بما يأتى من صنوف البغى والقهر والعدوان ، ولعل الدكتور عزام ، رحمه الله ، كان يفكر فى هذا المعنى ، حينما صاغ بيتيه هذيْن .

(١) راجع فى مبسوطات السيرة النبوية – رحلته – عليه الصلاة والسلام – إلى الطائف ثم نخلة .

ونرى شاعر المهجر شكر الله الجَرّ ، يفخر بصداقته لإبليس بدون حياء ، وكأنه يقتفى أثر أبى نواس ، فيقول :

صديقـــى إبلـــيسٌ أديب مُعلـــمُ فصيـحٌ أنيـقُ الـــبثِّ لا يتلـــعثم
رقيـق حواشى النـفس عذب حديثـه ينفـــر طير الهمِّ غنِّـــى فأبسم
إذا ما اُلتـويت النظـم يومـا رأيتـه يزيِّـن لى المعنـى الجميـل فأنظـم
ويلهمنـــى ما ليس يلهـم شاعـــرا فَتَنهلُّ أضْواء ، وتـــرقص أنجم
يلازمنـــى كيـــف اتجهت ، كأنـــه لظلى ظل ، لا يملُّ ويسأم
إذا غازلت عينـى الجمـــال ، رأيتـــه تراقص مزهـــوًّا ، وراح يتـــمتم

إلا أن شكر الله الجر ، سرعان ما يبدى الندم على مدحه لإبليس ، والافتخار بصداقته له ، حينما يقول فى أبيات أخرى ، واصفا شروره ، وكيفية نفاذه إلى نفوس البشر ، عن طريق الحسد والحقد والطمع ، بقوله :

ثلاثـــة أولاد لإبلـــيس لن تزل تعـبث بهذا الكـون شرا وطغيانـــا
فأولهم يدعونـــه « الحسد » الـــذى يشيـع الأذى فى النـاس زورا وبهتانـا
وثـانيهم « الحقـد » الـذى يحفـز الـورى إلى القتـل والتـدمير .. شيبـا وشبانـا
وثالثهـم قالـوا هو « الطمـع » الـذى يؤجـج حربـا فى الشعـوب وعدوانـا

ويبدو أنه لم يكرهه بإخلاص ـ والله أعلم ـ فإن شعره هذا لا يرقى إلى مستوى رفيع .

***

وللعقاد قصيدة تحمل عنوان : « سباق الشياطين » يجرى إبليس فيها مسابقة بين أعوانه وأتباعه ، ويجعل جائزة كبرى ، لمن يفوز منهم بقصب السَّبْق ، فى الإغواء والتضليل ، واشترك فى هذه المسابقة سبعة من الشياطين ، هم ، شياطين : الكبرياء ، والحسد ، واليأس ، والنوم ، والحب ، والكسل ، والرياء على الترتيب .. وأخيرا ، يظفر شيطان (الرياء) بالجائزة ! إلا أنه رأى شيطان الرياء ـ انطلاقا من طبيعته ونفاقه ، رفض قبول الجائزة ، الأمر الذى حدا بإبليس اللعين ، أن يقول له :

أَوَ تأباهـــا ، ولـــولاك الـــجلى غَيْـــهب الأرض فكـــانت كالنـــعيم
دونك الدنيـــا اتَّخِذْهـــا منـــزلا وَتَـــولَّ اليـــومَ أبـــواب الجحيم !

* * *

من سلسلة كراسات استراتيجية

الأصولية الإسلامية في الإعلام الغربي

تأليف : دكتورة ألفت حسن أغا

عرض وتقديم : عثمان الجوهرى

في الواقع أننا أمام دراسة جادة أردنا مخلصين عرض ملخص واف لها هنا فى – مجلة الأزهر لعلها تحرك المياه لتجرى صافية آخذة معها كل الشوائب .

علينا أن نبدأ خطة إعلامية واقعية مدروسة بذكاء ذات نفس طويل نتعلم منهم ونتسلح بنفس أسلحتهم ونزيد عليه شعاع الدين الحق الساطع دائمًا بإذن الله ـ تعالى ـ .. لا من أجل ظلم وبغى ، بل إنصافًا لدين حنيف مفترى عليه من الغرب ، بل ومن بعض أبنائه الذين جرفهم التيار بعيدًا عن ساحة سماحة الإسلام وعظمته .

ونحن العرب – والحمد لله – لا ينقصنا المال ولا الخبراء المخلصين من الرجال .

(*) همت إدارة التحرير بالمجلة أن تعلق على هذه الكلمة ، وإذا صاحبة البحث مدركة لخطأ الغرب فى استخدام هذه الكلمة ، وقد قامت بالتعليق عليها ، وساق العارض تعليقها .... (مجلة الأزهر) .

من المؤكد أن ظاهرة التطرف والعنف السياسى لا تقتصر على البلدان الإسلامية وحدها بل إنها تمثل ظاهرة عالمية - وخاصة بعد نهاية حقبة الحرب الباردة - فقد زاد انتشار هذه النزعات المتطرفة ، وجاء معها الصراع العرقى والقومى والدينى ، وكل هذا ماهو إلا تجسيد لأحد مظاهر النزعات المتعارضة فى فترة انتقال من نظام عالمى تتقاسمه قوتان عظيمتان إلى نظام عالمى ذو قطب واحد هو النظام العالمى الجديد ..

من هنا حظيت ظاهرة العنف [لدى بعض المسلمين] بالذات باهتمام خاص من جانب وسائل الإعلام المختلفة ومراكز الأبحاث وتشكيل الرأى العام فى المجتمعات الغربية لإعداد الدراسات - المتحيزة والمتحاملة على الدين الإسلامى بالطبع - لتكون فى متناول يد صناع القرار السياسى فى تلك الدول الغربية ، وقد يبدو هذا مفهوماً بقدر ما تبدو حركات العنف التى تصف نفسها بالإسلامية مناوئة لمنظومة القيم الغربية وأيضاً بقدر ما تطرح على الساحة من تيارات الإحياء الإسلامى أو الإسلام السياسى ، وتنطلق تلك الحركات من مبررات تعكس فى نهاية المطاف عدم القدرة على التأقلم الإيجابى الفعال ، وبناء أسس الاندماج المتكافىء فى المنظومة العالمية ، غير أن المسلمين فى عيون الغرب يظهرون أحيانا كتلة صماء ومتهمون بالتطرف والإرهاب برغم أن بعض الأصوات الغربية - رغم قِلَّتها - تتسم بالموضوعية تدرك وتفهم مدى تشوه هذا التصور وزيفه ، لأن هذا التصور خاطىء عن قصد وجهل فى أغلب الأحيان ؛ وإذا كان الغرب فى عيون المسلمين كتلة صماء أيضاً إليها ترجع معاناة المسلمين من التخلف والتبعية والمعاناة من الكيل بمكيالين وغير ذلك من الشرور والآثام .

إن الضرورة تقتضى بذل جهد مضاعف متبادل لتصحيح صورة كل طرف لدى الآخر ليتواصل الحوار الحضارى والثقافى ولتعميق روح الاحترام والتفهم العميق ؛ وذلك يتطلب بطبيعة الحال إبراز وجه السماحة فى الإسلام وغيره من الأديان وتصفية الأسباب التى تولد التطرف لدى بعض المسلمين وأيضاً غيرهم .

إن هذا الموضوع الشائك لم يشهد التاريخ الأوروبى مثله منذ العصور الوسطى بحروبها الصليبية بمعنى أنه لم تحدث دراسة منصفة تتناول الإسلام بعيدًا عن الإطار الذى تفرضه المصالح السياسية والمنافع الاقتصادية إلى جانب التحيزات المسبقة ؛ فقد ساد اعتقاد خاطىء لدى الغرب بأن الإسلام دين شيطانى مغلف بالردة والكفر والغموض - سبحان الله وتعالى عما يصفون - ولم يعرف العرب ولا المسلمين فى العصر الحديث إلا موردين للنفط ذلك الذهب الأسود ، وأيضاً مصدرين للإرهاب ، وسوقاً هائلة لتصريف منتجات الغرب .. وبذلك أبعدوا الإسلام عن أبعاده الإنسانية السامية التى تميز الدين والحياة فى العالمين العربى والإسلامى .

ضغط إعلامى

وهناك ضغط إعلامى مكثف وبذكاء - تعرضت له الباحثة فى كراستها - حيث هناك ضغوط إعلامية غربية مستمرة تصف الإسلام بالتطرف والعنف ، ويلتزم الإعلام الغربى مفاهيم مسبقة ظالمة ويقدمها - بهذا الشكل - إلى صانعى

القرار السياسى إلى جانب ما يصحب ذلك من خلق صورة إعلامية مشوهة يتم ترسيخها - باستمرار وبخبث نادر - فى الثقافة الغربية وبالتالى يتم ترويجها جماهيرياً ، وبذلك أضحى الإسلام الحنيف هدفًا لوسائل الإعلام الغربى مما يخلق إجماعا مريبًا على أن الإسلام يمثل تهديدًا للحضارة الغربية وصار بديلاً عن الخطر الأحمر فى فترة الحرب الباردة - ألا وهى الشيوعية - بل صاروا يسمون الإسلام بالخطر الأخضر بل وصَفُوهُ - لا سامحهم الله - بأنه السرطان الذى ينتشر حول العالم مهددًا شرعية القيم الغربية وبذلك اعتبروه العدو الطبيعى للغرب .

ولعل افتقاد العالم الإسلامى إلى وكالات أنباء قوية ومتطورة وذات شبكات دولية ويقابل هذا النقص عند العالم العربى والإسلامى توافر سيادة الوكالات الغربية فى هذه التغطية المتجنية على العالم الإسلامى فى الغرب ، وقد ساهمت عدة عوامل فى تحقيق هذه الأغراض الظالمة ، والتغطية المشوهة والمتحيزة مثل : رواسب الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وسيطرة الامبراطورية العثمانية على مساحات واسعة من أُوروبا الشرقية التى استمرت إلى فترة الحرب العالمية الأولى .

وأيضاً يساهم فى ذلك الضغط الإعلامى تلك الرسائل الإعلامية السلبية التى ترسلها بعض الشعوب الإسلامية نفسها مثل : ظاهرة خطف الطائرات [التى كانت فى مرحلة ما من مراحل النضال الفلسطينى لاسترداد أرضه ونسوا أنها دفاع عن وطن سليب] وتتم عادة معالجة مثل هذه الأمور بشكل يتسم بسوء الفهم وسوء النية معًا ، ولا بأس من التضخيم المبالغ فيه مع أن الفهم الصحيح والتحليل العميق للمعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية من الأمور الهامة لدى واضعى أساس الاستراتيجية الإعلامية بقصد المواجهة ، وعلى أمل اختراق الإعلام الغربى وإقامة حوار بنّاء للتأثير على العقلية الغربية ولتصحيح الصورة المتطرفة للإسلام والمسلمين لدى الغربيين .

لذلك ينبغى أن يتم إبراز التعاليم الحقيقية للإسلام الحنيف ودعم دور وسائل الإعلام والمراكز الثقافية للبلدان الإسلامية حتى يواجه الإسلام ذلك التحدى الحضارى بخطـــاب حضارى متماسك ليقضى على الكراهية المتزايدة فى العالم الغربى ويعالج فى نفس الوقت التفسير الخاطىء والمتحيز للتطورات مع العالم الإسلامى ، والذى يقع على المسلمين عبء كشف هذا وتصحيح صورته الراهنة .. حيث يتعرض الإسلام إلى تعميمات ظالمة حول جماعات اجتماعية أو إطلاق صفات خاطئة يتم إلصاقها بكل أعضاء جماعة بعينها بغض النظر عن الاختلافات التى توجد بالضرورة بينهم [ولا شك ان عدم الاهتمام بهذه الاختلافات وتضخيمها] .. ومما لا شك فيه أن القوالب الثقافية العامة واختيار وسائل الإعلام الإخبارية للصور والكلمات مع حذف بعض المعلومات والنتائج المحتملة للاحتكار وخاضعة للمفاهيم المسبقة تتكاتف كل هذه العوامل لتخلق لنا فى النهاية انحرافات حادة فى الرؤية وبالرغم من وجود شبكات المخابرات الواسعة فإنه لا بأس لدى صانعى القرار السياسى من أن يأخذوا الكثير من المعلومات ويشكلوا آراءهم - وبالتالى - قراراتهم بناء على الرسائل التى تبثها وسائل

الإعلام الغربية والتى تحمل بدوروها ضغوطًا متعددة من أجل قبول هذه القوالب والتسليم بسهولة بها .

وينبغى علينا فى العالم الإسلامى ألاّ نتجاهل القوة الهائلة التى تتمتع بها وسائل الإعلام الحديثة ، فى تشكيل رؤية وإدراك الأفراد والشعوب المنتمية إلى ثقافات مختلفة ، ولا يخفى ماتقدمه وسائل الإعلام الغربى من تحريف متعمد وتهميش مقصود لكل ما يتصل بالعالم الإسلامى والعربى .

التغطية الإعلامية

تواصل الباحثة فى دراستها القيمة والمختصرة حديثها عن القنوات الأساسية للجهاز الثقافى الذى ينقل صورة الإسلام إلى الأوروبيين والأمريكيين تتضمن شبكات الإذاعة والتليفزيون والصحف اليومية وتشكل هذه الآلة الإعلامية الجبارة مصدرًا لتفسيرات وتقديم صورة للإسلام - كما يريدون هم - تعكس بغير شك المصالح القوية لهم فى الغرب والذى تسعى لخدمته وسائل الإعلام بشكل ذكى وبنفس طويل لا يعرف الارتجال ولا التهادن .

إن الصورة الإعلامية المشوهة للمسلمين والإسلام والتى يتم تأصيلها وترسيخها فى مفاهيم الغرب وترويجها وتوصيلها للجماهير الذين يقومون بدورهم بنقلها إلى عدد آخر من الجماهير المتلقية وتتدفق هذه المعلومات المضللة عن العرب والمسلمين إلى جماهير الغرب من خلال هذا السيل الإعلامى الذى صار لا يتوقف فى ليل أو نهار .. حتى الرسوم الكاريكاتيرية تستخدم كذلك فى تشويه الصورة الإسلامية بكل قوة وبكل قسوة وهذا بدوره يخلق انطباعاً سيئاً لدى المتلقى بأن كل المسلمين « إرهابيون » وأن كل العرب « همج » فى حين هناك أعضاء عصابات فى الغرب مثل : عصابة باداراماينهوف لا يتم توصيفهم باعتبار أنهم « إرهابيين مسيحيين » وهناك العشرات من هذه العصابات فى كثير من دول أوروبا .

ويتصور الناس فى الغرب ومجتمعات أوروبا وأمريكا أن الإسلام دائماً هو خطر قائم يواجه الغرب .. ولعل ذلك راجع لأن العالم الإسلامى - بتكاسله وارتجاله - لا يتمتع بالتغطية الإعلامية الكافية الموضوعية والمنصفة فى وسائل الإعلام الغربية .. وتشكل المشكلات اللغوية وغياب وكالات الأنباء الإسلامية المتطورة ذات الشبكات الدولية الواسعة ، وأيضاً تحامل المراسلين الأجانب وتصوير العالم الإسلامى فى الغرب بشكل مخل وظالم وبعيد عن الحقيقة .

* * *

وفى مقال نشرته مجلة « الفورين أفيرز » للكاتب صمويل هانتنجتون قال :

ـ إن الصراع الإسلامى الغربى سيصبح جزءًا أساسياً من السياسة الدولية ونجد صدام الحضارات يصنع تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات السلمى محل الحرب الباردة والمعارك الأيديولوجية .

وهناك فريق آخر يرى أن العلمانية المتطرفة كانت من العوامل الأساسية وراء ظهور مصطلح « الأصولية » كرد فعل ؛ وتعد رؤية هانتنجتون بأن الخطر القادم يأتى من العالم الإسلامى ولم يقدم أدلة كافية لهذا الزعم وحتى بدون مناقشة الاتجاه الغربى البديل الذى يرى أن اعتبار الإسلام عدوا

للغرب يهدد مصالحه ، هو مبالغة وتحريف لطبيعة الإسلام بل وإنكار للحقائق الأساسية للعالم الإسلامى وعلاقاته المختلفة بالغرب .

تعبيـــر الأصوليـــة

ورغم أن تعبير الأصولية غير ملائم بإضافته إلى الإسلام إلا أنه واسع الانتشار والتاريخ يؤكد أن لفظ الأصولية كان يطلق على البروتستانتية الأمريكية لوصف الظاهرة التى شاعت نتيجة سلسلة من الكراسات الدعائية التى تسمى « الأصولية » والتى نشرت لأول مرة فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٠م ولقد استخدم هذا التعبير بعد ذلك فى دول أخرى كبيرة بروتستانتية كإشارة إلى جماعات معينة قد انحرفت عن اتجاه الكنائس الرئيسية وهذا الاتجاه رفض تحديد الفكر الدينى ونقد الإنجيل وتأليه النص الإنجيلى .

● وفى كتاب « التهديد الإسلامى أسطورة أم حقيقة » حاول مؤلفه « جور أسبوزيتو » تحليل مصطلح الأصولية الإسلامية واعتبره مصطلحاً يدل على التمركز حول الذات حيث ترجع كلمة « أصولى » إلى المراقبين غير المسلمين الذين يصفون الحركات السياسية فى العالم الإسلامى المعاصر بمصطلحات وتعبيرات تنبع فى الأساس من التجربة الغربية ، ذاتها وهذا المصطلح الذى يطلق فى العالم الإسلامى مضلل وغير دقيق بل وغير إنسانى أيضاً .

لقد بدأت كلمة الأصولية تكتسب معنى محددا فقد جمع « مشروع الأصولية » الذى أقيم فى مدرسة اللاهوت « بجامعة شيكاغو » وضم عددا كبيرا من الأكاديميين من كافة أنحاء العالم ذوى تخصصات متنوعة ووجهات نظر مختلفة ، فقد كان هناك إجماع على ماهية الحركات الأصولية وأسباب ظهورها بهذه القوة فى نهاية القرن العشرين ، وقد تم جمع هذه المناقشات فى ست مجلدات ضخمة .. وهناك قدر من الاتفاق بين الخبراء حول ظاهرة الإحياء الدينى الجديدة التى من أهمها :

● سقوط الماركسية وإخفاق الحكومات الوطنية فى الوفاء بالوعود التى أعلنتها بعد الاستقلال .

إرشـــادات للغـــرب !

□ ونواصل التقليب فى صفحات هذه الدراسة الاستراتيجية المركزة فنقرأ مثلاً :

ـ مقالاً كتبته الباحثة « جوديث ميللر » قالت فيه : إن هؤلاء الذين يوقنون بحقوق الإنسان العالمية وخاصة حقوق المرأة والحكومات الديمقراطية والتسامح والتعددية السياسية والسلام بين العرب وإسرائيل لا يمكن لهم أن يتهاونوا بشأن القوة المتزايدة لحركات العنف الإسلامية –!!– فى معظم دول الشرق الأوسط .

بل نجد الباحثة الغربية « جوديث ميللر » تدعو الحكومات الغربية إلى الاهتمام بهذه الحركات بل بضرورة محاربتها لأن التزام الحركات الإسلامية الجهادية ، بالديمقراطية والتعددية هى مجرد التزام خطابى ، ولأن هذه الحركات معادية للغرب ومعادية لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل .. وهناك من يقول : إن هدف الأصولية الإسلامية هو شن الجهاد المقدس ضد الغرب وإن كان هذا

يعتبر قولا بغير معنى – ويدعو هؤلاء إلى ضرورة مواجهة هذه الحركات التى هى – فى نظرهم – تقوم على أساس كراهية الغرب وما يمثله من قيم .. وإن كان المنطق يقتضى ألا يتحيز الغرب مسبقاً ضد الإسلام ويعتبره العدو الجديد .. فظاهرة الأصولية الإسلامية قد اتخذت العديد من الأشكال وليست كلها قادرة على إلحاق الضرر بالغرب .

الخطـــر الأخضـــر

ـ يشير «ليون هادار» فى مقال له بنفس العنوان «أى خطر أخضر ؟» يشير إلى أنه بعيداً عن كونه إذا نظر إليه – أى الإسلام – كقوة موحدة يكاد يصل ثانية إلى أبواب فيينا أو شواطىء أسبانيا ، فإن الإسلام حالياً فى حالة دفاع عن النفس ضد الأصولية المتطرفة المعادية للإسلام ففى يوجوسلافيا السابقة مثلا – هناك شعب « البوسنة والهرسك » وكوزوفو المسلم العلمانى المنتمى إلى الحضارة الغربية مهدد بالفناء على يد الصرب الذين لهم صلة وثيقة بالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية من أجل محاصرة انتشار الإسلام وامتداده إلى قلب أوروبا . وفى فرنسا والمانيا وغيرهما من الدول الأوروبية تحاول الجماعات الإرهابية العنصرية عندهم ويسعى النازيون الجدد إلى طرد العديد من المهاجرين المسلمين بكل عنف ولا يريدون أن يطلقوا عليهم الإرهاب المسيحى . وفى كتاب جون اسبوزيتو «التهديد الإسلامى» أسطورة أم حقيقة : يرى أنه لو استمرت القوى الغربية فى المساندة والدفاع عن الوضع الحاكم القائم غير العادل فى منطقة الشرق الأوسط بحجة الدفاع عن استقرار وهمى فهنا سيصبح الإسلام تهديداً أما إذا بدأت القوى الغربية فى الاعتراف بالمطالب العربية الشرعية فى الشرق الأوسط فقد تتحول الحركات الإسلامية إلى شركاء فى إقامة نظام عالمى أكثر عدلاً وأن الحركات الإسلامية يجب أن تأخذ فرصتها فى النجاح أو الفشل .

وتأتى فى نهاية هذه الدراسة بعض الإرشادات التى قدمها لنا غسان سلامة منها :

ـ يجب على الحكومات الغربية أن تسعى لمعرفة ما هى هذه الجماعات وماذا تفعل ؟ فالنظر إلى كل الجماعات الإسلامية باعتبارها التهديد الوحيد للمصالح الغربية ، وليس من العدل أن ينطوى على تجاهل للاختلافات المتعددة الموجودة بين الإسلاميين أنفسهم .

ـ ينبغى على الغرب تشجيع الأنظمة الحالية على دمج القوى الإسلامية المعتدلة تدريجياً فى السلطة ولا يمكن الاستمرار فى تجاهل ذلك التيار الأيديولوجى الإسلامى .

ـ إن المعايير المزدوجة للغرب وسياسة التدخل العسكرى والتركيز على الجانب الأمنى فى التوجه الغربى نحو العالم الإسلامى قد تدفع بدون شك إلى وصول الإسلاميين إلى السلطة .

الرد المطـــلوب

إن الأخطار التى يواجهها العالم الإسلامى عموماً تغذيها الدعاية الصهيونية وتدفعها المصالح الاقتصادية الضخمة ، ولذلك على العالم العربى والاسلامى أن يضع خطة مواجهة استراتيجية لتوضيح حقائق الإسلام الحنيف وروحه السمحة .

ـ لا بد من إبراز تعاليم الإسلام الحقيقية وأسسه الأخلاقية مع التركيز على قيم الحق والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية ، ويجب نشر كل هذه الصور العظيمة فى مختلف صور أجهزة الإعلام الغربية من أجل خلق فهم أفضل للإسلام وقيمه النبيلة .

ـ يجب مراجعة بعض المسلمات الغربية عن الإسلام كالتغنى بغياب الديمقراطية ، وربط الإسلام بالعنف والإرهاب مع البُعد عن صب القوالب التى تشوه صورة الإسلام والمسلمين التى تمثل انتهاكاً مباشراً لحقوق الإنسان وأيضاً تمثل أساساً عائقاً يمنع إقامة الحوار مع الغرب .

ـ لا مجال للشك فى أن هناك حاجة ماسة لكشف حقيقة الإسلام وجوهره مع امتلاك القدرة على إبراز هذه الحقائق ونشرها وهذه مهمة ملحة وحاسمة تواجه المسلمين للقضاء على الصور المشوهة السائدة عن الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية وإتهام هذا الإعلام للدين الإسلامى بأنه دين الفوضى والوحشية والغموض .

ـ على علماء الإسلام أن يصححوا هذه الصور بنشر المبادىء والأسس الحقيقية للإسلام حتى لا يستمر الإعلام فى التشويه الدائم للإسلام وتقديمه للمواطن فى الغرب بشكل يوجد العداء بين الغرب والإسلام .

ـ يعتبر الفهم والتحليل الدقيق للمعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية نقطة البداية كأساس لاستراتيجية إعلامية للمواجهة ، ولتستطيع اختراق الإعلام الغربى ولإقامة حوار للتأثير على العقلية الغربية وليكن هذا من خلال وسائل إعلامية إسلامية – لحماً ودماً – من : صحف ووكالات أنباء قوية وتليفزيون .

ـ هناك منظمة الإذاعات الإسلامية والمراكز الثقافية الإسلامية ومعها الشخصيات الإسلامية المعروفة كل واحد فى مجاله : السياسى والفلسفى والمهنى، الكل عليهم أن يتحركوا للدفاع عن القضية الإسلامية ومعهم السفارات الإسلامية فى تلك الدول الغربية ، والكل يتعاون فى إخلاص لبذل الجهد اللازم لمواجهة تلك الموجات العدوانية الشرسة ضد الإسلام سواء على المستوى الشعبى أو الرسمى .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

والكاتب القارىء عزيز على المجلة، وترجو المجلة كذلك ومحرروها جميعا أن يقدموا له أرفع ثقافة فى الدين والأدب والحياة . كذلك تود المجلة من القارىء الذى يرنو إلى الكتابة فى هذا الباب أن يتخير الموضوعات التى تتسم بالطرافة والجدة وتحمل مضمونا فريدًا فى بابه ، وبالجملة لاتكون مطروقة بشكل يقضى على عنصر الجاذبية لها .

ولقد لاحظنا – مع كل تقديرنا لمكاتبينا فى هذا الباب – أنهم يتحدثون عن موضوعات مطروقة بشكل كثيف ، كما أن بعض الموضوعات التى يتحدثون فيها هى من صميم واجب المجلة ، ويندر أن تتركها ؛ بل تقدمها بأقلام المختصين .

لقد وردت للمجلة كلمات لو أن جوانبًا منها ، عولجت مستقلة بعيدة عن عنوانها العام لجذبت فكر القارىء قبل عينيه ، فلو أن الكاتب اختار موضوعا حول إحدى العالمات المسلمات ، وقدم عنها سجلاً حافلاً عن مؤلفاتها ومنهجها وما قدمت من ذخيرة علمية فذة لكان خيرا له من الكتابة بعنوان « تعليم المرأة » فإن تعليم المرأة ليس محل نزاع .

ولسنا نريد أن نطرق الأمثلة من هذا اللون بكثرة لكنا نرجو أن يتعاون معنا كتاب هذا الباب ، فيتصيدوا الخواطر الطيبة من مطالعاتهم المختلفة فى اللغة والدين والتاريخ والأدب وغيرها مما يجعل من هذا الباب باقة تتنسمها بشوق عيون القارىء . والله الهادى إلى سواء السبيل .

تحذير المقنطين من رحمة رب العالمين

جاءت رسالة القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة - سنجرج - منوف :

ـ تحمل هذا العنوان : [تحذير المُقَنِّطين من رحمة رب العالمين] .

□ يقول فيها :

ـ قال تعالى :

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾

[سورة الزمر - ٥٣]

فكما أن من الناس يَقْنُطُ من رحمة الله فمنهم أيضاً من يُقنِّط من رحمةِ الله .

ـ فعن جندب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَدَّث : « أنَّ رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذى يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلانٍ ، فإنى قد غفرتُ لفلانٍ وأحبطتُ عملك »

[رواه مسلم والطبرانى فى المعجم الكبير]

وعن أبى هريرة قال : مرَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، فأتاه جبريل فقال إن الله يقول لك : لِمَ تُقنِّط عبادى ؟ قال : فرجع إليهم . فقال سددوا وأبشروا »

[رواه ابن حبان - موارد الظمآن - وقال إسناده حسن صحيح]

وعن أبى هريرة : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كان رجلان فى بنى إسرائيل مُتواخِيين ، فكان أحدُهُما يُذْنِبُ والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزل المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أُقصر فوجده يوماً على ذَنْب فقال له : أقصر فقال : خلنى ورَبى أبعثت عليَّ رقيبًا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك أو لا يُدخلك الله الجنة ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالماً ؟ أو كنت على ما فى يدى قادراً ؟ وقال للمُذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

« فقال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لتكلم بكلمةٍ أوبَقَت دنياه وآخرته »

رواه أبو داود « حسن »

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .

ردود سريعة

*** القارىء : على حمدون أحمد محمود ـ كفر الشيخ ـ دسوق ـ العجوزين ـ عزبة عون .**

يمكنك الاتصال بإدارة التوريدات ، فهى الجهة الوحيدة التى يرد إليها ما قد يعود من أعداد مجلة الأزهر من السوق .

*** القارىء : محمد أحمد البنا ـ محافظة البحيرة ـ مركز ادكو شارع البساتين .**

*** القارىء : جمعة شعبان أحمد غريانى .**

وردت بعض أحاديث غير مخرجة فيما أرسلتما من موضوعات بعنوان : « الحق » ، « الصداقة مفتاح السعادة » . نرجو سرعة موافاتنا بمراجع هذه الأحاديث حتى نتمكن من نشرها .

*** القارىء : أحمد عبدالكريم البسيونى ـ كلية اللغة العربية ـ إيتاى البارود .**

مساهمتك جيدة ، نشكرك ، وننتظر مساهمة أكثر استفاضة .

القارىء : محمود فوزى غانم
قرية دراجيل - مركز الشهداء - المنوفية

اقترحتم تخصيص مساحة فى كل عدد للتعريف بدولة من دول العالم الاسلامى ، من حيث : الموقع - عدد السكان - أهم المدن - اللغة السائدة - إلخ

وهو اقتراح طيب . وننتظر مساهمتك فى هذا الشأن .

القارىء : مصطفى كمال عيسى
اسيوط - موشا

نرحب بكل ما ترسل به إلى المجلة من أفكار جيدة ومقالات نافعة . وسينشر منها - بإذن الله تعالى - ما تراه إدارة التحرير صالحاً للنشر .

القارىء : مصطفى فولى موسى خليل - المنيا - دروه - أم برق .

نشكر لكم اهتمامكم ومتابعتكم لما ينشر بباب المجلة قارىء .

وقد وقع خطأ مطبعى فيما نشر تحت عنوان «الإمام النووى» حيث نشر أن الإمام النووى ولد فى سنة ٣٦١ هـ وصحته ٦٣١ هـ
شكراً لتصحيحكم

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى
• مصطفى عبد المجيد

الإمــــام الأكبـــر فى باكســـتان

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لدولتى باكستان والهند فى الفترة من ١ ـ ١٠ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ١٤ ـ ٢٤ من أكتوبر ١٩٩٦، وذلك تلبية للدعوة الموجهة لفضيلته من حكومتى الدولتين ، وذلك فى إطار توثيق العلاقات والصلات المشتركة بينهما وبين الأزهر الشريف فى المجالات الثقافية والدينية والتعليمية .

وصل فضيلة الإمام الأكبر إلى كراتشى يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٩٦ ، حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق له السيد/ كمال أظفر محافظ إقليم السند والسفير المصرى محمد نعمان جلال وكبار المسئولين وأعضاء البعثة الأزهرية ورئيس جمعية الصداقة الباكستانية .

وفى بداية الزيارة قام فضيلته بزيارة ضريح القائد الأعظم/ محمد على جناح مؤسس دولة باكستان .

ثم قام فضيلته بزيارة لجامعة كراتشى وعقد لقاء مع القائمين على إدارتها حيث ألقى كلمة أكد فيها على ضرورة استمرار التعاون بين الجامعة وجامعة الأزهر فى مختلف المجالات الدينية والثقافية ، ثم زار فضيلته بعد ذلك رئيس إقليم السند حيث التقى بعلماء ومشايخ الإقليم ، والتقى فضيلته بعد ذلك بالسيد محافظ الإقليم الذى أشاد بدور الأزهر الشريف فى شتى بقاع الأرض . وفى رئاسة مجلس الوزراء تم بحث دعم التعاون بين الأزهر وباكستان فى المجالات الثقافية والدينية .

وفى الهنـــــد

ثم قام فضيلته بزيارة لدولة الهند حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق السفيرة جيلان علام سفيرة مصر فى الهند وأعضاء السفارة .

والتقى فضيلته خلال الزيارة بالسيد إديث جاودا رئيس الوزراء الهندى ، كذلك التقى فضيلته بلفيف من أساتذة الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهى والدارسين بها كما التقى فضيلته بمجموعة من الكتاب والمثقفين والمفكرين الذين يمثلون مختلف القيادات الثقافية فى الهند .

.. ومع رئيس وزراء تركيا

● سبق أن استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبة معالى السيد نجم الدين أربكان رئيس وزراء تركيا والوفد المرافق لسيادته والمهندس ماهر

أباظة وزير الكهرباء والطاقة رئيس بعثة الشرف المرافقه للضيف .

دار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز للأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته وعلمائه العاملين فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد نقل الضيف الكبير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة الرئيس سليمان ديميريل رئيس تركيا وطلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة البعثات والمنح الدراسية لأبناء دولة تركيا للدراسة بمعاهد وكليات الأزهر الشريف . ووعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الطلبات التى تقدم بها الضيف الكبير مشيرا إلى أن مصر ترحب بأبناء تركيا

حضر اللقاء فضيلة الاستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وسعادة سفير تركيا فى القاهرة ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والأوقاف .

ومع مبعـوث السـنغال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبة معالى السيد/ مختار عبده ضيوف نجل فخامة الرئيس السنغالى عبده ضيوف يرافقه المهندس حاتم أبو العينين من المقاولين العرب .

دار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز للأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع خاصة دولة السنغال ، وشكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر فى هذا المجال . وقد حمَّل فضيلة الإمام الأكبر الضيف تحياته لفخامة رئيس دولة السنغال .

ووزير التعليم بمالديف

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبة معالى الوزير محمد لطيف وزير التعليم بدولة المالديف وفى بداية اللقاء نقل السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر فخامة رئيس المالديف مأمون عبدالقيوم على ما يقدمه الأزهر الشريف وبعثته بالمالديف من نشر للدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء دولة المالديف للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة . وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الطلبات التى تقدم بها الضيف تمهيدا لتلبيتها .

اجتماع فضيلته بمديرى المناطق الأزهرية

● رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع مديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية حيث تقرر فى هذا الاجتماع ما يلى :

أولا : إعادة توزيع درجات حفظ « القرآن الكريم » على مراحل التعليم بالأزهر ووضع الضوابط اللازمة لأداء الامتحان حيث تقرر أن يكون الامتحان شفهيا من الصف الأول الابتدائى وحتى الصف الثالث من نفس المرحلة ، ثم يكون تحريريا وشفهيا من الصف الرابع الابتدائى وحتى نهاية المرحلة الثانوية ، وأن يتم توزيع الدرجات بالامتحان على النحو التالى : ٦٠٪ للمقرر فى نفس العام ، ٢٠٪ لمنهج السنة السابقة ، ٢٠٪ من مقرر السنوات السابقة(فيما تم حفظه) .

ثانيا : العمل على تلافى السلبيات التى ظهرت خلال العام الماضى وكيفية علاجها للوصول إلى

أفضل المستويات فى الأداء .

ثالثا : التأكيد على العناية الفائقة بتحفيظ « القرآن الكريم » على مختلف المراحل الدراسية ، وجدية الامتحانات الشهرية شفهيا وتحريريا ، وإسناد عملية التحفيظ لذوى القدرة السليمة والفائقة من أرباب المعاشات الحافظين لكتاب « الله تعالى » .

مع التأكيد على ضرورة العناية بالاختبارات الشهرية لجميع المواد الدراسية وامتحان نصف العام ، وإطلاع أولياء الأمور على نتائج تلك الاختبارات والتثبت من علم أولياء الأمور بمستوى الطلاب العلمى .

وقد تابع فضيلة الإمام الأكبر من خلال التقارير المعروضة سير العملية التعليمية من حيث توزيع الكتب الدراسية ، وتدبير هيئات التدريس اللازمة لكل منطقة وسد العجز بالانتداب فى التخصصات التى بها عجز .

وحث فضيلته القائمين بالعملية التعليمية على مراعاة الدقة فى التقارير الفنية للسادة العاملين بالمعاهد تأكيدا لمبدأ الثواب والعقاب وإعطاء كل ذى حق حقه .

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمستشارين للمواد الثقافية والدينية بقطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على مدير عام العلاقات العامة بالأزهر الشريف .

مع علماء العالم الاسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى الذين أتموا دورتهم التدريبية وعددهم ٣٢ إماما وواعظا من دول : الصين ، النيجر ، الكاميرون ، اندونيسيا .

وقد وجه فضيلته فى هذا الحفل كلمة تناول فيها بالشرح والتوضيح واجبات الأئمة والوعاظ فى تناول القضايا التى تهم المسلمين فى البلدان غير الإسلامية ، وطالبهم فضيلته بأن يكونوا القدوة الحسنة فى بلدانهم وأن يتخذوا من منهج النبى ﷺ طريقا لدعوتهم .

وفى نهاية اللقاء وزع فضيلته عليهم الجوائز والشهادات التقديرية وأهدى فضيلته إلى كل إمام وواعظ مكتبة إسلامية تساعده على رفع مستوى ثقافته الإسلامية .

شهد اللقاء لفيف من علماء الأزهر الشريف وسفراء السلك الدبلوماسى للبلاد المشاركة فى الدورة .

اعتماد فضيلته لخطة قوافل التوعية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الخطة السنوية لقوافل التوعية الدينية بمحافظات الجمهورية التى أعدتها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر بالاشتراك مع القطاع الدينى بوزارة الأوقاف والتي بدأ تنفيذها ، حيث يقوم العلماء من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بعقد ندوات ولقاءات مفتوحة لتعميق الفكر الدينى لدى المسلمين ، ومحاربة التطرف والتعصب الدينى وبخاصة بقطاع الشباب فى الجامعات والمدارس ومراكز التدريب وفرق الأمن والسجون والمصانع والشركات ودور الرعاية الاجتماعية والنوادى ومراكز الشباب والرياضة .

وهذه الخطة تسير جنبا إلى جنب مع خطة قوافل التوعية الدينية بالمساجد على مستوى

الجمهورية ، وتقوم الأمانات الفرعية بالمحافظات بمتابعة تنفيذ هذه الخطة .

● شهد فضيلة الإمام الأكبر تخريج وتكريم الطلاب الناجحين فى كليات جامعة الأزهر من مختلف دول العالم من أبناء المسلمين المقيمين بمدينة البعوث الإسلامية .

وقد قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التقدير على الخريجين الوافدين الذين أنهوا دراساتهم بجامعة الأزهر الشريف .

شهد الحفل فضيلة الاستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، ولفيف من علماء الأزهر الشريف وجامعته .

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية لتكريم حفظة « القرآن الكريم » من الأسر المسلمة حيث وزعت عليهم الجوائز العينية والمادية التى بلغت قيمتها (٣٠ ألف جنيه) .

شهد الحفل وزراء الأوقاف والتعليم والدكتور يوسف والى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة وسفراء الدول العربية والإسلامية والأستاذ الدكتورة آمال عثمان وزير التأمينات الاجتماعية .

زيارة الإمام الأكبر لعدد من محافظات مصر

●سبق أن قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لعدد من محافظات مصر كان من بينها محافظات بنى والشرقية وكفر الشيخ ودمياط .

وفى محافظة بنى سويف افتتح فضيلته أول فرع لجامعة الأزهر بالمحافظة بدأ بكلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات ويقوم الفرع بخدمة المحافظات المجاورة لبنى سويف ، وقد تم تخصيص اربع عمارات سكنية لتكون نواة لأول مدينة جامعية بالمحافظة .

وأشار فضيلة رئيس جامعة الأزهر إلى أن الدراسة ستبدأ بها هذا العام فى شعب ثلاث هى : أصول الفقه ، والدراسات الإسلامية واللغة العربية .

وفى محافظة الشرقية :

قام فضيلته بافتتاح معهدين أزهريين جديدين أقيما بالجهود الذاتية وقد أشاد فضيلته بهذه الجهود التى تمثلت فى هذين المعهدين الأول بقرية الحلوات ، والثانى بقرية قراموص .

وفى محافظة كفر الشيخ :

افتتح فضيلته عددا من المعاهد الأزهرية وقام بوضع حجر الأساس لمبنى كلية البنات الإسلامية التابعة لجامعة الأزهر ، ورافقه فضيلة الاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار محمود أبو الليل محافظ كفر الشيخ .

وفى محافظة دمياط :

قام فضيلته بافتتاح المجمع الطبى لجماعة دعوة الحق الإسلامية وقد رافقه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار أحمد عبدالعزيز سلطان محافظ دمياط . وأهدى فضيلته لمكتبة المسجد والمجمع مكتبة إسلامية .

هذا وقد قام فضيلته ومرافقوه بتفقد منشآت كلية الطب الجديدة التابعة لجامعة الأزهر ، ثم شهد فضيلته بعد ذلك لقاء مع القيادات الدينية وعلماء وزارة الأوقاف والأزهر والقيادات السياسية والشعبية بالمحافظة .

كذلك شهد فضيلته اللقاء الشبابى الذى عقد بأحد المعسكرات الشبابية بمدينة رأس البر .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

القــدس

عقدت اللجنة الأمنية الفلسطينية الإسرائيلية اجتماعا فى القدس ـ فى إطار اجتماعات لجنة التوجيه والمتابعة ـ لمواصلة بحث تنفيذ الاتفاق بإعادة انتشار القوات الاسرائيلية فى الخليل ، والموضوعات الأمنية الأخرى المتعلقة بالجانبين وحضر الاجتماع المنسق الأمريكى لعملية السلام .

كما تلقى الرئيس الفلسطينى اتصالا هاتفيا من وزير الخارجية الأمريكى حول مسيرة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وصرح مصدر فلسطينى بأنه أُبلغ باهتمام الرئيس الامريكى بالعملية وأنه يتابعها رغم انهماكه فى حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وأن أمريكا حريصة على إنجاز المفاوضات وتنفيذ كل الاتفاقيات الموقعة فى « أوسلو » سابقا .

الجامعة العربية

عقد المندوبون الدائمون للدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية اجتماعا مشتركا مع سفراء دول أمريكا اللاتينية المعتمدين فى القاهرة برئاسة الأمين العام للجامعة ، وناقش الاجتماع القضايا الإقليمية والدولية محل الاهتمام المشترك ، وفى مقدمتها العلاقات العربية اللاتينية وسبل تطويرها والوضع فى الشرق الأوسط وتطورات مسيرة السلام والعقبات التى تعترضها .

القاهــرة

أنهى الرئيس الفرنسى جولة فى منطقة الشرق الأوسط دامت أسبوعا زار خلالها كلا من سوريا ـ الأردن ـ فلسطين ـ إسرائيل ، واختتمها بلقائه بالرئيس مبارك ، فى زيارة لمصر استمرت عدة ساعات والمعروف أن الرئيس الفرنسى أكد للحكومة الإسرائيلية ضرورة قيام دولة فلسطينية إذا ما كانت الدولة اليهودية راغبة فى السلام حقا ، كذلك دعا سيادته إلى رفع المعاناة عن الشعب العراقى وانسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان السورية وجنوب لبنان ، وكان هدف الزيارة زيادة الدور الدبلوماسى لدول أوروبا فى العملية السلمية ، ورحب العرب بآراء الرئيس الفرنسى ومدافعته عن الحق .

سراييفو

صرح الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش بأن مطالبة الولايات المتحدة بإقالة (حسن شنجتش) نائب وزير الدفاع البوسنى لاتتصل بما يقال عن علاقته مع إيران ، وجاء فى البيان الصادر عن مكتب الرئيس البوسنى أن خطاب وزارة الخارجية الأمريكية عبَّر بدلا من ذلك عن شكوى من قدر غير مرض من التعاون من جانب المسئول البوسنى المذكور ، وأن الرئيس البوسنى يعتقد أن هناك طلبا مماثلا بإقالة وزير الدفاع البوسنى ذاته ، وهو كرواتى والجدير بالذكر أن المحادثات جرت فى (سراييفو) لإزالة العقبات التى تعترض طريق تسليم شحنة أسلحة أمريكية مرسلة إلى الاتحاد الفدرالى البوسنى بين الكروات والمسلمين .

أنقرة

دارت فى العاصمة التركية أنقرة محادثات سلام بين الحزبين الكرديين المتقاتلين وهما الديمقراطى الكردستانى والاتحاد الوطنى الكردستانى ، وممثلين أمريكيين وأتراك وإنجليز ؛ لبحث مستقبل شمال العراق بعد التزام الحزبين المتصارعين بوقف إطلاق النار بينهما .

لوكسمبورج

شارك وزير الخارجية المصرى ولمدة ثلاثة أيام فى اجتماعات مجلس التعاون الأوروبى/المصرى على مستوى وزراء الخارجية فى « لوكسمبورج » وصرح سيادته بأنه تم خلال الزيارة استعراض مشروع اتفاق الشراكة الأوروبية المصرية الجارى التفاوض بشأنه حاليا — كما شارك سيادته فى اجتماع ضم وزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبى لبحث دور الاتحاد فى عملية السلام ، والمشاركة فى المؤتمر الاقتصادى الذى عقد فى النصف الأول من نوفمبر الحالى .

فلسطين

أقيم حفل بغزة إحياء لذكرى استشهاد السيد/ فتحى الشقاق — رحمه الله تعالى — فى مالطا منذ عام بيد عملاء الموساد الإسرائيلى الذين قاموا باغتياله — وأكد خليفة (فتحى الشقاق) أمام تجمع فى أحد مخيمات اللاجئين فى لبنان الشهر الماضى أنه لابد من الانتقام لاغتيال الشهيد الفلسطينى .

●●●

Mais qui sont ils? Lui demandèrent ses compagnons. Ce sont, dit-il, ceux qui s'aiment en Allah, se réunissent et se rendent visite à cause de lui, sans aucun lien de parenté n'existe entre eux, ni même des échanges de biens. Par Allah, leur visage est tout lumière et ils sont assis sur de tribunes de lumière; ils sont exemptés de la peur et du chagrin qui frappent les gens "Puis il récita: |En vérité, les alliés d'Allah n'ont pas lieu de s'alarmer, ni ne doivent éprouver d'affliction.|"

«Hadith rapporté par 'Omar (Abu-Daoud).»

Il a dit également: "Allah - gloire à Lui - a dit: "Mon amour a été assuré à ceux qui s'aiment pour Moi, qui se lient pour Moi, qui se conseillent pour Moi, qui se visitent pour Moi, qui se sacrifient pour Moi... Ils sont assis sur des tribunes de lumière que leur envient les prophètes, les saints et les martyrs".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

à suivre

Mais, parmi eux, il y aura ceux dont le Créateur a dit: |Ceux qui croient et présentent les bonnes actions, le Très Miséricordieux leur réservera de l'amour.|

«19 "Maryam" V. 96.»

Donc, l'amour et l'affection seront réservés uniquement à ceux qui se seront aimés et auront fraternisé pour l'amour d'Allah. Car, parmi les sept qui seront abrités à l'ombre du Trône divin, il y aura deux hommes qui se sont aimés par l'amour d'Allah et que cet amour a réuni ou a séparé. Voici le Hadith intégral qui mentionne cela: le Prophète -b.s.- a dit: "Sept catégories d'hommes seront à l'ombre d'Allah, le Jour où il n'y aura d'autre ombre que la Sienne:

1) Un gouverneur équitable.
2) Un jeune homme qui naquit et passa sa vie dans l'adoration d'Allah.
3) Un homme dont le coeur est resté attaché aux mosquées.
4) Deux personnes qui s'aiment pour l'amour d'Allah, qui s'unissent et se séparent par Lui.
5) Un homme, qu'une femme noble et belle incite à l'adultère et à laquelle il répond: "la crainte d'Allah m'empêche de commettre un tel pêché".
6) Un homme qui fait l'aumone en secret, si bien que sa main gauche ignore ce qu'a donné sa main droite.
7) Un homme qui, dans sa solitude fond en larmes lorsqu'il pense à Allah".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Le Prophète -b.s.- a dit en parlant de ceux qui se sont aimés pour Allah et la rétribution et les faveurs qui les attendent et qui leur sont exclusivement réservées: "Parmi les serviteurs d'Allah, il y a ceux qui ne sont ni des prophètes ni des martyrs mais qui pourtant suscitent l'envie de ses derniers.

fraternité qui unit deux êtres dans l'amour d'Allah est permanente et éternelle. Allah - gloire à Lui -nous dit: [Les amis -ce jour là- seront ennemis les uns des autres; à l'exception des pieux.]

«43 "Al-Zokhrof" L'Ornement V. 67.»

Ce verset nous montre que tout amour dans le monde d'ici - bas est éphémère et peut-être retourné contre les amants et même les changer en adversaires le Jour du Jugement Dernier, seul l'amour en Allah est l'amour durable et éternel. Nos pieux ancêtres ont dit:

"Tout ce qui est pour Allah est durable et prolongé Tout ce qui est pour tout autre que Lui est temporaire et divisé." Ils ont dit aussi: "Chaque homme suit la religion de son ami, que chacun veille à choisir celui qu'il prend pour ami." Le Coran nous rapporte.

Les paroles des hommes qui ne se sont pas aimés pour l'amour d'Allah. Allah - gloire à Lui - dit: [Hélas! si j'avais suivi l'exemple du Messager!... Malheur à moi! hélas comme je regrette d'avoir pris un tel pour ami!... Il m'a égaré après que le Rappel m'est parvenu. Satan est le grand tentateur pour l'homme.]

«25 "Al-Forqan" Le discernement V. 27, 28 et 29.»

Le Jour du Jugement Dernier toute relation et tout lien de parenté seront coupés: Allah - gloire à Lui - dit: [Lorsqu'on soufflera dans la Trompette, il n'y aura plus de généalogie parmi eux.]

«23 "Al-Mu'iminun" Les croyants V. 101.»

Aussi tout bien d'amitié et d'amour seront rompus: [aucun ami chaleureux ne s'enquerra d'un ami.]

«70 "Al-Ma'areg" Les escaliers V. 10.»

Ce Jour là, chaque personne ne se préoccupera que d'elle-même; elle ne trouvera personne pour la consoler de ses soucis ni lui tenir compagnie: [Et au Jour de la Résurrection chacun d'eux se rendra seul, auprès de Lui.]

«10 "Maryam" V. 95.»

La Fraternité dans l'amour d'Allah

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s.- a dit: "Le Musulman est le frère du Musulman, il n'a ni le droit de le léser, ni de le trahir, ni de le mépriser."

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Le Prophète -b.s.- a fraternisé entre les alliés (Al-Ançar) et les émigrés (Al-Mouhagueroun), cette fraternisation était si parfaite qu'Allah l'a mentionnée dans le Saint Coran: Il a loué les actes des Ançars qui ouvrirent à la fois leur coeur et leur foyer à leurs frères émigrés, Il a dit: |ceux qui ont dévancé et se sont installés dans le pays et dans la foi, qui aiment ceux qui émigrent vers eux et donnent la préférence aux autres, fussent-ils eux-mêmes dans la gène. Bienheureux sont ceux qui se gardent de l'avarice.

«59 - "Al Hashr" L'exode V. 9.»

Cet altruisme était l'expression d'un amour, d'une volonté réelle et d'un choix délibéré. Les alliés ont partagé leurs biens, leur logis et leurs terres avec leurs frères émigrés ... En voici un exemple que nous citons ici: le Prophète -b.s.- avait fraternisé entre Abd ar-Rahman Ibn Awf (émigré) et Sa'ad Ibn Rabie (allié), parmi les paroles de Sa'ad à Abd ar-Rahman, nous avons relevé celles-ci: "J'ai deux épouses, regarde les; celle qui te plaît, je te la cède, je la répudie puis lorsque son délai de viduité aura expiré tu l'épouseras... Voici mes biens je les partage avec toi." A quoi Abd ar-Rahman répondit: "qu'Allah bénisse tes biens et les épouses; mais guide - moi vers le marché." Sa'ad lui indiqua le marché où il se rendit pour vendre; acheter et rentra avec du beurre et du lait caillé.

Les histoires sur l'altruisme et l'amour qui régnèrent entre les alliés et les émigrés sont innombrables. Le Coran, nous montre que la

Djaber - qu'Allah soit satisfait de lui rapporte ceci: "Le Messager d'Allah- dit: Ilnous enseignait la prière de consultation à faire en toute occasion tout comme il nous enseignait une Sourate du Coran". C'est pourquoi la consultation d'Allah en toute chose allie la prière à la soumission absolue à Allah qui conjointement forment l'une des marques des plus nobles degrés de la loi du serviteur en son Créateur.

D'autre part, nous avons appris par un Hadith du Prophète -que la demande de conseil est une chose louable. C'est pour cette raison qu'Allah - qu'Il soit exalté - a loué les compagnons de notre maître et Prophète Mohammad -b.s.- dans la Parole divine où Allah -Tout-Puissant- montre qu'en toute chose ils se demandaient mutuellement conseil avant de prendre une décision.

De même, Allah -le Très Haut- a ordonné à Son Prophète de demander l'avis de ses compagnons, et c'est ce que faisait Mohammad -b.s.- bien qu'Allah l'appuyât par la Révélation et qu'Il l'ait doué d'une perfection physique et morale; de plus, Allah lui a octroyé le don de l'inspiration et de la clairvoyance.

Pourtant il faisait cela pour servir d'exemple et un modèle pour sa communauté. Il ne décidait de rien sans demander l'avis le ses compagnons.

Or, si Allah a ordonné à Son Prophète de demander conseil avant d'agir, ceci est une obligation pour tous les musulmans qui sont loin d'être aussi parfaits que leur Prophète -b.s.-

La demande de conseil dans les affaires concernant le monde d'ici-bas est indispensable aussi bien au niveau des individus qu'à celui des communautés. Elle permet de parvenir à l'avis le plus juste et à la décision la meilleure. Toutefois le plus important c'est de choisir avec grand soin les personnes que l'on consulte comme nous l'a recommandé Allah -Tout-Puissant: [Interrogez les gens du Rappel si vous ne savez point].

D'autre part la personne que l'on consulte doit être sincère et probe, prête à donner un bon conseil et qui n'hésite pas à dire la vérité chairement et ouvertement.

C'est par ce moyen que l'Islam guide les individus et la communauté vers les meilleures décisions à prendre grâce à la consultation.

La consultation en Islam

par Dr. Rokeya GABR.

Une des grandes qualités de l'Islam c'est qu'il nous guide vers la voie du bien, Notre Prophète - à lui bénédiction et salut - a dit: "Celui qui prend conseil ne connaît point d'échec; celui qui consulte Allah ne le regrette point".

"Al Istikhara" c'est une consultation que le croyant adresse à son Créateur-le Très-Haut - lorsqu'il se trouve hésitant devant une décision à prendre et qu'il reste perplexe ne sachant quelle solution adopter. Il ne sait pas distinguer ce qui est juste et ce qui est faux. Dans ce cas, le Musulman ne trouve pas plus sincère, ni plus grand qu'Allah pour guider son choix; aussi accomplit-il une prière de consultation où il invoque le Tout-Puissant de guider ses pas et de lui indiquer la solution la plus juste et qui renferme un bien pour lui.

Le Musulman doit avant de faire la prière de consultation, se dépouiller totalement de tout penchant pour l'une des diverses solutions possibles. Il abandonne toute volonté et tout pouvoir humain pour entrer dans un état de soumission absolue où il se remet entièrement à Allah - qu'iL soit glorifié. Ainsi, il est sincère dans sa demande à Allah de lui indiquer la voie du bien.

La priere de consultation diffère de la prière faite en cas de besoin lorsque le Musulman a décidé une chose en particulier et, dans cette intention, il demande à Allah de l'aider à la réaliser.

La prière de consultation se compose de deux Rak'as; elle est accomplie en dehors des heures fixées pour les prières prescrites. Une fois la prière terminée, le croyant prononce les invocations mentionnées dans la Sunna du Prophète - à lui bénédiction et salut - et Al Bokhary a rapporté selon un Hadith de Djaber - qu'Allah soit satisfait de lui. Après cela il découvre que ce qu'il éprouve un penchant à faire, c'est la bonne solution. Après cela, il doit choisir les moyens appropriés pour réaliser cela.

La consultation joue un rôle important en Islam, comme l'indique le Hadith précité.

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VII.

Rajab 1417 H. Nov. / Dec. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Roksya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

"Allah forbids you not, with regard to those who fight you not for (your) Faith, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them : for Allah loves those who are just (Q. 60. 8)

Scientific freedom is so recommended that those who practise "Ijtihad" are rewarded even if they have arrived at a wrong condusion. Widely recognised is the political freedom in which people select their ruler and exercise "Shura" and censorship in all the state's affairs.

Money : Islam respects private ownership and urges people to earn money by legal ways and invest it honestly and spend and distribute it in ways which are pleasing to Allah. The acquisition of wealth is not an end in itself, nor is wealth to be squandered for meaningless or wasteful purposes. Moreover, wealth is not to be used in order to gain power over other people by exploitation or control of the means of livelihood. The Holy Qura'n and Hadith make it very clear that any form of gain which results in some injustice or harm to others is an act of disobedience to Allah. For the purpose of social stability, Zakat is prescribed by Allah to purify the heart of the giver from selfishness and greed and to develop in him sympathy for the poor and the needy.

The value of social solidarity is strongly stressed in Islamic values. According to Ibn Hazm, if the people of a town neglected their duty toward a poor man or woman to the extent that he or she starved to death, the people of this town are considered murderers and their lives should be taken in retaliation. This inference made by Ibn Hazm in his book Al Muhalla (the ornamented) is based on the prophet Muhammad's Hadith : "If a person starved to death among the people of a town, the covenant of Allah and His Messenger become clear of them."

There are some of our Islamic values and concepts which deserve objective study and if followed all humanity will live in prosperity.

A divorce of this kind is called "Khula". It is worthwhile to note that the Islamic teachings recommend that if the parties think that separation is inevitable, they should not throw mud at each other, but recognize what is right and honourable taking into consideration all the circumstances. If the man takes back his wife after two divoces, he must do so on equitable terms; i.e. he must not put pressure on the woman to prejudice her rights in any way, nor to treat her with contumely, and they must lead an honourable and dignified life respecting one another. There are two conditional clauses in the Qur'an :

1) When you divorce women, and,

2) When they fulfill their Iddat : followed by two consequential clauses,

3) Take them back on equitableterms, or,

4) Set them free with kindness.

This illustration discussed above shows how strongly Islam maintains equality between men and women and emphasizes man's care and responsibility towards the woman. It also shows that the few differences made between the two sexes meet the differences in nature and functions between them.

Freedoms in Islam :

Freedom is prescribed by Islam so long as it does not involve violation to human values. First of all, religious freedom is maintained in the Holy Qura'n ii, 256 "Let there be no compultion in religion : Truth stands out clear from error".

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ

Islam is the first faith that introduced to humanity the freedom of religion and tolerance with people who believe in other religions. Omar Ibn el-Khattab felt sympathy for a jew who was reduced to beggary by old age. Omar did not accept that the jew becomes a beggar because he was unable to earn his living in his senility and ordered to give him a salary from Bayt el Mal (Ministry of Finance). Islam urges Muslims to live in peace with those of other religions so long as they are peaceful with Muslims.

a) Confusing adherence to Islamic values with extremism; this is behind the false accusations levelling against all Muslims or Islam, whereas the behaviour raising accusation reflects the concepts of a limited number of irresponsible sects or individuals.

b) Imposing the western values on Islamic countries which belong to a system of values worthy of respect.

c) Judging mistakenly 25 million Muslims as being aliens while actually they are Europeans believing in Islam.

In a similar vein, Angmar Corlson, Swedish ambassador, stressed the fact that the European Union is inconceivable without the Islamic component. He also added that "If we thought the gap between the West and Islam is unbridgeable, we would fail to assimilate our ever-developing Islamic countries.

The following is a presentation of some of our Islamic values that may reassure all humanity and deserve objective study by Non-Muslims :

The status of Women in Islam

Islam considers man and woman to be equal because they are equal as human beings. It gives both sexes the right to establish and sustain marriage. It is definitely declared that men and women shall have similar rights with one another. The difference in economic position between the sexes makes the rights and liabilities of man a little greater than that of woman's, sura iv : 34 refers to the duty of the man to maintain the woman, and to a certain difference in nature
little greater than that of woman's sura iv : 34 refers to the duty of the man to maintain the woman, and to a certain difference in nature
between the sexes,

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ

"Men are the protectors and maintainers of women, because Allah has given the one more (strength) than the other and because they support them from their, means."

According to Hanafi doctrine, the woman is entitled to undertake her marriage contract, being a complete partner in the relationship. She is also entitled to dissolve marriage in return for material compensation if she hated to continue living with her husband. A

Why Does the West Fear Islam ?

By : Dr Abdel Rahim Saad
Faculty of Education
Al-Azhar University

What makes the western thought fear Islam ? Have the western countries examined our system of Islamic values objectively and found out that it constitutes a threat to the achievements of modern civilization ?

For the good of all mankind, the western countries are called upon to study the system of Islamic value with an unbiased eye in order to enhance cultural communication between Muslim and Non-Muslim countries and avoid mutual misunderstanding and bad feelings.

One of the objective comments made in this connection was that of the plenipotentiary of the European Union in a conference held in Sweden on "Europe and Islam" recently and which he called upon the Europeans to avoid three misconceptions :

tism, non-reproductive saving, overweight in buying, fraud, undercutting in sale extravagance, forgery and the rest of the gamut of political, social and economic impropritles.

The greatness of Islam in totally prohibiting all forms of economic impropritles latents in the fact that these improprietis constitute a dangerous destructive threat to economy. No one can deny that these economic improprieties can harmfully undermine the infrastructure of the society, the economic growth of the community and the economic development of the entire nation.

In brief, it can be said that the Islamic economic system safeguards the Muslims against economic upheavals, economic chaos and economic anarchy.

establishment of indudstries as "Fardh Kifayah; or a duty to be fulfilled by members of the community.

4. Islamic economy has an ethical-humanitarian aspect. Stemming from the fact that Almight Allah is the Master of Heavens and Earth and all that is there-in, and the fact that man has been assigned the vicegerence on earth, economic activity is only meant to comply with all that Almighty Allah ordaines man to do, namely to cultivate, to dwell on land, and to develop its resources in any way free from cheating, usury, monopoly, usurping, fraud, theft etc ... moreover, Allah ordaines man to seek by lawful means the best courses of earning. In short, Islamic calls for the prevalence of sublime economic values such as co-operation, solidarity, interdependence and the sustenance of the needy.

5. Because Islam always seeks perfection in all aspects of life, therefore, it has been chiefly concerned with setting up a complete perfect economic system. This system mainly focus on laying down laws that govern all kinds of lawful exchanges and lawful transactions among the individuals and the societies. Yet, it should be borne in mind that in the economic system, the Islamic laws do not confine themselves to laying down rules and regulations or to codifying principles governing different kinds of economic transactions, but also promoting the moral aspect in them as well. The Islamic economic system allows the individual to effect all kinds of transactions, i.e. buying and selling, as long as they are lawful.

However, the superiority of the Islamic economic system over all the systems, old or new, stems from the fact that although Islam gives man the liberty to buy and sell whatever would satisfies his needs and wants, yet this liberty or freedom is curbed and governed by social controls. As it is stated earlier, Islam gives man the liberty to practise all forms of lawful sales that would not inflict damage on the community or infringe upon the rights of other individuals. Meanwhile, Islam does not ignore the redressing of all forms of deviation, be it political, soical or economic. Islam in fact, prohibits in absolute terms oppression, despotism, injustice, exploitation, bribe, hepo-

2. Integration and comprehensiveness is an essential basic feature in the Islamic economic system. In Islam, economy is interlinked with the entire arry of systems and institutions; be it religious, political or social. These systems and institutions are integrated with a view to offer a comprehensive and perfect solutions to any problem.

   The economic system in Islam, in fact, is interlinked with the Islamic creed as it stems from the doctrine that Almighty Allah is the ultimate Owner of the Universe. The economic systm is interlinked, as well, with "Ibadaat", or worship rituals and rules. For instance, it makes it imperative and compulsory to pay "Zakat" or alms, so as to sustain the poor and the needy, and to guard the individual and the community against all risks. As such "Zakat" has its social aspect as it secures a share of the weath of those who are rich for those who are poor and needy. "Zakat", in this sense, a purifies the soul of the Muslim and creates social solidarity as well. In short, it acts as a mechanism of wealth redistribution so as to avert the possibility of the flaring up of class conflict among the society members.

3. The Islamic economic system addresses itself to the economic problem of unlimited needs and demands as well as the scarcity of resources. It nationalizes needs and demands by restraining material needs and desires and subjecting them to spiritual controls. It manages the resources in a manner that is acceptable to Almighty Allah who is the Owner of the World. Consequently, by teaching the Muslim how to assign priority to spiritual restraints over material needs and desires, Islam helps him to be free from being subjugated to money or to those who have it.

   As long as agriculture and industry are extremely important instrumental factors in any economic system, Islam pays due attention to securing opitimum management of them as main resources that help in building the society. Islam, thus, ordaines man to endeavour to achieve economic growth particularly self. Sufficiency in agriculture and industry. It defines, as well, the

The Basic Principles of *the Islamic Economy System*

by Nahed M. Wasfi Ph. D.

Islam, as the seal of all religions, offers a comprehensive, all compassing civilized system entirely based on the Holy Qur'an, Sunnah and prophetic traditions. In Islam the word "hil", i.e. permission, is the corner stone of the economic system. Accordingly, a Muslim is allowed to effect all kinds of economic transactions which are not prohibited as long as they achieve the welfare of the community.

Islam, in fact, gives due care to every tiny little thing that has to do with the prosperity and progress of man, society and the entire humanity. Hence forth it can be said that there are several unique basic characteristics that distinguish the Islamic economic system from other systems. These characteristics can be illustrated as follows.

1. The economic system is Islam strikes a balance the good of the individual and that of the society. Such a balance can be attained through a wide rang of means that include: (a) the adoption of guided economic freedom of work where the inidividual's personal interests do not conflict a contradict with the public interests, (b) the establishment of a public sector where individuals cannot afford to invest, i.e. the main target of this public sector is to achieve the welfare of the entire community, and (c) the education and socialisation of individuals in such a manner that they may pay equal attention to their own good and that of the society. Thus, it can be said that moderation, which plays a vital role in Islamic economy, is the only tool that can strike a balance between the different interests of the individuals and that of the society and can avoid, as well, any clash there-between.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab 1417 H.

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol. 69 Part VII.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

● الافتتاحية (هموم الرشيد)
للدكتور على أحمد الخطيب ٩٤٥
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. ٩٤٧
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ٩٥٦
● من رجال الحديث الشريف
دراسة بقلم الأستاذ أحمد تقى الدين ٩٥٨
● من فضائل شهر رجب
للأستاذ/عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ٩٦٦
● النزعة العقلية عند الإمام الشافعى
أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٧١
● الأبعاد الإنسانية للدعوة الإسلامية
للشيخ السيد عبدالمقصود عسكر .. ٩٨٠
● من رجال القضاء فى الإسلام
للمستشار محمد عزت الطهطاوى . ٩٨٥
● المخطوطات العربية فى أوزبكستان
للأستاذ / خالد محمد عزب ٩٩٥
● استفتاءات القراء
للشيخ : السيد العراقى شمس الدين . ٩٩٨
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ / عبدالفتاح حسين الزيات ١٠٠١
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٠٠٤
● من أعلام الأزهر (٢)
أ.د. محمد رجب البيومى ١٠٠٦
● الشعر والشعراء
إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد ١٠١٢
● حدثى يا قدس
للشاعر / رشاد محمد يوسف ١٠١٢
● ليلة الإسراء
د. محمد عبدالمنعم خفاجى ١٠١٣
● فى ذكرى الإسراء والمعراج
للشاعر / عبدالغنى أحمد ناجى ١٠١٤

● العلوم الكونية ●

● البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامى (٢)
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا .. ١٠١٦
● الصحة الإنجابية (٤)
للدكتور أحمد رجائى عبدالحميد ... ١٠٢١
● المدرسة ودورها فى التنشئة الاجتماعية
للأستاذ / عبدالسلام ناصف ١٠٢٥
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٠٢٧

● اللغة والنقد والأدب ●

● طبقات المحققين الأعلام (١٠)
للأستاذ الدكتور السيد الجميلى ١٠٣١
● شياطين الشعر فى الأدبين العربى والغربى
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٠٣٦
● الأصول الإسلامية فى الإعلام الغربى
عرض وتقديم الأستاذ / عثمان الجوهرى ١٠٤٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١٠٤٧
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين/ عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ١٠٥٠
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ... ١٠٥٤
القسم الفرنسى ١٠٦٢
القسم الإنجليزى ١٠٧١

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

ص ١٢
ع ٢٢٢٦ ٢
دوريات

جناحا الإيمان فى الإسلام

جناحا الإيمان : خُلق وعبادة

فأما العبادة فهى ثمرة التوحيد ، أى ثمرة الإيمان الخالص الذى يكتسبه الإنسان بالإقرار - عن رضا واطمئنان - بعقيدة الإسلام المقررة فى شهادتيه : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وهذا الإقرار يعنى تسليم المؤمن :

بحق الله - عز وجل - عليه فى طاعته ، فيمارس ما أمر ، ويكف عما نهى .

كذلك يعنى الإقرار - أيضاً - تسليم المؤمن بمسئوليته عن أمانة هذا الدين أمام المولى - عز وجل - فى الممارسة والكف على سواء ، فإذا الإيمان فى النهاية : واجب ومسئولية .

وإذا وجدت المسئولية كان « الجزاء » حتما ، فليس الدينُ سَبَهْلَلا ؛ بل واجب ومسئولية وجزاء ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ . المؤمنون

والله ـ تعالى ـ وحده ـ هو الذى تجاوز ـ برحمته ـ عن وجوب كمال التطبيق لطاعته ، فقال ـ سبحانه :

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن ـ ١٦

وأورثنا المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الدعاء ، هذه الضراعة : « **اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت** »[1]

وكل طاعة خالصة لله ـ تعالى ـ قُرْبة ، وكل قربة عن أمْر من هذا الدين ، أو نهى منه ، فهى طاعة ، وكلتاهما عبادة ، فالعبادة طاعة مقررة شرعا ، وهى مقبولة ـ بإذنه تعالى ـ مادامت من مقررات هذا الدين ، ومارسها المؤمن بإخلاصها لِلَّهِ ـ جل جلاله ، راجيا ـ فى ضراعة ـ أن يتقبلها ؛ فإن هى خرجت عن هذا السبيل فآوتْ إلى ما يستحسنه المرء بنفسه ، فهى مردودة .

فالصلاة عبادة : لأنها طاعة مقررة شرعا ، وقربة موجهة لله ـ وحده ـ ومن القربات ما لا يتم إلا فى مخلوق كَبِرّ الوالدين ، والصدقة على المساكين ، والإحسان إلى حيوان ، وهى ـ بدورها ـ طاعة ، لأنها صدرت عن نية القربة لله ـ وحده ـ يتعبد المرء فيها لله ـ تعالى ـ بطاعتة له ، وإذعانه لأمره. ﴿ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد ـ ٢١

---

(١) من حديث سيد الاستغفار ـ صحيح البخارى ٨٦/٤

ثم بعد ، فليس كالْخُلِق مرآة للإيمان ، إنه الجناح الحركى للإيمان ، وكلما سما الخلق فى الإنسان كان سموه دليلا على سمو الإيمان ، والعكس صحيح ، والواقع خير الشاهدين .

وقد قال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا** » مسند أحمد ٢/٢٥٠، ٤٧٢ وهذا رسول الله ﷺ شهد له المولى بالكمال فى الخلق ، فقال ــ تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ (ســورة القــلم)

فإنه ﷺ كان أكمل الناس إيمانا ، فكان أكملهم خلقا ، وتعلم منه سلمان ــ رضى الله عنه ــ أن يدعو ، فيقول : « **اللهم إنى أسألك إيمانا فى خلق حسن** » مسند أحمد ٢/٣٢١ .

وسأله ﷺ عَمرُو بنُ عَبْسَةَ ــ رضى الله عنه : أى الإيمان أفضل ؟ فقال ــ عليه الصلاة والسلام : « خلق حسن » مسند أحمد ٤/٣٨٥

وكم نَضرع إلى الله ــ تعالى ــ أن يبث فى بيوتنا استقرار الأمهات لتستقر الأخلاق ؛ فإن الإيمان قرين الحذر من الخطأ ، وفى الحذر منه التقويم الاجتماعى كله . فَأُدْرِكْنَ نَشْأنا يصلُحْ دينُه ويَحْسُنْ خُلُقَهَ ، فإننا ــ لامحالة ــ لِلَّهِ ، وإنا إليه راجعون.

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وبعد أن ذكر القرآن الكفار ومآلهم عطف على ذلك ذكر المؤمنين وما يفوزون به من نعيم فى حياتهم الباقية كما هى سنة القرآن فى الجمع بين الترغيب والترهيب والوعد الوعيد .

والبشارة : الخبر السار فهو أخص من الخبر ، سمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهى ظاهر جلد الإنسان ، والمأمور بالتبشير هو النبى ﷺ أو كل من يتأتى منه تفخيماً لأمره ، وتعظيماً لشأنه .

والصالحات : جمع صالحة وهى الفعلة الحسنة ، وهى من الصفات التى جرت مجرى الأسماء فى إيلائها العوامل .

والجنات : جمع جنة ، وهى كل بستان ذى شجر متكاثف ، ملتف الأغصان ، يظل ما تحته ويستره ، من الجن وهو ستر الشىء عن الحاسة ، ثم صارت الجنة اسماً شرعياً لدار النعيم فى الآخرة ، وهى سبع درجات :

(**جنة الفردوس** ، **وجنة عدن** ، **وجنة النعيم** ، **ودار الخلد** ، **وجنة المأوى** ، **ودار السلام** ، **وعليون**) .. وتتفاوت منازل المؤمنين فى كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة .

والأنهار : جمع نهر ــ بفتح الهاء وسكونها والفتح أفصح ــ وهو الأخدود الذى يجرى فيه الماء على الأرض ، وهو مشتق من مادة نهر الدالة على الانشقاق والاتساع ، ويكون كبيراً أو صغيراً .

وأسند إليه الجرى فى الآية مع أن الذى يجرى فى الحقيقة هو الماء ، أخذًا بفن معروف بين البلغاء ، وهو أسناد الفعل إلى مكانه ، توسعًا فى أساليب البيان .

وقوله : ﴿ **مِن تَحْتِهَا** ﴾ وارد على طريقة الإيجاز بحذف كلمة ﴿ **أشجار** ﴾ اعتمادًا على تبادرها إلى الذهن .

والمعنى : تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، ثم بين ــ سبحانه ــ أحوال هؤلاء المؤمنين الصالحين فقال :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

أى : إن سكان الجنة كلما رزقوا فى الجنة ثمرة من ثمراتها ، وجدوها مثل الذى رزقوه فيها من قبل ، فى بلوغه الغاية من حسن المنظر ولذة الطعم .

وفى هذا إشارة إلى أن ثمار الجنة متماثلة فى حسن منظرها ، ولذة طعمها بحيث لا تفضل ثمرة فى ذلك على أخرى ، فجميع ثمرها يسر له القلب ، ويستحليه الذوق ، وإن اختلفت المناظر والطعوم .

ثم قال ــ تعالى ــ ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ أى : يشبه بعضه بعضًا فى الصورة والرائحة ، ويختلف فى اللذة والطعم ، أو فى المزية والحسن ، وعن ابن عباس : « ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسامى » ؛ وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها فى معنى أن كل ثمر يشابه ما قبله فى حسن المنظر ولذة

الطعم مشابهة لا يفضل فيها ثمر على آخر ؛ بخلاف ثمر الدنيا ، فإنه يتفاوت فى مناظره حسنًا ، وفى طعومه لذة .

ويرى بعض العلماء حمل قوله ـ تعالى ـ ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ على تقدير : من قبل دخول الجنة ، أى هذا الذى رزقناه فى الدنيا ، وإلى هذا الرأى مال صاحب الكشاف فقد قال : « فإن قلت : كيف قيل . « هذا الذى رزقنا من قبل ؟ وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا ؟ قلت : معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه ، بدليل قوله : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ فإن قلت : إلام يرجع الضمير فى قوله : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ ﴾ ؟ قلت : إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعًا ، لأن قوله : « هذا الذى رزقنا من قبل » انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين . فإن قلت : لأى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ؟ قلت : لأن الإنسان بالمألوف آنس ؛ وإلى المعهود أميل ، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عن طبعه ، وعافته نفسه »[1] .

ثم قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

الأزواج : جمع زوج وهى المرأة يختص بها الرجل ، والضمير فى « **فيها** » يعود إلى الجنات .

والمعنى : أن هؤلاء المؤمنين نساء مختصات بهم ، مطهرات غاية التطهير من كل دنس وقذر ، حسى ومعنوى ، لا كنساء الدنيا ، وهم فى هذه الجنات باقون على الدوام ، لأن النعيم إنما يتم باطمئنان صاحبه على أنه دائم ، أما إذا كان محتملا للزوال فإن صاحبه يبقى منغص البال ، إذ سيتذكر أنه سيفقده فى يوم من الأيام ، فجملة « وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ » جىء بها على سبيل الاحتراس من وهم الانقطاع .

وبعد هذا البيان الجامع عن أحوال المهتدين بهديه أو الناكبين عن صراطه ، وما تخلل ذلك من المواعظ النافعة ، والتمثيلات الرائعة ، والبشارات الطيبة لمن آمن وعمل صالحًا ، بعد كل ذلك بين ـ سبحانه ـ أنه لا يعبأ أن يضرب مثلا بشىء حقير أو غير حقير ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٠٨ .

﴿ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

روى الواحدى فى أسباب النزول عن ابن عباس أن الله ـ تعالى ـ لما أنزل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ الحج ـ ٧٣

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ العنكبوت ـ ٤١

لما نزل قال المشركون : أرأيتم أى شىء يصنع بهذا ؟! فأنزل الله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

وروى عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب بهما المثل ضحك اليهود وقالوا : ما يشبه أن يكون هذا من كلام الله ! فأنزل الله هذه الآية :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ﴾ . الخ .

وقال السدى : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ، يعنى قوله ـ تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ .. وقوله ـ تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ! فأنزل الله هذه الآية .

ويبدو أن الآية الكريمة قد نزلت للرد على جميع تلك الفرق الضالة ، فقد قرر العلماء أن لا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو للطائفة من الآيات .

والاستيحاء والحياء واحد ، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأجر واستجاب . وهو فى أصل اللغة انقباض النفس وانكسارها من خوف ما يعاب به ويذم . وهذا المعنى غير لائق بجلال الله ، لذا ذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمة ، وهو ترك ضرب الأمثال بها .

والمعنى : إن الله لا يترك أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، وإطلاق الفعل كالاستحياء على ما يترتب عليه كترك الفعل ، مألوف فى الكلام البليغ حيث يكون المراد واضحًا .

ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله ـ تعالى ـ مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات .

أى : ليس الحياء بمانع لله ـ تعالى ـ من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الصغيرة فى نظركم ؛

كالبعوض والذباب والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق .

والمثل فى اللغة : الشبيه . وهو فى عرف القرآن : الكلام البليغ المشتمل على تشبيه بديع ، كالمثلين السابقين اللذين ضربهما الله فى حال المنافقين ؛ أو وصف غريب نحو قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ . الحج – ٧٣

وضرب المثل : إيراده ، وعبر عن إيراده بالضرب ، لشدة ما يحدث عنه من التأثير فى نفس السامع .

و(ما) فى قوله : (**مثلا ما**) هى ما الإبهامية ، تجىء بعد النكرة فتزيدها شيوعًا وعمومًا ، كقولك : أعطنى كتابًا ما ، أى كتاب كان .

والبعوضة : واحدة البعوض وهى حشرة صغيرة تطلق على الناموس وهى بدل أو بيان من قوله (**مثلا**) .

وقوله : ﴿ **فما فوقها** ﴾ عطف على بعوضة ، والمراد فما فوقها فى الحجم كالذباب والعنكبوت ، والكلب والحمار ، أو فما فوقها فى المعنى الذى وقع التمثيل فيه ، وهو الصغر والحقارة كجناحها أو كالذرة .

قال صاحب الكشاف : سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار ، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل ، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب ، من جهة أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد .. وأن لله – تعالى – أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شىء أصغر منه وأقل ، كما لو تمثل بالجزء الذى لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه فى صغره إلا هو وحده .. وقوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فيه معنيان :

أحدهما : فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول : فلان أسفل الناس وأنذلهم ، هو فوق ذلك ، تريد هو أعرق فيما وصف من السفالة والنذالة .

والثانى : فيما زاد عليها فى الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة(٢) .

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك موقف الناس أمام هذه الأمثال فقال :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

---

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١١١ وما بعدها .

أما حرف مفيد للشرط والتفصيل والتأكيد ، أما الشرط فلوقوع الفاء فى جوابها ، وأما التفصيل فلوقوعها بعد مجمل مذكور أو مقدر ، أما التأكيد فلأنك إذا قلت : زيد ذاهب ، ثم قصدت تأكيد ذلك وإفادة أن ذهابه واقع لا محالة قلت : أما زيد فذاهب .

والضمير فى قوله (أنه) يعود على المثل ، أو على ضربه المفهوم من قوله : ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ . والحق : خلاف الباطن ، وهو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره .

ووجه كون المثل أو ضربه حقًا ، أنه يوضح المبهم ، ويفصل المجمل ، فهو وسيلة إلى تقرير الحقائق وبيانها .

ووجه تفصيل الناس فى هذه الآية إلى قسمين ، أنهم بالنسبة إلى التشريع والتنزيل كذلك ، فهم مؤمن أو كافر .

والمقصود من ذكر المؤمنين هنا الثناء عليهم بثبات إيمانهم ، وتيئيس الذين أرادوا تشكيكهم ببيان أن إيمانهم يحول بينهم وبين الشك .

وعبر فى جانب المؤمنين بيعلمون تعريضا بأن الكافرين إنما قالوا عنادًا ومكابرة ، وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصحاب المحز .

وقال : ﴿ أنه الحق ﴾ معرفًا بأل ، ولم يقل : أنه حق للمبالغة فى حقية المثل .

ومن المعروف فى علم البيان أن الخبر قد يؤتى به معرفًا بأل ، للدلالة على أن المخبر عنه بالغ فى الوصف الذى أخبر به عنه مرتبة الكمال .

وقوله : ﴿ من ربهم ﴾ حال من الحق ، ومن ابتدائية ، أى : إن هذا الكلام وارد من الله ، لا كما زعم الذين كفروا أنه مخالف للصواب ، فهو مؤذن بأنه من كلام الخالق الذى لا يقع منه الخطأ .

ثم بين ــ سبحانه ــ موقف الكافرين من هذه الأمثال عندما تتلى عليهم فقال : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾

كلمة (ماذا) مركبة من ما الاستفهامية وذا اسم الإشارة ، غير أن العرب توسعوا فيها فاستعملوها اسم استفهام مركبًا من كلمتين ، وذلك حيث يكون المشار إليه معبرًا عنه بلفظ آخر غير الإشارة ، حتى تصير الإشارة إليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التأكيد نحو : ماذا التوانى ؟ أو حيث لا يكون للإشارة موقع كقوله ــ تعالى :

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ النساء ــ ٣٩

وقد يتوسعون فيها توسعا أقوى فيجعلون ذا اسما موصولا ، وذلك حين يكون المسئول عنه معروفا للمخاطب بشىء من أحواله ، فلذلك يجرون عليه جملة أو نحوها هى صلة ويجعلون ذا موصولا نحو ﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ ونحو ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ ، أى ما الذى أراده الله بهذا المثل .

والإرادة فى أصل اللغة : نزوع النفس إلى الفعل ، وإذا أسندت إلى الله دلت على صفة له

تتعلق بالممكنات ، فيترجح بها أحد وجهى المقدور ، وقد كان جائز الوقوع وعدم الوقوع .

وقوله : ﴿ **مثلا** ﴾ واقع فى موقع التمييز لاسم الإشارة « **هذا** » كقولك لمن أجاب بجواب غير مقبول : ماذا أردت بهذا جوابًا ؟

والاستفهام الذى حكاه القرآن على ألسنة هؤلاء الكافرين ، المقصود به الإنكار والتحقير لهذه الأمثال ، ولأن يكون الله ـ تعالى ـ قد ضربها للناس .

والمعنى : فأما المؤمنون الذين من عادتهم الإنصاف ، والنظر فى الأمور بنظر العقل واليقين ، فإنهم إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذى لا تمر الشبهة بساحته ، وأما الكافرون فإنهم لانطماس بصيرتهم ، وتغلب الأحقاد على قلوبهم ، فإنهم إذا سمعوا ذلك عاندوا وكابروا وقابلوه بالإنكار .

ثم ساق ـ سبحانه ـ جملتين بين فيهما الحكمة من ضرب الأمثال فقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

فقد دلت هاتان الجملتان على أن العلم بكون المثل حقًا ، مما يزداد به المؤمنون رشدًا على رشدهم ، وأن إنكاره ضلال يزداد به الكافرون تخبطًا فى ظلمات جهلهم .

ووصف كلا من فريقى المؤمنين والمنكرين له بالكثرة مع أن المهديين وصفوا بالقلة كثيرا كما فى قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ، وذلك لأن أهل الهدى كثيرون فى أنفسهم ، وإذا وصفوا بالقلة فبالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضًا فإن القليل من أهل الهدى كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة ، فوصفوا بالكثرة ذهابًا إلى هذه الحقيقة .

وقدم الإضلال على الهداية ، ليكون أول ما يقرع أسماع المبطلين عن الجواب أمرًا فظيعًا يسوءهم ويفت فى أعضادهم .

ثم ختمت الآية بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

الفاسقون : جمع فاسق ، من الفسق ، وهو **فى أصل اللغة** : الخروج .

يقال : فسقت الرطبة من قشرها . أى : خرجت منه ، **وشرعًا** : الخروج عن طاعة الله ، فيشمل الخروج من حدود الإيمان ، وهو الكفر ، ثم ما دون الكفر من الكبائر والصغائر ، ولكنه اختص فى العرف بارتكاب الكبيرة ، ولم يسمع الفسق فى كلام الجاهلية ، بمعنى الخروج عن الطاعة فهو بهذا المعنى من الألفاظ الإسلامية .

وقصر الإضلال بالمثل على الفاسقين ، إيذان بأن الفسق هو الذى أعدهم لأن يضلوا به ، حيث إن كفرهم قد صرف أنظارهم عن التدبر فيه حتى أنكروه وقالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلا .

ثم وصف الله ـ تعالى ـ هؤلاء الفاسقين بثلاث خصال ذميمة فقال فى بيان الخصلة الأولى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ .

والنقض : فى اللغة حقيقة فى فسخ وحل ما ركب ووصل ، بفعل يعاكس الفعل الذى كان

به التركيب مثل نقض الحبل المفتول وقد استعمل هنا مجازًا فى إبطال العهد بقرينة إضافته إلى عهد الله .

وعبر عن إبطال العهد بالنقض ، لأنه أبلغ فى الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما ، لأن فى النقض إفسادًا لهيئة الحبل .

والعهد : اسم للموثق الذى يلزم مراعاته وحفظه ، يقال : عهد إليه فى كذا ، إذا أوصاه به ووثقه عليه .

وعهد الله : تارة يكون بما ركز فى العقول من الحجة على التوحيد ، وتارة يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله ـ صلوات الله عليهم ـ وتارة بما يلتزمه المؤمن . وليس بلازم له فى أصل الشرع مما ليس بمعصية كالنذور وما يجرى مجراها .

والميثاق : التوثقة ، وهى التقوية والتثبيت ، **والمراد به** : **ما قوى الله به عهده** .

وقوله : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ متعلق بينقضون ، ومن لابتداء الغاية ، وميثاقه الضمير فيه يجوز أن يعود على العهد ، وأن يعود على اسم الله ـ تعالى ـ فهو على الأول مصدر مضاف إلى المفعول ، وعلى الثانى مضاف للفاعل .

أما الصفة الثانية التى وصفهم الله بها فهى قوله : ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ وهو عام فى كل قطيعة لا يرضاها الله ، كقطع الرحم ، والإعراض عن موالاة المؤمنين ، وترك الجماعات المفروضة ، وعدم وصل الأقوال الطيبة بالأعمال الصالحة ، وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شر .

وأما الصفة الثالثة التى وصفهم بها فهى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ .

والفساد فى الأرض يقع بعبادة غير الله ، وبالدعاية إلى الكفر به ، وبالاستهزاء بالحق ، وبالاعتداء على حقوق الغير ، وبغير ذلك من الأمور التى حرمها الله ـ تعالى ـ .

وعبر بقوله : ﴿ **فى الأرض** ﴾ للإشعار بأن فسادهم لا يقتصر عليهم ، وإنما هو يتعداهم إلى غيرهم .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد أن دمغهم بتلك الصفات المرذولة عاقبة أمرهم فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ .

الخاسرون : جمع خاسر مأخوذ من الخسر والخسران وهو النقص ، ومن نقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله بوصله ، وأفسد فى الأرض ، لا شك أنه قد نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز ، وكانت عاقبته الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

قال ابن جرير : « والخاسرون جمع خاسر ، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم من رحمة الله بسبب معصيتهم له ، كما يخسر الرجل فى تجارته بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه ، وكذلك المنافق والكافر قد خسرا بحرمان الله لهما من رحمته التى التى خلقها لعباده »[٣] ...

ـ يتبع ـ

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤١٧ طبعة دار المعارف .

احذروا العرافين والمنجمين والدجالين

بقلم الأستاذ / أحمد بن محمد طاحون

أشيع أخيراً ، وتبادلته بعض الصحف - حديث عن تدريس السحر فى بعض المناهج الدراسية فى الغرب ، وطرحت صحيفة هذه الفكرة على بعض الأساتذة المصريين فبينوا - جزاهم الله خيراً - ضرر ذلك العمل .

عن قطن بن قبيصة عن أبيه قبيصة بن المخارق أن النبى ﷺ قال : « إن الطرق والطيرة والعيافة من الجِبت » (النسائى وأبو داود بإسناد حسن) .

والجبت : كلمة تقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر ، وكل ما عبد من دون الله .

وقد ورد ذم قوم بها فى قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) ﴾ سورة النساء

وقد نهى الإسلام عن : الطَّرْق ، والطيَرة ، والعِيافة ، وقبّح الاعتقاد فى هذا ، وعاب من يأخذ بذلك ، وأنذره بالويل والثبور .

والطرق : نوع من العرافة وإدعاء علم المكنونات ، والإخبار عن أمور مغيبة وهو دجل يوهم به السذج الذين لم يرب تفكيرهم على نحو سليم ، والطرق : وهو ما يفعله بعض أهل الدجل والنصب من النساء والرجال من الضرب بالحصا أو (الودع) والكلام فى (الودع)[1] ونحوه ، وكذلك الخط فى الرمل أو الأرض وإيهام أنه يُسْتَشَفُّ منه شىء يخبر به الضحية التى يتم النَّصْبُ[2] عليها وتوهين معتقدها .

وإن العّرافين والمنجمين ونحوهم يوهمون الناس بأمور لا حقائق لها ولا تستند إلى دليل ، أو يزورون كلاماً يستريح له الشخص وينفع له ولغيره ، ومن هؤلاء وعلى طريقتهم الذين يقرءون الكف والفنجان ، ويدعون معرفة ما يحدث فى مستقبل الشخص ، والأمر كله مبنى على وهم فى وهم ، وباطل فى باطل ، وقد كذب المنجمون ولو صدقوا ، أى : حتى لو وقع شىء بمحض الصدفة - التى قدرها الله عز وجل - مما قالوه فهم كاذبون فى إدعائهم معرفته قبل حصوله إذ لم

(١) الودع بتسكين الدال وفتحها : ضرب من خرز البحر منه الصغير ومنه الكبير .

(٢) المراد بالنصب هنا : الاحتيال على الضحية لاخذ ما يمكن من مالها .

يقع لهم العلم على الحقيقة ، وإنما حصول الشيء وافق قولهم بالصدفة .

وكم وقعت حوادث مؤسفة ، وضاعت أموال ، وتشتت شمل أسر ، واضطربت حياة أناس بسبب هؤلاء العرافين الدجالين الذين يجيدون لغة الكلام ، وبه يستحوذون على عقول بسطاء الناس إن لم يتداركهم الله بلطفه .

لذا ألحق الرسول ﷺ الطرق بالجِبْتِ الذى يطلق على عبادة غير الله ، لأن من يدعى علم الغيب ، ومعرفة ما يقع غدا للإنسان من خير أو شر ونحو ذلك إنما يشارك الله – عز وجل – فى علمه وسلطانه ، وذلك كذب وصاحب هذا الادعاء لا دين له ، ولا خلق ، مطرود من رحمة الله – عز وجل – .

لهذا أطلقوا لفظ الجِبْتِ على ما هو شرٌّ محض لا خير فيه مثل : السحر والساحر ، والشيطان والأصنام ، والشرك والكاهن ، أما الطاغوت فهو الشيطان وأطلق على الكهان الذين تنزل عليهم الشياطين وعلى كل ما يعبد من دون الله .

□ كذابون مضللون :

وفى الحديث المتفق عليه وقد روته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ عن الكهان فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله : إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقُرَّها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة** » .

وفى رواية البخارى : « **إن الملائكة تنزل العنان – أى السحاب – فتذكر الأمر قُضى فى السماء ، فيسترق الشيطان السمع ، فيسمعه ، فيوصيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم** » .

فَيَقُرُّها : بفتح الياء وضم القاف والراء أى يلقيها فى أذنه .

□ التوكل على الله والأخذ بالأسباب الصحيحة :

إن الإسلام أمرنا بالأخذ بالأسباب الصحيحة التى جعلها الله – عز وجل – وسائل لتحقيق المطلوب فالطعام يؤدى إلى الشبع ، وشرب الماء سبب فى الرى ، والاجتهاد فى الدرس والاستذكار يؤديان إلى تحصيل العلم ، وتعاطى الدواء الذى وصفه الطبيب الحاذق يؤدى إلى الشفاء بإذن الله تعالى – وغير ذلك من الأسباب التى أرادها الله لعباده مع الإيمان بأن السبب لا ينفع إلا بإرادته وحده فهو – سبحانه – خالق كل شيء ، وأهل العقل والحكمة يؤمنون عن يقين بأنه لا شاف إلا الله :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠

ولا نافع ولا ضار إلا الله وكل أمورنا بيده – وحده ، ومن طاعتنا لله الأخذ بالأسباب التى أرادها .

أما التوسلُ بالأسباب غير الصَحيحة ، والاعتماد على الوهم والباطل فإنه يفسد على الإنسان حياته ، ويضعف عقيدته ، ويبعث فى نفسه الأوهام والشكوك والشبهات ، ويجعله يعتقد فيما لا يجوز الاعتقادُ فيه .

من ذلك : حمل الخرز ، أو الودع ، أو الطلاسم ، أو تصديق العرافين ، والكهنة ، وضاربى الودع ، والناظرين فى الكف أو أوراق « الكوتشينة » وهذا ومثله يضر بإيمان المسلم

وبعبادته أبلغ الضرر ، إلى جانب ما يناله فى حياته من اضطراب ، وقلق ، وتحير ، وخضوع لأوهام أشخاص لا دين لهم ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ممن يسعون إلى السيطرة على عقول الناس وابتزاز أموالهم بالباطل والزور .

وقد جاء عند (مسلم) عن صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم يقبل منه صلاة أربعين يوما** » .

☐ **من أخبث الكسب :**

وإن كسب العرافين والكهان والدجالين والسحرة لمن أخبث الكسب ، وأشده حرمة ؛ لأنه يأتى عن طريق التحايل والغش وتضليل الناس ، وإضعاف توكلهم على الله مما يضر بدينهم ودنياهم .

☐ **براءة من المشعبذين :**

وقد تبرأ النبى ﷺ ممن يشتغل بالتكهن وادعاء علم الغيب ، وممن يقصدهم بقصد السؤال عن أحواله ومستقبله وما هو فى علم الغيب ومثله الاشتغال بالسحر ، وقصد السحرة ثقة فيهم ، فعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس منا من تُطيِّر أو تُطيِّر له ، أو تكهن له ، أو سحر أو سُحِرَ له** » .

وجعل الإسلام الثقة فى الكهان وأضرابهم وتصديقهم من الكفر بما جاء به الوحى فقال : « **ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علَى محمد** » . [أخرجه البزار بإسناد حسن والطبرانى من حديث ابن عباس] .

وفى الحديث الذى رواه جابر بن عبدالله ، وأخرجه البزار بإسناد جيد قوى مثله من : « **من أتى كاهناً** .. » الحديث .

وفى رواية أنس عن الطبرانى من رواية رشيد بن سعد : « **من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أُنزل على محمد ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً** » .

كلمـات ومعانيهـا :

ما التطيـر ؟

إن التطير : هو التشاؤم بالطير ، أى زجر الطير وإطلاقه ، فإن طار إلى جهة اليمين تفاءل الإنسان ومضى فى طريقه لتجارة ونحوها ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم ورجع عن مقصده .

ولا يخفى ما فى هذا من الركون إلى الوهم والباطل ، وتعطيل المصالح ، والتضييق على النفس والفكر بما لا يليق بالإنسان ، وتلك كانت عادة جاهلية ، وقد شاع فى عصرنا الحاضر شىءُ من ذلك كالتشاؤم ببعض الأرقام مثل الرقم « ١٣ » أو ببعض الطيور ونحو ذلك .

والعـــراف :

وإن العراف كالكاهن ، وقيل : هو الساحر ، وهذه فئة متقاربة ومتماثلة فى أغراضها وطرق كسبها الخبيث .

قال البغوى : العراف هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدلُّ بها على مواقعها مثل المسروق : من الذى سرقه ، ومعرفة مكان الضالة ، ونحو ذلك .

والكاهـــن :

هو الذى يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ، ويخطىء أكثرها يزعم أن الجن تخبره .

صناعة لا تليق بأهل الإيمان :

لقد اشتد غضب الله على هذه الطوائف الضالة من الدجالين الذين يوهمون الناس أنهم يعرفون الغيب، ويشاركون علام الغيوب فى معرفة ما يقع فى المستقبل.

ألا ساء ما يدعون!

فليحذر أهل العقل والحكمة هؤلاء المضللين أصحاب تلك الصناعات الخبيثة، ولنسمع التحذير الذى جاء فى رواية واثلة بن الأسقع الذى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من أتى كاهنا فسأله عن شىء حجبت عنه التوبة أربعين يوماً، فإن صدقه بما قال فقد كفر** ». [أخرجه الطبرانى].

إنها صناعة السفليين من الملحدين ومجرمى الكفار والمشركين، ومن لا دين لهم احترفها ضعاف النفوس ممن ينتسب بعضهم إلى الإسلام، ويرتكبون هذه الآثام، ناسين انتقام الخبير العلام، غافلين عن العاقبة والوقوف أمام الميزان الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة، راضين بالدنيا عن الآخرة، راغبين فى منافع العاجلة، معرضين عن نعيم الباقية الدائمة فياويلهم وأمثالهم من يوم تعرض فيه الأعمال:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة آل عمران

فليحذر هؤلاء وأمثالهم غضب الله ـ عز وجل ـ ليحذروا الكسب الخبيث، ليحذروا إضلال الناس.

دعوة إلى التوبة :

ومن تاب وأناب وندم عسى الله أن يعفو عنه، وعليه أن يكون عوناً بعد ذلك على الخير بين الناس ويحذرهم من هذه المسالك الشيطانية ويبين لهم أن شيئا لا يضيع من خير أو شر:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

فياويل أمثال هؤلاء إن لم يتوبوا إلى الله، ويثوبوا إلى رشدهم، وتتيقظ ضمائرهم، وإن تعلم السحر لمن أكبر الكبائر يوم القيامة كالشرك بالله كما جاء فى الكتاب إلى أهل اليمن فى الفرائض والسنن والديات والزكاة: « **وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمى المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم** » [**أخرجه ابن حبان عن أبى بكر محمد بن حزم عن أبيه وهو الحديث الذى كتبه إلى أهل اليمن**]. وإن الذى يستعيذ بالجن او يستعين به فى الشعبذة والكهانة يخرج من ملة أهل التوحيد وينزل عليه غضب الله ـ جل جلاله.

قال سعيد بن جبير: ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن كفر وشرك إذ الاستعاذة تكون بالله ـ وحده: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الجن].

وأن التعلق بغير الله ـ تعالى ـ يحير الإنسان، ويبلبل فكره، ويشغل قلبه بما لا فائدة من ورائه، ويجعله نهبة للغشاشين والمشعبذين، والسحرة والمنجمين والعرافين ونحوهم، ممن يستثمرون بسطاء الناس وجهالهم كما تستثمر البقرة الحلوب بوسائل الحيلة والمكر.

الأحجبـــة:

وانسياقاً وراء هؤلاء الدجالين يعلق بعض الناس لأنفسهم أو لأطفالهم الودع والخرز وما شابه ذلك لرد (العين) فى اعتقادهم أو لأغراض أخرى كما كان يفعل أهل الشرك فى الجاهلية، وأمثال هؤلاء يدعو عليهم رسول الله ﷺ وينذرهم بالحرمان من حفظ الله خالقهم ومالك أمورهم لتعلق قلوبهم بغيره ـ سبحانه ـ فقد جاء فى الحديث الذى رواه عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق تميمة فلا ودع الله له**» [أخرجه أحمد وأبويعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

والتميمـة:

هى تلك الأحجبة والخرزة والطلاسم ونحوها مما يعلقه بعض الناس، وهو يضر بدين المشير به، والمتسبب فى تعليقه، وفيمن يعتقد فيه، وهو لا منفعة له ولا فائدة منه.

وفى الحديث: «**من علق فقد أشرك**» [أخرجه أحمد والحاكم ورواه عقبة بن عامر].

إن اعتقاد أن الخرزة ونحوها تدفع الآفات جهل وضلالة؛ إذ لا مانع إلا الله ولا دافع سواه.

وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود: أن عبدالله قال لها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» [من حديث طويل أخرجه ابن ماجة وأبى داود]

أى رقى المشعوذين، فأما الرقى الشرعية كقراءة الفاتحة والمعوذتين ونحو ما جاء فى حديث ابن مسعود فى وصيته امرأته بها: «**أذهب الباس رب الناس، واشف وأنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقم**» [**من حديث زينب امرأة عبدالله**]

فإنها رقى فيها الاستعانة بالله وحده، ثم هى مفهومة المعنى وفيها ذكر الله تعالى وورد بها النص.

كذلك الرقية بالقرآن: قراءة ختام سورة المؤمنون من:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

سورة المؤمنون

فقد رقى بها ابن مسعود مريضاً وأقره الرسول ﷺ كما جاء فى الخبر.

والمنهى عنه فى الرقى هو رقى الشعوذة، وكل ما لم يرد به نصّ عن الشرع، وما يدخله ألفاظ غير مفهومة وما يكون فيه سحر أو عبارات تكفّر صاحبها ونحو ذلك مما يفعله السحرة والمشعبذون ومما يشمل على مخاطبة الجان والاستعاذة بهم ونحو ذلك.

ومن حديث عبدالله بن حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق شيئا وكل إليه**» [أخرجه أبو داود والترمذى]

أى: جعل حفظه على تميمته وحرم من حفظ خالقه له.

قبس من أنوار النبوة

أنت ومالك لأبيك

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال النبى ﷺ : « أنت ومالك لوالدك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، فكلوا من كسب أولادكم »

رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه . « جامع الأحاديث برقم ٤٨٠٢ » .

٢ ـ وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رجلا أتى رسول الله ﷺ يخاصم أباه فى دَيْن عليه، فقال نبى الله ﷺ : « أنت ومالك لأبيك »

رواه ابن حبان « برقم ٤١٠ جـ ٢ » .

٣ ـ ورواه ابن ماجه عن جابر : أن رجلا قال : يارسول الله إن لى مالا وولدا وإن أبى يريد يجتاح مالى، فقال : وذكره . « جمع الجوامع ١٠ ـ ٤٤٩٥ » .

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قرن الإحسان للوالدين بعبادته وتوحيده وقرن شكرهما بشكره، وإن الناظر فى كتاب الله ـ عز وجل ـ فى غير موضع يجد العناية بالوالدين. والإشادة بمكانتهما. والأمر بأداء حقوقهما، وتعظيم شأنهما، وعدم الإساءة إليهما. ولو بأدنى كلمة تصدر من اللسان . إن الإسلام يأمرنا بحسن الخلق معهما، ولين الجانب وجميل القول والفعل وخفض الجناح تواضعا لهما ورفقا بهما. وخاصة عندما تتقدم بهما السن، ويبلغان حد الشيخوخة .

إن على الولد أن يسدد بعض الدين لوالديه بإكرامهما والتودد إليهما والحرص على حيازة

رضاهما. ففى رضاهما سعادة الدنيا والآخرة ولذا يقول النبى ﷺ : فيما رواه الترمذى وابن حبان والحاكم : « **رضا الله فى رضا الوالدين، وسخط الله فى سخط الوالدين** » .

إن بر الأبوين مقدم على الجهاد، فعن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ قال: هاجر رجل من أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: هل لك أحد باليمن؟ قال : أبواى. قال : أذنا لك ؟ قال : لا. قال : « فارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فَبِرَّهما » ــ أبوداود .

وذكر البخارى فى كتاب ــ بر الوالدين ــ عن عبدالله بن عمرو ــ رضى الله عنهما ــ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ يبايعه على الهجرة، وترك أبويه يبكيان، فقال ﷺ : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » .

ولايقتصر حق الوالدين وبرهما حال حياتهما فقط. وإنما يمتد إلى مابعد وفاتهما متمثلا فى إتمام ماانقطع بوفاتهما من عهود ووصايا فى الخير.

فعن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى قال فيما رواه أبوداود: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال: يارسول الله، هل بقى من برى أبوىّ شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : « نعم . الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» .

روى الطبرانى والحاكم. عن أبى بكرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال النبى ﷺ : « كل الذنوب يؤخر الله ــ تعالى ــ ماشاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات » « جامع الأحاديث جـ ٥ رقم ١٥٧٥٦ » .

وإذا كان للأم فى الإسلام. منزلة خاصة. فلأنها تحملت وحدها أضعاف المتاعب التى لاتتأتى للوالد ومن أشدها صعوبة الحمل والإرضاع والتربية وتشعر فى كل ذلك بالسعادة. وتتمنى لك الحياة الطيبة .

ونسوق موعظة بليغة للذين يسيئون معاملة الأبوين أو يودعونهما دور المسنين. وخاصة الأم .

يقول الإمام الذهبى ــ فى كتاب الكبائر : « أيها المضيع لآكد الحقوق المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليك، الغافل عما بين يديك ، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك وهى تحت أقدام أمك، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وكابدت عند الوضع مايذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا، وأطارت لأجلك وسنا، وغسلت بيدها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا وصيرت حجرها لك مهدا، وأنالتك إحسانا ورغدا، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا.. وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا. فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهى جائعة، ورويت وهى قانعة، وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، وهجرتها ومالها سواك نصير .

هذا .. ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف.. ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين. يناديك بلسان التوبيخ والتهديد :

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ . (سـورة الحج)

وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ «لقمان» .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لاتقبل واحدة بغير قرينتها :

إحداها قوله ـ تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

الثانية : قوله ـ تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ أن اشكر لى ولوالديك ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «رضاءالله فى رضا الوالد، وسخط الله فى سخط الوالد» رواه ابن حبان وغيره..

وللأب منزلة. فهو مع الأم سبب فى وجود وليدهما. وهو يجد ويسعى فى طلب العيش وتحصيل الرزق. يواصل الليل بالنهار، ويتحمل المشاق فى سبيل إسعاد أولاده. فلذا كان من حقه على أولاده الطاعة والاحترام. وامتثال الأمر واجتناب النهى فى غير معصية لله. لكن الكثير من الأولاد يكبر فيستقل بحياته. ويستبدل البر والإحسان بالعقوق والإساءة والنكران .

وفى حديث الباب كما فى تفسير القرطبى :

عن جابر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله: إن أبى أخذ مالى، فقال النبى: فأتنى بأبيك، فنزل جبريل على النبى فقال: إن الله عز وجل ـ يقرئك السلام، ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ماسمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : مابال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال: سله يارسول الله، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى؟ فقال رسول الله. إيه، دعنا من هذا، أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ماسمعته أذناك .

فقال الشيخ: والله يارسول الله مازال الله ـ عز وجل ـ يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيئا ماسمعته أذناى .

قال: قل اسمع . قال قلت :

غذوْتك مولودا ومنـتك يافعـا
تعـل بما أجنـى علـيك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
بسقـمك إلا ساهـرا أتملمـل

كأنى أنا المطروق دونك بالـذى
طُرِقت به دونى فعينــى تهمـــل

تخاف الردى نفسى علـيك وإنها
لتعلــم أن الموت أمــر مؤجــل

فلما بلغت السن والغاية التــى
إليها مدى ما كنت فيك أؤمـــل

جعلت جزائى غلظــة وفظاظـــة
كأنك أنت المنعــم المتـــــفضل

فليــتك إذ لم ترع حق أبـــوتى
فعــلت كما الجار المجاور يفعـــل

فأوليتنـــى حق الجوار ولم تكـــن
علـــىّ بمال دون مالك تبخـــل

فهل نبر الآباء حتى يبرنا الأبناء. وكما ندين ندان .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ فيما رواه ابن حبان وغيره : « إن أبّر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » .

تصـــويب

وقـع خطأ مطبعى يجب تصحيحــه ص٩٤٨ عدد رجب ١٤١٧ هـ نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٦ م سطر ١٢ فى العبارة :

« والخلق : أصله الايجاد على تقدير وتسوية ويطلق على القرآن »

وصحة العبارة :... « ويطلق فى القرآن » .

رجاء الاهتمام والتصحيح .

مجلة الأزهــر

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

للدكتور السيد رضوان محمد جمعه*

تمهيد
فى تعريف الكفارة ودليلها وحكمة مشروعيتها

أولا : تعريف الكفارة :

(أ) الكفارة عند اللغويين :

الكفارة لغة : مأخوذة من الكفر ، وهو التغطية والستر ، لأنها تغطى الذنب وتستره ، تخفيفا من الله ـ تعالى ـ .

(ب) الكفارة فى اصطلاح الفقهاء :

عرفها الكاسانى(1) فقال : « هى فى عرف الشرع اسم للواجب » أى ما أوجبه الله ـ تعالى ـ على من أتى شيئاً منهياً عنه أو قصر فى مأمور به .

وعرفها البيجرمى فقال : وأما معناها شرعاً : فهى مال أو صوم وجب بسبب : كحلف أو قتل أو ظهار .

---

(1) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى ـ جـ ٥ ـ ص ٩٥ ـ طبع دار الكتاب العربى ـ بيروت . وانظر ـ أيضا ـ بحث الدكتور / محمد حسين قنديل تحت عنوان : كفارة الجماع فى نهار رمضان . مجلة كلية الشريعة والقانون بدمنهور ـ العدد التاسع ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ص ٦٦ .

* مدرس الفقه المقارن ـ كلية الشريعة والقانون ، فرع دمنهور

وعرفها الرحمانى فقال : هى مال أو صوم وجب بسبب من حلف أو قتل أو ظهار أو جماع نهار رمضان عمداً .

ثم قال : إن هذا التقييد يخرج الفدية .

وعرفها عبد البر فقال : هى حق واجب على الحالف أو القاتل أو المظاهر بعد حنثه أو عوده[٢] .

وجاء فى المجموع للنووى قوله : « وأما الكفارة فأصلها من الكفر ـ بفتح الكاف ـ وهو الستر ، لأنها تستر الذنب وتذهبه ، وهذا أصلها ، ثم استعملت فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك ، وإن لم يكن فيه إثم كالقاتل خطأ وغيره[٣] .

وعرفها بعض الفقهاء المحدثين فقال : هى العقوبة المقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها[٤] .

ومن هذه التعاريف نجد أن الكفارة : هى حق أوجبه الشارع على من أتى شيئاً منهياً عنه أو قصر فى مأمور به ، على وجه التحديد .

ثانياً ـ دليل كفارة القتل :

قال ابن الصباغ[٥] :

وأما كفارة القتل غير العمد فالأصل فيها الإجماع ، وسنده قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

---

(٢) حاشية البيجرمى على الخطيب ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣ .

(٣) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ٦ ـ ص ٣٣٣ ـ طبع دار الفكر .

(٤) التشريع الجنائى الإسلامى للدكتور عبد القادر عودة ـ جـ ١ ـ ص ٦٨٣ ـ مكتبة القاهرة .

القول بأن الكفارات عقوبة غير مسلم على إطلاقه ، لأنه لا خلاف بين الفقهاء على أن الكفارات من الحقوق الدائرة بين العبادة والعقوبة ، وأنها عقوبة وجوبا عبادة أداء كما لا خلاف بينهم على أن وصف العبادة فى كفارة اليمين والقتل الخطأ هو الغالب ، وأن وصف العقوبة تبع له .

ومعنى كونها عقوبة وجوبا : أنها وجبت أجزية الأفعال يوجد فيها معنى الحظر كالعقوبات .

ومعنى كونها عبادة أداء : أنها تتأى بالصوم والإعتاق والصدقة وهى قرب ، وتؤدى بطريق الفتوى كالعبادات دون الاستيفاء كالعقوبات .

فالقول بأنها عقوبة محضة إنما يتصور فى كفارة الفطر عمدا فى رمضان فقد أورد فخر الإسلام فى كفارة الفطر خاصة : أنها وجبت قصدا إلى العقوبة والزجر ، بخلاف سائر الكفارات فإن العقوبة فيها تبع ، إذ لا معنى للزجر عن القتل الخطأ مثلا .

انظر : شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح للتفتازانى ـ جـ ٢ ص ١٥٤ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ـ ج ـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٩ .

(٥) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١١٥ .

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٦]

ثالثاً ـ حكمة مشروعية الكفارة :

شرعت الكفارة لتكون سبباً لوجوب التوبة ، وهو إسلامه وعهده مع الله أن لا يعصيه ، وإذا عصاه تاب ؛ لأنها من تمام التوبة ، لأنها شرعت للتكفير .

ولذلك فإن الكفارة تمحو الذنب بناء على أنها جابرة فى حق المسلم ، زاجرة فى حق غيره ، فهى جابرة كسجود السهو يجبر الخلل الواقع فى الصلاة ، فكأنه لم يوجد ، وهو ما رجحه ابن عبد السلام ، أو تخففه بناء على أنها زاجرة كالحدود ؛ لأن بسببها ينزجر الإنسان عن ارتكاب الموجب لها[٧] .

المبحـــث الأول
وجــوب الكفــارة على غيــر المــكلف

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين الفقهاء فى وجوب الكفارة على المسلم البالغ العاقل .

كما لا خلاف بينهم فى عدم وجوب التكفير بالصوم على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر .

وإنما الخلاف بينهم فى وجوب الكفارة على هؤلاء فى أموالهم على مذهبين :

المذهب الأول : وجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم : وإليه ذهب جمهور الفقهاء : الشافعية[٨] والحنابلة[٩] ، والأباضية[١٠] ، وبه قال المالكية إذا لم يكن القاتل

---

(٦) سورة النساء ـ الاية ٩٢ .

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٨ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت لبنان ـ سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
حاشية البيجرمى على الخطيب ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣ ، ٣٠٧ .

(٨) ففى مغنى المحتاج قوله : «يجب بالقتل كفارة ، وإن كان القاتل صبيا أو مجنونا» .
انظر : معنى المحتاج للشربينى ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٧ ـ طبع دار الفكر .
وقال صاحب المجموع : «إذا كان القاتل صبيا أو مجنونا أو كافرا وجبت عليهم الكفارة»
وقال النووى فى الروضة : «تجب الكفارة على الذمى والعبد ، وفى مال الصبى والمجنون إذا قتلا»
انظر : المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ ص ١٨٨ ـ طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
روضة الطالبين للنووى ـ جـ ٩ ـ ص ٣٨٠ طبع المكتب الاسلامى ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(٩) وفى المغنى والشرح الكبير قوله : «وسواء كان القاتل كبيرا أو صبيا أو مجنونا حرا أو عبدا» أى إذا كان القاتل صبيا أو مجنونا وجبت الكفارة فى أموالهما وكذلك الكافر . وفى موضع آخر يقول : «وإذا قتل الصبى والمجنون وجبت الكفارة فى أموالهما وكذلك الكافر» .
انظر : المغنى والشرح الكبير لابن قداته ـ جـ ٩ ـ ص ٥٧٠ ، ٦٢١ ـ طبع دار الغد العربى سنة ١٩٩٥ .

(١٠) وفى شرح كتاب النيل قوله : «ولزم جانبا فيما تولد من قبله خروج نفس وإن لرقيق . قيل : وإن بعمد كفارة
انظر : شرح كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف أطفيش ـ جـ ١٥ ـ ص ٨٦ . مكتبة الإرشاد ـ جدة ـ السعودية .

كافراً[11] .

المذهب الثانى : عدم وجوب الكفارة على الصبى والمجنون ، والمعتوه والكافر مطلقاً ، وإليه ذهب الحنفية[12] ، والزيدية[13] والظاهرية[14] وبه قال المالكية إذا كان القاتل كافراً[15] .

وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه .

الأدلـــة

أولاً ـ أدلـة الجمهـــور :

استدل الجمهور ـ القائلون بوجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ـ بالمنقول من الكتاب والسنة والمعقول :

١ ـ أما الكتاب فبقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[16] .

وجه الدلالة من الآية : أوجب الله ـ عز وجل ـ فى هذه الآية الكفارة على القاتل خطأ دون تفرقة بين أن يكون القاتل صبياً أو مجنوناً أو غيرهما[17] .

---

(١١) وفى الشرح الكبير قوله : «وعلى القاتل الحر لا العبد لعدم صحة عتقه ، المسلم لا الكافر ؛ لأنه ليس من أهل القرب ، وإن كان صبيا أو مجنونا ... عتق رقبة مؤمنة» .

وفى الحطاب قوله : «وعلى القاتل الحر المسلم وإن صبيا أو مجنونا أو شريكا إذا قتل مثله معصوما خطأ عتق رقبة» .

انظر : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ـ طبع الحلبى . مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ص ٢٦٨ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(١٢) وفى المبسوط قوله : «ولكون فعل الصبى دون خطأ البالغ فى الحكم قلنا لا يلزمه الكفارة بالقتل» المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٦ ـ ص ٨٧ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م . وفى البدائع قوله : «فلا تجب الكفارة على الكافر والمجنون والصبى» انظر : بدائع الصنائع للكاسانى ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٢ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

(١٣) وفى السيل الجرار للشوكانى قوله : «والكفارة على بالغ عاقل مسلم قتل ـ ولو نائما ـ مسلما أو معاهدا» السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٤٢٤ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(١٤) وفى المحلى لابن حزم الظاهرى قوله : «ولا قود على مجنون فيما أصاب فى جنونه ، ولا على من لم يبلغ ، ولا على أحد من هؤلاء دية ولا ضمان ، وهؤلاء والبهائم سواء»

المحلى لابن حزم الظاهرى : جـ ١٠ ـ ص ٣٤٤ ـ طبع دار الأفاق ـ بيروت ـ لبنان .

ومن الجدير بالذكر أن ابن حزم الظاهرى أوجب الكفارة على الكافر الذمى بشرط الإسلام فقال : «وذلك واجب على الذمى الا أنه لا يقدر فى حاله تلك على عتق رقبة مؤمنه ، ولا على صيام حتى يسلم ، فإن أسلم يوما لزمه العتق أو الصيام ، فإن لم يسلم حتى مات ، لقى الله ـ عز وجل ـ وذلك زائد فى إثمه وعذابه ولا يصوم عنه وليه ، هذا كله نص القرآن الذى لا يجهله من له فى العلم أقل حظ»

انظر : المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٩ .

(١٥) انظر حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ المرج السابق ـ ص ٢٨٦

مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٨ .

(١٦) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(١٧) المجموع شرح المذهب للنووى ـ جـ ١٩ ـ ص ١٨٨ ـ طبع دار الفكر .

٢ ـ وأما السنة فبما روى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يا رسول الله ـ إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية ؟ فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « **اعتق بكل موءودة رقبة** » . ورواه ابن حزم بلفظ : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يا رسول الله : إنى صاحب إبل قال : « **فانحر عن كل واحدة منهن بدنه** »(١٨) .

وجه الدلالة من الحديث : هذا الحديث نص فى إيجاب الكفارة على الكافر(١٩) .

٢ ـ وأما المعقول فبوجوه :

الأول : أن الكفارة من خطاب الوضع فتجب على الصبى والمجنون فى أموالهم كعوض المتلفات والزكاة(٢٠) .

الثانى : أنها من باب الضمان ـ أيضاً ـ فتجب فى مالهما ، فيعتق الولى عنهما من مالهما ، ولا يصوم عنهما بحال(٢١) .

الثالث : أن التكفير حق مالى يتعلق بالقتل ، فتعلق بقتل الصبى والمجنون كالدية(٢٢) .

الرابع : قياس الكفارة على الحدود ، فكما يجب إقامة الحد على الكافر ، كذلك تجب الكفارة عليه وتكون عقوبة عليه كالحدود(٢٣) .

وبعبارة أخرى : أن الكفارة تجب على المسلم للتكفير ، وعلى الكافر عقوبة ، كما أن الحدود تجب على المسلم كفارات وعلى الكافر عقوبة(٢٤) .

ثانياً ـ أدلة المذهب الثانى :

استدل الحنفية ومن وافقهم على عدم وجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر بالمنقول من السنة والمعقول :

---

(١٨) المجموع شرح المذهب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٩ .
المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

(١٩) المجموع شرح المذهب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ص ١٨٩ .

(٢٠) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦ وورد فيه قوله : « ومعنى أن الخطاب بالكفارة من خطاب الوضع ، أى جعل الشىء سبباً ، فالشارع جعل القتل الخطأ سبباً للكفارة ، ولو من صبى أو مجنون ، والوجوب على الولى وقال الحطاب ـ أيضاً ـ خطاب الوضه هو الخطاب بكثير الأسباب والشروط والموانع ، ولا يشترط فيها علم المكلف ولا قدرته ولا كونه من كسبه » انظر : مواهب الجليل للحطاب ـ جـ ٦ ـ المرجع السابث ـ ص ٢٣٢ ، الفواكه الدوانى ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧٣ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

(٢١) مغنى المحتاج للشربينى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٧ .

(٢٢) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ المرجع السابق ـ ٥٧١ ، ٦٢١ . المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٩ .

(٢٣) المغنى والشرح الكبير ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ٩٤ .

(٢٤) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ١٨٩ .

١ ـ أما السنة فبما روى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق**[٢٥] ».

وجه الدلالة من الحديث :

الحديث نص فى أن ما يصدر عن الصبى والمجنون من قول أو فعل غير معتبر ، ولا إثم عليه ، ولا يؤاخذ عليه شرعاً ، فدل ذلك على عدم وجوب الكفارة على أيهما ؛ لأن الكفارة لرفع الإثم ، ولا إثم فى فعل أى منهم .

٢ وأما المعقول فبوجوه :

الأول : أن الكفارة كاسمها ستارة ، ولا ذنب لهم لتستره[٢٦] .

الثانى : أنها عقوبة وهم ليسوا من أهلها ؛ لأنهم مرفوعوا القلم[٢٧] .

الثالث : أن الكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة ، بمعنى أن فيها معنى العبادة ومعنى العقوبة ، ولا تجب على الصبى والمجنون ومن فى حكمها عبادة ولا عقوبة[٢٨] .

الرابع : أن سبب الكفارة يكون دائراً بين الحظر والإباحة ؛ لتكون العقوبة متعلقة بالحظر ، وفعلهم لا يوصف بالجناية ؛ لأنها اسم لفعل محظور ، وكل ذلك يبنى على الخطاب ، وهم ليسوا بمخاطبين ، فكيف تجب عليهم الكفارة[٢٩] .

الخامس : القياس على كفارة اليمين ، فكما لا تجب على الصبى والمجنون كفارة يمين ، كذلك لا تجب عليه كفارة القتل[٣٠] .

السادس : أن الكفارة عبادة محضة تجب بالشرع ، فلا تجب على الصبى والمجنون كالصلاة والصيام[٣١] .

السابع : أن الكفارة يترجح فيها معنى العبادة ؛ لأنها تتأدى بالصوم الذى هو محض عبادة ، والعبادة لا تتأدى إلا بالنية ، وشرط النية الإسلام ، فلا تصح الكفارة من الكافر ؛ لأنه ليس بأهل للعبادة[٣٢] .

---

(٢٥) رواه البخارى وابن ماجة : انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ـ جـ ٩ ـ ث ٣٠٥ طبع دار الريان للتراث ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م . (١١) باب الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران ـ حديث رقم ٥٢٧١ ، ٥٢٧٢ ـ وقد روى هذا الحديث فى الشرح سنن ابن ماجة ـ جـ ١ ـ ص ٦٥٨ ـ حديث رقم ٢٠٤١ (١٥) باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ـ طبع دار إحياء الكتب العربية .

(٢٦) شرح فتح القدير مع التكملة لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ ص ٢٣٢ ـ طبع دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

(٢٧) تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ ص ١٣٩ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عن الطبعة الأولى سنة ١٣١٥ هـ .

(٢٨) (٢٩) تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .

(٣٠) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ والمرجع السابق ـ ص ٦٢٣ .

(٣١) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .

(٣٢) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣١ .

قال صاحب البدائع : « فلا تجب الكفارة على الكافر والمجنون والصبى ؛ لأن الكفار غير مخاطبين بشرائع هى عبادات ، والكفارة عبادة ، والصبى والمجنون لا يخاطبا بالشرائع ـ أصلا»[٣٣] .

الثامن : أن المقصود بالكفارة التكفير والتطهير ، والكافر ليس بأهل له ؛ لأن ما فيه من الشرك أعظم[٣٤] .

مناقشة الأدلة

مناقشة أدلة الجمهور :

وردت على أدلة الجمهور ـ القائلين بوجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ـ المناقشات الآتية :

١ ـ يناقش استدلال الجمهور بالآية بأن العموم الوارد فيها مخصوص بغير الصبى والمجنون والمعتوه لحديث : « رفع القلم عن ثلاث .... الحديث »[٣٥]

ومن ثم فالصبى والمجنون لا يدخلان فى الخطاب .

وأجاب عن هذا صاحب المجموع فقال : إنما لا يدخلان فى خطاب المواجهة لقوله ـ تعالى ـ : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله»[٣٦] ، ويدخلان فى خطاب الأنام ، كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فى كل أربعين شاة شاة »[٣٧] .

٢ ـ حديث عمر بن الخطاب مردود بوجهين :

أحدهما أنه ضعيف .

قال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى : وأما خبر عمر بن الخطاب فلا يصح ؛ لأن فى طريقه اسرائيل وهو ليس بالقوى ، وسماك بن حرب وكان يقبل التلقين .

الثانى : وقال ابن حزم أيضا ـ فكان يكون فى إيجاب ذلك على كل من قتل نفسا فى الجاهلية ، وهو كافر حربى كما كان قيس بن عاصم المأمور بهذه الكفارة فى هذا الحديث ، وهم لا يقولون بهذا أصلا ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر[٣٨] .

---

(٣٣) بدائع الصنائع للكاسانى ـ جـ ٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٥٢ .

(٣٤) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣١ .

(٣٥) راجع ص ٩ من هذا البحث .

(٣٦) سورة البقرة ـ الآية ٢٧٨ .

(٣٧) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣٨) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

٣ ـ ويناقش الاستدلال بالمعقول بأن القول بأن الخطاب بالكفارة من خطاب الوضع غير مسلم ؛ لأن جعل الصوم أحد قسميها يقتضى أنها من باب خطاب التكليف ؛ لاشتراط التكليف فى الصوم .

وأجيب عن هذا : بأننا قلنا إنها من خطاب الوضع بالنسبة للقسم المالى ، فيعتق عنه وليه ، لأنها كعوض المتلفات ، لأنها عوض عن النفس ، فإن عجز أُخِرّ الصوم لبلوغه(٣٩) .

مناقشة أدلة المذهب الثانى :

نوقشت أدلة الحنفية ومن وافقهم ـ القائلين بعدم وجوب الكفارة على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ـ بالمناقشات الآتية :

أولا : قياس الكفارة على الصوم والصلاة قياس مع الفارق ؛ لأن الصوم والصلاة عبادتان بدنيتان ، والكفارة عبادة مالية أشبهت نفقات الأقارب(٤٠) .

وأجيب عن هذا : بأن الكفارة فيها معنى العبادة والعقوبة ، ولا تجب على الصبى والمجنون عبادة ولا عقوبة ؛ لأن الشرع أسقط عنهما التكليف(٤١) .

وأعترض على هذا : سلمنا ذلك فى حق الصبى والمجنون والمعتوه ، لكن لا نسلمه فى حق الكافر ؛ لأنه يصح منه العتق ، ولا يصح منه الصوم ، فلا تمتنع الكفارة بامتناع بعض أنواعها ، كما فى حق العبد(٤٢) .

ثانيا : القياس على كفارة اليمين قياس مع الفارق ـ أيضا ـ ؛ لأن كفارة اليمين تتعلق بالقول والصبى والمجنون لا قول لهما ، بخلاف كفارة القتل ، فإنها تتعلق بالفعل ، وفعلهما متحقق ، قد أوجب الضمان عليهما ؛ لأنه يتعلق بالفعل مالا يتعلق بالقول بدليل إحبالها(٤٣) أى أن العتق يتعلق بإحبالهما دون إعتاقهما بقولهما .

ثالثا : القول بأن الكفارة لا تتأدى إلا بالنية فلا تصح من الكافر غير المسلم ؛ لأن النية إنما تعتبر لتعيين الفعل للكفارة ، ولا يمتنع ذلك فى حق الكافر ، كالنية فى كنايات الطلاق(٤٤)

---

(٣٩) انظر المناقشة والرد علايها : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٨٦ (بتصرف) .
(٤٠) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .
(٤١) تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .
(٤٢) تفسير الفخر الرازى ـ جـ ٢٩ ـ مجلد ١٥ ـ ص ٢٥٣ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .
الكبير كشاف القناع للبهونى ـ جـ ٦ ـ ص ٦٦ ـ طبع عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م . المغنى والشرح
(٤٣) لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٢١ .
(٤٤) المغنى لابن قدامة على مختصر الخرق ـ جـ ٧ ـ ص ٣٣٩ .

رابعا : القول بأن الكافر ليس من أهل الكفارة ، يبطل بوجوب كفارة الصيد عليه إذا قتله فى الحرم[٤٥] .

الرأى المختار :

وبعد عرض مذاهب الفقهاء وأدلتهم فى مدى وجود كفارة القتل على الصبى والمجنون والمعتوه والكافر فى أموالهم ، ومناقشة ما أمكن مناقشته منها ، فإننى أميل إلى ترجيح رأى القائلين بعدم وجوب الكفارة على أحد من هؤلاء فى أموالهم ؛ لأن الكفارة لرفع الإثم الحاصل نتيجة عدم التحرز والاحتياط ، ولا إثم فى فعل الصبى والمجنون والمعتوه ، هذا فضلا عن أن الكفارة فيها معنى العبادة والعقوبة ، ولا تجب على هؤلاء عبادة ولا عقوبة .

كما أن ما فى الكافر من الشرك أعظم من الإثم الحاصل من القتل الموجب للكفارة ، ولا تنفعه الكفارة لقوله ـ عز وجل ـ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ »[٤٦]

ورغم ذلك فإننى أرجح رأى الإمام أبى محمد على بن حزم الظاهرى فى ان الكافر تجب عليه الكفارة بشرط الإسلام ، فإذا أسلم يوما ما لزمه العتق أو الصيام ، فإن لم يسلم حتى مات لقى الله ـ عز وجل ـ وذلك زائد فى إثمه وعذابه[٤٧] .

« يتبع »

---

(٤٥) المغنى لابن قدامة على مختصر الخرقى ـ جـ ٧ ـ المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٤٦) سورة النساء ـ الآية ٤٨ ، ١١٦ .

(٤٧) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٩ .

رحمة الإسلام بالطير وبالحيوان

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

الرحمة ابتسامة من نور فى ثغر هذا الوجود ، وكوكب درى سماء الإنسانية المثالية ، والرحمة بشير الخير للنفوس التى عضها الدهر بنابه وأصابها بأوصابه !! والرحمة صفة النفس الكريمة والقلوب السليمة والأخلاق القويمة ، ورحمة الله الواسعة يستحقها المحسنون المتقون

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(من الآية ـــ ٥٦ ـ من سورة الأعراف)

﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

سورة الأنعام

والرحمة الإلهية يلازمها الإحسان إلى من يمنحهم الله رضاه فيختصهم برحمته تفضلا منه ونعمة وإكراماً منه جل جلاله ، والله يقول :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب

ولايوجد شيء يعادل رحمة الله غير علمه عز وجل ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ والله أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الآية ـ ١٠٧ ـ من سورة الأنبياء)

وجعله بالمؤمنين رءوف رحيما وقال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة التوبة)

(أما الأنعام فهى نعمة من الله تعالى)

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة النحل

ثم يقول جل جلاله : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة النحل

وفى قول الله عز وجل ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ إشارة إلى أن نعم الله التى لا تعد ولاتحصى توجب شكر المنعم المتفضل على المنعم عليه بمقابلة نعمته هذه بالرفق بالحيوان بالإطعام حتى يشبع وبالسقى حتى يرتوى ، فهو يتألم من الجوع ويبكى بغير دموع ، يتألم ولايتكلم ، والله يقول للإنسان العاقل :

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة القصص

إن الله خلق بهيمة الأنعام لنفع الإنسان وذللها له فهى خادم مطيع للصغير والكبير :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة يس

إن الله قد ذللها ... فلماذا يهملها قساة القلوب غلاظ الأكباد من بنى البشر ؟

ولايجوز أن يوضع حمل ثقيل على الدابة قد لاتطيقه فإذا ظهر عليها التألم انهال عليها بالضرب بدون رحمة أو وازع دينى يقول له : الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من

فى السماء ، فمن حفظ دين الله حفظه الله ، والسعيد من وفقه الله لطاعته وهداه ، فمن اتقى الله وقاه الله ورعاه ، ولكن الرحمة لاتنزع إلا من شقى ذى قلب غليظ فظ .

جاهلية العرب فى الأنعام

خلق الله الأنعام لمنافع الناس ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ ولكن تقاليد المجاملة قد جعلت بعض العرب لاينتفعون أحيانا بأنعامهم ويعطلون ما خلقت من أجله !!

فمن عاداتهم العجيبة ومن تقاليدهم الغريبة فى أيام جاهليتهم «فى أنعامهم» مايسمونه «السائبة» وهى الناقة التى يقول صاحبها : إن برئت من مرضى وعدت من سفرى فناقتى سائبة وبهذا ـ يحرم ركوبها ودرها ؛ و(الوصيلة) الوصيلة من الشاء : التى وصلت بين سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت فى السابعة عناقاً وجديا قيل وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها[1] ، وأما (الحام) فهو الفحل الذى ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقال عنه قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه أما (البحيرة) هى الناقة التى تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فإنهم كانوا يبجرون أذنها أى : يشقونها ثم يحرمون ركوبها ودرها .

أرأيت كيف كانوا يعطلون المنافع ؟ فلما جاء الإسلام أبطل كل هذا وأنكره عليهم ، وبشريعة الإسلام استقر الأمر واستتب الأمن وسعد الناس فى حياتهم والله جل جلاله يقول :

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سُورَةُ المَائِدَة

يسومونه سوء العذاب

ولقد كان الناس فى جاهليتهم يسومون الحيوان سوء العذاب فإذا مات كبير القوم يعقلون ناقته أو بعيره عند قبره ويتركونه فى حفرة لايطعم ولايسقى حتى يموت !!

وكان الشيطان يأمرهم بشق آذان الأنعام كما حكاه القرآن عنهم وعن شيطانهم :

﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ
فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ (ســورة النساء)

ومن تعاليم الإسلام أن نتقرب إلى الله بالإحسان إلى الحيوان الخادم المطيع لصاحبه وهو أمانة عنده ، والرحمة تصدر من قلب سليم وخلق كريم وعاطفة نبيلة ، فلقد وردت أحاديث نبوية مطهرة فى فضل إطعام الإنسان والطير والحيوان منها قوله صلوات الله وسلامه عليه :

(ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهمة إلا كان له به صدقة) صحيح مسلم .

وصح أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيه فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا من العطش مثل الذى بلغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكره الله وغفر له قالوا : يا رسول الله وإنه لنا فى البهائم أجراً قال : فى كل ذات كبد رطبة أجر) صحيح البخارى .

لو تأملت فى قولهم وإن لنا فى البهائم أجراً لعرفت كيف كانوا يستهينون بالبهائم ، وكأنهم كانوا لا يعلمون أن الله لا يضيع أجر من يحسن إلى الأنعام وأما من كان قاسياً جباراً لايرحم طيراً ولاحيواناً فعليه الوزر وسيعذب مثل ماعذبت إمرأة فى هرة فقد جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال :

«عذبت إمرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من حشاش الأرض»
«البخارى ومسلم»

لقد كانت ولازالت وستظل الرحمة بكل ذى كبد رطبة من شيم المؤمنين وخلق المتقين لأن رسالة خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ كانت رحمة للعالمين أجمعين ولولا الرسالات الإلهية لأصبح الإنسان وحشاً ضارياً ولصار جباراً شقياً ولولا الإسلام القيم لما عرف الناس حقوق الإنسان ؛ وبالتقوى ترقى الأمم وتظهر الذمم ويستقر الأمر ويستتب الأمن وتطمئن القلوب ولئن كان صيد الطير والحيوان المباح أكل لحمه جائزاً شرعاً إلا أن الذبح والصيد له شروط شرعية تراعى رحمة بالطير أو الحيوان الذى سيذبح تخفيفاً للألم ، فلا يذبح أمام غيره من مثله ، ولاتحد السكين أمامه ، ولايجر بعنف وقسوة إلى مكان الذبح منعا من إيلامه .

إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

والله رءوف بالعباد فلا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ، وسيمنح الله الرحماء رحمته ، فما خلق الإنسان ليكون فظاً غليظ القلب لا يرحم طيراً أو حيواناً أو آدمياً ولا يتعامل مع الناس بالرفق والإباء والصبر والحلم والذوق والرقة والتلطف ، وإنما خلق ليكون مسلماً تقياً مخلصاً وفياً لا جباراً عصياً ولا مجرماً شقياً !!!

وقد يباح شرعاً قتل الضار من الحيوان : كالكلب العقور والفأرة المؤذية المعدية ونحو ذلك مما يكون أمره خطيراً من سباع ووحش يهاجم الآمنين ولكن لا يصح إحراقه بالنار فى قتله أو التمثيل

به فقد أذن الإسلام بقتله مع الإحسان فى قتله (فأحسنوا القتلة) .

وإذا وضع الطير فى قفص مثلاً فيجب إطعامه وسقيه وإكرامه .

وليس من الرفق بالطير وضعه مع غير جنسه من الطيور .

وليس من الرحمة بالحيوان وضع قلائد ضيقة فى رقبته تضايقه وترهقه حين يمشى أو يأكل أو يشرب .

وليس من الرحمة حبسه فى مكان ضيق أو أن يشد وثاقه بالسلاسل وغير ذلك .

وليس من الرحمة بالحيوان السليم وضعه مع حيوان مريض يؤذيه ويعديه ، وليس من الرحمة إلقاء حمل ثقيل عليه وقد يكون جائعاً هزيلاً أو مريضاً ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ مَرَّ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال (اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة) « رواه أبو داود » .

يعنى كان بطنه خاوياً من شدة الجوع والعطش والضعف : والمعجمة التى لا تنطق لتعبر عن آلامها وأحوالها ، فقد تتألم ولكن لا تتكلم :

وليس من الرحمة ألا يعطى الحيوان قسطاً من الراحة : فيترك يعيش فى عناء مستمر ظالم .

وليس من الرفق به أن يضرب بالعصا أو السوط .

وليس من الرحمة أن يمكن طفل من التلهى بطير يعبث به ويعذبه بدون رحمة أو رفق به ، ومن اللغو فى القول أن يشتم إنسان بهيمته : أما لعن البهائم فليس من خلق المسلم وهذا مما يأباه الإسلام ويمقته .

إنما الأعمال بالنيات

فالرحمة بالحيوان وكل ذى كبد رطبة دليل الإيمان بالله ولا تستقيم الحياة إلا باستقامة النفوس البشرية ؛ لتكون نفوساً رحيمة قوية راضية مرضية قانعة أبية مخلصة لله تقية طاهرة نقية ، والقلوب السليمة تنفع يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والتغيير من حال إلى حال ينبع من داخل النفوس ، فإذا اقفرت النفوس من الإيمان بالله وحده لا شريك له انتشرت الفتن ما ظهر منها وما بطن ، والله قد جعل باب المتاب مفتوحاً لمن حسنت نيته وطهرت سريرته فإستنارت بصيرته : وصدق ـ الله سبحانه ـ إذا يقول :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

الآية : ٨٢ من سورة طه

- ٢ -

النزعة العقلية عند الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي (*)

سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن كتب الشافعي ، هي أحب إليك أم كتب أبي حنيفة وأبي يوسف ؟ فقال : الشافعي أحب إليَّ ، هو إن وضع كتابا فهو يفتي بالحديث ، وهؤلاء يفتون بالرأى ، فكيف بين هذين ؟!

وحين سُئل عن الموازنة بين كتب الشافعي - قبل مصر وكتبه فى مصر - قال : عليك بالكتب التى وضعها بمصر ، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها . ثم رجع إلى مصر فأحكمها(١) .

يقول المبرد : رحم الله الشافعى ، فإنه كان من أشعر الناس وأأدب الناس ، وأعرفهم بالقراءات(٢) .

الشافعى والتغبير :

قال الشافعى : خلفت فى العراق شيئا يسمى (التغبير) وضعته الزنادقة يشتغلون به عن القرآن .

وقال غيره فيه عن الجَروى : زِناً . وقال بعضهم فيه : تركت بالعراق شيئا وضعته الزنادقة ، هذه الألحان .

وقال صاحب التهذيب : المغبرة ، قوم يغبرون بذكر الله - تعالى - بدعاء وتضرع كما قال :

عبـــادك المغبـــرة . رش علينـــا المغفـــرة

(*) ـ الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(١) البيهقى جـ ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٢) البيهقى جـ ١ ص ٢٧٩ .

قال الأزهرى : وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيرا - كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقَّصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة لهذا المعنى .

قال الأزهرى : وروينا عن الشافعى أنه قال : أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن .

وقال الزجاج : سموا مغبرين لتزهيدهم الناس فى الفانية وهى الدنيا ، وترغيبهم فى الآخرة الباقية[٣]

محنتـــــه :

عندما توفى الإمام مالك لم يطب المقام للإمام الشافعى فى المدينة - وكان فى ذلك الوقت فقيرا . فاتجهت نفسه إلى عمل يكتسب منه قوت يومه ويسد به حاجته . وصادف فى ذلك الوقت أن قدم إلى الحجاز والى اليمن فكلمه بعض القرشيين فى أن يصحبه الشافعى . فأخذه ذلك الوالى معه .

وقد تولى فى اليمن « ولاية نجران » وكان فيها والٍ ظالم . فكان الشافعى يأخذ على يديه ويمنع مظالمه من أن تصل إلى الناس . وقد استخدم الإمام الشافعى قدرته على النقد واستخدام الحجة فى الوقوف فى وجه هذا الوالى فما كان من الوالى إلا أن أخذ يكيد له بالدس والشكاية عند الخليفة عن طريق أحد قواده فى اليمن .

وقد كان العباسيون يعدون خصومهم الأقوياء العلويين ؛ لأنهم يدلون بمثل نسبهم ولهم رحم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذا كانوا إذا رأوا دعوة علوية قضوا عليها وهى فى مهدها . لذلك عاداهم الوالى من هذه الناحية واتهم الشافعى بأنه مع العلوية فأرسل إلى الرشيد أن تسعة من العلوية تحركوا ، ثم قال فى كتابه : إنى أخاف أن يخرجوا وأن ها هنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولا نهى . فأرسل الرشيد أن يحضر أولئك النفر التسعة من العلوية ومعهم الشافعى[٤] .

وقد ورد فى مصادر متعددة أن هارون الرشيد قتل النفر التسعة من العلوية أما الإمام الشافعى فقد نجا بقوة حجته . وشهادة محمد بن الحسن[٥] له بالعلم والفضل - أما من جهة حجته « فقد ورد أن الإمام الشافعى طلب من هارون الرشيد أن يفك قيده حتى يستطيع التعبير عما يريد . ويرفع عنه السيف المسلط على رقبته . فقبل هذا الأمر هارونُ الرشيد . فقال له الشافعى « يا أمير المؤمنين ما تقول فى رجلين أحدهما يرانى أخاه . والآخر يرانى عبده أيهما أحب إلىَّ ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : فذاك أنت يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس - وهم ولد على - ونحن بنو المطلب - فأنتم ولد العباس تروننا إخوانكم وهم يروننا عبيدهم »[٦] فاقتنع الرشيد بالحجة .

وأما شهادة محمد بن الحسن - فذلك لأن الشافعى استأنس لما رآه فى مجلس الرشيد ؛ لأن العلم رحم بين أهله . فسأل الرشيد محمدا . فقال : له من العلم حظ كبير . وليس الذى رفع إليك من شأنه - قال : فخذه إليك حتى أنظر فى شأنه وبهذا نجا[٧] .

(٣) البيهقى جـ١ ص ٢٨٣ .
(٤) الإمام الشافعى « الشيخ أبو زهرة » .
(٥) هو أحد صاحبى أبى حنيفة المشهورين .
(٦) الإمامالشافعى الشيخ أبو زهرة ٢٢/٢٣ .
(٧) فى رحاب الشافعى عبدالله العوضى ٣٢ - ٣٣ . ط الأولى والإمام الشافعى - أبو زهرة ٢٣ .

ويقال : إن الرشيد استدعاه بعد ذلك فى منزله فسأله عن القرآن وعلومه فكانت إجابات الشافعى دقيقة للغاية – حتى أنه كان يقول : عن أى علم من علومه تسأل : عن الناسخ والمنسوخ ، أم الخاص والعام أم عن المجمل والمفسر ، فبهر الرشيد بهذه التفاصيل التى كان يذكرها الشافعى فَخَبِرهَ بعد ذلك بأنه واثقٌ من علمه وغزيرٌ فى معلوماته . وأنه صاحب باع طويل . وأن كلامه يدل على إخلاصه وتثبته مما يقول(٨) .

فى ظلال الإمام مالك :

ظل الإمام الشافعى يطلب العلم بمكة على يد فقهائها ومحدثيها – حتى بلغ فيه شأنا عظيما . ولما بلغ العشرين من عمره بدأ يتطلع إلى التزود بالعلم من خارج مكة .

« وقد وصل إليه خبر إمام المدينة مالك بن أنس – رضى الله عنه – فقد انتشر اسم ذلك الإمام الجليل وتناقله الركبان . وكان لابد أن تسمو همة الشافعى – رضى الله عنه – إلى التلقى عنه . وأن يذهب إلى المدينة . ولكنه لم يرد أن يذهب إلى مالك خالى الوفاض من علمه . وكانت قراءته دافعة له فى إرادة الذهاب . وقد استطاع أن يستأنس بفقه مالك مع علوّ درجته فى الرواية ، وعند اعتزامه الرحيل استطاع أن يأخذ كتابا من والى مكة إلى والى المدينة ليسهل له لقاء الإمام مالك – رضى الله عنه –(٩) ولقد أعجب مالك بالإمام الشافعى عندما رآه فقال له : « يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأن . إن الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تضيعه بالمعصية . إذا ما جاء الغد تجىء ويجىء من يقرأ لك »(١٠) .

وذلك لأنه قد جرت العادة فى ذلك العصر أن يتلقى طلاب الحديث – الحديث عمن رواه أو دونه « لذلك جاء الشافعى فى اليوم الثانى ومعه الموطأ ليقرأه على مالك فابتدأ يقرؤه فأعجب مالك بحسن قراءته . فكان الشافعى كلما تهيب الاستمرار فى القراءة يقول له مالك : زدْ يا فتى ولذلك أتمه فى القراءة على مالك فى أيام يسيرة(١١) .

وبعد أن روى الشافعى عن مالك موطأه لزمه يتفقه عليه ويدارسه المسائل التى يفتى فيها الإمام الجليل إلى أن مات سنة ١٧٩ هـ .

وبعد موته لم يطب للشافعى المقام فى المدينة فاصطحب والى اليمن ، وهناك تولى (ولاية نجران) وقد سبق الحديث عن ذلك .

النزعة العقلية
عند الإمام الشافعى ومنهجها

أولاً : التأمل وأثره فى مواقفه الفكرية : البنائية والنقدية .

قد يتبادر إلى الذهن – وليس غريبا أن يتبادر – أن التأمل – الذى نجعله إحدى ركائز الاتجاه العقلى عند الشافعى ؛ بل ومن أهمها :

ليس هو طريق العزلة الفكرية القائمة على التأمل الذاتى البحت إنما هو ذلك التأمل الذى

(٨) فى رحاب الشافعى / العوضى ٣٤ .
(٩) تاريخ المذاهب الإسلامية ـ الشيخ أبو زهرة ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .
(١٠) المصدر السابق : ٤٤٠ ـ ٤٤١ .
(١١) تاريخ المذاهب الإسلامية ـ الشيخ محمد أبو زهرة ٤٤١ .

يجرى بين الشخص ونفسه فى شكـل حوار نفسى ، هو أحد المعايير المهمة التى قد ينطبع بها اتجاهه الفكرى فى ترتيب المسائـل ، الفكريـة الخاصة بالبحث .

معنى ذلك أن الحديث الذهنى الوارد على شكلين :

وارد : « أى خاطر » تحكمـه الهواجس النفسية فيرد غير موجه لا خطة له ولا ثبات له ، وفى هذه الحالة يُقال : إن الأفكار شاردة قلقة ، وتبدو كأن إحداها لا صلة لها بالأخرى . كما هو الحال عند المتهورين الذين يجرون وراء الأحلام .

ووارد : تحكمه الثقافة فهو أكثر ثباتا لوجود خطة ناظمة له فتبدو معه الفكرة متسلسلة حتى تؤدى إلى الشىء الذى تستهدفه مثل هذه السلسلة المتابعة من الصور المنظمـة ، وهـى نوع من التفكير الواعى وتلك هى المعرفة العلمية . فالعلم هو معرفة تؤدى إلى النتائج ، واعتماد حدث على حدث آخر نفيا أو إثباتا .

بهذه المعرفة نعمل اعتمادا على ما بوسعنا أن نعمله .

ومن ذلك تتكون نواة التفكير المنطقى – وما يتكون لدينا من أفكار .

وبالتأمل العلمى على نحو ما شرحنا تنجذب الأفكار العلمية بعضها إلى بعض بالعلاقة الرابطة بين ما يبدو من الأفكار متنافرا .

والتأمـل هو الـذى يصنـع تلك الجاذبيـة الفكرية التـى تصنـع الانسجـام فى العلاقـات الاجتماعية وخاصة إذا اهتدى المتأمل إلى الربط بين أسلوب الحياة وبين حاجات الفكر .

وعلى هذا المفهوم العلمى لمعنى التأمل نحمل معنى التأمل عند الشافعى وهو الصفة الغالبـة عليه ، وذلك لما يتميز به الإمام منذ نبوغه .

فالتفكير الهادىء فى مظهره ، وحسن البصر فى الأمور ، وعمق النظر فيما حوله من ثقافات لتلك الخصائص الفكرية . رأيناه يرتبط بالتأمل الصامت المتأخر الذى بنى عليه منهجه الفكرى .

قال محمد ابن أخت الشافعى عن أمه أنها قالت : ربما قدمنا فى ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصبـاح بين يدى الشافعـى ، وكان يستلقى ويتذكر ثم ينـادى : ياجاريـة هلمـى مصباحا فتقدمه . ويكتب مايكتب ثم يقول : ارفعيه . فقيل – لأحمد : لِمَ أمر برد المصباح ؟ قال : الظلمة أجلى للقلب .

وليس هذا النوع من التفكير الهادىء فى ظلمة الليل كتفكير من يهتم بالمسائـل الجزئيـة والتفاريـع ، بل يعنـى بضبـط الاستـدلالات التفصيلية بأصول تجمعهـا . وذلك هو النظـر الفلسفى .

قال ابن سينـا فى منطـق الشفـا : « إنـا لا نشتغل بالنظر فى الألفاظ الجزئية ومعانيها ؛ فإنها غير متناهية كان علمنا بها من حيث هى جزئية يفيدنا كمالاً حكيما وحكمة حكيمـة . فتأمـل الشافعـى تأمـل فيـلسوف يرى فى الأشيـــاء ما يستحق النظر والرؤية وعميق التأمل .

يقول أحمد : الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة ، واختلاف الناس ، والمعانى ، والفقه .

فالشافعى كان فيلسوفـا معبرا عن نزعتـه العربية وتراثه الإسلامى – فهو فيلسوف فى اللغة

واختلاف الناس والمعانى والفقه - وتلك عمد الثقافة العربية الإسلامية - والتأمل وإن تميز به الشافعى فإنه حقيقة غالبة على الفكر العربى بيد أن تأمل الشافعى موجه إلى مشكلات الثقافة والفكر ومنهج ارتباطهما بالإسلام ، والبحث عن الحلول الكفيلة لبقاء مسايرة الإسلام لمتغيرات المجتمع ومشكلاته .

من آثار التأمل :

أ - اختيار الأستاذ :

قال الشافعى - عندما وصل إليه الخبر بأن مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم : فوقع فى قلبى أن أذهب إليه فاستعرت كتاب الموطأ من رجل بمكة فحفظته .

ثم دخلت على والى مكة فأخذت كتابه إلى والى المدينة[١٢] وإلى مالك بن أنس ، وقدمت المدينة وأبلغت الكتاب فقال والى المدينة : يا فتى لو كلفتنى المشى من جوف مكة إلى جوف المدينة راجلاً حافياً كان أهون علىَّ من المشى إلى باب مالك .

فقلت : إن رأى الأمير أن يحضره . قال : هيهات ليتنا إذا ركبنا إليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب . قال : ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك فتقدم رجل وقرع الباب فخرجت لنا جارية سوداء . فقال لها الوالى : قولى لمولاك إنى بالباب . فدخلت الجارية فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاى يقول لك : إن كان لك مسألة فارفعها فى رقعة حتى يخرج لك الجواب ، وإن كان المجىء لشىء آخر فقد عرفت يوم المجلس فانصرف . فقال لها : قولى إن معى كتاب والى مكة فى مهم . فدخلت ثم خرجت وفى يدها كرسى ثم وضعته فإذا مالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطليس فدفع الوالى الكتاب إليه فلما بلغ إلى قوله : محمد بن إدريس رجل شريف من أمره ومن حاله كذا وكذا فرمى الكتاب من يده . وقال : سبحان الله ! صار علم رسول الله بحيث يطلب بالوسائل :

قال الشافعى : فتقدمت إليه فقلت : أصلحك الله إنى رجل مطلبى من حالى ومن قصتى كذا وكذا فلما سمع كلامى نظر إلىَّ ساعة ، وكان لمالك فراسة - فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : محمد . قال : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه يكون لك شأن من الشأن . فقلت : نعم وكرامة . فقال : إن الله - تعالى - قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية . ثم قال : إذا كان غداً تجىء لمن يقرأ لك الموطأ .

فقلت : إنى أقرأ من الحفظ - فرجعت إليه من الغد وابتدأت بالقراءة ، وأردت قطع القراءة خوفاً من ملالته ، فأعجبه حسن قراءتى فكان يقول : يا فتى زد . فقرأته فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفى مالك - رحمه الله .

يصف الإمام الشافعى اللقاء الأول بالإمام مالك . فَبَيَّنَ أنَّ باعث الزيارة كان خاطراً تأمليا إثر سماعه عن إمامته للمسلمين فحرك هذا الخاطر ميل التلمذة عليه والتعرف إليه فاتخذ سبيله إليه غير أن شغفه بزيارة مالك لم ينسه الإعداد الكامل لهذه الزيارة إعداداً يتناسب مع

(١٢) أى ليشفع له عند مالك فيسهل عليه الدراسة عند مالك .

رجل العلم وإمامه ، وإعداداً ينم عن صورة النزعة العقلية التى اتصف بها الشافعى منذ يفاعته ، والتى كان التأمل عمادها الأول . وهذا الإعداد الذى ينم عن نزعته العقلية هو :

● البحث عن سند مالك الفكرى الذى شاع به علمه فوجده فى كتابه : الموطأ .

● محاولة البحث عن الكتاب حتى وجده ثم استعاره من رجل بمكة .

● محاولة درسه واستظهار رواياته .

بذلك أصبح الشافعى على علم بالشخصية التى حركه خاطره لزيارتها ، ولرغبته الجامحة استكتب والى مكة لوالى المدينة حتى ييسر له هذه الزيارة .. وهذا الإعداد الذى ينم عن عقلية منظمة من جهة الشافعى يدل على عظمة الإمام مالك ، وأنه كان موقراً من قبل رجل السياسة فضلا عن أهل العلم .

أعرب الإمام عن استيائه من صنيع الشافعى الذى جاء لطلب العلم ، ومعه كتاب من والى مكة وفى صحبة والى المدينة قائلا : سبحان الله . علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحيث يطلب بالوسائل :

كلمة لو تدبرناها لرأينا فيها عدة مبادىء :

● مبدأ استقلال العلم عن السياسة .

● مبدأ احترام العلم بطلب بحثه .

● مبدأ احترام حرية التعبير الذى يكفل للمعلم أن يلفت نظر طلابه إلى ماينبغى عمله .

● مبدأ أن الاستحسان الفقهى العلمى هو غير الاستحسان السياسى إلى غير ذلك من المبادىء التى تهدف إلى أن العلم حرم آمن .

(١) الأثر العلمى :

قال الشافعى عن ثمرة زيارته : قرأت عليه الموطأ حفظا .

ثم وصف الشافعى مواطن العجب التى تعجب منها الإمام مالك قائلاً : فأعجبه حسن قراءتى ؛ فلم يعجب من استظهاره للموطأ إنما عَجَبَهُ كان من حسن القراءة ؛ فيبدو أن اللحن كان قد بدأ يظهر . وما كان مصدر عجب لمالك سأله عنه هارون الرشيد بقوله : كيف بصرك بالعربية ؟ قال الشافعى : هى ميداننا – طباعنا بها تَقَدَّمَتْ ، وألسنتنا بها جَرَتْ . ولقد ولدت وأنا ماأعرف اللحن فكنت كمن سلم من الداء فلم يحتج إلى الدواء . والقرآن يشهد لى بذلك قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[١٣] . وأنت وأنا منهم فالعنصر رصيف ، والجرثومة منيفة ، وأنت أصل ونحن فروع .

فقال الرشيد : صدقت – بارك الله فيك – لقد صدق الشافعى بكل معانى الصدق عندما قال : لقد كان مالك شديد الفراسة . فصدق بها إحساس الشافعى عندما تَمَرَّس فراسة مالك ووصفها بالشدة – وصدقت بها أيضا فراسة مالك لماتنبأت به عن مستقبل الشافعى .

ذكر الأستاذ أبومنصور البغدادى : أن الشافعى أخذ العلم من مالك وبقى معه إلى أن مات .

(١٣) سورة إبراهيم – آية ٤ .

(٢) الأثر النفسى من تلك الزيارة :

أصبح لمالك مكانته فى نفس الشافعى ، وهى مكانة تحدث بها لتلاميذه :

● روى ابن عبدالحكم أن الشافعى كان إذا حكى قولا لمالك قال : هذا قول أستاذنا مالك بن أنس .

● وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يقول : ما فى الأرض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صوابا من كتاب مالك .

إذاً لقد تحدث الشافعى عن علم مالك وأستاذيته له . ونقل تلاميذ الشافعى هذا الثناء عنه فلم يكن ثناء الشافعى على مالك سراً ، ولم يكن به شيء من المداهنة أو الملق . إنما كان ثناؤه عليه لمهابته وعلمه خالصا مخلصا ، ولا سيما أن الثناء عليه كان بعد موته .

وإن ثناء الشافعى على مالك وحديثه الفياض عن أستاذيّة مالك إيَّاه ، لحق يقرره الخلق ، وشرف الانتماء إلى العلم ، ثم هو يعلى من شأن الطالب والقدوة معا .

والاعتراف بحق الأستاذيــــة لذويها من مقررات آداب طلب العلم مادام العلم لا يؤتى إلا من طريقين مع تفاوت بينهما :

● طريق الوحى : كان حقاً للرسل ثم انتهى بانتهاء حياة الرسل .

● طريق العلماء كتابة أو تلقياً ، وهو الباقى بوسائله العلمية ؛ فالاعتراف بالأستاذية لذويها فيه رعاية للطريق الثانى للعلم بعد الوحى والوحيد بعد انتهاء مرحلة الوحى . كذلك فى الاعتراف بالأستاذية تقدير لحق التقدم الزمنى للأستاذ .

وما الطالب فى النهاية بالنسبة للأستاذ إلا خطوة على طريق البحث والتقدم . وليس إلا رؤية جديدة تعالج آفاقا جديدة والأستاذ كان طالبا والطالب قد يصير أستاذا . درجات تربطها الرعاية فاعط العلم كُلَّكَ يعطك بعضه .

ب - من أثر التأمل : نقده بعض آراء مالك :

إن أستاذية مالك للشافعى كانت محل احترام من غير تقديس فى نفس الشافعى فكان لا يمنعه أن يرى الرأى فى آراء مالك .

ولقد يكون لبعض السابقين تشبث بآراء فقه بعض من سلف من أولى الرأى الاجتهادى ، ولقد يكون هذا الموقف مدخلا إلى غلق باب الاجتهاد وتجميد النظر فى الفقه الإسلامى . ولم تكن تلك النزعة لدى الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ؛ فإن احترام الشافعى لأستاذية مالك لم يمنعه من تدبر آراء مالك سواء كان بالنقد أو بالأخذ ، وهو إذ يفعل ذلك إنما ينطلق من قواعده التى ساهمت فيما بعد فى تأسيس مدرسته مثل :

رأينا صواب يحتمل الخطأ .. ورأى مخالفنا خطأ يحتمل الصواب .

على هذا الأساس عرض لآراء من مذهب الإمام مالك بالنقد كما ساهمت نزعته العقلية التأملية فى تكوين مدرسته التى نقول عنها : إنها مدرسة نقلية عقلية . وآراؤه فيما خالف فيه مالك . وهذا الموقف النقدى من الشافعى له لم يصب حبل المودة بتلف : أخلاقى أو علمى . وإنما كان له أثره . وأثره استبان فى ازدهار الحياة الفكرية من جهة عامة . وفى إخصاب ثمار الفقه الإسلامى وتشريعاته من جهة خاصة .

وما كان من الشافعى إزاء بعض آراء مالك هو ما يُعرف فى عصرنا بمشكلة القديم والحديث أو الشيوخ والشباب . وهذا الموقف يتطابق مع قول الإمام أبى حنيفة – علمنا هذا رأى . وهو آخر ما قدرنا عليه ، فمن رأى غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا .

وبهذا ازدهرت الحياة الفكرية فى الإسلام ، وتأسست علوم وقواعد وفق الروح المتحررة ؛ فازدهر بها الإسلام وسادت حضارته .

ذكر الرازى هذا الإشكال الذى قد يطرأ على أذهان بعض الناس حول الأستاذ والطالب . فقال : فإن قال قائل : لما كان حال مالك فى الدين والعلم ما ذكرته ، وكان تعظيم الأستاذ واجباً على كل مسلم فكيف أقدم الشافعى على مخالفته ؟ وكيف جوز من نفسه أن يضع الكتاب عليه ؟

والجواب :

أولاً : دوافع الكتابة : رفع مظاهر تقديس مالك :

قال البيهقى : قرأت فى كتاب أبى يحيى زكريا بن يحيى الساجى أن الشافعى إنما وضع الكتاب على مالك لأنه بلغه : أن بالأندلس قلنسوة لمالك يستشفى بها .

وكان يُقال لهم : قال رسول الله : فيقولون : قال مالك : فقال الشافعى : إن مالكا آدمىٌ قد يحفظ وقد يغلط .

فصار ذلك داعيا للشافعى إلى وضع الكتاب على مالك لبيان :

● بشرية مالك إمكان أن يخطىء لئلا ينزله الناس منزلة النبوة أو التأليه فصفة التقديس التى ألبسها الأندلسيون على مالك هى التى أثارت ثورة الشافعى . ولو أخذ الإسلاميون بعمل الشافعى وكفاحه ضد العوائد المرزولة لما رأينا حال المجتمع الإسلامى يتردى بسبب مظاهر التقديس المنتشرة باسم الدين فى أرجائه .

ثانيا : منهجه فى نقد مالك :

وبدأ الشافعى فى بيان ما يمكن ألا يُصيب فيه مالك بغية تحقيق بشريته فى نفوس الأندلسيين من جانب ، وبيان أن الحقيقة وليدة الاجتهاد والبحث من جانب آخر .

(أ) قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : قدمت مصر ولا أعرف مالكا يخالف من حديثه إلا ستة عشر حديثا فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الأصل .

قال الرازى : إن الكتاب الذى وضعه الشافعى على مالك قال فى أوله :

إذا حدَّث الثقة عن الثقة عن رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ والثابت عن رسول الله ﷺ لا يترك إلا إذا وجد حديث يخالفه ، وإذا اختلفت الأحاديث فالاختلاف فيها وجهان :

أحدهما : أن يكون فيها ناسخ فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ .

والآخر : ألاّ يتميز الناسخ عن المنسوخ .

فها هنا نذهب إلى إثبات الروايتين – وإذا تساويا – نذهب إلى أَسْنَدِ الحديثين لكتاب الله وأشبههما بحديث آخر – وإذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ لا يخالفه حديث آخر ، وكان

يروى عن غير رسول الله ﷺ حديث يوافقه لم يزده قوة ، وحديث رسول الله ﷺ مستغن .. وإن كان يروى عن غير رسول الله حديث يخالفه لم ألتفت إلى ما خالفه ، وحديث رسول الله أولى أن يؤخذ به .

ولما قرر الشافعى هذه القاعدة راسماً بها منهجه . ذكر : أن مالكا عدَّ هذه القاعدة فى بعض المواضع دون بعض – ثم ذكر المسائل التى ترك الأخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة ، أو بقول واحد من التابعين ، أو لرأى نفسه . ثم ذكر ماترك فيه من أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه – وذلك أنه ربما يدعى الإجماع وهو مختلف فيه .

(ب) **كذلك أخذ عليه** : ادعاءه أن إجماع أهل المدينة حجة . قائلا : ليت شعرى من هؤلاء المجمعين الذين لا يُسَمَّوْن ؟ فإنا لا نعرفهم ولا يكلف الله أحداً أن يأخذ دينه عمن لا يعرفه .

(جـ) **مآخذ أخرى على منهجه** . منها : أخبرنا مالك عن أبى الزبير عن عطاء بن رباح عن ابن عباس – رضى الله عنهم : أنه سئل عن رجل واقع أهله وهو بمنى قبل أن يفيض فأمره أن ينحر بدنة . قال الشافعى : بهذا نأخذ .

وقال مالك : عليه عمرة وحجة تامة وبدنة – رواه عن ربيعة عن ثور بن زيد عن عكرمة يظنه عن ابن عباس يعلق الشافعى فيقول :

فإن كان قد ترك قول ابن عباس لرأى ربيعة فهو خطأ . وإن تركه لرأى عكرمة فهو يسىء القول فى عكرمة لايرى لأحد أن يقبل حديثه .

وهو يروى عن سفيان عن عطاء عن ابن عباس خلافه وعطاء ثقة عنده وعند الناس .

قال الشافعى : والعجب أنه يقول فى عكرمة ما يقول . ثم يحتاج إلى شىء من علمه يوافق قوله فيسميه مرة ، ويسكت عنه أخرى .

فيروى عن ثور بن زيد عن ابن عباس فى الرضاع وذبائح نصارى العرب .

ويسكت عن ذكر عكرمة – وهذا من الأمور التى ينبغى لأهل العلم أن يتحفظوا منها .

ثالثاً : تعليق بعض الأصحاب عن موقف الشافعى :

علق الربيع على موقف الشافعى من مالك قائلاً :

(أ) وأقول أنا الربيع : إن أرسطوطاليس الحكيم تعلم الحكمة من أفلاطون ثم خالفه . فقيل له : كيف فعلت كذلك ؟ . فقال أستاذى صديقى والحق صديقى . فإذا تنازعا فالحق أولى بالصداقة . فهذا المعنى بعينه هو الذى حمل الشافعى على إظهار مخالفة مالك .

هذه القدرة الفائقة فى النقد المنهجى ما قللت من شأن مالك يوما ، أو جعلت الشافعى يستخف به فى أحاديثه إنما دائما يقول :

لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ..

ويقول : إذا جاء الأثر فمالك النجم .

ويقول : كان مالك إذا شك فى شىء من الحديث تركه كله .

تعليق من المحدثين :

بعد ذلك : هل يُعد الشافعى قد تحامل على مالك كما يقول الأستاذ أمين الخولى ، وتحامل عليه الشافعى حسدا لموضع إمامته – وأستاذنا الشيخ أمين – رغم ماتميز به من إنصاف – لا نراه

منصفا فى تلك العبارة . وما يخفف من وقع هذا التعليق وقسوته : أن الأستاذ الشيخ أمين تابع فيه ابن عبد البر الأندلسى ـ وإقليم الأندلس هو الذى دفع الشافعى لينصف مالكاً بينهم عندما حاولوا تقديسه – فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » .

فكل خشونة فى النقد وجفاء فى التعليق على موقف الشافعى لا غرو أن تراه من الأندلس ومن متأخرى المالكية .

يقول محمد بن عبدالحكم : ما رأيت مثل الشافعى . كان أصحاب الحديث يجيئون إليه يعرضون عليه غوامض علم الحديث فكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيسمعون وهم متعجبون منه . ولما سئل أبو محمد بن عبدالحكم . لما سئل عن معنى قوله : ليس أبو عبيدة بفقيه ؟ قال : لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار منهم واحداً . فقيل له : فمن الفقيه ؟ قال : الذى يستنبط أصلا من كتاب الله أو من سنة رسول الله لم يسبق إليه ، ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة – قيل : فمن الذى هو كذلك ؟

قال : محمد بن إدريس الشافعى .

ثانياً : من منهجه التوفيق بين العقل والنقل :

وأما عن منهج الشافعى بالنسبة لمدارس عصره وعلمائها – فهو كما يقول الرازى : كان الناس قبل زمن الشافعى فريقين : أصحاب الحديث – وأصحاب الرأى .

أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ؛ فذلك ليس ميدانهم – وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالاً أو إشكالاً وقع فى أيديهم عاجزين .

وأما أصحاب الرأى – فكانوا أصحاب النظر والجدل إلا أنهم عاجزون عن معرفة الآثار والسنن .

وأما الشافعى فكان عارفاً بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محيطاً بقوانينها ، وكان عارفاً بآداب النظر والجدل قوياً – وكان فيه فصيح الكلام قادراً على قهر الخصوم بالحجة الظاهرة ، وأخذاً فى نصرة أحاديث رسول الله – وكان من أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أجاب عنه بأجوبة شافية كافية فانقطع بسبب ذلك استيلاء أهل الرأى على أصحاب الحديث . وسقط دفعهم وتخلص بسببه أصحاب الحديث عن شبهات أصحاب الرأى ؛ فلهذا انطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه . ووقره علماء الدين وأكابر السلف . بقى علينا أن نعرف ما تعنيه عبارة الرازى : عن المناهج التى كانت تحكم الجو الفكرى قبل الشافعى إذ أنها كانت منهجين :

- المنهج العقلى .
- والمنهج النقلى .

فما المنهج العقلى ؟ وما علاقته بالنص ؟ وما المنهج النقلى وكيف توسعوا فيه وعلاقته بالعقل ؟

[يتبع فى العدد القادم]

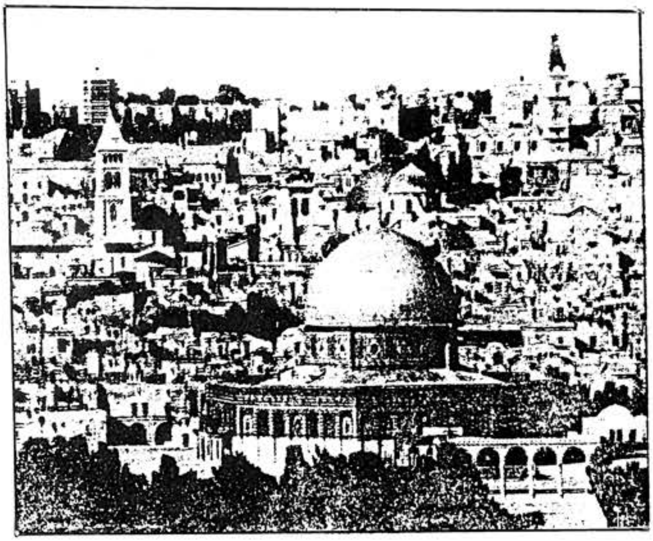

مدينة القدس فى فلك التاريخ

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

مدينة القدس فى إقليم فلسطين من البقاع الربانية ، شرَّف الله جلَّ وعلا أرضها منذ القدم ، وجعل لها فى قلوب أجيال بنى الإنسان قداسة تتمثل فى التعبد لله فيها ، وتجميع الأفئدة من حولها ، وقيام الحنفاء والموحِدّين بحراستها والذود عنها والقتال دونها .

أما اسم القدس الذى تنعت به المدينة المقدسة فقد رافقها من قديم الزمان منذ بداية عهدها قبل التاريخ ، كما أثبتت ذلك أحدث الحفائر التى أجريت فى منطقتها ، ومن ذلك يتبين أن تاريخها يسبق زمن العبريين (والذين غلب على تسميتهم الإسرائيليين أو اليهود) بكثير من السنين[١] .

كيف كان تقديسها قديما :

كان ذلك نتيجة إقامة أماكن مقدسة لبعض العبادات القديمة فيها ، وقد ورد ذكرها فى الجزء الثانى والثالث من تاريخ هيرودت المؤرخ اليونانى القديم عندما تكلم عن الجزء الفلسطينى من بلاد الشام باسم (قديتس) .. وعن ذلك يقول المستشرق اليهودى الفرنسى (سالمون مونك) فى كتابه فلسطين (إن هذا الاسم على الأرجح هو (القدس) مُحرّفا فى اليونانية عن النطق الآرامى (قديشتا)[٢] .

وحتى الإسرائيليين فى كتابهم المقدس أطلقوا عليها (مدينة القدس)[٣] وأحيانا سموها (مدينة

(١) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ـ تأليف الدكتور حسن ظاظا الأستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية طبعة سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(٢) كتاب إسرائيل ركيزة للإستعمار ـ المرجع السابق .

(٣) سفر أشعيا من كتاب اليهود المقدس الإصحاح الثامن والأربعين عدد ٢ .

الله جبل قدسه »[٤] ، كما أطلقوا عليها (مدينة الحق »[٥] .

مدينة القدس أيضا سُميّت قديما (أورشليم) قبل وجود العبريين :

ذلك أن أقدم النقوش التى ورد ذكر هذه المدينة فيها توجد فى المتحف المصرى بالقاهرة فى لوحات تل العمارنة التى عثر عليها بصعيد مصر ، وهى مجموعة اللوحات المكتوبة بالخط المسمارى واللغة البابلية (لغة شعب العراق قديما) تتخللها شروح باللغة الكنعانية (لغة شعب فلسطين قديما) وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث (من سنة ١٤١١ إلى سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد) وابنه إخناتون (من سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد) .

- وفى هذه النقوش كانت المدينة تسمى (أوروسالم) وقد ورد ذلك فى الرسالة التى كتبها (عيد يحيبا) حاكم أوروسالم من قبل مصر إلى الفرعون أمينوفيس الثالث يستنجده بمدد عسكرى يصد به غارات شراذم من الغجر الرحل اسمهم (حبيرو) اتفق الباحثون على أنهم العبريون .

وتكرر هذا الاسم (أوروسالم) فى لغات أخرى ، فنجده فى نقوش الامبراطور الآشورى (سنحاريب) حوالى سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ، فقد ورد اسمها بلفظ (أوروسليمو) ، وكذلك فى النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدونى حوالى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد وردت بلفظ (هيروسوليما) ، أو مختصر هذا الاسم (سوليما)[٦] ، وكل هذه الأسماء تكاد تكون متقاربة فى نطقها ، بل هى واحدة على الأرجح .

كتاب الإسرائيليين المقدس يقرر أن المدينة كان لها وجود زمن إبراهيم عليه السلام :

فقد ورد ذكرها فى العهد القديم من كتاب الإسرائيليين المقدس باسم (شاليم) زمن إبراهيم – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – الذى كان سابقا لزمن العبريين ، وكان لها ملك عربى من شعب فلسطين يدعى (ملكى صدق) يحكمها حكما دينيا مما يشير إلى أن مدينة القدس كانت موجودة ومباركة قبل أن يبعث موسى وداود سليمان – عليهم السلام – بل من قبل إبراهيم الخليل جدّ الأنبياء – عليهم السلام – الذى كان يدعى وقتئذ – كما جاء فى نصوص ذلك العهد – (إبرام) ، وهذا فى قوله (وملكى صدق ملك شاليم .... وكان كاهنا لله العلِىّ وباركه ، وقال : مبارك إبرام من الله العلى مالك السموات والأرض[٧] .

العرب هم الذين أنشأوا مدينة القدس قديما وكانوا سكانها الأصليين وسموها يبوس :

إن اليبوسيين – وهم بطن من بطون العرب الأوائل – نشأوا أصلا فى قلب الجزيرة العربية وترعرعوا فى أرجائها ، ثم استوطنوا أرض

---

(٤) المزمور الثامن والأربعون من كتاب اليهود المقدس عدد ١ .

(٥) سفر زكريا الإصحاح الثامن عدد ٣ من كتاب اليهود المقدس .

(٦) كتاب إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين – المرجع السابق .

(٧) سفر التكوين من كتاب اليهود المقدس الإصحاح ١٤ عدد ١٨ .

فلسطين ، وهم الذين أقاموا مدينة القدس فى قديم العصور ، وذلك فى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فسمِّيت باسمهم (يبوس) فى أول أمرها وقد عمروها وسكنوا فيها حتى زمن يوشع بن نون نحو القرن الخامس عشر ق.م كما جاء بتحقيق الأستاذ عباس العقاد فى كتابه : أبو الأنبياء الخليل إبراهيم ، ويوشع بن نون هو : خليفة موسى - عليه السلام - على بنى إسرائيل(٨) من بعد وفاة موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - .

وقد حاول الإسرائيليون وقتئذ طرد سكان المدينة العرب اليبوسيين فلم يفلحوا مما اضطر هؤلاء الإسرائيليون إلى السكنى معهم ، وهذا ما يشير إليه قوله فى سفر يشوع (وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم)(٩) أى اليوم الذى يروى فيه الراوى هذه الوقائع .

استمرت المدينة المقدسة تحت سلطان اليبوسيين سكانها الأصليين من شعب فلسطين ينعمون فى مدينتهم مدة ألف سنة حتى ظهر الإسرائيليون على أرض فلسطين فقاوم اليبوسيون التسلل العبرى والمطامع اليهودية فلا ينال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حينا أو بالمساكنة والتعايش السلمى أحيانا أخرى(١٠) .

كيف كانت القدس فى عهد داود وابنه سليمان - عليهما السلام - :

ظلّت المدينة المقدسة تحت سيطرة اليبوسيين سكانها الأصليين العرب من شعب فلسطين حتى تولى داود - عليه السلام - (وكان من سبط يهوذا) حكم بنى إسرائيل فاتجه بجيوشه إلى القدس حيث استولى على جزء منها يسمى جبل صهيون ويدعونه بالمدينة الفوقانية ، وجعلها عاصمة لملكه وبنى بها هيكلا للعبادة ، مات داود قبل تمامه ، ثم أخذ يضغط على اليبوسيين ، ويضايقهم فى جبلهم (جبل الموريا) ، وكانوا يسمونه (المدينة التحتانية) فرحلوا تاركين ديارهم حتى لم يبق لهم إلا مسطح القمة (مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة حاليا) يملكه شخص يبوسى يسمى آرونا ، وقد زعم اليهود أنّ داود اشترى ذلك المسطح ليجعل من الصخرة التى على الهضبة مذبحا للرب دون أن يقدموا أى دليل على هذا الزعم .

وبعد وفاة داود خلفه ابنه سليمان - على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - الذى أكمل بناء الهيكل المشار إليه فيما سبق(١١) .. ولا يفوتنا أن نشير فى هذا المقام إلى أن مملكة داود وابنه سليمان عليهما السلام كانت مملكة ربانية فى عطاء إلهى وليست مملكة عنصرية يهودية كما يزعم الإسرائيليون فى زماننا المعاصر(١٢) .

---

(٨) كتاب مكانة القدس فى الإسلام تأليف الشيخ عبدالحميد السائح .

(٩) سفر يشوع من كتاب اليهود المقدس الاصحاح ١٥ عدد ٦٣ .

(١٠) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار - المرجع السابق .

(١١) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار - المرجع السابق .

(١٢) كتاب عودة القدس للشيخ رءوف شلبى وكيل الدعوة بوزارة الأوقاف ووكيل الأزهر الأسبق طبعة رجب سنة ١٤٠٥ هـ - أبريل ١٩٨٥ .

صخرة اليهود ليست هى صخرة قبة الصخرة الحالية :

يذكر التلمود وهو الكتاب الثانى المقدس عند الإسرائيليين أن الصخرة التى يقدسونها ترتفع عن سطح الأرض ثلاثة أصابع ، بينما الصخرة الشريفة الموجودة حاليا تحت قبة الصخرة بجوار المسجد الأقصى ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل ، ومحيطها يناهز العشرة أمتار وتحتها فجوة هى بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف تبدو الصخرة فوقها وكأنها مغلقة بين السماء والأرض ، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار ، ومن الذين شَكُّوا فى أن تكون الصخرة الحالية هى صخرة اليهود المعنية فى التلمود الباحث الألمانى (شيك) فى أوائل هذا القرن الحالى فهو يقول (إن الصخرة الحالية لم تكن فى يوم ما داخلة ضمن قدس أقداس اليهود ، أما صخرة اليهود التى تسميها بعض أساطير التلمود ـ إيبن هاشتيا ـ أى حجر الأساس فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر وأنطيوخوس أبيفانوس وتيتوس وكذا فسبازيان وهدريان والصليبيون وغيرهم ممن دمَّروا أورشليم مرارا وتكرارا تدميرا كاملا) انتهى كلامه .

ومع ذلك يُصِرُّ الباحثون اليهود فى مقدمتهم دوائر المعارف العبرية المختلفة وما كتبوه عن القدس من المؤلفات ـ بدون أى حجة ـ أن صخرة مسجد الصخرة هى حجر الأساس المذكور فى التلمود[١٣] .

مدينة القدس بعد وفاة سليمان عليه السلام :

انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته إلى دولتين إحداهما مملكة إسرائيل فى الشمال عاصمتها السامرة ، وتسمى حاليا نابلس ، والثانية مملكة يهوذا فى الجنوب ، وكانت عاصمتها مدينة القدس ، وقد دعوها وقتئذ أورشليم ، ورغم وجود هاتين الدولتين لم يترك الفلسطينيون بلادهم بل سيطروا على البلاد الساحلية من غزة حتى جنوب يافا ، وعن ذلك يقول المستر ويلز فى كتابه « موجز تاريخ العالم » (إن تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا هو تاريخ ولايتين صغيرتين بين شِقَّى الرحا) انتهى كلامه ..

ولقد ظَلَّت المدينة المقدسة عدة قرون نهبا للفتن والقلاقل ، وكثيرا ما غزاها الفراعنة حكام مصر ، وكذلك البابليون الذين قاموا بتدمير المدينة كما هدموا هيكل اليهود المقدس ، وأخيرا غزاها اليونانيون بقيادة الإسكندر المقدونى ، وجاء بعدهم عصر الرومان عام ٥٨ قبل الميلاد فحاصروا المدينة خمسة أشهر بقيادة (تيطس) وهدموها وأحرقوا الهيكل بعد أن أعَاد بناءه وزخرفته والى القدس (هيرودس) وذلك بسبب ما دأب عليه اليهود من بث المشاكل والمضايقات المفاجئة والمتلاحقة لدولة الرومان[١٤] .

وفى القرن الثانى الميلادى سنة ١٣٦ م قام اليهود بثورة مسلحة ضد الرومان فحاربهم الرومان بقيادة إمبراطورهم (إيليوس هدريان)

---

(١٣) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .
(١٤) كتاب عودة القدس ـ المرجع السابق .

وحاصر ما كان بقى من مدينة القدس وهدم كل شيء ، فى المدينة خصوصا الهيكل بعد إعادة اليهود له ، ولم يترك فيها يهوديا واحدا ، كما منع اليهود من دخولها ، وجعل الموت عقوبة من يقدم منهم على ذلك ، ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوما واحدا فى السنة ، والوقوف على جدار بقى قائما من السور فى الجزء الغربى من المدينة ، وهو الذى يسمى (حائط المبكى) ويسميه اليهود الجدار الغربى .

أما مكان الهيكل فأقام عليه معبدا لجوبيتر كبير آلهة الرومان ، ووضع فيه تمثالا لمعبودهم هذا كالتمثال القائم فى معبد الكابيتول ، حتى اسم المدينة قرر تغييره إذ سماها (إيليا كابيتولينا) وظل حظر السكنى بمدينة القدس قائما على اليهود قرونا طويلة ، ذكر ذلك (يوزيبوس) المؤرخ النصرانى الذى زارها سنة ١٣٢ ميلادية كما ذكره اليهود أنفسهم فى تفاسيرهم القديمة (كالمدراش)[١٥] .

عودة القدس إلى السيادة العربية عند فتوح المسلمين لبلاد الشام :

جاء فى تاريخ الطبرى أنه بعد موقعة اليرموك التى انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ على جيوش الروم ـ وكانت فى نهاية حياة الخليفة الراشد أبى بكر الصديق وبداية عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ أن أبا عبيدة بن الجراح (الذى خلف خالد بن الوليد فى قيادة جيوش المسلمين) ضرب الحصار على أهل مدينة القدس فطلبوا منه أن يصالحهم مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولى للعقد خليفة المسلمين بنفسه ؛ فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر بن الخطاب فخرج إليهم من مدينة رسول الله ﷺ حتى وافاهم مع من كان هناك من الصحابة فصالحهم ، وكان مما جاء فى كتاب المصالحة بعد ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم ، واللصوص ..... الخ ... ما جاء فى كتاب المصالحة المؤرخ فى سنة ١٥ من الهجرة .

وقد شهد على ذلك من أصحاب النبى ﷺ خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان[١٦] ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

ونلاحظ فى كتاب المصالحة هنا تسمية مدينة القدس باسم إيلياء كما سماها الإمبراطور الرومانى إيليوس هدريان دون ذكر لفظ كبيتولينا ولعل

---

(١٥) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .

(١٦) كتاب الخلفاء الراشدون تأليف الشيخ عبدالوهاب النجار ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠ م .

ذلك راجع فيما يبدو من غلبة ظن المسلمين الفاتحين بأن كابيتولينا اسم وثن أو صنم لا يجوز أن يضاف إلى اسم المدينة المقدسة .

خليفة المسلمين يطهِّر مكان المسجد الأقصى مما كان به من كناسة :

بعد أن بعث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بكتاب الأمان إلى أهل مدينة القدس وسكنها جنود المسلمين شَخَصَ هو إلى مكان المسجد الأقصى حيث الصخرة المشرفة ، وأزال ما به من كناسة كانت الروم قد دفنته فيها ، ودعا الناس أن يصنعوا مثله ، وعند طلوع الفجر أمر المؤذن بالإقامة ، وصلى بالناس ـ فى مسجد أمر بإقامته هناك ـ بسورة (ص) وصدر سورة (الإسراء) ، وفى عهد الدولة الأموية قام الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ببناء مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وقد تعهدهما خلفاء المسلمين وأمراؤهم على مر الزمان(١٧)

العبرة المستقاة من الفتح الإسلامى لمدينة القدس :

تظهر العبرة واضحة جلية فى كتاب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بالأمان لأهلها ، هذا الكتاب الذى حَشْوُه الرفق والعدل والحرية وصيانة الدماء والحقوق ، ولم يذكر التاريخ أنَّ أحدا من الفاتحين دخلها بهذا السمو الخلقى كما دخلها خليفة المسلمين وقتئذ ؛ بل كان الفاتح يدخلها مخربا مبيدا مدمرا عاتيا جَبارا سفَّاكا للدماء لا رحمة عنده ولا شفقة منه على أهلها .

١ ـ فهذا بختنصر ملك البابليين دَمَّرها وقتل وشرد الكثير من أهلها وسكانها .

٢ ـ و (تيطس) ومن بعده (إيليوس هادريان) وهما من قواد الرومان خربا المدينة وسفكا الدماء وفعلا الأفاعيل وهدما الأماكن المقدسة فيها .

٣ ـ وعندما اجتاح الصليبيون بعد ذلك فى القرون الوسطى بلاد الشام واستولوا على مدينة القدس قام قائد جيوشهم المدعو (جودوفروا دوبيون) بإعمال السيف فى أهلها كما خرب المسجد الأقصى وقتل تسعين ألفا من سكانها المسلمين .

٤ ـ ولما استرد السلطان صلاح الدين الأيوبى المدينة من الصليبيين دخلها كما دخلها من قبل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فأمَّنَ أهلها على نفوسهم وأولادهم ونسائهم وخرجوا منها على فداء طفيف يؤدونه ، وقد تجاوز أخوه أبوبكر العادل عن ذلك المقدار لكثير من النساء مما أجزل الثناء عليه فى أوروبا وقتئذ وعلى أخيه السلطان صلاح الدين(١٨) .

(١٧) كتاب إسرائيل ركيزة للاستعمار ـ المرجع السابق .
(١٨) كتاب الخلفاء الراشدون ـ المرجع السابق .

عدوان الإسرائيليين على المسجد الأقصى فى زماننا المعاصر محاولين إقامة هيكل عبادته مكانه :

جاءت الهجمة الإسرائيلية البشعة على مدينة القدس يوم ٥ يونية سنة ١٩٦٧ م عندما احتلتها الجيوش الإسرائيلية ، ومن وقتها بدأت سلسلة الاعتداءات على المسجد ، وعلى المصلين فيه : فلقد حاولوا إحراقه سنة ١٩٦٨ كما حاولوا تفجيره ونسفه فى يناير سنة ١٩٨٤ فى وقت يتزامن مع صلاة الجمعة حين يمتلىء المسجد بالمصلين ، ويتحدث غلاة اليهود علانية عن خططهم ، لإزالته وبناء هيكل عبادتهم مكانه .

وعن ذلك تقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) إنها قامت بزيارة مدينة القدس كسائحة أجنبية بعد احتلال اليهود لها فشاهدت وسمعت كيف يتحدثون هناك بكل الصراحة والعلانية عن خططهم لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه .. وقد التقت مع عالم الآثار الأمريكى (غوردون فرانز) الذى قضى عاما ينقب عن الآثار فى القدس ، ودخل النفق القديم تحت المسجد هناك فوجده واسعا يتمكن المرء من السير فيه وهو منتصب القامة ولم يعثر فيه على أى دليل يثبت أنه أثر يهودى .

كما قرر ذلك العالم الأمريكى : أنه لا يوجد أيضا أى دليل يثبت أن هيكل اليهود كان موجودا فى هذا المكان ، لكن اليهود يفترضون وجوده فى هذا المكان دون أن يقدموا البرهان على دعواهم[١٩] .

وقد أكد العديد من المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التى يقوم عليها المسجد الأقصى وتعمقوا فيها بأنه لا يوجد فى ذلك المكان أى دليل أو شبهة لأى أثر عن هيكل النبى سليمان ـ عليه السلام ـ الذى تزعم اليهود أنه مدفون بجوار حائط المبكى الغربى ، بل كل الدراسات تنتهى إلى نتيجة واحدة هى أن هيكل سليمان لم يكن موجودا فى منطقة المسجد على الإطلاق ، كما لا يوجد أى دليل تاريخى واحد يقطع بأن حائط البراق الذى يسميه اليهود حائط المبكى هو جزء من هيكل سليمان ، بل إن اسمه الحقيقى هو كما سماه المسلمون (حائط البراق) نسبة إلى البراق الذى ورد ذكره فى حديث نبى الإسلام ﷺ عن الإسراء والمعراج المشهور[٢٠] .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه حدث فى سنة ١٩٣٠ أن أثير دوليا مكان البراق الشريف ويطلقون عليه ـ خطأ كما قدمنا ـ الجدار الغربى أو حائط المبكى ، فبعثت عصبة الأمم التى كانت مهمتها ـ وقتئذ ـ مثل مهمة الأمم المتحدة حاليا بعثت بلجنة دولية فى يونية / يوليو سنة ١٩٣٠ انتهت فى بحثها إلى أن ملكية المكان المشار إليه هى للعرب المسلمين وحدهم[٢١]

---

(١٩) مجلة منار الإسلام ، عدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ ـ أبريل سنة ١٩٨٤ ، مقال هدم الأقصى إلى أين ؟، بقلم الشيخ محمود محمد .

(٢٠) كتاب معالم التاريخ الإسلامى المعاصر .. تأليف الأستاذ أنور الجندى .

(٢١) جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٩٦ م فى مقال بها تحت عنوان : عريضة الدفاع عن القدس ـ بقلم الأستاذ : أحمد يوسف القرعى .

رسالة الإسلام ومدينة القدس :

ارتبطت مدينة القدس بالإسلام منذ بداية الرسالة الإسلامية فى عهدها المكى فقد كان المسلمون فى مكة يتجهون فى صلاتهم نحو مدينة القدس ، وكانوا يدعونها ببيت المقدس ، يشير إلى ذلك ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : (كان النبى ﷺ يصلى - وهو بمكة - نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة كان يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم صُرِف إلى الكعبة بمكة المكرمة)[٢٢] .. قال الله - تعالى - :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[٢٣] .

وبرغم هذا التحول فى قبلة الصلاة إلى المسجد الحرام فإن بيت المقدس ظل محل تقديس من جانب المسلمين إذ جعله الإسلام أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها ، كما قال رسول الله ﷺ : (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد** : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)[٢٤] .

وفى حادث إسراء النبى ﷺ من مكة المكرمة محل الكعبة والمسجد الحرام إلى مدينة القدس محل بيت المقدس أو المسجد الأقصى مغزى كبير هو إعلان من الله - جل وعلا - بأن مواريث الأنبياء جميعا قد أعادها الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بمشهد وحيد فى عمر الدنيا والرسالات جميعا ! إذ حضر كل الرسل الذين أرسلهم الله إلى الناس من لدن آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - حتى المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - فى آخر أثر مشهود للأنبياء ليصلى النبى الخاتم محمد ﷺ ، ويسجل القرآن الكريم هذا الحدث الجليل فى قول الله - تعالى - :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾[٢٦] سُورَةُ الإِسْرَاءِ

(٢٢) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير ، وكذلك ذكره البخارى فى صحيحه .

(٢٣) جزء من الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٢٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، والإمام أحمد فى مسنده ، والإمام مسلم فى صحيحه ، كما أخرجه أبوداود والنسائى وابن ماجه والترمذى .

(٢٥) سورة الإسراء ، الآية الأولى .

(٢٦) كتاب عودة القدس - المرجع السابق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السؤال من : وليد السيد عبدالفتاح شاهين ـ الباجور ـ منوفية :

ما حكم الصلاة خلف إمام مكروه من المأمومين لمخالفاته التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام ؟

الجـــــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأنه بعد الشروط التى لا تصح أى صلاة بدونها، وبعد الشروط الواجب أن تتوافر فيمن يكون إماما مثل : السلامة من الأعذار، وصحة القراءة وغير ذلك مما اشترطه الفقهاء، هناك أولوية لمن يتقدم للإمامة، جاء فى حديث مسلم وغيره عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ مرفوعًا : « إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم » والمراد بالأقرأ الأكثر حفظًا للقرآن .

وفى رواية لأبى داود : « لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤم قومًا إلا بإذنهم » .

وترتيب من لهم الأولوية فيه خلاف للفقهاء، لكن من المتفق عليه أن المتفقه فى دينه، العالم بأحكام الصلاة بالذات وحسن السيرة، والمرضى عنه من قومه ـ هو أولى من غيره ممن لم تتوفر فيه هذه الصفات، ولو تقدم هذا صحت الصلاة خلفه وإن كان ثوابها أقل .

روى ابن ماجه وابن حبان فى صحيحيهما أن النبى ﷺ قال: « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا : رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان » .

إن الذى ينافس غيره على الإمامة يدخله العجب والزهو، وذلك يقلل من ثواب الصلاة إن لم يذهب به أصلاً، مع العلم بأن صلاة الجماعة ينال ثوابها كل من الإمام والمأمومين، فلا فضل لأحدٍ منهم على الآخر ، إلا بمقدار إخلاصه وخشوعه. هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من : **محمد خيرى ربيع ـ البلينا ـ قرية يعقوب :**

توفى عن: ابن ، وبنت، واختين شقيقتين، وبنت أخت متوفاة فكيف يكون الميراث ؟ جزاكم الله خيرا .

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد :

فنفيد بأن التركة كلها للابن والبنت تعصيبا تقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ولاشىء للاختين الشقيقتين لحجبهما بالابن كما أنه لاشىء لبنت الأخت الشقيقة لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله اعلم .

الســـؤال :

هل يصح السجود للتلاوة بدون وضوء ؟

الاسم : محمود عبدالله منصور ـ المطرية ـ ش ترعة الجبل

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن من قرأ أو سمع آية فيها سجود يسن له عند جمهور الفقهاء أن يسجد سجدة التلاوة، فإن لم يسجد فلاعقوبة عليه، لأنها سنة وليست واجبة إلا عند أبى حنيفة فقد جعلها واجبة، فإن كان طاهرًا حين سمعها أو قرأها وجب عليه أن يسجد، وإلا فهى فى ذمته يجب عليه أن يسجدها بعد أن يتطهر. ولذلك فلا يصح السجود بدون وضوء .

فلو كان الإنسان ماشيا فى الطريق العام وهو متوضىء وسمع آية فيها سجدة يسن له أن يسجد على أى مكان طاهر يكون قريبا منه، فإن لم يسجد فلا ذنب عليه، ويقوم مقامها عند الشافعية أن يقول : « سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم » أربع مرات فذلك يجزئه عن سجدة التلاوة حتى ولو كان متطهرا. وعلى رأى أبى حنيفة إن لم يتمكن من السجود فى الطريق فليسجد عندما يصل إلى مكان يسهل عليه أداؤها فيه، فإن وجوبها موسع عنده فى هذه الحالة، والعمر كله فرصة لأدائها، هذا والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقدمه لفضيلتكم : محاسب م. ع. ع. أ، بالمحلة الكبرى أعرض على فضيلتكم هذا

السؤال :

تزوجت منذ خمس سنوات وعقب الزواج طلبت منى زوجتى السماح لها بالعمل وكانت نفسيتى لاتسمح بهذا الطلب فصدر منى هذا اليمين : « علىَّ الطلاق لن تعملى وإذا عملت تكون طالق، وتجلسين فى منزل والدتك » ولاأدرى أصدر بلفظ واحد أم بثلاث !!

والآن توجد مسابقة بالتربية والتعليم وقدمت أوراقها بدون علمى ومن المحتمل أن يصيبها الدور

بالتعيين وتلح علىَّ بالموافقة على استلامها للعمل لكننى أخشى ماصدر منى من يمين الطلاق خوفا من الله تعالى .

لذا أرجو من فضيلتكم إرشادنا إلى الصواب وماتقره الشريعة .

التوقيع : محمد على عبدالسيد المصرى

المحلة الكبرى

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد:

فنفيد بأن هذا يمين طلاق معلق إذا قصد الزوج به تهديد زوجته أو منعها من العمل فقط فلا يقع به طلاق الزوجة حتى لو ذهبت إلى العمل وإنما يلزم الحالف كفارة يمين وهى إطعام عشرة مساكين فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

أما إذا قصد الحالف طلاق زوجته فعلاً لو ذهبت إلى العمل فإنه يقع به طلقة فإن لم تسبق هذا اليمين طلقتان فإن هذا الطلاق يكون طلاقًا رجعيا وللحالف مراجعة زوجته إذا كانت فى عدتها فإن انتهت عدتها فإنه يعقد عليها بمهر جديد وعقد جديد فإن سبق هذا اليمين على النحو المبين طلقتان فيكون هذا اليمين هو المكمل للثلاث وتبين الزوجة من زوجها بينونة كبرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولاً حقيقيًا فإن مات عنها أو طلقها وانتهت عدتها حلت للأول بعقد جديد ومهر جديد وبإذنها ورضاها والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

دعـــوة مســـتجابة

سئل الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ عن المسافة بين الشرق والغرب ، فقال : مسيرة يوم للشمس ، وسئل عن المسافة بين الأرض والسماء فأجاب : دعوة مستجابة .

جـــواب

قيل لعبدالله بن الحسن : إن فلانا غيرته الولاية ، فقال : من ولى ولاية يراها أكبر منه تغيرّ لها ، ومن ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

احـــذر

من طغيان هذه الكلمات :

« أنا » و « لى » و « عندى » فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلى بها :

إبليس ، وفرعون ، وقارون « أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ » لإبليس ، « لِى مُلۡكُ مِصۡرَ » لفرعون .

« إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ » لقارون .

نعـــم !!

قال حكيم : لأن أدعى من بعد إلى قرب ، خير لى من أن أقصى من قرب إلى بعد .

حقـــا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقتــــه بد

لا أعرف هذا

قال رجل لرجل قد عرفت النحو ، إلا أنى لا أعرف هذا الذى يقول : أبو فلان وأبا فلان ، وأبى فلان .

فقال له : هذا أسهل الأشياء فى النحو ، إنما يقولون : أبا فلان لمن عظم قدره ، وأبوفلان للمتوسطين ، وأبى فلان للرذلة .

لا أراك الله مكروها

سمع حكيم رجلا يقول لآخر :
لا أراك الله مكروها .

فقال له : كأنك دعوت عليه بالموت ؛ فإن صاحب الدنيا لابد أن يرى مكروها .

كتمان السر

انفرد بسرك ، ولا تودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا فيخون .

مصداقا لقول الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يُستودَعُ السِّر أضيقُ

حقيقة

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِّى :

يبقى الثناء وتذهب الأموال
ولكل دهر دولة ورجال
لا ترض من رجل حلاوة قوله
حتى يُصَدِّق ما يقولُ فَعَال

دعاء

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يارب ، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك ؛ بل موضع الإحسان منك أنت يارب ، واجعلنا دائما وأبدا بك ومعك وإليك ، فلا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك يارب .

من أعلام الأزهر

إنصاف بعد إجحاف

الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

نعرف أن ثورة أزهرية قامت فى وجه شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر محمد الأحمدى الظواهرى ، أدت إلى استقالته وقد أصبح قادة الثورة من الطلاب ذوى مناصب عالية فيما بعد ، ومنهم من وصل إلى الوزارة ، فأخذوا يتحدثون عن جهادهم الثورى بما يبرز زعامتهم الغالبة وهم فى حديثهم لاينصفون الحق قدر ما يجملون مواقفهم ، ومن هؤلاء الأستاذ أحمد حسن الباقورى حيث بالغ فى نقد الأستاذ الظواهرى ـ رحمهما الله تعالى ـ مبالغة دفعت أحد أبناء الشيخ إلى الرد عليه فى مجلة المصور ، وكنت أقرأ ما كتبه الأستاذ الباقورى وشيعته فأحس مبالغة واضحة ، ولكنى أتمهل فلا أكتب رأيى حتى تجتمع بين يدى خيوط البحث المنصف ، ثم أتيح لى أن أقرأ ما قاله الأستاذ الكبير محمد متولى الشعراوى عن هذه الثورة وكان أحد الطلاب المناهضين لشيخ الأزهر فوجدته يقول[1] :

(١) الشعراوى الذى لا نعرفه (كتاب اليوم) أحاديث الشعراوى مع (سعيد أبو العينين) ص٣٦ .

« هذه الحركة والحق يقال قد خدعنا فيها ، قالوا لنا إن الشيخ الظواهرى يعمل على توظيف العالم الذى تخرج فى الأزهر بعد سبع عشرة سنة بثلاثـــة جنيهات ، وكان هذا مرتب المدرس الإلزامى ، فكيف يحدث ذلك ؟ وقمنا وتظاهرنا مطالبين بإعادة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر ، وكان ذلك ضد الإرادة الملكية ، وكان معهد الزقازيق الثانوى الأزهرى أول المعاهد الذى خرج طلابه يتظاهرون ويحتجون ، ويطالبون بإبعاد الشيخ الظواهرى عن الأزهر ، ثم تبينت لنا الحقيقة بعد ذلك ، وهى أن الميزانية التى كانت مرصودة لتوظيف الخريجين الجدد فى هذه السنة ليست كافية لتوظيفهم جميعا بالمرتب المعتاد ، فأراد أن يتيح لهم جميعا فرص العمل بمكافأة شهرية قدرها ثلاثة جنيهات لكل واحد منهم حتى لا يتعطل أحد وذلك لحين توفير الميزانية الكافية لتعديل الرواتب ، وهذا ما حدث فعلا بعد ذلك ، وقد استجابت الدولة ، وتم تعديل الرواتب » .

هذا ما قاله الشيخ الشعراوى ، وقد دفعنى قوله : (إننا خدعنا فى ثورتنا على الشيخ) إلى أن أبحث الأمر ببعض التؤدة ، ولست فى ذلك أسعى لتبرير أى خطأ تسرع فيه الشيخ ، فهو بشر يخطىء ويصيب ، ولكنى أحاول أن أتبين موقفه على حقيقته ، ولا يغض هذا من مكانة منافسه الإمام المراغى ، فكلاهما ذو فضل بارز ، ولن يضيق فاضل من أئمة الأزهر بفضل أخيه وكما قيل: (يكره الفضل أن تضيق الصدور) .

نشأ الأحمدى فى بيئة علمية صوفية إذ كان والده شيخا للجامع الأحمدى بطنطا وله شعبية كبيرة بين العلماء والعامة معا ، وكان يميل إلى التصوف متخذا إياه سبيل المعرفة الحقيقية للعلم ، فتأثر ولده به فى اتجاهه الصوفى ، ولكنه فى منحاه العلمى سلك سبيل تلاميذ الإمام محمد عبده ، فكان يواظب على دروسه ، ويعنى باللباب من مسائل العلم ، وكان الإمام يدعو تلاميذه إلى قراءة كتب حديثة تضاف إلى الكتب المتداولة فأصاخ الطالب لهذه الدعوة وجمع بين الحديث والقديم فى استيعابه ، وشاءت الظروف أن يكون امتحانه فى العالمية أمام لجنة يرأسها الإمام ، فتخوف الطالب حذرا أن يحسبه الأستاذ الإمام متأثرا بالشيوخ المعارضين لحركة الإصلاح ، وأبوه فى مقدمتهم ، وقد تحدث عن مشاعره الموجلة فى مذكراته التى طبعت تحت عنوان (السياسة والأزهر)[٢] فقال إنه تهيب الموقف قبل أن يلج حجرة الامتحان ، وكان من عادة الطلاب أن يبدأوا بتقبيل أيدى الأساتذة قبل الجلوس ، فما كاد يلمس يد الأستاذ الإمام حتى نزعها منه مكتفيا بلمس أصابعه ، ثم فاجأه بأن قال له : سماك والدك الأحمدى نسبة لأحمد البدوى وسنرى ما سيكون شأن هذا الرجل معك ! قال الشيخ : كان لهذه العبارة مصحوبة بخطف يده منى أثناء محاولة تقبيلها أثر سىء فى نفسى ، فانقبض صدرى ، واسودت الدنيا فى عينى ، ولما طلب منى أن ابتدى الكلام تأخرت برهة ، ثم تماسكت وأجبت بطريقة غير طريقة زملائى ، إذ عمدت إلى جوهر الموضوع دون

(٢) السياسة والأزهر (لمذكرات الشيخ الظواهرى) مطبعة الاعتماد .

تعلق بالحواشى الزائدة ، وأيقنت أنى حزت قبول الإمام ، ولكن لم يظهر على وجهه ما يدل على سروره ، فشق ذلك على نفسى ، وصممت أن انتزع منه الإعجاب ، فخطر لى أن أعاود الكلام مرة أخرى فى الموضوع نفسه فعندئذ قال الشيخ : لماذا تريد استئناف الكلام ، لقد تكلمت كلاما طيبا جيدا ، وعالجت البحث علاجا رائعا ، والأحسن أن ننتقل إلى موضوع آخر ، فكانت عبارة الإمام هذه كأنها البلسم الشافى ، فاندفعت أجيب بالطريقة التى اخترتها ، فقال الشيخ : إن ترتيب بحوثك وطريقة العرض مما يعجب ويروق ، وسأتخذ معك فى ترتيب الأبحاث طريقا جديدا ، وأخذ يقلب أوضاع المسائل ، ويخرج من علم إلى علم ، حتى طال النقاش بضع ساعات على غير المألوف ، حتى أرهقت إرهاقا جسمانيا وعقليا ، فطلبت فى نفسى شربة ماء ، ولكنى سكت مهابة للشيخ ، ثم غلبنى الظمأ ، فطلبت من الشيخ أن يأمر لى بشربة ماء ، فقال الشيخ : أنت تستحق (شربات) لا ماء ، فقد أحسنت كل الإحسان ، وأرسل فى طلب كوب كبير من (الخرنوب) لأشرب مع أعضاء اللجنة على حسابه ، ثم قال : لقد فتح الله عليك ياأحمدى ، والله إنك أعلم من أبيك ، ولو كان عندى فوق الدرجة الأولى لأعطيتك أياها ، فكانت عبارته هذه حديث الناس فى الأزهر ، وأصبحت من أسباب سعادتى .

هذا ما كان من أمر الأحمدى مع الإمام محمد عبده فى امتحان (العالمية) وفيه دليل على نبوغ الطالب ، وحسن استعداده ، وفى رضا الإمام عن طريقته فى الإجابة ، وبُعده عن طريقة زملائه التقليدية مما يدل على سعة أفق ، باعثها القراءة الممتدة خارج المحيط الأزهرى ، وقد عُيّن الطالب مدرساً بالقسم العالى بالمعهد الأحمدى لفوره ، وهو تعيين مستغرب إذ تقضى العادة أن يدرس مدرساً بالقسم العالى بالمعهد الأحمدى لفوره ، المعلم الناشىء فى القسم الابتدائى ليقرأ الدروس بالقسم العالى فيقرأ كتب المنطق والأصول والتوحيد ــ مما قد يهابه الراسخون من ذوى الأسنان ــ وأما أن يوفق فى التدريس ويظفر بتقدير المستمعين فهذا ما يدل على تفوق ملحوظ .

كان من أعجب ما فوجىء به الجمهور من آثار العالم الشاب محمد الأحمدى الظواهرى أنه ألف كتاب (العلم والعلماء ونظام التعليم) فى الرابعة والعشرين من عمره عقب تخرجه ، وهو كتاب لا يفقد بريقه الأخاذ مهما تطاول عليه الزمن ، لأنه صرخة عالية فى وجه الجمود التعليمى بالأزهر ، ولو كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده فى مكانته الرفيعة بالعالم الإسلامى ما عُد غريباً عنه أسلوباً وتفكيراً واتجاهاً ورسما لخطوات الإصلاح ، وقراءة الكتاب تدل على أن الشاب الناشىء قد أحاط بأدواء العالم الإسلامى بعامة ، ومصر بخاصة إحاطة المتألم المتأوه الذى يرى خطوات الانحدار السريع تهوى بالتعليم الدينى إلى الهاوية .

وأظرف ما فى الموضوع أن كتاب (العلم والعلماء) يعارض معارضة تامة اتجاه والد الأحمدى وهو الشيخ إبراهيم الظواهرى شيخ علماء المعهد الأحمدى ، إذ كان فى طليعة من

يتمسكون بالقديم المتوارث من الكتب الخالية من الابتكار ، فكانت شجاعة الابن أنه نَشَزَ عن بيئته الخاصة ، والبيئة العامة معاً فى صلابة لا تعرف التراجع ، نَشَزَ عن هذه البيئة وهو يعلم أن الخديوى يقف بالمرصاد لكل داعية للإصلاح على مذهب الإمام ! وأقول على مذهب الإمام لأن الأفكار التى جاء بها الأحمدى قد توافقت فى أكثرها مع اتجاه الإمام ، ولم تمنعه خصومة معشره للإمام أن يجهر فى الكتاب بتأييده حيث يقول[٣] :

«ها هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا ، انظر لماذا علا دون أمثاله ؟ ولماذا وصل إلى أن صار صاحب الرأى الأعلى فى سائر الشئون الأزهرية ، وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند أكثر أهل الطبقة العالية ، حتى أمكنه أن يسود أكثر الذين يبغضونه من العلماء ، لقد كان فى أول قدومه للأزهر كآحاد الطلاب ، أشىء جاء بالصدفة أم أن هذا نتيجة العمل والاجتهاد؟ لا ريب أن هذا كان نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل ، وحسن البيان واتقان العمل ، فجعل ذلك له مكانة عند الطبقة العليا ، وتلك المكانة أكسبته نفوذا آخر وجعلت تأثيره أقوى ، وقد تمكن بهذا وذاك من أن يرأس العلماء . وأن تكون له كلمة التصرف ، حتى على شيوخه ، ومن يبغضونه ، وأن ينشر مبادئه ويدعو الناس إليها ، ويلبى دعوته كثير من الناس ، وهو لو دعا إليها فى بدء نشأته ما اجتمع إليه أكثر المجتمعين حوله الآن .. وإذن فما هذه الغلبة الهائلة ، والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى كاد الناس يحترمونه أكثر من شيخ الأزهر نفسه ، وهم يعتقدون أنه الآمر الناهى ، وأن كل شيء صادر عنه ومنسوب إليه ، لا شك أن هذا كله إنما جاء بقوة نفوذه وتأثيره ، وهكذا تكون الرجال » .

هذا الاعجاب المفرط ، يدل على أن العالم الشاب قد درس حياة الإمام ووقف على مؤلفاته ومنهجه الإصلاحى ، حتى صار ذا قدرة على تأليف منهج للعلم والعلماء فى سن مبكرة ! هذا المنهج هو ما خطه فى كتابه المشار إليه ، وقد بدأه بمقدمة جامعة تتساءل عن سبب قصور الأمة الإسلامية وشقائها ، رادّاً ذلك إلى قصور طرق التعليم الإسلامية عن النهوض بها ، لا لأن التعاليم الإسلامية عاجزة عن النهوض ، بل لأنها لم تدرس على وجهها الصحيح .

وأول أسباب القصور ، قصور بعض العلماء عن درجة التوجيه الصالح ؛ لأن العالم لا يكون عالما إلا إذا كان كاملا فى علمه ، كاملا فى إرشاده ، كاملا فى أخلاقه ، كاملا فى تعبده ، كاملا فى ملكاته ووجدانه ، كاملا فى نفوذه وتأثيره ، كاملا فى التنوير العام ، وهى فصول تتابعت عناصرها فى الكتاب ، والكمال فى العلم هو ما اتسع له فراغ كبير من الكتاب إذ تحدث المؤلف عن علم المماحكات اللفظية وعلم المسائل الفكرية بإفاضة وإسهاب ، ويندرج فى هذا السياق كمال التعليم ، لأنه ثمرة العلم الحقيقى ، أما

---

(٣) العلم والعلماء ط ٢ سنة ١٩٥٥ ص ٢٧ .

الكمال فى الإرشاد فهو الصيحة العالية التى صرخ الأحمدى بها منبها إلى ضعف الشعور الدينى ، وانتهاك حرمة الشرع ، حتى فيما يرجع إلى مصالح الحياة الدنيا ، بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانكماش أمر الدين ، حتى كاد يعد من الأحوال الشخصية أو الأمور الاستحسانية التى تختلف باختلاف المشارب والأذواق ، أما الكمال الأخلاقى فقد تحدث عنه العالم الشاب بما نحب أن نسمعه الآن ، لأنه القدوة الخلقية فى المحيط الإسلامى .

لذلك دعا الأحمدى إلى دراسة وافية للأخلاق الإسلامية فى دروس مستقلة ! وهذا ما ندعو إليه الآن فى المعاهد الدينية والمدارس المدنية ، لأن الأخلاق الإسلامية فى هذه وتلك تدرس عرضا عند تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وكأنها ليست مقصودة لذاتها ، ومن الواجب أن تكون دراسة الأخلاق مادة مستقلة يقوم بها نفرٌ من ذوى الأخلاق وأن تكون مستندة إلى النص الصريح من كتاب الله ـ تعالى ـ وحديث الرسول ﷺ وعمل السلف الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ وأن يقوم بهذا التدريس من تشهد لهم إدارة عملهم بحسن السيرة ، واستقامة السلوك ، لأن فاقد الشىء لا يُعطيه ، أما الكمال فى العبادة ، واكتمال الملكات والوجدان ، والكمال فى النفوذ والتأثير فما أبدع ما كتبه الأستاذ فى ذلك ، ونحن فى حاجة إلى إعادة طبع ما سطره فى هذا النطاق ؛ لأن الحاجة ضرورية الآن إلى احتوائه بعد أن تعاونت وسائل الإعلام المختلفة على إضعاف صوت الدين ، وعملت على فقد تأثيره لحاجة فى نفس يعقوب .

وما كتبه الشاب عن الكمال فى تعمير القلب بالنـــور الآلهى ، والقـــرب من حضرة الحق ـ سبحانه ـ ترف كمالىّ لا يشرئب إليه فى رأيى غير الخاصة من ذوى النفوس الراقية ، ومثاليته الرقيعة لا تمنع المناداة به والدعوة إلى مقاربته .

فإذا انتقلنا إلى نقد العلوم التى تدرس بالأزهر فإننا نجد صدق النظرة فى تشريح هذه الدروس ،

وقد راعنا أن نلمس القصور الشائن فيما حكاه الشاب الناشىء عن حالة هذه المقررات ، فدروس التفسير ودروس الحديث لا تؤدى ثمرتها ، إذ أن النص ـ وهو الأصل الذى يدور حوله التحليل ـ لا يُهتم بفهم مضمونه قدر ما يهتم بتخريجات نحوية وبلاغية تلقى ستارا كثيفا على تفهم المعنى المراد ،

وعلم التوحيد بانتمائه إلى قضايا بائدة لا تلمس معضلات العصر لا يفيد طالب الهداية فى تثبيت عقيدته ، والذين يؤرخون لتطور البلاغة المعاصرة عليهم أن يلتفتوا إلى توجيه الأحمدى الجديد فى تدريس هذه المادة ، وأقول الجديد لأنى لم أر من قبله من جمع بين دراسة التصوف والبلاغة فى مفهوم رائع ، فالمتصوف لا يدرك معانى الوجدان الصوفى بالمصطلحات العلمية إذ لابد له من ذوق صوفى يرتفع به إلى استشفاف حقائق الوجود ليصل منها إلى خالق الوجود ، والبلاغى لابد من ذوق أدبى ينفذ به إلى إدراك أسرار البيان الأدبى ، ولن تنفعه اصطلاحات المقررات البلاغية فى فهم النص الأدبى دون هذا الذوق ، يقول الأستاذ

الناقد[٤] :

« إن تبنى هذين العلمين (التصوف والبلاغة) ليس على التعقل والتصور أو التصديق ، بل المعول عليه فيهما ذلك النوع من الإدراك المسمى بالوجدان أو الشعور الباطنى الذى لا يحصل إلا بالتحقق بتلك المعانى ، فهما فى ذلك كالعسل لا يدرك طعمه إلا بمذاقه . والبلاغة الوصفية لا تجدى شيئا دون العملية ، إذ ليست هى من العلوم التى يحصل الكمال بمعرفتها فقط بل هى من العلوم الصناعية ، وغايتها هى الملكة التى تنشأ عنها هذه الآثار ، وما لم توجد الملكة فلا بلاغة » .

هكذا سار الأحمدى فى تتبع كل العلوم ، ونظراته نقدية ذاتية لم يرجع فيها إلى باحث سابق ، ومن المضحك أن تجمع نسخ الكتاب وتحرق بعد طبعه ، لأن ولى الأمر لم يرض عنه حينئذ ، ولأن شيوخ الحواشى قد ضجوا من تأثيره !! وإنى أدعو باحثى اليوم إلى دراسة هذا الكتاب ليأخذ وضعه الطبيعى فى حركة الإصلاح العلمى ، إذ مكانه من هذه الحركة مكان الأسس الثابتة فى باطن الأرض من الجدران الناهضة فوقها ، ولو خلص الأحمدى من الأعمال الإدارية فى حياته وتفرغ لمثل هذه البحوث لكان من أعلام التربويين فى هذا العصر ، ولكن المناصب ذات أعباء ثقال ، وقد حالت بينه وبين هذا النبع الرائق من الفكر المستقل الحى ، وعزاؤنا أن بقى هذا الكتاب الرائع من ألمع آثاره الجياد .

– يتبع –

(٤) العلم والعلماء : ص ١١١ .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

الأزهر يحتفل بذكرى الشاعر الباكستانى محمد إقبال

متابعة :
دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى أقامت سفارة باكستان وجمعية أصدقاء إقبال احتفالاً بذكرى مولد الشاعر والمفكر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، وذلك بقاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف فى الساعة السادسة من مساء الأربعاء ٩ رجب ١٤١٧هـ - الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٩٦م

حضر الحفل عدد كبير من رجال الأدب والفكر وطلاب الأزهر ، وشارك فى برنامجه كل من :

- الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر .
- الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .
- الأستاذ الدكتور / مجيب المصرى .
- الأستاذ الدكتور / محمد السيد سليم .
- الأستاذ الدكتور / محمد السعيد جمال الدين بجامعة عين شمس .
- سعادة السفير / عز الدين شرف .
- سعادة السفير / منصور العالم سفير باكستان .
- الأستاذ الدكتور / سعد ظلام عبد المقصود عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة .
- الأستاذ الدكتور / حسن الشافعى بجامعة القاهرة .
- الأستاذ المستشار / محمد التهامى .

فى البداية تحدث الشيخ / عبد المقصود عسكر - الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - عن الشاعر محمد إقبال ودوره وكيف كان من أوائل المبشرين بقيام دولة باكستان ، ثم قام فضيلته بتقديم السادة المشاركين فى برنامج الحفل تقديماً موفقاً ، وهذه تغطية إعلامية من جانب مجلة الأزهر لهذا الحفل .

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ..

الحفل الكريم .. الأخوة والأخوات ، أبنائى وبناتى الذين شرفونا فى هذا الحفل الذى أقامته سفارة دولة باكستان الشقيقة بالتعاون مع الأزهر وجامعته .

هذا الحفل إنما هو لتكريم رجل قضى حياته كلها من أجل إعلاء كلمة الله – عز وجل – ، من أجل خدمة دينه ومن أجل خدمة وطنه .

قضى حياته وهو على صلة جيدة بخالقه – عز وجل – فأشعاره التى ترجمت إلى العربية فيها ما فيها من الحكم الجليلة والمعانى السامية والغايات النبيلة ، ومن المقاصد التى سخر لسانه وفكره وقلمه وعقله من أجل نشرها ، وهى مقاصد لم يقصد بها الفخر والتباهى ، إنما قصد بها خدمة دينه .

كان متجرداً من العنصرية البغيضة ومن العصبية الذميمة .

وهب حياته لخدمة دينه وأمته ، يريد أن يرى أمته وقد ارتفعت رايتها وعزت كلمتها ، يريد منها أن تحافظ على هويتها وأن تحافظ على حريتها وكرامتها .

ولد الشاعر محمد إقبال ١٨٧٧م وتوفى ١٩٣٨م لكن هذه الحياة كانت مليئة بالحكمة ومليئة بالأدب العالى والمقاصد الغالية ، كانت مليئة بجلائل الأعمال ، طاف من بلد إلى بلد ومن دولة إلى دولة ومن قطر إلى قطر ومن قارة إلى قارة

تجوّل فى مشارق الأرض ومغاربها لا من أجل السياحة وإنما من أجل التعرف على إخوانه المسلمين .

زار مصر سنة ١٩٣٠ ، والتقى بعلماء الأزهر وبعدد كبير من المفكرين ، وكانت روحه الوثابة ليست فى خدمة دولته وحدها ، إنما فى خدمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

عندما نحتفل بإحياء ذكرى مولد الشاعر إقبال إنما نقصد من وراء ذلك تذكير أبنائنا وبناتنا بهؤلاء الرواد الذين خدموا دينهم وخدموا أمتهم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات / ٥٥]

الأمة التى تنسى أبناءها البررة وتنسى تاريخها تصبح كالريشة فى مهب الريح ، أما الأمم العاقلة الراشدة الحكيمة فهى التى تُذكِّر أبناءها بأمجاد الإسلام ، تُذكِّر أبناءها بإخلاصهم ، بصدقهم ، بإيمانهم ، بجهادهم ، بيقينهم ، تذكِّرهم بذلك لأن من شأن هذا التذكير أن يجدد الإيمان فى القلوب وأن يحرك المشاعر إلى كل ما يرضى الله - سبحانه وتعالى - ومن هنا تجد أن القرآن الكريم - فى كثير من آياته - يذكرنا بأحوال الرسل الكرام مع أقوامهم ، وربما لو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا أن ثلثه أو أكثر من ثلثه يتحدث عن أخبار الماضين وعن المحاورات والمجادلات التى دارت بين الرسل الكرام وأقوامهم بما يسوق لنا العظة والعبرة .

لذلك فإننا عندما نحتفل بذكرى الشاعر محمد إقبال نقصد أن نُذكِّر أبناءنا وبناتنا بجهاد هذا الشاعر ، وبما كان عليه من خُلق قويم ومن أدب وفير ، ومن دعوة إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة .

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها فى ميزان حسناتنا جميعاً يوم نلقاه ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار / ١٩]

والسلام عليكم ورحمه الله

كلمة رئيس جامعة الأزهر

ثم تحدث بعد ذلك الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم عن العلاقة والارتباط بين الأزهر وأمجاد الإسلام وذلك من خلال الاحتفال بذكرى الشاعر الإسلامى إقبال فى قاعة الإمام محمد عبده تلك القاعة الإسلامية الكبرى .

ورأى فضيلته أنه من حُسن التوفيق أن يحتفى بإقبال فى ذكرى مسرى النبى ﷺ ومعراجه ، هذا الحدث الذى ألهب مشاعر الشعراء والمبدعين لا سيما شاعرنا إقبال ، الذى تأثر به أيما تأثر وتفجرت منه به ينابيع الحكمة والأدب الإسلامى

ورأى رئيس جامعة الأزهر أنه من حُسن الموافقات أيضاً أن يأتى الاحتفاء بهذا العالم الإسلامى فى أيام تحمل بين طياتها أعز ذكرى غالية وعزيزة على المسلمين ، وهى ذكرى مسرى سيدنا المصطفى ﷺ ، ذكرى إسرائه ومعراجه ، إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومعراجه إلى السماوات العُلَى ، هذا الحدث الذى فجّر ينابيع الحكمة عند الأدباء والشعراء ، وعند إقبال وغير إقبال ، ثم جاشت خواطره بقصيدة فى هذه المناسبة منها هذه الأبيات :

صُبح تنفس بالهُدى يسبى العيون إذا بدا
وتراقصت نسماته طربا فعانقه الندى
والشهد ناغمه الهيام فبات فيه مُسَهَّدا
فتراوحت أدواحه والأفق هام وزغردا
وازيَّن البيت الحرام وظل يرتقب الندا
فتطاولت أعواده والمسجد الأقصى شدا
فاليوم إسراء ومعراج أقيم لأحمدا
جبريل نادى فى السماء وراح فيها واغتدى
نادى الملائك فى العلا حيّوا النبى محمدا
يا ليلةَ الإسراء يا ألقَ السماحة والندى
أطلعت فجرا مسفراً غَردًا بوجهٍ أغيدا
وأَمَطْتِ عن غسق الدُجى هذا اللسان الأَسودا
فتبلجت منك الحقيقة تغمر الدنيا هُدى
وانساب جدولها المشعشع مترعاً يروى الصدى
خطر النبى به وجبريلُ الأمينُ له حدا
والكون يا للكونِ متشحٌ وبالحُسن اقتدى
هى رحلة فى الله ما أبغى الصفاء وأرغدا
فيها من الآيات ما يهدى الأصمَّ الجلمدا
فيها الفصاحة والحصافة والصباحة والندى
فاخشع ملياً يا جَنانُ ولا تكن متمردا
هذا مكان أمَّ فيه المصطفى رُسل الهُدى
والأنبياء هناك ظلوا يرقبون الموعدا
ما إن تجلى ربهم إلا وخروا سُجَّدا
أترى بقاع مثل هذى تستكين لمن عدا
يا صاحب الإسراء أدرك معشرا ضاعوا سُدى
من مارق بالدين أفاق يعيش معربدا
كم راح ينتهب الخُطى وعلى محارمه عدا
هذا مكان الرشد يا من ترتجى أن ترشدا
الجنة الفيحاء نادت فاصغ واستمع الندا
نادت لنا طوبى لمن عَبَدَ المهيمن واهتدى

قصيدة طلوع إسلام

للشاعر: محمد إقبال

هذا وللشاعر الباكستانى / محمد إقبال قصائد جمة تعبر عن آماله وتطلعاته فى وحدة العالم الإسلامى ، ومنها قصيدة : « طلوع إسلام » التى نظمها بعد عودته من أوروبا عام (١٩٠٨) حيث كان يدرس هناك ، وكان العالم الإسلامى فى ذلك الوقت يواجه أزمة أخلاقية وفكرية ، كذلك كان المستعمرون البريطانيون يتحكمون فى مصير شبه القارة بما كانوا يدعونه من امتيازات التاج .

وكانت إيطاليا قد هاجمت طرابلس واستولت عليها وكانت جزءًا من الإمبراطورية التركية التى اعترف العالم الإسلامى بسلطانها خليفة للمسلمين ، كذلك كانت دول البلقان الأربع قد أعلنت الحرب على تركيا ، مما عرّض الأماكن الإسلامية المقدسة بالامبراطورية التركية للخطر .

ويرى السيد الاستاذ/ سفير باكستان بالقاهرة : أن قصيدة « طلوع إسلام » قد عكست القلق الذى كان يساور محمد إقبال نتيجة الاضطراب السياسى الذى أحاط به ، والأزمة التى واجهت العالم الإسلامى بعد سقوط الخلافة . وقد تضمنت القصيدة نظراً وأملاً جديدا فى الفكرة التى دأب إقبال على ترديدها المرة بعد المرة بحمية شديدة ، وهى فكرة وحدة المسلمين عبر الحدود القومية والعنصرية .

وهذا نص قصيدة « طلوع إسلام » لشاعر باكستان الدكتور / محمد إقبال ، ترجمها للعربية شعراً الاستاذ / الصاوى على شعلان .

تبشـــــــرنى النجـــــــوم إذا توارت لدى الأَسـحار بالفجــــر الوليــــد
كأن خفـــوت ضــــوء النجــــم ليــلا بشـــــير اليمن باليـــــوم الجديد

● ● ●

مضـى النــــوم الثقيـــل عن البرايـا وضـــوء الشــمس آذن بالشــــروق
وهـب الشــــــرق مبتدرًا وثـارت عزائمــــــه دمــاءً فى العـــــروق

● ● ●

وكم لله من ســــــــــرّ خفىّ يجليـه انتصــــــــــــار المسلمينا
فـلم يـدرك أبو نصــــــــر مـداه ولم تبلغـه فلســــــــفة ابن ســـــينا

● ● ●

وزحـف الغـــــرب كان أجــــل درس لبعث المســــلمين إلى النضـــــال
وإن المــــوج فـوق البحــــر يعــلو فيـــــروى ظامىء الدرر الغـــوالى

● ● ●

تجلى فضــــل ربّك يـوم أهـــــدى بنى الإســــلام ملك التركمـــــان
وكان ذكـــــاء أهـل الهنـــد عونـا لإعجــــاز العـــروبة فى البيـــان

● ● ●

إذا بَدت البراعــــــم فى ثبـــــات فأيقظهــــا على مرأى الوجــــود
وجـد حرقـــة الأشـــواق واجعــــل مكـان الشــــدو جلجــــلة الرعـود

● ● ●

جهـــاد المســلم المقـــدام يمضى حثيث الخطـــو متصـــل الشـــباب
وإن الزئبـــق الرجـــراج يهـــوى بفطـــــرته دوام الاضطــــــراب

● ● ●

ومن شـــهد الوقائـــع وهى تسـمو بأبطـــــال الجهـــــاد الخالدينا
فليـــس لزينـــة الدنيـــا مكـان لديــــه ولا غـــــرور الجاهليـــنا

● ● ●

فقـدم للشـــــــقائق والخزامى وللبســــــتان مصبـــــاح الرجـاء
لتوقـــد فى حيـــاة الجيـــل شـوقاً للاســــتشــهاد فى مجـد الفـــداء

● ● ●

لآلى قطــــر نيســــان هـوتهـــا دمـوع المســـلم الحر الأصيـــل
لآلى لا يجــــود بهن يومـــــاً ســوى الأصـداف من بحـر الخليـل

● ● ●

بـدَا فى الشـــرق للآمـال طيـــف   لجمـــع الشـــمل فى دور مجيــد
وشـــرعة أحمـــد وافى شـــذاها   وغصـــن المجـــد أورق من جديـد

● ● ●

ونـور الملـة العليـــا سَـــبيل   لمســـراها إلى النهـج الرشـــيد
وأنســـام الصَّبـــا فى كـل وجـه   يســـاير خطـــوها عطـــر الورود

● ● ●

لئـن عصـــف الزمـــان بنـا فإنـا   على درب المســـيرة فى مضـــاء
وآلاف النجـــــوم تغيـب حتى   تـرى ميـــلاد شـــمس فى الســـماء

● ● ●

عيـــون النرجـــس البسّـــام تبكـى   وتســـكب دمعَها طـول الليـــالى
وتقضـــى العـــام بعـد العـــام شـــوقا   إلى عيـــن تـرى ســـحر الجمـــال

● ● ●

تظـــل قوافـــل الأقـــوام حيـــرى   وتقضـــى العمـــر جهـــدًا واصطبـــارا
لتشـــهد مصلحـــاً وتـرى زعيمًـا   يكـون لصـــدق نهضتهـــا منـارا

● ● ●

ترنـم وابتكـر لحنًـــا مشـــيرًا   وكـن صـــوت النذيـــر إلى القيـــام
وقل هيّـــا فتى الإســـلام بـادر   وســـر قُدمًا إلى درك المحـــال
وكـن لكتـــاب ربك ترجمـــانا   وبرهـــانا لقـــدرة ذى الجـــلال

● ● ●

أفـق من غفـــوة الأوهـــام واجعـــل   يقينـــك بانتصـــارك خيـــر هـــادى
ولا تعجـــز فقـــدرك فى عـــلاه   يفـــوق منـازل الســـبع الشـــداد

● ● ●

وإن حـرارة الأشـــواق يذكـــو   بجذوتهـــا لك العـــزم القـــديم
فإنـك وارثٌ أمجـــاد قـــوم   غبـــار خيـــول جيشـــهم النجـــوم

لك الأزل ابتـــــداءً وارتقـــــاء   لك الأبـــــد المقيـــم ولا انتهـــاء
ولن يبقى مكـــــان أو مكيـــــن   وفى الأوج الرفيـــع لك البقـــاء

● ● ●

مكـــــانك لاتدانيـــــه الثريـــــا   وقـــدرك دونـــــه القمــــر المنير
رسلات المهيمـــــن قد تنـــــاهت   إلـــيك وأنت مرجعهـــــا الأخير

● ● ●

أرى الآمال بالآلام تنمـــــــــو   وفى الإيمان تحقيـــــق الأمــــانى
دَمُ الأَبطـــــال فى لجج المنايـــــا   خضاب الحور فى غرف الجنـــــان

● ● ●

وأنت من الخليـــــل على ربـــــاط   من الذكـــرى ومـــن صدق الوفـــاء
مآثـــــر هذه الدنيـــــا شهـــــود   بفضلك فى الحضارة والبنـــــاء

● ● ●

مقاليـــد الحيـــاة إلـــيك ألـــقت   أزمتها وأنت بها قمين
كأنك فى يد القـــــدر اختبـــــار   لما قد كان أو ماقد يكـــــون

● ● ●

فأنت النـــــور فى ديـــــن ودنيـــــا   لهذا الخلـــــق من طين ومـــــاء
وأنت من الهدى أغلى الهدايـــــا   إلينـــــا من إمـــــام الأنبيـــــاء

● ● ●

توسم للبطولـــــة كلُّ معنـــــى   بتذكيـــة الضمائـــر والقلـــوب
وفـــيك جاء أفريقيـــا وآسيـــا   وأنت محرّر كلّ الشعـــــوب

● ● ●

إقبـال و الكلمة

بمناسبة الاحتفال بمولد هذا الشاعر الملهم والمفكر الثائر العظيم

للأستاذ الدكتور سعد ظلام

□ كذلك ألقى الاستاذ الدكتور / سعد عبد المقصود ظلام عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة قصيدة طويلة مواكبة لتكريم إقبال عن جهاده وفكره وأهداها إلى روحه ، استطعنا أن نلتقط منها هذه الأبيات :

شـاعـــر الإسلام .. يا قيثـــارة ... صاغَهـــا الله من الحسِّ النضِـــرْ
(أزهـــــرَ) الإيمان فى أوتـارهـا ... وحبـاهـا الله مكنـــون السُّـــوَر

فإذا روحـــــك فى أســــراره ... خفقـــة الحـــسِّ على دفء الوتـــر
كـــل معنـــى من ســـنا أفكـــاره ... كـــان فى قلبـــك قلبًـــا ينفطـــر ..

فهو اللحـــن الذى غنَّيتَـــه ... وهو المـــوج الذى لا ينحسِـــر
وهـــو المجـــد الـذى أحببتَـــه ... وتفـــاخرَت به طـــول العُمُـــرْ

●●●

ما ازدهـــاك الغـــرب فى أمجـــاده ... قشـــرةٌ فـــوق ركـــام وحجـــر
وثيـــاب يُفتَـــنُ الغِـــرُّ بهـا ... وإذا فتَّشـــتَ تلقـــاها ســـقر

ليس فيها واحة الروح إذا … أضنت السارىَ ومضاءُ السَّفَر
ليس فيها راحةُ النفس إذا … أفلق الإنسانَ آلافُ الفِكَر
ليس فيها لمسةُ الحبِّ إذا … واجه الإنسانَ أشباحُ القدر
ليس فيها خفقةُ النور إذا … أظلم الكونُ بأحداثٍ كُبَرْ

●●●

فالحياة الدين إن ضاع فلا … أَمِنَ السَّفْرُ ولا لذ سَفَر
وإذا الإيمان قد ضاع فلا … مَلأَ الأمنُ أحاسيسَ البشر
أيها الشادى بتوحيد الإلَـهْ … ومغذى الروح من كَرم السماء
شدك النور إلى قدس حماه … وأراك الحق فى أبهى رواء
فطفقت العمر تُروَى من سناه … ونذرت العمر فى عشق الضياء

●●●

قصَّة التوحيدِ ماذا ألهمت … حسَّك الريَّان من نبع الصفاء
نحن روح فى كيان واحد … وشعور خافق بالانتماء
أو لَسْنَا أمة التوحيد ؟ والتو … حيد أشواقٌ وإشراقُ إخاء
ربنا اللّه إلهٌ واحدٌ … ونبيٌّ هو خير الأنبياء
وحَّد القرآن فيما بيننا … وتولانا على نهج الوفاء
قِبلةٌ واحدة تجمعنا … وأذان يحتوينا فى النداء

●●●

ثم ختم قصيدته بهذه الصرخة :

يا أخا الإسلام .. والدنيا صراعْ … بين حبٍّ .. ونفوسٍ بربريَّة
عصف الغدر بأحلام الشِّراعْ … ودهاه بالليالى الغسقية
« قدسنا » فى الأسر .. فى أيدى الرعاع … وحواليْها ذئابُ البَشَرِيَّة
وحِمَى الإسلام يحميه الشجاع … وذوو الإيمانِ والرُّوح الأَبِيَّة
فانفروا كالأُسْدِ من شَتَّى البِقاع … وافْتَدوه من أيادٍ هَمَجِيَّة
إنما الإسلام ذكرٌ ودِفاع … فانهضوا .. يا عزمة اللّه القوية

حياة إقبال

كذلك تحدث الأستاذ المستشار مجيب المصرى عن حياة إقبال السياسة ومحاضراته ومواقفه فى مصر وأسبانيا ، كما تناول بقية الأساتذة المشاركين فى برنامج الحفل جوانب أخرى من نضاله الفكرى والسياسى فى خدمة الإسلام .

●●●

هذا وقد ألقى المستشار الشاعر محمد التهامى قصيدة فى هذه المناسبة صور فيها سمو الإسلام فى شريعته وتطبيقاته لدى المسلمين ، جاء فيها :

هذه شريعتنا

للشاعر

محمد التهامى

الكون فلكٌ تحتهم مشحون
العلم والعمل الكبير حياتهم
ويُفَجِّرون جباله فتلين
فيُسَخِّر هواءه وترابه
لا الخير مقطوع ولا ممنون
من فضل خالقهم وفضل كفاحهم
يتراجع التشريع والتقنين
ولهم شريعتهم ودون جلالها
روح على سر السماء أمين
أرست عدالتها السماء وساقها
ما عاش تحت ظلالها مغبون
فيها لكل الناس كل حقوقهم

●●●

الماء أصل وجودهم والطين
فالناس مهما كان من أوضاعهم
بالمجد فى هذى الحياة قمين
هذى الحضارة للخلود وشعبها
فالدهر يسعد تارة ويخون
إن كان قد أخنى عليه زمانهُ
والصعب بالصبر الجميل يهون
والصبر فى شرع الحنيفة واجب
إيمانه بين الضلوع مكين
وعلى الكفاح المُرِّ يسعد مسلم
من حاد عنه يحيد عنه الدين
هذه شريعتنا وهذا ديننا

غرور الإنسان

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

رَبَّاهُ يا ربَّ الكواكب والْفَلَكْ ⁂ والنور فى الآفاق يسبح والحَلَكْ (١)
الكائنات جليُّها وخفيُّها ⁂ ووديعها وعنيفها تنقاد لَكْ

هذا ابن آدم ذا الذى كرمته ⁂ عن سائر المخلوق جن أو مَلَكْ
وأفضت أنعُمَك الجليلة حوله ⁂ وبذاته ووهبته ما قد ملك

وكأنَّه صنع الحياة بكفه ⁂ وكأنه فى أمره قد شاكلك (٢)
وانساب كالرقطاء ينفث فى الحياة سمومه وجحوده أنَّى سَلَكْ (٣)

وتظل تجزل يا كريم له العطاء وما ارتجاك وما ابتغى أن يسألك

●● ●●

يا رب حلمك بالعباد مُحَيِّر ⁂ فإذا أخذت بما جنوا ما أعدلك
لكن حكمتك الخفية فوق إدراك العقول وإن تسَنَّمت الفلك (٤)

كم رامها فى الدهر عقل وابتغى ⁂ كشف الستائر دونها حتى هلك (٥)
يأيها الإنسان فى حُلل المعارف رافل متألِّق ما أجهلك

□ المفردات :

(١) الحلك : شدة الظلام (٢) شاكلك : ماثلك (٣) الرقطاء : الأفعى المنقطة
(٤) تسنمت الفلك : ارتقت فكرا وعلما (٥) رامها : طلبها

محمد إقبال والمدينة الفاضلة

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

المدينة الفاضلة ، أو مدينة الأحلام ، أو المدينة المثالية ، كلها صور تجسد حلم البشرية وأمل الإنسان المتعب المعذب فى الأرض . فى الخلاص من كل متاعبه أو معاناته ، والتطلع إلى الحياة فى ظلال الأمان والاستقرار والرخاء .

وكم من المفكرين والفلاسفة والحكماء ودعاة الإصلاح ، فى الشرق أو الغرب ـ قديما وحديثا ـ من تغنى بهذه المدينة الفاضلة وتطلع إلى قيامها ورسم لها الخصائص والأوصاف . وتخيل لها الصور والأشكال وخطط وسائل الحياة على أرضها وما يحكم سير الناس وحياتهم عليها من قواعد وأحكام وعادات وتقاليد .

أما ما ينادى به الشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، والذى قضى عمره يدعو إليه ويبشر بقيامه ويحدد معالمه ويخطط له ويرسى مبادئه فهو « المدينة الفاضلة فى ظل مبادىء الإسلام » وعلى أسس واقعية محققة يستلهم نورها من وحى القرآن الكريم والكلم الطيب للنبى ﷺ . ويركز

إقبال على خصائص الفرد المؤمن بكل طاقات الإيمان الكامنة فى عمق القلوب . فالفرد هو اللبنة الأولى فى بناء الأسرة التى هى بالتالى الخلية الأولى فى كيان المجتمع المسلم أو المجتمع المثالى كما يراه إقبال ويؤمن به ويدعو له بكل صدق وواقعية ، ولندخل عالم هذا المفكر الإسلامى والشاعر الإنسانى المبدع محمد إقبال حيث يضع من خلال شعره الذى وصل إلينا مترجما عن لغته الأصلية « الأردية » كلَّ خصائص وأوصاف وسمات المواطن المسلم فى المدينة الإسلامية الفاضلة :

فهو فى السلم وفى الحرب .

يبتسم المسلم فى سلمه — عن رقة الماء ولين الحرير
وتبصر الفولاذ فى عزمه — إن دعت الحرب ونادى النذير

* * *

المسلم الصادق فى عزمه — ينازع الأقمار تاج الفلك
لا يجعل العصفور صيدا له — لكنه يرق لصيد الملك

* * *

يمشى على النيران مستكبرا — ويصطليها ساخرا بالعذاب
فهو ترابى ولكنه — حر طليق فى قيود التراب

وهو مواطن قد تحرر من قيود الخوف ؛ لأنه يؤمن بالله فيقول :

المؤمنون على عناية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ولا هم فى الحوادث يحزنون

* * *

لو مرّ أضعفهم على فرعون يجتز الرءوسا
لأراك فى الإفصاح هارونا وفى الإيمان موسى

– ويرى إقبال أن الخوف هو المدخل الحقيقى للنفاق والذل والهوان :

إنى رأيت الخوف فى الدنيا عدوا للعمل
هو مطفىء نور الرجاء وسالب كنز الأمل

● ● ●

يرمـــــى الإرادة بالتزلـــــزل والعـــــزيمة بالخور
ومـــن احتـــواه الموت لا يجنـــى من الأرض الثمـــر

ـ والمؤمن عند إقبال وثاب متقدم غير هياب ولا متخاذل :

المؤمـــن الوثـــاب تعصمـــه من الهول السكينـــه
والخائـــف الهيـــاب يغـــرق وهـــو فى أمـــن السفينـــه

● ● ●

أعـــداؤكم يخشون سيـــف يقينكـــم قبـــل السيـــوف
ومرامهـــم أن تسرعـــوا بالخوف من قبـــل الحتـــوف

● ● ●

الحقـــد والكـــذب المذل وكل غدر والتـــواء
تلك الرذائـــل فى شعـــوب الأرض أبـــواب الفنـــاء

● ● ●

لولا المخاوف ما سمعنـــا باسمهـــا تحت السمـــاء
والشرك يصنـــع من خيـــوط الخوف أشراك البـــلاء

ـ أما المواطنون المؤمنون فهم راسخو الإيمان بيقينهم وإيمانهم :

المؤمنـــون هم من المولى أمـــان الأوليـــاء
بلغـــوا الكمـــال فهـــم عن الدنيـــا العـــريضة أغنيـــاء

● ● ●

الموت والحريـــة الشمـــاء والشرف المكين
هى خير ما نحيـــا به وهـــى الغنـــى للمؤمـــنين

أمـــا المفضفض والمذهب والمُفَـــوَّفُ والنضيـــد
فلقـــد تركناهـــا لِعُبَّـــادِ الحطـــام .. وللعبيـــد

ـ وجوهر الإنسان باق لا يفنى كما يفنى غيره ، يقول :

وحيـــــــاة الإنسان نهر سماوى توالت بسيره الأقـــــــــدار
كلمـــا غاض ماؤه عاد فيـــاضا فمـــا ينـــقضى له تيـــار

●●●

إن تفصل القطـــرة عن بحرهــــا ففـــى مداه منتهى أمرهــــا

●●●

شعلة النـــفس لا تعـــود رمـــاد ضوؤهـــا خالـــد على الأزمـــان
كل شىء يمضى وكل حيـــــاة تنـــقضى غير جوهــــر الإنسان

ـ ويكرر إقبال معنى خلود الإنسان أو خلود النفس الإنسانية فى المدينة الفاضلة :

مئـــات السنين مضت فى الحيـــاة ومـــا استنفـــذت بحر أزمـــانها
وكم أفـــرغ الشاربـــون الكئـــوس ومـــا زالت الخمـــــر فى حانها

●●●

إذا سقـــطت زهـــرة فى الربيـــع فكـــم فى بساتينـــــه من زهـــــور
ويـــا ربّ لؤلـــــؤة حطموهـــــا لترفـــع فى التـــاج أو فى النحـــور

ـ وهو يرى ضرورة أن يفنى الفرد فى المجموع وأن يكون جنديا من جنود المدينة الفاضلة متفانيا جماعى الإحساس والشعور .. يقول :

معيشة الفـــرد خيـــال والبقـــاء للأمم فكن فداء المبدأ الأعلى إذا نادى العلم
فى العالم الأول من مطالع الأنوار كنت والناطق الأخير فى رسالة الرحمن أنت
قم وانشر التوحيد فى الدنيا ووحد الأمم فأنت خير من دعا وأنت خير من حكم
منزلك العلوى لا تحجب صَرْحَهُ الغيوم أنت من الجيش الذى غُبار خيله النجوم

ـ وهو يحذر أبناء المدينة الفاضلة من الجرى وراء المال قائلا :

ياعبيـــد المال والـــطين اسمعـــوا ما هو الزهـــد الغنـــى الأرفـــع
هو عرفـــان طريـــق العـــارفين وارتـــواء القـــلب من عين اليـــقين
ذلك الفقـــر عزيـــز فى غنـــاه هامـــة الجوزاء من أدنى خطـــاه
يرعش الدهـــــر إذا دوى صداه ليس غير الله فى الكـــون إلـــه
مسلـــم دولتـــه فوق الحصير كان يخشى بأسه ألـــف سريـــر

ـ وهو ينعى على القاعدين المتخاذلين وينفخ فيهم من روحه فيقول :

أيها الشادى بقـــــرآن كريم　　وهـــو فى ركـــن من البـــيت مقيم
قم وأبلـــــغ نوره للعـــــالمين　　قم وأسمعـــــه البرايـــــا أجمعين
حينما آمـــــنت بالله الأحـــــد　　لم أزِلَّ النـــفس يومـــا لأحـــد

ـ وحب المغامرة والاستكشاف والتطلع والإقدام من أهم صفات إنسان المدينة الفاضلة ، يقول :

أحب احتـــراق بنـــار اشتيـــاق　　ولا ارتضى عيشة الخامـــــلين
شعـــار الفـــراشة والنـــور يعلـــو　　حيـــاة الجبـــان طوال السنين
عش ساعـــة فى لجة البحـــار　　ومت شهيـــد الموج والتيـــار
ولا تعش دهـــرك عيش الخامـــل　　مقيـــدا بين صخـــور الساحـــل

ـ ثم يصف شجاعة المقاتل المؤمن واستبساله فى سبيل الله فيقول :

ذلك المؤمـــن الموحـــد يغشى　　زمـــرة الحرب والـــردى يخشاه
تحت ظل السيـــوف ماض قوى　　درعـــه لا إلـــه إلا الله

ـ ثم يهيب بالأمة الإسلامية أن تصحو من غفوتها وتنهض من كبوتها وتعيد أمجادها :

أمـــة الصحـــراء ياشعب الخلـــود　　من سواكم فك أغـــلال الـــورى
من سواكم صاح فى سمع الرجـــود　　قال: لا كسرى هنـــا لا قيصرا

ومع نهاية جولتنا مع الشاعر العظيم محمد إقبال من خلال ما تيسر لنا من شعره المترجم عن لغته الأصلية « الأردية » ، نتمنى تجسيد هذه المعانى السامية حتى نحقق على ضوئها كل القيم والمثل والصفات التى هى مكارم الأخلاق لإنسان المدينة الإسلامية الفاضلة .

● ● ●

ولا أجد ما اختم بها هذه الجولة أجمل من قوله معتزا بإسلامه :

إن كان لى نغـــم الهنـــود ولحنهم　　لكـــنّ هذا الصوت من عدنـــان

سلام على الشاعر الكبير محمد إقبال فى الخالدين .

● ● ●

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أساس الرقى فى الإسلام

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

اعداد وتقديم : أ/عبد الفتاح حسين الزيات

عناصر الرق فى الإسلام كثيرة ، وأسسه واضحة جلية ؛ وحصر هذه العناصر فى عدد معين مما يصعب على الفرد لأنها فوق طاقته واستطاعته ، والرفق أحد هذه الأسس بل هو الأساس الذى يوثق علاقة الإنسان بغيره ، وحتى مع الحيوان ، وحرى بأمة الإسلام أن تبرز هذه الأسس ، وتوضح تلك العناصر كمعلم من معالمه حتى يتأسى بها من ضل طريق الرفق ، وحاد عن جادة اللين .

قال فضيلة الشيخ :

أساس الرق فى الإسلام

إننا نحب العظماء ، ونمجدهم ، ونحيى ذكراهم ، لأنهم ذوو نفع بالإنسانية ، عاشوا لأجلها وماتوا لأجلها .

ونحن نحب سيدنا محمداً ﷺ ونمجده ، ونعد يوم مولده عيدا نحتفل به لأنه أخرج العالم من الظلمات إلى النور ؛ ووضع بذور الخير والبركة فى الأرض ، وسن من أصول التشريع فى الأخلاق والاجتماع ما على مثله تحيـا الأمم ، وتــرقى الشعوب .

وقد تحرى المسلمون فى العصر الأول التأسى به ؛ والعمل بإرشاده ، فسعدوا ، وكانت لهم عمارة الأرض ، ثم تنكب الخلف من بعدهـم طريقه شيئا فشيئا ، فبعدوا من الخير والسعادة بمقدار بعدهم عن ذلك السبيل القويم .

وإن خير ما يسديه المحتفل بميلاده إلى أمته أن يعمد إلى سنة من سننه قد درست فيحييها ، وإلى هدى من هديه قد ضل الناس عنه فيهديهم إليه .

وقد أخذت نفسى بهذا ، وأردت أن أنشر من هديه ﷺ أبعده أثرا فى إصلاح المجتمع ، وأعظمه بركة فى سعادته .

أردت أن أدرس هديه ﷺ ، وأعرضه على علم الاجتماع ، وتاريخ الأمم والشعوب ، فأعثر على ذلك الأكسير الذى لما أخذ به الأولون من أهل الإسلام كانت لهم العزة فى الأرض ، ولما تنكبوا عنه ضلوا عنها أو ضلت عنهم .

لقد اهتديت بعد لأى إلى ذلك الأكسير الذى هو سر عظمة الأمم قديمها وحديثها ، ورأيت محمدا لم يغفله ولم يهمله ، بل رأيته قد علمه وحض عليه ، وكانت سننه القولية داعية إليه ، وسننه الفعلية مثالا حيا له .

لن أختزن ذلك الأكسير ، ولن أضن به ، بل سأبينه وأذيعه ، فإن أمم الشرق أحوج ما تكون إليه الآن .

ذلك الهدى : هو « الرفق بالناس » ، وترك الشدة عليهم ، ومعاملة بعضهـم بعضا بالـلين والعدل .

وسأوضح أثـر هذه المعاملة فى الممـــالك والمجتمعات ، وأثر ضدها السيىء فى النـاس ، وأذكر معاملة النبى أصحابه وما ورد فى ذلك ، وأبين أن المسلمين كانوا بخير حينما ساروا على هذه السياسة الرشيدة ، فلما أخذوا عنها يمينا ويسارا أخذ عنهم الخير يمينا ويسارا .

ليس شىء أشد ضررا بالأمة ، ولا أضعف لها ، وأدعى إلى انحلالها وزوالها ، من معاملة بعضها بعضا بالشدة والقهر والغلب .

ذاك لأن الشدة والقهر والعنـف تضعـف النفوس ، وتميت فيها العزة والكرامة ، وتخلف فيها المذلة والهوان ، وإذا وجدت هذه فى الأمة أو فى الأفراد لم تسم نفوسها إلى جليل ، ولم تضطلع بخطير ، وكانت حقيرة فى نفوسها هزيلة الأمل ، ولا سؤدد لحقير فى عين نفسه ، ولا عمل لمن فقد الأمل .

فإذا عامل الرجل زوجه ، والوالد أولاده ، والمربى تلاميذه ، والرئيس مرءوسيه ، والوالى من ولى عليهم ، وكل ذى سلطان من سلط عليهم ، بالقهر والشدة ، أفسدوا نفوسهم ، وأذلوهم ، وقتلوا فيهم روح الاعتـداد بالنـفس والعـــزة والكرامة ، وهى عدة الفرد والجماعة فى هذه الحياة .

فإذا رأيت شعبا يسير على هذه الخطة فأعلم أنه يحفر قبره بيده ، وأنه يسىء إلى نفسه بما لا يقدر أعدى أعدائه أن يسىء به إليه .

وليس شيء أصلح للأمة وأنفع لها وأدعى إلى قوتها وبقائها من معاملة بعضها بعضا بالرفق واللين والعدل ، لأن ذلك يقوى نفوسهم ، ويحيى فيهم الكرامة والعزة والاعتداد بالنفس ، والمرء إذا وجدت فيه هذه الصفات سمت همته ، وبعد أمله ، ورأى نفسه ليس يبعد عليه شيء فى الحياة ، وعمل ما يمليه عليه سمو همته ، وبعد أمله ، وقوة إرادته ، وعاش شخصا قويا مستقلا يقوم بنفسه ، ويأبى أن يكون ظلا لأحد أو محمولا على غيره .

فإذا رأيت الوالد يعامل بنيه بالرفق واللين فأعلم أنه يبنى منهم رجالا أشداء أقوياء أعزاء . وكذلك قل فى المربين والرؤساء والولاة .

هذه قواعد علمتها الأمم العالمة ، فسلكت سبيل النجاة ، وجهلتها الأمم الجاهلة ، فسلكت سبيل الفناء .

وإنى لأستعرض حياة أمم أوربا اليوم ، فأجد الأمة منهم يعامل كل ذى سلطان فيها من هم تحت يده بالرفق واللين ، وأجدهم يحفلون باستقلال المرء بنفسه ، فيفرطون فى كل شيء ولا يفرطون فيه ، لذلك حفظت للمرء فيهم ذاتيته كاملة ، واستتبعت هذه الذاتية بعد ذلك آثارها كاملة .

تجد المربى فيهم لا يأخذ المتعلم بالعنف ، إنما يحبب إليه العلم والأخلاق الفاضلة ، ويخلق فى نفسه القوة المحركة إلى طريق العلم ، والخلق الفاضل ، فيسعى إليهما من ذاته راغباً مشتاقاً ، تحدوه المحبة ، ويبعثه الأمل .

ولا يسلك إلى ذلك سبيل العنف والشدة ، لأنه يعلم أنه يفقده بذلك شجاعته واستقلاله وكرامته ، فيكون ما يعطيه بعد ذلك أقل بكثير مما أفقده ، ثم هو بعد ذلك لا يتحرك إلا بمحرك خارجى ، فإذا ونى ذلك المحرك أو فقد ، زالت كل بواعث الخير والصلاح التى كانت تحدوه إليهما .

وإنى لأستعرض تاريخ الأمم الإسلامية فأجد فى أولها العزة والمنعة والظفر والانتصار ، لأخذها بمبدأ الرفق والشفقة ، فلما أضاعت هذا المبدأ وعامل الوالد أبناءه بالشدة والغلظة ، وعامل المربون تلاميذهم بالقهر ، وعامل كل ذى سلطان من ولى عليهم بالغلبة ، عملوا على إفساد بعضهم بعضا ، وبلغوا من أنفسهم ما لم يبلغه منهم أعداؤهم ، وصاروا إلى ما صاروا إليه .

وليست تعاليم أوربا بأشد حرصا على الرفق واللين وأكره للغلظة والشدة من تعاليم الإسلام ، فإن الإسلام كان يعلم ما فى الشدة والقهر من شر ، ويعلم ما فى الرفق من خير ، فشدد النكير على الشدة والقهر ، وحض على الرفق واللين ، ولكن المسلمين أضاعوا تعاليم دينهم ، فبعدوا عن الخير بقدر ما بعدوا عن هذه التعاليم .

قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) .

فأمتن على المؤمنين بأن من أرسل إليهم رءوف بهم رحيم ، لعلمه بما فى الرأفة والرحمة من الخير لهم ، وليعلى من قدر الرأفة والرحمة ، ويحضهم عليها .

روى أن النبى ﷺ كانت بيده جريدة يستاك بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل ــ عليه السلام ــ فقال : يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبا ؟

لم يرض للمسلمين أن تكون بيد رسولهم جريدة ، لئلا يملأ قلوبهم رعبا ، ويكسر قوتهم ، فلا يصلحوا للإسلام ولا لأنفسهم ، فأى والد بعد ذلك يروح ويغدو على أولاده بالقهر والشدة ؟ إنه لا يفعل ذلك إلا من أراد إفسادهم ، وكسر حدتهم ، وإماتة قلوبهم .

وروى أن النبى ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدشة خدش أعرابيا لم يتعمده ، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ! فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال : اقتص منى . فقال الاعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ما كنت لأفعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفسى ! فدعا له بخير .

وإنما كان منه ذلك ليعلم المسلمين أنهم سواسية ، وأنهم متساوون فى الحقوق ، وأن أعراضهم ونفوسهم وأموالهم حرام بعضهم على بعض لا يحل لهم شىء من ذلك إلا فى حق من حقوق الله .

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى فيما أوصى به رسول الله فى مرضه الذى مات (به) أنه دخل المسجد وهو معتمد على الفضل بن عباس فقال : « أيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئا فهذا عرضى فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من بشره شيئا فهذا بشرى فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من ماله شيئا فهذا مالى فليأخذ ، واعلموا أن أولاكم بى رجل كان له من ذلك شىء فأخذه أو حللنى فلقيت ربى وأنا محلل ، ولا يقولن رجل إنى أخاف العداوة والشحناء من رسول الله فأنهما ليستا من طبيعتى ولا من خلقى ، ومن غلبته نفسه على شىء فليستعن بى حتى أدعو له » .

هذه كانت سياسة النبى أصحابه ، فقد سمع فيهم قول الله ـ تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر : ٨٨) .

وقد سار أصحابه هذه السيرة : فأقاد أبو بكر من نفسه ، وأقاد عمر من نفسه ، وسار الخلفاء فى رعيتهم سيرة رفق ورحمة ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يعلموا ما فى الرفق من خير ، أوهم علموا ولكن غلبت عليهم شهواتهم ، فسفكوا الدماء ، وشقوا الأبشار ، وخربوا الديار ، وأخافوا الرعية ، فأماتوا تلك النفوس الأبية ، وخلقوا أجيالًا أذلاء ، فلم يكن فيهم غنى لهم ولا لأنفسهم .

من حقى على الناس وقد بينت لهم أساس رقى الأمم وسعادتها أن أطلب أجر هدايتهم ، وأجرى عليهم أن يهتدوا بذلك الهدى النبوى ، فيرفق المرء بأولاده ، ورب الأسرة بأسرته ، والمعلم بتلاميذه ، وكل ذى ولاية بمن ولى عليهم ، وأن يلزموا ذلك لزوم من يعلم أنه إذا تركه هلك ، وأن يؤمنوا بأن الشدة لا تلد إلا شراً ، وأنها أجدر ألا يعامل بها الأولياء ، وإذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا تلك الحكمة الذهبية : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

العلوم الكونية

الهواء الجوي وتصريف الرياح

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣)
وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا
بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) ﴾ سورة الجاثية صدق الله العظيم

تحدثنا هذه الآيات الكريمة مع آيات أخرى كثيرة ـ عن حاجة الإنسان الماسّة إلى التعرف على الظواهر الكونية باعتبارها ضرورة من ضرورات وجوده ، لأنه يرى فى هذه الظواهر خير دليل على وحدانية الخالق وعظمته وقدرته فى إبداع خلقه ، ويشعر أمامها بعجزه وضآلته واحتياجه الدائم إلى رعاية ربه وعنايته . وعندما يهتدى الإنسان ، بتوفيق الله ، إلى فهم طبيعة هذه الظواهر باستقراء قوانينها وتفسير سلوكها ، فإنه يسعى إلى الإفادة منها فى تحقيق أمانة الخلافة بإعمار الحياة على الأرض لخير الناس أجمعين .

وسوف نفصل الحديث ـ إن شاء الله ـ فى هذا المقال عن الرياح التى يقدم العلم الحديث تفسيراً لنشوئها وتكوينها وتصريفها فى ضوء النتائج التجريبية التى توصل إليها العلماء والراصدون . ولما كانت الرياح فى حقيقتها هى الهواء المتحرك ، فإن من المفيد أن نبدأ بالحديث عن مكونات الهواء الجوى .

مكوّنات الهواء الجوى :

يشكل الغلاف الجوى جزءاً من الأرض ، يتحرك معها كلما دارت وتحركت فى الفضاء . وبالرغم من أن الامتداد الرأسى لهذا الغلاف حول الأرض يبلغ عدة مئات من الكيلومترات ، إلا

أنه فى حقيقة الأمر لايعتبر سوى طبقة رقيقة جداً إذا ماقورن بحجم الكرة الأرضية ، فإذا تصورنا الأرض بحجم البرتقالة مثلا لكانت طبقة الهواء فى سُمْك اللون الذى يكسوها أو ربما أزيد قليلاً .

وتتناقص كثافة الهواء بمعدلات كبيرة كلما ارتفعنا إلى أعلى ، فتنخفض إلى نصف قيمتها على ارتفاع بضعة كيلومترات تقريبا من سطح الأرض ، وتكاد تنعدم فوق ارتفاع ألف كيلو متر تقريباً .

وتتم عملية التحليل الكيميائى لمكوِّنات الهواء بطرق مختلفة تعتمد على الارتفاع الذى تفحص عنده « عينات » الهواء . وعموما ، تستخدم « بالونات » الرصد العادى للارتفاعات المنخفضة حتى حوالى ٤٠ كيلو متراً ، وتكون مزودة بأجهزة أرصاد جوية خفيفة للحصول على معلومات تتعلق بدرجة الحرارة والضغط وغيرهما ، حين يحدَّد ارتفاع « البالون » بواسطة « تلسكوب » أو « رادار » . أما المعلومات المتعلقة بطبقات الجو العليا فيستعان للحصول عليها بصواريخ أو أقمار صناعية تحمل أجهزة متقدمة للرصد والتحليل .

وتدل القياسات على أن الغلاف الهوائى يتكون من غازات ثابتة النسبة تشمل غَازَىْ : النتروجين والأكسجين بما يزيد على نسبة ٩٩٪ من الحجم الكلى ، بالإضافة إلى غازات أخرى بنسبة ضئيلة جدا تقترب من واحد فى المائة . كما يحتوى الهواء الجوى على كميات متغيرة من ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء وغاز « الأوزون » ، بالاضافة إلى غازات أخرى وغبار .

الغاز	النسبة المئوية بالحجم
النتروجين	٧٨,٠٨٤
الأكسجين	٢٠,٩٤٧
الأرجون	,٩٣٤
ثانى أكسيد الكربون	,٠٣١٤
النيون	,٠٠١٨
الهليوم	,٠٠٠٥
الكريبتون	,٠٠٠١
الهيدروجين	,٠٠٠٠٥
الزينون	,٠٠٠٠٠٨
الأوزون	,٠٠٠٠٠١
(بخار الماء)	من ٢, إلى ٤,٠

ويكون الهواء الجوى متماثل التركيب بسبب عملية الخلط الأفقى والرأسى التى تحدثها حركة الهواء ، وخاصة عند الارتفاعات المنخفضة ، حيث تظل نسب مكونات الهواء ثابتة تقريباً ولايطرأ عليها تغيّر ملحوظ حتى ارتفاع حوالى ٨٠ كيلو متراً . ويستفاد من هذه الخاصية فى تسميّة الغلاف الجوى حتى هذا الارتفاع باسم « الهوموسفير » Homosphere أو « الغلاف المتجانس » ، تمييزاً له عن « الهيتروسفير » Heterosphere أو « الغلاف غير المتجانس » الذى يطلق على طبقات الجو العليا ذات التركيب المختلف بسبب تأثير الجاذبية على الترتيب الطبقى لجزيئات الهواء تبعا لكثافتها .

ومن الجدير بالذكر أن التفاعلات الكيميائية للعمليات الحيوية تعمل على تثبيت تكوين الهواء الجوى . فالنباتات تستنفد غاز ثانى أكسيد الكربون فى عملية « البناء الضوئى » أو « التمثيل الكلورفيللى » وتُخرج غاز الأكسجين بينما تحدث عمليات عكسية كالاحتراق وتنفس الكائنات الحية لاستعادة ثبات نسبة التكوين والمحافظة على حالة الاتزان الحرارى بالقرب من سطح الأرض .

نشأة الرياح وحركتها :

تنشأ « الدورة العامة للرياح » من تحرك الهواء تحت تأثير فروق الضغط الجوى ، مندفعاً من مناطق الضغط العالى ومتجها نحو مناطق الضغط المنخفض وتنشأ هذه الفروق بدورها نتيجة لاختلاف معدلات التسخين فى الجو باختلاف سطح البر والبحر وباختلاف ميل أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية ، فأشعة الشمس المتعامدة على سطح الأرض فيما بين المداريْن تؤدى إلى زيادة تسخين الهواء الجوى ومن ثم تقل كثافته وينخفض ضغطه . وكلما زاد ميل الأشعة زاد تبريد الهواء ، وارتفع الضغط الجوى كما هو الحال عند القطبين حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض . ويعمل دوران الأرض حول محورها على دوران الغلاف الجوى معها بنفس الطريقة ، مما يجعل الرياح أيضا تلف وتدور أثناء حركتها ، حيث تحيد جهة اليمين فى نصف الكرة الأرضية الشمالى ، وتحيد إلى اليسار فى النصف الجنوبى[1] .

وتزداد سرعة تحرك الهواء ، أو سرعة الرياح ، كلما ازداد الفرق فى الضغط بين مناطق الضغط المرتفع ومناطق الضغط المنخفض ، وقد اتفق العلماء على وضع مقياس لتصنيف الرياح حسب متوسط سرعاتها وطبقا لما تحدثه من آثار ، وجعلوا منها عدة أنواع لفائدة الطيران والملاحة البحرية وغير ذلك . وينسب الى الملاح البريطانى « فرنسيس بوفورت » Francis Beaufort ، الذى عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى ، مقياس تقريبى من ثلاث عشرة مرتبة لتصنيف الرياح وتحديد سرعاتها تبعا لتأثيرها على بعض الأجسام المألوفة فى حياتنا اليومية ، وأعطى كل مرتبة

(١) د. محمد جمال الدين الفندى ، الله والكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م

رقما ، بادئاً من الصفر كمقياس للرياح الساكنة تقريباً ومنتهياً بالرقم (١٢) الدال على إعصار تزيد سرعته على ١٢٠ كيلو مترا فى الساعة(٢) .

مقياس « بوفورت » لتصنيف الرياح تبعا لسرعاتها

رقم المقياس	سرعة الرياح كيلو متر / ساعة	وصف الرياح	مظاهرها
صفر	صفر ـ ١,٥	ساكنة تقريباً	يتصاعد الدخان رأسيا
١	١,٦ ـ ٥	نسيم خفيف	يتعين اتجاه الريح بحركة الدخان
٢	٦ ـ ١١	رياح خفيفة	تحرك أوراق الشجر
٣	١٢ ـ ١٩	رياح لطيفة	تحرك أوراق الشجر وبعض الأغصان
٤	٢٠ ـ ٢٩	رياح معتدلة	تحرك الأغصان وترفرف الأعلام
٥	٣٠ ـ ٣٩	رياح نشطة	تهتز الشجيرات
٦	٤٠ ـ ٥٠	رياح قوية	تحرك الأغصان الكبيرة
٧	٥١ ـ ٦١	رياح شديدة	انثناء الأشجار وصعوبة المشى
٨	٦٢ ـ ٧٤	رياح عاصفة	تثير الرمال وتكسر أطراف فروع الشجر
٩	٧٥ ـ ٨٧	رياح عاصفة قوية	انكسار مداخن المنازل
١٠	٨٨ ـ ١٠١	زوبعة	انخلاع الشجر
١١	١٠٢ ـ ١٢٠	زوبعة هوجاء	حدوث الدمار
١٢	أكثر من ١٢٠	إعصار	دمار شديد

وتدلنا دراسات الارصاد الجوية على أن الدورة العامة للرياح ، بما فيها من تيارات هوائية رأسية وأفقية ، تؤدى إلى إحلال الهواء البارد محل الهواء الساخن ، وتعمل بذلك على توزيع الطاقة الحرارية بالعدل والقسطاس طبقا لما يناسب احتياجات الحياة والأحياء فى مناطق الأرض المختلفة .

من ناحية أخرى تعتبر الرياح مصدراً لاينضب لطاقة نظيفة متجددة يمكن الإفادة منها فى تلبية احتياجات النشاط الإنسانى المتزايد ، خاصة بعد أن أدخلت تعديلات هامة على تقنية الطواحين الهوائية الحديثة لتطوير أدائها وتحسين كفاءتها .

وهكذا نجد أن تكوين الرياح ونشوئها وتوجيهها من آيات الله الناطقة بجلاله وعظمته ، وأن الدورة العامة للرياح تخضع لعوامل كونية من تقدير الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يحكم أمرها ويدبر تصريفها لفائدة الإنسان ونفعه ، مصداقاً لقوله عز من قائل : « وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ » . الاعراف (٥٧)

٢) د. أحمد مدحت إسلام ، الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

٦

يتناول هذا المقال بعض مشاكل الخصوبة عند الرجال ، ومنها :

أولا : العقم ، وقد يكون خِلْقِيًّا ، وقد يطرأ وجودُه أثناء حياة صاحبه فهو ـ إذن ـ خِلقِى ، أو لاحق (أى مكتسب) .

(ا) العوامل الخِلْقية :

غالبا ما تكون العيوب الخِلْقية نتيجة عدم وجود الحبال المنوية التى تنقل الحيوانات المنوية من الخصية والبربخ إلى مجرى الذكر ، أو تكون ناتجة عن انسداد فى الحبال المنوية أو البربخ ، وقد توجد العيوب الخِلْقية فى الخصية أو فى الذكر مثل الحالات التى تفتح فيها قناة مجرى البول فى السطح السفلى للعضو وفى هذه الحالات تكون مصحوبة ببعض التليف مما قد يؤثر على وظيفة الذكر ، وقد تكون هناك عيوب فى « الكروموسومات » أو قد لا تنزل الخصية إلى كيس الصفن أثناء النمو .

(ب) العوامل اللاحقة (المكتسبة) :

من أهم العوامل اللاحقة (المكتسبة) مايلى :

● انسداد الحبال المنوية والبربخ نتيجة الالتهابات التى تصيب الجهاز البولى والتناسلى ، وبخاصة الأمراض التناسلية والبلهارسيا والدرن ، ومن أهم هذه الالتهابات التهابات مرض السيلان ، وهو مرض تناسلى ينتقل عن طريق الجنس غير الآمن (غير الشرعى : الجنس المحرم) .

● اضطرابات فى وظائف الغدد الصماء ومن المعروف أن الغدد الصماء تفرز الهرمونات ، وزيادة أو نقصان إفراز الهرمونات عن معدلها الطبيعى قد يؤثر على وظائف الخصية ، فمثلا زيادة أو قصور وظيفة الغدة النخامية فى إنتاج « هرمونات الجيونادوتروبين » التى تتحكم فى وظيفة الخصية يؤدى إلى العقم ، وكذلك زيادة أو نقص نشاط الغدة الدرقية والغدة جارالكلوية .

● أمراض الخصية : وللخصية أمراض فقد يحدث خراج بالخصية ، أو تليف غير معروف الأسباب ، أو قد يحدث التهاب فى الخصية كمضاعفات لالتهاب الغدة النكافية فى طفل قبل مرحلة البلوغ مباشرة ، أو التعرض للحرارة المستمرة مثل ما يحدث لبعض العاملين فى وظائف كمثل (عمال الأفران) أو التعرض للإشعاع لمدة طويلة .

● تعاطى بعض الأدوية مثل « الهرمونات » أو الأدوية التى تعالج الأورام السرطانية .

● الاضطرابات الجنسية مثل عدم القدرة على الانتشار (الانتصاب) ، أو سرعة القذف المَرَضِيَّة (كما فى حالات القذف قبل الإيلاج) .

● بعض حالات دوالى الخصية الشديدة .

التشخيص :

يتم التشخيص بأخذ تاريخ مرضى مفصل للمصاب ، ثم فحصه شاملا لتحديد ما إذا كان هناك عيوب خلْقية أو وجود تليف فى الكبد . وكذلك فحص العلامات الجنسية الثانوية كحجم الثدى ، وتوزيع الشعر ، والصوت ، وتوزيع الدهن فى الجسم ، ثم فحص الأعضاء التناسلية والخصية من حيث الحجم ، أو وجود دوالى ، وقد تحتاج الحالة إلى فحوص معملية من أهمها : تحليل السائل المنوى ؛ وعينة الخصية ، والموجات فوق الصوتية ، وتحليل الهرمونات فى الدم ، وتحليل للكروموسومات .

العلاج :

يتم وصف العلاج حسب الحالة ؛ فقد تحتاج الحالة إلى علاج نفسى فقط كما فى حالات الاضطرابات الجنسية ، وقد تحتاج إلى علاج بالعقاقير ، أو « الهرمونات » فى حالات نقص عدد الحيوانات المنوية ، أو قد تحتاج إلى التدخل الجراحى فى حالات انسداد الحبل المنوى أو الدوالى .

وهناك بعض الحالات التى تحتاج إلى التلقيح الصناعى ، أو ما يعرف بأطفال الأنابيب .

ثانيا : سرعة القذف :

سرعة القذف أى قذف السائل المنوى أثناء العملية الجنسية قبل أن يتم الاستمتاع الكافى ، وهو نوعان :

النوع الأول : سرعة القذف الأولية : وذلك إذا حدث هذا العَرَض من بداية الحياة الجنسية .

الثانى : سرعة القذف الثانوية : إذا كان الرجل طبيعيا منذ بداية حياته الجنسية ، ثم اشتكى حديثا من سرعة القذف .

ويلاحظ فى كثير من الحالات أن الرجل يكون سليما تماما ولكن جهله بالمعلومات الجنسية ، وعدم توافقه مع الزوجة تبدو حالته وكأنها سرعة قذف ، ولذلك يمكن تقسيم هذه الحالات إلى :

(ا) سرعة قذف حقيقية : وهى الحالات التى تقع فيها سرعة قذف قطعا .

(ب) سرعة قذف ظاهرية أو غير حقيقية : الحالات التى يكون فيها الرجل طبيعيا ، ولكن نظرا لنقص ثقافته الجنسية وخبرته ، أو لكون الزوجة تعانى من برود جنسى ناتج عن ختان خاطىء مستأصل للبظر ، أو لعوامل نفسية ، وما يعنينا ـ هنا ـ هو سرعة القذف الحقيقية .

الدرجات المتعددة لسرعة القذف الحقيقية :

لسرعة القذف درجات متعددة فقد يحدث : أثناء عملية المداعبة وهو أول درجة ، أو بمجرد الإيلاج وهو ثانى درجة ، أو بعد الإيلاج بفترة قصيرة وهو ثالث درجة .

الأســـباب :

هناك أسباب اجتماعية ، وأسباب نفسية ، وأسباب عضوية لسرعة القذف .

الأسباب الاجتماعية : منها أن يكون الزوج بعيدا عن زوجته فترة طويلة ، أو يعمل بعيدا عن زوجته ولا يلتقيان إلا على فترات ، أو كون الزوجين لا يختصان بحجرة خاصة كأن ينام الزوجين وأولادهما فى غرفة واحدة .

والأسباب النفسية : قد تكون بسبب خوف الزوج ، أو الاستثارة الشديدة ، أو قد يكون هناك فقدان للحب بين الزوجين ، مما يؤدى إلى أن تكون هذه العملية (روتينية) لا متعة فيها .

الأسباب العضوية : أما الأسباب العضوية فمن أهمها احتقان البروستاتا نتيجة للشيخوخة أو التهابها ، أو التهاب الحويصلة المنوية ، أو احتقان الحوض نتيجة التهاب المجارى البولية .

العـــلاج :

يعتمد العلاج على إزالة الأسباب ، كما أنه من الممكن استخدام بعض الأدوية وبخاصة فى الحالات النفسية مثل المهدئات أو استعمال كريمات للتخدير الموضعى .

ولكن أهم وسيلة لعلاج سرعة القذف تأتى بالتدريبات الجنسية ؛ ويستشار الطبيب بشأنها .

ثالثا عدم القذف :

فى بعض الأحيان يمارس الزوج الجماع بطريقة كاملة إلا أنه لا يقذف على الإطلاق ، وعدم القذف هذا قد يكون أوليا كما يكون ثانويا .

عدم القذف الأولى :

وفى هذه الحالة يكون العَرَض مصاحبا للرجل طوال حياته ، وتكون هذه الحالة بسبب وجود

عيب خلقى ، أو التهاب مزمن يؤدى إلى ضمور الغدد المساعدة فى الجهاز التناسلى مثل البروستاتا والحويصلة المنوية .

عدم القذف الثانوى :

كأن يكون الرجل فى حالة عادية ثم يعانى من عدم القذف .

القذف المرتجع :

وهناك نوع من عدم القذف وهو القذف المرتجع ، وفى هذه الحالة يمارس الزوج العملية الجنسية ويشعر بالقذف دون خروج للسائل المنوى .

أسباب عدم القذف الثانوى :

- أسباب نفسية .
- استخدام بعض المهدئات .

أسباب القذف المرتجع :

قد تأتى هذه الحالة :

١ ـ بعد إجراء عملية إزالة البروستاتا .

٢ ـ بعد إجراء عمليات كبرى فى الحوض مما يؤدى إلى قطع بعض الأعصاب الجنسية الدقيقة .

٣ ـ التهاب الأعصاب المغذية لعنق المثانة .

٤ ـ بعض حالات مرض الكبد المزمن ، والتى تؤدى إلى التهاب الأعصاب المغذية لعنق المثانة .

٥ ـ استخدام بعض الأدوية التى تؤثر فى عنق المثانة .

التشخيص :

يتم أخذ تاريخ مرضى مفصل من المريض ، ثم يطلب من المريض أن يحضر فى يوم آخر على أن يقوم بالتبول قبل عملية الجماع ، ويحضر بدون أن يتبول ثانية بعد الجماع ، ثم يتبول المريض ويفحص البول بعد تركيزه لمعرفة ما إذا كان يوجد به حيوانات منوية أم لا ، أو بفحص البول لمعرفة ما إذا كان يوجد به سكر الفركتوز (الموجود فى السائل المنوى) أم لا . وبذلك يمكن تحديد ما إذا كان هناك قذف مرتجع أو عدم قذف نهائى .

العــلاج :

يرجع العلاج أساسا إلى السبب . أما إذا كانت الشكوى هى العقم نتيجة القذف المرتجع ؛ فإنه يتم أخذ البول بعد الجماع ، وإجراء عملية تركيز واستخلاص للحيوانات المنوية ثم شطفها ، وإجراء عملية تلقيح صناعى فى ميعاد التبويض .

دور العبادة فى الإسلام وأثرها فى التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/عبد السلام ناصف

مما لا نزاع فيه أن المسجد هو مركز الإشعاع فى البيئة المحيطة به ؛ ويرتبط تاريخ الفكر الإسلامى ارتباطا وثيقا به ، فهو المصدر الأول لنشر الثقافة الإسلامية ، إذ ضم حلقات الدرس منذ أن أسس لشرح تعاليم الدين وتوضيح أحكامه .

ومن ثم كان المسجد مكانا للعبادة ، ومعهدا للتعليم ، ودارا للقضاء ، وساحة لحل المشاكل والخلافات ، ومنزلا لاستقبال الغرباء والمحتاجين .

ولقد حذا المسلمون حذو أجدادهم حين اهتموا بالمساجد منذ عهد بيت الله الحرام الذى بناه جدهم إبراهيم وولده إسماعيل ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ وكان كعبة يحج إليه العرب ويتعبدون فيه إذ جعله الله مثابة للناس وأمنا ، فلما جاء الإسلام عظمه وعظمه المسلمون .

وكان الرسول الأمين ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ يتعبد فيه واتخذ من الركنين ـ الركن اليمانى وركن الحجر الأسود ـ مصلاه ؛ كما يقول ابن هشام فى سيرته « بالجزء الثانى » منها وفى صفحتها الثانية عشرة .

وكان تأسيس المسجد هو أول عمل له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة بل قبل أن يصل إلى حيث يقيم ، فقد أسس مسجد « قباء » حين استراح بعض الوقت وهو فى طريق هجرته إلى المدينة المنورة فكان أول بيت لله بنى فى الإسلام ونزلت فيه الآية الكريم من سورة التوبة :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾

التوبة/١٠٨

وحين استقر به المقام فى « المربد » بالمدينة بنى مسجده بها وشارك العاملين فى تشييده بيده الشريفة حبا وشغفا به واستعجالا بالانتهاء من بنائه ليجلس فيه إلى أصحابه يعلمهم فيه دينه الحنيف .

ولقد سار خلفاؤه الراشدون ومن تبعهم على سنته فى تأسيس المساجد لتكون منارة للدين ومركزا لنشر أحكامه ، وأصبح من المتبع أن تبنى المساجد حين يتم فتح أى بلد جديد كرمز للإسلام وكان الصغار يحفظون القرآن الكريم بين جنباته بلا مقابل ـ ومما يذكره المؤرخون أن إمامنا الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قد وجد فى المسجد

ضالته حين ضاقت الدنيا أمام والدته - رحمها الله - إذ الحقته بحلقة المسجد ليحفظ القرآن الكريم ، فغنم منه كل الخير ، وفتح الله عليه أبواب العلم والتفقه فى دينه حتى وصل إلى ماوصل إليه .

وكان (أبو تمام الطائى) الشاعر الذائع الصيت يعمل سقاء ، فى مسجد (عمرو بن العاص) فشرب من معين العلم فيه حتى وصل إلى ماوصل إليه .

ولقد كان المسجد مفتوحا للناس جميعا ، وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم دون أى مقابل متى رغبوا فى ذلك ؛ بل إن بعض الخلفاء كانوا يرسلون أبناءهم للتعلم بالمساجد ، وكان لا يحرم أحد من الدخول إلى المسجد أو الجلوس إلى أى حلقة وإلى أى شيخ مما حدا بإمامنا الغزالى - رحمه الله - أن يقول فى كتابه الإحياء فى أول جزء منه ص ٤٧ : (إنه ليس الظلم فى إعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق) .

ولقد كثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الإسلام ، فلقد روى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد كتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على « البصرة » يطلب منه أن يتخذ من المسجد مقرا للالتقاء بالمسلمين وأن يكثر من تأسيس المساجد ليكون لكل قبيلة أو عشيرة مسجد خاص بها على أن تجمتع القبائل والعشائر فى مسجد جامع كل يوم جمعه تلقى فيه الخطبة وتؤدى فيه الصلاة جامعة ، وكذا كانت كتاباته لعمرو بن العاص بمصر وإلى (سعد بن أبى وقاص) فى الكوفة .

ومن ثم فقد انتشرت المساجد واضطردت زيادتها وتضاعفت يقول اليعقوبى فى كتابه : (البلدان) أنه قد وصل عدد المساجد فى (بغداد) فى القرن الثالث الهجرى ما يزيد على ثلاثين ألف مسجد ولم يختلف الحال كثيرا فى مصر أو الشام . والأزهر الشريف الذى يعج بملايين الطلاب فلقد بدأ مسجدا حين بناه (جوهر الصلقى) عام ستين وثلثمائة للهجرة ولم يخصصه للدرس والبحث والتعليم إلا بعد مايقرب من عشرين عاما حتى صار أكبر جامعة فى عالمنا الإسلامى .

ولقد قام جامع المنصور ببغداد برسالة للعلم والدرس فى القرن الثانى وكما قام فى دمشق الفيحاء مسجدها الجامع الذى كان يعد واحدا من عجائب الدنيا فى ذلك الوقت والذى لايزال شامخا يبعث فى النفس الإعجاب ، وينبىء عما كان له من جلال وعظمة .

هذه المساجد وغيرها كانت مركزا للثقافة الإسلامية حيث كانت رمزا حيا لتحفيظ القرآن وفيها تعقد حلقات التدريس والتعليم فى كل ميادين العلوم الدينية والعربية والفلسفية والأدبية والنحوية إلى جانب العروض والطب والفلك والميقات .

هذه المساجد يلجأ إليها كل من يريد لنفسه الراحة والأمان والطمأنينة أليست هى الراحة لسيد هذه الأمة الذى قال يوما لبلال - رضى الله عنه : «أرحنا بالصلاة يا بلال» . وليجرب أولادنا القلقون - أداء الصلاة فيها والاستماع إلى درس بين جنابتها - ليجنوا ثمرة الطمأنينة .

والمسجد مسئول عن تعليم الفرد كيف ينشأ نشأة اجتماعية بعيده عن الأنانية وحب الذات والانتقال من السلبية إلى الايجابية والتفاعل مع الآخرين .. حب لغيرك ماتحب لنفسك ..

ماعاش من عاش لنفسه فقط .. الله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه .

فهو يعلمه كيف يحب الجماعة التى ينتمى إليها ويتعاون مع أعضائها لرفعة شأنها إذ هى التى ربته ونمت مداركه وسمت بفكره وبسلوكه .

فالمسجد يعلم الجميع المعايير الدينية والتعاليم الإسلامية والأحكام الشرعية التى توجه سلوك الفرد بما يحقق له السعادة فى الدين والدنيا بما تترجمه من هذه التعاليم الشاملة التى تقرب بين الطبقات وتقضى على الفوارق وتقرب بينها من أجل تكوين مجتمع سوىّ يقوم على التعاون والتآخى بين أفراده بروح راضية وضمير حى يقظ ، ويؤكد علماء النفس الاجتماعى أن الإنسان لايكتسب سمته الإنسانية إلا عن طريق عملية اجتماعية تعرف بعملية التطبع الاجتماعى أو ماتعرف بعملية التنشئة الاجتماعية ويتضمن ذلك تعديل المظاهر السلوكية للبالغين إذ هى لاتقف عند عمر زمنى بل تستمر مدى الحياة وتنشط كلما شغل الفرد مركزا جديدا أو لعب دورا مختلفا كما كان يتبوأ سلفا ، فهو يتفاعل مع الآخرين عن طريق تعاليم المسجد التى تحدد له أنماط السلوك الإنسانية المعترف بها فى كل موقف يمر به ـ فعملية التنشئة الاجتماعية تعظم دور البيئة فى تحديد سمات الفرد وتوجيه الوجهة السوية السليمة الصالحة ـ وتلك لايقوم لها قائمة بعيدا عن المسجد أو تعاليم الدين .

ومن عجب أن (امبل دور كايم) وأعضاء مدرسته الشهيرة فى (علم الاجتماع) والتى اشتهرت بالمدرسة الاجتماعية الفرنسية قد أكدت على أن دور البيئة ـ فى رأيهم ـ تبدأ منذ فترة الحمل وحتى الوفاة ، ثم جاءت مدرسة التحليل النفسى بعد ذلك لتؤكد هذا الرأى ـ ولتوضح دور الدين أو المعتقدات الدينية فى نشأة الفرد والتى يحمل لواءها فى هذا العصر وفى العصور الماضية دور العبادة وعلى رأسها المسجد . فهو يكسب الفرد القيم والمثل ثم يقوم بصقل سلوكه وتطوره وإعلائه والسمو به بعيدا عن النزعات الشخصية والغرائز الحيوانية وبعيدا عن العواطف وهو يخلق فى الفرد قيم العمل والتعاون والتنافس الشريف إذ يقول الحديث : « لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق .. ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الخ » .

فالمسجد هو الجسر الذى تعبر عليه التعاليم الدينية السليمة السمحة عبر العصور من جيل إلى جيل بما يخدم البشرية ، ولقد كرم الله رواد المسجد حيث يقول :ـ سبحانه وتعالى ـ

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة التوبة

فأى تنشئة اجتماعية خير من تلك النشأة ؟ وأى تعاون مع الآخرين يؤتى ثمارا أينع من هذه الثمار ؟ وأى تفاعل أجدى من هذا التفاعل مع الآخرين ؟

الفرد يتعلم فى المسجد قواعد السلوك والمعايير الاجتماعية التى تنظم علاقته بربه ورسله وكتبه وملائكته وعباده ، والمسجد يربط بينه وبين اخوانه وزملائه وأقرانه وجيرانه ومخاليطه ومعاشريه ، برباط محكم فى إطار الشريعة السمحة من محبة وتعاون وإخاء وإخلاص بعيدا عن الأنانية وحب الذات وفى إيجابية صادقة ـ ليعيش الجميع فى سعادة وتوفيق وهو ماتصبوا إليه شريعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

«وَيخلق مَا لا تعلمُونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد(*)

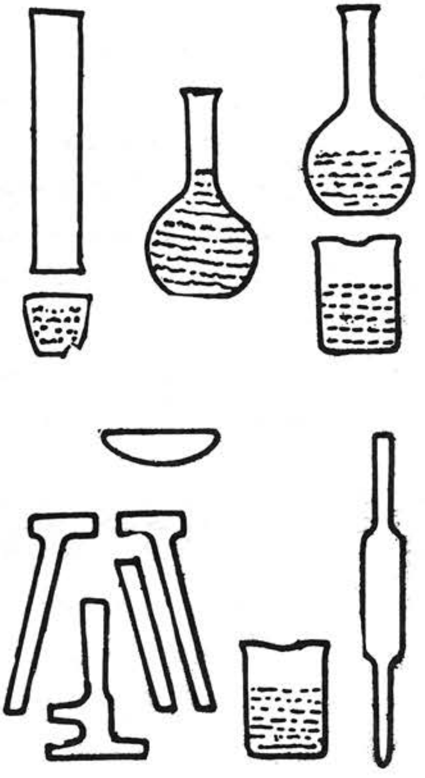

اكتشاف كوكب جديد

خارج المجموعة الشمسية :

اكتشف علماء الفلك الأمريكيون كوكباً جديداً على بعد ٧٠ سنة ضوئية من الأرض ، يدور حول نجم مزدوج فى مجموعة «سيجانوس» فى مدار بيضاوى الشكل ويقترب من النجم فى إحدى مراحل المدار ، ثم يبتعد عنه إلى مسافة كبيرة ، ويعتبر هذا المدار من المدارات غير المفهومة ، والكوكب الجديد يصل حجمه إلى حجم كوكب (المشترى) ومسلكه يكسر جميع القواعد والنظريات التى وضعها العلماء حول كيفية نشأة الكواكب ومكانها ، ونفى العلماء احتمال وجود حياة على هذا الكوكب ، لأن الدلائل تشير إلى أنه كوكب غازى يشبه كوكب (زحل) أو (المشترى) وليس صخريا مثل (الأرض) أو (المريخ) .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقّ

تصميم متنقل فضائى جديد :

أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » الوصول إلى تصميم جديد لوسيلة انتقال من الأرض لمحطات الفضاء الدائمة والعكس بتكلفة تقل عما هو سائد حاليا بحوالى ٩٠ ٪ ، والمتنقل الفضائى الجديد ذو تصميم بسيط ويقلع عموديا كالصواريخ التقليدية ويهبط كالطائرات ، وسيطير بلا أجنحة وبدون صواريخ دفع ، ويحتوى على مساحة ضخمة من الفراغ الداخلى حيث يعمل بوقود الهيدروجين السائل ، وينفث عادماً نظيفاً عبارة عن بخار الماء ، ويستطيع أن يحمل حوالى (١٨) طناً ، وعندما يصبح المتنقل الفضائى الجديد صالحا للعمل فى أوائل القرن الواحد والعشرين فسيكون فاتحاً لعهد جديد فى مجال إطلاق الأقمار الصناعية التى سينخفض تكلفتها بشدة وينتشر استخدامها ليغطى جميع المجالات .

هل توجد كائنات حية بالفضاء الخارجى

يعتقد بعض علماء الفلك الأوروبيين أن تعرض بعض الدول لظاهرة ما يسمى بالأطباق الطائرة تدل على وجود كائنات أخرى فى الفضاء لم يعرفها أهل الأرض بعد ، حيث بدأ العلماء فى أكبر عملية بحث لاكتشاف أى دليل أو إشارة إلى وجود مخلوقات أخرى فى الكون ، وسيقوم العلماء بتلقى إشارات الراديو التى ترد من كواكب غير معروفة حاليا ومن أكثر من ألف من النجوم القريبة والمماثلة للشمس للتركيز على دراستها بدقة للتأكد من وجود كائنات حية فى الكواكب الأخرى أم لا ..؟

الحاسب الآلى لتحلية المياه :

طورت شركة أمريكية جهازا لتحلية المياه بأسلوب التبادل «الأيونى» ويستخدم فى المنازل ، ويتم تشغيله بواسطة «ميكروجيب» متصل بجهاز الحاسب الآلى فيقوم الجهاز ببرمجة نفسه للعمل على أكفأ حال ، وأثبتت اختبارات الجودة أن الجهاز يعمل على خفض درجة ملوحة المياه بنسبة ٥٠ ٪ عن الأجهزة الأخرى الموجودة بالأسواق .

كشف أسرار المجال المغناطيسى للأرض

نجح العلماء بجامعة « كولومبيا » بالولايات المتحدة الأمريكية ــ ولأول مرة ــ فى قياس سرعة دوران قلب الأرض الداخلى والمقارنة بينه وبين سرعة دوران الأرض ككل حول نفسها وكذلك بينه وبين حركة الألواح القارية ، الأمر الذى يقدم فوائد غير عادية نحو طرق أدق وأكثر واقعية لتوقع حدوث الزلازل والبراكين وكشف أسرار المجال المغناطيسى للأرض ، وتطوير النظريات الخاصة به ، وماله من تأثيرات على معظم الظواهر الطبيعية .

السيجارة الواحدة :

أشارت دراسة ميدانية أجرتها كلية الطب جامعة اكسفورد البريطانية إلى أن الزيادة المطردة فى حالات الوفاة خاصة بين الشباب ترجع إلى الإفراط فى التدخين ، وجاء فى الدراسة أن نصف المدخنين بشكل منتظم يموتون قبل بلوغ سن الستين عاما نتيجة الأورام السرطانية والسموم التى يتركها نيكوتين السجائر بالجسم .

إنتاج مولد جديد

لغاز الهيدروجين

قامت إحدى الشركات الأوروبية بإنتاج مولد جديد لغاز ـ الهيدروجين ـ عن طريق التحليل الكهربائى لمحلول مكون من المياه والبوتاس ، ويتكون المولد من : محول للتيار الكهربائى وخلايا التحليل الكهربائى التى تعمل آليا وخزان للغاز وضاغط للضرورة ، وتعمل بطاقة كهربية قوتها (٢٢٠) فولت ، ويستخدم المولد فى محطات الأرصاد الجوية والمطارات ومحطات إنتاج الطاقة وفى مجالات الصناعات الزراعية والإلكترونية والدوائية .

دراسة طبية لتفسير الإصابة بالسرطان من أسلاك الكهرباء :

قام فريق من العلماء البريطانيين بجامعة « بريستول » بإجراء دراسة طبية على المواطنين فى التجمعات السكنية القريبة من أسلاك نقل الطاقة الكهربية والأكثر عرضة للاصابة بالسرطان ، وخاصة سرطان الدم ، وسرطان المخ لدى الأطفال ، وتبين أن التفسير العلمى للإصابة بالسرطان هو أن الأسلاك التى تنقل الطاقة الكهربية تقوم بتكوين مجال مغناطيسى يجذب إليه الجزئيات المشعة التى تسبب مرض السرطان ، حيث توجد هذه الجزئيات بشكل طبيعى فى الهواء ملتصقة بالغبار فيتم امتصاصها داخل الدم وتنتقل إلى جميع أجزاء الجسم بما فيها نخاع العظم .

وسيلة جديدة لعلاج شرايين القلب

أكدت الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة التى ناقشها المؤتمر الأوروبى الثامن عشر لأمراض القلب فى إنجلترا أنه توجد علاقة وثيقة بين أمراض شرايين القلب ومدى سلامة وكفاءة الطبقة الداخلية الرقيقة التى تبطن جدار الشرايين والمسماه « الأندوثليم » ، وأثبتت الدراسات أن « الأندوثليم » يقوم بدور فعال فى توسيع الشرايين ومنع التجلط ومقاومة تصلب الشرايين ، وبالتالى فإن تأثر طبقة «الأندوثليم» الرقيقة ومرضها يعتبر علامة إنذار مبكر لحدوث تصلب الشرايين والجلطة وأكدت الدراسة التى قام بها بعض العلماء الكنديين نجاح علاج طبقة « الأندوثليم » باستخدام بعض العقاقير .

اكتشاف مناعة ذاتية ضد « الإيدز » لدى بعض المرضى :

اكتشف مجموعة من العلماء الأمريكيين أن بعض الناس يحملون ما يشبه مناعة ذاتية و حماية داخلية ضد فيروس فقد المناعة المكتسبة المعروف باسم «الإيدز» ومن المتوقع أن يساعد هذا الاكتشاف على الوصول إلى أنواع جديدة من العقاقير ضد هذا المرض القاتل ، ومن المعروف أن بعض الجينات تفرز نوعاً معيناً من البروتين الذى يقوم بدور البوابة التى يعبر من خلالها فيروس نقص المناعة ويصيب ويدمر خلايا الدم البيضاء مسببا مرض «الايدز» ، ويفيد تقرير العلماء أن الناس الذين يحملون نوعاً مختلفاً من الجينات يفرزون شكلًا آخر من البروتين الذى لا يسمح للفيروس بالتسلل إلى الخلايا المستهدفة .

المؤتمر الاقتصادى لشمال إفريقيا والشرق الأوسط

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد تقى الدين

إن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تمتلك كل المقومات لمستقبل زاهر كما تحفل بكل العوامل التى يمكن أن تجعل هذا المستقبل مضطربا وبائسا . لقد اخترنا طريق الرخاء وسوف نعمل على بلوغه مهما تكن المصاعب ، لن نكون أسرى الماضى ، ومهمتكم أن تساعدونا على أن نبنى هذا المستقبل .

إن الأعداء المشتركة التى نواجهها ـ من مسلمين ومسيحيين ويهود ـ هى : الفقر والجهل والنظرة القصيرة ، وغياب التسامح والفهم المتبادل والتمسك ببقايا مفاهيم قديمة . فليس هناك ماهو أحق علينا من التزامنا الصارم بتحقيق سلام قائم على العدل والحرية . وليس هناك ماهو أجدر من التزامنا بتحقيق رخاء ينشر خيره على العالمين .

إننا نصبو اليوم إلى المستقبل ، لانريد أن نلوى أعناقنا إلى الخلف . نصبو إلى افق مفتوح . يشرق عليه سلام دائم ورخاء لكل شعوب المنطقة . فدعونا نبنيه معا حتى لايقال غدا : إن بلادنا أمسكت بالسلام يوما ، لكنها ضيعته لأنها لم تحسن التقدير ، ولم تحسن الاختيار .

بهذه الكلمات القوية افتتح السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك المؤتمر الاقتصادى لشمال أفريقيا والشرق الأوسط ، الذى عقد بالقاهرة برئاسة سيادته فى الفترة من (١ـ٣ رجب ١٤١٧هـ ـ الموافق ١٢ـ١٤ نوفمبر ١٩٩٦م)(١) .

---

(١) راجع فى تغطية هذا الموضوع : مجلة الأهرام الاقتصادى الشهرية ، وجرائد الأهرام والأخبار والعالم اليوم الصادرة فى ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من نوفمبر ١٩٩٦م .

وبعد افتتاح المؤتمر بكلمة السيد الرئيس ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام ـ عرض المشروعات المقدمة ـ فى عدة جلسات متخصصة ـ الإمكانات المتاحة والتوقعات المستقبلية لخروج منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى مستوى الاقتصاد الدولى .

الدور الإسرائيلى فى المؤتمر

وشهد المؤتمر رفض العديد من المشروعات الإسرائيلية ، حيث رفضت مصر عرضا إسرائيليا بتشغيل شبكات التليفون المحمول فى مصر بواسطة أجهزة اتصال إسرائيلية الصنع ، حيث ثبت أن الجهاز الإسرائيلى يتسبب فى أمراض السرطان لحاملى التليفون .

كما رفضت وزارة التعليم المصرية مشروعا إسرائيليا بتركيب نظام شبكة الكمبيوتر الإسرائيلية لمدارس مصر بمختلف مراحلها وأنواعها .

وحاولت إسرائيل فى المؤتمر العمل على إلغاء القرار الخليجى بمنع طائرات العال الإسرائيلية من المرور فوق دول الخليج ، وهو القرار الذى تطبقه كل دول الخليج العربى ، لكن السعودية والإمارات تصدتا للمحاولات الإسرائيلية ليستمر هذا القرار العربى ساريا .

وتقدمت إسرائيل كذلك بمشروع مساعدة الدول العربية فى شحن البضائع العربية الصنع إلى أوروبا ، ورفضته الدول العربية متمسكة بالنظام المصرى فى نقل البضائع .

كما طرحت شركات إسرائيلية عديدة مشروعات لتشغيل العمالة المصرية فى إسرائيل وفى مواجهة هذا المشروع أعلنت مصر رسميا منع سفر العمالة المصرية إلى إسرائيل .

ورفضت وزارة السياحة المصرية إشراك إسرائيل فى ملكية المشروعات المصرية على ساحل البحر الأحمر ، وذلك لعدم حاجة مصر إلى الشراكة الإسرائيلية فى هذا المجال .

ولعل من أكثر المشروعات الإسرائيلية المقدمة غرابة ؛ ماتقدمت به الشركة الإسرائيلية للتأمين ، لتطبيق نظام التأمين الإسرائيلى على سكان الدول العربية كلها ، وكذلك المنشآت الصناعية والاقتصادية الحيوية ، وكسوابقه رفض المشروع .

كذلك رفضت دول الخليج تمويل مشروع أسطول سفن إسرائيلية للسياحة فى البحر الأحمر والخليج حفاظا على قيم الإسلام لأن المشروع احتوى على سفن تضم عروضا غير أخلاقية وصالات للقمار .

كذلك تقدمت الشركات الإسرائيلية بمشروع لبيع لعب الأطفال التعليمية الإسرائيلية فى الأسواق العربية ، وأجمعت الدول العربية وفى مقدمتها مصر على رفضه لحماية أطفال العالم العربى من غزو الأفكار الإسرائيلية خاصة وأن (ديسكات) كمبيوتر بعض اللعب احتوت على ألعاب مرئية بالكمبيوتر فيها غزو الجيش الإسرائيلى لمنطقة الأهرام ، ولعبة أخرى لهجوم بالطائرات على مفاعل العراق النووى ، ولعبة ثالثة لـ (سوبر مان)

إسرائيلى يحارب فى حرب الخليج ضد الجيش العراق .

وتصدت وزارة الإعلام المصرية لمشروع إسرائيلى لربط الدول العربية بالأقمار الإسرائيلية التى تدور حول المنطقة العربية ، وقررت الدول العربية أنها مكتفية بالقمر العربى (عرب سات) وإنها اشتركت بالفعل فى القمر الصناعى المصرى (نايل سات) .

وكان المشروع المصرى بمد الغاز الطبيعى المصرى مباشرة إلى تركيا ، ومنها إلى سوريا ولبنان بمثابة ضربة موجعة لإسرائيل لأن خط أنابيب الغاز لن يمر عبر إسرائيل ، وبالتالى فهى لن تحصل على الغاز الطبيعى المصرى الذى يتميز بجودته العالية ، ورخص سعره وقلة تكلفته .

كذلك رفضت مصر عدة مشروعـــــات إسرائيلية لنقل المياه من مصر لإسرائيل ، ورفضت الدول الأوروبية كذلك شق قناة تربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وهو المشروع الذى طرحته إسرائيل لمنافسة قناة السويس .

وكان من بين المشروعات الإسرائيلية مشروع (قطار السلام) ويبدأ من مدينة الاسماعيلية فى مصر ومنها إلى إسرائيل ولبنان وسوريا وتركيا ولايمر عبر الأراضى الخاضعة للحكم الوطنى الفلسطينى ، ورفض المشروع بسبب استمرار الاحتـــلال الإسرائيلى لأراضى سورية ولبنان ، وتــعثر المفاوضات على المسار الفلسطينى .

وأيضا رفضت الدول العربية مشروعا إسرائيليا لطرح أدوية إسرائيلية الصنع فى الدول العربية ، بل رفضت حتى مجرد الاستماع إلى تفاصيل هذا المشروع كما تضمنت قائمة المشروعات الإسرائيلية مشروعا لانتاج «بنطلونات الجينز» فى مصر فى مصانع مشتركة مصرية إسرائيلية وأغلق باب الحديث فى هذا المشروع قبل عرض تفاصيله بسبب قضية الجاسوس الإسرائيلى (عزام عزام) ، بل ورفضت الدول العربية ـ بسبب هذه القضية ـ مشروعا إسرائيليا لإقامة مناطق صناعية مفتوحة .

وهكذا رفضت المشروعات الإسرائيية التى ترمى إلى احتواء المقدرات الاقتصادية العربية ، والسيطرة على المنشآت الأساسية فى المراكز الصناعية والمواصلات ووسائل الاتصال فى العالم العربى ، وقد قوبل هذا الرفض بانسحاب «ديفيد ليفى» وزير خارجية إسرائيل عائدا لبلاده .

دعم الاقتصاد الفلسطينى

وقدم محمد زهدى النشاشيبى وزير مالية فلسطين خطة الاستثمار الفلسطينية والتى هدفت إلى تلبية الاحتياجات الأولية للسوق الفسلطينية فى البنية الأساسية وبما يوفر أسس الاقـــتصاد الفلسطينى إضافة إلى الاسكان الملائم لمحدودى الدخل إلى جانب مشروعات زراعية وسياحية وفندقية .

وأشار النشاشيبى إلى أن التعسف والعنف الإسرائيلى فى مواجهة الشعب الفلسطينى ممثل فى إغلاق الضفة والقطاع يؤدى إلى إلحاق خسائر

يومية تقدر بسبعة ملايين دولار نتيجة لهذه السياسة ، فضلا عن الاستنزاف الإسرائيلى للمياه الفلسطينية العربية ، وحجب حق الشعب الفلسطينى فى الاستيراد والتصدير إلى الأسواق العربية ، والخارجية ، وخاصة الأوروبية نتيجة القيود المفروضة من جانب إسرائيل ، وحتى تلك التى تصدر إلى السوق الإسرائيلية والفلسطينية ذاتها .

هذا فضلا عن أن نسبة البطالة فى غزة ٦٠٪ وفى الضفة الغربية ٤٠٪ ، بل إن ٦٥٪ من الأسر تعيش تحت خط الفقر .

وأكد وزير المالية الفلسطينى على أن التعاون الإقليمى والتنسيق العربى لم يعد خيارا سياسيا أو ترفا ، بل ضرورة ممثلة فى التنسيق والتعاون الاقتصادى العربى ، فهو أمر جوهرى ، والإقليمى لن يكون بديلا عنه .

وانتقد نبيل شعث وزير التخطيط الفلسطينى منع السلطات الإسرائيلية لرجال الأعمال الفلسطينيين من حضور المؤتمر قائلا : الفلسطينيون من رجال الأعمال لم يأتوا ، لا يستطيع إنسان مفروض عليه حصار الجوع ومفروض عليه دمار كل عمله الاقتصادى أن يأتى المؤتمر ويتكلم فيه عن الحرية الاقتصادية .

وقال شعث : إن إسرائيل تمنع مرور مايزيد على تسع شاحنات مصرية إلى غزة ، وهى ـ إسرائيل ـ فى الأوقات العادية ترسل إلى غزة الف شاحنة إسرائيلية يوميا .. يسمحون فقط لتسع شاحنات مصرية لاتزيد حمولتها على ٤٥٠ طن أسمنت . إسرائيل لاتريد للفلسطينيين أن يتعاملوا مع مصر فى حين أن الفلسطينيين يشترون من إسرائيل ماقيمية ١٦٠٠ مليون دولار يمكن أن يوجه نصفها على الأقل للشراء من مصر والأردن .

وأوضح أن مصر ساهمت فى بناء مطار غزة بقرض من البنك الأهلى من خلال «المقاولون العرب» وإسرائيل تمنع استخدامه بقوة السلاح ، كما ساهمت مصر من خلال البنك الزراعى المصرى بإقراض مزارعى الزهور الفلسطينيين لتصدير الزهور ولكن إسرائيل منعتهم من ذلك .

قطر والبحرين .. لا للتعاون مع إسرائيل

وقد أكد الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثانى وزير الخارجية القطرى عدم توقيع اتفاقيات بين قطر وإسرائيل خلال المؤتمر الاقتصادى وطالب بانشاء سوق عربية مشتركة قائلا : مقومات هذه السوق موجودة ، ولكن لم يجتمع زعماؤنا حتى الآن لمناقشة الأمور الاقتصادية !! كما طالب بدراسة إنشاء منطقة تجارة حرة عربية .

وأكد وزير التجارة البحرينى على صالح الصالح أنه لايوجد حاليا تعاون بين البحرين وإسرائيل مشيرا إلى أن موقف دول مجلس التعاون الخليجى يشترط لهذا التعاون أن يتم إحراز تقدم فى عمليات السلام فى منطقة الشرق الأوسط . وأضاف قائلا : يجب أن يتحقق السلام أولا قبل الحديث عن التعاون الاقتصادى والتجارى .

على هامش المؤتمر :

وعلى هامش المؤتمر دار حوار بين عدد من رجال الأعمال العرب والأوروبين قال خلالـه رجل أعمال انجليزى مخاطبا نظراءه العرب :

«إنكم تعملون على الاندماج فى الاقـتصاد العـالمى ، وتطالبـون بتيسير وسيولـة التعامـل الاقتصادى والتبادل التجارى بين العرب والعالم ، وأنا مندهش كيف يحدث هذا بينما التجارة بينكم أنتم وبين بعضكم لاتتجاوز فى أحسن أحوالها ٨٪ من حجم التجارة العربية العالمية ؟! كما أنكـم كرجال أعمال تعانون كثيرا فى التنقل بين دولكم وفى الحصول على تأشيرات دخول بينما واحد مثلى يستطيع هذا بسهولة ؟! »

وهكذا يأتى انعقاد هذا المؤتمر الاقـتصادى إضافة لسلسلة المؤتمرات الدولية السابقة التـى عقدت على أرض مصر ، وشهادة على تميز وتنامى أداء الاقـــتصاد المصرى كما أشارت إلى ذلك الشهادات الدولية .

وفى نهاية المؤتمر صدر البيان الختامى يحمل عنوان : بيان القاهرة» وجاء على النحو التالى :

بيان القاهرة :

عقد المؤتمر الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى القاهرة ، فى الفترة من ١٢ ـــ ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ ، برئاسة فخامة الرئيس محمـد حسنى مبارك . وقد جمع المؤتمر الذى عقد برعاية الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الروسى ، وبدعم من الاتحاد الأوروبى وكندا واليابان كبار المسئولين الحكوميين وقيادات القطاع الخاص من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، ومـن مناطـق أخرى من العالم .

وقد أعرب المشاركون عن شكرهم للرئيس مبارك وللحكومة المصرية لاستضافة هذا الحدث وللتنظيم الممتاز للمؤتمر ، ولكرم الضيافة ، كما أعربوا عن تقديرهم لزعامة مصر فى سعيها لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم فى الشرق الأوسط .

أعرب المشاركون فى مؤتمر القاهرة الاقتصادى عن التزامهم الثابت الذى لا يتزعزع بتحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط على أساس مرجعية مؤتمر مدريد للسلام التى تستند إلى قرارى مجلس الأمن رقمـى ٢٤٢ و٣٣٨ . وفى هذا الإطار أكد المشاركون عزمهم على البناء على الاتفاقات التى توصل إليها الأطـراف وأكـدوا الأهمية البالغة للتنفيـذ الفـورى والأمين لتـلك الاتفاقات من جانب جميع الأطـراف وبصفـة خاصة على المسار الإسرائيلى ـــ الفلسطينى ـــ كما أعـادوا تأكيـد التزامهم بتوسيــع وتعميـــق السلام ،علاوة على إحراز المزيد من التقدم فى كافة القضايا المعلقة على جميـع مسارات التفـاوض العربية ـــ الإسرائيلية فى عملية السلام . وحثوا جميع الأطـراف على مواصلـــة السيـــاسات والإجراءات التى من شأنها بناء الثقة بين شعوب المنطقة .

لقد كان شعار مؤتمر القاهرة الاقتصادى هو « البناء من أجـل المستقبـل خلق بيئـة مواتيـة

للمستثمر » وقد أتاح المؤتمر الفرصة لتشجيع الاستثمار الدولى والإقليمى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وتم إبراز إمكانات المنطقة فى مجالات الاقتصاد والتجارة والتبادل التجارى التى تدعمها برامج إصلاح اقتصادى هام ، يتم تنفيذها حاليا من جانب العديد من دول المنطقة . وتشمل تلك الإصلاحات : الخصخصة ، والإصلاح الهيكلى وإزالة الحواجز أمام التجارة ، التى من شأنها ايجاد مناخ اقتصادى موات لقطاع الأعمال فى المنطقة .

لقد أتيحت الفرصة لممثلى القطاع الخاص الدولى لدراسة الفرص الاقتصادية والتجارية المتزايدة فى المنطقة بالتفصيل وعرضت كل دولة على حدة برامج الاستثمار والتنمية فيها ، كما تم إبراز الإمكانات القائمة فيها بينها فى هذا الصدد .. وجرت مناقشات بناءة ومثمرة للموضوعات ذات الاهمية الخاصة لبلدان المنطقة ولقطاع الاعمال الدولى على حد سواء .

شدد المشاركون على الأهمية القصوى لتنمية الاقتصاد الفلسطينى ولاحظوا بمزيد من القلق أن الاقتصاد الفلسطينى ـ وهو الاقتصاد الضعيف أصلا ـ يعانى من القيود وإغلاق الأراضى التى تعوق انتقال العمالة وحركة التجارة الفلسطينية ، وسلموا بحاجة جميع الأطراف فى المنطقة إلى العيش فى سلام ورخاء ، وأمن ، الأمر الذى من شأنه أن يعزز الأهمية الاقتصادية للمنطقة برمتها . وقد أكدوا من جديد أن الغاء القيود وإنهاء تدابير إغلاق الأراضى سوف يحول دون تدهور الاقتصاد الفلسطينى ، ويسهم بصورة إيجابية فى تعزيز كفاءة أدائه ، مع تحسين المناخ السياسى الذى يحيط بعملية السلام بمختلف أبعادها .

أعرب المشاركون عن تقديرهم للدور الفريد الذى يضطلع به المنتدى الاقتصادى العالمى ، حيث كانت جهوده التى لم تعرف الكلل عاملاً حاسماً فى نجاح المؤتمر . كما أعربوا عن امتنانهم لمجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك لاسهامه القيم فى عدد من جلسات المؤتمر .

قرر المشاركون الاجتماع مرة أخرى فى أواخر عام ١٩٩٧م فى مدينة الدوحة بقطر لعقد المؤتمر الاقتصادى الرابع للشرق الأوسط وشمال إفريقيا .

وهو بيان يمكن النظر إلى توصياته ـ إذا ما تحققت ـ على أنها قمة الإنجاز الاقتصادى لخروج منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى مصاف الاقتصاد الدولى مدعمة بتعاونها وتكتلها بثرواتها الطبيعية ومواردها البشرية .

من تراث المحقق محمد أبى الفضل ابراهيم

الشريف المرتضى وكتابة الأمالى

كانت بغداد فى القرن الرابع الهجرى موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتاب والشعراء والأدباء ، فيها غنيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل ، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطولة والمختصرة ، وغصَّت دور العلماء وحلقات الدروس بطلاب الأدب ، ورواد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك « بنى بويه » من لطافة الحس ، وزكانة الطبع ، ورهافة الذوق ورجاحة العقل ما هيَّأ لهم أن يكونوا كتابا أو شعراء ، وما دفع بعضهم للمشاركة فى العلم ، والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ، فحدبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ، وعرفوا للأدباء أقدارهم ، فولوهم الوزارة والإمارة والقضاء فى كثير من الأحايين .

فى هذه الحقبة النادرة فى تاريخ العلوم ، وفى هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب ، وفى تلك الدولة التى قام فى أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ، عاش الشريف المرتضى على ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرضى محمد بن الحسين ، واتخذا مكانهما بين ذوى المثالة ، وأعيان الشرف والفضل من الأعلام ، فكان المرتضى عالما فقيها متكلما ، خبيرا بقرض الشعر ، بصيراً بمذاهب الكلام ، وكان الرضى شاعرا مطبوعا متصرفا ، وكاتبا بارعا رائق الديباجة صافى الأسلوب ، مشاركا فى التأليف والتصنيف ، وقضيا حياتهما مرعيَّى الجانب ، رفيعى المنزلة ، مرموقى المحل ، عظيمى الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس ، والملوك من بنى بويه على السواء .

وكانا ينزعان إلى أعرق المناصب ، وأطيب النجارة ، نَجَلهما[1] أبو أحمد الحسين بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأنجبتهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبيين وعالمهم .

(١) نَجَلَ ـ بابه نصر : أنجب ، نجل الولد : نسله ؛ فأبو أحمد الحسين هو والد الشريفين : الرضى والمرتضى .

أبو أحمد الحسين :

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقبه بهاء الدولة أبو نصر بالطاهر الأوحد ، كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ، وولوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبيين مرات ، كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحيانا ، وبين الحمدانيين أحيانا فمحض النصح ، وبَصَّرَ بمناهج الرشد ، وأبدى الرأى الأصيل ، وظفر بالمكانة منهم جميعا . ومات فى سنة ٤٠٠ ، وقد رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته المشهورة :

أودى فليت الحادثات كفاف
مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الآباء والأبناء والآ
راب والأثواب والآلاف
رغت الوعود وتلك هدة واجب
جبل هوى من آل عبد مناف
بخلت فلما كان ليلة فقده
سمح الغمام بدمعه الذراف
ويقال إن البحر غاض وإنها
ستعود سيفا لجة الرجاف

وفيها يذكر الشريفين ويعزيهما :

ولقيت ربك فاسترد لك الهدى
ما نالت الأيام بالإتلاف
وسقاك أمواه الحياة مخلدا
وكساك شرخ شبابك الأفواف
أيقنت فيها كوكبين سناهما
فى الصبح والظلماء ليس بخاف
رزقا العلاء فأهل نجد كلما
نطقا الفصاحة مثل أهل دياف
ساوى الرضى المرتضى وتقاسما
خطط العلا بتناصف وتصاف

وفى آخرها تقول :

يا مالكى سرح القريض أتتكما
منى حمولة مسنتين عجاف
لا تعرف الورق اللجين وإن تسل
تخبر عن الظلام والخذراف
وأنا الذى أهدى أقل بهارة
حسنا لأحسن روضة مئناف

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضى ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

الشريف المرتضى :

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وفيها تلقى العلم وشغل به فى جميع أدوار حياته ، وكان أول عهده بالدراسة والتأدب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضى ، وهما فى سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حد الثغر ، فأخذا عنه ، وتخرجا عليه ، ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شرعتهم وحمل عنهم ، مثل سهل بن أحمد الديباجى ، وأبى عبيد الله المرزبانى ، وأبى الحسن الجندى ، وأحمد ابن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو من تقصى أخباره ، ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما : الشيخ المفيد وأبو عبدالله المرزبانى .

الشيخ المفيـد :

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأسا من رؤوس الشيعة ، وعلما من أعلامهم ، لا يدرك شأوه فيهم وإليه انتهت رئاسة الإمامية فى عصره ، وفى كتبه حفظت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ، وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ، ثم استقل بالرأى فيما بعد ، ووضع فى ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

المرزبانى :

وأما المرزبانى فقد كان إماما من أئمة الأدب ، وشيخا من شيوخ المعتزلة ، وعلما من أعلام الرواية ، وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ، مهيأة بالكتب والورق والمداد ، معدة للطعام والراحة والنوم ، فكان يأخذ عمن يزوره من العلماء ، ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ، ومعظم ما رواه السيد المرتضى فى كتاب الغرر من الشعر واللغة والأخبار مما تلقاه عليه ، ورواه عنه .

المرتضى :

ولما علت به السن ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف فى منزله مُخْلِداً إلى القراءة والدرس ، واستنزف أيامه فى التحصيل والتأليف ، مؤثرا مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ، بل إنه زهد فيما ورث أبوه من نقابة الطالبيين ، والنظر فى المظالم ، وآثر بها أخاه الرضى ــ وكان أصغر منه ــ ليرضى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة فى سِنَىّ المطالب وبلوغ الأقدار ، ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القراءة والدرس ، ولم يتول شيئا من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه . وأعانه على ما يبغى ما تهيأ له من مكتبة عريضة واسعة ، تحوى ما عرف من الكتب فى حياته .

ذكر الثعالبى أنها قومت ــ بعد وفاته ــ بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قل أن تتهيأ لمثله من العلماء ، روى أنه كانت له ثمانين قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهى إلى الفرات ، وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة ، تحمل السفر والزيارة خاصة فى موسم الحجيج ، وكان لهم فيما يَسَّاقَطُ من ثمار الأشجار العاطفة على النهر ، فاكهة موقوفة عليها ، ولغيرهم ممن تحمل السفن ، وقدروا ما تغله هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار فى العام .

وقد تمكن بفضل هذه الثورة من أن يعيش فى داره مكفول الرزق ، مقضى الحاجات ، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ، ولا يصرفه شىء عن القراءة والدرس والتصنيف والفتيا ، بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البر بالناس ، ومواصلتهم ، والعطف عليهم ، وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يدلى إليه برحم ماسة ، فكان منزله دارا للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة لمن ينقطع إليه من التلاميذ والطلاب والمريدين ، ويستريح فى رحابه الوافدين من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد أدماهم السير وأكلهم السرى ، بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة ، حُبُوسا موقوفة عليهم ، كان

أبو جعفر الطاوسى من تلاميذه المنقطعين إليه ، فأجرى عليه اثنى عشر دينارا فى كل شهر ، فى ثلاثة وعشرين عاما قضاها فى صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب للقاضى عبدالعزيز بن البراج ثمانية عشر دينارا فى الشهر ، وغيرهما كثير . ووقف قرية كاملة ، يجرى خيرها على كاغد(٢) للفقهاء خاصة ، رغبة فى النفع ، وبث العلم فى الناس .

وروى أنه أصاب الناسَ قحطٌ شديد فاحتال رجل يهودى على تحصيل قوت يحفظ نفسه ففزع إليه وشفاعته الرغبة فى العلم ، وأستأذنه أن يقرأ عليه شيئا من علم النجوم ، فأذن له ، وأمر بجائزة تجرى عليه فى كل يوم ، فقرأ برهة ثم أسلم .

ومن هذه البابة أيضا ما حكاه ابن خلكان عن أبى زكريا التبريزى أن أبا الحسن على بن أحمد القالى الأديب كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد فى غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين دينارا ، وتصفحها فوجد بها أبياتا بخط بائعها أبى الحسين القالى ، وهى :

أنت بها عشرين حولا وبعتها
لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها
ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة
مقالة مكوى الفؤاد حزين

« وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين »

فأرجع إليه النسخة ، وترك الدنانير ، جريا على عادته من صلته أهل العلم ، يؤدبهم .

وقد اجتمع إليه من فنون العلم وضروب الآداب ما قل أن يجتمع لسواه ، وضرب فيها جميعها بسهم وافرة فكان فقيها انتهت إليه رياسة الإمامية فى عصره ، بعد أن درس الأصول ، ومحضر الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا ، فشدت إليه الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صقع ، ووضع لكل كتابا ، فهذه المسائل الديلمية ، وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا ، وحذق علم الكلام وأصول الجدل ، فحاج النظراء والمتكلمين ، وناظر المخالفين وكتابه الشافى حجة على طول باعه فى الجدل ، وله فى تفسير القرآن وتأويل الكتاب كتاب كشف به عن بحر لا يُسْبَرُ غوره ، ولا ينال دركه ، وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ما جعله فى الرعيل الأول من الرواة والحفاظ والأدباء ، وبكل هذا كان إمام عصره غير مدافع .

قال ابن بسام : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماؤهم ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، مما سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحمدت فى ذات الله مآثره إلى تواليفه فى الدين ، وتصانيفه فى أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل » .

(٢) ورق للكتابة .

وكان بعد هذا شاعرا ، وله ديوان شعر ، قال ابن شهر اشوب : إنه يربو على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه فى مكتبة مشهد ، وقد أورد المرتضى طائفة منه فى كتاب الغرر ، والشهاب ، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبى فى تتمة اليتيمة ، والباخرزى فى دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحب ثرى نجد ، ونجد بعيـــــدة
ألا حبذا نجد وان لم تفقد قربا
يقولون : نجد لست من شعب أهلها
وقد صدقوا لكننـــى منهم حبـــا
كأنى وقـــد فارقت نجدا شقـــاوة
فتـى ضل عنه قلبه ينشد القلبـــا

ومنه :

يا خلـــيلى من ذؤابـــة قيس
فى الـتصابى ريـاضة الأخـلاق
علـــلانى بذكرهــم تطربـــانى
واسقيانى دمعى بكـأس دهـاق
وخذا النـــوم من جفـــونى فإنى
قد خلعت الكرى على الـعشاق

ومنه فى الرثاء :

كأنى لما صك سمعـــى نعيـــه
صككت بمسنون الغراوين قاضب
طواه الردى طى الرداء وعطلت
مغانى الحجا عنه وغر المنـاقب
ولما يلوث الأصدقـاء ودهـــم
خلصت إليه من خلال التجارب

وقد أحصى محقق إحالة المرتضى فى مقدمة « إحالة المرتضى » أحدا وسبعين كتابا .

وحينما يستعرض الباحث كتاب العربية النفسية التى حوت ألوان المعارف ، وزَخَرَتْ بأشتات الطوائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، والشعر واللغة والغريب فإنه بلا مراء يعد منها (كتاب أمالى المرتضى) ـ أو كما يسميه مؤلفه ـ (غرر الفوائد ودرر القائد) ـ وينظمه فى العقد الذى يضم كتاب الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد لابن عبد ربه ، والأغانى لأبى الفرج ، وغيرها من الكتب التى حلقت فى سماء الآداب العربية كالنجوم ، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ، وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ، وتداولها النساخ ، وعدت فى مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الاعلاق .

وهى [أى الأمالى] مجالس مختلفة أملاها فى أزمان متعاقبة ، تنقل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ، اختار بعض آى القرآن الكريم ، مما يغم تأويله على الخاصة ، بل العامة ويدور حولها السؤال ، ويثار الاستشكال ، وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ، وحاول جهده ، أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة ، وفى هذا أبدى تفوقا عجيبا ، وأبان عن زهن وقاد ، وذكاء متلهِّب ، وبصر نافذ ، وأعانه فيما فسر وأول ووجه قوة محفوظِهِ من الشعر واللغة ومأثور الكلام ، وكان الطابع الذى يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة والآراء المحتملة

مجوزا فى ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعا .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تعد صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ، مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر .

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها ، ويبدو التعارض فيما بينها وحاول تفسيرها وتأويلها ، بالمنهج الذى عالج به تأويل آى القرآن ، مستعينا بشواهد الشعر واللغة ، موضحا مذهب أصحابه من أهل العدل ، مدليا بحجتهم على من خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة ، أو أهل الجبر كما كان يسميهم . وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارى فى ذلك الخصوص .

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها الرأى ، ودار حولها الجدل ، واصطرعت الأقلام وأقيمت المناظرات ، مثل القول برؤية الله ـ جَلَّ عُلَاه ـ ، وخلق أفعال العباد ، وإرادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الأصلح ، وقرر رأى أصحابه ، وحاج عنهم ، واحتج على خصومهم ، وكان فيما جادل وناقش رفيقا فى الجدل عفيفا فى المقال .

وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختارات من المصطفى المنخول من الشعر وحر الكلام ، تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة ، وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم ، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة الحاضرة المسكنة ، والأفاكيه الرفيعة ، معتمدا فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وأبى حاتم والآمدى وغيرهم ، أو ما رواه عن شيوخه ، وأبى عبيد الله المرزبانى على الخصوص .

واختار أيضا بعض الموضوعات التى كانت مقاصد شعراء العربية فى الجاهلية وصدر الإسلام ، كالمدائح والأهاجى والمراثى ، والسير وأورد ما قاله الشعراء فيها ، ووازن بين الكثير منها ، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان .

وبهذه الفنون المتنوعة ، والفصول المختلفة ، والمباحث الجليلة اجتمع للكاتب ميزة كبرى بين الكتب العربية ، وعد مصدرا ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء .

يبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف فى داره على تلاميذه ومريديه ، فى أزمنة مختلفة متعاقبة ، لم يصل العلم إلى التاريخ الذى بدأها فيه ، ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة وأربعمائة (٤١٣ هـ) كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى فى آخر نسخته .

أما الزيادات التى فى آخر الكتاب ، وهى التى عرفت بتكملة الغرر فهى طائفة أخرى من المسائل التى اختارها فيما كان يعرض له فى مجاله فيما بعد ، وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما فى المنهج والمنحى ، وبهذه التكملة يتم الكتاب .

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى داره ، ثم نقل للمشهد الحسينى بكربلاء ..

١١

من المحققين الأعلام

طبقات المحققين والمصححين

الدكتور شوقي ضيف

رئيس مجمع اللغة العربية

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

فى إحدى القرى الوديعة من الريــف الوريف ، من أعمـال مديريـة دميـاط ، وفى الجانب المقابل لبحيرة المنزلـة ، فى بيت من البيوت الطيبة ، حيث الطبيعة الهادئة الخلوب ، والمناظر الساحرة الجذابة وُلِدَ صاحبنا وشيخنا . الأستاذ الدكتور شوق ضيف ، ومثلما يصطاد الصيادون الأسماك من البحيرة بشباكهم القانصة من تلك المياه الفضية المتلألئة ، كذا فإن الطبيعة الدمياطيـة تصيـد بحبالها القلـوب والعقــول والخوالج .

فإذا كنت مهمومـا ـ لاقــدر الله ـ أو مكدودا ، أو أدركتك سآمة ، فاجتويت الزمان ، أو استوبله المكـان فمـا عليـك إلا أن تسارع وتشخص إلى رحابها ، وتضوى إلى جنابها ؛ ففيها منادح وبحبوحة وسعة ، وهى جديرة بأن تمحو وتمسح عن نزيلهـا كل اجتـواء ، فتنتـاشه من الأكدار ، لما انطوت عليه من خيرات وآلاء ظليلة ممدودة الأفياء .

اشتهر أهل دمياط من القديم بالذكاء الحاد ، وسرعة البديهة ، وحضور الذهن ، وقد جهد كثير من الناس أنفسهم فى البحث عن مبررات ذلك عبثا ودون جدوى ، وساقوا أسبابا ومبررات غير سائغة ، لكن لعل الأرجح والأصح هو الوراثة

والطبيعة ، واعتمادهم على الأسماك كغذاء رئيسى ، لما يحتويه من عنصر الفوسفور .

فى هذه البيئة الصحية المنفوحة بالهواء الطلق ، والماء الجارى ، والحسن الظاهر ، والبراح النقى ، والطبيعة الصافية ، والصدور الشفافة التى تنطوى على الخير والتأميل ، وُلِدَ الدكتور شوقى ضيف شيخ الأدباء ، وأديب الشيوخ ، الذى يتمثل فيه كل تراث مصر الأدبى القديم ، موصولا بنهضتها الأدبية الحديثة المعاصرة .

كان أبوه ـ رحمه الله ـ شيخا عالما ، وقد تزوج ابنة عمته (والدة شوقى) ، فهى من نفس الأسرة .

ولم يكن الدكتور شوقى الابن الأول لأبويه ، وإنما سبقه اثنان توفيا صغيرين . وكانت أمه ـ رحمها ـ توليه رعاية وحَدْباً ، إذ كان قلبها بطبيعته مطويا على الشفقة والرحمة وقد كان أبوها عمدة القرية (وهى قرية بحذاء بلدة المنزلة) وكان رجلا موسراً حميد السيرة .

ونظراً لعدم كفاية غذائه من لبان أمه ـ اجتهدوا فى احضار مرضع له تتعهده بالإرضاع توفيةً لحقه المطلوب فكانت هذه المرضع أما ثانية له .

ومثلما كان جده لابيه عالما كان أبوه أيضا شيخا عالما نحريراً ، ورجلاً صالحا فاضلاً (ولانزكى على الله أحداً) لايترك قراءة القرآن ، والأوراد برهة .. أكمل والد شوقى تعليمه فى المعهد الدينى الأزهرى بدمياط ، ثم إنه اكتفى عند هذا الحد ، ثم ثاب وكر إلى قريته مكتفيا بمزرعة صغيرة ، صرف إليها جهده وعنايته ، وكانت تدر عليه مايقوم بشئون أسرته وأهله .

كانت مكتبة ابيه فى البيت تحتوى على مراجع وأسفار قيمة نادرة فى الفقه والحديث والسيرة ، والأدب ـ ومما يذكره منها فتوح الشام ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، وديوان ابن الفارض ، وماجدولين للمنفلوطى ، وغيره وغيره .

هذا الأب المثقف العالم كانت له حلقه فى المسجد كل ليلة بين المغرب والعشاء ، يتحلق حوله فيها أهل القرية يتزودون من علمه وفقهه ، من هذه المثابة كان محبوبا منظورا منهم مشخوصا إليه من عفاتهم وأرباب المصالح ، ولم يكن على أى حال يتهاون فى مساعدتهم ، فمن كانت مصلحته أو مطلوبه عنده لم يبخل به ، وإن لم يكن فى مستطاعه ومقدوره ، ساعده عليه وسلك له الأسباب .. وهذه مروءة لامزيد عليها ، وأريحية بالغة .

لذلك فقد كان يحمل على كاهله هموم الناس ، فهو يتعهد أرواحهم بدروسه المفيدة ، ورقائقه النافعة ، وهو يسعى فى حل مشكلاتهم التى تعترضهم .

فى هذا البيت العامر ، والقبلة المقصودة ، نشأ هذا العبقرى تتراوحه وتترسل على صدره نسائم القرآن الكريم ، وعبق وأريج السنة المطهرة ، فارتوت خوالجه من الخير الواسع غير المحدود .

انتظم صبيا فى المدرسة الأولية (الإلزامية وقتئذ) فى القرية منذ الربيع السادس من عمره ، وكانت مدرسة مختلطة محدودة (فى ذلك الوقت) .

ثم ما ان بلغ التاسعة من عمره حتى أشخص والده إلى دمياط (البندر أو المدينة) للإقامة فيها ، حيث استدبر ظلام القرية وحنادسها ، فاستبدل

بها أضواء المدينة ، بمصابيح الكهرباء .. من ثم ضرب فيها بجرانه ، وألقى عصاه .

كان أبوه وأمه قد وهباه للعلم ، فأدخلاه كُتاباً ـ فى دمياط ـ لتحفيظ القرآن الكريم ـ وكان هذا الكتاب ملحقا بجامع يسمى : « جامع البحر » وهو الذى كان به المعهد الدينى وحلقات دروسه .

أبدى صاحبنا تفوقا ملحوظا فى الكتاب ، وذلك لكونه مستمتعا بذاكرة قوية ، وحافظة مطرورة ، وعزيمة ماضية مشحوذة ، وهو فى باكورة الصبا ، وقد تجلت أمارات نبوغه ، وبدت مخايل تبريزه فى قدرته اللافتة على الحفظ السريع ، إذ كان يحفظ ربع جزء من القرآن كل يوم ، متفوقا على أترابه وأضرابه الذين يبلغون العشرين صبيا .

كان يقرأ كل يوم على سيدنا الربع الذى استظهره تسميعاً ، وقلما يخطىء فيه . وماهى إلا أشهرا قليلة (بضعة أشهر) حتى أحسن الصبى تجويد القرآن الكريم .

ثم مالبث أن ألحقه أبوه بالمعهد الدينى فى دمياط وفاءً بهبته للعلم ، وكان ذلك سنة ثمانى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد (١٩١٨) وفى تلك السنة الأولى حفظ متن « الأجر وميه » فى النحو ، وقرأ شرح الشيخ الكفراوى عليها .

وفى السنة الثانية درس « متن الأزهرية » ، ثم فى السنة الثالثة « قطر الندى » لابن هشام ، وهكذا ضرب بباع فى دراسة النحو على عمالقته .

ويرى الدكتور شوقى ضيف ـ ونحن معه تماما ـ فى أن هذا النظام أنسب وأوفق لدراسة النحو العربى من النظم الحديثة وهى التى بعثرت قواعده على سنوات الدراسة عاماً بعد عام ، وجعلته مقطوعات مقطعة الأوصال .

كان شوقى عمد إلى تلخيص كتاب « قطر الندى » بإيعاز من شيخة وطلب منه فى ذلك الوقت ، وكان ذلك فى نهاية عامه الثالث بالمعهد الدينى بدمياط ، فقام باختصاره وتلخيصه على أتم وأدق وجه .. لذلك فقد كان هذا المهذب أول كتابه ألفه وهو لايزال صبيا .

بل لعل هذه المحاولة والمزاولة التأليفية المبكرة قبل الأوان ، كانت إرهاصا وتبشيرا لما سيكون عليه هذا الفتى فى مستقبل أيامه من تأليف وتصنيف فى النحو .

ثم تصادف أن رأى كتاب « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » لابن هشام ، فأعجبه ، واسترعى نظره ، ففيه رأى تبسيطا مفقودا فى كتب النحو من نظائره ، فأكب عليه يدرسه فى أناة وعمق ونهم .

كذا عكف على دراسة كتب الفقه الشافعى ، ومتونه ، وشروحها ، وشروح الشروح (المسماة بالحواشى) ثم كان فى سنة ١٩٢٥/١٩٢٦م خمس وست وعشرين وتسعمائة وألف ، وهى آخر سنة له بمعهد دمياط ، وهو الذى لم يكن معهدا بالمعنى المألوف فى عصرنا ، لكنه كان عبارة عن مقاعد فى جامع البحر بدمياط ، وهو أكبر جوامعها فى ذلك الوقت .

إن من أجمل وأروع وأدق ماذكره د. شوقى ضيف قوله : « لاشك أن هذه الصورة للكتب الأزهرية كما عرفتها فى العقد الثالث من القرن الحاضر فى صورة المتون وشروحها والحواشى

والتقارير ، كانت مشحذة كبرى لعقول الطلاب الأزهريين» اهـ . بتصرف .

ثم تحول بعد ذلك إلى معهد الزقازيق الدينى الثانوى وفيه أكب على العلم انكبابا ينهل من معين لاينضب ، وفرات سائغ ، لايكل ولايمل .

ثم يوضع حجر الأساس للجامعة المصرية فى شهر فبراير سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، فيراها فرصة سانحة أن يتحول إلى دار العلوم حتى يجمع بين الثقافة الأزهرية القـديمة بأصالتها وشموخها ، وبين الدراسات والثقافة العصرية ، والعلوم والمعارف الحديثة بمدرسة دار العلوم .. كل هذا ليكون موافقا وموائما وملائما لنشاطه الأدبى والثقافى .

كان لدار العلوم مدرسة ثانوية اسمها «المدرسة التجهيزية» أو «تجهيزية دار العلوم» وفيها مافى المدارس الثانوية من علوم الرياضة والكيمياء والطبيعة ثم يزيدون على ذلك علوم الشريعة من الفقة والأصول والتفسير إلى النحو والصرف ، والأدب والكلام والفلسفة والمنطق وغيره .

التحق شوقى ضيف بتجهيزية دار العلوم سنة ثمان وعشرين وتسمعمائة وألف (١٩٢٨) ومما هو جدير بالذكر أن هذه التجهيزية كانت قريبة من حى عابدين بالقاهرة ، وكان فيه حى يسمى «حى الحنفى» وقد قطن شوقى فى حجرة فيه .. وكان مغبوطا بذلك كل الاغتباط عندما عرف أن أمير الشعراء أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ سكن نفس الحى فى مطلع حياته (ربما كان ذلك لقربه من قصر عابدين) .. لكن فرق بعيد ، وبوْن شاسع بين سكنى شوقى الشاعر ، وبين شوقى ضيف الطالب فى تجهيزية دار العلوم وقتذاك !!

فى تلك الفترة كانت هناك دراسة حرة وهى غير النظامية بالأزهر ، حيث كان الشيوخ يقيمون حلقات للطلاب المغتربين أو غير النظاميين .. وهى دراسات حرة غير مقيدة بوقت ولازمان ؛ فإذا ما أنس أحدهم من نفسه القدرة على أداء امتحان العالمية (الشهادة النهائية فى الأزهر حينئذ وهى تعادل الدكتوراه حاليا) تقدم إليها .

بيد أنه قبيل آخر العام فى تجهيزية دار العلوم صدر قرار بكليـة الآداب جامعـة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) بفتح أبواب قسم اللغة العربية لقبـول طائفـة من خريجى التجهيزيـة ، وطائفة من حملة الشهادة الثانوية الأزهرية ليكملوا دراستهم ، وهم ممن استظهروا القرآن الكـريم وحفظوه فى صباهم ، كذا درسوا العلوم الدينية وعلوم اللغة العربيـة من نحو وصرف وبلاغـة وغيره .

التحق شوقى ضيف بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٠/١٩٣١م ثلاثين وإحدى وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانوا ثمانين طالبا من الأزهر ومن التجهيزية . وكان مدير الجامعة وقتئذ أحمد لطفى السيد باشا ـ رحمه الله ـ وكان طه حسين عميدا لكلية الآداب .

من أساتذته الذين كان معجبا بهم فى الجامعة بكلية الآداب الشيخ أحمد الاسكندرى ، الذى كان أستاذا بدار العلوم ، لكن انتقل إلى كلية الآداب ليحل محل الدكتور طه حسين ، لتدريس الأدب العربى .

كذا كان أمين الخولى ـ رحمه الله ـ موضع إعجابه بل كان ضيف مأخوذا بمحاضرات الشيخ الخولى فى البلاغة (وهو الشيخ الذى كان تخرج فى

مدرسة القضاء الشرعى) . ثم تلقى شوقى ضيف الفارسية على يد شيخه وأستاذه عبدالوهاب عزام (الذى تخرج فى مدرسة القضاء الشرعى) وكان بدوره تخرج فى مدرسة عاطف بركات وعُين إماماً فى سفارة مصر بلندن .

وكان عبدالوهاب عزام أديبا بارعا . وقد نال الدكتوراه فيما بعد

كذلك كان من أساتذته المأثورين المختارين عنده الدكتور أحمد أمين ، أستاذ الحياة العقلية الإسلامية (كان أيضا متخرجاً فى مدرسة القضاء الشرعى) لكونه ممن جمعوا بين الثقافتين : القديمة والحديثة ..

اندفع شوقى للقراءة الموسعة فى كتب النقد الأدبى ، ثم نشر مقالات أدبية فى مجلة الرسالة الأسبوعية ، وكانت أهم مجلة أدبية فى مصر فى ذلك الوقت ، إذ كان يكتب فيها من أعلام الأدب ، وأساطينه بعض أساتذته : عباس العقاد ، وأحمد أمين ، وغيرهما من أساتذة الجامعة .

كان أول مقال حرره نُشِرَ فى مجلة الرسالة فى عدد اليوم الثامن من شهر يناير سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف بعنوان : «حول الوضوح والغموض» وهو وقتذاك لايزال طالبا بالسنة الثالثة بكلية الآداب .

وفى السنة الرابعة والنهائية كان يدرس له الشيخ العلامة مصطفى عبدالرازق وكان مدرساً للفلسفة الإسلامية ، وكان رجلاً فاضلاً وعالما نديا نحريرا متواضعا ، يشعر معه تلاميذه بأنه أب ووالد وأستاذ لهم جميعا ، فقد كان عطوفاً ، رقيق الشعور ، نبيل العاطفة ، محمود النقيبة ، ممدوح الطوية ، جمع بين أعطافه أصالة القديم وجدة الحديث .

وكان لشوقى حب خاص خالص لأستاذه وصديقه الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى لعلمه وثقافته وكان يدافع عنه إذا استهدفه الناقدون ناعين عليه التكرار فى أسلوبه ؛ فقال شوقى : إنِ تكرار طه حسين ليس تكرارا لفظيا ، وإنما هو تكرار معنوى .. ومن ثم فلا موجب للمؤاخذة .

سنة خمس وثلاثين حصل على الليسانس ، وتخرج فى الجامعة فى أول مايو من تلك السنة ، وكان السابق بين رفاقه .

ثم رشحه أحمد الاسكندرى (عضو مجمع اللغة العربية وقتذاك) مخاطبا الشيخ عبدالعزيز البشرى (ابن الشيخ سليم البشرى) وكان مراقبا لمجمع اللغة العربية ـ أن يعينه محررا بالمجمع ، فكان ذلك حافزاً له لمزيد من القراءة والاطلاع .

ثم أعيد انتخاب طه حسين عميداً لكلية الآداب سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ،وسنة سبع وثلاثين ، ثم رأى أن تأخذ الجامعة بنظام المعيدين ، فاختير شوقى ضيف معيدا من جملة المختارين لذلك .

فى سنة ثمان وثلاثين وتسع وثلاثين ١٩٣٩/١٩٣٨م انهمك فى اعداد رسالة الماجستير وموضوعها : (النقد الأدبى فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) .

وفى يناير ١٩٣٩ سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف نوقشت الرسالة ونال الدرجة المأمولة فيها .

ثم سجل رسالته للدكتوراه بموضوع (التكلف الشديد للشعر العباسى فى القرن الرابع الهجرى) .

ثم نوقشت مناقشة علنية فى أواخر شهر يناير ١٩٤٢م سنة اثنتين واربعين وتسعمائة وألف بالمدرج رقم (٧٨) بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) أمام حشد كبير من الطلاب والجمهور .

ومن أروع مايذكره لنا الدكتور شوقى ضيف فى ذلك الموقف الرائع أنه بمجرد إلقائه ملخص الرسالة رأى أباه واقفاً بين الطلبة المتدافعين المكدسين فى مدخل المدرج ، يستمع إلى ابنه الذى كان أخفى عنه موعد مناقشة الرسالة ، لكن أباه عرف ذلك من صحف الصباح .

هذا هو شيخ الأدباء ، أديب الشيوخ شوقى ضيف تتمثل فى سيرته وأطوار حياته أصالة المصرى وصلابته وطول باعه ، وامتداد ذراعه إلى مقصوده بإصرار وعزيمة فولاذية ، ونهم شديد بالعلم .

فى هذه الرحلة تتجلى أمام الناس طرق التعليم فى تلك الحقبة المنصرمة من الزمان ، وفيها نلمس مدى المشقة والمعاناة فى تحصيل العلم للصبى من القرية إلى البندر إلى معهد دمياط ، ثم إلى معهد الزقازيق ثم إلى الأزهر ، ثم تجهيزية دار العلوم ثم إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، رحلة وعرة شاقة .

كل هذا الجهد كان مستطابا فى سبيل العلوم والرفعة والارتقاء ، وفى ذلك كان شوقى مصيبا فى قوله :

ومانيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

هذا مثل أعلى ، وطراز نقدمه لشباب اليوم ، الذى تخفف أكثره من المسئولية ، والتفت عن الحقيقة وصار ملولا من غير أن يفعل شيئا ، وهو يريد تحقيق مبتغاه من غير جهد ولاعناء وهيهات هيهات ولات حين مناص إن الأمل والجد والكد والكدح والاجتهاد والاستقامة على سواء المحجة هما : سبيل التفوق ، ومحور الارتكاز وحجر الزاوية فى كل تقدم ورقى . تحية للشيخ الجليل أطال الله عمرك ، وجعلك نبراسا وقبسا يضيىء أمامنا طريق الهداية والتمكين .

وهنيئا لمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين ـ بك رئيسا له ، فمثلك أهل لمثله .

من مؤلفات وتحقيقات الأستاذ الدكتور شوقى ضيف العلمية :

كتب للمؤلف مطبوعة بدار المعارف

● فى الدراسات القرآنية

★ سورة الرحمن وسور قصار عرض ودراسة الطبعة الثانية ٤٠٤ صفحات

● فى تاريخ الأدب العربى

★ العصر الجاهلى ، الطبعة الحادية عشرة ، ٤٣٦ صفحة

★ العصر الإسلامى ، الطبعة العاشرة ، ٤٦١ صفحة

★ العصر العباسى الأول ،الطبعة التاسعة ، ٥٧٦ صفحة

★ العصر العباسى الثانى ، الطبعة السادسة ، ٦٥٧ صفحة

★ عصر الدول والإمارات (١) الجزيرة العربية ـ العراق ـ إيران ، الطبعة الثانية ، ٦٨٨ صفحة

★ عصر الدول والإمارات (٢) مصر ـ الشام الطبعة الأولى ، ٨٤٨ صفحة .

● فى مكتبة الدراسات الأدبية

★ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، الطبعة العاشرة ، ٥٢٤ صفحة .

★ الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، الطبعة العاشرة ، ٤٠٠ صفحة

★ التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، الطبعة السابعة ، ٣٤٠ صفحة

★ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ، الطبعة السابعة ، ٢٩٢ صفحة .

★ شوقى شاعر العصر الحديث ، الطبعة العاشرة ، ٢٨٦ صفحة

★ الأدب العربى المعاصر فى مصر ، الطبعة الثامنة ، ٣٠٨ صفحات

★ البارودى رائد الشعر الحديث ، الطبعة الرابعة ، ٢٣٢ صفحة

★ الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية ، الطبعة الرابعة ، ٣٣٦ صفحة

★ البحث الأدبى : طبيعته ـ ومناهجه ـ أصوله ـ مصادره ، الطبعة السادسة ، ٢٧٨ صفحة

★ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، الطبعة الثانية ، ٢٥٦ صفحة

● فى الدراسات النقدية

★ فى النقد الأدبى ، الطبعة السادسة ، ٢٥٠ صفحة

★ فصول فى الشعر ونقده ، الطعة الثانية ٣٦٨ ، صفحة

● فى الدارسات البلاغية واللغوية

★ البلاغة : تطور وتاريخ ، الطبعة السادسة ، ٣٨٠ صفحة

★ المدارس النحوية ، الطبعة الخامسة ، ٣٧٦ صفحة

★ تجديد النحو ، الطبعة الثانية ، ٢٨٢ صفحة

★ تيسير النحو قديما وحديثا مع نهج تجديده ، الطبعة الأولى ، ٢٠٨ صفحات

● فى مجموعة نوابغ الفكر العربى

★ ابن زيدون ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٢٤ صفحة

● فى مجموعة فنون الأدب العربى

★ الرثاء ، الطبعة الثالثة ، ١٠٨ صفحات

★ المقامة ، الطبعة الخامسة ، ١١٢ صفحة

★ النقد ، الطبعة الرابعة ، ١١٢ صفحة

★ الترجمة الشخصية ، الطبعة الثالثة ، ١٢٨ صفحة

★ الرحلات ، الطبعة الثالثة ، ١٢٨ صفحة

● فى التراث المحقق

★ المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الجزء الأول ـ الطبعة الثالثة ، ٤٦٨ صفحة

★ الجزء الثانى ـ الطبعة الثالثة ، ٥٧٢ صفحة

★ كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، الطبعة الثانية ، ٧٨٨ صفحة

★ كتاب الرد على النحاة ، الطبعة الثانية ، ١٥٠ صفحة

★ الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبدالبر الطبعة الثانية ، ٣٥٦ صفحة

● فى سلسلة إقرأ

★ العقاد ، الطبعة الرابعة

★ البطولة فى الشعر العربى ، الطبعة الثانية

★ معى ، الطبعة الثانية

★ الفكاهة فى مصر ، الطبعة الثانية

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٥

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

تصور اساطير الإغريق القدماء ، ربة الشعر - فى اعتقادهم - فى هيئة امرأة رائعة الجمال ، مجنحة ، وملتفة بغلالة أثيرية حريرية ، شديدة الإغواء للشعراء بصفة خاصة .. وقد وجدت هذه الإلـهة المزعومة فى الشاعر الفرنسىّ الرجيم : (بودلير) ، عاشقها المفتون ، الذى أسلس قياده لها ، بما يفوق أبا نواس ، فى مجونه وعبثه .. ومن ثم نظم بودلير ديوانه الذى يحمل هذا العنوان المستفز المصرح : (أزهار الشر) الذى يقول فيه ، تحت عنوان : (صوت من وراء القبر) ، من قصيدة له من أشعاره المتأخرة ، التى لم تظهر إلا فى طبعة ديوانه بعد وفاته :

أيها القـارىء المطمئـن الـوادع ..
يا رجل الخير ، السليم الطويّة ، القانع :
اطـرح من يدك هذا الكتـاب ،
هذا الكتـاب المستهتـر الفاجـع .

★ ★ ★

إذا كنت لم تثقـن فنـون البيـان ،
- على النقيب الماكـر : الشيطـان -

فَاطْرحْ كتابى ، فلست واعيا منه شيئا ..
أو أنت معتقدٌ بى لُوثَـةَ العقـل والخيـال

* * *

أما إذا استطاع طرفك ـ غير مفتون ـ
ـ أنْ يُمْعِـــــنَ فى الأغـــوار ..
ويغــوص فى اللُّجَّــة إلى القـــرار ..
إذن ، فَاقْرأْنِــى .. تتعلَّــمْ محبَّتـــى ![1]

ولسنا بحاجة ، بعد ذلك ، إلى المضىِّ قُدُما فى تقديم بعض النماذج من هذا الديوان ، لإنخراطها فى الإقْذاع ، وحتى لا نُعْطِى (الشيطان) فُرْصَتَـهُ ، فى بَثٍّ سمومه ، فمعنى (الشيطان) يُفَسَّرُ ـ كما يقول الرافعى ـ بأنه الروح الحىّ للخطأ على الأرض[2] .. وصَدَق الشاعر العراقى « أحمد الصافى النجفى » فى قوله ، من قصيدة له ، بعنوان : (شيطان الشعر) :

شيطــانُ شعـــرى قاتـــلى ... لا عشـــــتُ إن لم يُقْتَـــــل
شـيطان شـعرى كـــلّ حـــ ... ـــينٍ فى جحـــيم مُشـــعِلِـى
هُو ليـــس يُصْـليه الجحـــ ... ـيمَ ، أجـل .. فإنــى المُصْطَـلِى
هو للجحــــيم يجـــرُنِـــى ... بشـــباكــه ، ويكيــــد لى
ويظـــــلُ يدفعنـــــى إلى ... دَرْكِ الجحـــيم الأسْـــفـل
حتـــى إذا فيها هَوِيْـــــ ... ـــتُ .. يظـل يضحـك من علِ[3]

* * *

ويقول شاعرنا الراحل « عبدالحميد الديب » ، غفر الله له ، من قصيدة له بعنوان : (موت الشيطان) ! ، يستهلّها بقوله :

أنـا ـ أوْ إبليسُ ـ للدنيـا عَمًــى ... هو خافٍ ، وأنـا أبْدو جَليَّـــا

ثم بعد أن تاب وأناب ، اسْتَتْلَى قائلاً :

قلتُ : ـ ربى !.. وأنـــا جاثٍ له ... فَحَبَانِــى لُطْفُــه : قلبــا رضيــا
تُبْتُ من ذنبى ، ومَـنْ ترجَـعْ به ... نفْسُه لله .. يبَعَثْـــه نقيـــا
توبـــة من بعــــد أنْ فُزْتُ بها ... كل شىء صار فى عينـــى هنيـــا

ويختتم قصيدته تلك ، بقوله :

أين شيطـــانى ، وأيْـنَتْ ريحُـه ... كان يهفو فى الدُّجَى .. رُوحا عتيا

(١) انظر كتاب (الشاعر الرجيم بودلير) للأستاذ عبدالرحمن صدقى ص ٩ ـ ١٠ الطبعة الثانية فى سلسلة (اقرأ) الصادر عن دار المعارف .

(٢) انظر كتابه (وحى القلم) ، ط١ ثانية سنة ١٩٤١م ص٢٠٠ .

(٣) انظر ديوانه : (ألحان اللهيب) ط بيروت سنة ١٩٦٢ ص٩١ .

أكله أو شربه .. من هجرقى
فَقَضَى ، يومَ الهُدَى ، إذ لم يجدْ
جنَّة المحراب تشْوى جِسْمَه
مات شيطانى ، وهَاكمُ جُنْده

فى ظلام الشكِّ آفاقا شقيا
أىَّ شرْع .. ينتهى منه .. إليّا
وأنا لم أغْشُ بيتًا أو نديا
هَيْنِموا ـ بالدمع ـ أشباحًا بُكِيًا ![4]

وقد ذكر الشاعر العربى القديم شُمَّر بن الحارث الضَّبِّى ، أن الجن قاموا بزيارته ، بقوله :

أتَوْا نارى ، فقلتُ : مَنُونَ ؟ قالوا :
ـ سُراةُ الجن ، قلتُ : ـ يمِمُوا ظلاما !

ثم دَعَاهم ـ كما يزعم ـ إلى الطعام ،فاعتذروا ، لأنهم يحسدون الإنس ؛ إذ لا يأكل الجنُّ طعاما كطعامهم ، فقال الضبىّ يصف هذا الاعتذار عن تناول الطعام .

فقلتُ : ـ إلى الطعام ـ فقال منهم
زعيم : ـ نحسد الإنْسَ الطعاما

* * *

ويقول (إرنست جونز) : « إن فكرة الاندفاع إلى العمل بحافز لا شعورى ، يجهله صاحبه ، معروفَةٌ من قديم .. فأغلب فطاحل الشعراء يعلمون أن أروع ما كتبوه ، لم يأْت عن طبيعة متعَّمدة ، بل أتاهم على أجنحة روح تهفو عليهم من حيث لا يعلمون .. أو يحسُّون أنه آتٍ من أعماق مجهولة فى نفوسهم .. حيث أن الإغريق كانوا يظنون أن الشعراء يَقَعُون تحت تأثير أرواحٍ تغْشاهم »[5] .

ومن الغرابة بمكان ـ وخاصة فى العصر الحديث ـ اقتناع بعض الشعراء بشياطينهم ، أو التظاهر بهذا الاقتناع ، واعتبارهم ذلك حقيقة واقعة ، ومنهم العقاد .. فى مُطولته الشعرية التى تحمل عنوان : (ملحمة ترجمة شيطان) ، التى يقول فيها عن الشيطان أنه قد :

صاغه الرحمن ذو الفضل العميمْ
غَسَقَ الظَّلْماءِ فى قاع سقرْ
ورمى الأرض به رَمْى الرجيم
عبرةً .. فاسمع أعاجيب العِبَرْ

ويقول العقاد فيها مخاطبا الشيطان :

أيها الشيطان أضلِلْ مَنْ تشاء
سوف تأويكَ وتأْويه الجحيم[6]

(٤) انظر عدد مجلة (المقتطف) ج٢ من المجلد الخامس والتسعين ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٥) راجع كتاب (كيف يعمل العقل) جـ١ ص٥٤ ، وكتاب (شياطين الشعراء) للدكتور عبدالرزَّاق حميدة ط الأنجلو سنة ١٩٥٦ ص٢٧ ..

(٦) انظر القصيدة كاملة بالجزء الثالث من ديوان العقاد ، وحديثه عنها بكتابه (إبليس) ص٢٠٢ .

وإذا كان (فوزى المعلوف) قد تحدث فى مطولته الشعرية : (على بساط الريح) ، عن الطائرة التى استقلَّها ، وهى تشقّ أجواء الفضاء ، بقوله :

صعد الطرف فى الـفضاء تجدنى   قاطعـا فى الأثير ميـلا فَميـلا
فوق طيَّارة على صَهَوات الرِّيـ   ـح ، راحتْ تُروِّضُ المستحيلا
هى طيْر من الجمـاد كأن الـ   ـجِنَّ فى صدرها تَحُثُّ الخيولا

إذا كان ذلك كذلك ، فإن شقيقه الشاعر (شفيق المعلوف) ، يذكر لنا فى مطولة شعرية له ، بعنوان « وادى عبقر » أنه ركب مَتْن الشيطان نفسه ، بعد أن أقْبل شيطانُ شعره نحوه ، وقال له :

أتـيتُ والليـل يطْـوِى ذيلـه   فَعِـمْ صباحـا أيها الشاعـرُ

ودار بينهما ـ الشاعر وشيطانه ـ الحوار التالى :

قلتُ لشيطانى : ـ أمِـنْ حالـقٍ   أتيْتَنِى ؟ أم من شقـوق الثَّـرَى
فقـال : ـ إنى جئتُ من بُقْعـة   خافيـةٍ .. تَدْعُونها : عبْقـرا
تسُوس فيها الجِـنَّ عَرَّافـةٌ   ترى بزجْـرِ الطيـرِ ما لا يُرى
الشعـر ولاَّها شياطينَـه   فسادتْ : (الهوجل) و(الهوبرا)
تضطرب الأرض متـى أقْبلتْ   قاذفـةً عزيفَهـا المُنْكَـرا
فقُـمْ بنـا يا صاح إلى عبقـر   نجوس ذاك المجْهـل الأوْعَـرَا

ثم يحدثنا شفيق المعلوف ، بعد ذلك ، عن (تجربته) المزعومة ، بقوله :

وانْطلـق الشيطـانُ فى الجوِّ بى   كأنَّـه النَّيْـزك أو أسرعُ
مَكَّـنْتُ من فِقَـارِهِ قَبْضتـى   مندفعـا أُصْنـع ما أصنـع

إلى أن يقول ، بعد أن حَطَّ عصا الترحال الجوِّى : .

حتـى تَهـاوَى بى إلى موضع   ما راقنـى من قبلـه موضعُ
غمائـمُ زُرْقٌ .. على مَتْنها   منـازِلَ جدرانهـا تسطـع
تثـور فى أبْراجهـا ضَجَّـةٌ   بها يضيـق الأفُق الأوسع

وهُنَا حدثه الشيطانُ بقوله :

فقـال : ـ هذى عبقـر ما ترى   وضَجَّـة الجن التـى تسمـع
عزَّتْ على الإنْس ، فمـن حولها   أبَالسُ الأبـراج .. تَسْتَطْلـع
أنْحـاؤه الأربـع مرصودة   تحْرُسُهـا الزَّعـازع الأربـع
ما أفْـلت الإنْسُ من زَعْـزع   إلا تلقَّـى صَدْرَه زَعْـزع

ويقدم شفيق المعلوف وصفا رهيبا للشيطان ، بقوله :

في فَمِـــهِ من سَقَـــــر جذْوةٌ ... منها يطير الشرر الثائــــــــر

ووجهــه جمجمـــة .. راعنـــى ... أنيـــابُها والمحجـــر الغائـــر[7]

وصفوة القول - فى إيعاز الشياطين لبعض الشعراء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ونسوا القبر والحساب ودار الجزاء أن الشيطان بوَّق لهم فاجتمعوا ، وحاضر فأَصَاخُوا .. ودعاهم فاستجابوا ، « واستخفَّهم فأطاعوا ، وَوَعَدَهم فصدَّقُوا ، وسوَّل لهم وضع التبعات على عاتقه ، ففعلوا ، ونَصَبَ لهم كمينا فَسَقوا ، واقترح فردَّدُوا ، ونادى فهُرعوا » .. كما يقول الأستاذ عبدالقادر العطار ، فى كتاب له بعنوان : « علاقة الإنسان المخيَّر ، والحيوان المسيَّر ، والملائكة الأخيار والشياطين الأشرار » (ط سنة ١٩٧٧) ..

والشيطان لم يظهر لهؤلاء الشعراء بهيئته عيانا كما يزعمون ، وإنما قام بالسيطرة على عالمهم الباطنى ، حينما وَجَدَهم لُقَيمات سائغة له ، وهَيْمنة الشيطان على فكر الإنسان لا تقتصر بالضرورة على نظم الشعر فحسب ، ولكنها تمتد وتنداح إلى شتى الوساوس الشرِّيرة ، التى تحُضُّ على الفجور ، والإيذاء ، والتفريط .. وقد حذَّرنا المولى عز وجل من كَيْدهِ ، بقوله عَزَّ من قائل : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[8] .

وبالنسبة لنهاية هذه الآية الشريفة ، نُورِدُ قول إسماعيل صبرى فى حقيقة الذات الإلـٰهية :

تعـــــــالى الله لا يُدْ ... رِكُ كُنْـــــــــهَ الله إنسانٌ

أتنكــــــره .. وأنت عَلَيْـــــ ... ـــهِ - لو فكرْتَ - برهـــان ..

ومهما يكن من أمر ، فإن الشيطان لا يعرف طريقه إلى وَعْى الشاعر الباطنى ، إلا إذا عرف نقطة الضعف لدى هذا الشاعر ، وخاصة فى مجال الهجاء والقذْح ، أو الغُلُوّ فى المدح ، أو التكالب على الحطام الفانى ، أو التطلع إلى الحرام بأى أشكاله .

ثم بعد : فإنه ينبغى أن نلفت فكر قرائنا إلى فريق من الشعراء أبوا أن يمتثلوا لتأثير هذا الفكر الخبيث فالتزموا استقامة الطريق ، وفى قلوبهم وأسماعهم قوله - تعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة ق

وفى مقدمة ذلك حسان بن ثابت - رضى الله عنه - شاعر الإسلام المنافح عنه ، وعن رسول الله ﷺ .

---

(٧) انظر القصيدة برمتها فى عدد مجلة الرسالة - السنة الأولى - رقم ١٣ الصادر فى ١٩٣٣/٧/١٥ ص٧ .

(٨) البقرة ١٦٨ - ١٦٩ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

تقدمت المجلة إلى قرائها الذين يشاركون فى تحرير هذا الباب بأن يتخيروا من الموضوعات ما يتسم منها بالطرافة والجدة ، وما يحمل منها مضمونا فريدا فى بابه مما لا تتناوله المجلة وتقدمه بأقلام المختصين .

ونحن إذ نشكر الإخوة القراء الذين بادروا بإرسال مساهمات تتفق والنهج الذى نوهت إليه المجلة ، نود أن يواصلوا الالتزام بذلك

محقق مصرى علم الكثير

أرسل القارىء : بدوى طه بدوى
بنى سويف ـ بلفيا
هذه الكلمة يقول فيها :

هو عالم أزهرى جليل ومحقق ومدقق أصيل ، يعمل فى صمت بكل نشاط وجد، وتخرج أعماله ومؤلفاته وتحقيقاته للنور ؛ لتعلّم العالم وتنشر فى مصر وخارجها ، ويثنى عليها العلماء وينتفع بها الباحثون والدارسون ويقتنيها عامة المثقفين السلمين فى مصر ولبنان والسعودية وغيرها **إنه الأستاذ والمربى الفاضل الكاتب الإسلامى الكبير وشيخ المصححين المعاصرين فضيلة الأستاذ / طه عبد الرءوف سعد .**

والأستاذ طه من كبار المحققين والمصححين ويعتبر على رأس الطبقة الثالثة من طبقات المصححين والمحققين التى تلى طبقة الأستاذ الدكتور / عبدالسلام هارون ، وقد عمل الأستاذ طه معه فى التصحيح والتحقيق ، وكذلك مع الأستاذ/ محمد أبوالفضل إبراهيم ، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ، ومع الأستاذ عبدالعزيز

سيد الأهل ، ومع عمالقة التحقيق من الطراز الأول.

عرفه الناس من خلال مؤلفاته وتحقيقاته ، له أكثر من خمسين مؤلفاً فى السيرة والعقيدة ، وله أكثر من مائة كتاب من تحقيقه تحقيقا قيما موثقا مع وضع الفهارس الشاملة لكل كتاب ، ومن أهم تحقيقاته التى طبعت فى مصر وخارجها واشتهرت بين الناس والناشرين والمكتبات :

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط ـ بيروت ، مصر ـ دار الغد العربى ، الكليات الأزهرية مكتب القاهرة

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ط ـ دار الجيل بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) معظم كتب ابن القيم الجوزيه .

(٤) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترمذى

(٥) قصص القرآن لابن كثير

تلك نبذة عن هذا العالم الجليل ، والمحقق الثقة ، وقد رأيت ـ كواحد من تلاميذه الفخورين بأستاذيته ـ لزاماً علىَّ أن أعرف به ، وأن أقدم تلك اللمحة عنه للقراء .

حفظه الله وجزاه خير الجزاء لقاء ماقدم للإسلام وللمسلمين.

ألبانيا

وقد وردت هذه الرسالة من عضوين فى المجلس الإسلامى بألبانيا هما : الشيخ سليم توتا .

والشيخ / محمد جنب الله .. ومما ورد بها :

قبل أن نعرض على سيادتكم اقتراحاتنا نرى من الضرورى أن نحيطكم بإيجاز عن الموقع التاريخى والجغرافى لألبانيا .

دولة ألبانيا تقع فى قارة أوربا وبالتحديد فى الجزء الجنوبى الشرقى منها ، فى شبه جزيرة البلقان تحيطها فى الشمال والشرق يوجسلافيا السابقة ، ومن الجنوب اليونان ، والبحر الأدرياتيك من الغرب الذى يفصل ألبانيا عن إيطاليا. مساحتها ٢٨٠٠٠ كم مربع . وعدد سكانها ٤ ملايين نسمة ، منها ٣,٥ مليون مسلم . حتى سنة ١٩١٢ كانت ألبانيا جزءً من الدولة العثمانية. أما الحدود الحالية مرسومة فى سنة ١٩١٣ من قبل الدول الأوربية الكبرى وقتئذ .

قسم الشعب الألبانى من جراء هذا الترسيم للحدود فبقى حوالى نصف الشعب والوطن خارج الحدود مثل : كوسوفا المقاطعة اليوجسلافية السابقة التى كانت تتمتع بحكم ذاتى ومساحتها ١١٠٠٠ كم مربع وعدد سكانها مليونان ، الجزء الغربى لجمهورية مقدونيا (وهى جمهورية يوجسلافية سابقة) المتاخم للحدود الشرقية لألبانيا ويسكنه حوالى مليون ألبانى مسلم ، وأخيرا جزء من جمهورية الجبل الأسود المؤلفة مع جمهورية الصرب ليوجسلافيا الحالية الجديدة .

وكما أوضحنا فهى الدولة الإسلامية الوحيدة فى أوربا إذا ما استثنينا البوسنة والهرسك التى يسميها الأوربيون بوابة الإسلام إلى أوربا .

وكانت ألبانيا عامرة بالعلماء ولكن مع مجىء الشيوعيين إلى السلطة وإقامتهم لنظام إلحادى

ديكتاتورى مستبد معاد لكل ما يمت للدين بأى صلة ، سجن علماء الدين كلهم وعذبوا كثيراً فى السجون .

ولم يبق من كل المدارس الإسلامية الكثيرة التى كانت منتشرة فى ألبانيا بعد الحرب العالمية الثانية غير المدرسة الإسلامية فى تيرانا العاصمة والتى استمر العمل فيها بعدد قليل من الطلاب لايتجاوز خمسين طالباً . وكان هذا حتى سنة ١٩٦٥ حيث هدمت هذه المدرسة وبعدها كثير من المساجد دمرت واغلقت غيرها .

وفى سنة ١٩٩١ بفضل الله ـ تبارك وتعالى ـ سقطت الشيوعية والإلحاد ، فتأسس بعد ذلك نظام ديموقراطى وأعطيت الحرية الكاملة للأديان والمعتقدات . ولكن الدولة تعانى من جراء تربع الشيوعيين ما يقرب من خمسين سنة على كرسى الحكم تعانى من فقر مدقع .

أسس خريجو المدارس الشرعية السابقون اتحاداً إسلامياً سمى المشيخة الإسلامية ، شيدو عشر مدارس إسلامية بمساعدات من دول إسلامية عديدة .

علماً بأن التعليم الدينى كان ممنوعاً إلى سنة ١٩٩١ مما أدى إلى عدم وجود أى خريج على صعيد ألبانيا كلها سواء من الأزهر الشريف أو من أى كلية إسلامية أخرى من أى بلد إسلامى .

حول شياطين الشعر فى الأدبين العربى والغربى

وكتب لنا الشيخ/ عادل عبدالبارى محمد إمام بوزارة الأوقاف :

اطَّلعت بشغف كبير على سلسلة المقالات التى نشرت أخيرا بمجلة الأزهر الغراء واستمتعت بالطرائف والوقائع التى اشتملت عليها هذه المقالات وحمدت للمجلة اهتمامها الكبير بتقديم الدراسات الأدبية والبحوث الشيقة الأخرى غير المسبوقة فى سائر المجلات العربية والإسلامية وهذا امتياز لمجلة الأزهر يذكر فيشكر ، وخاصة وقد قدمها لنا بإتقان واحتفاء يراع الشاعر أحمد مصطفى حافظ الذى أتابع إنتاجه الأدبى بمجلة الأزهر .. وتذكرت أثناء قراءاتى فى هذه المقالات أن مجلة الأزهر قد سبق أن تعرض أحد كتابها الفضلاء ، بالكتابة فى هذا الموضوع الطريف ، وإتماما للفائدة ، وحرصاً على إعادة نشر روائع المقالات التى نشرت فى الأزهر قديماً ، فإننى أود هنا التنويه بمقال نُشر منذ ثلاثين عاماً تقريباً بمجلة الأزهر « الجزء الثالث السنة الثامنة والثلاثون جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ ـ اغسطس ١٩٦٦ م » .

ففى هذا العدد الذى يحمل عنوان (من أثر العرب الأدبى على كتاب الحركة الرومانسيكية فى انجلترا) للدكتور محمد سمير عبدالحميد ، الذى أشار إلى موضوع تأثير الشيطان على الأذهان ، فقال فى المقال المذكور : « ومن أطرف الأشياء التى لاحظناها عند دراسة موضوع الشيطان ــ أن كثيرا من الكتاب والمؤرخين الانجليز أمثال إدوارد لنجتون ، دوروثى سكاربره ، وجيكوب جريم ،

وموريس رودن ، يؤيدون النظرية القائلة : بأن فكرة الشيطان كشخص يلعب دوراً هاماً فى هذه الحياة ، ويثبت وجوده دائما كعدو لدود للخالق ـ سبحانه وتعالى ، وللبشر أيضا ـ قد عرفت زمنا طويلا ، قبل مولد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ لأن لها نظائر فى جميع الديانات القديمة ، التى ظهرت قبل اليهودية والنصرانية ، بألوف السنين .. وأهم هذه الأديان التى تثبت عداوة الشيطان للبشر هى : الديانة الإيرانية ..

وإليها يرجع ... إدخال مثل تلك العقائد فى الديانة المسيحية ، عن طريق سابقتها ، وهى الديانة الإسرائيلية .. وفى هذا الصدد يقول (رودن) فى كتابه : « الشيطان فى الأساطير والأدب » : « لقد عرف اليهود الشيطان ـ أول ما عرفوه ـ خلال فترة السَّبى ، التى قضوها فى باسل ، رعايا الملوك الزراد شتين ، حيث ألَّفوا شيطانا خاصا ، اختلط بشيطانهم الذى لم تكن له أى من الخصائص الشيطانية المألوفة فى العصور الوسطى .

ونجد أن شيطان اليهود ـ قبل تأثرهم بمعتقدات إيران ـ وأهمها التطاحن بين قوى الخير ممثلة فى (أروزدا) وقوى الشر ممثلة فى (أهرمان) لم يكن له أى شىء من خصائص وصفات الشيطان عند المسيحيين فى القرون الوسطى وما بعدها .

اقتبس اليهود بعد العودة (أى من الأسر) الأفكار المتعلقة بالشيطان ، وقصة الصراع بين قوى النور ، وقوى الظلام ، وعلى ذلك أعادوا النظر فى مدلول كلمة (الشيطان) وأضفوا على شخصيته جميع صفات أهرمان الإيرانى ، فأصبح ذلك الشيطان ـ الذى لم يكن يعنى قديما أكثر من مخاصم عادى يلعب دوراً خطيراً ، وهو دور العدو القوى المناوىء لسلطان الله ـ تعالى .

وأكثر من ذلك ازدحم العالم الخفى بالملائكة الكرام أعوان الحق .

وأخذوا يشنون حربا شعواء على قوى الشر والظلام ، وهى قوى إبليس وأعوانه البشر وضلالته ..

وهذا الصراع العنيف مُستمرّ بين تلك المملكتين ... سجالا ، ولكن فى النهاية سوف تنتصر قوى الخير عندما تُرسل العناية الالهية منقذا يهزم جيوش الشيطان ، ويحطِّم مملكة الشر ـ وفى يوم القيامة والحشر ـ تجزى كل نفس ما قدمت ، ويلقى إبليس وأعوانه من الجن والبشر عذاباً أليماً فى نار جهنم وبئس القرار .

ومن هنا نشأت عند اليهود ثم المسيحيين فكرة المسيح وحربه مع الشيطان وجيوش الظلام ..

ولقد كان للدكتور لويس هيوز ميلز فضل كبير فى إماطة اللثام عما استمدته الديانة المسيحية فيما يختص بالأبْلسة والصراع بين الخير والشر من الديانة الإيرانية القديمة ..

ونرجو أن نكون قد وفقنا بما أوْردناه ، إلى إضافة زاوية أخرى على ما عالجه الأستاذ أحمد مصطفى حافظ من خلال زوايا مقالاته المتعددة فى هذا الموضوع .

والله من وراء القصد ،،،،

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبدالمجيد

من نشاط فضيلة الإمام الأكبر :

شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى يرافقه السيد المستشار عبدالفتاح غلوش محافظ القليوبية ولفيف من المسئولين حفل وضع حجر أساس كلية الدراسات الإسلامية بمدينة الخانكة .

تقام الكلية على مساحة عشرة أفدنة ويقوم رجل الأعمال السيد حسن المنايلى ببناء الكلية الجديدة على نفقته الخاصة .

قام فضيلة الإمام الأكبر بجولة تفقدية بمعاهد المحافظة رافقه خلالها السادة الذين حضروا وضع حجر أساس كلية الدراسات الإسلامية .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر الذى عقد بالمحافظة وشهدته القيادات السياسية والشعبية والتنفيذية بالمحافظة ، وصرح فضيلته فى الكلمة التى ألقاها فى المؤتمر بأن هناك خطة طموحة للتوسع فى إنشاء المعاهد والكليات الأزهرية مشيراً إلى أن الأزهر يشجع دائماً الجهود الذاتية .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير / منصور العالم سفير باكستان بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث نتائج الزيارة التى قام بها فضيلته والوفد الذى رافقه خلال شهر جمادى الآخرة حيث أعرب السيد السفير عن سعادته وسعادة بلاده حكومة وشعباً لهذه الزيارة الفريدة .

كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لحضور الحفل السنوى الذى تقيمه جمعية أصدقاء الشاعر الباكستانى / محمد إقبال بالتعاون مع السفارة الباكستانية بالقاهرة وقد استجاب فضيلته لهذه الدعوة .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بافتتاح المجمع الإسلامى بمنطقة حلوان الذى تبرعت بإقامته السيدة / هداية سلطان السالم رئيس الوفد النسائى الكويتى لخدمة المنطقة فى ٩ من رجب ١٤١٧هـ ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٩٦م .

شهد حفل الافتتاح الأستاذ الدكتور محمد على محجوب نائب دائرة حلوان والسيد وزير العدل والأوقاف الكويتى وعدد من المسئولين .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجولة تفقدية للمعاهد الأزهرية بشبرا الخيمة صباح يوم الأربعاء الموافق ٦ نوفمبر ١٩٩٦ رافقه فيها فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع

المعاهد الأزهرية وفضيلة مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام العلاقات العامة والاعلام حيث قام فضيلته بزيارة المعهد الإعدادى الثانوى الأزهرى للبنين بشبرا الخيمة ومعهد الفتيات الإعدادى الثانوى بنفس المنطقة ، كذلك قام فضيلته بزيارة المعاهد الابتدائية الأزهرية بمجمع المعاهد ببهتيم - قليوبية .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر الطلاب والطالبات بالفصول الدراسية المختلفة بالمعاهد الأزهرية التى زارها فضيلته وتابع ما تم شرحه من المناهج الدراسية منذ بدء الدراسة وحتى الآن ، وقد وجههم فضيلته إلى أهمية حفظ القرآن الكريم وما يجنيه الطلاب والطالبات من ثمار لهذا الحفظ مشدداً على ضرورة الإلتزام بما هو مقرر عليهم فى القرآن الكريم وما مضى من حفظ ، كما نصح فضيلته الطلبة والطالبات بالاجتهاد والمثابرة فى تحصيل دروسهم واليقظة والاستماع إلى شرح المعلمين ونصائحهم .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صاحب السمو الملكى / الأمير طلال بن عبدالعزيز آل سعود رئيس المجلس العربى للطفولة والوفد المرافق لسموه وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢ دار الحديث خلال اللقاء حول التعاون بين الأزهر الشريف والمملكة العربية السعودية فى كافة المجالات خاصة الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية لما للأزهر من دور فعال بناء يؤديه علماؤه وبعثاته للعالم أجمع .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر وحمَّله إبلاغ تحياته وشكره لجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين وحكومة وشعب المملكة العربية السعودية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد الرئيس/ ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين والوفد المرافق لسيادته ٢١ رجب ١٤١٧ هـ وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢م .

تناول الحديث خلال اللقاء دور مصر البناء بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى مساندة شعب وحكومة فلسطين حتى ينال كافة حقوقه المشروعة .

كذلك تناول الحديث دور الأزهر الشريف البارز فى العالم أجمع وموقفه من قضية القدس الشريف والسلام وما يقدمه من مساعدات ومنح دراسية لطلاب دولة فلسطين للدراسة بالأزهر الشريف وإمداده للجامعة الإسلامية ومعهد غزة فرع جامعة الأزهر بالعلماء والأساتذة والمناهج الدراسية .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على زيارته للأزهر مؤكداً وقوفه بعلمائه وطلابه وجميع العاملين فيه بجانب الحق ودعم القضية الفلسطينية حتى ينال الشعب الفلسطينى كافة حقوقه المشروعة وتحرير القدس الشريف .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور محمد ضيف شرار وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية الكويتى والوفد المرافق لسيادته ، حيث رحب فضيلته بالضيف وصحبه الكرام .

وقد نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الكويت : أميراً وحكومة وشعباً .

وفى نهاية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف لزيارة دولة الكويت فى الوقت المناسب لفضيلتيهما .

وقد حمله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تحياته وعلماء الأزهر إلى سمو أمير البلاد متمنيا لسموه وحكومته وشعبه الرق والتقدم .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سعادة السفيرة ماريان نون سفيرة دولة سويسرا بالقاهرة يوم ١٩٩٦/١١/٢ .

تم خلال اللقاء بحث فكرة عقد المؤتمر السنوى الذى تقيمه جامعة لوزان بسويسرا لقيادات الأديان خلال الربيع القادم وذلك لتنشيط حركة السلام فى العالم أجمع وأكدت سيادتها على ضرورة أن يحضره الأزهر الشريف لما له من دور فعال فى العالم أجمع .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهذا اللقاء الهام لخدمة عملية السلام لما فيه من أمن ورخاء .

● كذلك استقبل فضيلته معالى السيد محمد حسن طنطاوى محافظ الفيوم وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة عودته إلى أرض الوطن سالما قادما من رحلته لدولتى الهند وباكستان .

الموسم الثقافى للأزهر :

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموسم الثقافى الذى تنظمة مشيخة الأزهر وذلك فى تمام الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩٦/١٢/٣ ، وقد ألقى فضيلته محاضرة عن « المعاملات فى الإسلام » .

يقام الموسم الثقافى بقاعة الإمام الشيخ / محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف وسوف تتوالى المحاضرات لكبار العلماء والمفكرين الإسلاميين .

ويشارك فى الموسم الثقافى فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بمحاضرة بعنوان (الإسلام دين الحضارة) وذلك يوم الثلاثاء ٢٩ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/١٢/١٠ فى الساعة الثامنة مساء .

كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى جمهورية مصر العربية محاضرة عنوانها (منهج الإسلام فى بناء المجتمع وإقرار السلام) يوم الثلاثاء ٦ شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦/١٢/١٧ الساعة الثامنة مساء كما يلقى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف محاضرة عن (دعوة الإسلام إلى الوحدة) وذلك يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦/١٢/٢٤ الساعة الثامنة مساءً .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه د. حسين رمزى كاظم محافظ الشرقية والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بوضع حجر الأساس لمشروع « دار المدينة المنورة » لرعاية الأيتام بمدينة العاشر من رمضان . وذلك يوم ١٢ من رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/١١/٢٣ .

يشمل المشروع إقامة مبنيين للأيتام يستوعبان نحو (٢٣٢) يتيما ، ومدرستين ستكون الدراسة فيها تحت إشراف الأزهر الشريف ورعايته ـ بمشيئة الله تعالى ، بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع ١٣ ألف جنيه كلهما تبرعات من أهل الخير .

حضر وضع حجر الأساس المهندس سعيد

محمد وهبه رئيس مجلس إدارة مدينة العاشر من رمضان ورئيس مجلس مؤسسة المدينة المنورة الخيرية للبر والخدمات الاجتماعية ولفيف من قيادات محافظة الشرقية والأجهزة السياسية والشعبية والتنفيذية .

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة المنوفية بعد ظهر يوم الأحد ٢٩ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ١٠/١١/١٩٩٦ وقد استقبله فور وصوله السيد المستشار عدلى حسين محافظ المنوفية والسيد المستشار محمد عبدالرحيم نافع محافظ دمياط السابق والقيادات السياسية والشعبية .

وقد توجه فضيلة الإمام الأكبر ومرافقوه إلى قرية صراوة - مركز أشمون منوفية حيث قام بافتتاح معهد صراوة الابتدائى المتطور ، كذلك افتتح فضيلته معهد الفتيات الإعدادى .

ثم قام فضيلته بوضع حجر الأساس للمعهد الإعدادى الثانوى للبنين ومعهد القراءات الأزهرى علما بأن هذا الصرح العلمى أقيم على مساحة ١٥٠٠م٢ تبرعت بها عائلة علام بقرية صراوة كما بلغت التكاليف المالية قرابة المليون جنيه وبالجهود الذاتية وعلى نفقة رجل الأعمال الأستاذ/ محمد رجب .

شهد فضيلة الإمام الأكبر اللقاء الشعبى الذى عقد بالمحافظة وحضره فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود عضو مجمع البحوث الإسلامية والمستشار عبدالرحيم نافع محافظ دمياط السابق وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ومدير عام منطقة المنوفية الأزهرية ومدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف والقيادات السياسية والشعبية والتنفيذية بالمحافظة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة عن « ثواب المنفقين فى سبيل الله » . دعا فيها فضيلته أهل الخير ورجال الأعمال المصريين لبناء معاهد للقراءات فى جميع محافظات مصر مشيراً إلى الحاجة الماسة لهذه المعاهد لسد العجز فى المحافظتين وللحفاظ على علوم القرآن ، وامتدح فضيلته الدور الذى يقوم به رجال الأعمال فى إنشاء المعاهد الأزهرية فى القرى والمدن بمختلف محافظات مصر .

● قام فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة الدقهلية يرافقه معالى وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية لدولة الكويت السيد محمد ضيف الله شرار حيث قاما بافتتاح المعهد النموذجى الإعدادى الثانوى بمدينة المنصورة يوم ٢٣/١١/١٩٩٦ .

قام ببناء المعهد على نفقته بيت الزكاة الكويتى وذلك بتكلفة إجمالية تبلغ نحو المليون جنيه .

شهد حفل الافتتاح القيادات السياسية والتنفيذية والشعبية بمحافظة الدقهلية ولضيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

من ناحية أخرى قام فضيلة الشيخ محمد صبحى دياب مدير عام منطقة الدقهلية الأزهرية بافتتاح معهد البلامون الثانوى الأزهرى للبنين ، يضم المعهد ثمانية عشر فصلا دراسياً ، ويخدم طلاب الأزهر بمدينة السنبلاوين والمركز القروى بالبلامون .

تم بناء المعهد بالجهود الذاتية وتبرعات الأهالى التى بلغت ٣٥٠ ألف جنيه .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

تونس

أكد الرئيس حسنى مبارك أنه لن يكون هناك استقرار فى منطقة الشرق الأوسط إذا لم تحل قضيته حلاً عادلاً وشاملا طبقاً لمبدأ : الأرض مقابل السلام .

وقال سيادته فى المؤتمر الصحفى المشترك الذى عقده يوم الثلاثاء ٢٢ من رجب الماضى مع الرئيس التونسى عقب محادثاتهما فى قصر السعادة بالمرسا : إن مصر معنية بتحقيق السلام والاستقرار فى المنطقة . مشيراً إلى أن مصر لا يمكنها السكوت إزاء التصريحات الاستفزازية الإسرائيلية الكثيرة حول اتفاقيات السلام .

وأكد الرئيس ضرورة التزام إسرائيل واحترامها للاتفاقيات التى وقعتها ، وأعرب عن عدم جدوى التلويح بالحرب من آن لآخر ، وطالب بالعمل من أجل السلام الذى يعد المطلب الأول لشعوب المنطقة وأضاف أن الدور الأمريكى هو الدور الرئيسى ، وأن الدور الأوروبى مكمل ومساعد له .

وكان الرئيس قد وصل إلى تونس قادما من ليبيا بعد زيارة دامت يومين لطرابلس التقى فيها بالزعيم الليبى .

الكويت

أكدت الكويت أن انسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة هو محك الاختبار لصدق نيات إسرائيل فى رغبتها فى السلام الدائم والمتكافىء .

جاء ذلك فى بيان مندوب الكويت أمام الدورة الحادية والخمسين للأمم المتحدة ، وأضاف : أن الكويت تدعم موقف لبنان المتمثل فى ضرورة انسحاب إسرائيل من الشريط الحدودى المحتل فى الجنوب تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ وذلك دون قيد أو شرط ، وأكد أن إسرائيل تضع العراقيل فى وجه السلام لتوسيع المستوطنات فى كل من الضفة وغـزة ومرتفعـات الجولان والقدس .

كذلك أكد نائب مندوب دولة الإمارات العربية المتحدة فى الجمعية العامة أن الإمارات تعتبر سياسة الاستيطان المتواصلة فى الأراضى العربية المحتلة باطلة ومرفوضة ، وذلك لانتهاكها اتفاقية جنيف الرابعة لحقوق الإنسان وطالب إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة منذ حوالى ثلاثين سنة .

هذا وقد أكد رئيس مجلس التعاون الخليجى أن الموقف المتعنت من إسرائيل إزاء عملية السلام كان وراء قيام دولة قطر بإيقاف عملية التطبيع مع إسرائيل .

الريـــاض

عقد رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محادثات مع الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية وقال التلفاز السعودى : إن عرفات أطلع العاهل السعودى على عملية السلام مع إسرائيل ، وعلى التطورات الأخيرة العربيـــة والدولية ، والتقى ياسر عرفات يوم الأربعاء ٢٣ رجب الماضى بمسئولين من كل من منظمة المؤتمر الإسلامى ، و مصرف التنمية الإسلامى حول الموقف فى بلاده وكان عرفات قد تحدث فى ذات الشهر مع زعماء كل من مصر وقطر والإمارات .

الجامعة العربية

عقدت بمقر الجامعة العربية أعمال الدورة الرابعة والستين لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية على مستوى وزراء الاقتصاد برئاسة وزير الاقتصاد السورى .

وصرح أمين عام المجلس المذكور بأنه سيتم مناقشة أسس تنشيط وإنعاش السوق العربية المشتركة وإقرار الآليات والأساليب اللازمة لذلك لتطوير الاقتصاد العربى ، وأضاف أنه من المتوقع أن تودع فلسطين وثائق انضمامها إلى اتفاقية السوق العربية للمشتركة لتكون ثامن دولة عربية تنضم إلى هذه الاتفاقية .

القـــاهرة

أكد وزير الخارجية عمرو موسى أن العقبات مازالت قائمة أمام السلام فى الشرق الأوسط ، وقال ـ عقب لقائه فى لشبونه مع رئيس وزراء إسرائيل على هامش مؤتمر الأمن والتعاون فى أوربا قال : إن تحسن العلاقات بين مصر وإسرائيل مرتبط بمجرى الأحداث مؤكداً أنه يجب القيام بأعمال ملموسة لتحسين الوضع على الأرض .

وحول تصريحات نتان ياهو عن المفاوضات بين سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى وإسرائيل بشأن إعادة إنتشار الجيش الإسرائيلى فى الخليل قال سيادته :

إن أى إنجاز فى هذه المحادثات لم يظهر والمهم أن أى إتفاق لم يبرم بعد ، وأضاف قائلا : إن هناك مسائل يجب تجاوزها للتوصل إلى إبرام اتفاق مقبول من كلا الجانبين .

البوســـنة

شارك وزير الخارجية المصرى فى المؤتمر الدولى من أجل البوسنه الذى عقد فى العاصمة البريطانية الشهر الماضى ودام يومين ، وناقش فيه وزراء خمسين دولة وممثلون عن ١٤ منظمة دولية إجراءات تنفيذ « اتفاق ديتون » الخاص بإحلال السلام فى الجمهوريـــة المسلمـــة كما نوقشت الاتفاقيات الاقتصادية الخاصة بمشروعات إعادة إعمار البوسنة .

Le Prophète -b.s.- a dit: "Celui qui prend part à l'homicide d'un Musulman - même par une demi parole - rencontrera son Seigneur le Jour Dernier en ayant ceci inscrit sur son front: "Privé de la miséricorde d'Allah".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Il a dit aussi: "Si les habitants des cieux et de la terre se rassemblent pour tuer un croyant, Allah les fera tous entrer en Enfer".

«Hadith rapporté par Abu Horaïra.»

Il a dit également: "Celui qui s'approrie injustement d'un empan de terre d'un Musulman, verra cet empan - le Jour Dernier - encercler son cou avec une chaîne allongée jusqu'à la septième profondeur terrestre".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Enfin, "Celui qui brandit son arme contre nous n'appartient pas à notre communauté".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslem.»

une médisance; mais si cela n'est point, c'est une colomnie abominable".

àHadith rapporté par Abu-Horaïra.»

La médisance est un pêché très grave; quant au fait de ne pas défendre son frère, c'est aussi un grave pêché, car celui qui se tait est complice car il approuve ce qu'il a entendu. Au sujet de la médisance le Prophète -b.s.- dit: "Il n'y a point de Musulman qui ne trahisse un autre Musulman dont la dignité est bafouée, sans qu'Allah ne l'abandon ne dans une situation où il brûle d'être soutenu. D'autre part, il n'y a point de Musulman qui ne secourt un autre dans une circonstance où l'on porte atteinte à son honneur et à sa dignité, sans qu'Allah ne le soutienne lorsqu'il désire lui-même être défendu".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Il a dit également: "Celui qui défend l'honneur de son frère, Allah l'écarte du feu de l'Enfer, le Jour de la Résurrection".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

Cette fraternité dans l'amour d'Allah exige la sauvegarde du frère, de son honneur, de ses biens et interdit de le médire, de le voler, de le trahir, de le menacer, de ne pas satisfaire sa demande - si l'on en a la possibilité - et de lui porter conseil.

Il est formellement prohibé à un Musulman de porter atteinte à tout ce qui touche un autre Musulman, à savoir: son sang, ses biens et son honneur. Le Prophète -b.s.- a dit: "Il n'est point autorisé à personne de terroriser un Musulman".

«Hadith rapporté par Abu-Daoud.»

Il a dit aussi: "Celui qui effraye un croyant, Allah a promis de l'alarmer par les terreurs du Jour Dernier".

«Hadith rapporté par Al-Tabarany.»

Nos pieux ancêtres ont dit également: "Celui qui lance un regard malveillant à son frère Musulman - sans raison valable. Allah se chargera de le terroriser le Jour du Jugement Dernier".

-- Apprends alors, lui dit l'ange, qu'Allah m'a envoyé pour te dire qu'Allah t'aime parce que tu aimes ce frère pour lui, et qu'il t'a promis le Paradis".

«Hadith rapporté par Moslem.»

Même le simulacre de l'amour est demandé, le Prophète -b.s.- dit: "Voulez-vous que je vous indique un acte, si vous le faites vous vous aimerez mutuellement?". Les compagnons répondirent: volontiers. Il dit: "Offrez-vous des cadeaux et vous gagnerez l'amour des autres".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Aussi, le Prophète -b.s.- ordonna de saluer les Musulmans connus ou inconnus, il a dit à ce sujet: "Lorsque deux Musulmans se rencontrent, et que l'un d'entre eux commence par saluer, Allah fait descendre sur eux cent parts de Miséricorde, quatre vingt dix neuf parts pour celui qui a commencé par adresser le salut et une seule part pour celui qui le rend".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

L'amour des saints hommes et la recherche de leur compagnie sont un profit pour celui qui les observe, non seulement, en ce monde mais encore dans celui de l'au-delà. Dans ce monde, il profite de leur enseignement et suit leur exemple; s'il invoque Allah ils l'appuient, s'il oublie ils lui rafraîchissement la mémoire. Il a été dit: l'homme est semblable à celui qu'il prend pour compagnon. Le Prophète -b.s.- a dit: "Dans la vie future, l'homme sera avec celui qu'il aura aimé".

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

La fraternité dans l'amour d'Allah obéit à des obligations dont la plus importante est sa défense contre toute médisance même si ce qui est dit est vrai. Le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Savez-vous ce qu'est la médisance?" Allah et Son Prophète sont mieux renseignés que nous, répondirent-ils. "La médisance, dit le Prophète -b.s.-, c'est le fait de dire de votre frère ce qu'il déteste entendre. "Mais si ce que nous disons de lui est vrai? demandèrent les compagnons. "Si ce que vous dites de lui est vrai, dit le Prophète -b.s.-, c'est

La Fraternité dans l'amour d'Allah

-- 2 --

par Hoda Hussein Chaâraoui

Bien que la fraternisation en Allah amène une grande rétribution, toutefois aisée à réaliser. Le Musulman s'en acquitte par soumission à son Seigneur, en quête de Sa grâce. Il aime son frère par amour pour Allah; il est sincère avec lui, lui porte conseil, le préfère à lui-même, le défend contre toute médisance, lui rend visite quand il tombe malade et implore Allah en sa faveur. Tous ces actes ne lui coûtent rien; pourtant ils font régner la cordialité et l'entente entre les êtres... On raconte qu'un homme était chez le Prophète -b.s.- lorsqu'il vit un autre homme passer, il dit au Prophète: Ô Prophète, j'aime cet homme! Le Prophète -b.s.- lui répondit: "Va et informe le de cela". L'homme alla le rejoindre et lui dit: "Je t'aime par amour pour Allah, l'autre lui répondit: moi aussi, je t'aime pour la même raison".

«Hadith rapporté par Anas (Abu-Daoud).»

Le Prophète -b.s.- dit ans: "Quand l'un de vous aime son frere il doit le lui dire".

«Hadith rapporté par Al-Termizie.»

Il a dit encore: "Un homme alla rendre visite à un ami.

Allah lui posta en chemin un ange qui lui demanda : "où vas-tu?"

-- Je vais rendre visite à un tel, mon frère, dit-il.

-- Pour lui demander un service?

-- Non, répondit l'homme.

-- Est-ce qu'un lien de parenté te lie à lui?

-- Non, répondit-il.

-- Vas-tu le voir pour un bienfait rendu?

-- Rien de cela, dit l'homme.

-- Pourquoi alors vas-tu le voir?

-- Parce que je l'aime à cause d'Allah, dit-il.

Cet arbre décrit par le Prophète (b.s.) : *"comme enveloppé d'une couverture d'or".*

Là le Prophète (b.s.) reçut trois dons: les cinq prières canoniques, la Révélation des derniers versets de la Sourate "La Vache" et l'absolution pour quiconque ne donne point d'associé à Allah (à condition qu'il appartienne à la communauté musulmane et qu'il n'ait point commis de péchés majeurs)"(19)

Il ne faut point oublier toutefois que ce Voyage et cette Ascension Nocturnes du Prophète ont pour but de certifier par un miracle la Toute-puissance divine mais aussi le Message de Mohammad (b.s.).

En choisissant ce Prophète, élu parmi tous les prophètes, Allah a voulu lui montrer matériellement les châtiments divins mais aussi le paradis promis aux croyants.

Ajoutons à cela que le but ultime de cette ascension fut d'imposer à la communauté musulmane les prières prescrites.

---

(١٩) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : لما أسرى برسول الله انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يخرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، قال (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ، قال فراش من ذهب ، قال فأعطى رسول الله ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، غفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات (الذنوب الكبائر التى تقحم أصحابها بالنار) .
صحيح مسلم : بان الايمان (باب انتهاء النبى إلى سدرة المنتهى فى الاسراء) ص ٢٨ .

Il existe en outre plusieurs Hadiths authentiques qui en font foi et qui montrent que le Prophète n'a jamais rapporté que ce qui lui était commandé :

Dans un Hadith recueilli par l'Imam Ahmad Ibn Hanbal on rapporte que le Prophète a dit: *"Je ne dis que la vérité"*(15) **ou encore :**

"Ecris. Je jure par Celui dont ma vie est entre les mains que je ne prononce que la vérité"(16)

Dans un Hadith tiré de Sahih Moslem la vision béatifique de la Lumière divine est décrite comme une lueur aveuglante :

"Allah est caché par un écran de lumière. Si cet écran venait à disparaître, les rayons émanant de la face divine brûleraient tout à perté de vue."(17)

Au sujet de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement on trouve le Hadith suivant qui rapporte ces paroles du Prophète Mohammad (b.s.) *"Je fus emporté jusqu'à l'Arbre Lotus de L'Aboutissement: il était couvert de couleurs indescriptibles. Ensuite je fus introduit au Paradis: là je vis des cordes de perles tresséés et du musc recouvrant le sol."*(18)

"Au cours de son voyage, le Prophète atteignit. "L'Arbre Lotus de L'Aboutissement qui se trouve au sixième ciel. C'est là la limite fixée aussi bien pour ceux dont les âmes remontent de la Terre après la mort, que pour ceux qui descendent des cieux. Le Prophète cita alors; *[Au moment où l'Arbre était enveloppé par ce qui le couvrait].*

---

(١٥) وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحيا أو من وراء حجاب (الشورى) « لا أقول إلا حقا » أخرجه الإمام أحمد ـ مختصر تفسير ابن كثير (المجلد الثالث) .

(١٦) « اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق » (اخرجه أحمد وأبو داود) .

(١٧) عن ابى موسى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال : « إن الله لا ينام » ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . مختصر صحيح مسلم ص ٣١ (باب فى رؤية الله) (م ١١١/١١) .

(١٨) « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الأقلام » ففرض الله على أمتى خمسين صلاة .. ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل (وفى رواية : جنابذ) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك . مختصر صحيح البخارى ص ١٠٠ (كتاب الصلاة) (ابن شهاب) .

Par ailleurs, le onzième verset de la Sourate "L'Etoile" où l'on trouve :

[Le coeur n'a point menti au sujet de ce qu'il a vu][11] **a amené les glossateurs à se demander si Mohammad (b.s.) a vu Allah, tout comme Moïse Lui a parlé.**

Or dans un Hadith où Abou Therr demandait au Prophète (b.s.) s'il avait vu Allah Mohammad (b.s.) répondit: *"j'ai vu une Lumière".*

D'autre part, on rapporte dans un autre Hadith que l'épouse du Prophète, Aïcha, a dit: *"Celui qui t'a dit que Mohamed a vu son Seigneur t'a menti et elle a cité les versets suivants: [Les regards des hommes ne l'atteignent pas mais il scrute les regard]*[12].

Sourate "les Troupeaux" (v. 103)[13]

Ajoutons à cela, ce verset tiré de la Sourate "La Délibération" (v. 51) :

[Il n'a pas été donné à un mortel qu'Allah lui parle si ce n'est pas inspiration ou derrière un voile].

Sourate "La Délibération" (v. 51)[14]

Cet écran fut en effet la lumière éblouissant que le Prophète (b.s.) vit sur l'Arbre Lotus qui était comme voilé par un écran lumineux et qui lui apparut couvert sur chaque feuille d'anges chantant les louanges d'Allah. Cet arbre situé au septième ciel est la dernière étape que franchit l'âme de celui qui quitte la terre; c'est pourquoi il porte le nom de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

D'ailleurs, la sincérité du Prophète Mohammad (b.s.) ne fait point de doute. Bien avant la Révélation du Message, il avait été surnommé par les siens "le sincère et le probe".

---

(١١) « مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰ » سورة النجم (آية ١١) .
(١٢) « من حدثك ان محمداً رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت :
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ » سورة الأنعام آية ١٠٣ .

13. Autre traduction: Les yeux des humains ne peuvent l'atteindre mais Lui voit tout.

14. وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ (سورة الشورى) ﴿٥١﴾

Et il révéla à son serviteur[8] (ce qu'il lui révéla]

Sourate l'Etoile (v. 1 à 10)

Les versets 5 à 10 de cette Sourate font allusion aux deux fois où le Prophète a vu Gibril sous son aspect véritable: la première fois, à la demande de Mohammad (b.s.) au début du Message (il a bloqué l'horizon avec ses six cents ailes) et la seconde fois durant l'Ascension nocturne près de l'Arbre Lotus de l'Aboutissement.

Le texte divin certifie ainsi que le Prophète Mohammad (b.s.) était en pleine possession de sa raison, qu'il a dit la vérité et qu'il n'est point un égaré qui divague[9].

Allah nous apprend ainsi que le Prophète (b.s.) a fait part d'une Révélation et qu'il n'a fait que rapporter fidèlement ce qu'Allah lui a donné l'autorisation de dire. Ceci est confirmé par les versets suivants dans lesquels Allah fait serment sur la véracité de toutes les paroles de Mohammad (b.s.).

[Je jure par ce que vous voyez
et par ce que vous ne voyez pas :
c'est là, en vérité, la parole d'un noble Prophète;
ce n'est pas la parole d'un poète;
- votre foi est hésitante -
ce n'est pas la parole d'un devin;
- comme vous réfléchissez peu -
c'est une Révélation du Seigneur des mondes!
S'il nous avait attribué quelques paroles mensongères ...][10]

Sourate "Celle qui doit venir" (v. 38 à 44)

---

(٨) وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
سُورَةُ النَّجْمِ

(٩) ما زاغ البصر : ما ذهب يميناً ولا شمالا
وما طغى : ما جاوز ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطى .

(١٠) فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾

سورة الحاقة (آية ٣٨ إلى ٤٧) .

Dans le commentaire du premier verset de la Sourate "Le Voyage Nocturne", les exégètes se sont fondés sur les faits suivants pour affirmer que le Prophète (b.s.) a effectué ce voyage avec son corps et que ce n'était point un songe:. En voici les preuves :

— La glorification, d'Allah au début du verset certifie qu'il s'agit là d'un miracle (un rêve ne nécessite pas de preuves à l'appui) et que le Prophète a été transporté grâce à un pouvoir surnaturel (emploi de la voix passive)(6)

— D'autre part si c'était l'âme seule, et non le corps, qui s'était déplacée le Prophète n'aurait pas eu besoin de monture.

— Allah a certifié que c'était pour lui faire voir(7) des signes: Il est question de la vue du Prophète. Or la vue est l'un des cinq sens et elle exige l'usage d'un organe (l'oeil) faisant partie du corps humain.

On peut donc en conclure que ce voyage a été effectué matériellement par le Prophète (b.s.)

Les commentaires de la Sourate "l'Eloile" viennent éclairer davantage ce Voyage Nocturne en précisant le but de ce voyage et de cette ascension.

[Par l'étoile lorsqu'elle disparaît !
Votre compagnon n'est pas égaré;
Il n'est pas dans l'erreur
il ne parle pas sous l'empire de la passion.
C'est seulement une Révélation qui lui a été inspirée.
Le Puissant, le Fort la lui a fait connaître.
Celui qui possède la force s'est tenu en majesté,
Alors qu'il se trouvait à l'horizon suprême :
Puis il s'approcha et demeura suspendu.
Il était à une distance de deux portées d'arc - ou moins encore.

---

6. [Celui qui a fait voyager de nuit son serviteur]. « الذى أسري بعبده »

7. [Pour lui montrer certains de nos signes]. « لنريه من آياتنا » .

Allah venant ainsi en aide à Son Envoyé voulait démontrer le bien-fondé des dires du Prophète devant les incrédules.

Or, on ne doit point s'étonner que le Prophète Mohammad (b.s.) ait parcouru cette distance en si peu de temps. A notre époque, et grâce aux découvertes de la science, les hommes ont réussi à parcourir de très grandes distances en un temps très court. A l'époque de Mohammad (b.s.) cela semblait incroyable.

Ce n'est là qu'un des signes de la Toute-puissance divine.

Ajoutons à cela que s'il s'agissait d'un songe personne n'aurait eu lieu de s'en étonner; mais le Prophète (b.s.) a donné à ses contemporains des témoignages qui prouvent qu'il a effectivement et physiquement accompli ce voyage (Al Isrâ) de la Mecque à Jérusalem (la caravane rencontrée sur la route et le chameau égaré, la description du Temple, ... etc.).

Selon, un savant éminent, le Cheikh Châ'rawi[4], ces preuves données par Mohammad (b.s.) et vérifiées par les faits n'étaient qu'un préambule pour convaincre les contemporains du Prophète du récit de l'Ascension (Al Mi'rag) qui devait leur paraître encore plus extraordinaire. En effet, une fois que les hommes sont convaincus que, par Sa toute-Puissance, Allah a donné à son Prophète le moyen de se libérer des limites spatiales et temporelles. Il peut, de la même manière, l'élever à des hauteurs jamais atteintes et inaccessibles à tout être vivant.

Dans son commentaire de la Sourate "Le Voyage Nocturne", le Cheikh Châ'rawi nous dit :

"Lorsque le Coran a évoqué le récit du Isrâ, il l'a fait explicitement, mais lorsqu'il parle du Mi'rag il le fait "implicitement" (i.e. conformément aux preuves préalablement données pour Al Isrâ).[5]

---

4. Considéré comme l'un des plus éminents exégètes et glossateurs du Coran à l'époque actuelle.

(٥) « والقرآن حين تعرض لحديث الإسراء تعرض له صراحة ... وعندما تحدث عن المعراج تعرض له كما يقولون التزاما » الشيخ الشعراوى فى الأخبار ١٩٨٩/١٠/١٣ م .

"Le Voyage et l'Ascension nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.)"

par Dr. Rokeya Gabr

La seule ascension au royaume d'outre-tombe qui eut lieu en réalité est celle du Prophète Mohammad (b.s.) Elle est certifée par le Coran[1] et confirmée par les Hadiths dont les chaînes de transmission ont été vérifiées par les traditionalistes.

Que les récits et les légendes forgées par l'imagination des poètes et des écrivains à partir du Mirag de Mohammad (b.s.) aient pu s'inspirer de légendes antérieures, cela est fort possible. Mais ce n'est point là un argument sur lequel on peut se fonder pour nier que le voyage et l'ascension de Mohammad (b.s.) ont eu lieu réellement comme nous allons le démontrer avec des preuves à l'appui.

Tout d'abord, la véracité des paroles du Prophète (b.s.) ne fait point de doute pour un Musulman, d'autant plus qu'elle a été vérifiée comme nous allons le prouver :

Aux Koraïchites[2] qui restaient sceptiques devant le récit du Prophète (à cette époque il était inconcevable qu'en une nuit on pût faire le voyage aller -retour de la Mecque à Jérusalem), l'Imam Ahmed Ibn Hanbal nous rapporte le Hadith suivant: Selon lui, le Prophète Mohammad (b.s.) a dit: "*Lorsque les Koraïchites me démentirent au sujet de mon voyage à Jérusalem, je suis allé au Hijr de Ismaïl, alors Allah présenta à ma vue le temple et je me mis à le leur décrire tel qu'il se présentait devant mes yeux*[3]

1. Rappelons que le Coran est le Verbe Incarné, c'est la Parole de Dieu immuable et conservée intégralement jusqu'à l'éternité.
2. Noble tribu de la Mecque.

(٣) « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس ، قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VIII

Shaaban 1417 H. December 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Ibn Zaid Ibn Haritha, to investigate the cities of Albalqa'a and Alda-room of Palestine. But the prophet (PBUH) died before he could achieve this task. As soon as Abu Bakr became the caliph, he ordered the same squadron to fulfil the task which had been appointed by the prophet (PBUH). It was only three years after the prophet's death, that the Muslim forces were able to regain Damascus from the Romans, and they had already commenced the downfall of the Roman sovereignty over Egypt and North Africa.

In short, it can be said that the Tabook battle had powed the way for the coming of the great epach of the well known Arab conquests through which the Arabs were able to rule and govern vast areas to the east and west of the Arabian Peninsula and they were even, able to reach Europe which, at that time, had been living in its dark ages.

ding the proposed tactics of each specific battle. But as for the battle of Tabook against the Romans, the prophet (PBUH) had ordered the Muslims openly to fully prepare themselves in order to take part in the battle.

Within the time which had been determined by the prophet, the Muslims managed to complete their preparations and assemble the greatest army, nearly 70,000 militants, the Arabian peninsula had ever seen. The army held been enthusiastic to defend its monotheistic doctrine regardless of the huge force of the Roman army, the magnitude of the distance to be marched, the unsufficiency of the supplies and the roughness of the roads which they had to cross. Each camel was shared, during the march, among 10 militants, one hour of riding was allowed for each of them. The only food supplies were composed of dates and barely, each one of the warriors was given only a few dates.

After a 15-day march, the Muslims reached Tabook, in an attempt to challenge the greatest army the world had ever known at that time. However, there was no confortation between the two armies, because the Romans retreated to the north after they had been informed of the massive Muslim army.

In the meantime the prophet (PBUH) had established a peace settlement with a number of the Arab christian tribes. Then, the Muslim returned to Medina after they had been able to frighten off both the Roman army and the Arab christian tribes who were their supporters. Later on, after the prophet (PBUH) settled in Medina one by one these tribes began to declare their believe in Islam.

The prophet's successful challenge against the Roman Empire was a turning point in the history of Islam. It had raised the marale of the Arab Nation in the face of its enemies, no matter how powerful they were. After they had been afraid of a Roman attack against their lands, they became eager to attack the Romans in their own lands.

This great challenge had been the first step towards the Roman colonies in Damascus, Egypt and North Africa in order to regain them for the Arab Nation. During the same year of his death, the prophet (PBUH) had ordered a squadron, under the leadership of Usama

Though there prophet (PBUH) was seeking revenge, yet he urged his army to fight only the enemies of Allah, and not to kill hermits, women, children and aged people. The prophet (PBUH) also urged the militants neither to cut off trees, nor to demolish houses. This battle, due to the Romans' support to the Arab Christian tribes, ended in the tactical withdrawal of the Muslims. During this battle, the Muslims had learned a lot of new military experiences, concerning organization, weaponary, war tactics, consequently they had become more experienced to fight the Romans during the battle that followed.

In fact, one of those who had received letters from the prophet (PBUH) was Hercules the Roman Caesar. On receiving the letter, Hercules consulted with the tyrannical Roman ruling class concerning it, and all of them were unanimous in refusing to take it into consideration.

This meant that the Romans had decided to oppose the doctrine of the Oneness of Allah after they had been able to defeat the Persians. The Romans, in fact, had already decided to attack the Muslims after they had come to realise that the Arab Christian tribes alone did not have sufficient strength to undertake such a task. Moreover, the Romans had been very disappointed when they had disconvered that a lot of Arab Christians had declared the faith in Islam under the protection of the prophet (PBUH).

Blinded with hatred and alarmed by the thought of losing their undisputed soverignty over their colonies, the Romans had incited the Christian tribes of Lakhm, Juzam and Ghassan to make their preparations to march against the city of Islamic Revolution in order to prevent the Islamic doctrine from spreading into Syria.

On being informed of the Roman military preparations, the prophet (PBUH) ordered the Muslim to prepare themselves for a fierce confrontation with the Romans. Muslims started to get ready for this decisive battle during the nineth year of Hijra after defeating paganism in Mecca and the Jews at Khaibar and after establishing a secure Islamic society along the whole length of the Arabian Peninsula right up to the borders of Damascus and Iraq.

It was the prophet's custom to attempt to mislead his enemies, before any battle against them, by spreading false information regar-

the Muslims' Caravans on their way to Damascus, in order to satisfy the idolaters who had been their allies. The prophet, at that time, had been greatly patient and tolerant with these Christian tribes hoping that one day they would come to their mind, free themselves from subordination to the Romans, and return to their Arab Nation and restore they loyalty to it.

Going too far in their provoking attacks against the Muslims' caravans, the prophet feared that the continuous attacks against the Muslims would lead to the invasion of Medina so he had decided to stop this tyrany.

During the fifth year of Hijra, the prophet (PBUH) had been informed that a group of Arabs, in a placed called (Dawmat Al Jundul) had been attacking Muslims travelling through that area, moreover, they had been intending to attack Medina. So, 1000 militants under the leadership of the prophet (PBUH), set out on an expedition against this group of Arabs. On being informed of the Muslims' campaign, the Arabs at (Dawmat Al Jundul)scattered immediately before the Muslims could get hold of them.

During the six year of Hijra, the battle of Hudaybiyya took place, and, thereafter the road became completely secure against the Qureish. In the meantime, the prophet (PBUH) had started to send his envoys to the different Kings, emperors and rulers of the surrounding nations urging them to believe in the Oneness of Allah. Among those who had received letters from the prophet (PBUH) were the ruler of Damascus Al-Harith Al Ghassani, on behalf of the Roman Ceasar, and the King of Busra, both of whom were Christian Arabs. However, the ruler of Damascus had thrown away the prophet's letter and the King of Busra had not received the prophet's letter because the ruler of Mu'ta had captured the prophet' envoy and killed him. At that time the prophet had no other choice except teaching these Christian tribes an unforgettable lesson like that which he taught the Jews who were driven out of the lands of the Arabs because of their tyrany and treachery.

During the eighth year of Hijra, the prophet (PBUH) ordered an army of 3000 militants under the leadership of Zaid Bin Haritha to move towads Busra to exact revenge for the murder of his envoy.

who had exploited the people and used them to satisfy their personal interests. Moreover, their is also a well-known established fact that the Muslims had not enforced or compelled the Jews or the Christians to belive in Islam because this would contradict the freedom of belief propagated by Islam.

The first direct relationship between Muslims and the "Formal" Christianity took place when the Muslims emigrated to Ethiopia to save themselves from the tyrannical idolaters of Mecca. These Muslims had been treated with humanity by the Negus of Ethiopia who was a Christian.

At that time, the information concerning the prophet (PBUH) and his new promising religion had been penetrated into the Roman Empire. The Romans had been informed of the conflicts between Muslims and the idolaters, the attitude of Islam regarding the beliefs of the Jews and the Christians, the evacuation of the Jews of Bani Quyanqa'a and Bani Al Nadheer from the Arab lands, the defeat of the Jews of Bani Qurayza; and the readiness of the Muslims to launch a military compaign against the Christian Arab tribes who had been attacking the Muslims' caravans at the borders of Damascus. However, the Roman Empire had remained immobile in the face of the Islamic Revolution which had been marching in the Arab desert. In fact, the Romans had been compelled to neglect the Islamic Revolution, for the time being, under the pressure of the defeat which had been inflicted upon them by the Persians.

In 614 A.D. Khausrah, the King of the Persians, succeeded in defeating the Roman army, thus occupying Damascus, Antakia and Jerusalem, also the Persians occupied Egypt in 619 A.D. But in 628 A.D. Hercules the ceasar of the Romans launched a counter attack against the Persians and regained all the lands which had been occupied by them. However, the defeat of the Romans had occured, nearly, between the fifth year after Revelation and the Hudaybiyya peace treaty which took place 19 years after the Revelation.

Henceforth, int eh absence of the defeated Roman Empire, Arab Christian tribes along the northern borders had taken on the responsibility of opposing the Islamic Revolution since the Muslims had emigrated to Medina. In addition, these Christian tribes had attacked

by they worldly pleasures and their greed for wealth. Like the Jewish Rabbis, the Christian priests tried, whenever possible, to tarnish the image of Islam and undermine it.

In short, it can be said that neither Judaism nor Christianity, after they had been Changed and altered by the Rabbis and the priests, had been able to provide humanity with a perfect form of monotheism, and it was not until the Revelation of Islam that humanity was given this perfect form of monotheism.

Since the beginning of the Revelation, Islam could not but confront the false doctrines such as Judaism and Christianity which had overrun the Arabian peninsula. During this confrontation, Islam had aimed at restricting these conflicts, against the other doctrines, to the sphere of controversial debate. But the Jews had refused from the very beginning to believe that Allah had sent to the people an Arab prophet though they had been informed, in advance in the Torah, that Muhammad (PBUH) is the prophet of Allah.

Henceforth, since the advent of Islam, the Jews had declared themselves to be the enemies of Islam and the prophet, and had also violated their treaties with the prophet (PBUH). This antagonistic attitude against Islam, therefore, resulted in the transformation of the conflicts from the level of intellecutal debate into war against the Muslims. Consequently the Muslims were forced to respond to their challenge by a challenge in the same language, lasting until they had succeeded in destroying the Jews and driving them out of the Arabian lands.

As it did with the Jews, Islam had followed the same controversial debate with the Christians, doing its best to draw their attention to the errors which had been committed by their priests concerning monotheism which had been declared by Jesus Christ. Therefore, since its onset, Islam tried to refute all the prevailing fallicies with an abundance of proof. The prophet (PBUH), as well, had urged the Arab Christians to believe in the Oneness of Allah by means of using intellectual measures.

In fact, Islam had touched the hearts of a great number of Christians who adopted it after they had been convinced that it was monotheistic doctrine, freed from the tyrannical authority of the priests

9. The Creat Battles of Islam Tabook : The First Challenge Against The Western World

By : Nahed M. Wasfi Ph.D

Since the beginning of the Revelation, Islam had constantly urged the people to believe in the Oneness of Allah Who is Eternal and Everlasting. Islam, since its advent, has been universal in its nature as it has taught both the Muslims and all other people that, all the religions sent by Allah are similar in all times and places, moreover, the teaching of all religions refer to the essence of reality; which is the Oneness of Allah and the performance of righteousness. This reality has been the message of all the prophets who came prior to Muhammad (P.B.U.H). Henceforth, Islam, since the very beginning, has always tried to affirm one clear fact, that there is not any kind of conflict between it and any of the prior religions, Judaism and Christianity.

In spite of this quite evident reality, i.e. there are no essential basic conflicts between the essence of all religions, yet the Christian Priests and the Jewish Rabbis had done their best to distort the image of Islam to satisfy their self interested and wicked desires.

When Islam emerged, it has found that the former religions, Judaism and Christianity, had deviated from the right path. The priests and Rabbis, who were responsible for safeguarding their religions, have only had the desire to accumulate wealth and to satisfy their thirst for sovereignty and worldly pleasures.

The Jewish Rabbis had played a great role in maring the image of Judaism by deliberately misinterpreting its principles. Such deviations from the essence of their religion and the misleading falsehood which have therefore resulted from the false interpretation of the Torah, had been committed by the Rabbis to satisfy their mean wicked ends. These Rabbis had distarted and changed the real text of the Torah.

Christianity, in fact, has not been more fortunate than Judaism for it had been distarted and mared by the priests who were obsessed

The caller to Islam is expected to persevere and stand fast in the face of difficulties. His belief in the truth of his message and its strength should be his source of patience and persistence. knowing that he depends on Allah, should provide him with an inner strength irrespective of the materialistic means .

The preacher must have a depth of understanding of the teachings of Islam. He should fully comprehend the spirit as well as the laws of the religion and do that base on the original sources : The Quran, the Sunnah, and other responsible reliable Islamic origins. That would provide him with a clear picture of Islam, its laws objectives, etc. If he understands it well, then he can communicate it to the people. This requires having special, well-planned programs and institutions to prepare the preacher from his early stages of development. He would thus be able to contribute to the course of Da'wa. However, he should always remember that no matter how knowledgeable he may be, he should never stop seeking a better understanding .

For the preacher, to be effective in delivering his message to is listeners, his knowledge should not be one of limited scope, rather it should be wide, varied and deep at the same time. At all times, he should remember that no matter how well he understands what his teacher explained, his teacher will still have a more global view of the issues, a deeper more concrete understanding by virtue of his experience. The Holy Quran provides the most fundamental methodology of Da'wa .

"Invite all to the way of Allah with wisdom and beautifiul preaching. And argue with them in ways that are best most gracious. For Allah knoweth best who has strayed from His path. And those who accept guidance. (Surat Al-Nahl, XVI, 125) .

Allah, honestly accurately and sincerely. Even though, he was human, he cleansed himself from all personal ambitions, aspirations and inclinations or longing for life's temptations. He thus excelled as a human being by controlling his human desires .

Undertaking Da'wa does not by itself make the preacher a better person. What makes a person better suited for Da'wa is his abundance of patience, true belief, sacrifice and persistence. He does not have nor is he expected to have super human qualities to have super human qualities to foretell the future, forgive sins, control people's livelihood, etc ... If a preacher behaves as though he possesses those powers then his Da'wa is false and so is he. The best we could do as humans is to control our desires and instincts and not fall for life's temptations. The advancement we achieve this way is internal and we are rewarded for it as humans .

The preacher should literally live his Da'wa since he will be viewed as an example or model of what he is preaching. He has to have tremendous inner strength to control his behaviour, beliefs and actions so he can be an accurate reflection of the message. The preacher takes it upon himself to stand in support of sincere believers and not be on the side of those fighting the call to Islam, following thier own desires and closing their ears and hearts to the message of Allah .

The preacher's approach should be one of befriending the sincere believers, forgiving their minor insensitivities. A preacher who follows that route strengthens his beliefs and ensures that he does not end up forcing his message on someone but rather have them embrace it willingly .

The responsibility of Da'wa is not an easy one to undertake. Da'wa path is full of obstacles and requires endurance, persistence and patience.

The objective of Da'wa is to bring guidance to the whole of mankind, that is why the preacher should not get angry whatever obstacles he may encounter. Da'wa is for everybody, not only for the believers. Islam worries about all people, about the integrity of society as a whole and about the security, prosperity and happiness of all mankind .

Muhammad ibn Abdullah, the last Messenger of Allah, spent his entire life inviting people to the truth, i.e. the Deen of Allah. His method was simple. It consisted of presenting cogent arguments with compassion and wisdom, without giving offense to anyone and without getting involved in irrelevant debates. The Holy prophet, did not seek himself a position of leadership or prestige or special honour or wealth. Instead, he trusted the human intellect and expected the human mind. Not once in his entire life can anyone find a single instance or hint of his method of force or threat. Instead, he believed in the freedom of choice and in the acceptance of truth.

By his personal example and through his teachings, the prophet exhorted his followers to appeal to the inner goodness and sense of truth and honour in the individual to persuade him to the right path. This approach makes Islam and invitation to Islam or dawa free of all constraints-constrains of time, place, race, colour or creed .

The Our'an clearly specifies what constitutes Dawa. Dawa in Islam is to proclaim Islam as the religion of Allah. The Our'an is the book of Allah; and the Message of Islam of for all mankind and forever .

The individual undertaking the responsiiblity of Da'wa is first and foremost a human being. Being a preacher does not change that human nature. The Prophet himself the model for Da'wa, declared he was a mere mortal, a human being undertaking to deliver a Message from

loyalty and demostrates his strength and his wilingness to procedd with his Da'wa despite any difficulties or challenges he may encounter .

Anyone who undertakes Da'wa must accept criticism with open-mindedness. The loyal. trustworthy preacher is required to accept criticism from opponents and scoffers and must respond to them politely with strong and convincing arguments and point out to them the truth and the soundness of Da'wa. If opposition increases and the discussion gets out of hand, the best thing to do is not to fight but to cut it short and leave because Da'wa should not deviate from wisdom, exhortation and polite discussion. To avoid any suspicion of direct or indirect coercion, the preacher should not associate with those who stubbornly oppose the truth of Da'wa. Avoiding those who oppose the truth is an expression of dissatisfaction but it leaves the door open to those who want to reconsider and accept the truth once they have thought about it and have been convinced by it .

Anyone who undertakes Da'wa must confront evil with good. The Message of Islam includes rules to improve and refine human behaviour; so if it is rejected or reviled, the preacher must remain benevolent and considerate. He must confront evil with kindness because Islam does not repel evil with evil, stubornness with recalcitrance or falsification with fallacy. The discussion must always remain courteous and the dialogue rational .

The preacher must not get tired to repeat his call to the truth. He must emphasize the fact that Allah forgives sins and overlooks the pasr, and he must warn of the terrible consequences of a continual rejection of the truth. By giving hope to people that they will be forgiven, by giving them confidence in Allah's mercy, the preacher can soften the most cruel hearts and encourage the most desperate .

bringing material or leadership. It is not a profession bringing material or spiritual profits to the one who exercises it. It is just preaching values and ideals for the sake of Allah. None of Allah's Messengers, peace be upon them, asked for material rewards for transmitting their message and fulfilling their mission. They believed Allah would reward them in the hereafter and gave an example of absolute selflessness and devotion .

Da'wa is pacific. The call to Islam is based on peace. Islam does not ask its followers to fight oppenents of Da'wa just because they reject Islam. Allah allowed believers to fight only to repel an aggression in order to allow Moslems to worship and lead their life according to the principies of their religion. Moslems are not supposed to fight to conquer, expand, oppress, exploit or rob people out of their wealth .

The call to Islam means peace in the literal as well as the figurative sense and whoever wants to spread the word must behave accordingly, showing faith and love but also courtesy, compassion and kindness. Da'wa is gentle in its ways and means .

The message of Islam must be presented with honesty. The transmission of the Islamic message requires honesty and trustworthiness, nothing has to be added to it or omitted, nothing must be concealed or falsified. The preacher must show his conviction and his faith in what he is preaching and at the same time emphasize the fact that the message is a Divine Message and that he is only transmitting it. This is a difficult test for preacher and only those who are absolutely honest can pass it. He musi show that truth is indivisible and that Islam does not accept half-baked solution. All the principles of Islam are based on the belief in the oneness of Allah. To be loyal to the values and principles of Islam, the faith of the believers must be based on conviction and choice. To insist on the truth and present it candidly shows the preacher's honesty and

DA'WA IN ISLAM

By : Dr. Tawfik M. Shahin

Da'wa is the call of Islam to ALLAH, the call to the highest ideals of mankind. So, anyone who undertakes Da'wa must be totally devoted to truth and reality. He must avoid any embellishment or ingratiation. Anyone who undertakes Da'wa must consider it as a general invitation extended to every human being whether he is close to him or far removed. He must not discriminate against any group of people. He must be tolerant and avoid anger or hate even towards those who reject the Da'wa .

Anyone who calls to Islam must do it without exercising any undue pressure or coercion because Da'wa is the call to ideals such as peace, non-aggression, respect of the dignity of man and his basic rights. Whoever accepts guidance does it for the good of his own soul and whoever strays harms himself. people must accept Da'wa of their own free will and be allowed to use their right to choose to agree to it or reject it. This is the way to preach Islam, using the best arguments without forcing anybody and without deviating from the truth .

Da'wa is an expression of faith and love. It is an objective in itself and not a means of gaining wealth or leadership. It is not a profession

AL-AZHAR MAGAZINE

Shaaban 1417 H.

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol. 69 Part-VIII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

- **الافتتاحية : جناحا الإيمان فى الإسلام**
لفضيلة الدكتور على الخطيب ١٠٧٣
- **من تفسير سورة البقرة**
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٧٦
- **احذروا العرَّافين والمنجمين**
للشيخ/أحمد بن محمد طاحون ١٠٨٤
- **قبس من أنوار النبوة (أنت ومالك لأبيك)**
للشيخ/ على حامد عبدالرحيم ١٠٨٩
- **كفارة القتل : دراسة مقارنة**
للدكتور / السيد رضوان محمد جمعة .. ١٠٩٣
- **رحمة الإسلام بالطير والحيوان**
للشيخ/ محمد حافظ سليمان ١١٠٢
- **النزعة العقلية عند الإمام الشافعى**
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١١٠٧
- **مدينة القدس**
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ... ١١١٧
- **استفتاءات القراء**
للشيخ/ السيد العراق شمس الدين ١١٢٥
- **طرائف ومواقف**
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ١١٢٨
- **من أعلام الأزهر (الإمام الظواهرى)**
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١١٣٠
- **الشعر والشعراء**

تقديم د . محمد عبد الحكيم محمد
- **الأزهر يحتفل بذكرى الشاعر إقبال**
- **إقبال والكلمة .. قصيدة**
للأستاذ الدكتور/ سعد عبدالمقصود ظلام ١١٤٤
- **هذه شريعتنا** .. للشاعر/ محمد التهامى . ١١٤٦
- **غرور الإنسان ..**
للشاعر/ محمد عبدالرحمن صان الدين . ١١٤٧
- **محمد إقبال والمدينة الفاضلة**
للشاعر/ رشاد محمد يوسف ١١٤٨
- **من روائع الماضى**
للأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات ١١٥٣

- **العلوم الكونية**
- **الهواء الجوى وتصريف الرياح**
الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١١٥٨
- **الصحة الانجابية (٦)**
للدكتور/ أحمد رجائى عبدالحميد ١١٦٢
- **دور العبادة فى الإسلام والتنشئة الاجتماعية**
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١١٦٦
- **الجديد فى العلم والتقنية**
إعداد : د/ نجوى السيد أحمد ١١٦٩
- **المؤتمر الاقتصادى لأفريقيا والشرق الأوسط**
عرض وتقديم/ أ. أحمد تقى الدين ١١٧٢
- **اللغة والأدب والنقد**
- **من تراث المحقق**
محمد أبى الفضل إبراهيم ١١٧٨
- **طبقات المحققين والمصححين**
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١١٨٤
- **شياطين الشعر فى الأدبين العربى والغربى**
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١١٩١
- **بين المجلة والقارىء**
تقديم الأستاذ : عادل رفاعى خفاجى .. ١١٩٦
- **أنباء مكتب الإمام الأكبر**
أ. عمر البسطويسى ،
أ. مصطفى عبدالمجيد ١٢٠٠
- **أنباء العالم الإسلامى**
إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير . ١٢٠٤
- **القسم الفرنسى** ١٢١٧
- **القسم الانجليزى** ١٢٣١

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

هل نصحب الملائكة كما تصحبنا ..؟

إنه ليس أكرم صحبة للمؤمن من بعد هذا الكتاب الكريم .. من بعد هذا القرآن ، من صحبة الملائكة .. ملائكة الرحمة ، وبخاصة فى رمضان .

فهم رحمة أبدا ، إن رأوا من مؤمن خيراً شهدوا ؛ فكانوا خير الشاهدين ، وإن رأوه مستغفراً من زلة شاركوه ؛ فكانوا أطيب المستغفرين ، وإن دَعَوْا ربهم من أجله أجيبوا ؛ فإنهم أخشع الضارعين .

إنهم كرام أبدا ؛ لأنهم خير أبدا .

فأين منا يكونون .. ؟

وماذا نفعل ليصحبون .. ؟

فى الحق ما تركت الشريعة طريقا إليهم إلا هدتنا إليه ، فذكره القرآن الكريم ، وبسطته السنة الشريفة .

ثم هم يطلبون المؤمن قبل أن يطلبهم ، ويسعون إليه قبل أن يقصدهم ؛ لأنهم كرام باذلون . يصحبون المؤمن حارسين ، ويلقونه ـ لإخلاصه ـ مبشرين ، ويجدون من أجله مستغفرين ، ويسعون إليه ـ لورعه ـ ملهمين .

وإن لهم من الطيبات للمؤمنين ما يفوق الحراسة والاستغفار ، والبشرى والإلهام .. وعلم ذلك عند الله ربى ... رب الخلق رب الكرام .

●●●

هؤلاء الملائكة الرحماء يصحبوننا جماعات ، ويصحبوننا أفراداً :

فمنهم الجماعة الطوافون : يذرعون الأرض طولا وعرضا ، فإذا وجدوا جماعة مؤمنة جلست لخير التفوا بها ، فالتفت بهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، ثم صعدوا بنبئهم إلى ربهم ـ وهو بهم أعلم ـ شاهدين مستغفرين .

ومنهم الجماعة تلزم المسجد ، وبخاصة مقدمته حيث الإمام ، والصفوف الأولى ، وأوتاد المساجد ، وليس الأوتاد ـ هنا ـ أعمدة المساجد ، بل رجالى يحرصون على عمارتها ، حبب إلى كل منهم المسجد فلزموه عند كل صلاة فَحَظَوْا بصحبة خاصة لفريق من الملائكة يفتقدونهم إن غابوا ، ويعودونهم إن مرضوا ويعينونهم إن احتاجوا .روى أبو هريرة قال . قال رسول الله ﷺ :

« إن للمساجد أوتاداً ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم[1] ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم » رواه أحمد .

وتصحبنا كراماً ... أفراداً :

فما من مؤمن خلا بأرض فأدركته الصلاة فصلى ـ أو زاد فأذّن وصلى إلا صلى وراءه جمع من الملائكة لا يحصيهم إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ روى سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :

« إذا كان الرجل فِي أرض فَيْءٍ فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان ، فإن أَذَّنَ وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يراه طَرْفَاهُ : يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويؤمنون على دعائه[2] » .

ويلزم المَلَك من هؤلاء الرحماء مؤمنا ـ أو مؤمنة ـ أَوَى إلى فراشه فقرأ شيئا من كتاب الله ـ عز وجل ـ حتى يهب من نومه ، ومصداق ذلك قوله ﷺ : « ما من رجل يأوى إلى فراشه

(١) كذا ـ بإبطال ـ عمل إنْ ـ وهو وارد لغة بأكثر من شاهد صحيح .
(٢) موطأ مالك بحاشية الزرقانى ١٥٣/١ .

فيقرأ سورة من كتاب الله ــ عز وجل ــ إلا بعث الله ــ عز وجل ــ إليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى يهب »[٣] .

وهم مع كل مؤمن يمارس طاعة خالصة لوجهه ــ تعالى ــ مبشرين :

« أتى جبريل النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، هذه خديجة قد أتتك بإناء ... فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصَب لاصَخَبَ فيه ولا نصب »[٤] .

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال :

« خرج رجلٌ يزور أخاً له فى الله ــ عز وجل ــ فى قرية أخرى ، فأرصد الله ــ عز وجل ــ بمدرجته ــ مَلَكاً ، فلما مرّ به . قال : أين تريد .. ؟ قال : أريد فلانا .. قال : لِقَرَابة .. ؟ قال : لا . قال : فلنعمة له عندك تَرُبُّها .. ؟ [أى لفائدة تريد أن تستفيدها .. ؟] قال : لا . قال : فَلِمَ تأتيه .. ؟ قال : إنى أحبه فى الله .

قال [الملك] : « فإنى رسول الله إليك : أنه ــ أى الله ــ عز وجل ــ يحبك بحبك إياه فيه »[٥] .

ثم هم مع من يصلى على رسول الله ﷺ النبى الأمين الكريم رحمة الله ــ تعالى ــ للعالمين .

وهم ــ بعد ــ ملهمون للورعين :

فمن الناس من يسعى للمنصب الوجيه حبا فيما يحوطه من أضواء وشهرة ، ومن الناس من يفر منه فراره من خطر مقيم،ومن ذلك منصب القضاء ــ مثلا ــ الذى يقول رسول الله ﷺ فيه : « مَنْ وَلِىَ القضاء ، أو جعل قاضيا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين »[٦] .

لكن لأولئك الورعين مخرجا فقد قال ــ عليه الصلاة والسلام .

« من سأل القضاء [أى سعى يطلبه حتى حَصَّلَه] وُكِلَ إلى نفسِهِ ، ومن أُجْبِرَ عليه يُنْزِلِ الله عليه ملكا فيسدده »[٧] .

أى فيكون ــ بذلك ــ موفقا عادلا .

●●●

وبعــد :

ليس ذلك كل ما لأولئك الملائكة من فعال . فإن أفعال الكرام فيض فوق الحصر ، لكنهم ــ على أى حال ــ فى مواطن الخير دائما . نسأل المولى ــ عز وجل ــ أن يجعل تلك المواطن لنا صراطا لازما .

إنه سميع مجيب قريب .

د. على أحمد الخطيب

(٣) مسند أحمد ١٢٥/٤ .

(٤) مسند أحمد ٢٣١/٢ .

(٥) مسند أحمد ٢٩٢/٢ .

(٦) سنن الترمذى ٦٠٥/٣ .

(٧) سنن الترمذى ٦٠٥/٣ .

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ تعالى ـ :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
(٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

بعد أن عدد القرآن مساوىء أولئك الضالين ، وبين سوء مصيرهم ومآلهم وجه إليهم الإنكار والتوبيخ فخاطبهم بهذا القول الكريم :

﴿ كَيْفَ ﴾ اسم استفهام للسؤال عن الأحوال ، وليس المراد به هنا استعلام المخاطبين عن حال كفرهم ، وإنما المراد منه معنى تكثر تأديته فى صورة الاستفهام وهو الإنكار والتوبيخ ، كما تقول لشخص : كيف تؤذى أباك وقد رباك ؟ ؛ لا تقصد إلا أن تنكر عليه أذيته لأبيه وتوبيخه عليها .

وفى الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الخطاب ؛ لزيادة تقريعهم والتعجب من أحوالهم الغريبة ، لأنهم معهم ما يدعو إلى الإيمان ومع ذلك فهم منصرفون إلى الكفر .

وقوله ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ جار مجرى التنبيه على أن كفرهم ناشىء عن جهل وعدم تأمل فى أدلة الإيمان القائمة أمام أعينهم .

والأموات : جمع ميت بمعنى المعدوم . والإحياء : بمعنى الخلق .

والمعنى : كيف تكفرون بالله وحالكم أنكم كنتم معدومين فخلقكم ، وأخرجكم إلى الوجود كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ .

سورة الإنسان ـ آية : ١

ويصح أن يفسر الأموات بمعنى فاقدى الحياة . والإحياء بنفخ الروح فيهم فيكون المعنى : وكنتم أمواتا يوم استقراركم نطفا فى الأرحام إلى اتمام الأطوار بعدها ، فنفخ فيكم الأرواح ، وأصبحتم فى طور إحساس وحركة وتفكير وبيان .

وبعد أن وبخهم على كفرهم بمن أخرجهم من الموت إلى الحياة ، أورد جملا لاستيفاء الأطوار التى ينتقل فيها الإنسان من مبدأ الحياة إلى مقره الخالد فى دار نعيم أو عذاب فقال : ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يبعثكم بعد الموت ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

أى تصيرون إليه دون سواه ، فيجمعكم فى المحشر ؛ ويتولى حسابكم ، والحكم فى أمركم بمقتضى عدله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

سورة الزلزلة ـ آية : ٧ ، ٨

أما الإماتة فهم يشاهدونها بأعينهم بين الحين والحين ، وأما البعث فقد أخبر الله عنه بما يدل على صحته وينفى استبعاده ، أو استحالته ، بأدلة عقلية ونقلية كثيرة ، أما الأدلة العقلية ، فمنها : أن الذى قدر على إحيائهم من العدم ، قادر على إحيائهم وإعادتهم بعد موتهم فإن الإعادة أهون من البدء دائما ، وأما الأدلة النقلية ، فمنها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

سورة المؤمنون ـ ١٥ ، ١٦

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٨

ترهيب لمن ينزع إلى الشر ، ويرتكب المعاصى من غير مبالاة ، وترغيب لمن يقبل على فعل الخير ، ويقدم على الطاعات .

قال الجمل : « والفاء فى قوله : ﴿ فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ على بابها من التعقيب ، وثم على بابها من التراخى ، لأن المراد بالموت الأول ، العدم السابق ، وبالحياة الأولى الخلق ، وبالموت الثانى الموت المعهود ، وبالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء وثم على بابيهما من التعقيب والتراخى ، على هذا التفسير وهو أحسن الأقوال ، ويعزى لابن عباس وابن مسعود ومجاهد ، والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن البعث » [١] .

وبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ ما يشهد بقدرته ووحدانيته عن طريق الأدلة المتعلقة بذوات المكلفين ، أردف ذلك بالكلام عن الأدلة الكونية فقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٩

أى : أنه خلق جميع ما فى الأرض من نحو الحيوان والنبات والمعادن والجبال من أجلكم ، فهو المنعم عليكم لتنتفعوا بها فى دنياكم ، وتستعينوا بها على طاعته .

وقد أخذ العلماء من هذه الآية شاهدا على أن الأشياء التى فيها منافع مأذون فيها حتى يقوم دليل على حرمتها .

ثم استدل ـ سبحانه ـ على مظاهر قدرته بخلق السموات فقال :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . **سورة البقرة ـ آية : ٢٩**

استوى إلى السماء : أقبل وعمد إليها بإرادته ، وتسويتها معناه : تعديل خلقها وتقويمه . والسماء ليس المراد منها فردا من أفراد السموات ، وإنما المراد منها الأجرام العلوية الشاملة لجميع السموات ، فصح أن يعود عليها ضمير جمع الإناث فى قوله : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ ، وكذلك علماء البيان يزيدون أن اللفظ إذا أريد منه جنس ما وضع له صار فى معنى الجمع .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ٣٥.

فمعنى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ علا إليها وارتفع ، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات ، وقد سئل الإمام مالك عن الاستواء على العرش فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

وقدم الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملابسة والمباشرة .

وجملة ﴿ **ثم استوى** ﴾ معطوفة على جملة (خلق لكم) ، وكان العطف بثم لعظم خلق السماء عن خلق الأرض .

وعبر بسواهن للإشعار بأنه ـ سبحانه ـ خلقهن فى استقامة ، واستقامة الخلق هى انتظامه على وجه لا خلل فيه ولا اضطراب ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ ﴾ .

سورة الملك ـ آية : ٣

وجملة :

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٩

مقررة لما ذكر قبلها من خلق السموات والأرض وما فيهما على هذه الصورة الحكيمة ، فقد دلت على أن ترتيب أجزاء تلك المصنوعات وموافقة جميعها للمنافع المقصودة منها ، إنما حدث عن عالم بحقائق تلك الأجزاء وخواصها ، ولإحاطته بكل شيء علما وضع كل جزء فى موضعه اللائق به .

وبعد أن بين سبحانه للناس أنه قد من عليهم بنعمة خلقه ما فى الأرض جميعا ، بدأ بعد ذلك يذكرهم بنعمة أخرى هى نعمة خلقه لأبيهم آدم ، وخلق آدم مبدأ لخلق ذريته ، وتكريمه موصول بتكريمهم فقال تعالى :

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا
وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم
بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا
تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

سورة البقرة

ففى هذه الآيات الكريمة عطف ـ سبحانه ـ قصة خلق آدم أبى البشر على قصة خلق الأنفس وخلق السماوات والأرض انتقالا فى الاستدلال على أن الله واحد ، وجمعا بين تعدد الأدلة وبين مختلف الحوادث وأصلها ، حتى يكون التدليل أجمع ، والإيمان بالله أقوى وأثبت .

وإذ وإذا ظرفان للزمان ، الأول للماضى والثانى للمستقبل ، فإن جاء إذ مع المضارع أفاد الماضى كقوله :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ..... ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٣٧

وإن جاء إذا مع الماضى أفاد الاستقبال كقوله :

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ .

سورة النصر ـ آية : ١

وإذ هنا واقعة موقع المفعول به لعامل مقدر دل عليه المقام .

والمعنى : واذكر يا محمد وقت أنّ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .

وقد جاء هذا المقدر هنا مصرحا به فى آيات أخرى كما قال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٦٩

والملائكة جمع ملك . والتاء لتأنيث الجمع ، وأصله ملأك ، من ملك ، نحو شمال من شمل ، والهمزة زائدة وهو مقلوب مالك ، وقيل : إن ملاك من لأك إذا أرسل ، ومنه الألوكة ، أى : الرسالة .

والملائكة ، هم جند من خلق الله ، ركز الله فيهم العقل والفهم ، وفطرهم على الطاعة ، وأقدرهم على التشكيل بأشكال مختلفة ، وعلى الأعمال العظيمة الشاقة ، ووصفهم فى القرآن بأوصاف كثيرة منها أنهم .

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٢٠

وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ومنها : أنهم رسل الله أرسلهم بأمره « ومنهم رسلُ الوحى إلى من اصطفاهم من خلقه للنبوة والرسالة . قال ـ تعالى :

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ .

سورة فاطر ـ آية : ١

وقال ـ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ .

سورة الحج ـ آية : ٧٥

وقال ـ تعالى :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٢

و (الخليفة) من يخلف غيره وينوب منابه ، **فهو فعيل** بمعنى فاعل .

والتاء فيه للمبالغة ، والمراد به آدم ـ عليه السلام ـ لأنه كان خليفة من الله فى الأرض ، وكذلك سائر الأنبياء استخلفهم الله ـ تعالى ـ فى عمارة الأرض ، وسياسة الناس ، وتكميل نفوسهم ، وإجراء أحكامه عليهم ، وتنفيذ أوامره فيهم . وقيل : آدم وذريته ، لأنه يخلف بعضهم بعضا فى عمارة الأرض ، واستغنى بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل .

وخطاب الله لملائكته بأنه سيجعل فى الأرض خليفة ، ليس المقصود منه المشورة ، وإنما خاطبهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجه الحكمة من هذه الخلافة ، وما أجيبوا به **من بعد** ، أو من أجل تعليم العباد المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم **ونصائحهم وإن كان هو** ـ سبحانه ـ بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة . أو الحكمة تعظيم شأن المجهول ، **وإظهار فضله** ، بأن بشر بوجود سكان ملكوته ، ونوه بعظيم شأن المجعول بذكره فى الملأ الأعلى **قبل إيجاده** ، ولقبه بالخليفة .

ثم حكى ـ سبحانه ـ إجابة الملائكة فقال :

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

الفساد : الخروج عن الاعتدال والاستقامة ويضاده الصلاح ، يقال فسد الشىء فسادا وفسودا وأفسده غيره .

والسفك : الصب والإهراق ، يقال : سفكت الدم والدمع سفكا ـ من باب ضرب ـ صببته . والفاعل سافك وسفاك ، والمراد به حصول التقاتل بين أفراد بنى الإنسان ظلما وعدوانا .

والتسبيح : مشتق من السبح وهو المر السريع فى الماء أو فى الهواء ، فالمسبح مسرع فى تنزيه الله وتبرئته من السوء .

والتقديس : التطهير والتعظيم ووصفه بما يليق به من صفات الكمال .

فيكون التسبيح نفى مالا يليق ، والتقديس إثبات ما يليق ، وقدم التسبيح على التقديس من باب تقديم التخلية على التحلية .

والمعنى : أتجعل فى الأرض يا إلٰهنا من يفسد فيها ويريق الدماء والحال أننا نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، تنزيها متلبسا بحمدك والثناء عليك ، ونطهر ذكرك عما لا يليق بك تعظيما لك وتمجيدا .

وقولهم :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا .. ﴾ الخ

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

إنما صدر منهم على وجه استصلاع الحكمة فى خلق نوع من الكائنات يصدر منه الإفساد فى الأرض وسفك الدماء . وقطعهم بحكمة الله فى كل ما يفعل لا ينافى تعجبهم من بعض أفعاله ، لأن التعجب يصدر عن خفاء سبب الفعل ، فمن تعجب من فعل شيء وأحب الاطلاع على الحكمة الباعثة على فعله لا يعد منكرا .

والملائكة لا يعلمون الغيب ، فلا بد أن يكونوا قد علموا ماذا سيكون من الفساد فى الأرض وسفك الدماء بوجه من الوجوه التى يطلع الله بها على غيبه بعض المصطفين الأخيار من خلقه .

قال الإمام ابن كثير فى توضيح هذا المعنى : قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . سورة البقرة ـ آية : ٣٠

أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ، فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حما مسنون ، أو فهموا من الخليفة أنه الذى يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم .. وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبنى آدم كما قد يتوهمه البعض ... وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك ، يقولون ياربنا ما الحكمة فى خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، ولا يصدر منا شيء من ذلك فهلا وقع الاقتصار علينا ؟ (١) .

وقد رد الله ـ تعالى ـ على الملائكة بقوله :

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦٩ .

أى : إنى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ، فإنى سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والمحبون له ـ تعالى ـ المتبعون رسله .

فالجملة الكريمة إرشاد لهم إلى الأمر الذى من شأنه أن يقف بهم عند حدود الأدب اللائق بمقام الخالق ـ عز وجل ـ وتنبيه إلى أنه ـ تعالى ـ عالم بما لا يحيط به علم أحد من خلقه ، فله أن يفعل ما يشاء ويأمر بما يشاء .

وليس من أدب المؤمنين بأنه العليم الحكيم أن يسألوه حين يأمرهم بشىء ، أو يعلمهم بأنه سيفعل شيئا ، عن حكمة ما أمر به أو ما سيفعله ، بل شأنهم أن يتجهوا إلى استطلاع حكمة الأفعال والأوامر من أنفسهم ، فإذا أدركوها فقد ظفروا بأمنيتهم ، وإن وقفت عقولهم دونها ، ففى تسليمهم لقدر الله ، وامتثالهم لأوامره الكفاية فى القيام بحق التكليف والفوز برضا الله . الذى هو الغاية من الإيمان به والإقبال على طاعته .

قال بعض العلماء : « وفى هذه الآية الكريمة تسلية للنبى ﷺ عن تكذيب بعض الناس له ، لأنه إذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون ، فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين ـ وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين ، أى : فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين ، وترشد المسترشدين ، وتأتى أهل الدعوة بسلطان مبين[1] .

ثم أخذ ـ سبحانه ـ فى بيان جانب من حكمة خلق آدم ، وجعله خليفة فى الأرض ، بعد أن أجاب الملائكة على سؤالهم بالجواب المناسب الحكيم فقال ـ تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

علم : من التعليم وهو التعريف بالشىء . وآدم : اسم لأبى البشر ، قيل إنه عبرانى مشتق من أدمه ، وهى لغة عبرانية معناها التراب ، كما أن « حواء » كلمة عبرانية معناها « حى » وسميت بذلك لأنها تكون أم الأحياء .

و﴿ **الأسماء** ﴾ جمع اسم ، والاسم ما يكون علامة على الشىء ، وتأكيد الأسماء بلفظ « كلها » فى أنه علمه أسماء كل ما خلق من المحدثات من إنسان وحيوان ودابة ، وطير ، وغير ذلك ، ويصح حمل الأسماء على خواص الأشياء ومنافعها ، فإن الخواص والمنافع علامات على ما تتعلق به من الحقائق .

---

(١) تفسير القاسمى جـ ٢ ص ٧ .

وقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ عرض الشيء : إظهاره وإبانته والضمير فى ﴿ عرضهم ﴾ يعود على المسميات ، وهى مفهومة من قوله : ﴿ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ إذ الأسماء لا بد لها من مسميات ، فإذا أجرى حديث عن الأسماء حضر فى ذهن السامع ما هو لازم لها أعنى المسميات .

ودل على المسميات بضمير جمع الذكور العقلاء فقال : ﴿ عَرَضَهُمْ ﴾ ولم يقل عرضها ، لأن فى جملة هذه المسميات أنواعاً من العقلاء : كالملائكة ، والإنس ، ومن الأساليب المعروفة بين فصحاء العرب تغليب الكامل على الناقص ، فإذا اشتركا فى نحو الجمع أو التثنية أتى بالجمع أو التثنية على ما يطلق حال الكامل منهما .

والأمر فى قوله : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾ ، ليس من قبيل الأوامر التى يقصد بها التكليف ، أى : طلب الإتيان بالمأمور به ، وإنما هو وارد على جهة إفحام المخاطب بالحجة .

والمعنى : أن الله ــ تعالى ــ ألهم آدم معرفة ذوات الأشياء التى خلقها فى الجنة ، ومعرفة أسمائها ومنافعها ، ثم عرض هذه المسميات على الملائكة . فقال لهم على سبيل التعجيز : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما اختلج فى خواطركم من أنى لا أخلق خلقا إلا وأنتم أعلم منه وأفضل .

قال ابن جرير : « وفى هذه الآيات العبرة لمن اعتبر والذكرى لمن ذكر ، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، عما أودع الله فى هذا القرآن من لطائف الحكم التى تعجز عن أوصافها الألسن ، وذلك أن الله ــ تعالى ــ احتج فيها لنبيه ﷺ على من كان بين ظهرانيه من يهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التى لم يكن ــ تعالى ــ أطلع عليها من خلقه إلا خاصا ، ولم يكن مدركا علمه إلا بالإنباء والإخبار ليقرر عندهم صدق نبوته ، ويعلموا أن ما أتاهم به إنما هو من عند الله » .

ثم حكى ــ سبحانه ــ ما كان من الملائكة فقال :

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

سبحان : اسم مصدر بمعنى التسبيح ؛ أى التنزيه ، وهو منصوب بفعل مضمر لا يكاد يستعمل معه .

وهذه الآية الكريمة واقعة موقع الجواب عن سؤال يخطر فى ذهن السامع للجملة السابقة ، إذ الشأن أن يقال عند سماعهم قوله ــ تعالى : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ ، ماذا كان من الملائكة ؟ هل أنبأوا بأسماء المسميات المعروضة عليهم ؟ فقال ــ تعالى : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

ولو قال الملائكة : لا علم لنا بأسماء هذه المسميات لكان جوابهم على قدر السؤال ، ولكنهم قصدوا الاعتراف بالعجز عن معرفة أسماء تلك المسميات المعروضة على أبلغ وجه فنفوا عن أنفسهم أن يعلموا شيئا غير ما يعلمهم الله ، ودخل فى ضمن هذا النفى العام الاعتراف بالقصور عن معرفة الأسماء المسئول عنها .

ومعنى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : أنت يا ربنا العليم بكل شىء ، الحكيم فى خلقك وأمرك وفى تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء ، لك الحكمة فى ذلك ، والعدل التام .

وقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ليكون وصفه بالعلم متصلا بنفيهم عن أنفسهم فى قولهم :

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٢

وبعد أن بين القرآن أن الملائكة قد اعترفوا بالعجز عن معرفة ما سئلوا عنه ، وجه ـ سبحانه ـ الخطاب إلى آدم ، يأمره فيه بأن يخبر الملائكة بالأسماء التى سئلوا عنها ، ولم يكونوا على علم بها ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾ .

ففى هذه الآية الكريمة أخبرنا الله ـ تعالى ـ أنه قد أذن لآدم فى أن يخبر الملائكة بالأسماء التى فاتتهم معرفتها ليظهر لهم فضل آدم ، ويزدادوا اطمئنانا إلى أن إسناد الخلافة إليه ، إنما هو تدبير قائم على حكمة بالغة .

وعلم الغيب يختص به واجب الوجود ـ سبحانه ـ لأنه هو الذى يعلم المغيبات بذاته ، وأما العلم بشىء من المغيبات الحاصل من تعليم الله فلا يقال لصاحبه إنه يعلم الغيب .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾ .

استحضار وتأكيد لمعنى قوله قبل ذلك ، ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . وإعادة له على وجه من التفصيل أفاد أن علمه يشمل ما يظهرونه بأقوالهم أو أفعالهم ، وما يضمرونه فى أنفسهم .

وفى قوله : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ... ﴾ . إلخ .. تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى ، حيث بادروا بالسؤال عن الحكمة ، وكان الأولى أن يأخذوا بالأدب المناسب لمقام الألوهية ، فيتركوا السؤال عنها إلى أن يستبين لهم أمرها بوجه من وجوه العلم .

ومن الفوائد التى تؤخذ من هذه الآيات ، أن الله ــ تعالى ــ قد أظهر فيها فضل آدم ــ عليه السلام ــ من جهة أن علمه مستمد من تعليم الله له ، فإن إمداد الله له بالعلم يدل على أنه محاط منه برعاية ضافية ، ثم إن العلم الذى يحصل عن طريق النظر والفكر قد يعتريه الخلل ، ويحوم حوله الخطأ . فيقع صاحبه فى الإفساد من حيث إنه يريد الإصلاح ، بخلاف العلم الذى يتلقاه الإنسان من تعليم الله ، فإنه علم مطابق للواقع قطعا ، ولا يخشى من صاحبه أن يحيد عن سبيل الإصلاح ، وصاحب هذا العلم هو الذى يصلح للخلافة فى الأرض ، ومن هنا ، كانت السياسة الشرعية أرشد من كل سياسة والأحكام النازلة من السماء أعدل من القوانين الناشئة فى الأرض .

« يتبـــع »

إعجاز القرآن فى استعمال المترادفات

إعداد الأستاذ / سيد خضر (٭)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الأبرار ، وبعد ..

فلقد أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن بلسان عربى مبين ، آمراً بتلاوته وتدبره والعمل به ، وقامت على خدمة القرآن أجيال من علماء المسلمين فى حركة نشطة دائبة منذ عهد النبى ﷺ إلى يوم الناس هذا ، وستبقى بقاء القرآن ، وهو باق أبدا ، فإنه كلام رب العالمين ، مصداق قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر : ٩ .

والمدخل الأول إلى فهم القرآن هو لغته ، إذ ليس معقولاً أن يفهم الإنسان كلاماً إلا بفهم مفرداته ، وكيفية تركيبها ، ومن هنا وجدنا للأصوليين دراسات رائدة فى علوم العربية ، ويمثل العلم بالمفردات الخطوة الأولى فى هذا السبيل .

قال الراغب الأصفهانى : « أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ... فألفاظ القرآن هى لُب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فى أحكامهم ... »[١] .

ولغة العرب التى نزل بها القرآن لغة ذات معجم ضخم ، تسببت فى تضخمه عوامل عديدة أهمها جامعو اللغة بين اللهجات المتعددة فى الجزيرة العربية واحتسابها جميعاً من الفصحى ، إضافة إلى عوامل أخرى يطول بيانها ، وقد نشأ عن هذا ظواهر لغوية عديدة كالترادف والاشتراك اللفظى والتضاد وغيرها .

وحسبنا هنا أن نبين كيف تعامل القرآن مع إحدى هذه الظواهر اللغوية فى العربية ، وهو الكتاب المحكم المعجز ، الذى يوزن فيه اللفظ بميزان دقيق بِنْيَة ودلالة ، بحيث لا يقوم مقامه غيره ، مع كثرة المترادفات فى العربية كثرة عجيبة ، حيث نجد للفظ الواحد إخوة يؤدون معناه ويقومون مقامه فى أى سياق ، كما صرح بذلك ابن خالديه القائل : « احفظ للسيف خمسين اسما »[٢] .

والظاهرة التى اتحدث عنها هى ظاهرة « الترادف » وأبدأ بتعريفها لغة وإصطلاحاً بشىء من الإيجاز .

(٭) مدرس بالتربية والتعليم ـ كفر الشيخ ـ دراسات عليا فى علم اللغة .

(١) المفردات فى غريب القرآن ص٦ ط دار المعارف ـ بيروت .

(٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى جـ١ ص٤٠٥ ، ط دار إحياء الكتب العربية .

الترادف لغة : جاء فى لسان العـرب : « الرِدْف : ما تبع الشىء ، وكل شىء تبع شيئا فهو رِدْفه ... والترادف : التتابع ، ومن ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾
(الأنفال : ٩)

أى متتابعين يأتون فرقة بعد فرقة »(٣) .

أما فى الاصطلاح : فيقول عنه السيوطى : « الترادفُ هو الألفاظ المفردة الدالة على شىء واحد باعتبار واحد ، واحترزنا بالافراد عن الاسم والحد ، فليسا مترادفين ، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلّا على شىء واحد ولكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة »(٤) .

ولا يقتصر الترادف على العربية ، فهو موجود فى كل اللغات ، وقد عرفه ستيفان أولمان الانجليزى بقوله : « والمترادفات هى ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق ، والترادف التام ـ على الرغم من عدم استحالته ـ نادر الوقوع إلى درجة كبيرة »(٥) .

ولقد أنكر بعض علماء العربية هذه الظاهرة ، ومنهم أحمد بن فارس تابع شيخه أبا العباس ثعلب فى ذلك ؛ بل إن أبا هلال العسكرى قد ألف كتابه « الفروق اللغوية » خصيصاً لكى يفرق بين المترادفات دلالياً ، إلا أن جمهور اللغويين قالوا بوجود الترادف ، وحددوا أسبابه فيما يأتى :

١ ـ أن يكون اللفظ من واضعين وهو الأكثر ، بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بوضع الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان .

٢ ـ أن يكون من وضع واحد وهو الأقل ، وله فوائد :

(أ) أن تكثر الوسائل إلى الاخبار عما فى النفس .

(ب) التوسع فى سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر »(٦) .

إن المدقق فى هذه الظاهرة اللغوية لا يسلم بوقوع المترادفات بهذه الكثرة التى تصورها بها كتب اللغة ، بحيث يصبح للشىء الواحد عشرات الأسماء .

ولئن ناسب ذلك فترة من حياة العربية ، فإننا اليوم ـ مع التقدم العلمى الكبير ـ محتاجون إلى تحديد دلالة الألفاظ تحديداً دقيقاً لكى تساير العربية هذا التطور ، وقد أحصيتُ فى حرف الهمزة وحده من لسان العرب أربعة عشر فعلا بمعنى (نكح)(٧) إضافة إلى الأفعال التى تؤدى هذا المعنى فى باقى حروف المعجم ، فى حين أن القرآن لم يستعمل لهذا المعنى سوى الفعل (نكح)(*) فقط ، مع التفريق الدلالى بينه وبين الفعل القرآنى (تزوّج) !

---

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (ردف) ط الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٤) المزهر جـ ١ ص ٤٠٢ .

(٥) دور الكلمة فى اللغة تأليف ستيفان أولمان ص ١٠٩ ، ترجمة د/ كمال بشر نشر مكتبة الشباب .

(٦) المزهر جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٧) انظر كتابنا القرآن والترادف اللغوى ص ١٤ ط دار بلال ١٩٩١م .

(*) يبدو أن القرآن الكريم استعمل أكثر من ذلك كالفعل (لامس) فإن قيل : إن الفعل (لامس) قد يكون له أكثر من معنى قلنا : إن بعض المترادف لا يسلم من ذلك ـ مجلة الأزهر .

وقبل أن ندرس موقف القرآن من هذه الظاهرة نسأل : كيف يمكن تحديد دلالة اللفظ القرآنى تحديداً دقيقاً ؟ إن ذلك يقتضى ـ فيما أحسب ـ اتباع الخطوات الآتية :

١ ـ معرفة الأصل اللغوى الذى أخذ منه اللفظ بالرجوع إلى المعاجم وغيرها .

٢ ـ معرفة ما أضافه القرآن الكريم من معان جديدة ترتبط بالمعنى الوضعى للفظ ، فالحج فى اللغة القصد إلى مُعظم ، ثم نقل إلى الشرع للدلالة على العبادة المعروفة بالقصد إلى البيت الحرام .. والصلاة فى اللغة : الدعاء ، وهى فى الشرع العبادة المعروفة .

٣ ـ دراسة السياق القرآنى الذى يرد فيه اللفظ دراسة دقيقة ، ثم استقراء جميع المواضع التى يرد فيها اللفظ لتحديد دلالته بدقة ، حيث إن السياق وحده يكون أحياناً المعين الأساسى للتفريق بين ألفاظ من قبيل (السنة والعام والحول والحجة)[8] مثلا .

وبعد هذا الاستعراض الموجز أدلك بمثالين ـ فحسب لضيق المقام ـ لأبين بهما إعجاز القرآن فى استعمال المترادفات ، والقرآن كتاب محكم لا تستطيع أن تبدل فيه لفظاً مكان آخر ، إذ يتغير المعنى تبعاً لذلك ، وعليه فإننا نقول : إنه ليست فى القرآن مترادفات تامة ؛ بل إن لكل لفظ مكانه ودوره فى سياقه ، حتى وإن أصرَّت معاجم اللغة على أنه يتحدُ دلالياً مع غيره : وإليكم مصداق دعوانا .

١ ـ الفؤاد والقلب :

نقرأ فى اللسان : « فأدْتُ الخبزة إذا جعلتُ لها موضعاً فى الرماد والنار لأضعها فيه ، والخشبة التى يُحرك بها التنور : مِفْأد ، وافتأدوا : أوقدوا ناراً ، والفئيد : النار نفسها ... والتفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده ، والفؤاد : القلب ، وقيل : وسطه ، وقيل الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب حبته وسويداؤه »[9]

وفيه : « القلب : الفؤاد ، والجمع قلوب ... ويسمى بذلك لتقلبه وحركته الدائبة »[10] .

وفى القاموس المحيط : « والقلب : الفؤاد ، أو أخصُّ منه ، والعقل ، ومحضُ كل شيء »[11] .

ومما تقدم نرى أن معاجم اللغة تسوّى بين دلالة اللفظين (قلب وفؤاد) فهل هما كذلك فى القرآن الكريم ؟

وردت كلمة (فؤاد) مفردة ومجموعة فى القرآن فى ستة عشر موضعاً ، واستعراض هذه المواضع يوحى لنا بأن لفظ (الفؤاد) يطلق على القلب فى حال خوفه وفزعه وانشغاله بأمر خطير ، ويستند ذلك أساساً إلى الأصل اللغوى « التفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده » .

ولنقرأ قوله ـ تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

(سـورة القصص)

---

(٨) انظر فى هذا كله كتابنا السابق ص ٢٧ .

(٩) اللسان : فأد .

(١٠) نفسه : قلب .

(١١) القاموس المحيط : قلب جـ ١ ص ١١٩ ط المطبعة الحسينية .

ونحن نجد فى هذه الآية لفظى (قلب والفؤاد) فلو كانا يؤديان معنى واحداً ، فما الداعى إلى استعمالهما إذن ؟ ولم لا يُكتفى بأحدهما ؟ وهل كان (قلب) أم موسى فارغاً وقد بشرتها الآيات السابقة على هذه الآية بقوله ـ تعالى : « إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين » ، إن قلب أم موسى كان مطمئناً بنصر الله ـ تعالى ـ أما فؤادها ، فهو : الذى انتابه الخوف والفزع ، وهى تضع وليدها فى تابوت تتقاذفه الأمواج ولا تدرى أين تذهب به ، وبعد هذا التفؤد والتوقد تأتى رحمة الله لتربط على قلبها الذى صار (قلباً لا فؤاداً) بعد أن زال عنه الهم والخوف(*)

ولنقرأ قوله ـ تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ .

(هود : ١٢٠)

وقوله سبحانه :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾

(الفرقان : ٣٢)

واستعمال لفظ الفؤاد هنا : يناسب تماماً تلك الحال التى مَرَّ بها صاحب الدعوة ﷺ وهو يرى الناس يكذبونه إلا أفراداً معدودين ، ويرى قومه يقاتلونه برغم أنه جاءهم بالحق المبين ، والرسول ﷺ بشر يفرح ويحزن ، وتجرى عليه أحوال البشر ، وخصوصاً لشدة حرصه على تبليغ الدعوة وإيمان قومه .

وأما القلب ، فهو : موقن بنصر الله لا ريب !! وأنت لا تستطيع بحال ـ استناداً إلى الأصل اللغوى وظلال المعنى هنا ـ أن تضع القلب فى هذين الموضعين !!

وانظر إلى هذه الصورة المخيفة التى تتفأدُ لها الأفئدة « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » (إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٣) .

إن صورة الفزع وشخوص الأبصار والإهطاع ورفع الأبصار المتحيرة ... تناسبها صورة (الأفئدة) الهواء الخالية من كل أمن وطمأنينة فى ذلك اليوم العصيب !!

وقد وردت كلمة (فؤاد) مفردة ومجموعة مقترنة بالسمع والأبصار فى آيات عديدة ، وذلك فى مقام التذكير بنعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان ، وكونه محاسباً على تلك النعم يوم القيامة ، ومن الملاحظ أن السمع والبصر والفؤاد من الأدوات المباشرة للإدراك والمعرفة عند الإنسان ، إذ هى أجهزة استقبال المعرفة .

ولنا ملاحظة أخيرة قد تُصدِّق دعوانا هذه ، وهى أن الستة عشر موضعاً التى ورد فيها اللفظ فى القرآن الكريم هى جميعاً مكية ، وذلك يناسب تماماً حال المجتمع المكى إذ ذاك ، حال الخوف والقلق من جانب المؤمنين لقلتهم وضعفهم ، وحال الحيرة والاضطراب والغضب من جانب الكفار بسبب ما جاء به الإسلام ، وكل هذه المعانى يجمعها لفظ (فؤاذ) كما أوضحت سابقاً !!

أما القلب فى القرآن الكريم ، فهو أداة الفهم والتدبر ، ومستقر العقيدة ، حقاً كانت أو

(*) هذا رأى الكاتب .. والمجلة تفسح صدرها لمن يخالفه شريطة أن يكون الحديث علميا بحتا .. مجلة الأزهر .

باطلًا ، ولنقرأ بعض الآيات :

ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾

الحج : ٤٦

ـ ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ .

(سـورة الأعراف) ١٧٩

ـ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾

الكهف : ٥٧

ـ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

الرعد : ٢٨

وقد ورد اللفظ فى آيات كثيرة مفرداً ومثنى ومجموعاً ، وكلها تدور حول الدور القيادى للقلب فى الخير والشر ، وفى التمييز بين الحق والباطل ، أو بين الإيمان والكفر ..الخ ، وكل ذلك يختلف عما تؤديه كلمة (الفؤاد) من معان وظلال أوضحناها سابقاً .

٢ ـ الجسم والجسد :

نقرأ فى اللسان : « الجسم : جماعة البدن والأعضاء من الناس والإبل والدواب ، والجسم : الجسد »(١٢) .

وفيه : « الجسد : الجسم والبدن للإنسان والمَلَكِ والجن ، ومعنى الجسد معنى الجثة فقط لا يعقل ولا يميز »(١٣) . .

وبرغم هذا التعدد فى اللسان وغيره من المعاجم بين لفظى الجسم والجسد ، إذْ يُفسَّر أحدهما بالآخر ، فإن القرآن لم يستعملهما بمعنى واحد ، ولنقرأ قوله ـ تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ .

البقرة : ٢٤٧

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

المنافقون : ٤

وواضح من ذلك استعمال القرآن لفظ الجسم فيما له روح ، أما الجسد فيستعمل فى القرآن لما لا روح فيه ، وقد ورد اللفظ فى أربعة مواضع فقط هى :

١ ـ ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ .

الأعراف : ١٤٨

٢ ـ ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ .

طه : ٨٨

٣ ـ ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ .

الأنبياء : ٨

٤ ـ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

(سـورة ص)

ويتضح من الاستعمال هنا أن لفظ (الجسد) يستعمل لما ليس فيه روح ، وهذا باب واسع من أبواب الإعجاز القرآنى .

وأخيرا فإن دراسة المترادفات القرآنية تحتاج جهداً كبيراً لحصْرها وتحليلها ، خدمة للنص القرآنى المحكم المعجز ، والحمد لله أولًا وأخيراً .

---

(١٢) اللسان : جسم .

(١٣) نفسه : جسد .

قرار مجمع البحوث الإسلامية

بشأن طلب السيد الدكتور مصطفى محمود مؤلف « زيارة للجنة والنار » بالإذن له بتحويل مؤلفه إلى مسرحية تحمل نفس الاسم

تقدم الدكتور مصطفى محمود إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بطلبه موافقة الأزهر الشريف على تحويل كتابه : «زيارة للجنة والنار » إلى مسرحية تحمل نفس الاسم ، وقد قام فضيلته بإحالة الموضوع للبحث أمام جلسة مجمع البحوث رقم (٤) فى دورته الحالية ، كذلك طلب فضيلته إلى بعض أعضاء المجمع دراسة الموضوع دراسة مستفيضة وتقديم تقاريرهم بهذا الشأن .. وهم السادة :

(١) فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبى العدوى .
(٢) فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى .
(٣) السيد المستشار محمد بدر يوسف المنياوى .
(٤) فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود .
(٥) السيد الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الشكعة .

وقد تقدم السادة المذكورون بتقاريرهم .. بين مكتوب وشفهى ، وتناول الأعضاء جميعاً دراسة الموضوع فى ضوء هذه التقارير ، ونظرة من أبدى نظرته إليها من الأعضاء ثم صدر **القرار التالى ، أول قرارات الجلسة .**

من قرارات وتوصيات
مجلس مجمع البحوث الإسلامية

بمحضره رقم (٤) الدورة رقم (٣٣) الرقم العام (٢٥٠) بتاريخ ٢٦/١٢/١٩٩٦

عقد المجلس - بحمد الله وتوفيقة - جلسته الرابعة فى دورته الثالثة والثلاثين الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس ١٥ من شعبان سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٦ م

وقد أصدر القرارات والتوصيات الآتية :-

أولاً : بالنسبة لرواية «زيارة للجنة والنار» للدكتور / مصطفى محمود : صدر قرار المجلس فى شأنها بالآتى :

«كل مسلم عاقل يعتقد أن الجنة والنار وما يتعلق بهما من علوم الغيب التى لايعلمها إلا الله - عز وجل - والمؤلف نص على ذلك صراحة فى مقدمة كتابه ..

ويرى مجمع البحوث الإسلامية أنه - من حيث المبدأ - لا مانع من تمثيل وتصوير حسن عاقبة أهل الجنة ، وسوء عاقبة أهل النار تمثيلاً وتصويراً يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم ما دام ذلك فى مقدور الجهات الفنية الخبيرة فى ذلك ..

على أن يعرض العمل خلال مراحله المختلفة وقبل عرضه على الجمهور على لجنة يختارها مجمع البحوث الإسلامية من بين أعضائه أو من غيرهم»

والله ولى التوفيق

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

نقاء الإيمان ووضوحه ضرورة إنسانية ودعوة إسلامية

الشريعة الإسلامية السمحة تكرم الإنسان ، وتنظر إليه النظرة التى تتواءم مع فطرته ، وتتناسب مع طبيعة تكوينه النفسى والعقلى ، المعنوى والحسى ، وقد وضعت له الأطر الحمائية باعتباره : الروحى والجسدى ، لتصونه من مسببات الضعف ، ومن مزالق الانحراف عن الوسطية التى يرجى له منذ نعومة أظافره أن ينشأ ويثبت عليها لتحقق له التوازن بينه وبين نفسه، والتوافق بينه وبين المحيطين به .

ثم إن هذه الشريعة الكاملة تغذيه فى مراحل نموه المختلفة بما يصحح نظرته إلى الإنسان ، وإلى الكون المحيط ، حتى يألف وضع الأمور فى مواضعها الصحيحة ، وتقدير كل أمر أو ظاهرة على ما هى عليه ومن زاوية نوع التسخير الذى هُيئت له الظاهرة أو الآية التكوينية دون لجوء إلى طرف الإفراط والتفريط فى التفهم وإعطاء الأشياء قدرها .

الأدوات والوسـائل :

ثم إن للشريعـة الإسلاميـة أدواتها ووسائلهـا الموصول إلى غايتها السامية فى رعايـة الناشئـة ، والحفاظ على حقوق الإنسان منذ البدء ، أى منذ أن يكون جنينا ، ثم مواكبة هذه الرعاية بوسائل تتوافق مع كل مرحلة من مراحل نموه ، وفى جميع أطوار حياته بعد خروجه من مأمنه فى الرحم إلى الحياة الدنيا وبداية تفاعله سلبا وإيجابا مع البشر المحيطين به ، إذ لكل منهم التزام نحو هذا العضو الجديد فى الجماعة ، وهذا الالتزام مبنى على الرحمة ، الرفق ، الحنان ، الشفقة ، الحب ، الحدب ، وأداء الحق والواجب نحو هذا الدعموص[1] الذى يشيع البهجة فى النفوس ، ويملأ المكان بحركـة يديـه ورجليـه وصوته ، وإذا زحف أو مشى سر الجميع بحركته هنا وهناك .

(١) الدعموص : جمعه الدعاميص وهى دويبة تكون فى مستنقع الماء لا تفارقه . ومن معانى الدعموص : الصبى « سياح فى المنزل لا يمنع من دخول مكان ، ولا يحتجب منه أحد ، وإن مات قبل البلوغ كان من أقرانه السياحين فى جنة الخلد ، وفى الحديث : « صغار كم دعاميص الجنة » رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم والبخارى وأحمد .

إن الشريعة السمحة تظل الإنسان بكل ما يسعده ، وتمده بما يعنيه على تنظيم حياته ، وضبط سلوكه على أقوم طريق ، ليحيا حياة طيبة ، ويهنأ بعيشة راضية متوافقا مع الفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها ، محسنا علاقته بخالقه ، متمتعا بسلام دائم مع نفسه وقومه ، بل مع كل ما يحيط به ويقع عليه نظره ، أو تلمسه يده ، أو يدركه بوعيه ، وهذا النمط الرفيع مع التوجيه الرشيد ، والتربية السامية يجنبه كل اضطراب وقلق ، وينأى به عن كل شر وانحراف .

إن هذا التوجيه السامى لخطوات الإنسان ومسيرة حياته مبنى على أسس نفسية وشعورية مستمدة من العلم التام بماهية الإنسان ، ومن الرغبة الكريمة فى أن تتوافر له كل عوامل السكينة والطمأنينة منذ أن يفتح عينيه على نور الحياة ، إلى أن يمضى قدما فى شبابه ساعيا فى أداء دوره المقدر له على نحو يتسم الصدق ، والأمانة ، والمهارة الكافية .

مرحلة الطفولة :

إن مرحلة الطفولة تحظى بجانب مهم من عناية الشريعة الإسلامية الغراء بالإنسان ، نجد هذه العناية السامية فى التوجيهات والأحكام التى تتعلق بالطفل فى كتاب الله – عز وجل – وفى سنة الحبيب المصطفى ﷺ ثم فى الأبواب التى تناولت بالشرح والبيان كل ما له صلة بالطفل من حيث حقوقه ، ومن حيث واجبات من حوله من الكبار وغير ذلك فى كتب الفقه الإسلامى تلك الثروة العلمية العالية القيمة المقننة تقنينا يصعب كل الصعوبة أن نجد له مثيلا لدى أمة من الأمم ، كما أن هذه الثروة العلمية فى مجملها وتفاصيلها لم تحظ حضارة من الحضارات ، ولا مدنية من المدنيات القديمة والحديثة بشىء يقاربها فى شمولها وفى الأمانة العلمية التى تبدو فى كل جزئية منها ، وفى الإخلاص الذى كان الدافع الأول للعلماء والفقهاء وتلامذتهم فى كل مرحلة من مراحل تاريخ الفكر الإسلامى ، إذ كان الدافع خدمة كتاب الله – عز وجل – والسنة النبوية المطهرة والحفاظ على فتاوى الصحابة واجتهاداتهم واضحة جلية ، فكانت ثمرة هذا الإيمان وهذا الصدق ذلك الفيض الزاخر بالعطاء فيما تركوه حيا نابضا ينير لنا الطريق ، ويرسم لنا خطوات الحياة على بصيرة وهدى : فى العبادات ، المعاملات ، المغازى والجهاد ، والأحوال الشخصية : الأسرة وطريقة بنائها على نحو مستقيم صالح ، الطفل وحقوقه وما له على أبيه وعلى أمه وعلى المجتمع والدولة ، بما فى ذلك الحفاظ عليه جنينا ، وإسباغ كل أسباب الرحمة والإشفاق عليه وليدا ، إما على نحو فطرى ينبع من حنان الأبوين ، ورحمتهما لولدهما ، وحبهما الطبعى له ، وإيثار حاجاته وراحته على ما يكون لهما من ذلك ، وإما على نحو تنظيمى غاية فى الدقة والروعة كما فى حال انفصال الوالدين : وكيف يتم إرضاع الطفل وإسكاته وإعطاؤه سائر حقوقه ، وكذلك فى حالة موت الأم ، وما يجب على الوالد من الإنفاق والبذل بما يناسب الحال وعلى من تقوم بإرضاعه وحضانته مراقبة ربها فى رعايته ، حتى « اللقيط » خصصت لأحكامه مواضعها من كتب الفقه ، فالإنسان كيان محترم ينبغى أن يتنفس فى مناخ فيه رحمة وشفقة ومحبة

للخير ، وقيام بواجب الصيانة حتى يستوى على عوده ويشق طريقه إستقلالا .

الزواج وصفاء الانتساب وقوته :

الحكمة من الزواج : إعفاف النفس ، وتكثير النسل ، وإبقاء النوع ، والزواج المستقيم على الفطرة الإنسانية السليمة النقية الذى يتسق مع طبيعة التكوين النفسى والوجدانى والعقلى والمادى للإنسان هو الزواج الذى يجمع بين ذكر وأنثى كل منهما خال من الموانع الشرعية وبعقد شرعى فيه إيجاب وقبول وتراض وشهود وغير ذلك مما هو موضح فى مظانه فيما يتصل بالولى وبطريقة استئذان البكر والثيب وإعلان أمر هذا الزواج والمهر ونحو ذلك .

الجمع بين شخصين (تعريف قبيح هدفه التدمير) :

وهنا قد نسمع عمن يعرف الزواج بأنه : (**الجمع بين شخصين**) بهذا الإبهام ، ويقال : إن ذلك موجود فى وثائق بعض الجماعات التى أطلقت الإيهام ، ويقال : إن ذلك موجود فى وثائق بعض الجماعات التى أطلقت العنان للأهواء المسفة ، والأغراض القبيحة ، والشهوات المتدنية والدنيئة ، إذ إن هذا التعريف يعنى فى مفهومهم الجمع بين أى شخصين ، ويستوى فى ذلك أن يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى ، أو أن يكونا ذكرين ، أو أن يكونا امرأتين .

ولا شك فى أن هذا الاتجاه إنما جاء استجابة لوطأة الإباحة التى أطلقوا عنانها فى جوانب من عالم المدنية المعاصرة ، وصارت لتفشيها أمرا ذا قوة ضاغطة على من يمكن أن يصنعوا القرار ، أو يشاركوا فيه فى هذه المجتمعات ، ومن يُبتلى بمثل هذه المصيبة يدأب فى أن يوقع غيره فى شراكها ليكون هناك نوع من التساند المزاجى أو العاطفى الخبيث ، ومن الشعور ولو مغالطة للنفس والعقل والذوق بأن هذا أمر يمكن قبوله دون إحساس بمرارة أو نفور أو استقباح واستبشاع لعمل يتنافى تماما مع مقتضيات الفطرة الإنسانية التى ينبغى ألا تمسخ بعوامل البيئة ومكتسباتها البالغة السوء .

إن كل ذى دين يأبى هذا التعريف للزواج ، ويرفض أن يكون الزواج مسخا أو تشويها لكرامة الإنسان ، وهدما للنواة التى يتكون منها المجتمع ، وتبنى منها الأمة ، إذا لو تصورنا شيوع الجمع بين زوجين من جنس واحد (ذكرين أو انثيين) فأين الحكمة ؟ وأين العفاف ؟ وكيف يحقق هذا بقاء النوع ؟ وأين موضع إشباع معانى الأبوة والأمومة ؟ وكيف يصنع مثل هذا المجتمع أجيالا يقدمها لخدمة الأوطان ؟ .

ألا : فليحذر الذين يُخالفون عن أمر الله سوء عاقبة المدمرين لمعانى الطهر والشرف والعفاف وكرامة الإنسان والإبقاء عليه على النحو الذى يُراد له فى شرع الله .

● أن يكون الطفل ثمرة لزواج شرعى من أبوين تتوافر لهما كل دواعى السلامة البعيدة عن مخالفة الأصول والقواعد الشرعية التى يجب تحققها لصحة الزواج ، وتلك هى الثمرة الطبيعية .

إن انتماء الولد إلى أبيه وأسرة أبيه ــ يكسبه توازنا نفسيا ووجدانيا ، وطمأنينة قلبية ، وعدم شعور بالضياع ؛ لأنه يعيش فى كيان له وضعه ووزنه لا نتلاشى معه ملامح انتمائه الحقيقى ويبقى ذلك لذريته

من بعده ، وللذكور منهم مهما سفلوا ، وبهذا يحفظ التاريخ وجهه الحقيقى ولا تتلاشى معالمه ، فعلم الأنساب ركن مُهم من تاريخ البشر .

ومن هنا ندرك مدى سوء ما يجرى فى العالم من حولنا ـ أى من حول الدول الإسلامية ، من خروج على مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة مما يؤدى فى كثير من الحالات إلى نسبة الولد إلى أمه خصوصا فى الحالات التى يتم التلقيح فيها عن طريق المراكز التى أنشئت لهذا الغرض الخبيث ، الردىء طبعا وذوقا ، المرفوض فطرة ودينا ، وكثر ذلك فى بعض الدول الصناعية .

كذلك كثرت ـ فى هذه المجتمعات ـ « حالات التسيب » التى لا تستند إلى حقيقة شرعية طبيعية ، وإنما تتم لمجرد تسهيل التسجيل رسميا ، ومع مرور الزمن تذوب الأسَر ، وتضيع ملامحها .

ومثل هذا يقال عن مساوىء عمليات التبنى ، وهو أن يُنسب الشخص إلى غير أبيه ، ويأخذ اسمه برغبة المتبنى ويترتب على ذلك ـ فى المعتاد ـ حقوق البنوة وهذا أمر انحرافى مع مافيه من الكذب والافتراء ووضع للأمر فى غير موضعه ، لذا حُرم التبنى فى الدين الإسلامى تحريما قاطعا وجازما :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ .

(ســورة الأحزاب)

وفى ذلك جانب من حل مشكلات اللقطاء ومجهولى النسب[2] من الأطفال واليتامى الذين لا مورد لهم ، فمن قبلهم فى ضيافته ، فهم ضيوفه مهما طال زمن بقائهم عنده لا يأخذون اسمه ، ولا يرثونه ، ولا يصيرون محارم له ولا لأهل بيته ، حسب الحال من ذكورة وأنوثة ، وإنما يعاملون معاملة الأخ والمساعد والمناصر بتبادل الرحمة والمحبة والاحترام .

﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٥

ولعائلى هؤلاء أجرهم وثوابهم عند الله مع إخلاص النيات والنوايا وإعطائهم الرعاية المناسبة لأمثالهم ، وحسب الحال والمستوى الاقتصادى فى الأسرة المضيفة لهم ومع رعاية آداب الشريعة وواجباتها .

[يتبع]

---

(٢) اللقيط : هو الطفل غير البالغ الذى يوجد فى الطريق ولا يُعْرف نسبه وقد أوجب الإسلام حمايته ورعايته ، وجعل أخذه للرعاية من فروض الكفاية ، ويُحكم بإسلامه متى وجد فى بلاد المسلمين .

والذى يجده هو الأولى بحضانته ؛ وتأكيدا للحيطة من أجل سلامة الطفل يشترط أن يكون لاقطه ـ أعنى الشخص الذى وجده ـ حرا عدلا أمينا رشيدا بحيث يجد الطفل البرىء مناخا يترعرع فيه فى جو الرحمة والرفق .

ويطلب من الملتقط التبرع برعايته وتربيته والإنفاق عليه إما من مال الطفل إذا وُجد ومعه مال أو من بيت المال ، أو عن طريق سخاء ذوى النفوس الطيبة إذا كان مربيه وحاضنه غير قادر على الوفاء بحاجاته .

وبصفة عامة يوجب الإسلام على الدولة حماية هؤلاء الأطفال وتمكينهم من النمو واكتساب الخبرات والقيم الصالحة وحمايتهم من الضياع ، ولكنهم لا يرثون مربيهم ولا هم يرثون الطفل إن كان له مال بل مصيره إلى بيت المال ، إن مات اللقيط وليس له وارث شرعى .

ورعاية لهذه النفس ، فإن الذى يتقدم مدعيا نسبه من ذكر أو أنثى ألحق به متى كان وجوده منه ممكنا ، وحينئذ يثبت نسبه وإرثه .

وهذا بخلاف ولد الزنا ؛ فإنه يرث أمه وقرابتها ، وترثه أمه وقرابتها ولا توارث بينه وبين أبيه بإجماع المسلمين لانتفاء النسب الشرعى .

مع القرآن في شهر رمضان

قبس من أنوار النبوة

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

١ ـ روى الحاكم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه : قال النبى ﷺ : « من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ، أُلْبسَ يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوؤه مثل ضوء القمر ويُكْسَى والداه حُلتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » .

جامع الأحاديث للإمام السيوطى جـ ١ رقم ٢٢٧٥٢

٢ ـ وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة ، فشفعنى فيه . ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعنى فيه . قال : فيشفعان .

رواه ابن أبى الدنيا وغيره بإسناد حسن ، والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم

شاء الله ـ عز وجل ـ أن يكون نزول القرآن إلى سماء الدنيا فى أعظم الأزمان وأشرف الشهور ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة / ١٨٥)

وكان نزوله فى أعظم ليلة من هذا الشهر المبارك ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (سورة القدر / ١ ـ ٣)

وبعث به رسول الله للبلاغ ونشر الدين ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٩

وليخرج به الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام .

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾

(سورة إبراهيم / ١)

ولقد أخبر رسول الله ﷺ عن الأجر العظيم لمن قرأ أو استمع إلى القرآن أو إلى آية منه أو إلى حرف فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الطبرانى فى الصغير عن أنس ـ رضى الله عنه : من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار ، يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، حرم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له » جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٦ ص ٥٣٧ .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » رواه الإمام أحمد .

وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

إن أهل الخير والتقوى يجعلون القرآن وِرْدَهم الدائم ، وربيع قلوبهم على الدوام .

روى أبو بكر محمد بن القاسم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم » .

إن هذا القرآن : حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ولا يَخْلق عن كثرة الرد فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول : الم حرف ولكن أقول : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله ، والقرآن ذكر الله ـ تعالى ـ وهو دعاء ، وهو سؤال لله يتصل بالخير والرحمة والمغفرة : كما قال ﷺ ـ فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

روى البيهقى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال النبى ﷺ : « من سره أن يُحبَّ الله ورسوله فليقرأ فى المصحف » جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٦ ص ١٧٠ .

إن النبى ﷺ : يوجه أمته إلى مدارسة القرآن ، والعيش مع تعاليمه حيث يقول الحديث الشريف الذى أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول

الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه » .

ولقد دعا النبى أمته فى قوله وعمله إلى قراءة القرآن أو بعض سوره أو بعض آياته فعن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » رواه مسلم .

وإن القرآن يحاج عن حامله ويتقدم بين يديه يوم القيامة .

فعن النواس بن سمعان ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » رواه مسلم .

وإن حملة القرآن القائمين عليه التالين له هم أهل خاصته : فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنـــه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله ـ تعالى ـ أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه أحمد والنسائى .

لقد دعانا الرسول إلى قراءة آية الكرسى وأنها أعظم آية فى القرآن مع إن القرآن كله عظيم ، فعن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله ـ تعالى ـ معك أعظم ؟ قلت الله ورسوله أعلم ... قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم » قال فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلـــم يا أبا المنذر » رواه مسلم .

وإن سورة من القرآن لتشفع لحاملها ، روى أحمد والترمذى وغيرهما . عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له » .
﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ .

روى أبو داود عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشينا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ « أعوذ برب الفلق » و« أعوذ برب الناس » ويقول : ياعقبة : تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

ولقد كان رسول الله ﷺ : المثل الأعلى للأمة ، والمنهج الفريد فى توجيهها إلى القرآن ـ وخاصة فى شهر رمضان . جاء فى الصحيحين عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل فى ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » .

وهكذا كان السلف الصالح مع القرآن فى رمضان وفى غيره ـ لأنه المنهاج الجامع لعز الدنيا وشرف الآخرة .

قال كعب : ينادى يوم القيامة مناد : « إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أن أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب » .

وقال ابن عبد الحكم : « كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف » .

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون » .

يشرح الحسن البصرى حالهم من القرآن فيقول : « إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها فى النهار » .

ولا يليق ولا ينبغى للمجتمع الإسلامى أن يهجر القرآن ، قال « ابن القيم » هجر القرآن أنواع :

أولا : هجر سماعه ، والإيمان به ، والإصغاء إليه .

ثانيا : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه .

ثالثا : هجر تحكيمه ، والتحاكم إليه .

رابعا : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

خامسا : هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب .

وكل هذا داخل فى قوله : « وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » .
(الفرقان / ٣٠)

قال الفضل بن عياض ـ رحمه الله ـ حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرآن .

اللهم ارزقنا تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا . ووفقنا للعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه ، فى جميع أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا أنك على كل شىء قدير .

حول القرآن في شهر القرآن

للشيخ محى الدين حسين يوسف

النبى ﷺ سيِّد الحفاظ :

النّبى (صلى الله عليه وسلم) سيد الحفاظ والقراء والمقرئين ، لم يزل يحرك لسانه فى شدة الوحى ليعى القرآن ويحفظه ويبلغه حتى نزل تيسير الله وإكرامه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة - ١٦ ، ١٧]

النّبى (صلى الله عليه وسلم) أول الحفاظ وسيدهم وأقرؤهم لكتاب الله تعالى ، قام به الليل حتى تورمت قدماه ، ولمّا ينته حتى يبدأ ، حالا مرتحلا ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء - ٧٩]

وكيف لا !! وأول ما نزل عليه من القرآن : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ سورة العلق

وروى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن جبريل ـ عليه السلام ـ « **كان يعرض القرآن على النبى (صلى الله عليه وسلم) كل عام مرة ؛ فعرض عليه مرتين فى العام الذى قُبض فيه** » ، وفى حديث عائشة أن ذلك فى رمضان ، وللحديث روايات يدل مجموعها على أن النّبى ﷺ وجبريل (عليه السلام) كانا يتبادلان حالة عرض القرآن ؛ والعرض : القراءة ، فكان

أحدهما يقرأ وصاحبه يسمع ، ثم يقرأ الآخر ويسمع صاحبه .

واختص رمضان بعرض القرآن فيه ؛ لأن القرآن نزل فيه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر - ١

وقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة - ١٨٥]

الصحابة حفظة القرآن :

اقتدى الصحابة بالنبى ﷺ فى حفظهم للقرآن ، واعتنائهم به ، علما ومدارسة ، وتطبيقا وممارسة ، فما من صحابى إلّا ومعه شىء من القرآن ، استظهره فى قلبه ، ووعاه فى صدره ، قلّ أو جلّ .

وعدد الصحابة الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب عدد كبير ، وفى البخارى عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبىّ بن كعب » .

قلت : وعبد الله بن مسعود هو أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وسالم هو ابن معقل مولى أبى حذيفة قتل باليمامة ، ومعاذ هو ابن جبل ولّاه الرسول ﷺ قضاء اليمن ، وأبىّ هو ابن كعب أحد أكابر الحفاظ ، كان له دورٌ بارز فى جمع القرآن على عَهْدَى أبى بكر وعثمان ، وهو الذى جمع عمر عليه الناس فى صلاة التراويح ، ولم ينفرد هؤلاء الأربعة بالحفظ لما نزل من القرآن فى هذا الوقت ، بل اشتهر غيرهم بالحفظ ، كزيد بن ثابت الذى انتهت إليه الرياسة فى القراءة بعد ذلك .

ومجموع الأحاديث والآثار على أن الذين مهروا فى حفظ القرآن وقراءته منهم : الخلفاء الأربعة ، وعبدالله بن عمر ، وطلحة ، وأبوموسى الأشعرى ، وأبوهريرة ، وسعد ، وحذيفة ، وأبوزيد أحد عمومة أنس ، واسمه - على الصحيح : قيس بن السكن ، وعبدالله بن السائب وغيرهم .. (رضوان الله عليهم) .

ومن النساء : أمهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وغيرهن .. (رضوان الله عليهن) .

على أن بعضاً من الصحابة استكمل حفظه بعد وفاة الرسول ﷺ كما هو معلوم .

ذكر القرطبى وغيره : أن سبعين رجلاً من القرّاء قد قتلوا فى غزوة معونة على عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ومثل هذا العدد فى موقعة اليمامة على عهد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) ، وفى هذا دليل واضح على كثرة الحفاظ ، الذين كانوا يطلقون عليهم : القراء .

• • •

القرآن بالتلقى والتلقين :

قال مشايخنا : والقراءة على الشيخ هى المستعملة سلفا وخلفا ، وتسمى العرض ، وهى السنة لعرض النبى ﷺ القرآن على جبريل كل عام ، بخلاف الحديث فيكفى فيه السماع ، أمّا القرآن فينبغى فيه العرض على الشيخ مع التلقى منه ؛ لضبط الأداء وهيئته وكيفيته .

قال السيوطى فى « الإتقان » : ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزرى لمّا قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع

فكان يقرأ عليهم الآية ، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتف بقراءته . ا . هـ

ومن هنا تعلم فائدة الشيوخ الذين يعلمون القرآن ، قال ابن الجزرى : « **ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب** » .

يعنى أن الاعتماد إنما هو على التلقى والحفظ على يد الشيوخ المتقنين ، ولذلك كان قولهم : « **لا تأخذ العلم من صُحُفى** – أى من مقلب الأوراق والكتب دون الأخذ من العلماء – **ولا تأخذ القرآن من مصحفى** » أى ممن أخذه من المصاحف دون التلقى والعرض على الشيوخ الحفاظ .

وقد قالوا أيضاً « **فاقد الشىء لا يعطيه** » ، ومن هنا وجب على من سبيله حفظ القرآن أو تحفيظه ولده أن يبحث عن الشيخ المتقن الحافظ .

* * *

ورُبَّ قائل يقول : فى الحديث : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** » قلت : يتتعتع فيه وهو عليه شاق مع عرضه على الشيخ وأخذه عنه ، لا من نفسه وإلاّ أثم .

* * *

فوائد عصرية للقرآن :

وفى تعلم الإنسان للقرآن . وأخذ الصغار به فى عصرنا هذا من الفوائد زيادة على ما هو معلوم :

١ – حفظ الهوية الإسلامية من حيث اللغة : بعد أن طغت المصطلحات الأجنبية الممجوجة ، وأصبحت ملء السمع والبصر ، فى كل مكان ، وتحت كل عين ، يتفاخر البعض بها ، ويقلدها البعض تقليدًا أعمى ، غير أن لكل هذا تأثيره فى هوية بلدنا الإسلامية ، ووجد فى بعض بلاد الإسلام من انسلخ عن لغته إلى لغات أخرى .

٢ – حفظ الهوية الإسلامية من حيث الفكر : فاليوم إذ ينادى علماؤنا ومفكرونا : « أن أدركوا فكركم الأصيل » أوشك أن يقضى عليه الاختراق الفكرى الاستعمارى البغيض ، وليس من وسيلة لإدراك ذلك إلا بالعودة إلى الينابيع الصافية لفكرنا الإسلامى ، والقرآن هو النبع الأول فيها ، يدعو إلى الحرية فى فضيلة ، وإلى التقدم فى نفع ، وإلى التجديد فى غير ضرر ولا ضرار .

٣ – وفيه اعتداد بالعزة المستمدة من الله لعباده المؤمنين خاصية منه لهم تميزهم عن غيرهم ، لا اعتدادا بباطل ، أو استمساكا بعزة ينبوعها إثم .

وبالإجمال : فإن القرآن إعجاز علمى ، وتقدم فكرى ، وواقع حى ، لا حاجة معه لاستدلال من مقدمات ، أو تجارب لاختيار ما ينجح من الأعمال والسياسات ، وفيه ربط بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وفيه صلاح وإصلاح وتربية .

* * *

الحكم الشرعى لحفظ القرآن :

قال السيوطى (رحمه الله) فى الإتقان : اعلم أن حفظ القرآن « **فرض كفاية** » على الأمة ، صرح به الجرجانى فى الشافى ، والعبّادى وغيرهما .

وقال الجوينى : والمعنى فيه ألّا ينقطع عدد التواتر فيه ؛ فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين ، وإلّا أثم الكل .

قلت : ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن عدد التواتر فى نقل القرآن حفظا وتلاوة وخطا لم ينقطع أبداً ؛ إذ تكفل الله تعالى بحفظه فى الصدور ؛ فهيأ له الحفظة ، وسهل حفظه عليهم ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر - ١٧]

وحفظه فى المصاحف ، فهيأ تعالى له الخطاطين فأبدعوا فى رسمه وشكله ونقطه وفواصله وتقسيمه ، فنًّا وجمالا ، ومحافظة وكمالا ، ثم هيأ الله - تعالى - له المطابع والأوراق فخرج فى تجليد فاخر وصورة جيدة ، واعتنى به أهل القرآن فى مجمعات طباعته فى كل مكان ، كل ذلك بغاية الإتقان حتى قلّ أن يوجد كتابا خاليا من الأخطاء غير القرآن الكريم ، إعجازا وتحديًا .

ومما واكب ظهوره فى عصرنا هذا من وسائل حفظ القرآن التسجيلات السمعية للقرآن ، بل والمرئية ، بأصوات متقنى القرآن قراءة ومعنى كما تم توظيف أجهزة الحاسب الآلى (الكومبيوتر) لخدمة القرآن الكريم ؛ فتم برمجتها بنص القرآن ، وإعدادها بفهارس عديدة تخدم الباحث الإسلامى ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر - ٩]

قلت : **ويجب على كل مسلم وجوبا عينيا أن يتعلم من القرآن مايصلح به دينه ، وتقوم به صلاته ، وتحفظ به نفسه .**

قال ابن خلدون ما محصلة : « وهو شعار من شعار الدين ، أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم » .

من فضل حفظ القرآن وتعلمه :

فى الصحيح عن عثمان (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وفى رواية : « **إن أفضلكم من يتعلم القرآن ويعلمه** »

وروى الطبرانى ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال ﷺ : « **أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل** »

وفى مسند أحمد عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « ذكر رجل عند رسول الله ﷺ بخير ، فقال : **أولم تروه يتعلم القرآن** » أى أن ما هو فيه من خير إنما هو ببركة تعلمه القرآن ، أو إن أكبر خير هو فيه تعلمه القرآن .

وبلغ من حرص النبى ﷺ على تعلم أصحابه القرآن أنه كان يشترط على من أتى إليه مسلما من وفود العرب أن يتعلموا القرآن فيما بينهم ، ويرسل معهم من يعلمهم من أصحابه .

وعند أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) : « **كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى ﷺ إلى رجل منّا يعلمه القرآن** » .

قلت : وقد جاء فى صفة الأمة المحمدية فى الكتب السابقة عند « البخارى » : « **أناجيلهم صدورهم** » أى أنهم يحفظون كتاب الله فى صدورهم ، وتلك خصيصة لأمة النّبى محمد (صلى الله عليه وسلم) لم تكن لأمة سابقة .

ومن فضل حامل القرآن أن النّبى ﷺ كان يدفن شهداء أحد من أصحابه بحسب ما معهم من القرآن ؛ فيقدم أكثرهم حفظاً .

وقد ورد أنه ﷺ زوّج بعض أصحابه بما معهم من القرآن ، وفى البخارى أنه قال لأحد

أصحابه : « **زوجتك إياها بما معك من القرآن** » أى : ما حفظه عن ظهر قلب منه .

● ● ●

حفظ الصبيان وسِنّ الحفظ :

ترجم البخارى فى صحيحه : « باب تعليم الصبيان القرآن » ، وقال الحافظ فى هدى السارى : ويؤخذ فقه الإمام البخارى من تراجمه ، قلت : وكأن ترجمة البخارى هنا تدل على الندب والاستحباب ؛ فإن تعليم الصبيان القرآن فى الصغر كالنقش على الحجر ، أى فى ثبات الحفظ واستمراره .

كذلك معلوم أن الصبىّ الصغير عنده من صفاء الذهن وخلو البال ، ما يجعل الحفظ والمدارسة أيسر عليه ممن انشغل بمطالب العيش والحياة .

وعند البخارى أيضا قال ابن عباس : « **توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم** » يعنى المفصل ، وهو من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح ، وهو ما كثرت فصوله من القرآن .

وذكر الشعرانى « فى كشف الغمة » أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يرخص فى إمامة الصبى المميز ، لا سيما إذا كان أكثر القوم قرآنا ، قال : وكان عمرو بن أبى سلمة ــ رضى الله عنه ــ يؤم قومه ابن ست أو سبع أو ثمان فى عهد النبى ﷺ ، وإمامة عمرو لقومه وهو صبى ذكرها البخارى ، والحافظ فى الإصابة .

وأخرج أبوداود بإسناد صحيح عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاما فعابوا عليه ، فقال : ما قدمته ولكن قدمه القرآن .

وذكر ابن الحاج المالكى أن السلف كانوا يقرءون أولادهم إذا بلغوا سبع سنين .

وقد كره مالك وطائفة من السلف أن يعجل بتعليم الطفل القرآن قبل تمييزه ، ونحو هذا ورد عن إبراهيم النخعى وسعيد بن جبير عند أبى داود .

قلت : والحاصل أن الكراهة فيمن لم يعقل بعد لعدم قدرته على التحمل وحتى لا يورثه الملال ، وأما المميز الذى يعقل الأشياء فيجب أخذه بالجد فى الحفظ كتعليمه الصلاة وغيرها من أمور الدين .

● ● ●

الكتاتيب فى التاريخ :

الكُتّاب : اسم للمكان الذى يحفظ فيه الصبيان القرآن ، وجمعه « كتاتيب » ، ويطلق عليه « مكتب » أيضا ، وكلاهما صحيح فى اللغة .

وفى « كتاب الديات » من صحيح البخارى « **أن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ بعثت إلى معلم الكُتّاب أن ابعث إلىّ غلمانا** ... » ، وفيه دليل على أن أول « كُتّاب » كان بالمدينة على عهد النبى ﷺ ، قال الحافظ : وفى رواية النسفى « كُتّاب » بالتنكير ، قلت : فيه دليل على وجود أكثر من كتاب بالمدينة فى هذا الوقت .

ويؤيده ما أسنده البخارى فى الأدب المفرد إلى ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ « **أنه كان يُسَلِّم على الصبيان فى المكتب** » .

وقال الواقدى : « إن عبدالله بن أم مكتوم قدم مهاجراً إلى المدينة فنزل « دار القراء » ، قال

الطهطاوى فى كتابه « الدولة الإسلامية » : « ولا مانع أن تعتبر ـ دار القـراء ـ أنها أول مدرسة فتحت فى الإسلام » .

وقد انتشرت الكتاتيب بعد ذلك ، ونظمت فى عهد أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ ؛ فأمر ببناء بيـوت المكـاتب ، ونصب الرجـال لتعـليم الصبيان وتـأديبهم ، وسـنّ لهم الاستراحـة أيـام الأربعاء والخميس والجمعة ، ذكر ذلك الكتانى فى « التراتيب الإدارية » .

ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع الكتاتيب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وكان لها دور مهم فى نشر الإسلام والحفاظ على هويته ، خصوصا فى وسط أفريقيـا ، ويطلـق على الكتاتـيب هنـــاك اسم « الخلاوى » ، وقد ألحقت الكتاتيب أو الخلاوى فى الشمال الأفريقى وفى كثير من البلاد الإسلامية بالمساجد والزوايا والأربطة و « الخانقاهات » وبيوت الصوفية .

وعلى الهيئات المسئولة عن شئون القرآن كالأزهر والأوقاف والجمعيات الأهلية النهضة بالكتاتيب مرة أخرى لتعود سيرتها الأولى .

● ● ●

محفظو القرآن وشىء من التاريخ :

اشتهر من محفظى القرآن ومعلميه عدد من الصحابة أولهم : مصعب بن عمير بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة قبيل الهجـرة ليعلمهـم القـرآن والإسلام ، وكان يسمـــى « المُقـــرىء » .

« والمقـرىء » : هو المعلـم والمحفـظ بخلاف « القارىء » فهو الذى يتلو القرآن بجمع أو انفراد ، كما يطلق « القارىء » على المتلقى ، وفى حديث بدء الوحى قوله ﷺ لجبريل : « ما أنا بقارىء » .

ومن المقرئين من الصحابة عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ كان يعلم أهل الصفة القرآن .

ومن أصغر من أقرأ من الصحابة سنًّا : عمرو ابن حزم بن زيد الخزرجى من بنى مالك أرسله النبى ﷺ إلى « نجران » وهو ابن سبع عشرة سنة .

واشتهر بالإقراء سبعة من كبار الصحابة هم : عثمان ، وعلى ، وزيـــد بن ثابت ، وأبـــىّ ، وابن مسعود ، وأبوالدرداء ، وأبو موسى الأشعـرى ـ رضى الله عنهم جميعا ـ ، وعنهم اشتهر سبعة من تلاميذهم هم الأئمة الحفاظ السبعـة أصحـاب القـراءات : نافـع ، وابـن كثير ، وأبـو عمـرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، واشتهر عن كلٍّ إمام راويان ، ثم انتشرت القراءات بعد عنهم برواياتهم ، وحفظت ، ودونت ، وجابت الآفاق .

وبعد : وإلى عهدنا هذا لم تخل أرض الإسلام من القراء الحفظة عدد التواتر الجم جمعا عن جمع ، طبقة عن طبقة ، جيلا من بعد جيل .

وجمع أشهر الحفاظ من القراء الحافظ الذهبى فى طبقات القراء ، ومن بعده زين القراء وحافظهم أبـوالخير ابـن الجزرى ـ رضى الله عنهم جميعـا وأرضاهم ـ .

● ● ●

من رجال الحديث الشريف

يزيد بن الهيثم

روايته من كلام أبي زكريا يحيى ابن معين في الرجال

تحقيق د. أحمد محمد نور سيف

عرض الأستاذ / أحمد تقي الدين

هو يزيد بن الهيثم بن طهمان ، أبو خالد الدقاق ، البغدادى ، لازم يحيى بن معين ، ودون بعضا من أقواله فى الجرح والتعديل .

اشتهرت نسبته بـ (البادا) والصواب فيها أنها بالياء نسبة إلى البدء ، فقدوُلِدَ هو وأخ له توأمان ، وكان هو الأول منهما فى الولادة فقيل له : (البادى) أى البادىء .

شيوخه :

سمع عاصم بن على ، وعبيدالله بن محمد عن عائسة ، وبسام بن يزيد النقال ، وعبدالله بن مطيع البكرى ، وصبح بن دينار ، وعباس بن غالب الوراق ، ويحيى بن معين .

تلاميـــــذه :

روى عنه : يحيى بن صاعد ، ومكرم بن أحمد القاضى ، وأبو عمرو بن السماك ، وأبوسهل بن زيان وأبو بكر الشافعى ، وغيرهم .

قال عنه الدارقطنى والخطيب : « كان ثقة »

٭ تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بمكة المكرمة .

من كلام أبى زكريا يحيى بن معين فى الرجال :

والآثار التى تركها إمام الجرح والتعديل أبو زكريا يحيى بن معين[1] تفوق فى كثرتها ما تركه غيره من الأئمة النقاد ، ولذا فقد ذاع صيته بسبب ما وصل إليه فى نقد رواة الحديث ، وشهد له العلماء والنقاد بالفضل ، والتقدم ، وأحلوه فى نفوسهم المنزلة الرفيعة ، ووجد أقرانه وتلاميذه فى ملازمته علما ومغنما وحجة ومرجعا عند الاختلاف ، حيث دونوا عنه كل ما تلقوه منه من معارف ومعظمها فى ميدان الجرح والتعديل وعلل الحديث ، وما يتعلق بهما ولقد كانت مجالسه تغص بطالبى هذا الفن ومن هؤلاء رجلنا الذى نعرض له : « يزيد بن الهيثم البادى » الذى دون عن الإمام يحيى رواية تعد من الروايات القصيرة إذا قورنت بغيرها من روايات الآخرين كالدورى ، وابن محرز .

وصاحب الرواية بغدادى لازم يحيى بن معين ، ودون عنه أقوالا فى جرح الرواة وتعديلهم ، وكان يقول فى نهاية كل رواية :

- كل شىء من كلام يحيى فى هذا الجزء .
- سمعت من يحيى بعضه .
- بعضه سألته عنه .
- بعضه كان يبتدينا ..

واحتوت هذه الرواية - بهذا الكتاب - على أربعمائة وسبعة نصوص ، ضمت تراجم لأربعمائة وعشرين ممن أدلى ابن معين برأيه فيهم .

وعلى الرغم من قصر هذه الرواية فقد اشتملت على نصوص هامة رفعت الجهالة عن بعض الرواة ممن لم يرد فيهم توثيق لناقد له مكانته مثل الإمام يحيى بن معين :

من ذلك ما أورده محقق الرواية الدكتور أحمد محمد نور سيف فى تحقيقه : ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ :

« ٢٨٦ - عبدالله بن بشر ثقة . روى عنه معمر الجزرى عن الزهرى فى الحاجم والمحجوم . ثقة ليس به بأس »

يعلق المحقق على هذه الرواية بقوله :

أخرج هذا الحديث بن ماجه من طريق معمر بن سليمان ، عن عبدالله بن بشر ، عن الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أفطر الحاجم والمحجوم . وساقه ابن عدى فى الكامل ثم قال : وهذا لا أعلم يرويه عن الأعمش غير عبد الله بن بشر وروى عن الحسين ابن واقد عن الأعمش .

ثم قال : وعبدالله بن بشر له من الأحاديث غير ما ذكرت من الحديث ، ولمعمر عنه نسخة وأحاديثه عندى مستقيمة أهـ ..

وما ذهب إليه ابن عدى فى الحكم عليه وعلى أحاديثه تشهد له النصوص المنقولة عن ابن معين ، فروى الدورى عنه قال : عبدالله بن بشر الذى يروى عنه معمر بن سليمان الرقى ، هو كوفى نزل الرقة ، وهو ثقة . وكذا نقل ابن محرز عنه وزاد : صدوق مسلم . وابن أبى خيثمة أيضاً عنه قال : عبدالله بن بشر الذى يروى حديث الأعمش : أفطر الحاجم والمحجوم ، ثقة من خيار المسلمين .

(١) عرضت مجلة الأزهر فى عدد شهر المحرم ١٤١٧ ص ٢٤ : ٣١ لحياة الإمام يحيى بن معين .

ونقـل ابـن عدى عن الـدورى عنـه قال : عبدالله بن بشر الذى روى عن الأعمش ، ثقة . وسأل الدارمى عنه يحيى فقال : ثقة ، فنقول الرواة عن يحيى متضافرة على توثيقه ، وصحة الحديث الذى رواه فى الحجامة . وشذّ الساجى (زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن ٣٠٧ هـ) .

فعزا إلى يحيى قوله : عبدالله بن بشر الذى يروى عنه معمر بن سليمان ، كذاب لم يبق حديثاً منكراً رواه أحد من المسلمين إلا وقد رواه عن الأعمش . ولم يذكر من نقل ذلك عن يحيى . والنقول السابقة ، تؤكد وهم الساجى فى نقله . أما ابن حبان فقد اضطرب قوله فيه . فقد ذكره فى الثقات ثم غفل فذكره فى الضعفاء .ولذا فقول ابن حجر فيه فى التقريب : اختلف فيه قول ابن معين وابن حبان ، مما يشعر بتضعيفه ، فيه وذلك :

ـ أن النقل عن يحيى بتضعيفه ؛ لم يثبت .

ـ أن ابن حبان ، غير متثبت فى حكمه ، خاصة وأنه لم يورد له ما ينكر عليه كعادته فى ترجمة الرواة .

ـ أن ابن عدى قد استقرى أحاديثه ، وقال : أحاديثه عندى مستقيمة .

ـ قد وثقه كذلك أبو زرعة والنسائى ومعمر ابن سليمان الراوى عنه كما نقل ذلك ابن حجر عنه .

ـ أن طعنه عليه ، لم يكن على بيّنة من أمره .

وقد وقع عمل المحقق فى اثنتين وسبعين ومائة صفحة من القطع العادى حوت تحقيقاً لنسختين من الرواية :

ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث باسطنبول .

ـ نسخة مكتبة صائب سلام بأنقرة .

وقعت النسخة الأولى فى سبع ورقات مسطرتها ٢٥ سطراً . فى حين وقعت الثانية فى ثمان ورقات ٢٦ × ١٨,٥ .

ورجع المحقق فى تحقيقه للرواية على النسختين إلى عدد من المراجع بلغ ثلاثة وسبعين مرجعاً منها ثلاثة عشرة مخطوطة .

وفى نهاية التحقيق دعم المحقق عمله بعدد من الفهارس :

ـ فهرس الأعلام .

ـ فهرس من نسب إلى أبيه .

ـ فهرس النسب وكنى النساء ومن لا يعرف .

ـ فهرس الأحاديث مرتبا على الأبواب الفقهية وأخيراً قائمة المراجع .

ملاحظـــات :

● قال المحقق فى ص ٧ فى تعريفه بصاحب الرواية يزيد بن الهيثم بن طهمان البادى : « اشتهرت نسبته بالبادا ، والصواب فى هذه النسبة ، أنها بالياء نسبة إلى البدء ، فقد ولد هو وأخوه توأمان [سبق أن قدمنا ذلك] ، وكان هو الأول منهما فى الولادة فقيل له : البادى .

وقد عرف بهذه النسبة من أحفاده أو أحفاد أخيه على الأصح اثنان من أحفاده ، أو أحفاد أخيه على الأصح ترجم لهما الخطيب ، وذكر أن كلا منهما كان يعرف بابن البادا » أى البادى .

وهذان الحفيدان اللذان ذكرهما المحقق هما :

ـ الحسن بن على بن الحسن بن الهيثم طهمان

أبوعبدالله الشاهد المعروف بابن البادا .

ـ أحمد بن على بن الحسن بن على بن الحسن ابن الهيثم أبو الحسن ويعرف بابن البادا ، وذلك على نحو ما ذكر ص ٨

وقام المحقق بتحقيق نسبة الحفيدين إلى لقب « ابن البادا » أو « ابن البادى » .

حتى قال فى ص ٩ : « فالصواب أن يقال فى يزيد بن الهيثم : البادى . وأن يقال فى كل من حفيديه أو حفيدى أخيه : ابن البادى .

وإنما قلت : حفيدى أخيه لأن نسبهما ينتهى إلى ابن الهيثم ، وليس إلى يزيد بن الهيثم ، فلعله أخوه ، ثم شاعت هذه النسبة بعد ذلك ، فعرفت فى أحفاده وأحفاد إخوته » .

ويبدو لى ـ والله أعلم ـ أن الأستاذ المحقق كان الأولى به أن يحصر نسبة « ابن البادا » أو « البادى » فى أبناء وأحفاد يزيد بن الهيثم فقط ، وليس فى أبناء وأحفاد أخيه أو إخوته .

● وفى ص ٩٤ رواية ليزيد بن الهيثم عن يحيى بن معين جاء فيها :

« ٢٩٤ ـ قد روى محمــــد بن ثابت العصرى » ..

بينما فى حاشية التحقيق لا ذكر للعصرى وإنما تحدث المحقق عن محمد بن ثابت العبدى فهل جاء الاسم ناقصاً أم الأمر لا يخرج عن نطاق الخطأ المطبعى ؟!

على أنها ملاحظات لا تقلل بحال من جهد المحقق الذى دعم تحقيقه بواحد وعشرين حديثاً ذكرها صاحب الرواية من ذلك :

« ٣٣٦ ـ قيل له : روى الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ ، من لم يقرأ بفاتحة الكتاب » قال المحقق :

« أخرجه البخارى من طريق سفيان قال : حدثنا الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

« ٣٥٨ ـ وقيل ليحيى وأنا أسمع : اسماعيل ابن زكريا روى حديث حُجَيَّة عن على فى قصة صدقة العباس ... قال المحقق :

« أخرجه أبو داود قال : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا اسماعيل بن زكريا عن الحجاج ابن دينار ، عن الحكم ، عن حجية ، عن على أن العباس سأل النبى ﷺ فى تعجيل صدقته قبل أن تحل ، فرخص له فى ذلك (قال مرة : فأذن له) . قال أبو داود : روى هذا الحديث هشيم عن منصور بن زاذان عن الحكم عن الحسن بن مسلم عن النبى ﷺ وحديث هشيم أصح ... أخرجه الترمذى ... وابن ماجه ... والدارمى ... وأحمد ... والدارقطنى .. والبيهقى ... وقال : هذا حديث مختلف فيه على الحكم بن عتيبة فرواه اسماعيل بن زكريا عن الحجاج عن الحكم هكذا وخالفه إسرائيل عن حجاج فقال : عن الحكم عن حجر العدوى عن على وخالفه فى لفظه فقال : قال رسول الله ﷺ **لعمر** : (إنا قد أخذنا من العباس زكاة العام .. عام **أول**) . ورواه محمد بن عبيد الله العرزمى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ... »

وعمل المحقق بما لا يدع مجالا للشك عمل متميز متفرد نسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

الغرر في التأمين يستغرق المحل

9

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

وشذا ما أردنا أن نطبق هذا النوع من الغرر على التأمين لوجدنا أن الغرر الحاصل فيه يستغرق المحل كله دون أن يقتصر على قدر يسير منه ، وليس أدل على ذلك من أن أهم أنواع التأمين ، وهو التأمين من الأضرار يستغرق العوض كله من ناحية حصوله أو عدم حصوله ، كما يشمل أيضاً غررا فى مقدار الحاصل منه ، ذلك أن المستأمن لا يعرف هل سيقع الضرر المؤمن عليه أم لا يقع ، وإذا وقع فإنه لا يستطيع أن يحدد مقداره ، ولا يعرف مقدار ما سيأخذه من المؤمن فالضرر فى هذا النوع من التأمين يعتبر شرطاً لاستحقاق التعويض ، ومن ثم فإنه إذا تحقق الخطر ولم يحدث ضرر بالمؤمن له ، فلا يستحق أى تعويض[1] ، ثم إن مقدار الضرر الحادث للمؤمن له يعتبر عنصرا من عناصر تحديد التعويض ، أى أداء المؤمن ، ذلك أن هذا الأداء يجب ألا يزيد عن الضرر ، وإلا كان فى ذلك تشجيعاً للمؤمن له على إحداث الضرر .

* الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(1) الوسيط للسنهورى - الجزء السابع - المجلد الثانى - فقرة ٥٦٣ - ص ١٤٥٣ ، وما بعدها - طبعة ١٩٩٠م ، د. محمد كامل مرسى - فقرة ١٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى - فقرة ١٢١ ، د. نزيه المهدى - ص ٦٢ ، ٦٣ ، د. عبدالحى حجازى - التأمين - فقرة ١٢٤ ، د. أحمد شرف الدين - ص ١٦٢ ، وما بعدها ، د. عبدالناصر العطار - ص ١٧ ، د. عبدالرازق فرج - ص ٢٨ ، د. حسام الدين الأهوانى - ص ٢٤ ، وفى الفقه الفرنسى .

Picard (M.) Besson (A.), les assurances T.1, le contrat d'assurance, No. 34 p. 53 Paris, 1975.

الحكم الشرعى للتأمين التجارى :

لكى يحصل على مبلغ يزيد على الضرر الذى لحق به ، وغير خاف أن ذلك الأمر مخالف للمصلحة العامة ، سواء فى الوسيلة المتبعة ، وهى إلحاق الضرر عمداً بتعمد تحقيق الخطر المؤمن منه ، أو فى النتيجة ، وهى تحقيق الكسب والإثراء مما يضفى على العملية وصف المضاربة ، ولذلك تعتبر قاعدة تقييد أداء المؤمن بمقدار الضرر الحادث ، قاعدة من النظام العام لا يجوز الإتفاق على ما يخالفها ، وعلى المؤمن إن يثبت حدوث الضرر ومداه[٢] .

وبالنسبة للمؤمن ، فإن مقدار ما تحصل عليه من عوض فيه غرر كثير ، لأنها قد تحصل على قسط واحد ، ثم تقع الكارثة ، وقد تحصل على عشرة أقساط ، ثم تقع الكارثة ، وقد تحصل على عدد الأقساط كلها ولا تقع الكارثة فى مدة التأمين فلا تخسر شيئاً ، وواضح أن التفاوت فى مقدار ما تحصل عليه شركة التأمين من عوض تبعاً لوجود هذه الاحتمالات الموجودة فى الصور التى مثل بها المالكية للغرر اليسير ، لأن الفرق فى قدر ما يحصل عليه المتعاقد من عوض زيادة ونقصاً تبعا لأعلى الاحتمالات وأدناها فى عقود التأمين كبير جداً إذا قيس بنظيره فى الأمثلة التى مثل بها المالكية للغرر الذى لا يؤثر فى المعارضات مثل شراء الدار دون رؤية الأساس ، وشراء الجبة المجهول حشوها ، فافترقا تحريماً وجوازا[٣] .

ارتكاب الغرر فى التأمين ليس ضرورياً :

وإذا طبقنا هذا العنصر على عقد التأمين ، لوجدنا أن الغرر فى هذا العقد ليس من الغرر الذى تدعو الضرورة إلى ارتكابه ، لأننا أولا : لسنا بصدد معارضة وردت الأدلة الشرعية بجوازها بحيث لو منعنا الناس منها أصابهم من ذلك الحرج الشديد ، والمشقة الزائدة ، وليس أدل على ذلك من أننا نبحث عن مشروعية هذا النوع من التعامل ، كما أننا لسنا أمام عقد تدعو الضرورة إلى ارتكاب الغرر فيه ، لأن عقد التأمين فى حد ذاته من عقود الغرر ، فلا يقال أن الضرورة قد اقتضت ارتكاب الغرر فيه[٤] .

الشرط الثانى : أن يقع الغرر فى عقود المعاوضات :

ويشترط ثانياً : أن يكون الغرر حاصلا فى عقد من عقود المعاوضات ، والأمثلة التى ضربها الفقهاء للغرر الفاحش المحرم ، كلها تدور حول

---

(٢) د. عبدالحى حجازى ــ السابق ــ فقرة ١٢٤ ، د. محمد على عرفه ، ص ٥٥ ، د. محمد كامل مرسى ــ العقود المسماة ــ جـ ٣ (التأمين) ــ فقرة ٣٢ ، القاهرة ١٩٥٢ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ التأمين ــ فقرة ١٦١ ، د. عبدالرازق فرج ــ عقد التأمين ــ فقرة ٧٤ ، د. أحمد شرف الدين ، السابق ــ ص ١٦٢ ، وحكم محكمة القاهرة الإبتدائية بتاريخ ١٦/٢/١٩٥٣ ، المحاماه ــ س ٣٥ ، ص ٥٤٥ .

(٣) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ــ ص ٧٩ ، وراجع : الدكتور الصديق محمد الأمين الضرير ــ الغرر وأثره فى العقود ، ص ٦٥٦ وما بعدها ، حيث يقرر أن الغرر فى التأمين كثير لا يسير ولا متوسط ، لأن من أركان التأمين « الخطر » ، والخطر هو حادث محتمل لا يتوقف على إرادة المتعاقدين .

(٤) د. حسين حامد ــ السابق ــ ص ٨٢ .

عقود المعاوضات ، حيث يدفع فيها كل واحد من المتعاقدين مقابلا لما أخذ ، ومن ثم كان من الواجب أن يحيط علما بكل ما من شأنه أن يحقق رضاه ببذل العوض مقابل المعوض الذى اتفق عليه فى العقد[٥] .

فإذا وقع الغرر فى معاملة تقوم على التبرع ، فإنه يغتفر ، وقد سبق أن رأينا فى مشروعية التأمين الإجتماعى ، أنه ليس بشرط فى جواز التبرع أن يعرف المتبرع عند التبرع مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد ، وهذا هو معنى القول بأن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات ، تشجيعاً على فعل الخير من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى ، حيث لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع ، والأصل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦] .

فالمحسن متفضل ، والتبرع من أنواع الإحسان فليس على صاحبه من سبيل فيه .

ولعل جواز الغرر فى عقود التبرع ، هو الأصل الذى قال به كثير من الفقهاء المحدثين بمشروعية التأمين الإجتماعى[٧] ، وقد قامت الأدلة على ذلك من السنة والقياس كما سبق أن رأينا[٨] .

الشرط الثالث : **عدم وجود نص بالتجاوز عنه** :

ويشترط ألا يكون هناك نص يفيد مشروعية التجاوز عن الغرر الموجود فى المعاملة ، فإذا ورد النص على مشروعية عقد ما رغم ما ينطوى عليه من غرر فإن اتباع النص يكون أولى ، وقد جرى ذلك فى باب الاستحسان .

والاستحسان لغة : مشتق من الحسن ، قال ابن منظور : والحسن محركة ما حسن من كل شىء ، فهو استفعال من الحسن ، يطلق على ما يميل إليه الإنسان ويهواه ، حسيا كان هذا الشىء أو معنوياً ، وإن كان مستقبحا عند غيره ، وهو من الحسن ضد الاستقباح تقول : استحسنت كذا ، أى اعتقدته حسناً ، ويقال : استحسن الرأى أو القول أو الطعام أو الشراب ، أى عدّه حسنا ، وهذا مما استحسنه المسلمون ، أى عدوه حسنا[٩] .

وفى اصطلاح الأصوليين والفقهاء :

عرفه الإمام الغزالى بعدة تعريفات منها أنه :« ما يستحسنه المجتهد بعقله »[١٠] . وهذا التعريف منتقد ، لأنه يجعل الاستحسان راجعا إلى عقل المجتهد دون أن يقيده بالنصوص الشرعية .

---

(٥) د. السنهورى ـ مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ـ السابق ـ ص ٤٩ ، حيث يقرر : أما فى التبرعات فلا يكون الغرر مهما كان كثيرا ، مؤثراً فى صحتها ، وذلك أنه لا ضرر من الغرر ، ولو كان كثيراً على من يتلقى التبرع ، لأنه لم يبذل شيئاً يخشى ضياعه . من جراء الغرر .

(٦) سورة التوبة ـ آية ٩١ .

(٧) راجع فى هذا المعنى : الشيخ محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ السابق ـ ص ٥١٥ ، د. عبدالناصر العطار ، السابق ـ ص ٧١ ، وما بعدها ، د. يوسف قاسم ـ السابق ـ ص ٢٢٠ ، وقرارات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد أكد المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بتاريخ ١٩٦٦/١٠/٢٧ ، بأن التأمين التعاونى والإجتماعى ، وما يندرج تحتهما ، من التأمين الصحى ضد العجز والبطالة والشيخوخة ، وإصابات العمل وما إليها فقد قرر المؤتمر جوازها .

(٨) راجع مشروعية التأمين التعاونى والإجتماعى فى الباب الأول ، من هذا البحث .

(٩) المعجم الوسيط ـ ص ١٧٤ ، القاموس المحيط ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٤ ، تاج العروس ـ جـ ٩ ـ ص ١٧٧ .

(١٠) المستصفى للغزالى ـ جـ ٢ ص ٤٧ .

ولهذا قيده الغزالى بقوله : « إنا نعلم قطعا إجماع الأمة قبلهم على أن العالم ليس له أن يحكم بهواه وشهوته من غير نظر فى الأدلة ودلالتها ، والاستحسان من غير نظر فى أدلة الشرع حكم بالهوى ، وهو كاستحسان العامى ، ومن لا يحسن النظر »(١١) .

وقد أخذ على هذا التصحيح أنه يجعل للعامى استحسانا ، وهو مالا يمكن تصوره ، ولذلك عرفه بتعريف آخر جاء فيه : « أنه العدول بحكم المسألة عن نظائرها بدليل خاص »(١٢) ، كما عرفه ابن العربى بأنه : إيثار ترك الدليل والترخيص بمخالفته لمعارضته دليل آخر فى بعض مقتضياته(١٣) ، يقول الشوكانى : « إن كان الاستحسان والقول بما يستحسنه الإنسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل ، ولا أحد يقول به ، وإن كان تفسير الاستحسان بالعدول عن دليل إلى دليل أقوى منه ، فهذا مما لا ينكره أحد »(١٤) .

أدلة مشروعية الاستحسان :

وردت أدلة مشروعية الاستحسان بالكتاب والسنة والإجماع :

١ ـ أما الكتاب :

(أ) فيقول الله تعالى :

﴿ وَاتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴾(١٥) .

والآية تمدح الذين يتبعون أحسن القول ، وأحسن أفعل تفضيل ، يقابله الحسن وهو المتروك باتباع الأحسن ، واتباع بعض القول لكونه أحسنا هو الاستحسان ، والآية فيها أمر بالوجوب ، فيكون المأمور به واجبا ولا معنى لحجية الاستحسان إلا هذا ، يقول الآمدى : « وجه الاحتجاج بالآية ، ورودها فى معرض الثناء والمدح لمتبع أحسن القول »(١٦) .

(ب) ويقول الله تعالى :

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾(١٧) .

ووجه الدلالة فى الآية الكريمة ، أنها قد ذكرت فى مقام المدح والثناء على المتبعين ما أحسن »(١٨) .

(جـ) ويقول الله تعالى :

﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾(١٩) .

وقد أوضحت الآية الكريمة أن قوم موسى كانوا مأمورين بأن يأخذوا بالأحسن ، وهم مأمورون بالعمل به ، مع وجود الحسن فى التوراة ، ونحن كذلك مأمورون به ، لأن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم ينسخ ، وقد سار اتباع الأحسن من شرعنا لما سبق من الآيات ، وحينئذ يكون الاستحسان حجة .

---

(١١) المرجع نفسه .
(١٢) المرجع نفسه ـ ص ٤٨ .
(١٣) الإعتصام للشاطبى ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٩ ، والموافقات ـ جـ ٤ ـ ص ٢٠٨ .
(١٤) إرشاد الفحول ـ ص ٢١٢ ، وراجع : بحث فى الاستحسان ـ للدكتور محمود عبدالقادر مكاوى منشور ـ فى أسبوع الفقه الإسلامى ، ومهرجان الإمام ابن تيمية ـ ص ٢٩٧ وما بعدها .
(١٥) سورة الزمر ـ آية ٥٥ .
(١٦) الإحكام للآمدى ـ جـ ٢ ص ٢٠٢ .
(١٧) سورة الزمر ـ آية ١٨ .
(١٨) المبسوط للسرخسى جـ ٢ ص ١٢٥ .
(١٩) سورة الأعراف ـ آية ١٤٥ .

٢ ـ ومن السنة النبوية :

ما روى أنه قال : « ما رآه المسلمون حسنا هو عند الله حسن »[٢٠] ، ووجه الدلالة فى الحديث أن النبى ، قد بين أن ما يراه المسلمون بعقولهم حسناً ، فإنه حينئذ يكون ذلك ، وإلا لو لم يكن كذلك لحسنه الشرع بدليل ، وحينئذ فلا يكون هناك داع لذكر الحديث[٢١] .

٣ ـ وأما الإجماع :

فقد استدل المثبتون للاستحسان بالإجماع على ثبوت حجيته بقولهم : أجمعت الأمة على دخول الحمام من غير تقدير أجرة وعوض الماء ، ولا تقدير مدة السكون واللبث فيه ، وكذلك شرب الماء من يد السقائين بغير تقدير العوض ولا مبلغ الماء المشروب وقدره ، لأن التقدير فى مثل هذا قبيح من العادات فاستحسنوا ترك المضايفة فيه ، ولا يحتمل ذلك فى إجارة ولا بيع[٢٢] .

تطبيقات الاستحسان على الغرر :

فإذا ورد النص بالاستحسان فى مسألة يتضمن العقد فيها غررا ، فإنه يغتفر بالنص ، وذلك كما فى السلم والإجارة .

(أ) أما السلم :

فإنه يعرف بأنه : بيع آجل بعاجل ، أو بيع شيء موصوف فى الذمة ، أى أنه يتقدم فيه رأس المال ، ويتأخر المثمن لأجل ، وبعبارة أخرى : هو أن يسلم عوضا حاضرا فى عوض موصوف فى الذمة إلى أجل[٢٣] .

فالسلم بيع ، لكنه لم يأت على قاعدة البيع المعهود ، والذى يشترط فيه أن تكون العين المبيعة موجودة عند العقد ، إلا أنه جوز لنص آخر ، أخرج المسلم فيه من الحكم العام الذى بينه النبى ﷺ لحكيم بن حزام : « لا تبع ما ليس عندك » ، حيث نهى النبى ﷺ عن بيع ما ليس عند الإنسان ، لكن السلم جوز رغم أنه ليس موجوداً عند الإنسان وقت التعاقد ، وذلك لليسر

(٢٠) رواه أحمد فى مسنده ، وقال العلائى عن هذا الحديث : لم أجده مرفوعا فى كتب الحديث أصلا ، ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال ، وإنما هو موقوف على ابن مسعود ، وقد حسنه ابن حنبل كما أخرجه البزار والطيالسى والطبرانى ، وأبو نعيم فى ترجمة ابن عباس من الحلية ، وراجع المقاصد الحسنة ـ للسخاوى ـ حديث ٩٥٩ ـ ص ٣٦٧ ـ طبعة دار الأدب العربى للطباعة ، ويقول السرخسى : والحديث شائع مشهور على الألسنة رغم عدم ثبوت رفعه إلى النبى ﷺ ، والثابت وقفه على ابن مسعود رضى الله عنه ، وقد ذكر الزيلعى له ثلاث طرق ، فقد رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم فى المستدرك ، والبزار فى مسنده ، كما رواه البيهقى عن الصنعانى عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، راجع المبسوط للسرخسى ـ جـ ١٢ ـ ص ٤٥ ، نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية ـ جـ ٤ ـ ص ١٣٣ ، ما بعدها .

(٢١) د. عبد الحميد أبوالمكارم إسماعيل ـ الأدلة المختلف فيها ـ ص ٢٤٩ ـ دار المسلم .

(٢٢) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٥ ، المستصفى للغزالى ـ ص ٣٢٣ ، بدائع الصنائع ـ جـ ٥ ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٣ .

(٢٣) المبسوط ـ جـ ١٢ ـ ص ١٢٤ ، فتح القدير ـ جـ ٥ ـ ص ٣٢٣ ، بدائع الصنائع ـ جـ ٥ ـ ص ٢٠١ ، حاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٢ ، بداية المجتهد ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٩ ، مغنى المحتاج ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٢ ، المغنى لابن قدامة ـ جـ ٤ ـ ٢٧٥ ، وكشاف القناع ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٦ .

والتسهيل ولورود النص الدال على جوازه ، وهو ما روى أن النبى ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون الثمار السنة والسنتين ، فقال : « من أسلم فليسلم فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم »(٢٤) .

وفى هذا يقول السرخسى : « وكذلك القياس يأبى جواز السلم باعتبار أن المعقود عليه معدوم عند العقد ، لكننا تركناه للرخصة الثابتة بقوله ﷺ : « ورخص فى السلم »(٢٥) .

ومن ثم يجىء السلم كمثال لاغتفار الغرر بالنص ، والغرر فيه موجود ، لأنه يحتمل الوجود والعدم وقت ورود العقد عليه ، ومع ذلك فإنه أجيز استحسانا بالنص .

(ب) وأما الإجارة :

فإن الرجل إذا استأجر آخر ليقوم له بعمل من الأعمال ، فهذه الإجارة باطلة ، لأن المعقود عليه وهو المنفعة غير موجود وقت العقد ، فالبطلان واجب التطبيق على الإجارة ، ولكن عدل عن ذلك استحسانا للنص الوارد فى جواز ذلك ، يقول الله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾(٢٦) .

وقوله ﷺ : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »(٢٧) .

فالإجارة رغم أن العقد فيها وارد على معدوم وقت التعاقد ، فهى بيع المنافع المستقبلة ، أى بيع غير الموجود حالا على أنه سيوجد استقبالا ، وقد أجيزت على سبيل الاستحسان بالنصوص الواردة فى ذلك دالة على مشروعيتها .

والخلاصة : أن عناصر الغرر اليسير وشروطه لا توجد فى عقد التأمين ، وبالتالى يكون الغرر الموجود فيه من النوع الفاحش المحرم ، وهو غرر واقع فى عقد التأمين وهو عقد معاوضة ، كما أنه ليس من الغرر الذى ورد نص باستحسانه ، كالسلم والإجارة لأن الاستحسان هو استثناء ، والقاعدة أن الاستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ، ومن ثم فإنه يكون باق على أصله وهو التحريم .

الفـــرع الثـــانى
جميع أنواع الغرر موجودة فى عقد التأمين

وإذا ما نظرنا إلى عقد التأمين وفقاً لخصائصه التى عرف بها قانونا وعادة على نحو ما درجت عليه أعراف شركات التأمين ، نجد أن هذا العقد مشوب بجميع أنواع الغرر الذى تحدث عنه الفقهاء ، وعلى الأخص تلك الأنواع الأربعة التى تمثل الغرر الشديد ، وهى الغرر فى الوجود ،

---

(٢٤) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٥ ـ ٢٢٦ ، وقد أخرجته كتب الأئمة الستة عن ابن عباس ، راجع : جامع الأصول ـ جـ ٢ ـ ص ١٧ ، نصب الراية ـ جـ ٤ ـ ص ٦٤ .

(٢٥) أصول السرخسى ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٣ ـ طبعة المعرفة .

(٢٦) سورة الطلاق ـ آية ٦ .

(٢٧) نصب الراية ـ جـ ٤ ـ ص ١٢٩ ، وقد روى الحديث عن أبى هريرة ، ومن حديث عمر ، ومن حديث جابر ، ومن حديث أنس ، وحديث أبى هريرة ، رواه أبى يعلى فى مسنده وحديث ابن عمر أخرجه ابن ماجة فى سننه ، وحديث جابر ؛ رواه الطبرانى فى معجمه الصغير ، وحديث أنس رواه أبو عبدالله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول ، قال ابن حجر : كلها ضعاف ، راجع : مجمع الزوائد ـ جـ ٤ ـ ص ٩٧ ، سبل السلام ـ جـ ٣ ـ ص ١٨ .

والغرر فى الحصول ، والغرر فى المقدار ، والغرر فى الأجل ، وهذه الأنواع الأربعة من الغرر ؛ توجد مجتمعة فى عقد التأمين ؛ مع أن واحداً منها يكفى لإبطال العقد ؛ ودخوله فى دائرة الحظر الشرعى ، ويستبين ذلك من خلال تطبيق أنواع الغرر فى عقد التأمين كما يلى :

أولا : الغرر فى الوجود :

والغرر فى الوجود ؛ هو من أشد أنواع الغرر على الإطلاق ، وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه أشد أنواع الغرر ، كما اتفقوا على أنه يبطل عقد المعاوضة المتضمنة له[٢٨] ، ولذلك فإنهم لا يكتفون بالحكم ببطلان المعاوضة على المعدوم ، بل يلحقون به ما احتمل الوجود والعدم كالبعير الشارد الذى يشك فى وجوده ، لا يجوز المعاوضة عليه ، لأن حصول المشترى عليه معلق على خطر وجوده ، فإذا لم يجده فقد فات عليه العوض الذى بذله فى مقابلته ، فهو إذن يخاطر على واقعة غير محققة هى وجود ما بذل العوض فى مقابلته .

وهذا ينطبق تماماً على عقد التأمين ، فإن مبلغ التأمين ، وهو دين فى ذمة شركة التأمين غير محقق الوجود ، لأن وجوده يتوقف على وجود الخطر المؤمن منه ، فيوجد بوجوده وينتفى بانتفائه ، ومن المعروف أن فقهاء التأمين يسلمون بتلك الخاصية للتأمين ، ويرون أنه لا يتصور وجوده بدونها[٢٩] .

ثانياً : الغرر فى الحصول :

والغرر فى الحصول معناه : أن العاقد فى عقود المعاوضات لا يدرى عند التعاقد إن كان سيحصل على المقابل الذى بذل فيه العوض أم لا ، فيكون دخوله مخاطرة على الحصول ، يستفاد ذلك من الأمثلة التى أوردها الفقهاء للغرر فى الحصول ، وهى بيع السمك فى الماء والطير فى الهواء ، حيث إن من يدفع الثمن فيهما لا يدرى عند التعاقد ، إن كان سيحصل على ما بذل فيه الثمن أو لا ، وذلك فى وقت اتجه قصده فيه إلى بذل الثمن مقابلا لهذا الحصول[٣٠] .

وإذا طبقنا هذا الضابط على عقد التأمين ، يظهر لنا أن عقد التأمين يتضمن الغرر فى الحصول ، لأن المستأمن لا يدرى عند التعاقد ، هل سيحصل على مبلغ التأمين الذى بذل فى سبيله أقساطه أم لا ، لأن حصوله عليه يتوقف على الغرر ، وهو غرر فى الحصول ، فإن المستأمن لا يدرى عند إبرامه ، هل سيحصل على مبلغ التأمين أم لا ، وعلى فرض حصوله عليه ، فإنه لا يدرى مقدار ما سيحصل عليه منه ، ولقد اتفق شراح القانون على أن الغرر فى الحصول ركن أساسى وعنصر جوهرى ، وشرط فى محل العقد لا يصح بدونه .

والغرر فى الحصول ، غرر شديد يبطل عقد المعاوضة بإجماع أهل العلم[٣١] ، وإذا كان وجوده

---

(٢٨) د. حسين حامد ـ ص ٦٦ .

(٢٩) المرجع نفسه ـ ص ٦٧ ، د. رمضان حافظ عبدالرحمن ـ السابق ـ ص ١٩٠ .

(٣٠) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ المكان السابق .

(٣١) نقل هذا الإجماع الإمام النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ جـ ١٠ ص ١٥٦ ، حيث قال : « وأجمعوا على بطلان بيع الأجنة فى البطون ، والطير فى الهواء ، قال العلماء : مدار البطلان بسبب الغرر » ، كما حكى الإجماع الإمام القرافى : الفروق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٦٥ .

فى عقد التأمين أمرا مفروغا منه يكون بطلانه راجحا بهذا الإجماع .

ثالثاً : الغرر فى مقدار العوض :

والغرر فى مقدار العوض يتمثل فى عدم معرفة مقدار ما سيحصل عليه كل واحد من المتعاقدين فى عقد معاوضة ، وقد ضرب الفقهاء أمثلة لذلك من خلال ما ورد بشأنه فى سنة النبى ﷺ ، وذلك فيما روى عن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة ، وعن بيع الغرر[٣٢] ، وصورة بيع الحصاة أن يقول البائع للمشترى : بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التى أرميها ، أو بعتك هذه الأرض من هنا إلى مقدار ما انتهت إليه هذه الحصاة[٣٣] .

وقد قرر الفقهاء أن جهالة العوض مما يفسد العقد ، دون تفرقة بين العوض المعين ، أو ذلك الذى يثبت فى الذمة كالعوض فى عقد التأمين .

ففى المذهب الحنفى : يقرر ابن عابدين فى حاشيته : « أن معرفة قدر الثمن شرط فى صحة البيع ، فلو كان الثمن مجهولا ، كالبيع بقيمته ورأسماله ، أو بمثل ما اشتراه هو أو فلان ، أو بمثل ما يبيع الناس كان البيع باطلا[٣٤] ، ومثل ذلك ما ذكره الكاسانى : « ولو قال بعت هذا الشىء بقيمته فالبيع فاسد ، لأنه جعل ثمنه قيمته ، وأنها تختلف باختلاف تقويم المقومين ، فكان الثمن مجهولا ، وكذا إذا باع بحكم فلان لأن الثمن مجهول »[٣٥] ، وجاء فى الفتاوى الهندية : « أن جهالة البدل تبطل مبادلة المال بالمال » ، كالبيع والإجارة والقسمة والصلح على مال ، ويقول الكمال بن الهمام : « ولا يجوز البيع بإلقاء الحجر والملامسة والمنابذة ، ومعنى النهى لما فى كل من الجهالة وتعليق التمليك بالخطر ، فإنه فى معنى إذا وقع حجرى على ثوب فقد بعته منك ، أو بعتنيه بكذا أو إذا لمسته أو نبذته[٣٦] .

وفى المذهب المالكى : يقرر الحطاب : « أنه متى حصل الجهل بأحد العوضين من المتبايعين أو أحدهما فسد البيع »[٣٧] ، ويقرر مالك فى مدونته : « أنه لا يجوز شراء سلعة بعينها بقيمتها ، أو على حكمه ، أو حكم البائع أو رضاه أو رضا البائع ، أو على حكم غيرهما أو رضاه لأنه غرر »[٣٨] ، وفيما يشبه التأمين قال : « من اشترى دارا على أن ينفق على البائع حياته لم يجز ، لأن أجل حياته مجهول فهو غرر »[٣٩] ، ويقرر ابن رشد : « أن الغرر لا ينفى عن الشىء إلا إذا كان معلوم القدر »[٤٠] .

---

(٣٢) صحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ ١٠ ـ ص ١٥٦ .

(٣٣) النووى على صحيح مسلم ـ المكان نفسه ـ وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ٤ ـ ص ٣٦ ، ونيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٥ ـ ص ١٦٧ .

(٣٤) بدائع الصنائع ـ جـ ٦ ـ ص ٣٠٤١ .

(٣٥) بدائع الصنائع ـ جـ ٤ ـ ص ٤٢٥ .

(٣٦) فتح القدير للكمال بن الهمام ـ جـ ٦ ـ ص ٤١٧ ، والعناية مع فتح القدير ـ المكان نفسه .

(٣٧) مواهب الجليل ـ جـ ٤ ـ ص ٢٧٦ .

(٣٨) مشار إليه فى مواهب الجليل ـ السابق ـ ص ٣٦٢ .

(٣٩) المرجع نفسه ـ ص ٣٦٣ .

(٤٠) بداية المجتهد لابن رشد ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٢ .

(٤١) فتح العزيز ، شرح الوجيز ، للرافعى ـ جـ ٨ ـ ص ١٣٩ .

(٤٢) المرجع نفسه ـ ص ١٤٠ .

(٤٣) المرجع نفسه ـ ص ١٤٣ .

وفى المذهب الشافعى : يقرر صاحب فتح العزيز : « وأما القدر فالجهل به فيما فى الذمة ثمنا أو مثمنا مبطل »[٤١] ، « وأن ما فى الذمة من العوضين لابد أن يكون معلوم القدر »[٤٢] ، « وأن العلم بقدر العوض لابد منه إذا كان فى الذمة »[٤٣] .

وفى المذهب الحنبلى : يقرر ابن قدامة : « أن علة بطلان بيع الملامسة والمنابذة ، وهى الجهالة ؛ وكونه معلقا على شرط ، وبيع الحصاة باطل ، لما فيه من الغرر والجهل ، وبيع الحمل من بطن أمه فاسد لجهالته ، فإنه لا تعلم صفته ولا حياته وعدم [illegible]درة على تسليمه »[٤٤] ، كما ورد فى منتهى الإرادات : « أن معرفة العوض فى حال العقد شرط فى صحة المعاوضة ، سواء كان هذا العوض ثمنا فى بيع أو أجرة فى إجارة ، ومن ثم فقد حكى بطلان بيع السلعة بما يبيع به الناس ، وبما باع به زيد ولا يعلمان ذلك »[٤٥] .

وبالنظر فى هذه النصوص نجد أنها تدل بوضوح على أن العوض الذى يلتزم به المعاوض ، يجب أن يكون معلوم القدر حتى لو كان ثابتاً فى الذمة ، وإلا فإنه إذا كان مجهولا ، فإن المعارضة تبطل باتفاق الفقهاء ، ولئن كان بعض الفقهاء قد علل البطلان بالغرر فى قدر العوض ، وبعضهم الآخر قد علله بالجهالة فيه ، إلا أن المعنى فى العبارتين واحد ، لأنه يؤثر فى النهاية على الرضا بالبطلان لأن الرضا بالمجهول لا يتصور ، ولما كان الجهل بالعوض مؤثراً فى صحة الرضا بالمعاوضة ، فلا تصلح سببا شرعياً لجواز أخذ العوض ، ومن ثم يكون أخذه أكلا للمال بالباطل وهو محرم بالكتاب والسنة[٤٦] .

تطبيق الغرر فى المقدار على عقد التأمين :

ومن الثابت قانونا أن عقد التأمين ينطوى على الغرر فى مقدار العوض ، وذلك ما لا يختلف فيه فقهاء القانون ، ولا علماء الشريعة الذين أجازوا هذا النوع ، ففى التأمين من الأضرار ؛ لا يعلم المستأمن من وقت التعاقد مقدار العوض الذى تدفعه له شركة التأمين عند وقوع الخطر المؤمن منه ، ذلك أن هذا النوع من التأمين ؛ لا يأخذ المستأمن منه إلا بمقدار ما أصابه من ضرر بسبب وقوع الحادث المؤمن منه ، ولو كان مبلغ التأمين المتفق عليه أكبر من ذلك[٤٧] .

كما أن شركة التأمين التى تعهدت بدفع مبلغ التأمين للمستأمن عند وقوع الخطر ، تجهل عند التعاقد مقدار العوض الذى تحصل عليه من المستأمن ، فى مقابل ما تعهدت به ، فقد تحصل على قسط واحد ثم تقع الكارثة فتغرم مبلغ التأمين ، وقد تحصل الأقساط كلها ولا يقع الخطر فتبرأ ذمتها ، قبل المستأمن مما تعهدت بأدائه له .

وهذا النوع من الغرر فى مقدار العوض أو الجهالة ؛ من نوع الغرر الكثير الذى يؤثر فى المعاوضة ، من جانب شركة التأمين ، ومن جانب المستأمن ، أما فى جانب شركة التأمين ، فإنها قد تحصل قسطا واحدا ثم تقع الكارثة فتدفع مبلغ التأمين كله أو مقدار الضرر ، وقد تحصل عددا

(٤٤) المغنى لابن قدامة ـ جـ ٤ ـ ص ١٨٦ .

(٤٥) منهى الإرادات ـ جـ ١ ـ ص ٣٤٥ .

(٤٦) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ ص ٧١ .

(٤٧) السنهورى ـ الوسيط ـ السابق فقرة ٧٦٣ ، د. عبدالحى حجازى ـ التأمين ـ فقرة ١٢٤ طبعة ١٩٥٨ ، د. أحمد شرف الدين ـ أحكام التأمين ، ص ٢٧ .

كبيرا من الأقساط ، قبل وقوع الحادث المؤمن منه ، وبين الحالتين فرق كبير ، قد يصل إلى بضعة آلاف من الجنيهات ، وأما بالنسبة إلى المستأمن ، فإنه يدفع قسطا ثابتاً ، فى مقابل تعهد الشركة ، بدفع مبلغ معين يحدد القسط على أساسه ، غير أن الشركة قد تدفع هذا المبلغ بتمامه وقد تدفع نصفه وقد تدفع عشره ، حسب جسامة ما أصاب المال المؤمن عليه من ضرر .

وربما يقال : إن شركة التأمين بما تملكه من قدرة على حساب الاحتمالات ؛ وقواعد الإحصاء ، وقانون الكثرة ، يمكن أن تعرف على نحو شبه محدد مقدار العوض الذى تحصل عليه من مجموع المستأمنين فى مدة معينة ، كما تستطيع باستعمال هذه الوسائل نفسها أن تعرف مقدار ما تدفعه لبعضهم من تعويضات عند وقوع الخطر .

ومع ذلك فإن مثل هذه المعرفة غير ممكنة ، ولن تستطيع أن تنفى الاحتمال ، حيث يظل معها قائماً ، فاحتمال خسارة شركات التأمين وارد ، وقد حدث بالفعل أن أعلنت بعض شركات التأمين فى أوروبا الإفلاس ؛ على الرغم من توافر هذه الوسائل العلمية لديها ، ومما يرجح ذلك تفاوت ، الربح بين شركات التأمين المختلفة ، وفى الشركة الواحدة من سنة إلى أخرى[٤٨] .

ولو صح مثل ذلك القول ، فإنه لن يفيد فى موضوع القضية شيئاً ، فموضوع قضيتنا ؛ هو العقد الذى تبرمه شركات التأمين مع مستأمن معين ، وفى حدود العلاقة التى ينشئها هذا العقد ، والحقوق والواجبات التى يرتبها بين شركة التأمين والمستأمن ، أما العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المستأمنين ، فليست أمرا قائماً ، إذا لا ينشىء عقد التأمين مثل هذه العلاقة ، ولو كان موجوداً لبحثنا فى طبيعته وبينا حكمه الشرعى ، بناء على ذلك[٤٩] .

كما أنه إذا كان من الممكن لشركة التأمين أن تعرف مقدار ما تحصل عليه من أقساط ، وما تعرفه من تعويضات ، فإن ذلك لن يفيد فى حل عقد التأمين ، حيث سيبقى المستأمن مع ذلك عاجزاً عن معرفة مقدار ما يبذل وما يأخذ من عوض ، لأن قانون الكثرة لا يعمل فى حقه ، ولأن وسائل حساب الاحتمالات ، وقواعد الإحصاء ليست متوافرة لديه ، وقد رأينا أنه إذا وجد الغرر ، والجهالة بقدر العوض من أحد طرفى المعارضة كانت باطلة ، وإن كان الطرف الآخر على علم به[٥٠] .

رابعاً : الغرر فى الأجل :

والغرر فى الأجل يتمثل فى الجهالة به ، بأن يكون تحديده مبنيا على واقعة لا يمكن أن تخضع لتحديد المتعاقدين ، وذلك على نحو ما قرره الكاسانى بخصوص البيع المؤجل : « أن يكون الأجل معلوماً فى بيع فيه أجل ، فإن كان مجهولا

(٤٨) فى هذا المعنى : د. حسين حامد السابق ـ ص ٧٢ .

(٤٩) د. حسين حامد ، المكان السابق .

(٥٠) المرجع نفسه ـ ص ٧٣ .

فسد ؛ سواء كانت الجهالة متفاحشة كموت فلان ونـزول المطـر ، أو متقاربـة كالحصاد وقـدوم الحاج »[٥١] ، فإذا كان الأجـل معلومـا فى بيـع مؤجل فإن الغرر ينتفى ، وبالتالى يكون البيع صحيحـا »[٥٢] ، وهـذه الـنصوص الفقهيـة الصحيحة ، تدل بوضوح على أن جهالة الأجل بتعليقه على موت إنسان : مما يعد من الجهالة الفاحشة التى تبطل المعاوضة[٥٣] .

تطبيق جهالة الأجل على عقود التأمين :

وبتطبيـق الأحكـام المقـررة على المعامـلات التبادلية ذات الأجل المجهول ، والتى تتمثل فى بطلان التعامل ، نجد أن عقود التأمين فى الجملة تقوم على جهالة الأجل ، لأن الخطر المؤمن منه ، حادث محتمل الوقوع ، لا يتوقف تحققه على محض إرادة أحد المتعاقديـن[٥٤] ، وأن عنـاصره تتمثل فى احتمال وقوعه ، بأن يكون حادثا مستقبل غير محقق الوقوع ، ولا يتوقف وقوعه على محض إرادة أحد طرفى العقد ، وهكذا تتضافر عناصر التأمين فى تأكيد معنى الاحتمال الملازم للخطر بما يجعل وقت وقوعه رجما بالغيب ، بل أن الإرادة إذا تدخلت فى إحداث الخطر فى وقت معين ، فإن التأمين يبطل فى هذه الحالة .

وهناك صور صارخة لجهالة الأجل فى عقد التأمين ، مثل التأمين على الحياة لحال الوفاة كما فى التأمين العمرى ، حيث تلتزم شركة التأمين بدفع مبلغ التأمين عند وفاة المؤمن له ، وهو أجل مجهول يبطل المعاوضة باتفاق الفقهاء ، فكان باطلا على نحو ما قرر الفقهاء فى الجهالة الفاحشة الناشئة عن تعليق الأجل على موت فلان أو قدوم الحاج أو حبل الحبلة كما رأينا .

وقد فهم بعض الباحثين أن جهالة الأجل فى التأمين العمرى الذى يستحق فيه مبلغ التأمين أيا كان الوقت الذى يتوفى فيه المؤمن له ، من قبيل الجهالة اليسيرة ، لكـونها تخص وقت حلـول الأجل ، وهى لا تؤثر فى المعاوضة ، وينتهى إلى أن التأمين على الحياة لحال الوفاة ، الذى لم تحدد فيه مدة ، ينتفى فيه الغرر المؤثر ، فيما يخص مبلغ التأمين من حيث الوجـود والحصول والمقـدار والأجل ، وذلك فى إحدى حالاته ، وهى التأمين

---

(٥١) بدائع الصنائع ـ جـ ٧ ـ ص ٣٠٩٣ ، وراجع : فتح العزيز ، شرح الوجيز ـ جـ ٨ ـ ص ١٩٦ ، حيث يقرر : أن المعوض إذا كان فى الذمة وكان الوفاء به مؤجلا ، وجب أن يكون هذا الأجل معلوما ، فإن مجهولا كقدوم زيد ، ومجىء المطر فهو فاسد ، وفى هذا الإطار يجىء النهى عن حبل الحبلة ، والحكم ببطلانه لجهالة الأجل ، حيث إن حبل الحبلة ، وهو البيع إلى تنتج الناقة ثم تنتج التى فى بطنها ، راجع : شرح النووى على صحيح مسلم ـ جـ ١ ـ ص ١٥٨ .

(٥٣) بداية المجتهد ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٢ .

(٥٤) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ السابق ـ ص ٧٤ .

للمستفيد عند وفاة المؤمن على حياته ، أيا كان الوقت الذى تحدث فيه هذه الوفاة(٥٥) .

وفى نظرنا أن هذا الرأى قد جانب الصواب ، ولم يقم على أساس يقبل به مع مخالفته للقياس الصحيح الذى يضفى على الجهالة فى تلك الحالة وصف الجهالة الفاحشة فى الأجل ؛ لأنه ليس معلوماً لأىّ من الصرفين وقت التعاقد ، وإخفاء وقت حلول الأجل الذى اعتبره هذا الرأى من العمرى الذى يدفع فيه المؤمن مبلغ التأمين قبيل الجهالة اليسيرة التى لا تمنع صحة هذا العقد ، هو جهالة الأجل بعبارة أخرى .

وإذا كان معنى العبارتين واحد ، قلت لا أدرى ما أساس اختلاف النتيجة فى نظر صاحبه ؟ مع وضوح حكم هذا النوع من الغرر ، وأنه من النوع الفاحش المؤثر على صحة العقد .

- يتبع -

(٥٥) راجع فى تعريف الخطر : الوسيط للسنهورى - فقرة ٥٦١ ، د. عبدالمنعم البدراوى - التأمين فقرة ١٣٠ ، د. توفيق فرج - التأمين فى القانون اللبنانى - ص ٢٠ - طبعة ١٩٧٣ ، د. عبدالحى حجازى - عقد التأمين - ص ٥١ طبعة ١٩٥٨ ، د. نزيه المهدى - عقد التأمين - ص ١١٣ ، طبعة ١٩٧٤ ، د. مصطفى الجمال - عقد التأمين طبعة ١٩٧٥ - ص ٢٠ ، د. محمد على عرفه - فى التأمين - ١٩٥٠ - ص ٢٧ ، د. عبدالرازق حسن فرج - عقد التأمين - ص ٤٠ - طبعة ١٩٨٥ ، د. أحمد شرف الدين - أحكام التأمين - ص ١١٥ ، د. عبد الودود يحيى - التأمين على الحياة ١٩٦٤ - ص ٣٣ .

(٥٦) د. أحمد شرف الدين - عقد التأمين وعقود ضمان الاستثمار واقعها الحالى وحكمها الشرعى ص ١١٦ ما بعدها .

فَضِيلَةُ البِرّ

للشيخ السيد عبد الفتاح خضير

البر ضد العقوق .

والبر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير ، وإذا كانت كل فضيلة تقابلها رذيلة ، فإن البر فضيلة تقابلها رذيلة الإثم ، والبر طاعة تقابلها معصية .

والبر هو الإيمان بالعقائد ، والبر هو الخُلُق الحسن .

والبر إيتاء الحقوق .. كما تروى كتب اللغة ...

ويوضح لنا ذلك الصادق الصدوق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - فى حديثه الشريف الذى يرويه مسلم فى صحيحه فيقول :

- «البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس» .

ومفتاح البر كامن فى الصدق ، الصدق القولى والصدق العملى ، الصدق مع النفس ، والصدق مع الغير ، ومن قبل ذلك كله الصدق مع الله ، فذلك طريق الإنسان إلى الجنة التى هى بغية المؤمن .

وإذا كان الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة .

(*) أخصائى بحوث إسلامية بمجمع البحوث الإسلامية .

فبتحكم المبدأ السائد ، القائل : بضدها تتميز الأشياء - يكون الكذب على النفس وعلى الغير وعلى الله طريقا إلى الفجور الذى هو طريق النار .

كما تعلمنا من سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقول : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »

[صحيح مسلم]

ومظلة البر تمتد لتشمل كل مناحى الخير للإنسان فى الدين والدنيا ، ولا تنتهى عند تَوْلِيَةِ الإنسان وجهه فى الصلاة جهة المشرق والمغرب ، وإنما هو أمر جامع لمجامع أركان الدين الإسلامى الحنيف وقواعده وفضائله الشاملة النافعة .

ويأتينا بيان ذلك من لدن حكيم عليم حين نقرأ فى قرآننا قول ربنا - جل وعلا - :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ سورة البقرة

وسيد البر ، البر بالوالدين ، ولقد وضع القرآن الكريم منهجه وأبان طريقه المستقيم حين قال المولى - جل وعلا - فى حق معاملة الوالدين ، والتزام أدب البر معهما

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ٢٣ ، ٢٤]

وإن تجاوز الأبناء اليوم فى معاملة الآباء وإزالة الفوارق التى ينبغى مراعاتها بين الآباء والأبناء ، وكذا التسلط عليهما بفرض الرأى وعدم احترام شعورهما فى المجالس العامة والخاصة .. كل ذلك يعتبر عقوقاً ، والعقوق كبيرة من أكبر الكبائر التى لا يرضى عنها الله سبحانه - ولا يرضى عنها رسول الله محمد ﷺ .

ومن البر حب الوطن وإظهار الدلائل التى تنم عن ذلك من تضحية وفداء واستجابة لندائه ومحاربة كل من كان حربا عليه .

وإن من البر والولاء كشف ستر المعادين للوطن وعدم التستر عليهم .

وبهذا يكون البر عمليا من جانب فاعله ؛ فحب الأوطان من الإيمان ، وما الوطن إلا أرض أقلتنى وسماء أظلتنى وماء ارتويت به ، وشمس نعمت بدفئها ، ورياض تنسمت عبيرها ، وذقت رحيقها ، وثقافة جامعة ، وشهادة نلتها ، ومهنة تعلمتها ، صان الله بها وجهى وجعل فيها رزقى .

بهذا الولاء والوفاء والحب يكون البر للوطن حقيقة تعلمناها من الحبيب محمد ﷺ حين خرج

من مكة مهاجراً إلى المدينة فوقف وقفة بر وولاء لبلده الحبيب مكة يقول – ما معناه : « والله لولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » [1].

فأنت ترى المصطفى ﷺ يقسم على حب بلده ، وهذا هو البر ، وما كان أغناه ﷺ عن القسم ، ولكنه الحب والبر ، ولنا فى رسولنا ﷺ القدوة الحسنة فى الحب والبر لوطننا .

ورحم الله شوقى الذى عبر عن حبه لوطنه أجمل تعبير لما قال :

وطنى لو شُغلت بالخُلد عنه .
نازعتنى إليه فى الخُلد نفسى

فهذا أيضاً حُبٌّ للوطن وبرٌّ به .

ومن البر الاجتماعى الولاء والوفاء لبلدى مسقط رأسى ، أمدها بما تحتاج إليه من امكانياتى وما أنا قادر عليه علماً ، ومالاً ، ودعوة فى سبيل الله .

فالطبيب الذى يجعل لقريته يوما يعود فيه أهلها ، ويخفف من أمراض أبنائها هو طبيب بار ببلده .

والداعية الذى يعرف منبر قريته ويعرفه منبر قريته ، يتلمس مشاكل أهله الدينية والاجتماعية والاقتصادية يعايشها ويعالجها .. هو داعية بار بدينه وبلده .

وهكذا كل فى مجال تخصصه ، ياحبذا لو كان الجميع منا على هذه الخليقة ؛ فإن هذا يحقق البر العملى ويمحو العقوق الذى ظهرت آثاره ، والله نسأل أن تختفى .

والبر بالآباء تظهر ثماره فى بر الأبناء ، فكما تدين تدان .

قال ﷺ « البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، فكن كما شئت فكما تدين تُدان » [2]. هذا وبالله التوفيق .

---

(١) رُوى بالسِّيَر .

(٢) العجلونى/ كشف الخفاء ٩٠٢ ـ ١/٣٣٦ ـ مطبعة الفنون ـ حلب .

أسرار إسلام عظماء العالم

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

هذه العبارة جزء من عنوان كتاب صدر أخيرا للأستاذ الكبير الأديب « أسامة الألفى » هو كتاب « لماذا أسلموا ؟ » .

وهو كتاب يشير إلى عظمة الإسلام وقوته وصموده وقدرته على مسايرة كل العصور ، ومقاومته لكل ما يعترضه من مناوشات ومشاكسات ومعارضات ، وتحديه لكل من يحاول النيل منه أو وصفه بما ليس فيه من أوصاف بدافع الحقد والكراهية ، بل تحديه لكل محاولات طمس الصورة الطيبة للإنسان وتحويله إلى حيوان شرس ، لا هم له إلا الشهوة والاستمتاع والاستهلاك ، لا يفكر فيما خُلِق له من معنويات ، ولا يصعد لما أعد له من روحانيات ومُثل ..

بل إن هذا الكتاب يرد على سؤال متكرر طالما حاول المستشرقون المغرضون وأعداء الإسلام طرحه أمام الأعين زاعمين أن الإسلام انتشر بالسيف ، وذاع بالقهر ، ولم يفهموا أن الذى ينتشر بالسيف لا يستمر ، وأن الذى يذيع بالقهر لا يدوم .

إن الإسلام انتشر بذاته ، وانتصر بمبادئه ، وذاع بأخلاق أصحابه الأوائل الذين كانوا صورة صادقة للمثل العليا والقيم الراقية والأخلاق الفاضلة الرفيعة .

وإلا فأى قوة فى عصرنا الحاضر تجبر مفكرين عالميين على ترك معتقداتهم ، والاتجاه نحو الإسلام يعتنقونه فى حرية وفرح واستبشار ؟؟ .

لقد قدم للكتاب الأستاذ أحمد بهجت .. وقال فى مقدمته : فى حياة كل إنسان نقطة تحول يتجه بعدها اتجاها جديدا لا علاقة له بماضيه ، وأحيانا تكون نقطة التحول هذه حاسمة فى إنقاذ الإنسان وخلاصه .

وليس أمتع من إبراز نقط التحول هذه ، والحديث عنها بأسلوب أدبى . ولقد يقع هذا التحول على عديد من المستويات .

قد يتحول الإنسان من عمل إلى عمل آخر ..

وقد يتحول من الحياة فى بلده إلى اختيار بلد آخر يعمل فيه ويعيش فى ظله .

وربما وقع هذا التحول على المستوى الإنسانى ، فيتحول من حب إلى حب ، أو من حياة إلى حياة أخرى .

ولعل قمة هذه التحولات جميعا هو التحول إلى الإسلام .. اهـ .

ولقد صدق أستاذنا ، فإن التحول إلى الإسلام هو قمة التحولات ، لأن صاحبه استطاع أن يصعد إلى أعلى قمة فى الوجود من أجلها خلق الله الإنسان .

لماذا خلق الله الإنسان ؟ :

لقد خلق الله الإنسان لذاته ــ تعالى ــ وخلق كل ما فى الوجود لأجل الإنسان ، قال الله ــ تعالى ــ فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

سورة الذاريات ــ آية : ٥٦

وقال :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

سورة البينة ــ آية : ٥

ومن أجل ذلك جعل الله الكون كله بما فيه فى خدمة الإنسان ليتمكن من عبادة الله حق عبادته :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

سورة الجاثية ــ آية : ١٢ ، ١٣

التحول من العقيدة ليس أمراً سهلا :

وتحول الإنسان من عقيدته ليس أمراً سهلا ؛ لأن العقيدة هى أهم شىء فى حياة الفرد ، وهو مرتبط بها ارتباطا وثيقا ، قد يضحى من أجلها بحياته ، وقد يكون ما يعتقده الإنسان باطلا ولكنه مع ذلك يدافع عنه حتى الموت ، وكم خاض الكفار حروبا دامية فى سبيل معتقداتهم الباطلة ، حتى لقد رأينا رجلا كأبى سفيان وهو من عظماء قريش المبجلين وأصحاب الرأى فيهم يقول فى

غزوة أحد وقد ظن المشركين أنهم انتصروا : اعْلُ هُبَل .

إن الباطل له غشاوة تحجب نور الحق ، وتطمس بصيرة القلب ، فلا يرى صاحبه إلا ما يزينه له من ضلال ، وما يزيفه له من بهتان ، ومن أجل ذلك كانت الهداية بيد الله وحده لا شريك له - قال تعالى - :

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ .

سورة الكهف - آية : ١٧

والله - تعالى - لا يهدى إلا من يريد ، ويضع على قلوب من لا يريدهم الحجب ويغلفها بالظلام - فلا تبصر الهدى - ولا ترى النور بسبب من علم الله فيهم ، قال - تعالى - :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾

سورة الإسراء - آية : ٤٦

ويقول :

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة الأنعام - آية : ١٢٥

نظرات فى الكتاب :

وفكرة الكتاب شيقة ، وموضوعه حيوى ، وأسلوبه ممتع ، وهو يكسب المسلم ثقة فى دينه ويزوده بما هو فى حاجة إليه فى هذا العصر المادى الملحد ، الذى وصفه الدكتور مصطفى محمود فى أحد مقالاته الأسبوعية : « **بأنه عصر تَشَيَّع فيه** الجميع لِلْمِلَّة المادية ، على اختلاف أديانهم ، البعض عن مزاج شخصى ، والبعض عن حسن نية ، والبعض عن غفلة ، والبعض لمجرد التقليد ، والبعض لأهداف أخرى » .

« والنتيجة فى هذا العصر المادى الشرس الذى وقع الكل فى شباكه هى هذه النفسية المادية التى أصبحت طابع هذا الزمان ، ثم النتيجة الأخطر : هى تراجع القيم الدينية ، والأخلاق والمثاليات ، وانطفاء النبل وغياب الشهامة ونـدرة الطهارة » .. صحيفة الأهرام .

إن الكتاب شهادة حق على أن هذا الدين الإسلامى هو الدين الحق الذى اختاره الله لعباده وقال فى حقه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ١٩

ولا يقبل غيره :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ٨٥

وهو الدين الذى يعيد الصواب إلى العالم ويطهره من هذا الرجس المادى الذى تردَّى فيه ، والدليل على ذلك هو إقبال كثير من القمم الفكرية فى مختلف العصور ، وبخاصة فى عصرنا على اعتناقه ، على الرغم من وصولهم إلى أعلى المراكز الاجتماعية والقيادية والفكرية ، وتضحية بعضهم بهذه المراكز العالية فى سبيل إيمانهم بالإسلام .

إن الذى يقبل على اعتناق الإسلام فى هذا العصر الغاصِّ بالمتناقضات ، الملىء بالموبقات ، الحافل بالشهوات والمغريات استطاع أن يبصر الهدى ، ويميز بين الحق والباطل ، ويضع قدمه على الطريق الصحيح ، معرضا عن كل ما أمامه من ضلال وغواية ، وهو مع ذلك فى منتهى الشجاعة حيث انتصر على نفسه أولا ، ثم انتصر على كل ما يوضع أمامه من تحديات وعقبات .

يقول الكاتب فى مقدمة كتابه : إن قصص هؤلاء المهتدين لا تعطينا فقط القدوة الصالحة والأنموذج المثالى للإيمان فى أروع صوره ، ولكنها أيضا ترشدنا إلى نواحى العظمة فى الشريعة الإسلامية ، إذ أن هؤلاء لم يختاروا الإسلام دينا إلا بعد دراسة وافية وإقناع كامل ورحلة طويلة ، تحملوا خلالها من صنوف الأهوال ما كانوا يتحملونه لولا أن أيدهم الله – عز وجل – بنصره .

أمثلة ممن أسلموا :

ولو أردنا أن نقدم هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام عن روية واقتناع لطال بنا الأمر ؛ لأن كل واحد من هؤلاء له قصة جديرة بأن تروى لما فيها من العبرة والمثل ، ولكن حسبنا أن نقتطف نماذج نعرضها أمام القراء ، شهادة حق على نصاعة هذا الدين ، ونقائه إلى الدرجة التى جعلت هؤلاء يقبلون عليه فى حماس وشوق ، ويؤثرونه على ما كانوا يعتنقونه قبله من دين .

إسلام ابن غاندى :

المهاتما غاندى الزعيم الهندى الذى استطاع أن يقهر الاستعمار الانجليزى فى الهند بزهده وهدوئه [1] ومسالمته وإخلاصه لوطنه ، وفى الوقت نفسه استطاع أن ينتزع إعجاب العالم كله فضلا عن ملايين شعبه كان له ابن اسمه « هيرالال » .

ونشأ « هيرا لال » فوجد نفسه يدين بما يدين به أبوه ، بالبراهمية عقيدة الهندوس الشائعة فى الهند ، وهى قائمة على تعدد الآلهة واحتقار غيرهم ممن لا يدين بديانتهم ، بل إن هناك ممن يدين بديانتهم من يعتبرونهم منبوذين لا يرتفعون إلى مستوى السادة ، بل هم خدم ، لا اعتبار لهم .

واشتغل « هيرا لال » ، بالمحاماة ، وبحكم عمله استطاع أن يضع عينه على كثير من المظالم الاجتماعية التى يعانى منها الشعب الهندى ،

---

(١) فى الحق الذى لا جدال فيه إلا عن طمس لما لا يطمس أن غاندى كان بجانب مسلم آخر عالم مجاهد صلب كأشد ما يكون الطود من صفوان هو : العلامة مولانا أبوالكلام آزاد . مجلة الأزهر ..

والفروق الشاسعة بين الطبقات ، وكانت هذه الفوارق والمظالم تقرها الديانة التى يدين بها الهندوس ومنهم « هيرا لال » .

ونظر « هيرا لال » إلى مجتمع المسلمين فى الهند فلم يجد بينهم هذا الظلم الذى يعانى منه الهندوس فأقبل على دراسة الإسلام دراسة تأمل وعناية ورغبة فى الاقتناع ، وكشف الله عن قلبه الحجاب الذى يغلف قلوب أهل الضلال ، فأدرك أن الإسلام هو الدين الحق الذى ينادى أتباعه بقوله :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ .

سورة آل عمران ــ آية : ١٠٣

ويقول لهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

سورة الحجرات ــ آية : ١٣

وبدأ « هيرا لال » يشق طريقه بُخطاً ثابتة نحو العقيدة الصافية ، وقد التقى بمن أخذ بيده إلى طريق الحق والرشاد فأعلن إسلامه فى جرأة منقطعة النظير فى الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ أمام حشد كبير من المسلمين فى الجامع الكبير فى بومباى ، وتسمى باسم : « عبدالله هيرالال غاندى ، وصعد المنبر وألقى كلمة جاء فيها : « كلكم يعلم بأنى هيرالال ابن الزعيم الوثنى غاندى ، فأنا أعلن على رءوس الأشهاد ، وفى وسط هذا الجمع العظيم من المسلمين ، بأنى قد عشقت الإسلام ، وأحببت القرآن ، وآمنت بالله وحده ، وبالرسول الأطهر سيدنا محمد ــ صلوات الله تعالى عليه ــ وأنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبى بعده ، وأن ما جاء به القرآن حق ، والبعث حق ، والملائكة والقضاء والقدر حق ، والكتب المنزلة حق ، وأنبياء الله ورسله حق ، فللإسلام وللقرآن سأحيا وأموت » .

لقد تضمنت هذه الكلمة عقيدة المسلم كاملة ، وهكذا زالت الغشاوة عن عين هذا المفكر الهندى الكبير ، ولم يعبأ بما كان فيه من مكانة بين قومه ، ولا بالمضايقات التى لقيها بعد إعلان إسلامه .

لقد مضى فى طريقه قدما يضع كل إمكاناته فى خدمة دينه وعقيدته ، ويجاهد فى سبيل نشر هذا الدين السمح الكريم الذى يتآخى فى ظله الناس جميعا فى محبة وأمن وسلام .

لقد خطب ذات يوم يشير إلى الهندوس قائلا : « خير لهؤلاء القوم إذا رغبوا فى التخلص من حياتهم المريرة هذه أن يلقوا بنظرة خالية من التعصب إلى دين الإسلام ، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامى » إنهم إن فعلوا ذلك سعدوا بما فى تعاليمه من إنصاف وما فى مبادئه من عدل وأمان .

محمد أسد :

ومحمد أسد هو الاسم الجديد الذى اختاره « ليبولد فايس » العالم النمسوى لنفسه بعد اعتناقه الإسلام .

كان « ليبولد فايس » ينتمى لأسرة يهودية تعيش فى النمسا ، فى مدينة « ليفو » التى أصبحت تابعة لبولندا بعد ذلك ، واشتغل بالصحافة ، وجاء إلى الشرق الأوسط بحكم عمله ، واحتك بالمسلمين وأعجب بهم ، فأقبل على الدين الإسلامى يدرسه ويبحث فيه ، واقتنع بعد دراسته بقيمة هذا الدين وعظمته ، على الرغم من أن المسلمين ــ بكل أسف ــ لا يطبقون تعاليم دينهم كما يجب .

ولم يحل هذا الأسف بينه وبين إعلان إسلامه فى خريف عام ١٩٢٦ م ، وأسمى نفسه ، بمحمد أسد ، تيمنا باسم النبى ﷺ وقام برحلات كثيرة فى ربوع العالم الإسلامى زادته يقينا وتمسكا بعقيدته الجديدة .

وضمن خلاصة رحلاته وتجاربه ودراساته وأفكاره كتبه التى ألفها ، ومنها : الإسلام فى مفترق الطرق ــ الطريق إلى مكة ــ منهج الإسلام فى الحكم ــ وغيرها ..

لم يقف محمد أسد موقفا سلبيا بعد إسلامه ، ولكن كان شأنه شأن كل من أعلنوا إسلامهم من العلماء المفكرين وأصحاب النفوذ ورجال الدين المسيحيين واليهود . فقد تحولوا إلى دعاة وأئمة مجاهدين .

لقد رأينا ابن غاندى يدعو أبناء جنسه إلى النظر فى الإسلام نظرة فاحصة ليهتدوا إلى ما فيه من قيم كما اهتدى ، وها هو ذا محمد أسد يُسَخِّرْ قلمه وفكره لخدمة الإسلام والدفاع عنه .. وقد ناقش فى كتابه « الإسلام فى مفترق الطرق ، كثيرا من القضايا ، ومن بينها قضية الجهاد فى الإسلام ، وكشف النقاب عن مفهومها بما بدد شبهة أعداء الإسلام التى تزعم أن الإسلام قام على السيف .

ويقول فى ذلك : « إن الفتوح الإسلامية التى قام بها المسلمون ليس فيها شىء من الأنانية الاقتصادية أو القومية ، ولا شىء آخر من الطمع فى أن تزيد أسباب الرفاهية الخاصة على حساب شعب آخر . **ولم يُقصد منها فى يوم ما إكراه غير المؤمنين على الدخول فى الإسلام لقد قصد بها دائما ما يقصد به اليوم من بناء إطار عالمى لأحسن ما يمكن من التطور الروحى للإنسان** .

إن المعرفة بالفضائل حسب تعاليم الإنسان تفرض على الإنسان من تلقاء نفسها تبعة العمل بالفضائل .. وعلى هذا المبدأ نرى الإسلام يقود الإنسان نحو الشعور بالتبعية الأدبية فى كل ما يعمل ، فعلى كل مسلم أن ينظر إلى نفسه على أنه مسئول شخصيا عن نشر كل أنواع السعادة حوله ، وأن يسعى إلى إقرار الحق وإزهاق الباطل فى كل زمان ومكان .

من كتاب « الإسلام فى مفترق الطرق » .

دعاة فى كل مكان :

وعلى هذا النهج سار كل من اعتنق الإسلام ، لكل واحد منهم يد بناءة ، وجهد مشكور ، فهذا « مارمادوك » ابن القسيس البريطانى المشهور « تشارلز بكتال » يتحول بعد إسلامه إلى شعلة نشاط ويقوم بجهد عظيم فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الانجليزية ، وأسمى نفسه محمدا بعد إعلان إسلامه ، وأقبل على القرآن الكريم تتشربه روحه ، ويعيه قلبه ، ويقبل عليه دارسا وباحثا

ومعلما وناشرا بدعوته ومجاهدا فى سبيله ، وأصبحت ترجمته لمعانى القرآن الكريم هى المصدر الرئيسى لمن جاء بعده ليعمل فى هذا الميدان .

الحاخام الذى أسلم :

وهذا حاخام أسلم ، يذكرنا بالصحابى الجليل عبدالله بن سلام ــ رضى الله عنه ــ والذى كان زعيم اليهود فى المدينة ، وكان اسمه « الحصين » قرأ التوراة وعرف أوصاف النبى ﷺ ، فأسلم حين جاء النبى ﷺ إلى المدينة ، وسماه النبى ﷺ عبدالله .

قص علينا الأستاذ أسامة الألفى قصة الحبر اليهودى الذى كان يعيش فى مدينة « مرجلان » فى ولاية « أوزبكستان » إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى سابقا ، واسمه « إبراهيم بولات » .

أعلن إبراهيم إسلامه بعد دراسة مستفيضة عن الإسلام وقراءة واعية له ، بينت له أن شريعة الإسلام تقدم صورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض للخالق المتعالى ، وتنزهه عن الشبه بغيره ، وتوقر ما سبقها من الرسالات السماوية المنزلة وتحترم الأنبياء جميعا ، وهاله أن يكتشف أن عقيدة آبائه منذ أقدم العصور كانت الإسلام .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

سورة آل عمران ــ آية : ٦٧

وتقدم بخطا ثابتة نحو الإسلام ، وتحول إلى داعية له بعد أن كان داعية لليهودية ، وأصبح كعبدالله بن سلام ــ رضى الله عنه ــ فقد وجه إلى الإسلام أهله أولا فأسلموا على يديه ، ثم أخذ يدعو غيرهم من أبناء ملته القديمة .

وترك إبراهيم عمله فى المصنع الذى كان يعمل فيه ، والتحق بمسجد ليقوم بمهمة الأذان فيه وإمامة المصلين وتحفيظ رواده القرآن ، والدعوة إلى الإسلام .

كل مسلم من هؤلاء مركز إشعاع فى مجتمعه :

وهكذا نجد أن كل مسلم من أولئك الذين قدمهم المؤلف فى كتابه وهم عدد كبير من مختلف الدول والقارات يتحول إلى مركز نشاط ، ينير الطريق لغيره ، ويفنى ذاته فى سبيل نشر هذا الدين الحق والدفاع عنه ، إنه لا يتقوقع على نفسه ، ويفرح بأنه اهتدى إلى الحق وهذا حَسْبُه ، ولكنه يريد أن يُسْعد غيره كما سعد هو ، وهذا هو لبُّ الشريعة كما فهمها المسلمون الأوائل ، فخرجوا يبشرون بها فى أنحاء العالم ليفرحوا الناس كما فرحوا ، وينقذوا غيرهم كما أنقذهم الله بهذا الدين السمح الكريم .

لقد جاء هذا الكتاب فى وقته ، فى هذه الفترة التى اختلطت فيها الأوراق ، وراجت الشبهات ، وذاع الباطل .

لقد قال بعض الحكماء يوما : أشد الساعات حلكة أقربها إلى طلوع الفجر ، وعند اشتداد الكرب ينفجر الأمل .

نعم ، إن إسلام أمثال هؤلاء هو الفجر الذى يبدد الظلام الكثيف ، وهو الأمل الذى يبدد غياهب الكروب ، ويملأ بالسعادة القلوب .

الملكية وضوابطها الشرعية

بقلم الأستاذ/ السيد أحمد المخزنجى

تمهيـد :

تختلف النظم الاقتصادية التى تسير عليها المجتمعات فى الوقت الحاضر عن تلك التى سارت عليها من قبل ، تبعا لاختلاف موقفها حيال الملكية وأنواعها وحقوقها وواجباتها ، ثم عنها جميعا وعن الإسلام من وجوه ؛ لقد وضع الإسلام فى شئون الاقتصاد نظما حكيمة تقر الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحساسية ، وتذلل أمام الفرد سبيل التملك والحصول على المال ، وتشجع العمل ، وتعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، وتفسح المجال أمام المنافسة والفَوْق وبذلك تحقق تكافؤ الفرص بين الناس فى هذه الميادين . على ألا يطغى المال طغيانا يجعل منه أداة عنت وإفساد ؛ لتقوم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والعدل والإحسان ، ولهذا المال حق لله ـ تعالى ـ فيه . وضع لإصلاح جوانب اجتماعية تكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة فى نواح مختلفة .

وقبل أن نعرض « للملكية وضوابطها الشرعية فى الإسلام » يجدر بنا أن نعرض لموقف النظم الاقتصادية المعاصرة من هذا النظام وأنواعه على النحو التالى :

الملكية فى النظم الاقتصادية الوضعية :

من المعروف أن الملكية تنفسم إلى قسمين : ملكية فردية وملكية جماعية ، فأما الملكية الفردية فهى التى يكون المالك فيها فردا معينا بذاته أو أفرادا

معنيين بذواتهم ، عكس الملكية الجماعية التى لا يكون المالك فيها شخصا إعتباريا كالأسرة والعشيرة والقبيلة والنقابة والجمعية والأمة والدولة والحكومة .. وما إلى ذلكْ .

فحينما يقال ـ مثلا : إن هذه الأرض ملك للدولة أو للأمة يكون معنى ذلك أنها ملك للشخص الاعتبارى المتمثل فى الدولة أو الأمة والمفروض فيه الدوام والبقاء على الرغم من فناء الأفراد[1] .

ونظام الملكية الجماعية معترف به فى جميع النظم والشرائع . وإنما الخلاف بين الأمم والشرائع ينحصر فى موقفها حيال الملكية الفردية ، وقد انقسمت النظم فى هذا المقام ـ قسمين :

(ا) فى النظام الشيوعى :

يرى الماركسيون الأخذ بأسلوب محو الطبقية وإلغاء الملكية الخاصة ـ أى الفردية ـ إلغاء تاما بحيث تتم الشيوعية فى كل شىء ، ومن وجهة نظرهم أنه بدون حكومة وبدون دين ، سيبذل كل إنسان أقصى طاقته ، ثم يأخذ كل حاجته ، عملا بمقولة « من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته » .

ولم يؤد هذا النظام ـ كما رأينا النتيجة ـ إلى صلاح المجتمع ، أو استقرار الأمور ، ففى ظل النظام (الشيوعى) تكثر القيود على حق الملكية الفردية كما تكثر والأعباء التى يضعها هذا النظام على كاهل المالك ، ويجنح بنفوذه إلى تغليب ناحية ما يراه المسئولين واجبات على ناحية الحقوق .

ويُقَيدُ حق المالك بقيود كثيرة فى شئون الوصية والميراث وما إليهما ، مما يخنق تماما حقوق الأفراد .

وتهدف النظم الاشتراكية من وراء ما تضعه من قيود على حقوق الملكية الفردية وما تفرضه من واجبات على كاهل المالك الفردى إلى تقليم أظافر رأس المال وتجريده من وسائل السيطرة والنفوذ ، كما سبق القول .

(ب) فى النظام الرأسمالى (الفردى) :

أصحاب هذا المذهب يقرون الملكية الفردية فى العقار والمنقول ومصادر الإنتاج ، فالنظام الرأسمالى لا يمس الحقوق المذكورة إلا برفق وفى حدود ضيقة ويخفف كذلك ما أمكنه التخفيف فيما يضعه على كاهل المالك الفردى من واجبات وأعباء .

وفى ظل هذا النظام يمكن أن تنمو مواهب الفرد ، وينتفع بثمرات جهده ، ويطلق العنان فى هذا السبيل إطلاقا كثيرا ما يهز قيم الفضائل فى المجتمع ؛ لهذا كان هذا النظام وحده لا يؤدى إلى صلاح المجتمع أو استقرار أوضاعه أو إصلاح العلاقات الاجتماعية ؛ إذ فى ظله يطلق العنان لرأس المال فيطغى ويسيطر على شئون الإنتاج والاقتصاد ، بل ما هو أكثر من ذلك .

تنظيم الملكية فى الإسلام :

أما بالنسبة لنظام الملكية فى الإسلام فتجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية سايرت ، فى هذا الصدد ، سنن الوجود وطبيعة الحياة فقررت أسمى

---

(١) الاقتصاد الإسلامى ـ هدية مجلة الأزهر ـ القاهرة ١٤١١ هـ ـ ص ٢٥ .

المبادىء فيما يتعلق بنظام الملكية ، فأباح هذا النظام الملكية المطلقة للأفراد ، ولكنه أوجب فى نفس الوقت حقوقا فى أموال الأغنياء يؤدونها للفقراء والمساكين وذوى الحاجة سدا لحاجتهم ، وللإنفاق منها فى المصالح العامة التى تعود على المجتمع بالخير والنماء .

وفى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلزام دينى بأداء هذه الحقوق وترهيب من الإخلال بها كما تحث آيات الكتاب العزيز على الترغيب فى التصدق والإنفاق والبر والمواساة وما على المسلمين إلا أن يمارسوا العمل بها ليكونوا أسعد الأمم حالا وأهنأها بالا ، وأبعدها عما نسمع من المآثم والشرور .

ومن ثم أوجب الإسلام الزكاة فى الأموال وهى الركن الثالث من أركانه الأساسية ودعائمه الخمس وجعل لها مصارف اجتماعية تصلح جوانب ثمانية كفيلة بردع الجريمة وشل نفوذها فى المجتمع ، كما أمر بالبر والإحسان لذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القـــربى والجار الجنب والصاحب بالجنب .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٩٢

وضاعـف مثوبـة الصدقـات فقـــال ـ عز وجل ـ :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٦١

وهكذا نجد أن الإسلام احترم حق الملكية فأباح لكل فرد أن يتملك ـ بالأسباب المشروعة ـ ما يشاء من المنقولات والعقارات ، وأباح له استثمارها والانتفاع بها فى نطاق الحدود التى رسمها ، وخوله حق الدفاع عنها ، كالدفاع عن النفس والعرض ، ولم بقتل الصائل (أى المعتدى) عليها[٢] .

فالإسلام يقرر حق الملكية الفردية ويعترف بها مؤيدا ومشجعا عليها ما دام ذلك لا يتعارض مع الصالح العام وهو بهذا الإقرار يوافق الطبيعة البشرية ويشجب كل قول ينادى بإلغائها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ .

سورة الفجر ـ آية : ٢٠

والتكوين الإجتماعى فى الإسلام لا يضع الفرد فى مواجهة الجماعة كما لا يضع الجماعة فى مواجهة الفرد ليجعل منهما معسكرين متصارعين يحاول أحدهما أن يغتال الآخر . ذلك أن العلاقة فى الإسلام بين الناس أساسها الأخوة والمساواة . وتقوم العلاقات الاقتصادية بينهم فى مجال الانتاج وتداول المال على أساس التعاون ، وفى هذا الاطار لا مكـان للمنـافسة القاتلـة التـى انتهت ـ فى الغرب ـ إلى أسلوب رخيص ، فاستخـدمت الدعارة لفتح الأسواق وحسبنا ما صدر أخيرا فى هذا المجال ككتـــاب « الجنس فى العلاقـــات التجارية » أما المنافسة الحرة والعادلة حيث يلتزم جميع الأطراف بالخلق الإسلامى فمطلوبة ، خلافا

(٢) فتوى للشيخ حسنين مخلوف .. دار الاعتصام .. القاهرة .. ١٩٧٥ م .. ص١١ .

للاحتكار الذى يعتبر تحريمه شرطا أساسيا للعدالة والنماء .

وفى ظلال هذه التعاليم التى يكمل بعضها بعضا يعيش العامل والفقير فى المجتمع الإسلامى عيشة راضية مطمئنة لا يشوبها كدر ولا ينغصها ألم .

فالله ــ سبحانه وتعالى ــ هو خالق كل شىء .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ .

سورة الأنعام ــ آية : ١٠٢

وهو مالك كل شىء .

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

سورة الشورى ــ آية : ٤

فالله ــ تعالى ــ هو المالك الحق لكل شىء ونحن مستخلفون من قبل الله ــ سبحانه وتعالى ــ على ملكه .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ٣٠

ومن جهة أخرى نلمس أن الإسلام يعمل على إعلاء الغرائز البشرية ، وترقيتها وتهذيبها وتنميتها إذ فى ذلك صالح الإنسان والجماعة ، والحفاظ على كيانهما من الهلاك ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاقتيات ، ولا طريق إلى تأمين الأقوات والأرزاق إلا بالملكية ، قال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ٢٧٤

وقال :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ .

(سـورة الأحزاب) ﴿٢٧﴾

ففى هذه الآيات ينسب الله المال إلى الأناسى ، لأنه معقود فى ملكيته بأسمائهم يقول الألوسى : إن الإضافة فى (أموالكم ونحوها) لا تفيد إلا الاختصاص ، وهو شامل للملكية والتصرف والانتفاع والاستعمال .

وما دام أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الخالق المالك فمن تكامل التنسيق وتمام النعمة أن يكشف لخليفته قوانين الحركة الصحيحة لاستعمال حق الملكية النسبى له فى مسار سليم ووفق التشريع السابق ذكره .

وعلى ذلك ومن واقع تلك المسئولية (الاستخلافية) يجد المسلم نفسه مطالبا بالبحث عن تفاصيل التكليف التطبيقية من خلال الأسس السابقة .

كذلك يركز هذا الاصطلاح على الدور الذى يجب أن يؤديه الفرد المسلم فى مجتمعه وعلى أهميته ذلك الدور دون أن يخل بوظيفة الفرد الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

إن الإسلام شرع أسباب ملكية الأعيان والمنافع وطرائق انتقالها من مالك إلى آخر ، وأقام نظما للتعامل بين الناس تكفل صيانة حق الملكية وتمكن المالك من استيفاء حقه والانتفاع بثمرة ملكه ، وتخول المستأجر الانتفاع بملك غيره ، وبالمقابل حرم من وسائل التعامل ما يفضى إلى التقاتل ، كالربا فى صوره المختلفة ، والعقود التى فيها جهالة وغرر ومخاطرة ، وحرم الغصب والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل ، وسن الحدود والعقوبات جزاء لمن ينتهك حرمة الملكية ويتعدى حدودها المشروعة[٣] .

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

(ســـورة البقرة)

ويؤيد هذا المبدأ عمل الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعمل الخلفاء الراشديـــن والتشريعات والنظم التى سنوردها لبيان طرق التملك ، وبيان صيانتها ، وحرمة الاعتداء عليها ، وبيان الحقوق الواجبة فيها .

وهكذا نجد أن التشريع الإسلامى يتمشى مع الفطرة ، حيث يوازن بين النزعتين الفردية والجماعية ، ويوازن بين مصالح كل فرد وغيره من الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع ، دون أن يفضل أحدهما على الآخر ، ودون أن يسحق الفرد لحساب المجتمع أو ينهك المجتمع لحساب فرد أو أفراد ، وهذا هو تشريع الإسلام الذى تجسد نظرته الاقتصادية « التوازن » فى المجتمع وتبعد به ـ من ثم ـ عن انحرافات النظامين الشيوعى والرأسمالى ، وإلى جانب ذلك فإنه يخول لولى الأمر (ممثل المجتمع) أن ينظم هذه الملكية أو يعد لها كلما ظهر له أن ذلك يحقق مصلحة للمجموع [فى إطار التشريع الإسلامى نفسه] .

فى ضوء ما تقدم فما وقع من مسلم من عقود وأعمال ومعاملات ، وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ ، وما وقع منه مخالفا لشروط التعاقد فهو باطل موقوف .

نخلص من ذلك مع أحد الباحثين إلى أن : « الإنسان مجرد وكيل لما تحت يديه من مال ، والوكيل لا يلغى الأصيل ، إن هذه الطبيعة الاستخلافية للمال تدرج تحته ثلاثة حقوق :

- حق الله .
- وحق المستخلف .
- وحق الجماعة ، التى ينتمى إليها المستخلف ، وحق الله مردود للجماعة ؛ لأن الله غنى عن العالمين .

وإذا كان الناس مستخلفين فى الأرض بشرط وعهد ، وليسوا ملاكا خالقين لما فى أيديهم من أرزاق فإن من صميم هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله ، فيكون بعضهم أولياء بعض ، وأن ينتفعوا بزرق الله الذى أعطاهم على أساس هذا التكافل ـ لا على قاعدة الشيوع المطلق كما تقول الماركسية ، ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة ـ بحدود الله ـ عز وجل ـ فمن وهبه الله

(٣) المرجع السابق .

منهم سعة أفاض من سعته على من قُدِرَ عليه رزقه ، مع تكليف الجميع بالعمل كل حسب طاقته واستعداده وفيما يسره الله له ـ فلا يكون أحدهم كلا على أخيه أو على الجماعة وهو قادر ـ كما بينا ذلك من قبل . وجعل الزكاة فريضة فى المال محددة والصدقة تطوعا غير محدد .

نقـــد :

بالرغم مما تقدم عن تفرد نظام الملكية فى الإسلام بأحكامه وكيانه فهناك من الباحثين من يخلطون فى تحليلاتهم واستنتاجاتهم بين طبيعة هذا النظام الإسلامى المختلفة وبين غيره من النظامين الاقتصاديين : (الشيوعى) ، الرأسمالى . إذ نجد من يقول لنا : (لقد جاء الإسلام بأفضل ما فى النظامين السابقين ، حيث أخذ بمحاسن هذا ومحاسن ذاك وقدمهما للناس فى صورة معقولة ..)[٤] .

ويقول آخر فى هذا المعنى (والنظم الاشتراكية فى عمومها ـ كما تقدم بيان ذلك ـ نظم وسطى بين الشيوعية والرأسمالية ، تأخذ ما فيهما من محاسن وتبرأ مما تنطويان عليه من مثالب ، والنظام المعتدل منها هو أوسطها جميعا . فالنظام الإسلامى إذن وسط من وسط وخيار من خيار)[٥] .

ويقول ثالث : (ويطول بنا البحث لو تكلمنا عن « المؤيدات » التى وضعها الإسلام لدعم نظريته الاشتراكية فى جميع أحكامها وقوانينها ... ويرى أن هذه المؤيدات تشمل أربعة أنواع : اعتقادية ، وأخلاقية ، ومادية . وتشريعية .. الخ [٦] .

ونحن لا نتفق مع ما يذهب إليه أصحاب تلك الآراء للأسباب التالية :

أولا : ليس صحيحا على الإطلاق أن الإسلام جاء بأفضل ما فى النظامين (الشيوعى) و (الرأسمالى) وأخذ بمحاسن كل منهما ، وذلك لسبب بسيط : أن الإسلام نظام إلهى له طبيعته الخاصة المتميزة عن غيره من النظم الوضعية الأخرى حتى لو تشابهت معه فى جزء من أجزائه . فالإسلام كمنهج وشريعة سابق على الأقل من الناحية التاريخية (أكثر من ١٤٠٠ سنة) على هذين النظامين (الشيوعى) و (الرأسمالى) وهما نظامان حديثان لم يعرفهما الناس إلا فى هذا العصر الحديث ، فكيف يأخذ السابق (الإسلام) عن (اللاحق) أى النظم التى جاءت بعده ؟ ! .

(٤) المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان ، للدكتور محمد الصادق عفيفى ، ص ٨١ .

(٥) حقوق الإنسان فى الإسلام ، للدكتور على عبدالواحد وافى ، ص ٥٧ .

(٦) اشتراكية الإسلام ، للدكتور مصطفى السباعى ، ص ٢١٩ .

ثانيا : ليس كون النظام الإسلامى هنا نظام وسط ـ كما يصفه البعض ـ يضفى عليه ، بالضرورة ، صفة « الاشتراكية » بمقولة أنه يتخلص من مثالب هذا النظام أو ذاك ، فخلوه من سلبيات هذين النظامين الاقتصاديين الوضعيين لا يعنى خلع صفة « الاشتراكية » عليه ؛ لأن ذلك يسقط صفة تميزه و « قدسيته » كنظام إلهى إسلامى لا يمكن أن يتشابه مع أى نظام وضعى آخر ، حتى لو كان هذا النظام أو ذاك متفقا معه فى جزء منه أو فى وجه من الوجوه ، لأن القول بذلك يؤدى إلى فقد النظام الإسلامى هويته التى يتميز بها « كنظام ومنهج » يختلف تماما عن منهج وجوهر تلك النظم الإنسانية الوضعية التى يشوبها القصور ويعتريها النقص الذى هو من طبيعة البشر ، بعكس النظام الإسلامى الذى يتسم بالكمال والتنزه عن ذلك تماما .

ومن ثم فالإسلام لا يحاول ولم يحاول أن يقلد نظاما من النظم ، أو أن يعقد بينه وبينها صلة أو مشابهة ، بل اختار طريقه متفردا فذا ، وقدم للإنسانية علاجا كاملا لمشكلاتها جميعا .

وبناء على ذلك نجد أن الاقتصاد الإسلامى « يبحث فى الوسائل المختلفة التى يمكن للإنسان استخدامها لإدارة واستغلال ما استخلفه الله فيه .. لسد حاجاته الفردية والمجتمعية الدنيوية طبقا لمنهج شرعى محدد » .

ويتضح مما تقدم أن الإصطلاح يركز على دور الإنسان كمكلف ومستخلف فى هذه الدنيا فيما يملكه ويحاول أن ينطلق ـ من واقع هذا المبدأ ـ بالدور الهام الذى يؤديه الجهد الإنسانى على أساس دينى لا مادى فى المشكلة الاقتصادية ووفق توجيه المولى ـ عز وجل ـ .

[يتبع]

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

هلال رمضان

وإذا رئي في بلد يعم حكمه سائر البلاد

لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي

إعداد وتقديم : أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

أرسل الله ـ تعالى ـ نبيه محمداً ﷺ برسالة الإسلام إلى الناس كافة فى أرض الله قاطبة ، لا شأن لها بالقيود السياسية ولا بالحدود الجغرافية .

والعبادات فى الإسلام كل لا يتجزأ ، بل هى واجبة التطبيق من أمة الإسلام بلا تسويف أو مماطلة .

ولعل من أسباب سمو الإسلام أنه تناول كل ما يتصل بأداء العبادات على اختلاف فروضها ، ومن ذلك هلال رمضان . فوضع الأساس الذى يبنى عليه الرأى القاطع والقول الفاصل ، فى هذه المسألة الهامة فى حياة أمة الإسلام ، ولكنه ترك (للعلماء) مهمة الاجتهاد فى التطبيق العملى لبداية شهر الصوم ، إذ أنه يخضع فى المقام الأول لعوامل جغرافية ومناخية لا يخبرها إلا من تتوافر فيه الشروط العلمية والعملية لوضع الحقائق موضع التنفيذ بيقين ، بحيث تؤدى فى النهاية إلى التثبت فى أداء هذه الفريضة المعظمة على الوجه الذى شرعه الله وبينه نبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام .

قال الشيخ فى بيان الحكم الشرعى فى هلال رمضان :

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

كان قد وجه إلىّ فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، خطاباً بطلب النظر فى جمع المسلمين فى كل الأقاليم على صوم يوم واحد أول رمضان . وقد طلب فضيلته إلى بعض حضرات السادة العلماء أن يوافوه ، بعد بحث الموضوع من الوجهة الشرعية ومراجعة آراء الفقهاء ، بخلاصة بحثهم ونتيجة نظرهم .

وقد كنت ممن تفضل مولانا الأستاذ الأكبر بتوجيه هذا البحث إليهم ؛ فبعد مراجعة كتب الفقه الشافعى واستقصاء النظر فى الموضوع ، كتبت هذه الكلمة لتنشر فى المجلة بمثابة نواة لما سيبديه حضرات أصحاب الفضيلة علماء المذاهب بالأزهر من بيـــان شاف تنشرح له صدور المؤمنين .

ولادة الهلال فلكياً :

يولد الهلال ، ويبتدىء الشهر الهلالى متى انحرف القمر عن حالة الاجتماع : أى الوضع الذى يكون فيه الشمس والقمر بالنسبة للأرض فى اتجاه واحد على خط مستقيم ، ويكـون الجزء المضىء من القمر مقابلا للشمس متواريا جميعه عن الأرض ، وهى الحالة المسمـاة بالمحاق ، فمتـى انحرف قليلا عن هذا الوضع ظهر من الوجه المضىء خيط دقيق مقوس ناحية الأرض ، وهذا أول الشهر الهلالى فلكياً ، وذلك يكون بالنسبة للأرض كلها فى لحظة واحدة ، سواء أهل الجهة التى يقابلها القمر حينئذ ، أو الجهة التى يكون متواريا عنها ، وهذا يحصل تارة ليلا فى أول الليل أو آخره أو بين ذلك ، وتارة نهاراً كذلك .

اعتبار الشهر قد هل شرعاً :

ولا يعتبر الشهر الجديد قد هل شرعاً إلا إذا رأى أهل الأرض ذلك الخيط المضىء من القمر بعد غروب الشمس بالعين المجردة ، فتكون الليلة التى رئى فيها من الشهر الجديد بالنسبة إلى الرائين قطعاً .

وأما بالنسبة إلى غيرهم ففيه خلاف ، فقيل : وغيرهم مثلهم ، فمتى ثبت الشهر فى بقعة من الأرض فقد ثبت فى جميع البلاد (ولعـل من الواضح أن معنى ثبوته بالنسبة لجميع أهل البلاد أن تكون الليالى التى تقبل بعد رؤيته من الشهـر الجديد ، لا أن يحتسب اليوم الذى يتفق أن يكون النهار فيه ساعة رؤية الهلال فى بلد ، من الشهر الجديد) .

وقيل : بل كل بلد لها رؤيتها لا يتعدى حكمها إلى غيرها .

وقيل بالتفصيل بين البلاد القريبة من بلـد الرؤية ، فيثبت حكمها فى حقهم ، والبلاد البعيدة عنها فلا يتعدى حكمها إليهم .

ثم اختلفوا فى تحديد القرب والبعد : فقيل : يعتبر مسافة القصر ، لأن الشارع ناط بها كثيراً من الأحكام ، وقيل باتحاد الإقليم .

وقيل وهو المختار : بل العبرة باتفاق المطالع واختلافها ، لأن مسافة القصر لا شأن لها بطلوع الكواكب ولا غروبها ، وهذا هو الذى اختاره الكثير ودرج عليه المتأخرون من الفقهاء وهو الأوجه ، قال النووى فى المجموع : « إذا رأوا الهلال فى بلد ، ولم يروه فى غيره فإن تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد ، ويلزم أهل البلـد الآخر الصوم بلا خلاف ، وإن تباعـدا

فوجهان مشهوران فى الطريقين ، أصحهما : لا يجب الصوم على أهل البلد الأخرى ، وبهذا قطع المصنف والشيخ أبو حامد و ... ، والثانى يجب ، وبه قال الصيمرى ، وصححه القاضى أبو الطيب و ... ، وأجابوا عن حديث كريب عن ابن عباس (وسيأتى) بأنه لم يثبت عنده الرؤية فى بلد آخر بشهادة عدلين ، والصحيح الأول .

وفيما يعتبر به القرب والبعد ثلاثة أوجه : أصحها ، وبه قطع جمهور العراقيين والصيدلانى وغيرهم ، أن التباعد يحصل باختلاف المطالع كالحجاز والعراق وخراسان ، والتقارب أن لا يختلف كبغداد والكوفة ، لأن مطلع هؤلاء مطلع هؤلاء ، فإذا رآه هؤلاء فعدم رؤيته للآخرين لتقصيرهم أو لعارض ، والثانى : الاعتبار باتحاد الإقليم ، والثالث أن التباعد مسافة القصر والتقارب دونها ، وبه قال إمام الحرمين والغزالى والبغوى وآخرون ، قالوا لأن اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، وهذا ضعيف لأن أمر الهلال لا تعلق له بمسافة القصر . فالصحيح اعتبار المطالع .

ثم قال بعد كلام نقله عن علماء المذهب : « فحصل فى المسألة ستة أوجه : أحدها : يلزم جميع أهل الأرض برؤيته فى موضع منها ، والثانى : يلزم أهل إقليم بلد الرؤية دون غيرهم . والثالث : يلزم كل بلد يوافق بلد الرؤية فى المطلع دون غيرهم ، وهذا أصحها ، والرابع : يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيره ، حكاه السرخسى ، والخامس : يلزم من دون مسافة القصر ، والسادس : لا يلزم غير بلد الرؤية » انتهى ما أردنا نقله عن المجموع .

وقال شيخ الإسلام فى المنهج وشرحه : « (وإن رئى) الهلال (بمحل لزم حكمه محلا قريبا) منه (وهو) يحصل (باتحاد المطلع) بخلاف البعيد عنه ، وهو يحصل باختلاف المطلع ، أو بالشك فيه ، كما صرح به فى الروضة كأصلها لا بمسافة القصر ، لكن قال الإمام : اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، بخلاف مسافة القصر التى علق الشرع بها كثيرا من الأحكام والأمر كما قال » اهـ وكتب البجيرمى على قوله : والأمر كما قال : (أى من الأشكال ، والمعتمد ما قاله المصنف) وسيأتى دفع الإشكال .

وفى الروض لابن المقرى وشرحه لشيخ الإسلام : « (فرع) : لو (رئى) الهلال (فى بلد لزم) حكمه (من فى غيره) من سائر الأماكن (ما لم تختلف المطالع) كبغداد والكوفة والرى وقزوين ، لأنه قريب من بلد الرؤية ، فهو بمنزلة من هو فى بلدها كما فى حاضرى المسجد الحرام . فإن اختلفت كالحجاز والعراق وخراسان لم يجب الصوم على من اختلف مطلعه ، لبعده ، ولما روى مسلم عن كريب : رأيت الهلال بالشام ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فقال ابن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ قلت ليلة الجمعة .

قال : أنت رأيته ؟ قلت : نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل العدة أو نرى الهلال . فقلت : أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ ، وقياسا على طلوع الفجر والشمس وغروبها ، ومما قاله المصنف علم أن القريب من بلد الرؤية ما اتحد معه فى المطلع ، وقيل : ما دون مسافة

القصر ، وصححه الرافعى وتبعه النووى فى شرح مسلم ، وصحح فى غيره الأول لأنه لا تعلق للرؤية بمسافة القصر ، وقال الإمام : اعتبار المطالع يحوج إلى حساب وتحكيم المنجمين ، وقواعد الشرع تأبى ذلك ، بخلاف مسافة القصر التى علق الشارع بها كثيرا من الأحكام ، فإن قلت : اعتبار اتحاد المطالع على ما مر يتعلق بالمنجم والحاسب وقد تقدم أنه لا يعتبر قولهما فى إثبات رمضان ؟ قلت : لا يلزم من عدم اعتباره فى الأصول والأمور العامة عدم اعتباره فى التوابع والأمور الخاصة ا.هـ. أى وهنا لم يثبت بكلام المنجم والحاسب أصل الصوم وثبوت الهلال على جميع الناس ، بل عدينا به الصوم والهلال الثابت فى بلد إلى أهل بلد آخر .

ثم المراد بالرؤية المذكورة فى كل هذا ، الرؤية ليلا ، ولا عبرة برؤيته نهارا ، قال فى المنهج وشرحه : « (ولا أثر لرؤيته) أى الهلال (نهارا) » ونقل البجيرمى عليه عن القليوبى أنه لا يكون للماضية فنفطر ، ولا للمستقبلة فيثبت رمضان مثلا ، أى فلا يغنى عن رؤيته بعد الغروب .

مما سبق نقله عن المجموع وغيره ، يعلم أن ما صححه فى المجموع هو ما جرى عليه أغلب كتب المذهب ، وهو اعتبار اتحاد المطالع واختلافها ، وهو ما ترتاح إليه النفس ، ويشبه ما اعتبره الشارع فى أمر الصلاة من أن لكل قوم شروقهم وغروبهم وزوالهم وشفقهم وغير ذلك ، وأن البلاد التى تفقد شيئا من ذلك تعامل بحال أقرب البلاد إليها .

وما يقال من الفرق بين الصوم والصلاة من أن الصوم منوط بوجود الهلال وهو متى ولد فى بقعة فقد ولد بالنسبة لجميع أهل الأرض ، يرد عليه بأن أمر الأحكام الشرعية مبنى على المشاهدات الميسورة لطبقات الأمم ، بدويها وحضريها ، وأمر الحساب والتنجيم لا يتيسر إلا للبلاد التى أخذت بحظ من العلوم ، وقواعد الشرع لا تراعى ذلك بل تأباه ، ولا تنس ما قدمناه من أن عدم اعتبار الحساب والتنجيم فى إثبات أصل الصوم لعموم الناس لا يستلزم عدم اعتباره فى تعدية حكمه ، وقد ثبت فى بلد إلى أهل بلد آخر قريب منه .

وحديث « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ليس معناه متى حصلت رؤية ما فصوموا ، بل معناه كما فى رواية أخرى : إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ، وخير ما فسرته بالوارد .

ننتقل بعد هذا إلى ما جاء فى السؤال من النظر فى تعميم حكم الصوم لجميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، حتى يجتمعوا فى صوم رمضان على يوم واحد ، وبخاصة إقليم طرابلس الغرب بلد السائل ، وهل تتأثر بثبوت رمضان فى مصر ، فنقول :

قد نصوا على أنه متى اتحد البلدان فى خط العرض جهة وقدرا بأن يكونا معا فى الشمال أو يكونا معا فى الجنوب وأن يكون بعدهما عن خط الاستواء واحدا أو متقاربا ، فإنه إذا رئى الهلال فى البلد الشرقى منهما يلزم أن يرى فى البلد الغربى ، فإذا لم ير فيه فإما لعارض أو لتقصير منهم ، وذلك أن الشمس تغرب فى البلد الشرقى قبل غروبها فى الغربى ، وكذلك القمر ، فإذا رئى فى البلد الشرقى فما ذاك إلا لأنه مضى عليه بعد ولادته مدة يتسع فيها الخط المضىء الذى يبدو منه ، فإذا تأخر الغروب فى البلد الغربى ساعة أو ساعتين مثلا كان ذلك أعون على رؤيته إذ يزيد اتساع الخط المنير البادى منه ، فإذا لم ير فإما لعارض أو تقصير منهم كما قلنا .

وإنما قيدنا بأن يكون البلدان على خط عرض واحد أو متقارب ، لأنهما إذا لم يكونا كذلك جاز أن يتأخر غروب الشمس فى البلد الشرقى عنه فى البلد الغربى ، بأن يكون البلد الشرقى فى الشمال والغربى فى الجنوب ويكون الوقت صيفا ، فإن النهار يطول فى البلد الشمالى عنه فى البلد الجنوبى ، فربما تأخر غروب الشرقى حينئذ عن غروب الغربى .

نقل الشهاب الرملى فى حاشية شرح الروض عن السبكى قال : « تنبيه لم أر من نبه عليه وهو أنه قد تختلف المطالع ، والرؤية فى أحد البلدين مستلزمة للرؤية فى الآخر من غير عكس ، فإن الليل يدخل فى البلد الشرقية قبل دخوله فى البلد الغربية ، فإذا غربت فى بلد شرقى وبينه وبين الشمس سبع درج مثلا ، لا يمكن رؤيته فيها ، وإذا غربت فى بلد غربى يتأخر الغروب وبينه وبين الشمس أكثر من عشر درج أمكن رؤيته فيها ، وإن لم ير فى البلد الشرقى ، فإذا غربت فى غربى آخر بعد ذلك بدرجتين كانت رؤيته أظهر ، ويكون مكثه بعد الغزوب أكثر ، وقس على هذا يتبين لك أنه متى اتحد المطلع لزم من رؤيته فى أحدهما رؤيته فى الآخر ، ومتى اختلف لزم من رؤيته فى الشرقى رؤيته فى الغربى ، ولا عكس . وتبعه فى المهمات » قال : « وفى إطلاقه دخول الليل فى الشرقى قبل دخوله بالغربى نظر إذ محل القبلية إذا اتحد عرض البلدين جهة وقدرا : أى جهة الجنوب والشمال ، وقدرا بأن يكون قدر البعدين عن خط الاستواء سواء »أهـ .

ومعلوم أن طرابلس غربى مصر ، وهما على خط عرض واحد تقريبا ، فإن خط عرض ٣٠ يخترق الإقليمين معا : مصر وطرابلس ، وهما جميعا فى نصف الكرة الشمالى ، فمتى رئى فى مصر رئى فى طرابلس قطعا ، فإذا لم يروه فإما لعارض أو لتقصير منهم ، فيجب عليهم الصوم بصوم مصر .

وحديث كريب عن ابن عباس يمكن تخريجه على ذلك ؛ فإن الشام غربى المدينة فيتأخر غروب الشمس فى الشام عن غروبها فى المدينة ، فمدة التأخر تصلح سببا كافيا لاتساع الخط المنير من القمر فتسهل رؤيته فى الشام حيث لا تسهل رؤيته فى المدينة ، فلا غرو أن يصوم معاوية بالشام ويصوم الناس معه حيث رأوا الهلال ولا يصوم أهل الحجاز لاختلاف مطلعهم عن مطلعهم ، لأنهم شرقيون بالنسبة إليهم .

والحاصل : أنه إذا صامت مصر لرؤية الهلال لزم الصوم كل البلاد التى تكون غربها ، ما لم تكن فى الشمال كثيرا ، زالزمن شتاء ، فربما تأخر غروب الشمس فى مصر عن غروبها فى البلاد الغربية منها ، فيوجد وقت بين الغروبين يمكن مصر من رؤية الهلال ، إذ يكون قد نما ولا يكون أهل البلد الغربية متمكنين من رؤيته لتقدم غروبهم وأما البلاد التى شرقى مصر كالعراق والحجاز فلايلزم من رؤية مصر للهلال رؤيتهم له ، فلا يلزمهم الصوم بصوم مصر .

هذا كله فى ثبوت الشهر أى تحققه ، أما فى إثباته والعلم به ، فقد نصوا على أن الأمارات المعتادة كتعليق القناديل فى المنائر ، وكالتصايح بين القرى ليعلم بعضهم بعضا ، إذا كان مثله لا يحصل إلا فى رمضان ، كافية فى العلم ولزوم الصوم متى غلب على الظن صدقه ، ومثل ذلك ضرب المدافع والإشارات البرقية وإذاعة المذياع « الراديو » ، كل هذا مما يحصل به غلبة الظن المؤكد ، ولا سيما عند صدوره من جهة حكومية فإنه حينئذ لا يبقى عذر فى التردد ، ويقوى الظن حتى يصير بمنزلة اليقين . والله سبحانه وتعالى أعلم . (المجلد التاسع) .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السؤال : مقدم من السيد / حمدى عكوش :

● **ما الأعذار المبيحة للفطر ؟ .**

الجـــواب :

● الأعذار التى تبيح الفطر للصائم كثيرة منها : المرض ، فإذا مرض الصائم وخاف زيادة المرض بالصوم ، أو خاف تأخر الشفاء من المرض ، أو حصلت له مشقة شديدة بالصوم فإنه يجوز له الفطر قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٨٥

ويتضح من هذه الآية أيضا إباحة الفطر للمسافر بشرط أن يكون السفر مسافة تبيح قصر الصلاة وهى تقدر حاليا بواحد وثمانين كيلو مترا وكذلك إذا خافت الحامل والمرضع الضرر من الصيام على أنفسهما وولديهما معا أو على أنفسهما فقط أو على ولديهما فقط ، والمرأة إذا حاضت أو نفست وجب عليها الفطر وحرم الصيام عليها ولو صامت فصومها باطل وعليها القضاء .

والشيخ الكبير المتقدم فى السن الذى لا يقدر على الصوم فى جميع فصول السنة يفطر وتجب عليه عن كل يوم فدية طعام مسكين ، وإذا طرأ على الصائم جنون ولو لحظة فلا يجب عليه الصوم .

فيجوز لمن حصل له شىء من ذلك الفطر ، وعليه القضاء فذلك إذا تيقن الصائم أن الجوع أو العطش قد بلغا به ما يؤدى إلى الهلاك .

السؤال مقدم من السيدة / سميحة الحضرى :

● زكاة الفطر حكمة مشروعيتها وشروطها وعلى من تجب ؟ ووقت وجوبها ؟ ومتى تؤدى ؟ .

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .. وبعد ..

فنفيد بأن زكاة الفطر شرعت فى السنة الثانية من الهجرة مع فرض صيام رمضان .

روى البخارى وغيره عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان ، صاعا من تمر أو صاعا من شعير على لعبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين .

كما روى أبو داود وابن ماجه أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات .

وأئمة الفقه على إخراجها عينا ، لكن أبا حنيفة رأى جواز إخراج القيمة فيه فائدة كبيرة لعامة الفقراء والمساكين ، لأن إخراج القيمة يتيح لهم الفرصة لشراء ما يحتاجون إليه فى هذه الأيام المباركة ، فلا مانع من الأخذ برأى أبى حنيفة فى إخراج القيمة مع مراعاة عدم التقيد بالسعر الرسمى فإن الفقير ربما لا يستطيع أن يحصل على القوت بهذا السعر ، فيؤخذ بالسعر العادى الجارى بين عامة الناس وكلما زاد عليه كان أفضل ، هذا والصاع يساوى ٢ كيلوجرام وبالنسبة لحكمة مشروعيتها قد أشار إليها الحديث الثانى فهى تتمثل فى فائدتين : فائدة تعود على المزكى ، وفائدة تعود على من يأخذون ، أما الأولى فهى تطهير الصائم بما عساه يكون قد وقع فيه مما يتنافى مع حكمة الصوم وأدبه ، كالسباب والنظر المحرم والغيبة وغير ذلك .

وهى فى الوقت نفسه برهان على أنه استفاد من دروس الجوع والعطش رحمة بمن يعانون منهما من الفقراء والمساكين .

ومن قسا قلبه ولم يخرجها على الرغم من يسرها دلّ على أنه لم يستفد من حكمة الصيام ، وكان صيامه شكليا وحديث « **صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر** » حديث جيد الإسناد .

وأما الفائدة الثانية لزكاة الفطر فهى للمحتاجين إلى المعونة وبخاصة فى يوم العيد كى يشعروا بالفرح والسرور كما يفرح غيرهم من الناس .

ولذلك كان من الأوقات المتميزة لاخراج زكاة الفطر صبيحة يوم العيد وقبل الاجتماع للصلاة ، حتى يستقبل الجميع يومهم مسرورين .

ولهذه الفائدة التى تتصل بإشاعة الفرح والسرور والتخفيف عن البائسين كانت الزكاة مفروضة حتى على من لم يصم شهر رمضان لعذر أو لغير عذر .

السؤال : من السيد / عبدالرحيم كمال :

● ما ينبغى للصائم ليفوز بالقبول ؟ .

الجـــواب :

المسلـم الحق يصوم رمضان إيمانـا واحتسابـا والإيمان يعمر قلبه إن « **من صام رمضان إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » .. رواه

الشيخان .. ويعرف حق الصوم عليه فى حفظ لسانه وبصره وجوارحه عن كل مخالفة تخدش صومه أو تحط من أجره .

روى الإمامان البخارى ومسلم : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم » .

وروى الإمام البخارى كذلك .. « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة أن يدع طعامه وشرابه » .

وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يجتهد فى رمضان بالإكثار من الأعمال الصالحة ما لا يجتهد فى غيره وبخاصة فى العشر الأواخر منه .

كما أن على الصائم أن يحيى ليلة القدر بالقيام والذكر وعلى المسلم الذى يحرص أن يفوز بالقبول مراعاة ما سبق وعليه أن يملأ أوقاته كلها بالأعمال الصالحة فنهاره صوم وصلاة وتلاوة قرآن وصدقة وغير ذلك من الصالحات وليله قيام وتهجد ودعاء .

والله وحده يتولى جزاءه ويقبل صيامه ويفوز بجائزة الله .

□ **الفتـــاوى :**

السؤال : من السيد / طارق شحاته :

ما الاعتكاف ؟ وما حكمة مشروعيته ؟ وزمنه وشروطه ؟ .

ـ الجـــواب :

الاعتكاف هو المكث فى المسجد للعبادة على وجه مخصوص ، وهو واجب إذا كان منذورا ثمن نذر أن يعتكف وجب عليه الاعتكاف ، وسنة وهو ما عدا ذلك ، وقال الحنابلة إنه يكون سنة مؤكدة فى رمضان وآكده فى العشر الأواخر منه ، وكذلك هو رأى الشافعية ، ولكنهم ذهبوا إلى أنه سنة مؤكدة فى رمضان وفى غير رمضان .

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن الاعتكاف سنة كفاية مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان ومستحب فى غيرها .

وحكمة مشروعية الاعتكاف حصول الثواب واتباع الرسول ﷺ والاقتداء به فى أفعاله .

وشروط الاعتكاف منها الإسلام ، والتمييز ، ووقوعه فى المسجد الذى تؤدى فيه صلاة الجماعة ، وأوله إمام ومؤذن .

كما زاد المالكية فى شروط الاعتكاف الصوم سواء كان الاعتكاف منذورا أو تطوعا .

وقد ذهب الحنفية إلى أن المرأة تعتكف فى مسجد بيتها الذى أعدته لصلاتها ولكن الشافعية والحنابلة قالوا بجواز اعتكاف المرأة مثل الرجل فى المسجد ، كما قال الشافعية إذا اعتكفت المرأة بغير إذن زوجها كانت آثمة ويكره اعتكافها إن أذن لها وكانت من ذوات الهيئة .

السؤال : ورد من السيـــد / السيـــد عبدالسلام :

● **ما هى مبطلات الصيام التى توجب القضاء والكفارة ؟ وما يبطل الصيام ويوجب القضاء فقط ؟ .**

الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد : فنفيد بأن الله ـ تعالى ـ قال :

﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٨٧

وروى جماعة حديث صحابى قال للرسول ﷺ : هلكت فسأله ما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان فبين له ﷺ كيف يكفر عن ذلك كفارة عظمى .

تدل الآية والحدث على أن الصيام إمساك عن الطعام والشراب والاتصال الجنسى ، وأن الذى تناول طعاما أو شرابا أو يتصل اتصالا جنسيا وقت الصيام فقد بطل صومه ، وقد أجمع الفقهاء على أنه يجب عليه قضاء ما أفطره ، لأنه دَيْنٌ ، ودين الله أحق بالقضاء كما ثبت فى الحديث الصحيح ، وعليه إلى جانب القضاء تجب ـ الاتصال الجنسى ـ كفارة عظمى وهى عتق رقبة مؤمنة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا . وإلى جانب هذا فهناك أشياء اتفق العلماء على أنها لا تبطل الصيام منها وضع الإصبع فى الأذن أو تنظيفها بقطنة أو بمحلول ، لأن (طبلة الأذن) لا تسمح بدخول شىء من ذلك إلى الدماغ ، والدماغ ليس عضوا يتلقى غذاء يستفيد منه الجسم ، ولا يبطل الصوم بالفحص المهبلى ، أو الكشف على البواسير الداخلية أو الكشف على اللوز بنحو ملعقة ، كما أنه لا يبطل الصوم ترطيبُ الجسم بالماء البارد أو ترطيب الفم بالمضمضة .

كما أن (حقن) الدواء فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد لا يفطر بها الصائم ؛ لأنها ليست غذاء يغنى عن جوع أو يروى من عطش .

وقال الفقهاء إن القيىء إن كان خروجه اضطراريا فلا يفسد الصوم وإن كان عن عمد فسد الصوم .

السؤال : من السيد عبدالراضى الكيلانى :

● متى يفطر المسافر ؟ .

الجـــواب :

أجمع جمهور الفقهاء على أن المسافر الذى يجوز له الفطر فى رمضان لابد أن يطلع عليه الفجر وهو مسافر ، وأن يكون سفره طويلا « حوالى ثمانين كيلو مترا تقريبا » حتى لو كان السفر مريحا ، كالسفر بالطائرة فيجوز له الفطر ، فإذا كان قصيرا « فلا يجوز له الفطر ، وإذا طلع عليه الفجر وهو غير مسافر وسافر بعده فلا يجوز له الفطر عند جمهور الفقهاء .

وأجاز أحمد بن حنبل الفطر للمسافر مطلقا حتى لو كان السفر بعد الزوال ولا مانع من تقليد هذا المذهب إذا كان فى الصوم مشقة .

ثم قال العلماء : إذا بيت نية الصيام فى السفر يجوز له الفطر ولا إثم عليه ، وعليه القضاء وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، وتبعه المالكية وأوجبوا عليه القضاء والكفارة إذا أفطر ـ كما منعه الحنفية وأوجبوا عليه القضاء دون الكفارة ـ .

أما الأفضلية للمسافر فى الصوم أو الفطر فقد قال الحنفية والشافعية : إن الصوم أفضل ، وهو مندوب مادام لا يشق عليه ، فإن شق عليه كان

الفطر أفضل ، وإذا ترتب على الصوم خطر على نفسه أو تعطيل منفعة كان الفطر واجبا .

وقال المالكية : يندب للمسافر الصوم ولو تضرر بأن حصلتْ له مشقة .

وقال الحنابلة : يسن له الفطر ويكره الصوم ولو لم يجد مشقة وذلك لحديث الرسول ﷺ « **ليس من البر الصيام فى السفر** » .

السؤال من السيـدة/ حكـمت مصطفى المحامية بالمنصورة تقول فيه توفيت سيدة ولم تحج فحج عنها ابن شقيقتها الذى يعمل بالسعودية وأخذ مصاريف الحج من مالها الذى تركته دون وصية منها فهل هذا الحج يسقط عنها الفريضة ، إذا كان كل ورثتها موافقين على ذلك ؟ وهل لابن أختها الذى حج عنها أجر . علماً بأنه حج عن نفسه قبل ذلك ؟

الجـــــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا كان هذا الحج قد جاز على المتوفاة ولم تحج وجب أن يحج عنها غيرها ممن سبق له الحج . يستوى فى ذلك أن يكون قريباً لها أو غير قريب ، كما يستوى فى ذلك أن تكون النفقة من مالها أم من غير مالها . وتسقط عنها الفريضة ولابن شقيقتها ولورثتها الأجر ومع ذلك إذا لم يقم أحد بالحج عنها وطلب نفقات الحج فالواجب أن تكون النفقة من التركة لأنها دين لله . والميراث لا يوزع إلا من بعد وصية يوصى بها أو دين وبخاصة دين الله . ولا يشترط عند الجمهور أن تكون المتوفاة قد أوصت بذلك ، فالمالكية فقط هم الذين اشترطوا ذلك والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيـد/ س هل يجوز دخول الإناث من البنات لدور التعليم الملحقة بالمساجد مرتديات ملابس ضيقة مثل « الجينز » و « والاستريتش » ومتحليات بحلى تزين وتظهر مفاتنهن ؟

الجـــــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ، فنفيد بأن الرسول ﷺ قال للسيـدة أسماء بنت أبى بكـر رضى الله عنها : « يا أسماء إذا بلغت المرأة (وفى رواية إذا حاضت) المرأة فلا يرى منها إلا هذا وهذا ـ وأشار ـ إلى وجهه وكفيه ـ » وعلى هذا فقد أجمع جمهور العلماء على أن جميع بدن المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها ، وعلى ذلك فإنهم يشترطون فى زى المرأة ألا يوصِف الجسم أو يشف فلا يرى منها إلا الوجه والكفين أما مثل الملابس التى ذكرت فى السؤال فإنها لا يجوز الخروج بها إلى الشارع مطلقاً سواء كان الخروج للعمل أو للتعليم أو غيره ولكن لا مانع من ارتدائها داخل بيتها أمام محارمها فقط هذا وليتق الله بناتنا ونسائنا فيما يتحلين به من ملابس ويتمسكن بشرعة الله فإن من خرج عن شرعه وعن حدوده يقصم الله ظهره فى الدنيا ويعاقبه فى آخرته والله أعلم .

الشعر والشعراء

تقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ذنب توضأ بالدموع

شعر : إبراهيم عيسى

...وتطوف أصداءُ الحُداةِ بعالمى ... وتقول : ما لليل منطفىء الشُعَلْ ؟
فَيُجيب مصباحٌ توهَّجَ فى دمى : ... نبْعُ السنا رغم الليالى قد أهَلْ
عَبَرَ الدجى لما سجا ليلٌ شكى ... من ظلمة تجتاح إيقاعَ الأجَلْ
ناديْتُه فتفجَّرَتْ ناياتُه ... وتألَّقَتْ آهاتُه لما اشْتَعلْ
وعلى المدى رُفِعَ الستارُ فلم أجِدْ ... إلا ظلالًا من زمانى ترتَحِلْ
وتمزَّقَتْ حُجُبُ الزمانِ فأبْصَرَتْ ... عيْنَاى ذنباً يَسْتبِدُّ ويرتجِلْ
وانْفَضَّ سُوقُ العمر إلا آهةٌ ... تَسقِى خطايا النفس كاساتِ الوَجَلْ
خمَّارُها زَمنُ الخطايا .. كلما ... راجعْتُه شرِبَ الأسى حتى ثَمِلْ
سَكَبَ الظلامَ العنكَبُوتىَّ الدجَى ... ورَمَى سلاسِلَه على خطو الأمَلْ
وشكوتُ من أبديَّةِ الليلِ الذى ... صَنَعْتَه أهوائى بشوقٍ متَّصِلْ
ويشدُّنى نَوْحُ الذنوبِ على الوَرَى ... فأغوص فى طين الجهالة والخبَلْ
وتَنَهَّدَتْ شَفةُ الجراح وزَمْزمَتْ ... كَفِّى دموعاً فوق همٍّ تنسدِلْ
والغصنُ جفَّ براعماً وأزاهراً ... والعمر.. حتى العمر أمسى كالطَّلَلْ
وتلفَّتَتْ أيَّامُه وتبَتَّلَتْ ... والدمعُ بين جوانحى جُهْدُ المُقِلْ
وملأت كأسى بالدموع.. وليتنى ... أشعلتُها بين الحنايَا والمُقَلْ
سَهِرَتْ خطايا العمر حول مدامعى ... وعلى المدى همٌّ ترامَى كالظُّلَلْ
لما دنا شَهِقَتْ دموعى فى عيونِ ... الليلِ.. فابتَسَمَ الصباحُ على أمَلْ
فغَزَلْتُ من أَلَقِ السجود سحابة ... وقِبَابَ نورٍ عن سناها لا تَسَلْ
وهتفتُ.. يا ربَّاه.. فانفَرجَ المدى ... وانْهَلَّ خيرٌ من ينابيع الأزَلْ
فطرقْتُ بابَكَ باليَقين.. وفى يدى ... ذنب توضَّأ بالدموع وبالخجَلْ
أنا من ترابٍ يا إلهى.. إنما ... بى منكَ روح بالهداية تحتَفِلْ

الإسلام شمس الأنام

للشاعر محمد عبد الرحمن صيان الدين

ذلك الدين الـذى قـد   يبهـر العقـل قَشيبُـهْ
كم حـراب وسـهام   من يـد الحمقَـى تصيبه
وسـعير الحقـد يصلـي   رحمة الدنيـا لهيبـه
لست أدرى خبِّـرونى   ما الذى فيـه يعيبـه؟!
بيـد أن الباطـل العِرْبيـدَ ترعـاه شعوبـه

***

هل لأن الديـن للإنسان عز وكرامـة
هل لأن العـدل فى الإسـلام رفـق وصرامـة
هل لأن النـاس فى الإنصـاف أسْوَاء أمامـه
وبـه المعـوج يمشى   فى اسـتواء واسـتقامه
ولأن الكـل يحيـا   فى أمـان وسـلامه

***

إن تُلامسْ رقـةُ الإسلام قلبـا قد تحجـرْ
صار نهرا جاريـا بالخير للأحيـاء يزخـرْ
ينفـح الدنيـا نسيمـا   من عَبير الزهـر أعطـر
صار إنسانـا من الدنيـا ومـا تعطيـه أكبـرْ
بلسان عن معـانى الخير والإيمان عَبَّـرْ

***

لو وعـى الإنسان ما أمـلاه خير الأنبيـاء
لرأى برهـانَ أن الوحـى من رب السمـاء
ومشى فى الأرض كالمصبـاح دُرّىَّ الضيـاء
لكـن الشيطـان أدْلاه لِدَرْك الجهـلاء
لِيـقضِّى العمـر فى الدنيـا على جمر الشقـاء

***

ليس يُشقِـى خلْقَـه الـرحمن بالأرزاء ظلمـا
إنمـا الإنسـان يحسُـو   راغبـا صابا وَسُمَّـا
يصنـع الإنسانُ للإنسان أدواءً وسقمـا
ويـرى فى نشره الآفات فوق الأرض علمـا
أنـت يـاربى قـدير   قد وسعت الخلق حِلمـا

النَاى الحَزين

للشاعر/عبد الغفار الدلاش (*)

يا شادى الشعر مَنْ فى الحى تشجيـه
أرهـقت نفسك فى دنيـا قوافيـه

ما قيمة الشعـرِ والشعـراءِ فى زمـنٍ
لا يَطْـرَبُ النـاسُ من ألحان شاديـة

كان القريض ودنيـا النـاس عامـرةٌ
تهفـو بشوقٍ إلى أسمىٰ معانيـه

خفِّفْ عن النفس لا تُلْهِبْ حَمِيَّتَهَـا
فى ذكـر شىءٍ لها مما تعانيـه

كم أصبـح العيـشُ مأساةً لصاحبـه
إن كان يبغـى حلالًا فى مساعيـه

أيـن الجمـالُ الـذى تشدو برقَّتـه
فيمـا تراه جليـاً دون تمويـه ؟

ما عاد للـوردِ إيحاء بروعتـه
أو عاد للـحسنِ سحـر فى مغانيـه

حتـى الطفولـة قد باتت مُرَوَّعَـةً   من بطش مغـتصبٍ أو قتـل معتـوه
فى كل يومٍ لدى الشيطـان مُبْتَكَـرٌ   بالخبث والكيـد لم يعـدم مساويـه
يا للضحايـا من الإدمـان فى نزق   بالجنس واللهـوِ والإسراف تأتيـه
هذى كهوف الدجـىٰ تمتـد موغلـةً   يُعيى انحراف الورى إحصاءُ مُحصيـه

* * *

يا صاحب الوتـر المحزون معـذرةً   مَنْ يا تُرىٰ لحنُك الدامـى يُعَزِّيـه
هذى الجراح التى فى النفسِ غائـرةٌ   أين الدواءُ لجرح القـلب يضنيـه ؟

ذو القلب يشقىٰ لما ينتـاب عَالَمَـهُ   من أى سوءٍ على الآفاق يُدْمِيـهِ
لولا بَقِيَّـةُ إيمان تُعَلِّلُـهُ   ألَّا يَضِلَّ مع الأسراب فى التيـه

كم ذا مع الضيـق عنـد الله من فرج   هل نَنْشُدُ الله يومـاً فى مراضيـه ؟
ما يفعـلُ الحزن فى وجـدان صاحبـه   إلا دموعـاً تنـزت من مآقيـه !

أو يعصف اليـأس فى أعماقـه أبـداً   حتـى يَخِـرَّ صريعـاً فى مهاويـه !
من كان لا يعـرف الإصلاح مُنْطَلَقـاً   فليتـرك الشرَّ . لا يخطـو بواديـه

لا عذر للمرءِ فيمـا فيـه مضيعـةٌ ؟   أين الرقيب الذى فى النفس يثنيه ؟
لا يغفـر الدِّيـنُ إسفافـا لفاعلـه   إلا بتوبتـه عمـا هَوَىٰ فيـه

* * *

النـاس فى عالم التقليـد قد درجـوا   بدءًا بإعجـابهم أو حُبِّ تشبيـه
يا ليت من قدَّموا الإسفاف ما فعلـوا   بل قدَّمـوا البر فى ثوب يجلِّيـه
يا ليتهم قدمـوا للنـاس مكرمـة   كلٌّ على دربـه أو فى نواديـه
ما كان يجرؤ ضِلِّيـلٌ وذو سفـهٍ   أن يستطيـل بكفـرٍ أو بتشويـه !

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فضل عمر وعقله ــ رضى الله عنه

سئل المغيرة بن شعبة، عن سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فقال: «كان والله له فضل يمنعه أن يخدع، وعقل يمنعه من أن ينخدع».

«لقبول الدعاء شروط»

حفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى مالا يحل، وحفظ البطن من الحرام.

مكارم الأخلاق

قال أبو العتاهية :

إن المكــارم أخــلاق مطهــرة
فالعقــل أولها، والديــن ثانيها
والعلم ثالثهــا، والحلــم رابعهــا
والجود خامسهــا والصدق ساديها
والبر سابعهـــا والصبر ثامنها
والشكر تاسعهــا والرفــق عاشيها

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعى أن أعرابيا قال لابنه : يابنى الأدب دعامة أيد الله بها أولى الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب

وقال حكيم : الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر : العقل بلا أدب كالشجر العاقر، العقــل بالأدب كالشجــر المثمــر.

وقال غيره : الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، فإن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله.

وقال بليغ : الأدب يستر قبيح النّسب.

إياك ومحدث النعمة

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل
فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

أعراف الآباء

التمسك بالأعراف أى التقاليد السابقة، والمألوف من العادات وما كان عليه الآباء والأجداد ، صفات موجودة ومتأصلة فى الإنسان منذ وجوده، وقد رفضت الأجيال المتعاقبة هدى الله ورسالاته وقص علينا القرآن الكريم قصصهم ورفضهم للهدى تمسكا بتقاليد الآباء.

فقالت عاد قوم هود لسيدنا هود :

« أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا » . الاعراف ـ ٧٠

وثمود لسيدنا صالح :

« أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا » . هود ٦٢

ومدين لسيدنا شعيب : «أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ » . هود ـ ٨٧

ووجوه العراق لسيدنا إبراهيم : « بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤» . سورة الشعراء

وقريش لسيدنا محمد :

«وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣» . سورة الزخرف

فهلا وعت البشرية أن أعراف الآباء (تقاليدهم) لا تساوى شيئا ما لم تكن متسمة بالحق جليلة الهدف وعلى إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

«حقيقة»

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
أحاط بى علمه من قبل تصويرى

«حقا»

غضب رجل على آخر، فقال له : ما أغضبك ؟

قال : شيء نقله إلى الثقة عنك

قال : لو كان ثقة ما نَمَّ

«فى ثياب مصر فلا»

كان أحد الكبار يقول : من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها، فأهدى إليه صديق ثيابا من ثياب مصر، وعنده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تخبرنا أن من أهديت له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم، فأما فى ثياب مصر فلا .

دعاء

اللهم أغننى بالافتقار إليك، ولا تغننى بالاستغناء عنك.

من أعلام الأزهر

إنصاف بعد إجحاف

الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى

(٢)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

من شأن كل ذى منهج إصلاحى أن يبادر بتنفيذه متى أمكنته الفرصة ، وقد أتيح للشيخ الأحمدى أن يكون شيخاً لمعهد طنطا بأقسامه الابتدائية والثانوية والعالية ، فبادر إلى تقديم مقترحات لمجلس الأزهر العالى تحقق بعض ما يريد ، فلم يجد غير المعارضة ، ولكنه لم ينكل عن غايته ، فعمل فى دائرة اختصاصه على إنشاء جماعات علمية بالمعهد ، فمنها جمعية علم التوحيد ، ومهمتها : دراسة الشبه العصرية الخاصة بالعقيدة والرد عليها ، وجمعية الوعظ الخطابى ، ومهمتها : تمرين الطلاب على الوعظ المركز الذى يمس مشكلات الجمهور ، ويكون الموضوع فى محاضرته محدداً لا ينتقل إلى موضوع آخر كما كان سائداً فى ذلك الوقت .

ومنها إنشاء مكتبة للجامع الأحمدى تشمل جميع المخطوطات التى استطاع جمعها من المساجد وبيوت الكبراء مع إنشاء نادٍ علمى يقضى فيه الطلاب أوقات فراغهم ، ويكون موضعاً للمحاضرات الأسبوعية التى يقوم بإلقائها المتخصصون فى شتى العلوم ، هذه الإنشاءات الباهرة

فى معهد تقليدى كانت مجال الدهشة لدى القائمين على الأزهر بمجلسه فى القاهرة ، وقد رأى المجلس حينئذ أن يقص من أجنحة المعهد الأحمدى ؛ فشاء أن يحذف القسم العالى منه كما يحذف القسم العالى من معهد الإسكندرية لتكون الدراسة العالمية بالقاهرة وحدها ، وقد أدرك الأحمدى عواقب هذا الحذف فعمل على مقاومته ، وأعد مذكرة ضافية نشرتها مجلة الأزهر أخيراً فى عددى ربيع الأول وربيع الثانى من سنة ١٤١١ هـ[1] بعد أكثر من خمسة وستين عاما وفيها أوضح أن إلغاء القسم العالى بالأقاليم مفسدة لا مصلحة ، إذ يعوق التحاق العاجزين عن السكنى بالقاهرة ، فينقطعون عن العلم ، كما يقضى على التنافس بين الأقسام المتماثلة فينقطع الحافز على الاجتهاد ، وإذا احتاج قسما « طنطا والإسكندرية » إلى رعاية علمية فلتكمل هذه الرعاية بمدهما بأسبابها المنشودة لا بمحو القسمين دون مبرر ، كما أن جداول الامتحان فى السنوات الثلاث الأخيرة تثبت تقدم القسمين على القسم القاهرى فى النسبة المئوية بأكثر من عشرين فى المائة ، ولذلك دلالته الواضحة ، والبلاد مع ذلك كله مقبلة على نهضة علمية كبيرة إذ ظهرت الجامعة المصرية والمدارس العليا المتعددة ، فكيف يقص جناح الأزهر وحده ، ومذكرة الأستاذ مستفيضة شافية ، وكان فيها الإقناع كل الإقناع لو سارت الأمور على وجهها الصحيح ، ولكن أعداء الاتساع الإقليمى قد تمكنوا من تحقيق مآربهم ، وها قد مرت الأيام ورأينا كليات الأزهر الدينية العليا تغمر الأقاليم فى الإسكندرية والقاهرة وطنطا والمنصورة والزقازيق وشبين الكوم وأسيوط وقنا وجرجا وأسوان ودمياط ، مما يثبت بُعد نظر الأحمدى وسلامة منحاه .

وبهذا العمل الدائب تعرض الرجل لخصومات ووشايات باعدت بينه وبين ولاة الأمور حيناً من الزمن ، ثم انجلى الغيم عن براءته وإخلاصه ؛ فأصبح عضواً بارزاً فى المؤتمرات السياسية ذات الطابع الدينى ، كالمؤتمر الخاص بالخلافة الإسلامية المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ، والمؤتمر الخاص بمستقبل الأماكن المقدسة فى السعودية ، حين خشيت بعض الدول من سيطرة مذهب خاص ، فعمل الأحمدى على جمع الكلمة ، وكسب لمصر وزناً ثقيلا فى ترجيح كفة الاعتدال ، وهذا ما جعل الملك فؤاد يخصه باهتمام خاص ، وقد رشحه لمشيخة الأزهر قبل أن يتولاها الإمام المراغى فى الفترة الأولى ، ولكن سياسة أقوى من جهده قد حالت دون ذلك ، فقام الإمام المراغى بأعباء المشيخة ، والملك غير راض عنه ، حتى حانت فرصة الاستقالة فأسند المشيخة إلى الإمام الظواهرى ، وهنا تلاحقت الأحداث على نحو يوجب الإفصاح ، ولن أتعرض للتيارات السياسية بين القصر والأحزاب والإنجليز ، ما كان له دوره الهام فى تقلب الأمور ، فهذا مكانه التاريخ السياسى للبلاد ، ولكنى أهتم بما كان من إصلاح جوهرى تم على يدى الإمامين الكبيرين مراعيا حقهما الناصع فى إصدار الحكم الصائب وفق ما اهتديت إليه من أسباب .

---

(١) من بحث ضاف كتبه الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى .

يحاول بعض من تزعموا الطلاب فى الثورة على الشيخ الظواهرى ، ثم كان لهم شأن فى الدولة بعد فترة طويلة أن يجسموا بطولاتهم وفق ما يتصورون لا كما هى فى الواقع ، ومن وسائل هذا التجسيم أن يبخسوا الظواهرى كل فضل ، وأن يعدوه رجل جمود وعدواً للإصلاح ، وقد تكررت أقوالهم فى ذلك حتى أصبحت من قبيل المسلمات لدى من لا يعرفون مجريات الأمور ، والواقع المشاهد ، أن الظواهرى كان كالمراغى تماماً من رجال الإصلاح الدينى الحافز على النهوض ، ولكليهما موقفه المشهود ، وليس فى تاريخ أحدهما ما يوصمهما بمناوءة الإصلاح ، وهذا بالنسبة للإمام المراغى مُسلَّمٌ معترف به ، ولكنه بالنسبة للإمام الظواهرى يحتاج إلى أن نرد على من زيفوا الحقائق بالدليل الصريح .

إن الذى يدرس القانون الذى قدمه الأستاذ الظواهرى لإصلاح الأزهر ، وقام على تنفيذه ، يجده فى جوهره الأصيل متفق مع قانون الأستاذ المراغى فى أكثر اتجاهاته فبمقتضاه أنشئت فى الجامع الأزهر ثلاث كليات للغة العربية والشريعة الإسلامية وأصول الدين مما كان حدثاً جديداً فى تاريخ الأزهر ، كما أنشئت مع هذه الكليات الثلاث أقسام للتخصص فى التربية والوعظ والإرشاد ، والمادة ، وهو أرقى هذه الأقسام أما الأقسام الابتدائية والثانوية بالأزهر فقد جُعلت مناهجها قريبة من مناهج وزارة المعارف مع مزيد اهتمام بدارسة علوم اللغة والدين ، واختيار أساتذة من رجال الوزارة لتدريس العلوم الحديثة ، مع عدم تبعية الأزهر لوزارة المعارف واستقلاله بالسياسة التوجيهية ، وقد قام الشيخ الظواهرى على تنفيذ مواد القانون ، فافتتحت الكليات فى عهده ، وحضر جلالة الملك فؤاد افتتاح كل كلية فى مشهد حافل ، وزار قاعات المحاضرات ليستمع إلى دروس ممتازة لا تقتصر على المواد الأزهرية وحدها بل تشمل مواد التربية وعلم النفس والفلسفة والاجتماع ، وبتدقيق بالغ اختار الشيخ الأكبر أساتذة كباراً من هيئة التدريس بكليتى الآداب والحقوق لتدريس ما يحتاج إليه الطلاب من مواد جديدة تتطلب التخصص الدقيق ، وواضح أن التنفيذ العملى جهد كبير يفوق جهد التقنين التشريعى لأن المنفذ يصادف من الصعوبات أثناء التطبيق ما قد يند عن ذهن المُشرع ، وقد صادف الظواهرى بعض هذه الصعوبات وعمل على تذليلها .

ومن سوء الحظ أن الأزمة المالية التى شملت العالم جميعه فى مفتتح الثلاثينيات قد خنقت وزارة مصر ، فاضطربت أحوالها المالية ، وكثر العاطلون من خريجى الأزهر والجامعة والمدارس العليا ، ولم يجد الشيخ الظواهرى سميعاً من وزارة المالية التى صمت أذنها عن رغبات الشيخ المالية ، وقد قلت أنه اضطر إلى تعيين عشرة مدرسين بدل ثلاثة ، ليكفل المعيشة لعدد أكبر حتى تستقيم الأمور ماليا فيعود إليهم حقهم الطبيعى ، ولم يفهم الأزهريون حقيقة الوضع المتأزم ، فأعلنوا الثورة على النحو الذى أشار إليه الأستاذ محمد متولى الشعراوى فيما نقلته عنه فى صدر هذا المقال ، وحين هاج طلاب المعاهد فى الأقاليم وزملاؤهم فى القاهرة ، بحث الأستاذ عن مصدر

الشغب ، فرأى علماء كثيرين يكتبون ضده فى الجرائد المناوئة للوزارة ويزعمون أن الرجل الكبير ضالعٌ مع حكومة إسماعيل صدقى المكروهة شعبياً ، فأسقطوا النفط فى اللهب كى يزيد اشتعالا ، وهنا أقدم الشيخ على فصل نفر من الأساتذة ظنهم يقودون الثورة ، وهذا مكمن الخطأ فى اتجاهه ، إذ كان عليه أن يتئد ويعفو ، كما أنه تورط فى فصل سبعين عالماً من قدامى المدرسين الذين تقدمت بهم السن ، ولا يقدرون على أداء الواجب العلمى ، وكان ذلك بتوجيه الوزارة التى رفضت أن تمد الأزهر بما يتطلب من رواتب هيئة التدريس على نحو يكفل الطمأنينة للجميع ، هذان هما موضع الاعتراض على الشيخ ، وقد أفصح الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وهو مؤرخ محايد عن وجهة نظره فى هذا السلوك فقال :(٢)

« وكان من عوامل الثورة أن اقترن عهده ـ الظواهرى ـ بضائقة مالية شديدة فى مصر ، فكان لها أثرها فى التقتير على أهل الأزهر ، وفى أن خريجيه لم يجدوا لهم وظائف فى المعاهد الدينية ولا غيرها ، وكانت الحكومة تضن عليهم بوظائفها ، ولا تقدر الشهادات التى يحملونها ، وقد ألجأهم هذا إلى أن يرضوا بالدون فى سبيل العيش ، حتى أن حامل شهادة التخصص كان يقبل وظيفة التدريس فى المعاهد الدينية بثلاثة جنيهات ، بل كان يقبلها من غير شىء وينتظر إلى أن يجودوا عليه بذلك المرتب ، وقد سكت الشيخ الأحمدى على هذا كله ، ولم يكن عنده من قوة النفوذ فى الوزارة ما يحملها على إنصاف أهل الأزهر ، فأخذوا يوازنون بينه وبين الشيخ المراغى ، ونسوا فى هذا عقيدة الشيخ المراغى(٣) فى الإصلاح ، لأن أمر العيش عندهم أهم من هذه العقيدة ، فثاروا على الشيخ الأحمدى تلك الثورة العنيفة ، وكانوا طوائف شتى ، بعضها يعمل للشيخ المراغى ، وبعضها يعمل لغيره من شيوخ الأزهر » .

هذا خلاصة ما يقال فى أمر الثورة على الشيخ ، ولا أزيد .

فإذا تركنا جهد الشيخ فى الإصلاح الأزهرى إلى نشاطه خارج الأزهر ، فإننا نشير إلى مواقف حازمة للأزهر فى عهده كانت ذات صدى بعيد فى العالم الإسلامى ، ومن أبرز هذه المواقف تصدى الشيخ الأحمدى لحركة التبشير فى مصر ، إذ عاونت البعثات الأجنبية التابعة لوزارات الخارجية فى أوربا على قيام حركة تبشيرية شملت عواصم هامة من عواصم العالم الإسلامى ، وقد لمس الشيخ بذور هذه الحركة حين كان شيخا لمعهد أسيوط الدينى ، فجمع أعيان المدينة فى حشد عام وشرح لهم واجبهم نحو عقيدتهم الدينية ، وأشار بفتح المدارس الإسلامية لتحفيظ القرآن ، وإنشاء الجمعيات الدينية للتوعية الإسلامية بالمحاضرات الأسبوعية ، وكان جهده فى هذا النطاق فيصلا حاسما دون امتداد التبشير المسيحى فى وسط يتميز بالحساسية الدقيقة بين عنصرى الأمة ، ثم جدت فى عهد مشيخته أحداث أخرى ببورسعيد ، إذ انتشر

(٢) تاريخ الإصلاح فى الأزهر للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ص١٢٩ ط ٢ .

(٣) هذا سهو من الأستاذ الصعيدى ، والصواب (عقيدة الشيخ الظواهرى فى الإصلاح) كما يقتضى السياق .

المبشرون المسيحيون فى المدينة يشككون فى تعاليم الإسلام ، ويبعثون رسلهم إلى العواصم المجاورة ، فطالب شيخ الأزهر بسن تشريع يمنع نشاط المبشرين ، كما كون من هيئة كبار العلماء لجنة لبحث الموضوع من الناحية العلمية ، بأن تجمع كتب التبشير التى يروجها هؤلاء وتدرسها دراسة فاحصة ثم يقوم أعضاء اللجنة بالرد عليها فى كتب موجزة سهلة التناول ، ليتداركها العامة دون جهد ، وقد لمس الشيخ الأكبر تجاوبا من الجموع فدعا إلى اكتتاب عام لبناء الملاجىء والمساجد ، وإحاطة النشء بأساليب التوجيه عن طريق الإرشاد الدينى فى المجتمعات والأندية ، وبدأ التبرع بمائتى جنيه لتتلوها تبرعات هيئة كبار العلماء ، حتى إن بعض أعيان الصعيد تبرع بعشرة آلاف من الجنيهات ، وهو مبلغ ضخم فى هذا العهد ، فشكره الشيخ ، والتمس من جلالة الملك أن ينعم عليه بالباشوية حضا لزملائه من الأثرياء على الاقتداء به ، فوافق الملك على مطلب الأستاذ.

وفى خارج مصر قامت فرنسا فى المغرب الأقصى بما يسمى (الظهير البربرى) لفصل البربر عن العرب ديانة ولغة فاتصل الشيخ الأكبر بوزير الخارجية المصرية ليبلغه احتجاج الأزهر على هذا العدوان الصارخ على الإسلام ، وأعداء المسلمين فى كل مكان يؤيدون الشعب البربرى فى تمسكه بدينه . وأن كل محاولة لزعزعة العقيدة الإسلامية بأقصى الغرب ستجد الاستنكار الشديد ، ونشرت الصحف العربية والإسلامية بيان الشيخ ، فكان عامل اضطراب فى السياسة الفرنسية ، إذ أحدث أثره فى البربر فرفضوا هذا الاتجاه الماكر ، وقد كان مغلفاً بعبارات ظاهرها العطف وباطنها العسف ، كما كان إعدام الشهيد الليبى عمر المختار على أيدى الاستعمار الإيطالى باعث غضب ملتهب فى الشعب المصرى ، وحين أرادت جمعية الشبان المسلمين إقامة حفلة كبرى لتأبينه حالت وزارة الداخلية دون ذلك ، فأصدر الإمام الظواهرى بياناً باستنكار المحاكمة الظالمة ، وأبلغه سفارة إيطاليا ، وطلب من وزير الخارجية المصرى أن يبلغ زميله الإيطالى هذا الاستنكار ، هذا عن الأحداث الصارخة ، أما الأحداث الخافتة نسبيا فما كانت تغيب عن يقظة شيخ الأزهر فقد وصل إلى علمه اختلاف العلماء فى جاوه حول بعض النقول الفقهية مما أدى إلى تصادم تخشى مغبته ، فأرسل خطابا[4] يدعو إلى التئام الشمل ، ونبذ مسائل الخلاف ، خاتما إياه بقوله ـ تعالى : « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ »[5] .

وقد كان من أهداف الشيخ الأكبر التوجيهية إنشاء مجلة علمية باسم الأزهر الشريف ، لتكون مصدراً للمعارف الصحيحة ومحررة بأقلام كبار العلماء بالأزهر ، وقد تحقق ما سعى إليه ، فاختار للمجلة اسم (نور الإسلام) ووالت صدورها شهريا ، ومازالت تصدر إلى اليوم ولكن تحت عنوان (مجلة الأزهر) إذ شاء الأستاذ المراغى بعد عودته إلى الأزهر أن يكون اسمها أقرب دلالة على مصدرها فاقترح الاسم الجديد ، وكانت المجلة ذات أهداف

(٤) السياسة والأزهر ص ٣٢٠ .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) مشيخة الأزهر جـ٢ ص٦٩ تأليف الأستاذ على عبد العظيم

علمية ففسحت حيزا كبيرا لمقالات التفسير والحديث والفتاوى الدينية والبحوث الفقهية والاجتماعية ، ولكنها أضافت إلى هذه الأبواب ، أبواباً أخرى تتحدث عن المسلمين فى شتى بقاع الأرض ، وتعالج بعض المسائل العلمية والمكتشفة حديثاً فى العالم الغربى ، ليصل القارىء المسلم إلى ما يجهل من حقائق العالم الحديث ، وبها قسم خاص باللغة الانجليزية يتحدث عن بعض النواحى الإسلامية فقهاً وتشريعاً وأخلاقاً ليلم القارىء الأجنبى بمحصول علمى من مصدر موثوق به ، ثم شرعت المجلة فى ترجمة أحاديث البخارى فزادت انتشاراً فى بقاع كثيرة ، وكانت المجلة تواجه مشكلات العصر ببحوث تحليلية كاشفة على نحو ما كتب عن التعليم الدينى فى مدارس الحكومة ، وضلالة فصل الدين عن السياسة ، وسماحة الإسلام فى معاملة غير المسلمين ، والمسلمون فى أوربا الغربية والشرقية ، والجاليات الإسلامية فى الأطراف النائية ، وكل ذلك فى عهدها الأول أيام الأستاذ الظواهرى ، وقد تطورت المجلة إلى أرق وأكمل ومازالت للآن تحمل رسالتها فى جد وإخلاص .

وإذا كان الكاتبون من أبناء الأزهر لم ينصفوا الأحمدى ، ولم يكتبوا عنه بما يجب أن يشتهر من فضله ، فإن الأستاذ الدكتور عثمان أمين قد وفاه حقه فى مقال نشره بالأهرام بمناسبة ذكراه الخامسة قال فيه : إن مرجع اهتمامه بالشيخ يرجع إلى ما قرأه عنه لأحد المستشرقين فى النسخة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية تعريفا بكتاب له بعنوان « العلم والعلماء » نشره سنة ١٩٠٤ إذ ذكر أن روح الإخلاص والصفاء التى تظهر فى هذا الكتاب تعد نادرة حتى بيننا نحن المسيحيين ، ومن العجيب جداً فى هذا الكتاب الجمع بين وجهة النظر الإسلامية ، والإحساس بفائدة ما يأتى من المصادر الأخرى ، إذ يرى المؤلف : أن يأخذ المسلمون لا عن أوربا فحسب بل عن الصين واليابان أيضا ، ويرى أن من بين المواد الضرورية دراسة الدعوة إلى الإسلام ، وعقد المؤتمرات السنوية لبناء فكرة الجامعة الإسلامية ، ثم يعيّن وسائل الثقافة التى تتطلبها لجان العلماء ، وإخراج دائرة معارف ، ونشر التعليم الجامعى بين الأفراد .

هذا ما قاله كاتب دائرة المعارف عن كتاب ألفه الشاب الناشىء عند تخرجه ، فأحرقت كثير من نسخه عدواناً وبغياً ، حتى كاد ينساه الدارسون ، لولا أن نجل الشيخ بادر بطبعه تخليداً لذكرى أبيه ، وقد يكون من المناسب أن أختم حديثى عنه بما قاله الأستاذ على عبد العظيم فى خاتمة ترجمته إياه فى الجزء الثانى من كتاب مشيخة الأزهر ، حيث قال : « وقد أجمع عارفوه على الإشادة بذكائه ، وقدروا له مكانه ومكانته فى تاريخ الإصلاح حيث قرروا أن أكثر ما استحدث فى الأزهر من منشآت ، وما تم فيه من إصلاح كان له فيه أثر بارز ، وحسبه أن استطاع أن يدخل فى الدراسة علوماً جديدة لم يكن للأزهر بها عهد قبله مثل اللغات الأجنبية ، والاقتصاد السياسى ، والقانون الدولى ، وعلم النفس ، ولو أنه سالم وهادن الثائرين عليه وأخذهم بالحسنى ما وجد الناقدون إليه سبيلا » ولكن كيف ؟

قــراءة إســلامية فى

كتاب الكون

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

قال ـ تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾(١) صدق الله العظيم .

تتجلى روعة القسم الإلهى فى هذه الآيات الكريمة من سورة الشمس فيما يشير إليه من المخلوقات التى أنعم الله بها على الإنسان ، وجعلها ضرورية للأحياء على كوكب الأرض ، ولقد ساهمت أبحاث العلماء على مر العصور فى الكشف عن بعض الحقائق والأسرار المتعلقة بطبيعة هذه المخلوقات ، وفى مقدمتها الشمس التى هيأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وسخرها لعباده لكى تكون من أهم مقومات حياتهم بما ترسله من طاقة ودفء وضياء .. فلولا الشمس ما كانت هناك مصادر أخرى للطاقة كالرياح ومصادر المياه والأخشاب والفحم والبترول ومشتقاته ، وبدونها تنتهى مظاهر الحياة على الأرض .

البقع .. أو الكلف الشمسى

ولقد كشف أجيال العلماء عن ظواهر شمسية عديدة ، وكان لعلماء الحضارة الإسلامية دور رائد فى هذا المجال ، من ذلك ما ينسب إلى ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م) كأول راصد لظاهرة « كلف الشمس » التى تعرف فى العلم الحديث باسم « البقع الشمسية » Solar Spots ، وهى عبارة عن غازات ملتهبة تندلع من الشمس على هيئة « نافورات » ، وتمتد لمسافات كبيرة فى

(١) سورة الشمس : (١ ـ ٤) .

الفضاء مكوِّنة أعاصير جبارة يبلغ قطر الواحد منها حوالى (خمسين ألف كيلو متر) . ويرصد الباحثون هذه الاندلاعات التى تحدث على سطح الشمس وفى جوّها بواسطة أجهزة خاصة مزوَّدة بمرشحات ضوئية معينة تحجز جميع أطوال الموجات الضوئية المنبعثة من الشمس ، ولا تسمح إلا بمرور مجموعة محددة منها ، وهو ما يعرف بطريقة التصوير الطيفى للشمس . وقد أظهرت هذه الصور وجود مناطق براقة أكثر التماعاً من المناطق المحيطة بها ، وأمكن التعرف على المناطق المعتمة نسبيا ، والتى تبدو كأنها ثقوب داكنة غير منتظمة التوزيع على سطح الشمس ، وتفسيرها العلمى أنها « بقع » لا ينال فيها سطح الشمس معدّله الطبيعى من فيضان الطاقة خلال فترة معينة ، قد تكون أياما ، أو عدة أسابيع ، ودراسة البقع الشمسية تفيد كثيرا فى قياس تغيرات النشاط الشمسى ، ومعرفة ما لهذه التغيرات من تأثيرات مباشرة على تحولات الطقس والمناخ فى جو الأرض .

الشمس بين كتلتها وحجمها

أما الشمس ذاتها فهى عبارة عن كرة هائلة من الغازات المتقدة يبلغ حجمها قدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ، وكتلتها نحو (٣٣٣٤٠٠) ضعف كتلة الأرض . وقد ثبت علميا أن كتلة الشمس ليست موزعة توزيعا متساويا على حجمها ، حيث تقل كثافة طبقاتها الخارجية كثيرا حتى تبلغ أقل من واحد على المليون من كثافة الماء ، بينما تتزايد الكثافة باتجاه مركزها حتى تصل إلى مائة مرة قدر كثافة الماء ، كذلك أوضحت حسابات العلم الحديث أن درجة حرارة السطح الخارجى للشمس تبلغ حوالى (٦٠٠٠°م) ، وتتصاعد بسرعة وانتظام إلى أن تبلغ عشرين مليون درجة تقريبا عند المركز ، وتمثل هذه الطاقة الحرارية العالية فى باطن الشمس القدر المطلوب لحدوث التفاعلات النووية اللازمة لإنتاج الطاقة الشمسية .

وتؤكد أجهزة التحليل الطيفى الدقيقة أن كتلة الشمس تحتوى على ٧٠٪ هيدروجين و ٢٨٪ هيليوم و ٢٪ عناصر متبخرة من نوع العناصر الموجودة فى جو الأرض . مما يدل على أن الشمس والأرض وغيرهما من الأجرام السماوية ، قد نشأت جميعها من أصل واحد طبقا لنظرية الانفجار الكبير **Big Bang** التى قد توافق ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾(٢)

مكونات الإشعاع الشمسى

ويواصل العلم مسيرته بإلقاء المزيد من الضوء على الشمس وظواهرها وخصائصها ، فيبين لنا أن « الإشعاع الشمسى » يتكون من أشعة الضوء المرئى التى تمكننا من رؤية الأشياء وألوانها بالعين المجردة ، بالإضافة إلى أشعة الضوء غير المرئى المتمثلة فى الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء (أو الأشعة الحرارية) . وقد أوضحت القياسات الحديثة أن حوالى ١٩٪ من الإشعاع الكلى القادم من الشمس إلى الأرض يُمتص مباشرة بواسطة مكونات الجو والسحب ، وأن سطح

(٢) سورة الأنبياء : (٣٠) .

الأرض يستقبل حوالى ٤٧٪ من هذا الإشعاع . أما النسبة المتبقية ـ وهى حوالى ٣٤٪ ـ فتنعكس أو تتشتت بواسطة الجو والسحب وأسطح البحار واليابسة ، ويسميها العلماء القدرة العاكسة .

عوامل كمية الإشعاع الشمسى

وتعتمد كمية الإشعاع الشمسى التى تصل إلى مكان ما على عدة عوامل : مثل طول النهار ، وغطاء السحب ، والشوائب العالقة فى الجو ، وزاوية ميل أشعة الشمس ، والقدرة العاكسة . ولهذا نجد فروقا واضحة فى مدى درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية .

ومن فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده أن جعل تركيب الغلاف الجوى للأرض بالقدر الذى يسمح فقط بنفاذ الإشعاع الشمسى اللازم لاستمرار الحياة ، حيث ينفذ ضوء الشمس المرئى والأشعة تحت الحمراء وقليل من الأشعة فوق البنفسجية . (**ولولا التوازن المعجز الذى حفظه الله ـ تعالى ـ لكمية الإشعاع الشمسى وتوزيعها الدقيق لما حدثت دورة الحرارة وما يترتب عليها من ظواهر كونية ، مثل تكوين السحب والرياح والأمطار وغيرها ، بهذه الصورة التى تفى باحتياجات الأحياء ، وتنسجم مع نواميس الله فى الكون**) .

حركة الشمس : انتقالا ودورانا

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن حركة الشمس ، فإن العلم الحديث يوضح لنا أنها تنتقل فى الفضاء الكونى من الغرب إلى الشرق ، وتجرّ معها ـ بتأثير جاذبيتها ـ كل أفراد مجموعتها التى تدور حولها ، من كواكب وأقمار ونيازك وغير ذلك ، وقد تمكن الباحثون من حساب سرعة هذه الحركة للشمس ومجموعتها ، وقدّروها بحوالى ١٩ كيلو مترا فى الثانية باتجاه نقطة معينة فى كوكبة « هرقل » أو « الجاثى » المجاورة لنجم « فيجا » المعروف فى اللغة العربية باسم « النسر الواقع » .

ولا تقتصر حركة الشمس على جريانها فى الفضاء الكونى نحو نجم النسر الواقع « فيجا » ولكنها تتحرك أيضا حركة دورانية حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما فى المتوسط ، كما أنها تتحرك حركة دائرية ، حيث تجرى ومعها مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ نحو ٢٢٠ كيلومترا فى الثانية حول مركز مجرة « الطريق اللبنى » أو « درب التبانة » التى تدور هى الأخرى حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة ، وبهذا يكون العلم الحديث قد أوضح حقيقة هى : أن الشمس ـ شأنها شأن غيرها من الأجرام السماوية ـ تسبح فى مسار أو فلك خاص بها ، وذلك مصداقا لقوله ـ تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٣) فكلمة « كل » لفظ عام يشمل جميع الأجرام السماوية ، أى أن كل نجم وكل كوكب وكل قمر وكل مذنب يسبح فى فلكه الخاص الذى قدره الله له ، لا يتحول عنه ولا يحيد إلا بإذنه ، وفى الوقت نفسه ، يتحرك الكل فى وحدة متماسكة مترابطة تجمع بينها فى تناغم واتزان القوى الكونية الناطقة بوحدانية الخالق ـ سبحانه وتعالى .

فما أجمل العلم عندما يفتح آفاقا رحبة أمام المجتهدين من [illegible] ، ويكون سبيلا إلى الكشف عن آيات الله فى الكون ، والارتقاء عبر حقائقها وأسرارها إلى نور الإيمان الخالص بالله العظيم وفيضه العميم .

(٣) سورة الأنبياء : (٣٣) .

من منظور إسلامي

ماذا قبل الإيدز وبعده

للدكتورة فاطمة عمر نصيف (*)

إيدز AIDS هذه الكلمة المكونة من أربعة أحرف ، هى اختصار لأربع كلمات هى : Acquired Immune Deficiency Syndrom والتى تعنى « الأعراض المتزامنة المكتسبة المدمرة للمناعة »(1) أو بتعريف آخر « متلازمة العوز المناعى المكتسب »(2) . وأطلق هذه التسمية عام ١٩٨٢ م مركز التحكم فى الأمراض بأتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية .

وتعدى هذا المرض الشاذين إلى الأبرياء والأطفال ؛ بل أخذ ينتشر فى العالم انتشار النار فى الهشيم ، وأصبح بلاء وعذابا لا كاشف له إلا الله .

فما الحل ؟ وكيف المخرج ؟ وما العلاج الناجع لهذ المرض ؟ ! وكيف تتقى المجتمعات شره ؟ وما واجبنا كمسلمين ؟ .

نجد الحل والعلاج فى ديننا الحنيف « الإسلام » ، فى كتاب ربنا ، وتوجيهات نبينا محمد ﷺ فقد قال ـ سبحانه ـ فى محكم التنزيل :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٨٢

ولا عجب فى ذلك ، فهذا هو الدين الذى ارتضاه رب العالمين للبشرية حتى قيام الساعة . قال ـ تعالى ـ :

(*) الكاتبة : أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة .

(1) ترجمة بيدس أميل خليل ، إيدز الوباء الرهيب القاتل أسبابه والوقاية منه ، ص ٧ ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٦ هـ/١٩٨٦م .

(2) أسامة قنديل مقالة « **الإيدز هذا القاتل الرهيب** » ، مجلة أهلا وسهلا ، ص ٢٠ ، عدد أكتوبر ، ١٩٩٣م .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٣

هو المنهاج الربانى الذى أنزله الله لإسعاد الإنسان وحمايته من الشر والبلاء ، وهو منهج فريد فى حمايته للأبرياء والأطفال والضعفاء .

فهو شرع اللطيف الخبير ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

سورة الملك ـ آية : ١٤

خلق الله الإنسان ، وسخر له ما فى الكون ، واستخلفه فى الأرض ، وكلفه بعمارتها واستودعه العقل ، وزوده بالطاقات والقدرات ، والغرائز وأعطاه فى يده قانونا ونظاما يسير عليه ، ينظم به طاقاته وقدراته .

ومن الغرائز الفطرية التى ركبها فى الإنسان غريزة الجنس ، لحفظ نوعه واستمرار حياته ، ومن مبدأ التوازن والاعتدال ومراعاة مطالب الجسد والروح لم يغفل هذه الغريزة . فهو ينظر للجنس بواقعية ومثالية فى آن واحد ، أعطاه تلك الغريزة وسمح له أن يشبعها بوسطية وفق نظام معين دون كبت مرذول ، أو انطلاق مجنون فشرع له الزواج ورغبه ، ليبنى أسرة سعيدة ، هى أساس المجتمع الفاضل المتكامل .

وأغلظ العقوبة للشاذين لسيد كافة الذرائع المؤدية إلى الفاحشة ، لأن من حام حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه ، وبذا حرم الزنا ومقدماته ودواعيه من تبرج جاهلى ، وخلوة آثمة واختلاط عابث وصور عارية وأدب مكشوف ، وغناء فاحش ، وكل ما من شأنه أن يستثير الغريزة الهاجعة ، أو يُغوى بالفاحشة .

وقد رعى الله الإنسان بالدين ـ عبر التاريخ ـ فبعث الرسل والأنبياء وأخذ عنهم المصلحين . قال ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ . **الشورى ـ آية : ١٣**

ومن سار على دين الله أفلح ونجح ، ومن أعرض عنه خاب وخسر ، وذلك من لدن آدم ـ عليه السلام ـ وحتى قيام الساعة قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ . **سورة طه ـ آية : ١٢٣**

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ .

سورة طه ـ آية : ١٢٤

وهذه الشرائع والنظم كان ختامها الدين الإسلامى .

وكان آخر الرسل محمد ﷺ جاء بالشريعة الصالحة لكل زمان ومكان . وفى هذه الشريعة (هذا المنهاج الإلهى) أحل لهم كل ما هو طيب ونافع ، وحرم عليهم كل ما هو ضار وخبيث . وهذا هو منهاج الله فى كل قوانين السمـــاء . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ **سورة الأعراف ـ آية : ١٥٧**

لذا حرك ـ سبحانه ـ الفواحش فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٣٣

والفواحش : الأعمال المتجاوزة لحدود الله ، والإثم كل معصية له على وجع الإجمال .

ولم يكلف بتحريم الفواحش والخبائث كالزنا واللواط وما إلى ذلك ، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فلم يسمح لذلك الفواحش والمنكرات بالظهور والانتشار ، بل كلف كل مسلم أن يتصدى لها فيمنع الجريمة والفاحشة بكل ما أوتى من قوة . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[٣]

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ .

سورة يوسف ـ آية : ١٠٨

وقد كلف الله الأمة الإسلامية بهذا العمل على أن يكون المسلمون دعاة لدينه ، حراسا لشرعه حماة لحدوده .

وأولى مقتضيات هذه الوظيفة أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد .

ويرى بعض الكتاب أنها وظيفة شاقة لها تكاليفها ومتاعبها ، ولكنها مهمة ضرورية لإقامة المجتمع الصالح لبنى الإنسان ، حتى لا يعم الفساد ، ولا تضطرب الموازين ، ووضع لنا منهجا ربانيا يكون هو المرجع الصحيح ، يجد فيه الإنسان تصورا ثابتا للخير والشر ، والفضيلة والرذيلة .. وهو منهج وسط فى التصور والاعتقاد .

إذن فالمهمة التى أسندت للأمة الإسلامية مهمة عظيمة ، ووظيفة ضخمة وهى قيادة البشرية وإقامة العدل والقسط وظيفة أشبه أن تكون مراقبة دولية فى هذه الأرض . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

ولما كانت عناية المنهج الربانى بسلامة المجتمع وصلاحه عظيمة فإنه أكد فى كتابه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم على وجوب التصدى للمنكر ـ بعد البيان والتبليغ ـ خاصة ونحن نرى ما آلت إليه المجتمعات من واقع سيء وأمراض خبيثة وعلى رأسها « الإيدز » AIDS الذى كبد العالم خسائر فادحة فى الأرواح والأموال . فمن المعلوم أن أفراد المجتمع الواحد تربطهم وحدة المصلحة ووحدة المصير ، وكذلك الأمة كلها بل الإنسانية عامة ، وقد رأينا أنها أضيرت بالإيدز فليس هناك مصلحة لفرد بمفرده بل إن كل مصلحة هى مصلحة أفراد المجتمع الإنسانى جميعا .

وقد عبر عن ذلك سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بأبلغ لفظ وأوجزه ، فقال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من

(٣) مسلم ، بن الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج٢ ، ص٢٢ ـ ٢٥ ، دار إحياء التراث العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م .

الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[٤] .

فوصف المجتمع بركاب السفينة يركب على ظهرها البر والفاجر ، والمتيقظ والغفلان والحريص على سلامته والمستهتر بسلامته وبسلامة الآخرين ، وهذه السفينة تتأثر بكل تصرف خاطىء من أحد راكبيها ، فراكبيها مصلحتهم واحدة .

يعتبر من الثوابت الإسلامية « أسلوب الوقاية » فى التشريع فسبق بذلك الطب الوقائى بألف وأربعمائة عام ، لذا أمر بالقضاء على الفاحشة قبل انتشارها ، وعلى الجريمة قبل ظهورها ، وذلك بمنع الجريمة والتصدى لها ، فإذا أفلت الجرمون وارتكبوا جريمتهم وجب معاقبتهم بالعقوبات الرادعة التى نصت عليها الشريعة كالجلد والرجم للزناة ، والقتل لمرتكب فاحشة الشذوذ « اللواط » فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول** »[٥] .

(وقد أجمع الفقهاء على تحريم اللواط واختلفوا فى طريقة القتل ، فقال بعضهم يلقى من شاهق ، وقال بعضهم بالرجم حتى الموت ، وقال بعضهم يقتل بالسيف)[٦] فالعقوبة مناسبة للجريمة ، وذلك لتخليص المجتمع من حامل الميكروب (مصدر الوباء) ، وتخليص المريض من عذاب المرض .

ومن هنا يتبين لنا الحكمة فى تشديد الشارع فى عقوبة الشذوذ ؛ لأن الفساد إذا انتشر أصبح من الصعوبة حصره والقضاءُ عليه تماما كالجراثيم الوبائية ، فإذا عم وانتشر استحق المجتمع العقاب الإلهى . سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ الرسول ﷺ قائلة : (**أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثر الخبث**)[٧] .

المجتمعات الغربية والشواذ :

واليوم قد كثر الخبث وسكتت المجتمعات الدولية الكبرى عليه ، بل وتصالحت مع مرتكبى الفاحشة ورتبت لهم حقوقا وقانونا يحميهم فيعامل اللُّوَّاطُ معاملة الأزواج الشرعيين ، وتعطلت الحدود (قانون العقوبات) فاستحق الناس عذاب الله وحاق بهم عقابه ، فنزل هذا العذاب المهلك على شكل الأمراض الوبائية الخبيثة ومنها هذا الإيدز فأصاب الجميع المجرمين والشاذسن وغيرهم من الأبرياء والأطفال تحقيقا لوعيد الله ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ .

سورة الأنفال ـ آية : ٢٥

إن هذه المجتمعات لم تتجنب التعامل مع هؤلاء الشاذين ، بل سمحت لهم أن يعيشوا داخل المجتمعات ويعاملوا معاملة الأسوياء ، ولم تعترف بأن هذه جريمة يُعاقب الله عليهافى قوانين السماء ، فأرسل الله لهم عقابا على شكل هذا المرض ليجعلهم يتجنبون التعامل معهم قهرا واضطرارا .

ومن هنا نخلص إلى أن الإيدز ADIS هو عقاب الله للمجتمع بصفة عامة لتسامحه مع أهل

(٤) العينى ، محمود بن أحمد ، عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ، ج١٣ ، ص ٥٦ ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت .

(٥) الشوكانى ، محمد بن على ، نيل الأوطار ، ج٧ ، ص ١٣١ ، - مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة .

(٦) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٣٢ .

(٧) البخارى ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخارى ، ج٨ ، ص٨٨ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

الفاحشة . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن الله ليعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروونه فإن فعلوا عذب الله العامة والخاصة** » .

ولذلك نجد أن ما حاق بالأبرياء إنما هو إيقاظ لهم من غفلتهم حتى يهبوا ويمنعوا هذا المنكر ويقفوا من أهل هذه الفاحشة موقفا صارما .

إن « الإيدز » الذى يصيب الأطفال ليس عذابا لهم بقدر ما هو عذاب لذويهم حتى يثوبوا إلى رشدهم .

فإن غريزة حب البنين غريزة فطرية والحرمان منها يؤثر فى نفسية الناس لتكون العقوبة من جنس العمل ، وهى عقوبة تتناسب مع الجريمة البشعة قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سورة الأنعام ـ آية : ٤٠

ليقطع الله دابر الشر والشذوذ .

إن جريمة اللواط أمر تعافه الفطرة السليمة ، وتعاقب عليه القوانين السماوية بعقوبات أبلغ من الأمراض الجنسية كما حصل لقوم لوط .

فقد عذب الله قوم لوط من قبل على « جريمة الشذوذ » وعاقبهم عقوبة شديدة بل جمع لهم ثلاث عقوبات ، لبشاعة الجريمة ، وحتى لا يغفل الناس عن قصتهم التى ذكرها الله فى تسع مواضع من القرآن الكريم لتكون عبرة للناس ، وعظة ، وتبصرة وذكرى لأولى الألباب .

لقد كان قوم لوط من أفجر الناس وأكفرهم ابتدعوا جريمة اللواط ، وهى من أقبح وأشنع الجرائم كما قال ـ تعالى ـ يذكر لنا من خطاب لوط إياهم :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾

سورة الشعراء ـ آية : ١٦٥ ، ١٦٦

وهذا شىء لم تكن بنو آدم تعهده ولا تألفه . قال الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموى : (لولا أن الله ـ عز وجل ـ قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا) قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

سورة الأعراف ـ آية : ٨١

فأجابوه إجابة منكرة شاذة تعكس خبث طويتهم التى ترى الطهارة جريمة عقوبتها النفى ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٨٢

واستمرءوا جريمتهم واستشرى شذوذهم حتى أصبحوا يمارسونه علانية فى أنديتهم قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ .

سورة العنكبوت ـ آية : ٢٩

نفس الحال تماما فى العالم الغربى وراحت دعوة لوط لإصلاحهم أدراج الرياح وطالبوه مستهزئين بعذاب الله قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

سورة العنكبوت آية : ٢٩

فعاقبهم الله بما هم أهله وأرسل لهم ملائكة فى هيئة بشر بوجوه نضرة على حسن وجمال نزلوا على لوط ـ عليه السلام ـ ضيوفا فرحب بهم ، لكنه اغتم خوفا عليهم من أولئك المجرمين لكن الملائكة طمأنوا لوطا وأخبروه بحقيقتهم وبمهمتهم التى جاءوا من أجلها ، وهى إهلاك قومه ، وأمروه أن يخرج من أرض قومه مع أهله ليلا قبل طلوع الفجر دون أن يلتفت خلفه ، فإنه لن يلتفت من أهله أحد خلفه إلا هلك . قال ـ تعالى ـ حين ينزل العذاب .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ .

سورة هود

فاطمأن لوط ـ عليه السلام ـ فلما هجم القوم على بيت لوط ليأخذوا ضيوفه ضرب جبريل ـ عليه السلام ـ وجوههم بطرف جناحه فطمس أعينهم فرجعوا إلى بيوتهم يتخبطون فى الطريق . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ .

سورة القمر ـ آية : ٣٧

وهكذا صبحهم بالعذاب الشديد . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ .

سورة القمر ـ آية : ٣٨

فجمع لهم ثلاث عقوبات :

١ ـ أرسل عليهم الصيحة من السماء .

٢ ـ أمر جبريل أن يرفع قراهم إلى علياء السماء ثم يقلبها فجعل عاليها سافلها .

٣ ـ أتبعهم بالحجارة . قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

سورة الحجر

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

سورة هود

وبادوا بإثمهم .

وفى هذا العصر يبدو واضحا أن العقوبة الإلهية العامة لمرتكبى جريمة اللواط هى « الإيدز » هذا الوباء القاتل الرهيب الذى يصيب الشواذ فلا يتركهم دون أن يعذبهم عذابا شديدا حتى يستأصلهم بالموت .

ضلت البشرية ، وجهلت دين ربها وعاشت بلا دين ، بلا منهاج أو قانون سماوى يحفظ لها حياتها وأمنها واستقرارها وطمأنينتها .

ووجد الشيطان الفرصة المناسبة فأغراهم وأغواهم ، وزين لهم الحرام فوقعوا فى مهاوى الرذيلة وسقطوا فى أوحال الفاحشة ، وقد سجلت اعترافات بعضهم [٨] . بأن الشيطان كان وراء جرائمهم .

(يتبع)

(٨) أنظر كتاب : إيدز الوباء الرهيب القاتل ، تحت عنوان : « **اعترافات خليع** » عليك اللعنة يا إبليس ، ص ٢٣٥ ـ ٢٤١ .

الصيام والحامل

للدكتور / أحمد رجائى عبد الحميد

٧

إن الله العلى الخالق يعلم ـ وهو الذى خلق ـ تكوين المرأة ، وما يعترى هذا التكوين عند الحمل ، فأتاح لها الصيام داخل إطارين محكمين :

(أ) ألا تخشى على نفسها ؛ فيتسبب الحمل فى ضرر يلحقها .

(ب) أو تخشى على جنينها ، حتى لو صار طفلًا وولج مرحلة الرضاع .

فإذا كان ثمَّ ضرر فى هذين الحالين كان لها أن تفطر ، ويلحق بالفطر حكم الإطعام كما قرره الفقهاء .

ونحن نعرض ـ هنا ـ لمدى تأثير الصيام على الحامل :

الصيام والحمل والرضاعة :

من المعلوم أن الحمل يستمر حوالى ٢٨٨ يوماً أو عشرة أشهر قمرية ، وأنه يُقسم إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : تبدأ من الشهر الأول إلى الشهر الثالث .

المرحلة الثانية : من الشهر الثالث إلى بداية الشهر السابع .

المرحلة الثالثة : من بداية الشهر السابع حتى الولادة .

كذلك من المعروف أن شهر رمضان قد يأتى فى أحد الفصول الأربعة : الصيف ، الخريف ، الشتاء ، الربيع ، ولذلك ؛ فإن تأثير الصيام على الحمل لا يمكن أن يكون ثابتاً فى كل الأحوال ولا فى كل الأوقات ، بالإضافة إلى أن هناك بعض الحالات المرضية التى قد تكون مصاحبة للحمل مثل : الأنيميا الحادة ، والسكر فى الدم ، ولقد كان المشرع رحيماً حين أباح الفطر إذا خافت المرأة الحامل الضرر على نفسها أو على جنينها أثناء الحمل .

والخوف فى حالات الصوم للمرأة الحامل يتأتى من احتمال أن تصاب بانخفاض مستوى السكر .

فكيف تعرف المرأة الحامل أو المرضع أن مستوى السكر يتأثر بالصيام ؟

وللإجابة عن ذلك نقول : إن أعراض انخفاض السكر فى الدم هى :

١ ـ الصداع .

٢ ـ زيغان فى العين . (١)

٣ ـ الهبوط والإجهاد العام .

٤ ـ عدم التركيز .

٥ ـ الإحساس بالإغماء .

٦ ـ العرق البارد .

وقد تم سؤال فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق ـ رحمه الله ـ عن حال الحامل والمرضع بالنسبة للصوم . فأجاب :

تجرى أقوال العلماء فى صوم الحامل والمرضع ـ كما حكى ابن المنذر ـ فى أربعة مذاهب :

أحدها : قول ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ـ رضى الله عنهم ـ أنهما تفطران وتطعمان ، ولا قضاء عليهما .

وثانيها : قول عطاء بن رباح والحسن والضحاك والنخعى والزهرى وربيعة والأوزاعى وأبى حنيفة والثورى وأبى عبيد وأبى ثور وأصحاب الرأى : تفطران وتقضيان .

والثالث : قول الشافعى وأحمد : تفطران وتقضيان وتفديان ، وروى هذا عن مجاهد .

والرابع : قول مالك : الحامل تفطر وتقضى ولا فدية ، والمرضع تفطر وتقضى وتفدى .

وحجة الشافعى وأحمد : أن المرضع والحامل داخلتان فى منطوق قول الله ـ سبحانه ـ فى آية الصوم ـ فى سورة البقرة : « وعلى الذين يطيقونه فدية » البقرة : ١٨٤ .

لأنها تشمل الشيخ الكبير والمرأة المسنة ، وكل من يجهده الصوم ، ومن ثم كان عليهما الفدية كالشيخ الكبير .

وحجة أبى حنيفة ومن معه : أن الحامل والمرضع فى حكم المريض ، سواء خافتا على أنفسهما ، أو على ولديهما ، وقد سئل الحسن البصرى عن الحامل والمرضع ـ إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما ؟ فقال : أى مرض أشد من الحمل ، تفطر وتقضى ، ولأن الشيخ الهرم لا يمكن إيجاب القضاء عليه ؛ لأنه إنما سقط عنه الصوم إلى الفدية لشيخوخته وزمانته ، فلن يأتى عليه يوم يستطيع فيه الصيام .

أما الحامل والمرضع فإنهما من أصحاب الأعذار الطارئة المنتظرة الزوال ، فالقضاء واجب عليهما ، فلو أوجبنا عليهما الفدية أيضاً كان هذا جمعاً بين البدلين ، وهو غير جائز ؛ لأن الواجب أحدهما .

وأميل إلى الفتوى بأن الحامل والمرضع تفطران وتقضيان ، ولا فدية كالمريض ، وذلك إذا خافتا

---

(١) المقصود بـ (الزيغان) ميل البصر عن مستوى النظر حيرة وشخوصا ، ويعنى ذلك فقدان القدرة على تركيز البصر وفى لسان عامة مصر : الزغللة .

الهلاك من الصوم على نفسيهما ، أو على ولديهما كالمريض .

والمشكلة الأخرى التى تواجه المرأة الحامل أثناء الصوم أنه عند الإفطار يرتفع مستوى السكر ارتفاعاً كبيراً ، وبالتالى فإن الانخفاض الشديد الذى يعقبه ارتفاع شديد فى مستوى السكر فى الدم يؤثر فى المرأة والجنين ، ولذلك ننصح الحامل التى تصوم بعمل ما يأتى :

١ ـ تأخير وجبة السحور إلى قرب طلوع الفجر ؛ فإذا كان وقت الفجر فى الخامسة والربع ـ صباحاً ، مثلًا ـ فإنها تستطيع تناول وجبة السحور فى نحو الرابعة والنصف أو الرابعة وأربعين دقيقة ، وتعجل بالإفطار عند حلوله ، ولقد دعت سنة رسول الله ﷺ إلى ذلك ، فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام : « لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » رواه أحمد ١٤٧/٥ .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « قال الله ـ عز وجل : أَحَبُّ عبادى إلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً » رواه الترمذى ٧٤/٣ .

٢ ـ عدم التهام كمية كبيرة من الطعام عند الإفطار ، ويفضل أن توزع وجبة الإفطار على وجبتين : الأولى وتكون خفيفة عند الإفطار ، وتليها الثانية بعد حوالى ثلاث أو أربع ساعات وتكون متوسطة .

٣ ـ تناول الألبان ومنتجاتها بكثرة .
٤ ـ الراحة التامة طوال فترة الصيام .
٥ ـ عدم الإكثار من الدهون والسكريات .
٦ ـ تناول الفاكهة بكثرة .
٧ ـ تناول كميات كافية من الماء .

كما ننصح المرأة المرضع التى تصوم بالآتى :

١ ـ الإكثار من السوائل والفواكه ومنتجات الألبان .

٢ ـ الاهتمام بالبروتينات مثل اللحوم والأسماك .

٣ ـ توفير سوائل للطفل ورضعات بديلة حيث إن كمية اللبن لا تكفى .

٤ ـ تناول « فيتامينات » مع الأكل .

وفى كلتا الحالتين يجب على المرأة الحامل أو المرضع أن تنهى الصيام عند إحساسها بأعراض انخفاض السكر المتقدمة حتى لا تتعرض إلى مضاعفات .

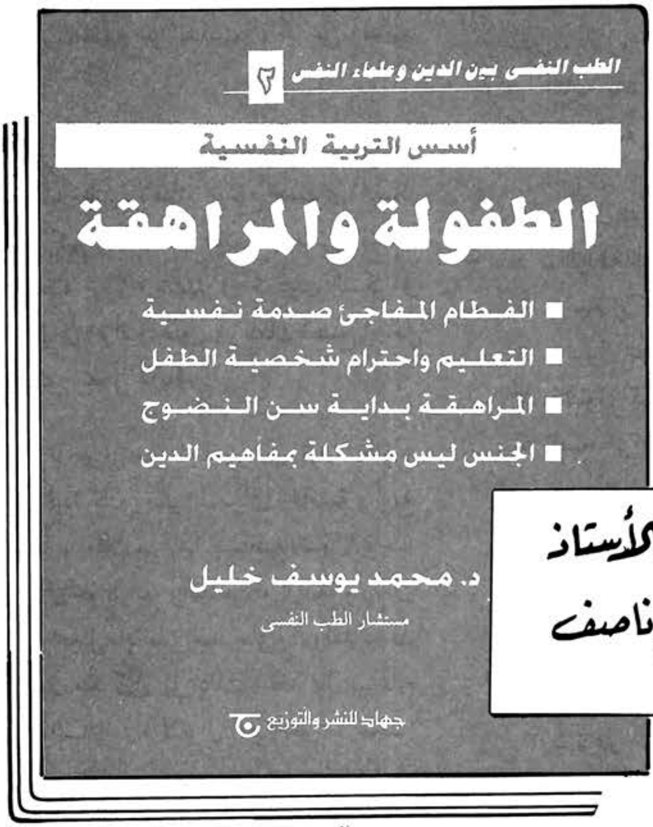

عرض وتقديم الأستاذ
عبد السلام ابراهيم ناصف

صدر أخيراً كتاب الطفولة والمراهقة للأستاذ الدكتور/ محمد يوسف خليل مستشار الطب النفسى بوزارة الصحة بجمهورية مصر العربية ، والمؤلف أحد المتخصصين فى فرع الصحة النفسية متدرج فى مناحيها حتى تبوأ درجة مدير أكبر مؤسسة علاجية فى هذا الميدان فى الشرق الأوسط وهى مؤسسة العباسية الجامعة الشاملة المتخصصة فى علاج الحالات النفسية والعصبية ولم يكتف سيادته بدرجة الدكتوراه ، فسعى مخلصاً للاستزادة من الأنظمة العلاجية التخصصية ، ودأب على دراسة المخ مستخدماً رسام المخ الكهربائى ليتعمق فى فهم خباياه وعلله واضطراباته، لإمكان علاجها أو الحد من استفحالها وتضخمها ـ ويعد أستاذاً لهذه المادة الحيوية التى لا تحتاج إلى طبيب متخصص فحسب بل تحتاج إلى فريق طبى اجتماعى نفسى متكامل نظراً لحساسية مريضه وحساسية أهله ومن حوله ورغبة جميعهم ألا تتأكد الإصابة بهذا النوع من المرض فقد يتقبل كل الناس المرض بكل أشكاله ومسمياته إلا المرض النفسى أو العقلى ، حتى وإن تم البرء منه أو تجاوز مراحل خطورته ... وهو طبيب يجيد الحديث ، استعانت به مكاتب الخدمة الاجتماعية بالأزهر لتبصير

طلاب معاهده بالطب النفسى وناقشهم سيادته فى كل ميادينه وأجاب عن استفساراتهم فى كل مشاكله بخاصة ما يتعلق منها بمشاكل الاستذكار والتذكر والنسيان والتركيز والاستيعاب وما يقابلها من مشكلات « السرحان » وأحلام اليقظة وما إلى ذلك من مشكلات المراهقة بكل أبعادها .

والكتاب الذى بين أيدينا صدر ضمن سلسلة طبية نفسية اختار لها مؤلفها وناشرها عنوان (الطب النفسى بين الدين وعلماء النفس) ... وهو يهتم بمراحل نمو الفرد التى يعتبرها مراحل أطوار الخلق كما جاء بها القرآن الكريم فقد أخذها علماء النفس بظواهرها الطبيعية الواضحة وألبسوها من ثياب علمهم المعاصر ما يوضح طبيعة كل مرحلة بما فى ذلك النمو النفسى والاجتماعى والبدنى والروحى .

والمعالجة النفسية السليمة يجب أن يتولاها فريق متكامل يجمع ما بين الطبيب النفسى وعالم النفس والاخصائى الاجتماعى والمرشد الدينى الذى أضيف إلى الفريق أخيراً . على أن تسند عملية التشخيص للطبيب ، باعتباره متخصصاً يمكنه الوصول إلى أسباب الأعراض المرضية التى يعرفها فى المريض ـ وبعد هذه المقدمة البسيطة نمضى إلى الكتاب .

يرى علماء النفس والمتخصصون فى علوم الصحة النفسية : إن صحة الإنسان لها مفهوم وتكامل لا يفصل بين الجسم وبين النفس وبين المجتمع .. فلكل منها أثره ووزنه وقيمته فى سلامة الفرد وتكامل صحته النفسية .. وتهدف إلى تحقيق الصحة بمفهومها المتكامل : صحة فى الجسم والنفس والمجتمع :

فالصحة الجسمية هى التوافق بين سلامة أعضاء الجسم واكتمالها وخلوها من العاهات والأمراض والعلل وأن يكون بينها نوع من الترابط الوظيفى والتناسق مع الإحساس بالصحة والنشاط .

والصحة النفسية هى سلامة النفس وخلوها من الصراعات والتوترات والشعور بالاطمئنان والاستقرار والرضا والقناعة .

والصحة الاجتماعية هى التكيف والتوافق مع « أعراف » تقاليد المجتمع وعاداته وتطبيع سلوكه مع أنماطه السلوكية والبعد عما يشوه هذا التناسق الاجتماعى ، فمريض الجسم يعجز عن العطاء ومريض النفس يعجز عن الأداء .

ولقد أضافت الصحة العالمية فى مؤتمر الصحة النفسية للجميع ، الذى عقد فى نهاية العقد الثامن من هذا القرن مفهوما جديدا يعرف بـ « الصحة الروحية » وطالب أعضاء المؤتمر بضرورة غرس القيم الروحية فى نفوس الشباب وإضافة مفهوم الروح إلى قاموس علم النفس المعاصر لتصبح الصحة الروحية بما فيها من القيم الأخلاقية ومثاليات السلوك هى الجزء الرابع المتمم لمفهوم الصحة العامة التى تشمل صحة البدن والنفس والروح والمجتمع .

دعائم الصحة النفسية

تعتمد الصحة النفسية على دعامتين هما : الاطمئنان والمحبة .

فالاطمئنـان هو الشعـور بالهدوء وانشراح الصدر وسعادة الوجدان .

أما المحبة فهى نظرة الود والتراحم والتعاطف فى إخلاص وإيثار وتضحية .

ورسالة الصحة النفسية هى تنظيم عمليتى المحبة والعطاء بلا غلو ولا تفريط ، حتى لا تحيد أى منهما عن مسيرتها طوال رحلة العمر .

فالرضاعة هى أول رحيق للمحبة يتذوقهـا الطفل ، وهـى فى ذات الـوقت أول وجبـات الاطمئنان ، ومن ثم وجب الاهتمام بصحة الأم بدنياً ونفسياً لترضع وليدها المحبة والاطمئنان ؛ وتهتم الصحة النفسية بنصيحتها بالابتعاد عن التوتر والانفعالات والتدخين وتناول العقاقير المهدئة التى قد تلوث لبن الرضيع ، وهو اطهر وجبة غذاء معقمة سخرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقدرته فى صدور الأمهات لتكون أنقى غذاء للطفل تشبعه وترويه .

وتوصى الصحة النفسية بالحرص على الطفل إبان فترة الرضاعة ، وأقصاها عامان ـ مصداقا لقوله ـ تعالى : « وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» (سورة البقـرة الآية ﴿٢٣٣﴾) فالرضاعة السليمة تثبت الاطمئنان فى نفس الوليد وتزرع فيه المحبة والمودة والدفء العاطفى عندما تضمه أمه إلى صدرها فى حنان يشعر به الطفل تماما .

ويستطرد أستاذنا الجليل فى مناشدة الأم أن تتفرغ لوليدها منذ أن تحس بحمله حتى ولادته بل حتى تتم حضانته ــ وإن طالت ـ فتلكم هى الخطوة الأولى فى تنظيم الأسرة صحياً ونفسياً .

ولقد وضع ـ المؤلف ـ برنامجا لتغذية الطفل مع رضاعتـــه الطبيعيـــة بحيث يتم التنـــاسق ـ تدريجيا ـ بين غذائه وبين رضاعته كما ونوعا بحيث لا يصدم بعملية الفطام المفاجىء الذى تلجأ إليها أغلب الأمهات . والذى قد يُشعر الرضيع أن حقا سلب منه ، ومحبة وطمأنينة ابتعدت عنه ، وقد يعتل ويمرض وقد ينهدم صرح المحبة والطمأنينة فى نفسه .

وتحت عنوان جانبى عن : « مدى تأثير فراق الأمهات لأطفالهن » يحدثنا المؤلف عن هذا الفراق بأنه حرمان من المحبة ، ومن الاطمئنان ، وفى الفراق عمليـة هدم نفسى تعصف بالاطمئنـان وتقوض أركانه إذ لا يحتمل الطفـل فراق أمـه ولا علينا إذا كان هذا الفراق اضطراريا لأى سبب خارج عن الإرادة البشرية أما ما يعنينا فهو ذلك الفراق الحضارى أو الفراق العصرى الذى ترحل فيه الأمهات للعمل بغية تحسين المستوى وتوفير احتياجـات الأبنـاء ماديـا دون الاهتمام بتـوفير احتياجاتهم النفسية والمعنوية . ويمكن ملاحظة عدم رضى الطفل بما ترشيه به أمه من هدايـا وأموال . فلسان حاله يقول لها بمنطق الفطرة (إن كل ما تقدمينه لا يعوض أبداً بعادك عنى وفراقك لى ، إذ هى بالنسبة له الحياة كلها) . فالفرد الراشد قد تعوضه المادة عن العاطفة ، لكن الصغير لا يحتمل ولا يرضى باستبدالها والاستعاضة عنها .

ولذا فقد ينمو الطفل بطريقة عشوائية بلا قيود أو تصحبه صرامة عقلانية ممن يرعونه فيقضى طفولة مهلهلة تؤدى إلى صراع وضياع وانحراف وإدمان وشذوذ وقـد يصاب بـ (العُصَـابْ)

الذى يغذيه أعلامنا بمسرحياته « الكوميدية » كمدرسة المشاغبين أو الحلقات المسلسلة المغرية كالجرىء والجميلة وغيرها مما يقود فلذات أكبادنا إلى بحر الرذيلة الذى ألقيناهم فيه بأيدينا .

فلا يجب أن يحرم الطفل من رعاية أمه واهتمام والده فى طفولته حتى يحظى بنصيب من الصحة النفسية ، وليكن معلوماً أن الحضانة ـ مهما ارتفع مستواها ومستوى العاملين بها ـ لن تعوض الطفل حنان أمه فى طفولته المبكرة .

كما لا يجب أن يخاف الوالدان على وليدهما بصورة غير طبيعية ولا أن يسرفا فى المحافظة عليه ومنعه من الاختلاط بأقرانه حتى يشب معتمداً على نفسه بعيداً عن التردد وعدم الثقة فى نفسه أو أن ينشأ منطويا خجولا ضيق الأفق قليل الحيلة .

فمعظم العيوب الشخصية يزرعها فى الطفل خوف الآباء وحنو الأمهات الزائد أو اطلاق أيديهم والبعد عنه واعطائه حرية أكثر دون رقيب ولا محاسبة ، فإن القاعدة السليمة تدعو إلى عدم الإفراط وعدم التفريط .

إن الفهم المتعقل لما يجب اتباعه فى تربية الطفل هو خير وقاية وحماية له ، ففى المجتمع الخير والشر والصالح والطالح ، وهذا ما يجب أن يفهمه الأبناء ، ولذا وجب الحفاظ على كيان الطفل ، واحترام شخصيته ـ دون إفراط أو تفريط لينشأ تنشئة سوية وينمو نموا صالحاً ؛ فإن الوقاية خير من العلاج .

واحترام شخصية الطفل من المبادىء التى يتواصى بها علماء النفس ، فى كل مراحل نموه ليتعداها من مرحلة إلى مرحلة فى محبة وفى اطمئنان ـ فالوصاية على الطفل واجبة لكنها يجب أن تمارس بروية وحكمة ومرونة دون أن يشعر بها الطفل وحتى لا يحس بأن الأبوة ليست إلا مواعظ وأوامر ونواهى لا أكثر وإنما وجب التفاهم معه بصدق وإخلاص فى إطار من الاقناع والحب والمودة واحتواء الطفل ليحظى بسلوكيات مجتمعه فى رضا واقتناع حتى لا يتسرب التذمر إلى داخله فينقلب إلى تمرد أو عصيان وذلك بإشعار الطفل بكيانه طوال مراحل نموه وبأن له شخصيته وفكره .

وتظل رسالة الآباء ممتدة فى التوجيه الهادف والإرشاد الصحيح السوى إذ لابد أن يعلم الآباء والأمهات أن أبناءهم يحتاجون إلى دراسة وفهم ولكل طفل مدخله وما يصلح له وفق مكوناته الشخصية ووفق مزاجه وإمكانيات أسرته ـ مع ملاحظة الفروق الفردية بين كل طفل وآخر حتى فى نفس الأسرة والواحدة .

إلا أن القاعدة الأساسية أن يتمتع الطفل بشخصيته المستقلة وألا تفرض عليه الحراسة وإنما يعطى الطفل حريته فى حدود مداركه تحت عيون يقظة ترقبه وتتابع سلوكه وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين . فمودة الطفل تكتسب بالمحبة له والرقة فى معاملته والرفق ، والصبر على مشاكساته وبالكلمة الطيبة وبمشاعر الإخلاص فى داخل نفسه ويكون ذلك كله قائما على المحبة والمودة والرحمة الحقيقية لاكتساب مودتهم .ج

وبعـد ..

فإن الكتاب ـ رغم صغر حجمه وقلة صفحاته ـ يحوى معلومات نفسية يجدر بأبنائنا الطلاب فى جميع مراحل دراستهم أن يهتموا بها .

نسأل الله التوفيق .

« وَيخلق مَالا تعلمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د / نجوى السيد أحمد (*)

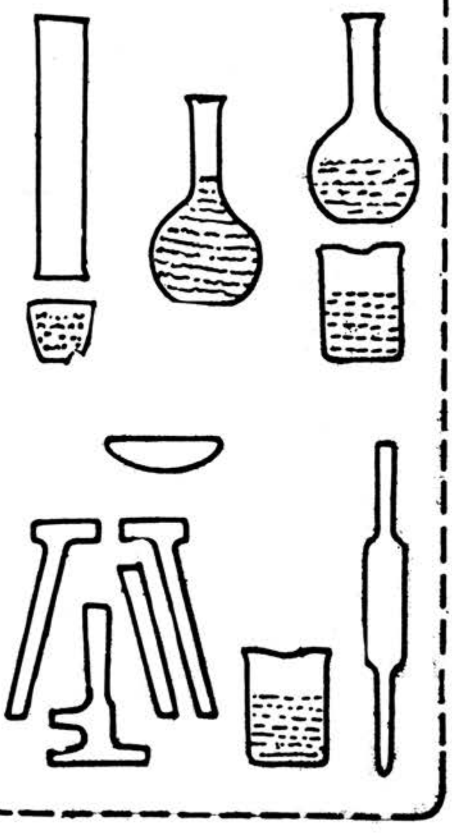

قمر صناعى جديد فائق القوة

تقوم إحدى شركات الفضاء العالمية ببناء قمر صناعى جديد فائق القوة ، ومن المقرر إطلاقه أواخر عام ١٩٩٧ ، والقمر يخدم شبكات توزيع البرامج التليفزيونية ونشاط رجال الأعمال فى آسيا ونصف الكرة الشمالى واستراليا والشرق الأوسط ، وهو مزود بأجهزة استقبال وإرسال نشطة تعمل فى نطاق ترددات لاسلكية مختلفة ، وقوة حمولته تزيد على ٧ كيلووات ، والقمر يعمل « بأرزنيد الجاليوم » بدلا من الخلايا الشمسية المصنوعة من السليكون ، كما يمكن تجهيزه ببطاريات حديثة .

شاشة متطورة للحاسب الآلى

قامت شركة ألمانية بتطوير مادة بلورية معدنية كهربائية سائلة لصناعة الشاشات للحاسبات الآلية مسطحة جدا ورقيقة وخالية من الاشعاعات ، وذات قدرة عالية على التفكيك النقطى للصور وبمختلف القياسات ، كما تتميز الشاشة الجديدة بصغر حجمها .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

أنابيب لنقل أشعة الشمس للمنزل

أنتجت إحدى الشركات الأوربية أنبوبة من الألومنيوم لا يزيد قطرها على ١٣ بوصة يُمْكِنُها نقل أشعة الشمس من خارج المنزل إلى داخله وتوزيعه على جميع الحجرات حتى مع عدم وجود نوافذ بالمنزل ، وتعمل الأنبوبة بواسطة مواد عاكسة موجودة بداخلها تمتص أشعة الشمس ثم تعكسها داخل المكان المراد إضاءته ويوجد مع الأنبوبة غطاء يعمل « كفلتر » لأشعة الشمس للتحكم فى شدة الضوء حسب رغبة أصحاب المنازل .

الجزر لمقاومة مرض السرطان

ذكرت دراسة علمية بريطانية أن تناول « الجزر » يوميا يساعد الجسم على عدم الاصابة بمرض السرطان ، وأوضحت الدراسة أن الجزر يقوى ويدعم جهاز المناعة فى الإنسان ، وقد تم إجراء التجارب على متطوعين بإضافة كمية من مادة « الكاروتين » الموجودة فى الجزر والتى تعادل تناول الإنسان ثلاث جزرات يوميا إلى نظامهم الغذائى ، فتبين فى نهاية التجربة التى استمرت شهرا ، أن هناك تزايدا فى معدلات أنواع معينة من العناصر الكيميائية التى تساعد نظام المناعة فى الجسم على تدمير الخلايا السرطانية ، وأوصى الفريق البحثى بتناول الإنسان بشكل يومى بعض درنات الجزر حيث تحتوى على نسبة عالية من مادة « الكاروتين » والتى توجد أيضا فى بعض أنواع الخضراوات والفاكهة مثل المشمش .

اكتشاف أكبر وأقدم حجر نيزك سقط على سطح الأرض

اكتشف بعض علماء الجيولوجيا الصينيين أكبر وأقدم (حجر نيزك) سقط على سطح الأرض دون أن يتبدد تبدداً كاملا منذ ١,٩ مليون سنة مكونا تلا فى شمال شرق الصين ، ويبلغ طوله من ١٦٠ إلى ١٩٠ متراً وعرضه من ٥٠ إلى ١٠٠ متر ويغطيه الجرانيت ، كما وجد العلماء حول طبقة الجرانيت مادة شبيهة بالزجاج يعتقد أنها تكونت بفعل الحرارة والضغط العاليين عندما ضرب النيزك الأرض ، ويعتقد العلماء أن دراسة هذا الحجر قد توصلهم إلى معلومات ثمينة حول أسرار الكون .

نظام جديد لاستغلال طاقة الرياح

نجح فريق من خبراء هندسة الطيران بأحد المعاهد الأمريكية فى بناء وتطوير نظام جديد لاستغلال طاقة الرياح بصورة اقتصادية وفعالة والاختبارات التى أجريت على التصميم الجديد أوضحت أنه يمكنه أن يزيد من سرعة الرياح وكفاءتها بمقدار ٥٠٪ أو أكثر ، حيث إن الوحدات المكونة لهذا النظام تحتوى على أسطح منحنية تعمل بمثابة أنفاق توجه الرياح نحو التوربينات ، ويمكن تطويرها وبناؤها على هيئة أبراج مرتفعة وبأقطار كبيرة تسمح بتوليد كميات كبيرة من الطاقة تصل إلى (عدة آلاف كيلووات) من الكهرباء .

أكياس « بلاستيك » تتلاشى ذاتيا

أنتجت شركة بريطانية أكياسا من البلاستيك الخفيف تتلاشى ذاتيا ولا تحتاج إلى حرقها فلا تسبب تلوثا للبيئة ، حيث تبدأ فى التآكل والتلاشى عند تعرضها لبعض الميكروبات الهوائية ، والأكياس تستخدم فى حفظ اللحوم والمأكولات ومختلف المنتجات ولا تتمزق بسهولة .

جهاز لقياس نسبة الأكسجين فى الدم

أنتجت إحدى الشركات اليابانية للمستحضرات الطبية جهازاً لتعيين نسبة الأكسجين فى الدم للمرضى الذين يعانون من متاعب فى التنفس ، ويعمل الجهاز بمجرد وضع الشخص إصبع السبابة عليه فيتم قياس نسبة الأكسجين بالدم بواسطة الأشعة تحت الحمراء .

الزيوت النباتية وقود لسيارات المستقبل

نجح مركز فرنسى للأبحاث الزراعية فى تصنيع محرك يعمل بوقود نباتى مركب من زيت نبات عباد الشمس والقطن والنخيل وجوز الهند والفول السودانى .

أكدت الأبحاث أن الوقود النباتى يتميز بسهولة احتراقه فى المحركات التى تصل قوتها إلى (١٥٠٠) حصان ، وأنه يعمل على خفض نسبة غاز (ثانى أكسيد الكربون) بالغلاف الجوى ويحافظ على البيئة ، وقد تم استخدامه فى سيارة متطورة لتعمل بالوقود الجديد الذى أثبت فاعلية ونجحت السيارة فى قطع مسافة ١٠٠ ألف كيلو متر به .

البروتين لعلاج الفشل الكلوى

أعلن فريق من العلماء الأمريكيين أنهم تمكنوا من علاج حالات التليف الشديد للكلى فى حيوانات التجارب بحقنها بنوع من البروتينات يسمى « استوجينيك ١ » ، وأدى استعماله إلى شفاء الفئران من تليف الكلى سواء التى أصيبت فجأة نتيجة لفشل كلوى حاد ، أو تدريجيا نتيجة لمرض مزمن .

ومن المعروف أن معظم التليف فى حالات الفشل الكلوى الحاد الناتج عن الاصابات يأتى عندما يتدفق الدم مرة أخرى للكليتين حيث يبدأ نوع من خلايا الدم البيضاء تسمى الخلايا الملتهمة فى مهاجمة الأنابيب الدقيقة بالكلى وتدمر أنسجتها ، ونظرا لعدم معرفة سبب اتباع هذه الخلايا لهذا المسلك يرى العلماء أن استخدام البروتين الجديد يتدخل ليشل قدرة الخلايا الملتهمة فى الالتصاق بالأنابيب الدقيقة ويمنع تدميرها ، أو أنه يقوم بتنشيط خلايا معينة فى نخاع العظام مما يجعلها تتوصل إلى أنواع مختلفة من الخلايا تعوض الأضرار التالفة فى النسيج المصاب بالكلى .

(كتاب في مقال)

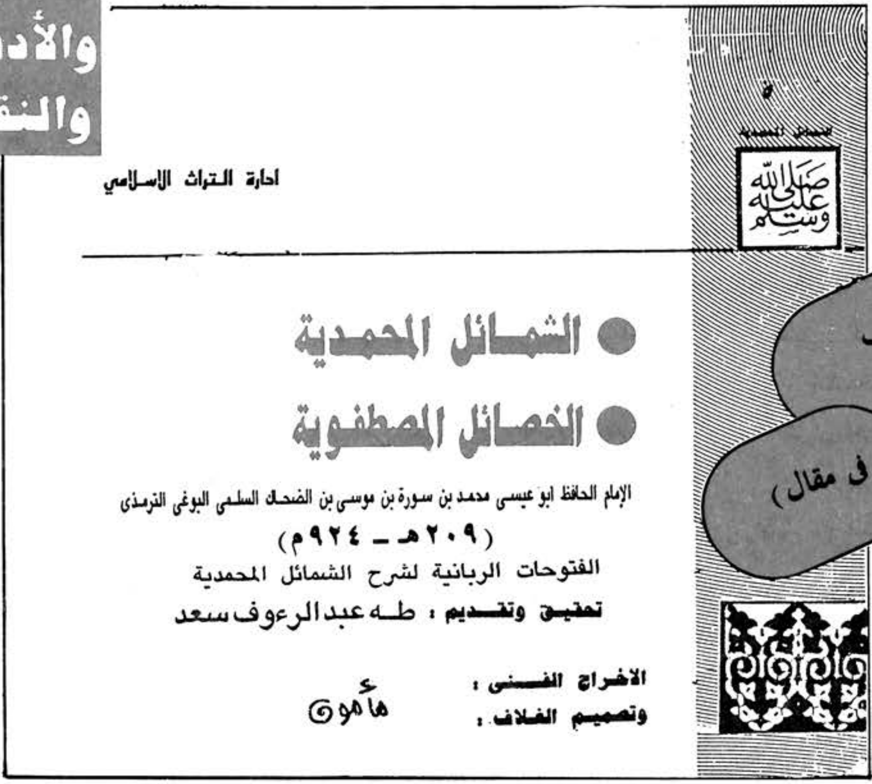

عرض وتعليق الدكتور محمد عبد الحكيم محمد

هذا كتاب نادر لإمام حافظٍ مُحدِّثٍ صدر عام ١٩٨٨م فى ٣٧٥ صفحة من القطع الكبير . ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة لعدة أسباب :

الأول : ارتباطه الوثيق بذات وصفات سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة والرحمة المهداه الذى بعثه الله ـ تعالى ـ ليتمم مكارم الأخلاق ، فالقارىء يجد نفسه ـ من خلال مادة هذا الكتاب ـ فى معيَّته ﷺ بشمائله وخصائصه المصطفاة .

الثانى : مؤلفه الإمام الترمذى ، أحد الأئمة أصحاب الصحاح الستة[1] الذين نبغوا فى علم الحديث ، وأحد الأوائل الذين انتقوا أحاديث الشمائل وجعلوها كتباً مستقلة عن كتب الأحاديث الجامعة .

(١) والترمذى أحد الأئمة الستة ، الذين نبغوا فى علم الحديث وهاك بيان عن تواريخ مولد كل منهم ووفاته ، لتظهر المقارنة بينهم واضحة :

الثالث : محققه الشيخ طه عبدالرءوف سعد ، بما عرف عنه من مقدرة فى إظهار جانب من التراث الإسلامى وتعقبه بالشرح والتحقيق ، كما فعل بكتاب « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » لتقى الدين أبو محمد عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، وكتاب « بلوغ المرام من أحاديث الأحكام » و « فتح البارى فى صحيح البخارى » للحافظ بن حجر العسقلانى ، وكتاب « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » ، وكتاب « شمائل الرسول ﷺ لابن كثير » وغير ذلك من الدرر اليتيمة والجواهر الثمينة .

مؤلفو الشمائل وشراحها :

صنَّف العلماء ـ رضى الله عنهم ـ فى الشمائل المحمدية ـ على صاحبها أفضل السلام وأذكى التحية ـ العديد من المصنفات وجعلوها كتباً مستقلة ، منهم من تقدم على الإمام الترمذى ومنهم من تأخر عنه ، كالإمام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ، وأبى العباس جعفر ابن محمد المستغفرى المتوفى ٤٣٢ هـ ، وأبى الحسن على بن محمد إبراهيم الفزارى (ابن المقرى) المتوفى ٥٥٢ هـ ، وابن الموقع السيد محمود الدمشقى ، والتبريزى نزيل المدينة المنورة المتوفى ٨٥٥هـ ، وابن حجر العسقلانى وحاشية عليه للشبراملسى المتوفى ١٠٨٧ هـ ، وغيرهم .

غير أن الشمائل المحمدية للترمذى قد لاقت اهتماما كبيراً من العلماء والشرّاح فتناولها كثير بالشرح والتعليق ، من هذه المؤلفات :

ـ شرح شمائل الترمذى : لمصلح الدين محمد بن صلاح بن جلال (اللارى) المتوفى ٩٧٩ هـ .

ـ زهر الخمايل على الشمايل : للسيوطى .

ـ جمع الوسائل فى شرح الشمائل : لنور الدين على بن سلطان محمد القارى الحنفى المتوفى ١٠١٦ هـ .

ـ تهذيب الشمائل : لمحمد بن عمر بن حمزة الأنطاكى .

ـ كذلك شرحها : عصام الدين إبراهيم ابن محمد الاسفراينى المتوفى ٩٤٣هـ ، والإمام عبدالرءوف المناوى المصرى المتوفى ١٠٠٣ هـ ، ومحمد عاشق بن عمر الحنفى ، والبخشى : حسن بن عبدالله الحلبى ، والبيخورى ابراهيم بن محمد ، والجراحى إسماعيل بن محمد ، والحسوس : محمد ابن القاسم المغربى المالكى ، وحسام الدين النقشبندى المتوفى ١٢٨٢ هـ ، والحمدونى عبدالله الأزهرى ، والخادمى سعيد بن أبى سعيد محمد ، وسليمان بن عمر المعروف بالجمل ، والشرقاوى

● البخارى : محمد بن إسماعيل أبوعبدالله : ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ ، ومات يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ .
● مسلم بن الحجاج القشيرى : أبوالحسين : ولد فى سنة ٢٠٤ هـ ، ومات فى ٢٥ رجب سنة ٣٦١هـ .
● الترمذى : محمد بن عيسى أبو عيسى : ولد سنة ٣٠٩هـ ، ومات فى ١٣ رجب سنة ٣٧٠هـ .
● أبو داود : سليمان الاشعث البوستانى : ولد سنة ٣٠٢ ، ومات فى ١٦ شوال سنة ٣٧٥ .
● النسائى : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن : ولد سنة ٣١٥هـ ومات فى ١٣ صفر سنة ٣٥٦هـ .
● ابن ماجة : محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله : ولد سنة ٢٠٩ ، ومات فى ٢٢ رمضان سنة ٦٧٣هـ .
وقد روى هؤلاء الأئمة عن شيوخ كثيرين ،

عبدالله بن حجازى ، والصناديقى عبدالرحمن بن أحمد الدمشقى الشافعى المتوفى ١١٦٤هـ ، والعقاد الفيومى المصرى المالكى المتوفى ١٢٠٢هـ ، والعينتابى عبدالله نجيب ، أحمد بن خير الدين الكوز لحصارى الرومى المتوفى ١١٢٠هـ ، وغيرهم .

عمل المحقق فى الشمائل :

أدلى فضيلة الشيخ طه عبد الرءوف سعد العالم الأزهرى دلوه بين دلاء هؤلاء العلماء الأجلاء الذين سبقوه فى شرحها ، واستفاد منهم وأخذ عنهم وأضاف إليهم ، فى شرحه لهذا الكنز العظيم فرجع إلى كتب الأحاديث الصحاح والمسانيد مع شروحها ، تلك التى تناثرت فيها تلك المختارات بين أحاديثها وخرج فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا ـ بشرح وجيز وتنظيم جيد يستفيد منه الخطيب والعالم والتلميذ . ومن ذلك كتابة العناوين ووضع الفهارس وتقديم الشرح وكتابة التعليقات والتعريف بالرواة ، فهو يبدأ .

بذكر الحديث الشريف .

ثم يقوم بتخريجه .

ثم يعرِّف برجاله .

ويذكر بعض مصطلح الحديث ما وجد إلى ذلك سبيلا .

ثم يصل إلى معانى المفردات .

ثم يشرح الحديث شرحاً موجزاً ـ غير مخل ـ بأسلوب رصين يشهد له كعالم متمكن فى علوم اللغة والفقه والحديث .

أقسام الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى جزأين يعالجان ـ معا ـ الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية .

الجزء الأول :

ففى الجزء الأول عالج الكتاب بعد المقدمة ما جاء من الأحاديث الصحيحة فى خلق ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ رسول الله ﷺ وخاتم النبوة ، وشَعْره ﷺ ، وشيبه ﷺ ، وخضابه ﷺ ، وكُحْله ﷺ ، ولباسه ﷺ ، وعيشه ﷺ ، وخُفّه ﷺ ، ونعله ﷺ ، وخاتمه ﷺ ، وسيفه ﷺ ، ودرعه ﷺ ، ومغفره ﷺ ، وعمامته ﷺ ، وإزاره ﷺ ، ومشيه ﷺ ، وتقنعه ﷺ ، وجلسته ﷺ ، وتَكأته ﷺ ، وأكله ﷺ ، وخبزه ﷺ ، وإدامه ﷺ ، وقدحه ﷺ ، وشرابه ﷺ ، وفاكهته ﷺ ، وتعطره ﷺ .

الجزء الثانى :

وفيه تناول المؤلف ما جاء فى كيفية كلامه ﷺ ، وضحكه ﷺ ، ومزاحه ﷺ ، ونومه ﷺ ، وعبادته ﷺ ، وصلاته ﷺ ، وصيامه ﷺ ، وقراءته ﷺ ، وبكائه ﷺ ، وتواضعه ﷺ ، وخُلقه ﷺ ، وحيائه ﷺ ، وحجامته ﷺ ، وأسمائه ﷺ ، وعيشه ﷺ ، وسِنه ﷺ ، ووفاته ﷺ ، وميراثه ﷺ ، ورؤيته ﷺ .

ثم أعقب المحقق ذلك ـ فى خاتمة الكتاب ـ بفهرس لرواة الأحاديث الواردة أسماؤهم فى جزئَىّ الكتاب ورتبهم ترتيباً أبجدياً مشيراً إلى رقم

الحديث والجزء والصفحة التى ورد فيها الراوى حتى يمكن للقارىء تتبع الترجمة فى الكتاب بسهولة ويسر .

ترجمة جامع الشمائل :

كذلك قام المحقق بترجمة للإمام الترمذى تناولها تناولا وافياً كشف فيه الغموض الذى يحيط بسيرة هذا الإمام ، فبدأ باسمه ونسبه ومولده ، وألقى الضوء على مدينة « ترمذ » التى ينسب إليها ، وقرية « بوغ » ـ إحدى قرى « ترمذ » التى ولد بها .

ثم أشار إلى نسبه وكنيته ، وأرَّخ لعصره ودوره فى تكوينه العلمى بسبب ما شهده هذا العصر ـ العباسى الأول والثانى ـ من حركة علمية ونهضة ثقافية واسعة ..

هذا ولم ينس الكشف عن علاقة التأثر والتأثير بين الإمام الترمذى وأساتذته الذين سمع منهم وروى عنهم واستقصى الحديث الصحيح منهم ، ومن أخذ عنه وتأثر به .

فكتب المحقق فصلا ضافيا عن أساتذة الترمذى وشيوخه والذين رووا عنه .

ثم عقَّب المحقق ترجمته بالكتب التى ألفها صاحب الشمائل فى موضوعات : الزهد والأسماء والكنى والفقه والتاريخ والشمائل المحمدية ، ثم نقل ما قيل عن الترمذى كعلمٍ عالمٍ من الحفاظ الأعلام .

نبذة عن الإمام الترمذى :

هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْره بن موسى ابن الضحاك السُّلَمِى الضرير البُوغى الترمذى ، الحافظ المشهور .

ولد سنة (٢٠٩هـ ـ ٨٢٤م) ومات سنة (٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م) وله سبعون سنة ، عاصر الخلافة العباسية خلال فترتيها الأولى والثانية ، فهو أحد نتاجها وأعلامها ومشاهيرها ، وهو أحد الأئمة الستة الذين نبغوا فى علم الحديث ، وهم : « البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه » .

ضوء على الكتاب :

أما كتاب « الشمائل المحمدية » فقد طبع أول مرة فى القاهرة عام (١٣٠٦هـ) مع شرح محمد بن قاسم جسوس الموسوم بـ « الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية ، وطبعت هذه المجموعة أيضاً عام (١٣١٨هـ) مع شرحين ، أولهما : « الرسائل » لعلى بن سلطان محمد القارى ، والثانى : لعبد الرءوف المناوى .

وهذه نماذج مختصرة من الكتاب توضح منهجه وتكشف عن قيمته :

الأول : ما جاء فى خلْق رسزل الله ﷺ .

ـ حدثنا حميد بن مسعدة البصرى ، حدثنا عبدالوهاب الثقفى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال :

« كان رسول الله ﷺ رَبعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسن الجسم وكان شعره ليس بجعد ولا سبط ، أسمر اللون ، إذا مشى يتكفأ »

تخريج الحديث :

أخرجه البخارى فى المناقب : ٢٣ . والترمذى فى اللباس : ٢٠ ، وفى المناقب : ٨ . وأحمد فى ٣ : ٢٤٠ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ حميد بن مسعدة البصرى :

وقيل اسمه حمدويه . كان ثقة كثير الحديث ، قرأ ، وأقرأ ، وسمع ، وحدث . وروى عنه أصحاب الكتب الستة : مسلم ، الترمذى ، أبو داود ، ابن ماجه ، النسائى ، إلا البخارى . وتوفى سنة ٢٤١ هـ .

٢ ـ عبدالوهاب الثقفى :

محدث البصرة ، روى عن أيوب السختيانى ، ومالك بن دينار ، وطبقتهما . كان غنيا ينفق أمواله على أصحاب الحديث . وهو ثبت متقن ، توفى سنة ١٩٤ هـ .

٣ ـ حميد :

وهو حميد الطويل ، واسم أبيه تبرويه . أحد ثقات التابعين البصريين ، سمع أنسا وطائفة ، وكنيته أبو عبيدة . وكان إماما حافظا متقنا عمدة . كان قائما يصلى فسقط ميتا ، وله سبع وتسعون سنة ، وذلك سنة ١٤٣ هـ .

٤ ـ أنس بن مالك :

سبق التعريف به فى الحديث الأول .

معانى المفردات :

ربعة : بالفتح والسكون ، وقد تحرك الباء . أى مربوعا ، متوسطا بين الطول والقصر .

حسن الجسم : فى لونه ونعومته ، واعتداله .

يتكفأ : يسرع فى مشيه ، ولكن فى اعتدال ، فلا هو بالسريع ، ولا بالبطىء .

شرح الحديث :

كان رسول الله ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان حسن الجسم معتدلا فى كل شىء ، فاللون بياض تشوبه حمرة ، وناعم الملمس ، لا بالسمين ولا بالهزيل .

أما شعره ، فكان وسطا بين الجعودة ـ وهى عدم التكسر والالتواء ـ وبين السبوطة ـ وهى الامتداد الذى لا تعقد فيه .

أما لونه ، فليس بأبيض فقط ، بل بياضه فيه حمرة ، فيميل إلى السمرة .

أما مشيه ﷺ ، فكانت خطواته متسعة ، ليست متقاربة كخطوات المختالين .

الثانى : ما جاء فى طعامه ﷺ :

٧ ـ حدثنا قتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى ، عن مالك بن دينار ، قال :

« ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط ولحم إلا على ضفف » .

قال مالك بن دينار :

« سألت رجلًا من أهل البادية : ما الضفف ؟ فقال : أن يتناول مع الناس » .

تخريج الحديث :

أخرجه مسلم فى الزهد : ٢٩ . والنسائى فى الضحايا : ٣٧ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ قتيبة :

هو ابن سعيد . وسبق التعريف به فى الحديث رقم : ١ (بالكتاب) .

الثالث : ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، قال :

« ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجرى فى وجهه ، ولا رأيت أحداً أسرع فى مشيته من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث » .

تخريج الحديث :

أخرجه الترمذى فى المناقب : ١٢ . وأحمد فى ٢ : ٣٥ ، ٣٨٠ .

التعريف ببعض الرجال :

١ ـ قتيبة بن سعيد :

سبق التعريف به فى الحديث رقم : ١ (بالكتاب) .

٢ ـ ابن لهيعة :

الإمام أبو عبد الرحمن : عبدالله بن لهيعة ، الحضرمى . قاضى مصر . الحافظ . روى عن الأعرج وعطاء بن أبى رباح . وثقه أحمد وغيره . وتوفى سنة ١٧٤ هـ .

٣ ـ أبو يونس :

هو مولى أبى هريرة رضى الله عنه . قال فى التقريب : ثقة .

٤ ـ أبو هريرة :

سبق التعريف به فى الحديث رقم : ٤٥ (بالكتاب) .

معانى المفردات :

تجرى فى وجهه : شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن ونوره فى وجه النبى ﷺ ، وعكس التشبيه مبالغة . والمراد إقامة الدليل على أحسنيته .

تطوى له : أى الأرض تجمع له وتجعل مطوية .

نجهد : نتعب أنفسنا .

مكترث : غير مبال بجهدنا .

شرح الحديث :

يصف أبو هريرة ـ رضى الله عنه ، حُسْن رسول الله ﷺ ، فيقول إنه ما أبصر ، وما علم شيئاً ، أحسن من رسول الله ﷺ ، ومراده : نفى كون شىء أحسن منه ﷺ ، بمعنى أنه أحسن مما عداه .

كأن شعاع الشمس أو جِرْمها يجرى فى وجهه ، وخص الوجه بذلك ، لأنه الذى يظهر به المحاسن ، إذ أن حسن البدن تابع لحسنه غالبا .

ثم يصف مشيته ﷺ ، بأنه ما رأى أسرع منه مشياً ، فكأنما الأرض تجمع له وتجعل مطوية تحت قدميه ، حتى إن أصحابه يسرعون ويجهدون أنفسهم فى سيرهم ، وهو مجد فى سيره غير مبال بجهدهم .

ولكن ، ليس معنى سرعته ، أنها سرعة فاحشة تذهب الوقار ، بل كانت سرعة مشيه ﷺ على غاية من الهون والتأنى بالنسبة إليه .

والخلاصة : إن سرعته فى مشيته ﷺ كانت من كمال القوة ، لا من حيث الجهد والمشقة والعجلة .

الرابع : ما جاء فى جلسته ﷺ

١٢٢ ــ حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبدالله بن حسان ، عن جدتيه ، عن قيلة بنت مخرمة ، أنها :

« رأت رسول الله ﷺ فى المسجد ، وهو قاعد القرفصاء . قالت : فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع فى الجلسة فأرعدت من الفرق » .

معانى المفردات :

القرفصاء : يقال : قرفص ــ إذا شد يديه تحت رجليه .

والمراد : أن يقعد على إليتيه ، ويلصق فخذيه ببطنه ويضع يديه على ساقيه . وهى جلسة المحتبى .

وقيل : إن يجلس على ركبتيه متكئا ، ويلصق بطنه بفخذيه ، ويتأبط كفيه وهى جلسة الأعراب .

المتخشع : من التخشع ، وهو إظهار الخشوع .

الجلسة : اسم هيئة من الجلوس ، وهى هيئته فى جلوسه ، وكيفية قعدته .

أرعدت : أى حصلت لى رعدة وخوف .

الفرق : الخوف ــ والمراد هنا الخوف الإلهى المستفاد من التواضع النبوى .

شرح الحديث :

رأت قيلة بنت مخرمة ، رسول الله ﷺ فى المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ، وهى جلسة المحتبى ، أو جلسة الأعراب ، فلما أبصرته على تلك الهيئة ، هيئة المتخشع ، وهى إظهار الخشوع ، وهى صفة لرسول الله ﷺ فى هيئة جلوسه المتضمنة إظهار عبوديته ، يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، ولا يجلس على هيئة جلوس الجبارين المتكبرين ، من التربع ، والتمدد ، والاتكاء ، ورفع الرأس ، وشموخ الأنف ، وعدم الالتفات إلى المساكين ، والاحتجاب عن المحتاجين .

فلما أبصرته ، على هيئته من الخشوع ، حصلت لها رعدة من الخوف ، وهو الخوف الإلهى ، فقد كان ﷺ مع تخشعه عظيماً ، فهابتها عظمته وحصل لها خوف .

والذى يبدو من سياق قصة قيلة ، أن ذلك كان أول ملاقاتها بالنبى ﷺ ، ولذلك هابته وإلا من تعود رأيته أحب تواضعه .

وبعـــد :

فإن كتاب « الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية » جدير بالقراءة وجدير بالاقتناء لأنه يجعل قارئه مع سيدنا رسول الله ﷺ بخلْقه الظاهر وخُلُقه الطاهر ، وذلك من خلال مجموعة الأحاديث الصحيحة التى وردت فى ذات النبى ﷺ وشمائله الطيبة الطاهرة المباركة ، والتى

اختارها الإمام الترمذى من الجامع الصحيح وغيره من كتب السنة والسيرة النبوية الشريفة .

فبصحبة هذا الكتاب عزيزى القارىء تكون فى بستان السيرة العطرة ، تستنشق العطر وتروح النفس وتمتع البصر وتغذى الروح .

بصحبته تكون مع ذات النبى ﷺ وصفاً وخُلقاً وحلا ومقالًا .

فمع هذا الكتاب نستطيع حقاً ـ نحن المسلمين ـ أن نتمثل الصورة التى كان عليها رسول الله ﷺ ، وكيف توَّجَهُ رَبُّه بتاج الجمال وزينه بأشرف الخصال وأدبه فأحسن تأديبه ﷺ وجعله ـ وحده ـ صاحب الشهادة العظمى فى القرآن الكريم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ .

سورة القلم

هنالك يسهل علينا أن نتأسى بأخلاقه ﷺ ونقتدى بأحواله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾

سورة الأحزاب

كما يسهل عليه الامتثال لأمر الله ـ عز وجل ـ فى اتباعه ﷺ كشرط لمحبة الله ـ عز وجل ـ لعبده المسلم ، مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾

ال عمران

والحقيقة أن محقق هذا الكتاب فضيلة الشيخ / طه عبدالرءوف سعد .. العالم الأزهرى بذل جهداً كبيراً فى جمع المراجع وشرح المادة وإسناد الأحاديث وترجمات الرواة على هذا النحو الطيب الوافى ، ويؤخذ على إدارة التراث العربى التى أولت عنايتها الفائقة بإخراج هذا الكتاب أنها ذكرت فى تقديمها للكتاب حديثين شريفين لم تُخَرِّجْهما ، ونثرت على فهرس الأعلام بخاتمة الكتاب عدة آيات قرآنية لم تبين مواقعها من كتاب الله ـ عز وجل .

على أن هذه المؤاخذات الشكلية لا تغض أبداً من قيمة هذا السفر العلمى ولا من الجهد المبذول فيه .

ومجلة الأزهر من جانبها تسأل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا بركة الحديث عن خير الأنام ، وأن يرزق هذا العمل النافع كل القبول والانتشار .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

من جوامع الكلم فى الدعاء

« اللهم إنا نسألك خير ما سألك منه نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم -ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم - ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ولاحول ولا قوة إلا بالله»

التكريم الأدبي لحافظ إبراهيم عند الإنعام عليه بـ (البكوية)

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

الاعتقاد السائد بين كثير من الباحثين والدارسين ، أن التكريم الأدبى قد اقتصر على شوق : أمير الشعراء ، دون حافظ إبراهيم : شاعر النيل ، كما لُقِّبا بذلك فى حياة كل منهما ، وبعد رحيلهما فى عام ١٩٣٢ .. وخاصة ، حينما أقيم المهرجان الشعرى الشامخ لشوقى ، فى التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩٢٧م بدار الأوبرا ، برئاسة الزعيم سعد زغلول ـ وإن كان سعد زغلول لم يتمكن من حضور الحفل ، وكتب يقول معتذراً عن ذلك : « يسرنى أن أترأس هذا الاحتفال الجليل لتكريم شاعرنا العظيم شوقى أمير الشعراء ، وكنت أود أن أشارك حضراتكم ، ولكن ضعف صحتى حرمنى من هذا الشرف الكبير » .

وكان حافظ إبراهيم نجم نجوم هذا المهرجان ، حينما أنشد عينيته الرائعة فى شوقى ، وخاصة حينما انتهى فيها ، إلى قوله متهدِّجا ، لشوقى :

أميـرَ القـوافى قد أتـيت مُبايعـا[1] وهذى وفود الشعر قد بايعت معى
فغنِّ ربـوع النيـل واعْطِـفْ بنظـرةٍ على ساكن النهرين[2] ، واصدح وأبْدع

وعند ذلك ، نهض شوقى من مجلسه بالحفل ، وسارع إلى معانقة حافظ ـ رصيفه فى العبقرية الشعرية ـ وهو فى غاية التأثر .

---

(١) ينبغى للحق الأدبى ، وضرورة ما يفرضه النقد أن نقول : إن الأستاذ نعوم شقير قد سبق حافظ إلى هذا المعنى حين خاطب به شوقى فى حفل تكريم حافظ برتبة البكوية موضوع المقال . قال نعوم فى هذا الحفل الذى أقيم بفندق الكونتننتال بالقاهرة فى (١٩١٢/٥/٣١) . أشوقى لأنت أمير القوافى إليك تُؤَمُّ (البيت) . مجلة الأزهر .

وقد شارك فى هذا المهرجان كوكبة من كبار الشعراء فى مصر وسائر البلاد العربية ، نذكر منهم : خليل مطران ، وشبلى ملاط ، ومحمد كرد على ، وإسعاف النشاشيبى ، وحافظ ، وغيرهم . وقد أهديت إلى شوقى فى هذه المناسبة عدة هدايا ـ كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندى ـ فى مقدمتها : نخلة من الذهب قدَّمها أهالى البحرين ، ونصل من العقيق قُدِّم من أصدقاء الهند ، وقلم من ذهب من البحرين ، وعلبة فضية وداخلها إطار من الفضة ، حول قصيدة لشوقى من بومباى ، وكأس ذهب من الاتحاد النسائى(٣) .

★★★

واختتم شوقى المهرجان ، بقصيدته الرائعة ، التى يقول فيها :

مرحبـــا بالربيـــع فى ريعانـــــه وبأنــــواره وطـــــيب زمانـــــه
يا عُكاظـــا تألـــف الشرق فيـــه من فلسطينـــــه إلى بغدانـــــه

إلى أن يقول ، متأثراً :

لست أنسى يدا لإخـــــوان صدق منحـــــونى جزاء ما لم أُعانـــــه

ثم يقول ، متواضعا :

رُبَّ سامـــــى البيـــــان نبَّـــه شأنى أنـــا أسمو .. إلى نباهـــة شانـــه !

ثم .. مفتخراً ـ بهذا البيت الذى عبَّر فيه عن شاعريته أبلغ تعبير :

كان شعرى هو الغنـــاء فى فرح الشر قِ ، وكان العـــزاءُ فى أحزانـــــه

★★★

والقديم الجديد (!!) ، الذى نضيفه ونكشف عنه أسدال الماضى ، أننا عثرنا على عدد قديم من مجلة (سركيس)(٤) الصادرة فى أول يونية سنة ١٩١٢م (العدد الحادى عشر من السنة السادسة) ـ وفى هذا العدد تفاصيل مهرجان ، أقيم لتكريم حافظ إبراهيم ، يسبق مهرجان شوقى بخمسة عشر عاما ، حينما أنعم الخديوى عباس حلمى على حافظ بالرتبة الثانية (البكوية) ، فصار يُلقَّب بـ (عزتلو حافظ إبراهيم بك) .

ومن عجائب الأمور ، أن هذا التكريم قد تم لحافظ إبراهيم سنة ١٩١٢م ، بعد تعيينه رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب فى عام ١٩١١م ، فى عهد أحمد حشمت باشا وزير المعارف ، براتب شهرى قدره أربعون جنيها ـ وهو مبلغ كبير فى حساب ذلك الزمان ـ بعد أن كان قد انقطع زهاء العام ، عن نظم الشعر ، وبعدما عانى من شظف العيش وقلة ذات اليد ، الأمر الذى دفعه إلى أن يقول :

---

(٢) يعنى بساكن النهرين : أهل العراق حيث يجرى فى أرضهم دجلة والفرات .
(٣) انظر عدد مجلة (المجلة) ص٨٤ الصادرة فى كانون أبريل أول سنة ١٩٦٨م .
(٤) هو سليم سركيس ، وقد سمى المجلة (مجلة سركيس) .

سعـيتُ إلى أن كِدْتُ أُنتعـل الدِّمـا وعُـدْتُ .. وما أعْقبْـتُ إلا التَّنَدُّمـا
لحا الله عهـد القـاسطين الـذى به تهدَّم من بُنْيانِنـا ما تهدَّمـا
إذا شئْتَ أن تلقـى السعـادة بينهم فلا تك مصريـا ، ولاتك مسلمـا
.. سلام على الدنيـا ، سلام مودِّع رأى فى ظلام القـبر أنسا ومـغنما

وقد « سكن حافظ إبراهيم إلى الوظيفة فى دار الكتب سنة ١٩١١م ، فبقى بها عشرين عاما ، لم ينظم فيها شيئا من القصائد غير المراثى(٥) ، التى كان يشيع بها الكبراء والعظماء ، ورجال الأدب » (٦) .

وفى هذا يقول فيلكس فارس ، فى رثاء حافظ :

إذا البلبل الصَّدَّاح أكْمـل شَـدْوه فما تطلب الدنيا .. وقد نَفَدَ العُمْر ؟

***

وقبل ذكر تفاصيل مهرجان تكريم حافظ سنة ١٩١٢م ، نجد صاحب مجلة (سركيس) ، يذكر أنه قد أقيم تكريم آخر ، يسبق هذا التكريم ظفر به حافظ إبراهيم فى الرابع والعشرين من مارس سنة ١٩٠٨م ، فى حفل أقيم بفندق شبرد ، يشهد الذين حضروه أنه كان أفخم حفل من هذا القبيل ، تصفه جريدة الأهرام ، فى حينه ، أن ليلته كانت : « من أبهى الليالى وأسْناها ، برز فيها البدر ـ أى حافظ إبراهيم ـ يسطع فوق رأس القطرين المتعانقين (يعنى مصر وسوريا)(٧) ، معانقة الحب والوئام » .

ولم يثبت صاحب مجلة سركيس ، شيئا مما قيل فى هذا الحفل الأول إلا أننا نجد فى ديوان حافظ نص القصيدة التى أنشدها فى هذا الحفل ، بعنوان (سوريا ومصر) وفيها يقول :

لمصر أم لربـوع الشام تنـتسب هنا العـلا .. وهنـاك المجد والحسب
ركنـان للشرق لا زالت ربوعهمـا قلب الهلال(٨) .. عليها خافـق يجب

(٥) ولعل ذلك هو تعليل وتفسير قوله عن نفسه :
إذا تصفـحت ديـوانى لتقـرأنى وجـذت شعـر المراثى نصف ديـوانى
ولعل ذلك ، أيضا ، هو الذى حدا بشوقى أن يقول فى رثائه (معترفا بعبقرية رصيفه فى الإبداع الشعرى) :
قد كنت أوثـر أن تقـول رثـائى يا منصف الموتى من الأحيـاء
(٦) انظر كتاب (شوقى وحافظ) لطاهر الطناحى ط دار الهلال ص ١٣٦ .
(٧) لأن صاحب مجلة (سركيس) يذكر أن بعض السوريين هم الذين اقترحوا إقامة هذا الحفل ـ بأريحية ـ كما يقول بعدد أول يونية سنة ١٩١٢م .
(٨) انظر ديوان حافظ جـ١ ص٢٥٦ . ويعنى بالهلال : شعار الدولة العثمانية .

إلى أن يقول ، بيته المشهور :

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكـــم فصافحوها .. تصافح نفْسَها العربُ

***

ويتحدث صاحب مجلة (سركيس) ، بإسهاب ، عن الحفل الثانى الذى أقيم مساء يوم الجمعة الموافق الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩١٢م ، وتحدث سركيس عنه فى عددى : ١ و ١٥ يونية من مجلته ، وأورد تفصيلات دقيقة مشوقة عما دار فى الحفل ، نوجزها فيما يلى – بعد نشر صورة الدعوة التى وُجِّهت لحضور ذلك الحفل ، وكانت كالتالى :

احتفال مجلة سركيس
لإكـــرام

عزتلو حافظ بك إبراهيم رئيس القسم الأدبى فى دار الكتب الخديوية بمناسبة إنعام الجناب العالى عليه بالرتبة الثانية تحت رعاية عطوفة الوزير الخطير محمد سعيد باشا القائمقام خديوى ورئيس النُّظَّار ونيابة سعادة الوزير الفاضل أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ورياسة سعادة أحمد بك شوقى شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية .

***

وفى الموعد المحدد ، أعدَّت القاعة الكبرى بفندق الكونتننتال ، للاحتفال ، وفى صدر القاعة ، أقيمت منصة مرتفعة ، جلس عليها الشعراء والخطباء ، على الترتيب التالى :

فى كرسيين عن يمين جناح المنصة جلس أولا : سعادة شوقى بك شاعر الأمير ورئيس الحفلة ، وإلى يمينه جلس صاحب مجلة سركيس (الداعى لإقامة الحفل) ، وقُبالتهما فى جناح المنصة الأيسر ، جلس حافظ بك إبراهيم ، وبجانبه داود أفندى بركات (رئيس تحرير الأهرام) ، وجلس فى الضلع الأوسط تجاه الجمهور حضرات الشعراء والخطباء ، وهم : خليل أفندى مطران ، وطانيوس أفندى عبده صاحب مجلة الراوى ، ومحمد بك حافظ رمضان ، أحمد أفندى نسيم ، الشيخ محمد عبدالمطلب المدرس بمدرسة القضاء الشرعى ، يوسف أفندى فهيم الكريدلى ، عبدالحليم أفندى حلمى المصرى ، الشيخ محمد المهدى من مدرسة القضاء الشرعى ، نقولا أفندى رزق الله مدير إدارة الأهرام ، وصاحب مجلة الروايات الجديدة ، جورج أفندى طنوس ، صاحب جريدة الرقيب ، الدكتور شدودى ، ولما شرَّف الحفل سعادة حشمت باشا

ناظر المعارف ، استقبل بالإكرام اللائق ، وجلس فى صدر الجمهور ، وعن يمينه سعادة السيد على يوسف مؤسس جريدة المؤيد ، فعزتلو إسماعيل بك شيرين سكرتير عطوفة رئيس النظار .

• وقد شرف الحفل فضيلة الأستاذ الأكبر سليم البشرى شيخ الإسلام ، وجلس عن يساره سعادة إسماعيل باشا البرعى فسعادة إسماعيل باشا أباظة إلخ ، وقد حرص (سركيس) على إثبات أسماء الجميع ، لأنهم كلهم جديرون بالذكر ، لأنهم يؤلفون فى مصر ، دولة الأدب والعلم .

وتم افتتاح الحفل بقصيدة شوقى ، التى يقول فيها :

نظمْنا سنىَّ التهنئات نزفها ... إلى علم بين النوابغ مفرد
ولو أنَّ مَنْ أقلامُهُ فى أكفِّنا ... وقُلنا .. لجاء القول إنجيل مُهتد

ومَنْ يتعهد للرجال صداقة ... يَطِبْ بالذى تسرَّ الصديق ويسعد
ومن يحفظ الخلان يحفظ مدارعا ... عليه ، ويستثمر غراسَ التودد

وما (حافظ) إلا بناء مكارم ... وزاخر عرفان وهضبة سُؤدد
فمتى يرفع الأشعار - ما شاء - قدْرها ... وترفعه الأشعار رتبة مخلد

ويلقى عليه فى السلام وفى الوغى ... رجاء يراع أو رجاء مهند
ألا عند مصر والبيان وأهله ... يدٌ للخديوى صادفت حافظ اليد

وفى العدد القادم نواصل الحديث بإذن الله تعالى .

الجارم: شاعر الجزالة العربية فى العصر الحديث

بقلم المستشار / سيف النصر عبد العزيز المجلى

أيام الجارم وخطرات الثقافة :

زرت أستاذنا الشاعر الكبير المرحوم « على الجارم بك » حين كان عميدا لكلية دار العلوم وكنت فى مطلع شبابى .. مغرماً بالتعرّف على أمثاله من رجالات الأدب فى مصر .

وقد عاصرتُه وعاصرت كثيراً من رجال مصر الأعلام ، وفى زمن أستاذنا المرحوم « الجارم » كانت الحياة الأدبية فى مصر وبعض الأقطار العربية كسوريا ، ولبنان – تزخر بالأعلام العمالقة فى الشعر والنثر .

فشوقى – قد أحيا الروح الشعرية – بعد البارودى – وشحذها – هو وحافظ والجارم وعبد المطلب ومحرم والكاشف ونسيم والهراوى ، كما أحيتها الدراسات الأدبية والنقدية التى كانت تمتلىء بها المدرجات فى كليات الجامعة وأروقة الأزهر وكلياته ومدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم ، وما يدور من جدل ونقاش ومحاضرات فى الأندية والجمعيات التى نشأت بتأثير مما عاد به المبعوثون من أفكار ودراسات أوروبية من الخارج .. ومما أنشأه كبار الأدباء والنقاد من مدارس أدبية « كمدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو » ومما أشاعوه بين الكتاب والشعراء فى مصر وغيرها .. كل ذلك – قد حرّك سواكن النفوس – وغذّى استعداد المواهب وحفزها على التسابق فى الإبداع ، وجعل من المبدعين أحد فريقين .

فريق يستهويه – الغرب – بأفكاره ومعانيه – وقد أخذ هذا الفريق يعيب الشعر العمودى . ويعيب على قائليه ، تمسكهم بقالبه القويم ونظمه الموروث ، ويدعو إلى تحريره من قيود الوزن والقافية .. وقد أتاحت هذه الدعوة لكل عيى الفرصة لكى ينطلق بيانه بكل غث ركيك .. وظهر من الشعر ما يسمى بالشعر الحر ، أو الشعر المنثور ، أو الشعر المرسل ، أو الشعر المطلق .. إلى آخر هذه المسميات .

وفريق : يستمسك بالشعر العمودى فى وزنه وقافيته ، ولا يمنع أن يجنح خياله كيفما شاء فى القصيدة المتماسكة مع وحدتها العضوية ورقتها اللفظية – إلى ما شاء له الخيال واتسع له اللفظ .

وكلا الفريقين : ظهر منهم عباقرة ونوابغ فشوقى وحافظ وعبدالمطلب كانوا ومن سار على دربهم – على رأس الفريق الثانى المستمسك بالوزن والقافية وصلاح عبدالصبور وأمل دنقل وفاروق شوشه فى تحوله الأخير – كانوا من الداعين دعوة الفريق الأول إلى الشعر الحر وسائر مسمياته الأخرى .

وكان هناك فريق ثالث – اعتز بقالب شعر عروبته الموروث ونزع إلى الثبات على قالبه ، والاعتزاز بقافيته . لكنه جدّد فى لفظه ومعناه – وإن تخلفت به غايته عن جذالة الشعر العربى القديم وإشراقة ألفاظه .. وكان من هؤلاء الشعراء المرحومين الدكتور إبراهيم ناجى والمهندس على محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل ومن نهج نهجهم من الشعراء الذين عرفهم القرن العشرين وآخر أيامه وسنواته .

وكان هناك رجل واحد – كان فريقا وحده – انفرد بالاحتفاظ بعمود الشعر ووزنه وقافيته ، وروعة المعنى مع جذالة اللفظ وقوته ، وحسن صياغته ذلك هو شاعرنا « على الجارم » رحمه الله . ـ تعالى (*) .

ومعروف – لدى الأدباء والشعراء والنقاد – أن كل فريق من هؤلاء منذ أصدر العقاد والمازنى كتابيهما « الديوان » وهاجما فيه شوقى وشعره بحسن نية أو بسوء نية .. قد أغطشت سحب هذا الديوان على الحياة الأدبية فى « مصر » – كما أغطشت شهرة شوقى وحافظ عليها – حتى جعلت اليأس يطبق على صدور الشعراء الناهضين من أمثال « الجارم ، ومحرم » أن ينالوا مجانبها حظا من الشهرة الواسعة أو الخط العريض ، خاصة بعد أن صار « شوقى » فى مبايعة حافلة من شعراء الأقطار العربية « أميراً على الشعراء » وبعد أن أصبح « حافظ » ملقبا بـ « شاعر النيل » أو « شاعر الوطنية » جزاء ووفاء على ما قدم للوطن من إخلاص ووفاء وعلى ما شارك به الشعب فى سرّائه وضرّائه من شعور صادق أمين .. بين هذا الجو المتلاطمة سماؤه بألوان الغيوم

(*) فى الحق مشاركة غيره فى ذلك .. على الأقل شوقى وحافظ .

والمنقطعة فيه آمال الشعراء الناهضين ، تبدد الأمل من نفس كل شاعر أن يلحق بشوقى فى إمارته أو يدرك « حافظاً » فى شعبيته ووطنيته . وأن يمكن أن يحق بهما فى جودة ويدركهما فى صدق الوطنية ووقف « الجارم » على الطريق ينتظر كيف يأخذ سبيله بين هذين العملاقين ؟ وأتخيله الآن . وكأن سؤالاً – قد دار بذهنه يسأله – إذا كانت الحياة الأدبية فى مصر الآن يتربع عليها هذان الشاعران .. فكيف يتاح لى أن أظهر على سطحها ، وأن يكون لى شهرة « شوقى العملاق أو حافظ المغوار » مع أن المتطلعين لهذه الشهرة كثير ؟ .

وأجيب عما تخيلته سؤالا دار بخلد « الجارم » فى طموح صباه الباكر فأقول .. إن الجواب تتكلف به المواهب الكثيرة التى اختص الله ـ تعالى ـ بها « الجارم » ؛ فقد كان يرحمه الله – ذا موهبة شاعرية فطرية فيّاضة – كما كان ذا موهبة نثرية خلّابة . وكما كان ذا موهبة خطابية جذّابة . فقد كان ذا تعبيرات ساحرية تجرى منسابة على لسانه حتى فى أحاديثه العادية .

وكانت هذه المواهب فيه تتمتع بقدرة عجيبة من الاستيعاب والحفظ والذكاء وقد أثمرت هذه الحال عن نجاح متفوق ، وتفوق ممتاز حتى على الحياة نفسها فيما واجهه فيها من شدائد وصعوبات . كما أثبتت إحاطته الشاملة بفنون النثر – حتى أصبح أحد أعلامه ، أنه رجل ذو قدرات فتية ، انفرد بها عن كثير من الموهوبين ، وإن كانت قد غطّت عليها – شهرته الشعرية– إلا أنها لم تحجبه أن يكون علماً من أعلام النثر الفنى عند المتخصصين . وواحدا على القمة من قائمة رجاله المبدعين .

كذلك يعتبر فى الترجمة من أقدر المترجمين إلى اللغة العربية كذلك هو فى الكتابة التاريخية .. من أقدر الكاتبين دون أن يشوِّه حقائق العلم أو التاريخ ، وهو فى الرواية والقصة من أرق الكتاب الروائيين والقصصين ، روعة فى الاختيار وحسنا فى العرض ، وجمالا فى الأسلوب ، وفنا فى الحبك .

وقد أثمرت قدرته – على الحفظ – الذى أجزم بصدده – هو الذى أعانه إعانة قوية على التعبير الشعرى بما يشاء وكيفما يشاء – فقد كان ذا قدرة فائقة على اختيار الكلمات ، ووضعها فى مواضعها التى لا تخطئها – مما أكسب « شعره ونثره » جذالة ونصاعة فى التعبير ، وإشراقا ونورا فى الأداء .

لقد أصقل مواهب « الجارم » حفظه فى الصغر للقرآن الكريم ولكثير من أحاديث الرسول ﷺ ولجملة غير قليلة من الحكم والأمثال العربية ولكثير من الشعر والنثر . وهذا هو الذى يصقل موهبة كل من يريد أن يتصدى لقرض الشعر أو كتابة النثر .

وهذا – بالإضافة إلى ما أفادته به – الثقافة الأجنبية فى دراسته بالجامعات الأوروبية التى لم تستطع أن تنال من قيمه العربية أو تصرفه عن أخلاقه الإسلامية .

تلك – مقدمة – لا بد منها – لإلقاء الضوء على « الجارم » وإعطاء « شعره حقه فى ناحية من نواحيه .. إلى أن يصح « الجسم » ويستطيع الحديث عن شعره ونثره ويوفى الجارم حقه فى كل مواهبه ومزاياه .

وحتى تنكشف لراغب تأريخ الدراسات والمدارس الأدبية فى العصر الحديث ومكانة الجارم بين شعراء عصره ، وعوامل تفوقه التى جعلت منه أحد ثلاثة تربعوا على عرش « الشعر » فى العصر الحديث . « شوقى ، وحافظ والجارم »(*) وأصبح واحدًا من الشعراء المعروفين المتفوقين بشعره القوىّ الناصع على كثير من الشعراء المشهورين فى عصره وزمانه من أمثال عبد المطلب ومحرم ، والغاياتى وغيرهم من الشعراء المعاصرين له : الطامحين إلى ما طمح إليه « شوقى وحافظ والجارم » من شهرة فى الأدب ومجد بين العرب .

يجب علينا – إزاء من يرغب – التصدى لهذه الدراسة أن نلّم – إلمامة ولو خفيفة – بنشأة « الجارم » وحياته ، ومؤثرات بيئته فيه ، وما اكتنفه من ظروف وصنوف .

بيت الجـــارم :

نشأ « الجارم » فى بيئة علمية ؛ فوالده المرحوم « محمد صالح الجارم » أحد العلماء المتخرجين فى الأزهر ، وأحد القضاة البارزين فى المحاكم الشرعية .. عمل فى الزقازيق – عاصمة الشرقية ، وفى الفيوم ، وتنقل بين كثير من المحاكم فى المملكة المصرية – حينئذ –

وقد أنجب والده الشيخ « محمد صالح الجارم » غير أديبنا « على » عددًا من أولاده الذكور – هم فى تسلسلهم بالتتابع الشيخ « محمد مأمون الجارم » و « الشيخ عبد الفتاح الجارم » والشيخ « عبد المحسن الجارم » والشيخ « محمد نعمان الجارم » وهـذا الأخير كان « قاضى قضاة السودان » بعد الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغـى – رحمه الله – الـذى كان – فيما بعد – شيخا للأزهر – ثم تولى بعده – أى بعد الشيخ محمد نعمان الجارم – الشيخ حسن مأمون الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد .. رحمهم الله .. وكان الشيخ حسن مأمون آخر قاض من القضاة المصريين يتولى هذا المنصب العظيم .. بعد أن تمت سودنة هذا المنصب ، وقصرت وظيفته على السودانيين .

ثم رزق الشيخ « محمد صالح الجارم » بعد ولده « محمد نعمان الجارم » بولده « على » شاعرنا أو قل الشاعر الجذل .. الذى نتحدث عنه .. قد رزق والده بعده بنتين من كرائم العقيلات هما السيدة « سلافة الجارم » والسيدة « عائشة الجارم » .

وهؤلاء الإخوة المذكورين والمذكورات .. هم الإخوة الأشقاء للشاعر « على الجارم » .. وله غيرهم إخوة غير أشقاء من سيدة أخرى تزوجها والده بعد وفاة والدة « على » .

(*) هذا رأى الكاتب فمن شاء التعقيب عليه بلغته علمية بعيدة تماما عن الارتجال فإن المجلة ترحب به .

وقد أنجب من هذه السيدة الأخيرة ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .. هم عبدالحكيم وإبراهيم ، وعبدالمنعم ، ومفيدة الجارم .

والذى ينظر إلى نشأة والد « علىّ » وإلى ماقدمنا به إخوته من لفظ « الشيخ » يجد أن بيت « الجارم » كله .. تغلب عليه النشأة الدينية ويُشكل بيئة أزهرية .

ومعروف أن البيئة أو النشأة الأزهرية .. إنما تنمو وتترعرع فى البيئة الدينية . وأن البيئة الدينية إنما تزدهر وتقوى فى البيئة الأزهرية ، وكلتاهما تغذى الأخرى .. فالأزهر هو الامتداد الطيب للإسلام وهو ناشره وحامل دعوته ورسالته .. وقد سارت هذه البيئة مع شاعرنا « الجارم » من بداية طفولته – إلى نهاية دراسته .. وإذا كان هذا الذى قدمنا من الثوابت المعروفة فى حياة الجارم .. فليس هناك من عجب أن يكون شاعراً له قدرته وقوته بفضل ما غرسه فيه « والده » من حفظ للقرآن الكريم ونصوص الشعر والنثر . وأدب الحكمة والمثل .. أضف إلى ذلك « التنافس الضخم » الذى كان يقوم بين على وبين هذا العدد الكثير من إخوته .

ومع هذا المظهر الفخم من مكانة « والده » بين العلماء و القضاة ثم مكانة شقيقه « محمد نعمان الجارم » قاضى قضاة السودان .. نجد أن الطموح الذى كان يعتمل فى قلب ونفس الشاعر « على الجارم » كان طموحاً عارماً يحاول أن يكون به .. صورة من أبيه أو أخيه .. وقد كان .

فقد نال « شوقى » إمارة الشعر على الشعراء وأصبح هو « شاعر العروبة » وحظى « حافظ » بلقب شاعر النيل أو شاعر الشعب . ولم يعد هناك مكان لشاعر يزاحمهما فى اللقب الذى حظى به كل منهما .

ولكن « الجارم » وهو الشاعر الذى يبحث لنفسه عن مكان يكون ذا وصف وصفة – كما لشوقى وحافظ ، بين الشعراء .. يستثيره الطموح فيستغل حفظه للقرآن الكريم ، ولكثير من الأحاديث النبوية ، والنصوص الأدبية من الشعر والنثر .. فيدفعه طموحه إلى أن يقفز ويجرى ليسابق فى الحلبة .. هذين العملاقين .. فيأخذ فى تجويد شعره ويجعل « الجذالة » عمود أبياته ، وعصب قصائده ولا ينسى أن يخرج « المعنى الجميل » .. فى اللفظ الجذل .. حتى تأتى قصائده قوية فتية .. تتباهى بوحدتها العضوية . فتشد الأسماع وتدهش النفوس . مقروءة أو مسموعة .

وبهذا لفت « الجارم » إليه الجماهير والشعراء فى الوطن العربى ، واستطاع أن يلفت إليه الأنظار والأسماع ، وأن يحوّل إليه قلوب المعجبين ، وأن يجعل من نفسه شاعراً فى مصاف « شوقى وحافظ »(*) بل وأسبق منهما فى بعض الأحيان . كقوله فى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م – راجع ص ١٨١ جـ ٢ من ديوانه الرائع :

(*) لم نعثر لحافظ على مدحة نبوية .. وهذا عجيب .. مجلة الأزهر .

تحيـــة ناءٍ من شذى المسكِ أطـــيَبُ ... ومـن قطـرات المزن أصفـى وأعـذَبُ
وتبريح أشواق إذا ما تنفـــــــثت ... يكـادُ لها فحـمُ الدجـى يتلـــهب
وقـلبٌ يضيـــقُ الصدرُ عن نبضاتـــه ... فيخفـــق غيْظـــاً بالجنـــاح ويضرب

إلى أن يقول :

بنـفسى وليـداً فى أباطـــح مكــــة ... تتيــه به الدنيـــا ويشرف يغـــرُب
أطـــلَّ عليها مثلمــــا تبسم المُنـــى ... ويسطعُ فى الليـل الحُـدارِىِّ كوُكَب

ويقول فى رثاء « محمد محمود باشا » :

جُودى بما شئتِ من ذوْب الأسى جُودى ... أوْدَتْ صُروفُ الليالى بابـــن محمـــود
أوْدَت بأشجــع من خف الرعيـــل به ... يوْم النِّضال ومَنْ نادى ومـــن نُودى
أوْدَت بمن تعرفُ الساحـــاتُ كرتـــه ... إذا تنـــــــكّت عنها كلُّ مؤءود
ويشهـــــــدُ الحقُّ . أنّ الحقَّ فى يده ... سيـــفٌ يروع المنايـــا غير مغمـــود

ويقول حين أنشئت « جامعة الدول العربية » وحضر زعماء العالم العربى افتتاحها بالقاهرة ، راجع ديوان الجارم ص٣٤٧ جـ٢

سَنا الشرق من أىِّ الفراديس تنبعُ ؟ ... ومـــن أىِّ آفـاق النبُـوَّة تلمَـــعُ ؟
وفى أىِّ أطـــواء القـــرون تنقـــلت ... بمصبـاحك الدنيـــا يَشبُّ ويسطـــع
طلعت على الأهرام والكـوْنُ هَامـدٌ ... وأشرقْت بالإلهام والنـــــاس هُجَّـــع
طلــــعت شُعاعـــاً عبقريًّـــا كأنما ... من الحنِّ أو نور البصائـــر تطلـــع
وجَمَّعتَ أسْـرارَ العقول فهـل دَرَتْ ... مخابىء فِرعـــوْنٍ بما كنت تجمـــــع

وفى ذكرى الشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم يقول فى الجزء الثانى من ديوانه ص ٣٥٢ :

ضلَّ شعـــرى ، ونـــدَّ عنـــى بيـــانى ... ما على الشاعريـــــن لو أرشدانى ؟
ضاع فى ظُلمــــة المشيب أنينـــــاً ... وبكـــى فى الصبـا بيـــاض الأمـــانى
مزْهـــــرٌ أنَّ فى قِفــــارِ فلاة ... وابـــــن غصنٍ شدا بلا أغصان !
بين قوْم ما رَنّ فى سمعهـــم أخـــــ ... ـــلى فشيـــد من أصفـــرٍ رنـــان
صَدَفَتهـــمْ عن خالـــد الغنـــة أضغـــا ... ثٌ وزهْـــو من كاذب العـــيش فإنى

إلى أن قال :

سَـكتَ العندليبُ فى وحْشَـةِ الـدّوْ ... ح وغـــــنَّتْ نواعـــقُ الغِرْبـــان
فسمعنـــا من الـــنشوز أفانيـــــ ... ن يُرَوّعْـــــنَ صادح الأفنــــان
أسْمعُونـــا برغمِنـــا فصبرنـــــا ... ثُمَ ثُرْنـــا غَيْظـــا على الآذان

ويقول فى رثاء شاعر العراق « جميل صدقى الزهاوى » ـ رحمه الله تعالى ـ فى حفل دُعى إليه « الجارم » وشعراء الأقطار العربية ـ راجع جـ٢ ص٣٨٢ :

جَفَا الرَّوْضَ مُغْبَر الأسارير مَاطِــرُهْ   وغــادَرَه قفْــرَ الخمائـــل طائِـــرهْ
ذوَى نَبْتُــه بعــد الـــبَشاشة وازْتمتْ   مُصوحـــة آثـــارهُ وأزاهـــرُه
تلفَّتُ .. أيْن الرّوْض . أين مكانُـــه   وأيْـــن مجاليــه . وأيـــن بواكـــرُه

ويقول في مدح الإمام « محمد عبده » وهو طالب بالقسم الثانوى ـ قصيدة رائعة تنبىء عما نتحدث عنه من مستقبله الخالد فى الشعر يقول ـ رحمه الله تعالى :

مَوْلَاىَ علمْتنـــى كيْـــفَ الثّبـــاتُ إذا   لم يثْــرُكِ الـــرُّغب قَلْبــاً غير مزؤودِ
علَوْت فازْدَدْتَ بيْنَ النّـــاسِ معْرفـــة   والنّجْمُ يَعْلو فيَبْدو شِبْـــهَ مفقُــود !
وأصْبَـــح الدّيـــن تيّاهـــاً بنـــاصره   والضادُ تزهـــى بتجميـــل وتجْديـــد

ومعروف أن الإمام « محمد عبده » كان أستاذاً « للجارم » وكان « الجارم » واحداً من تلامذته الأوفياء النجباء ـ فلا عجب أن يمدحه ويثنى عليه بما علم ويعلم منه ، ويقول فى تحية « دار الإذاعة » ، وكانت قد احتفلت فى شهر ابريل سنة ٣٧ بانتهاء العام الثالث من إنشائها ، ودعت لذلك نخبة من رجال العلم والأدب لتذيع « قصيدة » اختصها « الجارم » بها فى هذه المناسبة ـ راجع ديوانه جـ١ ص١٩٣ :

سَـــارِى الهواء ملَـــكْتَ أىَّ جنَـــاح ؟   وحَلَـــلْتَ أىَّ مَشارف وَبِطَـــاح ؟
وبِـــأىِّ نَاحيـــة أقَـــمتَ ؟ فإننـــى   ألقـــاك بيْـــــن توثب وجماح
تجرى فتنتظـــمُ المدائـــــن والقُـــرى   وتفوتهُـــــن إلى مَدى فيَّـــــاح
لا البَرْقُ يَسْرى حَيْث سِرْت ولا رَمى   نسْـــــرٌ إلى ما رُمْتـــهُ بجنَـــاح

وأبرز ما فى أغراض « على الجارم » الشعرية ـ رثاؤه الذى ينم عن الوفاء لإخوانه وأحبابه من العلماء والأدباء وغيرهم ، وقوميته العربية ، ووطنيته المصرية التى تدل على انتمائه القوى واعتزازه الشديد بوطنه وعروبته ـ يقول فى رثاء إسماعيل صبرى باشا من قصيدة مطلعها :

صَـــادِحَ الشرْق قد سكتَّ طَويـــلا   وعزيـــــزٌ عليْـــــهِ ألّا تقـــــولا
أيْـن ذَاكَ الشعْرُ الـذى كُنتَ تزجـــ   ـــيه فيسْرى فى الأرْض عَرْضاً وطولا
قلْ سَمِعْنَـــاهُ فى المَزَاهِـــر لحْنـــاً   وسَمِعْنَـــاهُ فى الحمَـــام هَديـــلا

وعندما نلتفت إلى عروبته وقوميته ـ نجده حينما بدأت قضية « فلسطين » سنة ١٩٤٨ ـ ينفعل معها انفعالا شديدا ، ويقول قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

تألّــقَ النصْـــرُ فاهتـــزّتْ عَوَالينـــا   واستقْبَلتْ موْكبَ البُشْـــرَى قوافينَـــا
غنَّى لَنَا السَّـيْفُ فِي الأعْنَاقِ أغْنيـــةً   عَزّتْ على الأيْك إيقَاعـــاً وتلحينـــا

ويسافر سنة ١٩٤٨ ـ إلى بغداد ليشارك فى حفل افتتاح « المؤتمر الطبى العربى » وليلقى فيه داليته المشهورة والأثيرة عند أهل العراق ـ كما لمست منهم فى المؤتمرات التى دعيت إليها وحضرت فيها فى القطر الشقيق ـ والتى يقول فيها :

بغــــداد يابلـــد الرشيـــد ومنـــارة المجـــد التليـــد
يا بسمـــة لمّـــا تزل زهـــراء فى ثغـــر الخلـــود
يا موطـــن الـــحب المـــقيم ومضـــرب المثـــل الشـــرود
يا سطـــر مجـــد للعروبـــة خـــط فى لـــوح الوجـــود
يا رايـــة الإســـلام والإ ســـلام خفـــاق البنـــود
يا مغـــرب الأمـــل القـــديم ومشـــرق الأمـــل الجديـــد
يا بنت دجلـــة قد ظمئـــ ـــت لرشيـــف مبسمك البـــرود
يا زهـــرة الصحـــراء ردّ ى ، بهجـــة الدنيـــا وزيـــدى
يا جنّـــة الأحـــلام طا ل ، بقومنـــا عهـــد الرقـــود
يا بهـــرة المـــلك الفسيـــ ـــح ،وصخـــوة الملك الوطيـــد
يا زورة تحيـــى المنـــى إن كنت صادقـــة فعـــودى

ونراه يشيد بالإسكندرية وعراقتها فى قصيدته التى أنشدها فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى بحديقة النزهة عام ١٩٤٣ م أثناء الحرب العالمية الثانية وهى تفيض عذوبة وجمالا كسابقتها فى بغداد فيستهلها :

بدت أعلامهـــا فهفـــا وهامـــا سلامـــاً درّة الـــوادى سلامـــا

وفى سنة ١٩٤٤ م ــ يلقى فى حفل افتتاح « المؤتمر الطبى » بلبنان قصيدته الرائعة :

القيـــت للغيـــد الملاح سلاحـــى ورجعت أغسـل بالدمـوع جراحـــى
ولمحت ريحـــان الصبـــا فرأيتـــه ذبـــلت نضارتـــه على الأقـــداح
كان الشبـاب طماح لاعجة الهـــوى واليـــوم يرفـــع ساعديـــه طماحـــى

أما قصائده فى وطنياته . فقد كان فيها شعوره فياضا بحب مصر جياشا بالعاطفة نحوها يقول فى قصيدة بعنوان « مصر » :

صوّر الله فيك معنـــى الخلـــود فابلغـــى ما أردتـــه ثم زيـــدى
أنت « يا مصـــر » جنّـــة الله فى الأز ض وعيـــن العـــلا وواو الوجـــود

وهكذا نرى « الجارم » يسير على دربه من الجذالة والفخامة فى شعره الذى تعوده منه الناس وأحبوه وعشقوه من أجله . فقد رأوا فيه منشوراً أو مسموعاً جذالة لفظ ، وقوة تعبير ، وتماسك تأليف ، وحسن اختيار للألفاظ وجمال انتقال من البيت إلى البيت الآخر فى وحدة عضوية متماسكة فى صورة جمالية رائعة فهى فى حماسها زئير الأسد فى قوته وفى عذوبتها هزيج العصفور فى رقته .. شعر ربط الماضى فى جذالته وروعته بالحاضر فى رونقه ورقته نعم ــ هكذا كان « الجارم » شاعراً وناثراً ــ رحمه الله وطيب ثراه .

طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام

١٢

الدكتور/ عبدالقادر حسين

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

أسلفت القول فى دراسة سابقة عن صعيد مصر الذى أسهم إسهامات جليلة مذكورة فى مختلف المجالات ومتباين النشاطات العلمية والأدبية والثقافية وغيرها .

ثم إننى عزوت هذا الإسهام النافع المفيد فى شتى هذه المجالات ـ لطبيعة « الصعيدى » المفطور عليها من صلابة وجلد وصبر واحتمال ، مع الالتزام الجاد بالموضوعية وصدق التوجه والإصرار على بلوغ المأمول ، وهذه الخصال والخيم المرضية يتحلى بها أولئك المكافحون الذين ينحتون فى الصخر على سبيل الاستقامة دون كلل أو ملل أو سآمة .

ولا تكاد تمر فينة من الزمن حتى تتأكد لدى (كاتب هذه الدراسة) هذه العقيدة فتزداد تمكينا ورسوخا لا يزول ولا يحول بحال .

ولئن كانت هذه المناقب قاسما مشتركا بين الجمع الغفير من أولئك الملحوظين المنظورين إلا أن لكل شخصية من الشخصيات جوانب تميز تتفرد بها عن غيرها ، وما هذه إلى تلك إلا كضياء يتميزّ من ضياء ، سواء من جهة القوة ، أو التأثير أو غير ذلك من الخصال التى نعتبرها من الفروق الفردية التى لا بد من وجودها على أى حال .

صديقنا فى هذه الدراسة وصاحبها هو : الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين أستاذ ورئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر . صاحب العديد من المؤلفات والتحقيقات اللغوية والأدبية المنشورة ذات الأهمية العلمية .

هذا العالم يتزيا بخلق طيب ، وعلم واسع ، وأريحية سابغة ، التقيت به لأول مرة عند أحد الأصدقاء وسرعان ما تصافح قلبانا وعرفت للرجل فضله وعلمه وخلقه لأول وهلة ، وهو بتواضعه الشديد المعهود لدى العلماء كان يحسن الظن بى

ويظننى أستاذا للغة العربية فى إحدى الجامعات ، وكنت قد قرأت كل مؤلفاته وتحقيقاته تقريبا لكونى شغوفا باللغة العربية والأدب - ولا سيما - علوم البلاغة .

ولا أعدو الحقيقة إذا ما أكدت أننى كنت رأيته قبل أن ألقاه اللقاء الأول من خلال إعجابى الشديد ، وتقديرى الفائق لجهوده الميمونة فى دراسة وتحقيق أهم مصادر البلاغة لأسلافنا الكرام .

ينتمى الدكتور عبدالقادر حسين إلى أسرة متدينة تعرف حق ربها وحق الناس عليها ... نشأ والداه فى قرية اسمها (كوم أسفحت) مركز أبوتيج بأسيوط .

هذه القرية تميز أهلوها بالنشاط والجد والدأب فى التجارة فى بيع الأسماك ، حتى إنها لظاهرة غريبة حقا أن تشيع وتفشو مقولة ذائعة مفادها ومؤداها أنه ما من بائع أسماك فى حارة أو درب أو عطفة من دروب القاهرة إلا وتجده أسفحتيا أو تيجيا أسيوطيا ، فلا يخرج من غير هذه القرية بحال .

كان والد عبدالقادر - رحمه الله - من كبار تجار الجملة بسوق السمك بباب الحديد ، اشتُهِرَ بالأمانة والصدق والتدين ، فأحبه خلق كثير لكونه أمينا فى معاملاته ، صادقا فى أقواله ، كما كان ذا مروءة وفضل .

ولعل الله - تعالى - يريد أن يكافىء هذا الرجل الطيب الصبور المكافح - فيعلى شأنه ويرفع قدره بأن يرزقه من صلبه أبناء بررة مرموقين يحتلون مراكز علمية مشرفة ما بين : أساتذة فى الجامعة وأطباء ومهندسين فقرت عينه بهذا الغراس الطيب والمنفوح به من رب العزة - جل شأنه - .

كان الحاج حسين شديد الشغف والولوع بمصادقة الشيوخ من رجال الدين الأزهريين ، إذ يشعر إزاءهم بعاطفة دافئة ، ومشيج موصول ، وواشجة حانية ، وآصرة روحية موصولة .

كان من أقرب هؤلاء العلماء الأزهريين إلى قلبه وروحه ووجدانه الشيخ إبراهيم الدويرى الذى تخرج فى الأزهر فى « كلية الشريعة » والذى كان من رفقاء الملك فاروق فى أكثر أسفاره وسياحاته البحرية ، وهو أيضا من قرية « الدوير » التى تجاور قرية أسفحت مركز « أبو تيج » والآخر هو الشيخ سرور الذى كان يعمل بالقضاء الشرعى ، وكان يراه مفتيا قديرا موثوقا به لتبحره فى علوم الشريعة .

● ● ●

ولد عبدالقادر فى أول شهر ديسمبر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف فى شبرا مصر حيث كان عدن الحاج حسين ومستقره فى ذلك الوقت وقبل أن يبلغ من السنوات ستا من عمره ألحقه أبوه بمدرسة تحفيظ القرآن بجوار المنزل فى أول شبرا وكانت المدرسة فى ذلك الوقت فى المكان المسمى الآن « موقف أحمد حلمى » أمام نفق شبرا وجزيرة بدران .

وما أن بلغ من عمره ست سنوات تماما حتى التحق بالمدرسة فاستظهر فيها القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ثم التحق بالأزهر فأمضى سنوات أربع فى المرحلة الابتدائية وسنوات خمس بالقسم الثانوى .

درس « متن الإيضاح » فى الفقه و « قطر الندى » و « شذور الذهب » فى النحو فى القسم الابتدائى ، وهى مواد شديدة الصعوبة بالنسبة لأفهام

أولئك الصبية فى السن الصغيرة التى لا تكاد تصل إلى أربع أو خمس عشرة سنة .

كانت المناهج قوية تستعجم وتستغلق على استعداداتهم وقدراتهم لأن جرعاتها كثيفة ومعقدة وصعبة الاستيعاب مع مثل هذه الأعمار الصغيرة .

ثم كانت الدراسة الثانوية أيضا قاسية بالغة الصعوبة فهى على ما فيها من غزارة وكثافة إلا أنها كانت تنطوى على فائدة جليلة وعوائد منفوحة ، إذ أنها كانت سببا فى تأصيل وترسيخ وتمكين العلوم الأصيلة فى نفوس الشبيبة فى طوْر من أهم أطوار العمر حيث فراغ البال والتحرر من الهموم والأنكاد وشواغل الحياة التى تهدر من الطاقات ما يكدر الصفو ، ويلفت عن تحصيل العلم .

إن طوْر الحياة الأول بما يكانفه من قوة الصحة والعافية ، وفراغ البال ، وصلابة الشباب لهو الأنسب للتحصيل واستظهار العلوم النافعة والثقافات الواسعة ... لذلك فإنه من الظاهر المعلوم أن من ضيع هذه الفترة فى غير العلم يكون قد فاته خير عميم وفضل غزير .

درس عبدالقادر شرح ابن عقيل على الألفية (أقصد ألفية ابن مالك) الشهيرة فى النحو والصرف . كذا درس أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .

ثم كتاب « الاختيار فى تعليل المختار » من كتب الشريعة ، وكتابا بل كتبا عديدة فى التفسير والحديث والمنطق .

فأما علوم البلاغة فكان يدرسها فى كتاب الشيخ حامد عونى المسمى بـ « المنهاج الواضح » تيسيرا للطلاب بدلا من شرح التلخيص لسعد الدين التفتازانى .

ثم حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان تفوقه ملحوظا ، ثم التحق بكلية اللغة العربية ، وذلك على الرغم من اشتهاره بين زملائه وأترابه باستظهار الفقه والتبريز فيه ، والتفوق فى استيعابه مما حدا بأضرابه وأترابه إلى تسميته أبا حنيفة ، إذ كان مولعا بالمسائل الفقهية ، ومسايرة الفقهاء فى تعليلاتهم وربط القواعد الفقهية بالقضايا الأصولية ، بيد أن اللغة العربية كانت أشد سيطرة واستيلاء عليه وعلى توجهاته فى ذلك الوقت ، فأفرغ جهده ، وصرف عنايته لينهل من كتب الأدب العربى الحديث ونقده قارئا بل حافظا كل ما يقع فى يديه من : مؤلفات ومصنفات ومحررات أعلام الأدب والفكر ، ولكم كان مأخوذا مشدوها وشديد الإعجاب بمؤلفات بعض الأدباء المعاصرين على الرغم من التباين الظاهر والخلاف الواضح بين كلا الأسلوبين أو بين كلتا المدرستين فى الأسلوب .

ولعل ما تتميز به شخصية عبدالقادر حسين هو أنه بطبيعة تكوينه يحب الوضوح والتيسير والسلاسة مع الرغبة فى التركيز الدقيق المكثف .

تخرج صديقنا فى كلية اللغة العربية وحصل على الشهادة العالية « الليسانس » سنة ستين ، إحدى وستين ، ثم التحق بقسم تخصص التدريس ليحصل على مؤهل تربوى .

ثم حاول العمل بالإذاعة لكن ذلك لم يكن مقدرا له ، لكن تحقيقا لرغبة أبيه فى أن يكون وشقيقه الأكبر أزهريين يعملان بالتدريس أو الوعظ

والإرشاد والإفتاء ـ كان مقسوما له أن تمهد له هذه المهمة .

ثم تعيينه بالأزهر ، فى وقت كان التعيين فيه صعبا وعسيرا شاقا للغاية ، وكان ذلك فى أبريل سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف .

ثم تسلم عمله بإدارة الامتحانات بالأزهر بالقاهرة بجوار مسجد سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ وكان عملا روتينيا بسيطا أفسح له وقتا كافيا للقراءة الواسعة والثقافة العريضة فكان العمل لا يتعدى سويعات .... يقرأ جرائد الصباح ثم يقرأ كتابا ثم يذهب إلى البيت مستمرا ومداوما على القراءة بلا انقطاع لا يعوقه ولا يلفته عنها عائق ، ولا لافت ، يقرأ بحب وشغف كل ما تصل إليه يده من فن أو علم أو أدب أو فلسفة أو منطق سواء أكان المصنف قديما أم حديثا .

ثم أعير سنة أربع وستين وتسعمائة وألف إلى « اليمن » للتدريس بالمعهد الدينى بصنعاء وكان هذا الانتداب أو الإعارة متزامنا مع دخول القوات المصرية اليمن فى الحرب المعروفة وقت ذاك .

ثم تنقضى ثلاثة أعوام تقريبا ويزمع العودة أدراجه إلى مصر ، لكن فى يوم تاريخى مشهود ، فى يوم أيوم شديد الوطأة على مصر وعلى بنيها ومحبيها من كل طبقة ومن كل طائفة ، كان يوم النكسة الكبرى ـ لا أعادها الله ، بلطفه وكرمه ـ فى الخامس من يونيو سنة سبع وستين وتسعمائة وألف ، فتوقف الطيران الخارجى ، وحال دون العودة إلى القاهرة فعاد المسافرون أدراجهم مرة أخرى إلى صنعاء .

وفى سنة سبع وستين وتسعمائة وألف للميلاد حصل الدكتور عبدالقادر حسين على الماجستير من قسم البلاغة والنقد ثم سجل لدرجة الدكتوراه برسالة عنوانها :

« أثر النحاة فى البحث البلاغى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى » .

ثم تزوج بحفيدة الشيخ على سرور الزنكلونى عضو هيئة كبار العلماء ـ رحمه الله عز وجل ـ عام تسعة وستين ، وأنجب ثلاثة أبناء ذكور وبنتين .

ثم حصل الدكتور عبدالقادر على درجة الدكتوراه فى البلاغة بمرتبة الشرف الأولى فى الحادى عشر من أغسطس سنة سبعين وتسعمائة وألف تبعا للنظام الحديث الذى استقل بشعبة البلاغة بعد أن كانت البلاغة والأدب شعبة واحدة ؛ فانفصلت إحداهما عن الأخرى .

كانت الرسالة موضوعا فريدا حيث تناولت وانتظمت الدراسات البلاغية منذ الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة ، ومرورا بسيبويه « صاحب الكتاب » المتوفى سنة ثمانين ومائة ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأديب الفقهاء وفقيه الأدباء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وأحمد بن يحيى ثعلب صاحب « الفصيح » المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، والرمانى المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ، وابنى جنى صاحب « الخصائص » المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وابن فارس صاحب معجم « مقاييس اللغة » المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، وكان مسك الختام بالإمام شيخ البلاغة والبلاغيين فى أوائل القرن الخامس الهجرى عبدالقادر الجرجانى المتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ،

وهـو صاحب « دلائل الإعجـاز » و « أسرار البلاغة » وصاحب نظرية النظم ، فصار صاحبنا ذا باع طويل فى النقد الحديث .

ثم عُيِّن مدرسا للبلاغة والنقد بكلية البنـات الإسلاميـة بجامعـة الأزهـر سنـة ثلاث وسبـعين وتسعمائة وألف بمدينة نصر ، وقام بالتدريس لمادة البلاغة : بلاغة القرآن الكريم والحديث النبوى .

ثم أعير إلى جامعة قطر سنـة خمس وثمانين وتسعمائة وألف ثم بعد فترة يعود مرة أخرى إلى جامعة الأزهر وإلى مصر العزيزة .

من أهم مؤلفات الدكتور عبدالقادر حسين فى علوم البلاغة الثلاثة (المعانى ـ البيان ـ البديع) هذه الكتب :

ـ أثر النحاة فى البحث البلاغى .
ـ القرآن الكريم إعجازه وبلاغته .
ـ القرآن والصورة البيانية .
ـ فن البلاغة .
ـ فن البديع .
ـ من بلاغة النبوة .
ـ الرسول واعظا بليغا .
ـ المختصر فى تاريخ البلاغة .
ـ تيسير نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز .
ـ من علوم القرآن وتحليل نصوصه .
ـ قصار السور نظرات وتأملات .
ـ أضواء بلاغية ـ جزء الذاريات .
ـ النفس القلقة والمطمئنة ـ قصة سيدنا موسى .
ـ دراما الحسد والغريزة ـ قصة سيدنا يوسف .
ـ نصوص من القرآن الكريم .
ـ مختارات من الشعر العباسى .
ـ دعاء الأنبياء والصالحين :

الـكتب المحققـة

من الكتب المحققة فى علم البلاغة وهى تنتظم أيضا العلوم الثلاثة من : معان وبيان وبديع :

ـ أصول البلاغة لكمال الدين مسيتم البحرانى .
ـ مقدمة شرح نهج البلاغة ـ كمال الدين مسيتم البحرانى .
ـ الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة للقاضى الجرجانى .
ـ خلاصة المعانى ـ الحسن بن عثمان المغنى .
ـ الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى تحت الطبع .

ثم أخيرا كتاب « الإكسير فى علم التفسير » للطوفى البغدادى .

ولا يزال أملنا ورجاؤنا معقودا على تقديم المزيد والمزيد من الغراس الطيب فى هذا المجال المورود ؛ فإن البلاغة وما تحتوى وتنطوى عليه إنما تساير الطبيعة العربية المفطورة على الرقة الوجدانية وشدة الرهافة الحسية ، ودقة الشعور الذى يختلج بالأحرف والكلمات جرسا وإيقاعا ، بل إن مجازات العربية وعمق دلالاتها واستعمالاتها لهو خير دليل على أن اللغة العربية ثروة سخية ، وقد سألنا الله ـ تعالى ـ كما نسأله دائما أن يكتب لها دوام العزة والتمكين فى نفوس أبنائها البررة ويكتب لها الازدهار ودوام الترق على يد أبنائهـا المخلصين المطبـوعين على حبها والإخلاص لها مثل الدكتور عبدالقادر حسين الذى نراه قادرا بإذن الله على إعطاء وإسداء الجليل والمفيد النافع فهو بكل فضل جدير .

والحمد لله رب العالمين ..

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الإشعاع الثقافى .. ومجلة الأزهر إيمانا منها بأهمية الدور الذى يؤديه الكتاب تقدم هذا المقال الذى يعرف ببعض الكتب بعنوان « دوحة الكتب » . نقدمها دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة نود منها تعريف القارىء بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية والله الموفق .

المحـرر

جوامع الدعاء من القرآن والسنة

للإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦

الناشر / دار نهضة مصر

الدعاء ملاذ كل مكروب ، وأمل كل خائف ، وراحة كل مضطرب ، به يجأر الإنسان إلى خالقه فى كل وقت - لا سيما عندما تشتد الكروب وتنقطع الأسباب وتعجز الحيل ، فيشعر بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية .

ومن هنا يكتسب مؤلف فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى أهميته .

يقع الكتاب فى مئتى صفحة من القطع الصغير .

فى المقدمة تناول فضيلته الجوانب الروحية فى الإسلام وقسمه فضيلته إلى ثلاثة عشر فصلا : فى

الفصل الأول حاجة الإنسان إلى الدعاء ثم الفصل الثانى فضل الدعاء .

وأعظم ما تضمنه هذا الكتاب هذه النماذج من الداعين : منهم الصالحين : ومنهم المصطفين الأخيار .

ثم انتقل بنا فضيلته إلى الفصل الثالث حيث عدد لنا أوقات الدعاء وأشار فى الفصل الخامس إلى شروط الدعاء .

ثم قدم لنا فى الفصول الباقية : نماذج من الدعاء من القرآن ثم دعاء الرسل والأنبياء وقد اختار لجوامع الدعاء من القرآن والسنة فى أكثر من سبعة وعشرين آية ثم الأدعية المأثورة فى أحوال مختلفة كأدعية : اليوم والليلة والنوم واليقظة والصباح والمساء ، ثم صلاة الاستخارة ودعاءها ، حتى وصل بنا إلى أدعية المرض والموت وما يتعلق بهما واختتم فضيلته جوامع الدعاء بخاتمة طيبة بها ما ينفع الناس وخلاصة هذا المؤلف أنه إشعاع نورانى يصل بين العبد وربه .

حوى الكثير من مفهوم الدعاء ، ونماذج خالصة من الأدعية القرآنية والنبوية والأدعية المختلفة .

الأسوة الحسنة

طائفة من الأحاديث الصّحاح لرسول الله ﷺ تأليف د./ عبدالفتاح اسماعيل شلبى = الناشر مكتبة مصر طبعة ١٩٩٦ .

والكتاب فى جزأين يقع كل جزء فى ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

فى المقدمة عرض المؤلف تعريفاً لكتاب « جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ الذى جمعه الإمام أبو السعادات ابن الأثير الجزرى وكان هذا الكتاب هو المصدر الأول الذى اعتمد عليه الدكتور عبدالفتاح شلبى فى دراسته ، ولذا فقد قدم إشارة مجملة لما وضعه ابن الأثير الجزرى فى كتابه ، وذلك لبيان صحة ما فى هذا الكتاب من أحاديث رواها الثقات من الأئمة المحدثين أصحاب السنن الصحاح ، واهتم المؤلف بالروايات التى أوردها الإمام الثبت الحافظ أبى داود فى كتاب السنن ، وجعل من الدراسات التى قام بها الأئمة الأعلام حوله مثل كتاب مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى ، ومعالم السن لأبى سليمان الخطابى ، وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية ، جعل من هذه الدراسات مصدره الثانى ــ حسب قوله ــ وقدم المؤلف كلمة موجزة عن الأئمة : مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبى داود والترمذى ، والنسائى ، والذين جمع عنهم ابن الأثير مادة كتابه « جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ » .

ثم قام المؤلف بعرض قطوف من كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذى ، وأخرى من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .

ثم عرض الدكتور عبدالفتاح شلبى مختاراته التى انتقاها من كتاب « جامع الأصول من الأحاديث الصحيحة ، المروية عن رسول الله ﷺ ، وهى تمثل جانباً من جوانب البر والأداب ومكارم الأخلاق ، هادفاً ــ أى المؤلف ــ إلى إصلاح الجانب الإنسانى فى حياة المجتمع وإصلاح الجانب الخلقى عند الأفراد ، والمجتمعات .

الإسلام والسياحة

هذا الكتاب يقع فى ٩٠ صفحة من القطع المتوسط ويعتبر من الكتابات النادرة التى تتحدث عن الإسلام وارتباط السياحة به ، وهو يصحح المفهوم السائد فى العالم حالياً من أن السياحة صناعة لا تقوم إلّا على مقترحات ومفاهيم تخالف الشريعة الإسلامية .

وبما أن السياحة نشاط اقتصادى واجتماعى يؤرّخ له المهتمون بهذه الصناعة فإنه بدأ منذ فجر التاريخ وأصبح ظاهرة اجتماعية لنشاط الإنسانية فى مختلف العصور تقريباً .

وقد تم عرض مفهوم السياحة الدينية والسياحة التاريخية فى إطار الالتزام بالكتاب والسنة ليتبين لنا أنه الحق وأن ما عداه باطل .

يتناول الدكتور عبدالعظيم فى الفصل الأول تحديد الهدف المطلوب إشباعه كنتاج للسياحة كما بينها الكتاب والسنة .

ثم تناول فى الفصل الثانى تصحيح المقولات والمفاهيم السائدة والمنقولة عن مجتمعات وجماعات لا هدف لها إلا تقويض الحضارة الإسلامية . وأشار أيضاً فى الفصل الرابع إلى خطوات الإصلاح لهذا النشاط بما يحقق رضا الله ، ومن ثم النجاة من شقاء الدنيا وضيق الحياة وحرجها وضنكها .

وفى الفصل الخامس يضع المؤلف التصور لتعاون سياحى بين الدول الإسلامية والعربية على مستوى العالم ويمتد بجذوره إلى الجماعات المسلمة فى جميع الدول ليطل بفروعه على المسلمين جميعاً ويشملهم بظله بعيداً عن هوى النفس وتزيين الشيطان وبهذا ؛ فإن المؤلف قد قام جاهدا بتفسير كل الأخطاء عن هذا المفهوم مبيناً ، أن الالتزام بالإسلام إطار للسياحة يحقق الربحية .

اغتيال نهر النّيل

لمؤلفه / ناصر فيّاض

يقع المؤلف فى ٩٥ صفحة من القطع الصغير هذا الكتاب يتناول أخطر القضايا التى يواجهها نهر النيل بعد أن واصل الأحفاد إهانته ، بإلقاء آلاف الجثث ومخلفات الصرف الصناعى والزراعي والآدمى داخله ، وأصبح شبح الموت والتلوث يهدد كل كائن حىّ يعيش على ضفافه .

يتعرض الكتاب لمنابع النيل ومحاولات اكتشافها ثم يتحدث المؤلف عن التعديات التى وقعت على النهر ومستقبله بعد إنشاء السد العالى .

ويتناول قصة الصراع السياسى حول النيل ، ويشرح كيف تحول كوب الماء الصافى ، إلى كوب يحتوى على مائة عنصر كيميائى تمثل خطراً داهماً على صحة الإنسان .

سلسلة الأطفال العلمية
لكل سؤال جواب

تأليف : كاتى سميث

تحت هذا العنوان صدرت سلسلة كتيبات تخاطب الطفل ، وتطرح تساؤلات مبسطة فى شتى جوانب العلم والمعرفة : وتقدم عنها أيضاً إجابات بشكل يتلاءم مع المستوى العقلى والاستيعابى للطفل ويتلاءم مع المستوى السنى له ويجعله يتعرف على وظائف الجسم البشرى ، وعالم الحيوان ، والاختراعات العلمية ، والظواهر الكونية من زلازل وبراكين وغيرها من عالم المعرفة للطفل ... إلخ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

ذلك الشهر الفضيل

بعد انتظار طويل امتد أحد عشر شهرا ، يظلنا شهر فضيل ، ينعم الله فيه على عباده بالخير ومضاعفة الحسنات ، كما أنعم عليهم بنزول القرآن فيه : هاديا ومرشدا ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ـ تعالى ـ وليتخذوه قائدا لهم إلى الصراط المستقيم ، صراط الله العزيز الحميد.

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ..

ذلك شهر رمضان الذى قال عنه الحق تبارك وتعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ سورة البقرة ـ آية : ١٨٥

وعن الصيام أرسل إلينا القارىء .. مصطفى محمد سليمان .. سوهاج ـ مدينة المراغة ش آل رشوان .. هذه الكلمة تحت عنوان :

الصيام حافز على زيادة الإنتاج

يحتفل المسلمون بشهر الصوم احتفالا يليق بهذا الشهر العظيم ، بما يقدمون فيه من عمل صالح يتقربون فيه إلى الله ـ وقاية لهم من النار ، ومنجاة يوم يمثلون بين يدى ربهم ، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فحينما يهل شهر رمضان تراهم فى النهار ممسكين

عن الطعام والشراب وإذا ما أقبل الليل تراهم طاعمين شاربين يرطبون ألسنتهم بالذكر الحكيم ، ويدعون ربهم رغبا ورهبا ، وحينما أمر الله ــ تعالى ــ عباده بالصيام ، لم يرد أن يحبسهم عن أعمالهم الدنيوية طوال نهارهم ؛ لأنهم صائمون .

إن الإسلام يدعو إلى السعى والعمل وترك البطالة والكسل ، فالصيام يجعل المؤمن خفيف الجسم ، سريع الحركة ، لا يشكو من التخمة ولا من ثقل المعدة ، فهو خفيف الجسم ، نشيط فى أداء عمله ، وقد قالوا : المعدة بيت الداء .

إن المسلم الذى يعى جوهر الإسلام لا يتخذ من الصوم ذريعة إلى القعود عن العمل ، بل يتخذه وسيلة إلى مواصلة السعى والكفاح من أجل زيادة الإنتاج ، جاعلا أمامه قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

سورة الكهف ــ آية : ٣٠

وليس الصيام مدعاة لأن يغير بعض الناس آية الله فى الليل والنهار فى شهر رمضان ، فينام النهار أو أكثره ، ويترك عمله ويكسل عن تحصيل رزقه ويسهر الليل أو معظمه ، فهؤلاء لا يستفيدون من الصيام الفائدة المرجوة منه ، لقد جعل الله النهار للمعاش وتحصيل الرزق فى رمضان وغير رمضان ، وجعل الليل لراحة الأبدان فى رمضان وغيره .. قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ .

سورة النبأ ــ آية : ١٠ ، ١١

إن العبادات كلها تدعو إلى الحركة والنشاط ، فالصلاة فيها ما فيها من حركة : قيام وركوع وسجود وحركات متكررة .

والزكاة ... تتطلب الحصول على المال أولا وما يتطلبه من سعى للحصول عليه ، ثم إخراج زكاته .

والحركة فى الحج واضحة فى الانتقال إلى أماكن المشاعر . وتأدية المناسك من طواف وسعى .... الخ .

فالحركة أساس فى حياة المسلم ، فكيف يتخلى عنها فى الصيام من أجل الراحة .

علينا أن نحافظ على فريضة الصيام ، وفى نفس الوقت نؤدى أعمالنا على خير وجه ، ففى ذلك محافظة على قيمة العمل وزيادة الإنتاج ؛ حتى نعيش أعزة أحرارا فى مجتمع حر قوى عزيز .

كلمات

القارئة : أم هاشم حسين يوسف ــ إسنا ــ الزاوية البيضاء ــ بالقسارية ــ طالبة بالمعهد الأزهرى :

ترسل القارئة تحت عنوان « كلمات » تقول :

قال الإمام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه ــ :

عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع :

عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن قوله ــ تعالى ــ :

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾

سورة آل عمران

● وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ .

سورة غافر ـ آية : ٤٤

● وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٣

● وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٧

ردود سريعة

القارىء .. د . أحمد عبدالرحمن عطا الله ـ طبيب بمحافظة كفر الشيخ ـ مطوبس ـ منية المرشد :

اقتراحكم تخصيص باب للمرأة بمجلة الأزهر وكذا إصدار كتيبات خاصة بالأطفال على شاكلة ما تصدره بعض المجلات الإسلامية انتراحات طيبة .. نرجو أن يتوفر لها نصيب جيد من البحث ، حتى تبدأ وتستمر .

ونشكر لكم هذا الإرشاد الواعى وهذا الأدب الجم فى النصح إلينا ، وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه خير المسلمين .

القراء ـ محمد إبراهيم أبو الغيط ـ الشرقية ـ فاقوس ـ العزازى :

ـ محمود منير عبدالوهاب بشر ـ كوم النور ـ ميت غمر ـ دقهلية .

ـ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الشيخ ـ بيلا ـ كفر الجرايدة .

ـ محمد خيرى أبوسريع ـ قرية يعقوب ـ البلينا ـ سوهاج .

حولنا استفساراتكم إلى لجنة الفتوى بالأزهر وعليكم متابعة الرد فى باب « استفتاءات القراء » فى الأعداد القادمة بإذن الله .

● كذلك تشكر المجلة للقارىء الفاضل ملاحظاته على ما ورد من أخطاء .. نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تجنبها مكررين الشكر له على ما تفضل به من تصحيح فى أدب جم زادنا الله ـ تعالى ـ وإياه من فضله .

من إبداعات القراء :

شهر الصيام

شهـــر الصيـــام بشارة وهدايـــة شهـــر الصيـــام منـــارة الـــرحمن
كتب الإلـــه صيامنـــا كأمانـــة وسعـــادة للـــروح والأبـــدان

يا صائم الشهـــر الكـــريم مودة ومحبـــة للقـــلب والوجـــدان
تدعـــو وتركـــع خاشعـــا متهجـــدا عنـــد الصلاة ومخلصا بأمـــان

ترجـــو النجـــاة تعبـــدا بِرَحَابَـــةٍ تعلـــو إلى الجنـــات بالغفـــران
تمسى وتصبـــح هائمـــا وبغايـــةٍ لله للغفـــار للديـــان

تعطـــى وتمنـــح رحمـــة بسخـــاوة من خير فضـــل الله باطمئنـــان
لله دَرُّك صائمـــا لحمايـــة ولِجُنَّـــةٍ للـــروح من شيطـــان

لله .درك صـــائمـــا بإرادة وعـــزيمة الإخـــلاص بالفرقـــان
فاشكـــر إلهك راضيـــا متضرعـــا ولنعمـــة الإسلام والإيمان

واهنـــأ برزق الله عنـــد مغـــارب واحفـــظ قيـــام الليـــل بالإحســـان
واهنـــأ بحب النـــاس عنـــد مساجـــد بمآدب الرحمـــن للجـــوعـــان

واصعـــد بود الخلـــق كل دقيقـــة بسخـــاوة للبـــائس الظمـــآن
وافرح بشهر النصر عنـــد شدائـــد بشـــجاعـــة الأبطـــال فى الميـــدان

واسعـــد بوعـــد الحق عنـــد قيامـــه وبروعـــة الجنـــات من رضوان
وبليلـــة التنزيـــل من قرآنـــه وزكاة فطـــر العـــون للحـــيران

شـــعر : حبشى حسين حسين
رئيس أقسام بالتعليم وخطيب الأوقاف ــ طنسا ، ببا ، بنى سويف

من إبداعات القراء

الكوكب السارى

فى مناسبة حضور فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر للاحتفال بافتتاح بعض المعاهد الأزهرية ببلدة صراوة وكفر صراوة ،ألقت الشاعرة نورة نافع هذه القصيدة احتفاء بفضيلة الإمام الأكبر ، تقول فيها :

مِسّى العيون بماء الكوثر الجارى ... ثم انتقى من جميل القول واختارى
يا دار ولتسجدى لله وأذكرى ... فكم همت رحمة من فيض تذكار

هلوا علينا حماة الدين فانتبهى ... واحنِ الجبين بإجلال وإكبار
تيجان إسلامهم بيضاء زاهرة ... من نور أزهرنا المحفوف بالغار

يا دار فاشتملى بالشال فى ورع ... لما تضمنت من بر وإبرار
فإن تقدم هذا الحشد سيدنا ... أما ترين لهذا الكوكب السارى

روح بها رحمة الإسلام وادعة ... تسقى التعاليم مقدارا بمقدار
نفسى ترف عبيرا حول مجلسه ... كأنما روضٌ حفت بأزهار

إمامنا قد حبوتَ الدار مكرمة ... أفياؤها قد أظلت ساكن الدار
إن قمت أسطر بعضا من مآثركم ... ترى سيسعفنى كفى وأحبارى

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقدير الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

استقبالات الإمام الأكبر

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى بمكتبه صباح الثلاثاء ١٠/١٢/١٩٩٦ وفد ماليزيا برئاسة السيد/ داتو رحمت بن عبدالرحمن مدير الشئون الإسلامية بولاية جوهر الماليزية .

فى البداية قدم الوفد التحية والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر باسم الحكومة والشعب الماليزى على ما يقدمه الأزهر الشريف لماليزيا من منح دراسية لتعليم أبناء الشعب الماليزى وامدادهم بالعلماء والدعاة .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالوفد قائلا : « إن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تلبية طلبات جميع أبناء المسلمين من العالم الإسلامى والشعب الماليزى خاصة ، وستكون كل الطلبات محل عناية » .

وفى النهاية قدم الوفد دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ماليزيا حيث رحب فضيلته بهذه الدعوة ، ووعد بتلبيتها فى الوقت المناسب .

• التقى فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم ١٧/١٢/١٩٩٦ بقاعة المؤتمرات بإدارة الأزهر الشريف بضباط الشرطة من دولة البوسنة والهرسك الذين قدموا للحصول على دورة تدريبية « بأكاديمية » الشرطة ــ بوزارة الداخلية ــ وشهد اللقاء اللواء دكتور أحمد ضياءالدين مساعد وزير الداخلية ومدير كلية الشرطة ووفد من « الأكاديمية » ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بأعضاء الوفد وألقى فيهم محاضرة أوضح فيها سماحة الدين الإسلامى وعلاقته بالأديان الأخرى وألقى الضوء على أركان الإسلام مشيدا بكفاح شعب البوسنة والهرسك تجاه قضية تحرير أراضيهم ومشيداً كذلك بالدور الكبير الذى يقوم به الرئيس على عزت بيجوفيتش رئيس دولة البوسنة والهرسك فى سبيل اعادة الأراضى البوسنية والدفاع عن الأرض والعرض ، ووجه فضيلته الشكر لكل الشعوب التى ساندت البوسنة والهرسك فى حل قضيتها وإعادة أراضيها المغتصبة .

وفى نهاية كلمته قال فضيلته : « إن الأزهر الشريف بمعاهده المختلفة التى تصل إلى (٦٠٠٠) ستة آلاف معهد ، وجامعة تضم أكثر من (٦٠) ستين كلية ، يسره كل السرور أن يستقبل أبناء البوسنة والهرسك الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف ، ودعا فضيلته لهذا الشعب المكافح العظيم بكل التقدم والرخاء .

كما تحدث السيد اللواء/ أحمد ضياء الدين مساعد وزير الداخلية ومدير كلية الشرطة ، وشكر فضيلة الإمام الأكبر على استجابته الفورية للقاء هؤلاء الضباط ولإلقاء هذه المحاضرة وقدم لفضيلته تحيات السيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/١٨ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا والوفد المرافق لسيادته .

وفى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته ونقل الضيف لفضيلته تحيات العقيد معمر القذافى وتحيات حكومة وشعب ليبيا الشقيق ، وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف تجاه القضايا الإسلامية المعاصرة كما أشاد الوزير بفاعلية الفتاوى الصادرة عن شيخ الأزهر خاصة فتوى منع تحريم عمل المرأة التى قوبلت بارتياح شديد فى ليبيا وأضاف الوزير أن الأزهر قلعة الإسلام الحصينة فى العالم كله ، مشيراً إلى أن آراء علماء الأزهر الشريف تتسم بالاعتدال والموضوعية .

وقد قدم الضيف لفضيلة الإمام الأكبر نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإيطالية وطلب مشاركة الأزهر الشريف فى مراجعتها وإعداد تقرير عنها .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على هذا المطلب وأمر بتشكيل لجنة من المتخصصين بمجمع البحوث الإسلامية لمراجعة النسخة وكتابة التقرير المطلوب عنها .

وفى نهاية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة ليبيا فى الوقت الذى يحدده فضيلته ، شهد اللقاء فضيلة أمين عام مجمع البحوث الإسلامية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الخميس ١٩٩٦/١٢/٢٤ السيد السفير/ منصور عالم سفير باكستان بالقاهرة وقد تناول اللقاء دعوة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر بكتابة بحوث تدور حول « إعداد الإسلام للقرن الحادى والعشرين » وهو موضوع ومنهج مؤتمر القمة الإسلامى الذى سيعقد فى إسلام آباد فى مارس ١٩٩٧م ، وذلك لإسهام الأزهر الشريف وجامعته باعتبارها أقدم جامعة إسلامية فى العالم .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر معالى السيد/ خليفة سالم مفتاح وكيل وزارة التربية والتعليم والثقافة بدولة قطر الذى نقل لفضيلته تحيات سمو أمير دولة قطر وتحيات وزير التعليم والقطرى .

تم خلال اللقاء بحث مطابقة المناهج القطرية لمناهج الأزهر الشريف ، وأخبره فضيلة الإمام بأن هذه المناهج تم مراجعتها عن طريق اللجنة

المتخصصة بالأزهر وتمت الموافقة عليها وسترسل بالطرق الدبلوماسية .

شهد اللقاء المستشار الثقافى لسفارة قطر بالقاهرة وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/٢٤ السيد السفير/ محمد الأمين اليمنى سفير جزر القمر فى القاهرة وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقات بين الأزهر وجزر القمر ، وقد نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة الرئيس/ محمد تقى عبدالكريم الرئيس المنتخب بدولة جزر القمر ، وقد تقدم فضيلة الإمام الأكبر للضيف بالشكر على هذه الروح الطيبة .

كذلك تقدم الضيف بوافر الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يبذله الأزهر من منح دراسية ومساعدات لطلاب جزر القمر للدراسة بالأزهر الشريف وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير إبلاغ تحياته وشكره للسيد الرئيس/ محمد تقى عبدالكريم رئيس دولة جزر القمر .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ١٩٩٦/١٢/٢١ السيد السفير/ ياشار ياقيش/ سفير تركيا فى القاهرة والوفد المرافق لسيادته .

نقل الضيف فى بداية اللقاء لفضيلة الإمام الأكبر تحيات فخامة رئيس تركيا ومعالى رئيس الوزراء .

تناول اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة تركيا الإسلامية الشقيقة وما تم من محادثات خلال زيارة رئيس وزراء تركيا لمصر مؤخرا وما تضمنه اللقاء الذى جمع بينه وبين فضيلة الإمام الأكبر من طلب زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب تركيا للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وإمدادها بعلماء الأزهر الشريف لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وذلك لما للأزهر من دور بارز على مستوى العالم .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير على الروح الطيبة والمشاعر النبيلة التى يكنها شعب تركيا الشقيق تجاه الأزهر الشريف .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية ومدير عام العلاقات العامة والإعلام .

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

عقد المجلس الأعلى للأزهر اجتماعاً برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، وذلك يوم ١٩٩٦/١٢/٢١ حيث وافق المجلس على عدة موضوعات منها :

- إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم مركز جامعة الأزهر للبحوث واستخدام « الليزر » فى أمراض « الأنف والأذن والحنجرة » .
- إنشاء فروع لجامعة الأزهر بمحافظتى المنوفية وقنا .
- تعديل تسمية قسم الدعوة بكليات أصول الدين والدعوة ليصبح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية .

– تعديل تسمية « وحدة دلالات الأورام السرطانية » بقسم « الكيمياء الحيوية » بكلية الصيدلة – جامعة الأزهر بالقاهرة لتصبح « مركز أبحاث دلالات الأورام السرطانية » بجامعة الأزهر وتعديل تشكيل مجلس إدارة المركز .

الموسم الثقافى للأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الموسم الثقافى للمشيخة بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف ، وألقى فضيلته المحاضرة الأولى ، وكانت عن « المعاملات فى الإسلام » وستوالى مجلة الأزهر – بمشيئة الله تعالى – نشر هذه المحاضرات بملاحقها .

شهد حفل الافتتاح الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور محمد حمدى زقزوق وزير الأوقاف ووزراء المالية والاقتصاد والتخطيط ومفتى الجمهورية ورئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر ولفيف من العلماء ورجال الاقتصاد والبنوك وأساتذة الجامعة الأزهرية وطلابها .

معاهد منضمة

● أصدر الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء قرارا بضم المعاهد الأزهرية الآتية للأزهر الشريف وبعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك بالقرار رقم ٤٩٧ لسنة ١٩٩٦ :

– معهد السلامية الابتدائى – مركز أجا – محافظة الدقهلية .

– معهد كفر الأمير عبدالله بن سلام الابتدائى – مركز نمى الأمدية – محافظة الدقهلية .

– معهد فتيات منشأة البدوى الاعدادى – مركز طلخا – محافظة الدقهلية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٨٤ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

– معهد فتيات ظفر الاعدادى – مركز تمى الأمدية – محافظة الدقهلية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٩ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

– معهد بندق الابتدائى – مركز منيا القمح – محافظة الشرقية .

– معهد العرين الابتدائى – مركز فاقوس – محافظة الشرقية .

– معهد ميت ركاب الاعدادى للبنين – مركز الزقازيق – محافظة الشرقية ، المقام أعلى المعهد الابتدائى المنضم للأزهر بالقرار رقم ١٦ (أ) لسنة ١٩٩٦ .

– معهد المطاوعة الابتدائى – مركز ههيا – محافظة الشرقية .

– معهد الشيخ ابراهيم يونس الابتدائى بالدميين مركز فاقوس – محافظة الشرقية .

– معهد فتيات المناصرة الإعدادى – مركز مشتول السوق – محافظة الشرقية .

– معهد شلقان الإعدادى للبنين – مركز طوخ – محافظة القليوبية .

– معهد فتيات الحدين الإعدادى – مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة .

– معهد كفر زيادة الابتدائى – مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة .

ـ معهد زهرة القبلية الإعدادى للفتيات ـ مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد سنطيس الابتدائى مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد المنشية الشرقية الابتدائى ـ مركز ومحافظة كفر الشيخ .

ـ معهد الراهبين الابتدائى ـ مركز سمنود ـ محافظة الغربية .

ـ معهد دنوشر الثانوى للبنين ـ مركز المحلة الكبرى ـ محافظة الغربية ، المقام أعلى المعهد الاعدادى المنضم للأزهر بالقرار رقم ٣٤٣ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

ـ معهد المرحوم/ نبيل زكى القطان الإعدادى للفتيات بناحية شنشور مركز أشمون ـ محافظة المنوفية .

ـ معهد محمد رجب الابتدائى بناحية خورشيد ـ مركز الرمل ـ محافظة الاسكندرية .

ـ معهد دندرة الابتدائى ـ مركز ومحافظة قنا .

ـ معهد الحميدات الابتدائى ـ مركز ومحافظة قنا .

ـ معهد نجع حماد الابتدائى بناحية الملاحة قبلى ـ مركز البياضة ـ محافظة قنا .

ـ معهد دروة الابتدائى بناحية دروة ـ مركز ملوى ـ محافظة المنيا .

ـ معهد طرابما الابتدائى ـ مركز دمنهور ـ محافظة البحيرة .

ـ معهد بنى حسن الشروق الابتدائى بناحية بنى حسن الشروق ـ مركز أبوقرقاص ـ محافظة المنيا .

ـ معهد أولاد يحيى بحرى الابتدائى ـ مركز دار السلام ـ محافظة سوهاج .

ـ معهد تندة الإعدادى للبنين بناحية تندة ـ مركز ملوى ـ محافظة المنيا .

ـ معهد الخصوص الإعدادى للبنين ـ مركز الخانكة ـ محافظة القليوبية .

وقد سبق ضم المعاهد التالية بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٤٥ (أ) لسنة ١٩٩٦ وهى :

١ ـ معهد ميت تمامة الابتدائى ـ مركز منية النصر بمحافظة الدقهلية .

٢ ـ معهد بساط الابتدائى ـ مركز طلخا ـ محافظة الدقهلية .

٣ ـ معهد فتيات شبرا هور الإعدادى ـ مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية ، المقام على جزء من أرض المعهد الابتدائى السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٣٩ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

٤ ـ معهد شوشاى الابتدائى ـ مركز أشمون بمحافظة المنوفية .

٥ ـ معهد الشيخ هلال حسن سالمان الابتدائى بناحية كفر عشما ـ مركز الشهداء بمحافظة المنوفية .

٦ ـ معهد خرسيت الابتدائى ـ مركز طنطا بمحافظة الغربية .

٧ ـ معهد كفر شبرا اليمن الابتدائى ـ مركز زفتى بمحافظة الغربية .

٨ ـ معهد سحيم الابتدائى ـ مركز السنطة بمحافظة الغربية .

وكذلك المعاهد التالية بالقرار رقم ٣٨٧ (أ) لسنة ١٩٩٦ :

ـ معهد الدير الابتدائى ـ مركز أجا محافظة الدقهلية .

ـ معهد طنيخ الابتدائى ـ مركز طلخا محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحاج منير محمد اسماعيل الإعدادى للفتيات بقرية ميت عاصم ـ مركز منية النصر محافظة الدقهلية .

ـ معهد المحمدى الابتدائى بناحية السنانية ـ مركز ومحافظة دمياط .

ـ معهد الأخوة الابتدائى ـ مركز الحسينية محافظة الشرقية .

ـ معهد القطاوية الإعدادى للبنين ـ مركز أبوحماد محافظة الشرقية ، المقام على أرض المعهد الابتدائى السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٧٣ (أ) لسنة ١٩٩٤ .

ـ معهد كراديس الإعدادى للفتيات ـ مركز ديرب نجم محافظة الشرقية .

ـ معهد بنى صريد الإعدادى للفتيات ـ مركز فاقوس محافظة الشرقية .

ـ معهد عبادة الإعدادى للفتيات بقرية ميت زافر ـ مركز الزقازيق محافظة الشرقية .

ـ معهد الأسدية الثانوى للفتيات ـ مركز أبوحماد محافظة الشرقية ، المقام أعلى المعهد الإعدادى للفتيات السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٩٢ (أ) لسنة ١٩٩٣ .

ـ معهد عبادة الثانوى للبنين بناحية مشتول القاضى ـ مركز الزقازيق محافظة الشرقية .

ـ معهد الغرق الإعدادى للبنين ـ مركز أطسا محافظة الفيوم .

ـ معهد جزيرة تكلا الابتدائى ـ مركز شبراخيت محافظة البحيرة .

ـ معهد محلة فونوى الإعدادى للبنين ـ مركز شبراخيت محافظة البحيرة ، المقام أعلى المعهد الابتدائى السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٥٨ (أ) لسنة ١٩٩٥ .

ـ معهد سمخراط الإعدادى للفتيات ـ مركز الرحمانية محافظة البحيرة .

ـ معهد الكفر البحرى الابتدائى ـ مركز قلين محافظة كفر الشيخ .

ـ معهد الخادمية الثانوى للفتيات ـ مركز ومحافظة كفر الشيخ ، المقام أعلى المعهد الإعدادى للفتيات السابق ضمه للأزهر بالقرار رقم ٤٦ (أ) لسنة ١٩٩٠ .

ـ معهد المعتمدية الإعدادى الثانوى للبنين ـ مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية .

ـ معهد أبو شوشة الإعدادى للبنين ـ مركز أبوتشت محافظة قنا .

ـ معهد أولاد نجم الإعدادى للبنين ـ مركز نجع حمادى محافظة قنا .

ـ معهد سمسطا الإعدادى للفتيات ـ مركز سمسطا محافظة بنى سويف .

ـ معهد قاى الإعدادى للبنين ـ مركز اهناسيا محافظة بنى سويف .

أعضاء جدد بمجمع البحوث الإسلامية

أصدر الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر قراراً باعتماد السادة العلماء الآتية أسماؤهم بعد كأعضاء بمجمع البحوث الإسلامية وهم :

١ - الأستاذ الدكتور/ نصر فريد محمد واصل	مفتى جمهورية مصر العربية
٢ - الأستاذ/ حسن عباس زكى	وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية الأسبق
٣ - الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومى وشهرته/ محمد رجب البيومى	الأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية فرع المنصورة
٤ - الشيخ/ محمد محمد عبد الرحمن الراوى وشهرته محمد الراوى	أستاذ ورئيس قسم القرآن وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض
٥ - الأستاذ الدكتور/ عبدالصبور عبدالمؤمن مرزوق	نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٦ - السيد المستشار الدكتور/ محمد شوق الفنجرى	وكيل مجلس الدولة سابقاً

تحضير العالم الإسلامى للقرن الحادى والعشرين

بناء على تعليمات فضيلة الإمام الأكبر نوجه عناية علماء الأزهر وأساتذته المتخصصين إلى أنه سيعقد فى دولة باكستان مؤتمر قمة إسلامية طارىء يوم ١٤ من ذى العقدة سنة ١٤١٧ هـ الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٩٧ ، احتفالاً بالذكرى الخمسين لاستقلال باكستان ، وسيكون موضوع المؤتمر . «تحضير العالم الإسلامى للقرن الحادى والعشرين» هذا وسوف توجه البحوث المشاركة فى هذا المؤتمر على العنوان التالى : سفارة الجمهورية الباكستانية الإسلامية ٨ شارع السلولى بالدقى - القاهرة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ حمدي عبد الحميد بشير

القاهـــرة

تصدر الحديث الذى أدلى به الرئيس مبارك يوم الجمعة ١٩٩٧/١/٣ بالتلفاز المصرى كل وسائل الإعلام العربية والأجنبية المسموعة والمرئية ، وقد أظهرت إذاعة دمشق تأكيد سيادته على حرص الرئيس السورى على السلام .

وأكد الرئيس فى حديثه أن البديل للسلام هو الإرهاب وليس الحرب إذا واصلت إسرائيل المماطلة ، والمراوغة .

وفى عمان أوضح الأردنيون ما بيّنه الرئيس من العقبات التى تعترض « برتوكول » تنفيذ إعادة الانتشار فى الخليل ، وأن الحرم الإبراهيمى مهم للمسلمين كأهميته لليهود ، والمعروف أن أحد عشر وزيراً فى التكتل الإسرائيلى الحاكم يعارضون بشدة كل اتفاقيات السلام المبرمة .

وفى واشنطن أوضح المسئولون تأكيد الرئيس على أن العلاقات المصرية الأمريكية وطيدة وأن الاتصالات بين الرئيسين مبارك وكلينتون مستمرة ، وأنه سوف يزور واشنطن فى خلال الربع الأول من العام الحالى ، كما أكد راديو لندن أهمية حل المشكلة الفلسطينية هذا العام ، وإلا فإن البديل لذلك هو نسف عملية السلام .

دمشـــق

أكدت الحكومة السورية اتهاماتها بأن عملاء الموساد الإسرائيلى هم الذين فجروا قنبلة بدمشق الثلاثاء الماضى ١٩٩٦/١٢/٣١ الموافق ٢٠ من شعبان الماضى وذلك فى حافلة ركاب مما أدى إلى قتل ٩ أفراد وجرح ٤٤ فرداً .

تـــونس

بدأ مجلس وزراء الداخلية العرب اجتماعه لدورته الرابعة عشر لمدة ثلاثة أيام بتونس وصرح وزير الداخلية ورئيس الوفد المصرى بأن مصر قدمت ورقة عمل تناولت الإعلام الأمنى فى مواجهة الفكر المتطرف .

وأوضح أن إقرار الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب هى من أهم البنود المدرجة فى أعمال المؤتمر .

الصومال

بعد ثمانية أسابيع من المحادثات أكد زعماء الفصائل المتناحرة فى جنوب شرق مقديشيو – العاصمة الصومالية – أنهم تمكنوا من تشكيل مجلس الإنقاذ الوطنى . وأكد الزعماء أن الاتفاق الحالى يضع مصلحة البلد العليا فوق كل الاعتبارات القبلية .

سراييفو

أكد الحزب المسلم فى البوسنة والهرسك أنه تلقى نصف مليون دولار من إيران العام الماضى موضحاً أن تلك الأموال استخدمت فى أعمال خيرية .. وادعى تقرير نشرته صحيفة « لوس أنجلوس – تايمز الأمريكية » نقلا عن المسئولين الأمريكيين أن تلك الأموال خصصت لحملة انتخاب الرئيس على عزت بيجوفيتش ، ولكن حزب الرئيس قال : إنها استخدمت كمنحة دراسية ومساعدات خيرية إنسانية ، والمعروف أن واشنطن ظلت تمارس ضغوطاً شديدة على الحكومة المسلمة فى البوسنة لقطع علاقتها مع إيران .

استنبول

عقد وزراء من ثمانى دول مسلمة اجتماعا فى استنبول لبحث تحسين التعاون الاقتصادى بين هذه الدول ، وكان رئيس الوزراء التركى نجم الدين أربكان هوالدافع لذلك الاجتماع الذى حضره وزراء من ماليزيا وبنجلادش وأندونيسيا وباكستان ونيجيريا ومصر وإيران والدولة المضيفة وأعرب أربكان عن أمله فى أن تشكل الدول الثمانى مجموعة معادلة لمجموعة الدول الصناعية السبع الكبيرة .

جريمة شنعاء

قام أحد المستوطنين الإسرائيليين الشهر الماضى بفتح النار عشوائياً على المواطنين الفلسطينيين بالخليل بالضفة الغربية وقالت صحيفة « تايمز » اللندنية إنه خطط لعمليات أخرى ضد القرى العربية الأخرى لتخريب اتفاقية الخليل .

ونسبت « التايمز » لصحيفة « يادعوت أحرونوت » الإسرائيلية أن المجند « ناعوم فريدمن » البالغ من العمر ٢٢ سنة كان يعتزم سرقة ناقلة جنود مدرعة واقتحام قرية عربية وإطلاق النار على الأبرياء هناك ، كما تحدث عن هجوم على القدس الشريف ، وأكد أنه فى كامل قواه العقلية ، ورفض طلب المحامين الاعتراف بأنه مذنب ، أو مصاب باختلال فى قواه العقلية .

Aussi, la nourriture aux pauvres remplace le jeûne pour expier beaucoup de fautes commises, telles que le "Zihar" Allah - gloire à Lui - a dit: |a quiconque n'en a pas les moyens est prescrit un jeûne de deux mais consécutifs avant tout rapport. Enfin, s'il ne peut jeûner, il devra nourrir 60 indigents.|

«Surate 58 "Al-Mougadala" La discussion V. 3 et 4.»

La nourriture aux pauvres, remplace le jeûne pour celui qui est incapable de jeûner. Allah - gloire à Lui - dit: |a ceux qui ne peuvent jeûner qu'avec difficulté, il incombe en expiation, la nourriture d'un pauvre. Et si quelqu'un fait plus, c'est bien, pour lui; mais il est mieux pour vous de jeûner, si vous le saviez.|

«Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V. 184.»

Une des actions salutaires le Jour du Jugement Dernier c'est la nourriture des pauvres pour l'amour d'Allah, comme nous le dit le Coran: [Nous ne vous nourrissons que pour l'amour d'Allah; nous n'attendons de vous ni récompense ni gratitude. Nous redoutons, de la part de notre Seigneur, un Jour qui sera sombre et augubre. Allah, les a protégés des maux de ce Jour - là et les recevra dans la splendeur et la joie.|

«Surate 76 "Al-Insan" L'homme V. 9, 10 et 11.»

Le fait de nourrir les pauvres est un moyen sûr qui mène aisément au Paradis, comme nous le montre ce Hadith: "Ô vous les gens! Faites régner la paix entre vous, offrez la nourriture, maintenez les liens de parenté, accomplissez les prières pendant que les gens dorment, vous irez au Paradis en paix".

«Hadith rapporté par Ibn Magah.»

dit: "Ô mes gens! Embrassez l'Islam; Mohammad offre des donations comme celui qui ne craint pas la pauvreté".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek (Muslim).»

Le Prophète -b.s.- encourageait son peuple à donner aux pauvres, il disait: "Le généreux est proche d'Allah, proche des gens, proche du Paradis, loin de l'enfer... Tandis que l'avare est éloigné d'Allah, éloigné des gens, éloigné du Paradis et proche de l'enfer. Un analphabète généreux est pour Allah préférable à un érudit avare".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Allah - gloire à Lui - a promis aux donateurs de multiplier leurs richesses, Il a dit: |Tous les biens que que vous distribuez généreusement, votre Seigneur vous les remplace. Il est le meilleur des donateurs|.

«Surate 34 "Saba'a" V. 39.»

Vu l'importance de la générosité envers les pauvres, Allah a exigé que l'expiation de quelque parjure consiste à nourrir dix pauvres ou à les vêtir. Il a dit: |Allah ne vous tient pas rigueur des serments proférés à la légère, mais Il tiendra compte de ceux que vous faites avec détermination. En cas de parjure, vous l'expiez en donnant à manager à dix pauvres de ce dont vous-mêmes vous nourrissez les vôtres, ou en leur procurant des vêtements ou en affranchissant un esclave. Quiconque n'en aura pas les moyens, accomplira un jeûne de trois jours.|

«Surate 5 "Al-Ma'ida" La table servie V. 89.»

Allah -gloire à Lui - a exigé la nourriture des pauvres en répassion expiatoire pour celui qui tue le gibier alors qu'il est en état de sacralisation. Il a dit: |Croyants! abstenez-vous de tuer le gibier une fois que vous êtes en tenue consacrée de pèlerin. Quiconque parmi vous en tue délibérément, qu'il se rachète alors par quelque bête du troupeau, semblable à ce qu'il a tué - et dont jugeront deux des vôtres, gens intègres - ce sera comme une offrande que l'on fait parvenir à la Ka'aba - ou bien par une expiation en nourrissant des pauvres, ou par l'équivalent en jours de jeûne. Cela, afin qu'il goûte la conséquence de son acte.|

«Surate 5 - "Al Ma'ida" La table servie V. 95.»

argent ne consiste pour lui qu'en ce qu'il mange et digère ou en ce qu'il porte et use ou en ce qu'il donne en aumône et réserve aux bonnes oeuvres".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Donc, l'argent n'est utile que s'il est dépensé sur les pauvres; toute autre dépense sera dissipée et elle est périssable. Le Prophète - b.s.- nous dit: "Les compagnons du fils d'Adam sont trois: un qui le suit jusqu'à que son âme sait saisie, le deuxième jusqu'à son tombeau, le troisième jusqu'à sa résurrection: celui qui le suit jusqu'à sa mort ce sont ses biens, celui qui le suit jusqu'à son tombeau c'est sa famille, celui qui le suit jusqu'à sa résurrection ce sont ses actions".

«Hadith rapporté par Ahmad et Al-Tabarany.»

Il a dit également: "Malheureux est l'esclave du dinar; malheureux est l'esclave du dinar, il accumule son malheur et sa perdition".

«Hadith rapporté par Abu-Horaïra.»

Il a dit aussi: "Le fils d'Adam vieillit et accroît en lui deux sens: l'espoir et l'amour de l'argent".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek.»

Le Prophete -b.s.- nous montre la fonction de l'argent, le degré de l'amour du fils d'Adam pour l'argent et son avidité pour le collecter, il nous dit: "Allah - gloire à Lui - dit: J'ai fait descendre l'argent pour que le fils d'Adam accomplisse la priere et donne l'aumône. Si le fils d'Adam possédait une vallée d'or il aurait espéré avoir une deuxième; s'il en avait deux il aurait espéré avoir la troisième, rien n'assouvit l'ambition du fils d'Adam sinon la poussière et Allah accepte le repentir de celui qui se repent".

«Hadith rapporté par Ahmed et Al-Bayhaqy.»

Le Prophete -b.s.- était généreux et distribuait largement, Anas - a.s.l.- nous raconte que depuis que le Prophète -b.s.- avait reçu la Révélation il ne refusait aucune demande à personne... Un homme dans le besoin se rendit auprès du Prophète -b.s.- qui ordonna de lui donner une grande part de l'aumône, l'homme retrourna vers sa tribu et leur

convient que la richesse: si Allah le prive son état sera vicieux; à un autre, il ne convient que la pauvreté: si Allah l'enrichit il sera vicieux... Si les riches versent aux pauvres l'aumône prescrite (Al-Zakat) comme Allah l'a exigé, il n'y aura sur la terre ni un pauvre ni un indigent... Car dans les biens des riches Allah a prévu ce qui dispense les pauvres, Allah a créé les créatures, les a recensées, Il a distribué les modes de substance et n'a oublié personne; Voilà tout: Allah attribue les vivres à certains à travers leur métier; la culture ou l'industrie; d'autres obtiennent leur mode de substance par l'aumône des riches et leur générosité, donc celui qui retient son aumône prescrite est semblable à celui qui vole au pauvre son argent et le dénue de son droit, Allah lui réclamera ce dû le Jour du Jugement Dernier, le Jour où le dirham et le dinar n'auront aucune valeur. Allah - gloire à Lui - loue les gens qui payent ce droit en disant: [Ils ont une part reconnue sur leurs biens pour le mendiant et le privé].

«Surate 10 "Al-Ma'areg" Les Escaliers V. 24 et 25.»

Les biens sont les biens d'Allah: le riche a été nommé gérant, sans aucun doute il sera interrogé, jugé par Son Seigneur, s'il n'accomplit pas la tâche qui lui a été attribuée; de même, il sera exposé en ce monde au châtiment de la privation de ses biens. Allah - gloire à Lui -a dit: [C'est vous qui êtes appelés à dépenser vos biens dans le chemin d'Allah; mais il y a des avares parmi vous. Celui qui est avare le fait à son propre détriment; Allah est le riche, alors que vous êtes les nécessiteux. Si vous tournez le dos, Il vous remplacera par un autre peuple et ces gens ne vous ressembleront pas].

«Surate 47 "Mohammad" V. 38.»

Abou Dharr -a.s.l.- nous raconte que le Prophète -b.s.- a dit: "Ceux dont la richesse s'accroît sont ceux qui auront le mains de rétribution le Jour du Jugement Dernier, sauf celui qui prend le bien qu'Allah a attribué et le dépense à droite et à gauche, devant lui et derrière son dos et qui l'emploie à faire le bien."

«Hadith rapporté par Al-Bokhary.»

Le Prophète -b.s.- nous montre l'utilité de l'argent en ces termes: "Le fils d'Adam dit: Mon argent! mon argent! mais le profit de son

L'aide accordée aux pauvres

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophete -b.s.- a dit: "Allah - gloire à Lui - a inspiré à Moussa ce qui suit: O Moussa! parmi mes serviteurs il y a celui qui s'il me demande le Paradis intégralement Je le lui donnerai, mais, s'il me demande la plus insignifiante parcelle des biens de ce monde Je la lui refuserai. Ce fait n'est pas un signe de son manque de valeur chez Moi, mais Je voudrais lui réserver mes faveurs dans l'au delà. Je le protege du monde d'ici - bas comme le berger protège ses brebis des pâturages nuisibles... O Moussa! Je n'ai pas fait que les pauvres aient recours aux riches parce que mes trésors sont trop étroits, ni que Ma miséricorde leur manque, mais j'ai prévu pour le pauvres une part dans l'argent des riches qui les passe de la demande... J'ai voulu éprouver les riches pour voir comment ils se dépêchent pour secourir les pauvres en leur donnant une part de leur argent...

O Moussa, si les riches assistent les pauvres Je parachèverai pour eux Mes bienfaits et Je leur rendrai au décuple en ce monde chaque bonne action! O Moussa! sois pour le pauvre un trésor, pour le faible un refuge et pour l'opprimé un sauveur. Si tu fais cela Je serai Ton compagnon dans les difficultés, Ton intime partenaire dans ta solitude et Je te protègerai nuit et jour".

«Hadith rapporté par Anas Ibn Malek.»

Ce Hadith nous montre que la richesse et la pauvreté sont entre les mains d'Allah, le riche n'a aucune supériorité pour mériter la multiplication de ses biens, le pauvre n'a commis aucune faute pour mériter la privation des biens, mais le Seigneur a voulu éprouver les riches par les pauvres et les pauvres par les riches, pour voir si le riche est reconnaissant et donne au pauvre la part qui lui est due et si le pauvre est satisfait ou s'il envie...

Allah - gloire à Lui - a déterminé les modes de subsistance avant de créer les humains; parmi les serviteurs d'Allah il y a celui à qui il ne

"L'accomplissement de la Prière nocturne ou "Tarawih" ainsi que l'accomplissement des prières de la nuit close (Al Isha') et de l'aube (Al Fadjr) ont le même mérite que les prières accomplies toute la nuit. Il est certain que veiller toute la nuit c'est la passer en prières et en invocations d'Allah et non à s'amuser ou à regarder la télévision. En effet un tel comportement n'est pas digne d'un bon musulman qui jeûne. Allah -Tout-Puissant- a dit: |Seuls ont réussi les croyants qui sont recueillis dans leurs prières et qui refusent toute parole futile |.

Le fait de veiller la nuit en accomplissant des prières surérogatoires ou en lisant le Coran est une Sunna et non une prescription obligatoire pour tout musulman. Toutefois, celui qui peut s'en acquitter sera rétribué par Allah, quand à celui qui ne peut s'en acquitter, qu'il épargne ses maux à autrui: le fait qu'il se détourne des paroles futiles et vaines tiendra lieu pour lui d'un acte de dévotion.

Le culte éloigne l'homme du libertinage, de la corruption et des actes répréhensibles aussi incitons — nous les gens à respecter l'éthique de l'Islam et à éviter tout dévergondage.

« Le jeûne et le Coran intercèdent en faveur du musulman »

par Dr. Rokeya Gabr

Lorsqu'on interrogea feu Cheikh Al Ghazali sur le mérite de la lecture du Coran durant le mois de Ramadan, il répondit :

"Selon la Tradition (Sunna) islamique, le musulman doit s'appliquer à lire fréquemment le Coran, à comprendre le sens de ses versets et à connaître les sentences qu'il renferme. Le Prophète Mohammad — à lui bénédiction et salut — apprenait le Coran en présence de l'Archange Gabriel durant le mois de Ramadan.

Il existe un Hadith qui dit : "Le jeûne et le Coran intercèdent en faveur du serviteur d'Allah le Jour du Jugement Dernier. Le jeûne dira : "O Seigneur, j'ai réprimé ses instincts et je l'ai privé de sa nourriture." Le Coran dira : "O Seigneur, je l'ai privé de sommeil". Alors Allah acceptera leur intercession pour le musulman.

Il est donc souhaitable que le musulman passe le mois de Ramadan à lire et à étudier le Coran et en fasse un objet d'étude, car l'important n'est pas de faire une simple lecture du Coran mais d'en comprendre le sens. Allah -le Très-Haut- a dit :

[Un livre béni que Nous t'avons révélé afin qu'ils réfléchissent et que ceux qui sont doués de raison s'en souviennent].

Comme l'on interrogeait feu Cheikh Al Ghazali sur le mérite des prières nocturnes, il répondit :

REVUE
AL AZHAR

Vol. 69 Part IX

Ramadan 1417 Hijra', January 1997

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

willed, We but say 'Kun' and it is." (16 : 38 and 40)

The pagans of Mekkah asked how could the dead come to life again. The answer is logic and very convincing.

"Who can give life to (dry) bones and decomposed ones? He will give them life who created them the first time." (36 : 78-79)

"Verily, when He intends a thing, His command is 'Kun' and it is!" (36 : 82).

The word is mentioned four times in connection with the creation of Jesus. They aim to refute the allegation of Christians that Jesus is the son of Allah. In one of these four times, Adam is also mentioned to show that he was also created through the word 'Kun'. There is no controversy about the nature of Adam and that he was a human being created by Allah. Moreover, there should not be any controversy about Jesus who was also created by Allah. This can be seen in (3 : 59)

"The similitude of Jesus before Allah is as that of Adam; He created him from dust, then said to him : 'Be' : and he was."

In another instance, Jesus was mentioned when the angles told Mary of the good news of Jesus.

"She said : 'O my Lord ! how shall I have a son when no man has touched me?' he said : 'Even so; Allah creates what He wills : when He decrees a matter, He but says to it, 'Be' and it is!" (3 : 47).

In chapter two verses 116-117 we read,

"They say : 'Allah has begotten a son' : Glory be to Him.- Nay, to Him belongs all that is in the heavens and on earth : everything renders worship to Him. The Originator of the heavens and the earth : when He decrees a matter, He says to it : 'Be,' and it is."

The following verse rebukes those who claim that Allah has a son.

"It is not befitting to (the majesty of) Allah that He should beget a son. Glory be to Him! When He determines a matter, He only says to it, "Be", and it is." (19 : 35).

was a true messenger sent by Allah to all people. Those who are convinced of its truth and the truth of its message should follow the teachings in that book as well as the teachings of the prophet. They should worship Allah in the manner which this religion decreed. Those who chose not to obey Allah should consider the greatness of Allah who created this great universe and created animals and man. They should consider the small size of man, earth and the stars as compared to the huge size of other stars and galaxies. We exhort them not to disobey the Lord. Proper contemplation in the universe leads one to realize the presence of Allah and fear His wrath as in (3, 191) mentioned above.

> "Give us salvation from the chastisement of the fire."

The word Kun is also mentioned in connection with life and death.

> "It is He who gives life and death : and when He decides upon an affair, He says to it 'Kun' -be- and it is." (40 : 68)

When He decides to give life to a person or to any living thing or to terminate the life of another person, He just says 'Kun' -be-. Before the judgement day a trumpet will be sounded and all creatures will die by His word 'Kun'.

The word Kun is also mentioned in connection with resurrection of all human beings on the day of judgement.

When the trumpet is sounded a second times, all the creatures will be resurrected.

> "The trumpet will (just) be sounded, when all that are in the heavens and on earth will swoon..... Then will a second be sounded, when behold they will be standing and looking on." (39 : 68).

The non-believers of Mekkah denied vehemently that there is life after death, and that people will be raised up from death as prophet Muhammad (PBUH) told them verses from the Holy Qur'an which emphasize that people will rise up from death.

> "They swear their strongest oath by Allah, that Allah will not raise up those who die ... For to anything which We have

"In the creation of the heavens and the earth, and of alternation of night and day — there are indeed signs for men of understanding." (3 : 190)

The more we learn about the universe the more we come to know about the greatness of the creator. We feel obliged to obey Him and fear Him.

"Those truly fear Allah, among His servants who have knowledge." (35 : 28)

Now this knowlege is avbailable to most people. They need not specialize in astronomy to acquire this knowledge. Hence they should realize the greatness of the Lord, Creator.

"Futhermore I swear by the setting - places - of the stars, - and that is indeed a mighty adjuration if you know, - that this is indeed a Qur'an most honourable." (56 :75-77).

The places of the stars are very far from us. They travel at a very high speed and change their places every moment.

"I do not swear by what you see and what you see not, this is the word of an honored messenger." (69 : 38-40).

What we cannot see by our eyes may be due to either being far away or because it is very small. After the use of telescopes man could see far away stars and galaxies. He could know their nature, movement, their orbits and speed. By using more powerful telescopes and putting them in faraway orbits in space man could discover more stars or acquire better knowledge about the universe. Also after the use of microscopes man could see microorganisms. With electron microscope man could see smaller objects like the viruses.

The book that mentioned this swear-words is the Qur'an which was revealed fourteen centuries ago. That time was called the age of ignorance or the dark age where the knowledge was minimal or negligible. It should be concluded that this book is coming from the Creator of the world who calls Himself Allah. the book called "The Qur'an" is divne in origin. The Holy Qur'an is the eternal miracle revealed to prophet Muhammad peace and blessings from Allah be upon him (PBUH) as a proof of the truth of his message and that he

"And the sun runs unto a resting place," (36 : 38)

"And the moon We have measured for her stations (to traverse) (36 : 39).

"It is not permitted to the sun to catch up the moon, nor can the night outstrip the day : each (just) swims along in (its own) orbit (according to law) (36 : 40).

Glory to Allah : "He to whom belongs the dominion of the heavens and the earth : no son has He begotten, nor has He a partner in His dominion : It is He who created all things, and ordered them in due proportions." (25 : 2).

By studying the universe we conclude the truth of the preceding verses. That Great Creator is in no need for a helper or partner. He can manage the universe single handed. Also He is unique. he should not have a son or a wife.

There is a new theory for the creation of the world. Scientists claim that the world was created all of a sudden with a big bang. This is in accordance with what is mentioned in the Holy Qur'an that the universe came to existence all of a sudden.

If we recapitulate verse 73 chapter 6 mentioned above :

"It is He who created the heavens and the earth with truth...." we find that He had created them in accordance with certain rules — in truth —. The planets never change their speed, or course. Should they reduce their speed, or increase it or change their course they would collide with each other. We will realize that Allah who created this world has full power and authority on it and that He knows where is every galaxy and star whether small or big. He even knows the whereabout of every single atom in the world.

"Nor is hidden from the Lord (so much as) the weight of an atom on the earth or in heaven and not smaller or bigger than that but are recorded in a clear record." (10 : 61)

Without this knowledge, power and authority, the universe will come to utter ruin.

Those who reflect on the creation of the universe will be guided to the truth. They will realize the greatness of the Lord.

"KUN"

By Dr. Ahmed Shawky Arafa

Kun is an Arabic word made up of two letters. It takes a fraction of a second for a person to pronounce it. Yet when Allah says it, agreat things happen and miracles occur. Kun is an order meaning "Be".

When Allah says to a thing : "Kun', then this thing comes to existence. This word "Kun" is found in the Holy Qur'an several times. Once it is mentioned in connection with the creation of the world.

> "It is He who created the heavens and the earth with truth : The day He says, 'Kun', — be — behold it is. His word is the truth." (6: 73)

The Lord of the universe, the Creator just uttered the word 'Kun' and all the universe, came to existence. We can imagine the greatness of the Lord. His power. His knowledge, and His widom when we contemplate the creation of the universe.

> "Those who remember Allah standing, sitting and lying down on their sides, and contemplate the (wonders of) creation of the heavens and the earth, (saying) 'Our Lord not for naught have You created (all) this! Glory to You! Give us salvation from the chastisement of the fire'." (3 : 191).

This huge universe is made of billions of galaxies each of which is made of billions of stars. Most of them are many times larger than our planet, the earth. These galaxies are at a distance of millions of light years from each other.

The stars are moving at an amazing speed. For example, the earth is rotating around the sun at a speed of 30 kilometer per second or 108000 kilometer per hour. while the sun is moving in an ellipse at a speed of 250 km per second or 900000 km per hour. All the galaxies and stars are moving in perfect order without accidents or collisions.

> "Do they not look at the sky above them? — How We made it and adorned it, and there is no flaws in it? (50 : 6)

work with such materials.

7) Secretion during the day does not break the fast, but the one who secrets during the day should wash up in order to perform his prayer.

In order to be a true believer whose fasting is complete, a faster should abide by the following characteristics:

(1) He should refrain from following the desires and whims.

(2) He should take advantage of the occasion of the comming of the month of Ramadan to renew his repentance and submission to Allah. He should recite the Qur'an whenever possible to enlighten his heart and mind.

(3) He should refrain from lying or gossipping.

(4) He should control his outrage, he should not be rude or coarse to anybody.

(5) He should increase his charities, donations, and good deeds as much as he can.

There is no doubt that there is a great wisdom behind fasting, in general, and fasting for the day time in particular. Fasting, in fact, was ordained by Allah to test the human soul, and to train it to fight, to be patient in front of the desires and bad manners. It is also to test its patience and endurance in relinquishing what it is accustaned and habituated to. Abstaining from food, drink and evil deeds during the month of Ramadan, enable people to think and contemplate to prepare their souls for human perfection.

Moreover, fasting is not only the best physical exercise that renews the body energy, but it is the best moral exercise. In fact, fasting increases the good intentions, and the noble and generous human feelings.

In short it can be said that Allah the creator of all creatures has bestowed fasting as a kind of salvation for the human soul is always in need of a moral exercise, at least for one month, after eleven months spent in fulfilling the demands of its material life.

The best summing up of the whole issue is Almighty's saying: "And it is better for you that ye fast, if ye only knew."

(Surah: Al-Baqarah, Verse 184) (Yusuf Ali, P. 43)

later on. However, if the blood of menstruation or childbed ceased before dawn, they should fast the following day with the obligation to intend fasting during the night. As for the over menstruating woman, i.e. the woman that discharges blood at periods outside the menstruation or childbed periods, she should fast and pray.

In this context, it is important to highlight the fact that there are certain things that corrupt fasting namely :

1) Sexual intercourse at daytime.
2) If any kind of solid or liquid substance enters into the body of the fasting person, purposely, knowlingly and voluntarily and even if the entrance of this substance was by a natural way.
3) Smoking any kind of substance, whether through the month, such as cigarettes or through the nose, such as (snuff).
4) Secretion of sperms or masturbation for any reason, when this is done on purpose. But when secretion is discharged while asleep due to a dream, then fasting is still continued.
5) Any injection when injected into the hind part, while the injection which is given in the skin or in the veins does not break the fast. Yet, it is preferable for the fasting person to take the injections and other medicaments during the night.

As there are certain things that corrupt fasting, yet there are other things which are falsely believed to corrupt fasting, but actually they do not. These things are as follows:

1) Rinsing the month and snuffing up the nostrils with water during the day in order to cool off and wash up do not corrupt the fasting.
2) Using Kohl, eyedrops, or ointment on the eyes for medical purpose during the fasting day does not break the fast.
3) Applying medication on the wound does not break the fast.
4) Cutting the nails during a fasting day does not corrupt the fast.
5) To start the fasting day by beeing impure does not break the fast. However, the faster should clean himself for prayer, and should start his day while pure.
6) The one who gets dust of flour, lime or cement in his throat does not have his fast corrupted especially those who continuously

ding to the doctor's advise. However, he is required to settle the days he did not fast often his recovery. Sick persons are excused from fasting in the following cases:

a- The debilitating diseases: tuberculosis, diseases of the chest and the heart, and acute intestinal infections accompanied by vomiting or diarrhea,

b- Ulcer and acute intestinal and gastric infection

c- Psychological disturbance accompanied by loss of weight.

d- Feverish conditions which need the drinking of a big amount of water.

(3) The eldery and aged person who cannot fast at all, as well as, those who are suffering from a chronic disease or incurable illness. All these persons are exempted from fasting, but they are to feed a poor person for each day they do not fast as Almighty Days: "For those who can do it (with hardship), is a ransom, the feeding of one that is indigent."

(Surah: Al Baqarah, Verse 184) (Yusuf Ali, P. 73.)

(4) Al-Mujahed, the warrior, who is fighting in the cause of Allah and in defense of his homeland, is permitted to break his fast during the days of Ramadan. Nevertheless, he has to settle for the days he did not fast later on.

(5) The traveller or voyager is permitted to break his fast during the days of Ramadan according to Almighty's saying:
"but if any one is ill, or on a journey, the prescribed period (should be made up) by days later. Allah intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties."

(Surah: Al-Baqarah, Verse: 185) (Yusuf Ali, P. 74)

However, it is preferable for the traveller to fast if he is able to do so. The journey in which fasting is excused is that journey in which the time intervals for performing the rakaas prayers are shortened.

6- The pregnant woman and the woman who is breast - feeding are excused from fasting, if fasting harms them or their babies. But both of them are obliged to settle for the unfasted days later on.

7- The menstruating woman, and the woman who is still in childbed are also excused from fasting which is not accepted from them during these periods and they have to settle for the unfasted days

during the night preceeding the day of fasting and if this is not done then the fasting is refused. The place of the intention is the heart, thus the intention should not be uttered aloud. Setting the intention to fast is made once at the beginning of each consecutive period, such as fasting the month of Ramadan, the expiation of Ramadan, and the fasting that the Muslim had vowed to perform consecutively. In case the continuity of fasting was cut for one reason or another, such as illness, or journey, or mensturation, a new setting for the intention to fast has to be made the night preceeding the day in which the continuation of fasting is desired. As for those who had intended to fast, but changed their mind at night and continued till the break of dawn, their fasting would not be accounted for and they have to settle for that day later on.

Generally speaking, the times assigned for fasting is from the time of dawn till the hour of sunset everyday for Almighty says:
"And eat and drink, until the white thread of dawn appear to you distinct from its black thread; then complete your fast till the night appears."

(Surah: Al Baqarah, Verse: 187) (Yusuf Ali, P. 75)

In countries where the days or the nights are very long, so that there is only left a small part of the day on the night, people estimate the day on the night according to the time of the nearest Islamic country, where the time periods of day and night are standard, so as to be able to perform their prayers and fasting in the right way without hardship.

Regarding those upon whom fasting is obligated, we can simply say that it is obligated on every Muslim who is mature and capable. This consequently means that fasting is not required from the following persons during the month of Ramadan:

(1) Immature persons, such as insane people and children Nevertheless, children can be permitted to fast as a kind of training and not as an obligation.

(2) The sick person whose sickness forbids him from fasting as it may aggravate his sickness on delay his recovery. This person is excused from fasting, especially if he is in need for medication accor-

tenth day of Muharram and it is a selected day in which Allah had forgiven many a folk and in which He (can) forgive many others. Fasting on Mondays and Thursdays are given perference, as well, for the performance of voluntary fasting. Fasting three days in every month, in particular the thirteenth, fourteenth and the fifteenth are the most preferred days in voluntary fasting. It is noteworthy to say that in voluntary fasting a woman should ask the permission of her husband, if he is present.

As there are desirable days for voluntary fasting, there are, as well, days in which fasting is forbidden. These days are:

1- Fasting the first day of the two feasts: Al Fitr (lesser Bairam) and Al-Adha (greater Bairam.
2- Fasting the days of (Tashriq): these are the three days following the day of Immolation during the pilgrimage rituals.
3- Fasting on Fridays only. But if the Muslim fast a day before Friday, or a day after, or if it is the Ashuraa day, there is no objection.

Now, if we come to talk about fasting during the month of Ramadan, we should remember that the month of Ramadan itself is devoted for fasting because in it there are good blessings for all the people in general. The best thing in this month is that the Glorious Qur'an was revealed to lead the world to the right way and to fill it with the light of faith and knowledge. Allah Almighty says:

"Ramadan is the (month) in which was sent down the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (Signs) for guidance and judgement (between right and wrong)."

(Surah: Al-Baqarah, Verse: 185) (Yusuf Ali, P. 74)

Every year, in the month of Ramadan, Muslims are keen on reciting the Glorious Qur'an which fills their hearts with security, belief, happiness, love and enlightens their minds against false doctrines and immoral behaviour.

As a matter of fact, fasting the month of Ramadan is obligated upon being sure that it had started. There are two prerequisites for the performance of fasting:

First, Islam, i.e. it should be performed by a Muslim.

Second, setting the intention, i.e. setting the intention for fasting

be done by one of the following four things: feeding ten needy people, or clothing ten poor people, or freeing a slave, or, when unable to perform any of three aforementioned things, fasting three consecutive or scottered days.

In fact, the expiation legislated for those who break the fast in the month of Ramadan intentionally or those who kill by mistake is very harsh and tough for it is a sanction for the great sin they had committed. The expiation in these two cases is to fast for two months on condition that fasting is continuous. The starting day is fixed by the crescent from the lunar month. If one's fasting began in the middle of the month, he should fast the whole second month, if it is a thirty days month or a twenty nine days month, then he should complete the first month by fasting the missing days in the third month, counting until he reaches thirty days.

Those who break their fast on purpose for one day; their whole fasting will not be taken into account and they have to start their fasting all over again; for this kind of fasting requires continuity. This kind of expiation is referred to as the big expiation. If it is not possible to expiate in these two cases by fasting two continuous months, then one has to expiate by "feeding". He has to feed sixty poor people, and the poor include the paupers and the needy who do not possess the means of subsistence for a whole year; but do not include persans that already live at the expense of others such as the parents, wives, and children. The expiator should feed these sixty poor people two meals from his food, whether a lunch, a dinner, a breakfast , or a meal before daybreak. It is also sufficient for the expiator to feed the same one poor person for sixty days. In case the expiator cannot feed the sixty poor people he can cash them the value of two meals from his food.

Fourth, voluntary fasting which can be performed by a Muslim whenever he desires except the days that are forbidden by Islamic legislation. This means that in voluntary fasting preference is given to certain days for the performance of fasting due to their holiness. Therefore, voluntary fasting is preferred to be performed during the four sacred months of Zu Al-Ki'idah, Zu Al-Hijah, Al-Muharram and Rajab. Also voluntary fasting is preferred on the day of Ashuraa; the

First, fasting as a religious duty : This is performed during the month of Ramadạn as Allah Almighty says :

"Ramadan is the (month) in which was sent the Qur'an, as a guide to mankind, also clear (signs) for guidance and judgement (Between right and wrong). So every one of you who is present (at his home) during that month should spend it in fasting."

(Surah Al Baqarah : Verse 185) (Yusuf Ali, P. 74)

Second, fasting as settlement, This is the fasting that should be performrmed by the Muslim if he did not fast on a day during the month of Ramadan, for one reason or another. It is noteworthy to mention, here, that it is desirable that those who have some settlements for the days they did not fast during the month of Ramadan, to settle for them in days where fasting is not prohibited. This will be discussed later on. As for those who delay their settlements for the next Ramadan, they have to fast Ramadan, then fast to settle what is left of days. It is permissible to fast the left days intermittently or continuously.

Third, fasting as a vow : In this fasting the Muslim makes a vow to fast one day or many days to gain the favour of Allah Almighty.

Fourth, fasting as an expiation : The reasons for this kind of fasting is one of the following :

(a) Breaking one's fasting on purpose by eating or drinking intentionally during the day in the month of Ramadan for no legal reasons.
(b) Sexual intercourse or intentional masturbation during the day of the month of Ramadan for Allah Almighty says :

"Permitted to you on the night of the fasts, is to approach to your wives....."

(Surah : Al Baqarah : Verse 187) (Yusuf Ali, P. 75)
(c) Accidemtal honicide or such actions.
(d) Perpetrating some impermissible actions during the state of consecration in pilgrimage, and the inability to follow the right way.
(e) Breaking a promise and the expiation of breaking a promise is to

Fasting

By Dr. Nahed M. Wasfi (Ph.D)

Fasting during the month of Ramadan every year is a religious duty performed, since it had been prescribed in the second year of the Hijra, by every obligated Muslim legally capable and mature; male or female. Fasting is one of the five basic pillars of Islam and it is given due importance because it is a physical act of devotion, and a spiritual exercise. It is well known, also, that fasting develops a year of and a belief in Allah. In other words, fasting is an exercise of patience which strengthens the soul and hardens the will. When talking about fasting, in fact, there are many aspicts to be dealt with so as to grasp in full the meaning and the wisdom of fasting. We should note, here, that the word 'meaning' does not only signify the literal meaning of fasting but its moral meaning as well.

In Arabic, fasting means the refrainment from doing something, thus if a person abstain from speaking or eating, and he deos not talk or eat, he is said to be fasting.

In Islamic Jurisprudence, fasting means; the abstaining of the fast breakers from dawn till the time of sunset, with the intention to fast during the night prior to the day of fasting. A fasting Muslim is not only required to abstain from eating and drinking but to abstain as well from foolish deeds or foolish talks during the period of fasting more than any other time.

Whenever we talk about fasting this does not necessairly mean the fasting of the month of Ramadan for there are different kinds of fasting :

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Ramadan 1417 Hijra',

Vol. 69 Part IX

الحَمد للّه الذِى هَدَانا لهَذا ومَا كنّا لنهتَدى لَوْلاَ أنْ هَدَانا اللّه

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية (هل نصحب الملائكة كما تصحبنا)
لفضيلة الدكتور/ على أحمد الخطيب ١٢٣٣
● من تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٢٣٦
● إعجاز القرآن فى استعمال المترادفات
إعداد الأستاذ / سيد خضر ١٢٤٧
● قرار مجمع البحوث الإسلامية ١٢٥٢
● أطفالنا أكبادنا .. تمشى على الأرض
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٢٥٤
● قبس من أنوار النبوة (مع القرآن فى شهر رمضان)
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ١٢٥٨
● حول القرآن فى شهر القرآن
للشيخ محيى الدين حسين يوسف ١٢٦٢
● من رجال الحديث الشريف :
إعداد وتقديم الأستاذ/ أحمد تقى الدين ... ١٢٦٨
● الحكم الشرعى لعقد التأمين التجارى
للدكتور عبدالله مبروك النجار ١٢٧٢
● فضيلة البر
للشيخ السيد عبدالفتاح خضير ١٢٨٤
● أسرار إسلام عظماء العالم
لفضيلة الشيخ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى... ١٢٨٧
● الملكية وضوابطها الشرعية
للأستاذ السيد أحمد المخزنجى ١٢٩٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم ا. عبدالفتاح حسين الزيات..... ١٣٠١
● **استفتاءات القراء**
يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين . ١٣٠٦

● الشـــعر والشـــعراء ●

● ذنب توضأ بالدموع
للشاعر : إبراهيم عيسى ١٣١٢
● الإسلام شمس الأنام
للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين .. ١٣١٣
● الناى الحزين
للشاعر : عبدالغفار الدلاش ١٣١٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٣١٦
● من أعلام الأزهر
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ١٣١٨

● العلوم الكونية ●

● قراءة إسلامية فى كتاب الكون
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١٣٢٤
● ماذا قبل الإيدز وبعده؟
للدكتورة فاطمة عمر نصيف ١٣٢٧
● الصحة الإنجابية (الصيام والحامل)
للدكتور/أحمد رجائى عبدالحميد ١٣٣٣
● الطفولة والمراهقة
عرض وتقديم : ا. عبدالسلام ناصف ١٣٩٦
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د . نجوى السيد أحمد ١٣٤٠

● اللغة والأدب والنقد ●

● كتاب فى مقال (الشمائل المحمدية للترمذى)
للدكتور/ محمد عبدالحكيم محمد ١٣٤٣
● التكريم الأدبى لحافظ ابراهيم
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ . ١٣٥١
● الجارم شاعر الجزالة العربية فى العصر الحديث
بقلم المستشار/
سيف النصر عبدالعزيز المجلى ١٣٥٦
● طبقات المحققين والمصححين
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٣٦٤
● دوحة الكتب
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى ١٣٦٩
● بين المجلة والقارىء
تقديم الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجه ١٣٧٢
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
تقديم الأستاذين : عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ١٣٧٧
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشر ... ١٣٨٤
● القسم الفرنسى ١٣٩٣
● القسم الانجليزى ١٤٠٧

ع ٢٢٢٢٦
دوريات

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

قال - تعالى - يخاطب المؤمنين :

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴾ سورة الممتحنة

لقد فتحت هذه الآية الكريمة للمسلمين آفاقاً من العلاقات .. كل العلاقات من اجتماعية وعلمية واقتصادية أنشئوها بينهم وبين غيرهم ، حتى تأسست بهم حضارة ذات أصول عريقة عتيقة ، أخذت من غيرها وأعطت من ذاتها حتى صارت نبع رحمة يفيض على البشرية عطاءً موصول الثمرات فياض الخيرات .

ذلك أن الآية الكريمة أتاحت للمسلمين :

أن يقيموا صلات مختلفة مع غير المسلمين الذين لم يعادوهم ، ولم يشاركوا فى العدوان عليهم بغية تبادل المنافع بين الفريقين على مودة خالصة وتراحم كبير .

وأن تكون هذه الصلات نموذجاً للإسلام نفسه من حيث البرُّ بالناس والعدل فيهم ؛ وإذا كان البرّ جامعاً لكل ألوان المعروف ، مانعاً لكل ضروب العدوان ، فقد أمرنا بتتويج علاقاتنا بهذه الجماعات بإرساء هذا البر مقروناً بالعدل التام ؛ فذلك الذى يسمو بهذه العلاقات إلى أعلى مرتقى يتطلع إليه البشر .

وعلى جناحى : البر والعدل تكون هذه الصلات لتؤتى ثمراتها ؛ فإن الله ــ تعالى ــ يحب المقسطين أى العادلين .

وذلك ما فعله المسلمون حقاً ؛ منذ انطلقوا إلى عالم ما بعد الجزيرة العربية شرقاً وغرباً ، فاندمجوا مع أهل تلك البقاع نسباً وصهراً ، وعلماً وعملاً فَأَعْطَوْا وأخذوا ، وبسطوا على الدنيا ظلال الأمن والرفاهية وظلوا يمدون العلم بالعطاء العبقرى فى كافة فروعه الإنسانية والعلمية حتى إن أوروبا أخذت عنهم معرفة أصولها منذ شقت على الدنيا عصا الطاعة ، ولازمت العض على العنصرية والتعصب .

ولا علينا .. فليس ذلك موضوعنا ..!!

لقد ظللنا نعطى العالم ونأخذ منه حتى دان لنا العلمُ ــ بمجده ــ إلى يومنا هذا . فأين هو المكان ــ من الدنيا الذى يستطيع أن يبزنا فى التشريع ، أو يعطى العلم حقه من الإنسانية كما أعطينا ، ولا زلنا نعطى :

هكذا .. خرجنا ــ نحن المسلمين ــ إلى العالم بفكر مفتوح وقلب سليم وعمل طيب كريم ، وعدالة لا يزدريها إلا كل أفاق ذميم .

* * *

وبضدها تتميز الأشياء .

لقد انفتحنا على كل العالم .

وانغلق اليهود على أنفسهم فقط فعادوا كل العالم .. فإذا اضطرهم ظرف ، أو دفعهم حال إلى إبداء الصداقة لغيرهم أقدموا عليها منافقين ، وتواصَـوْا ــ فيما بينهم بقولهم الذى يحكيه رب العالمين ، وقوله الحق ؛ فقد قالوا :

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (آل عمران ــ ٧٣ .

هنا يبدو الفرق جليا ..

دائرة تَسَـعُ العالم ، وعليها قلوب أهل الإسلام .

وأخرى لا تتسع ــ إن اتسعت ــ إلا لأهل دينها فقط .

يقول العلامة الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ فى تفسيره لهذه الآية :

« هذا ... من قول اليهود ، يقول بعضهم لبعض : ولا تؤمنوا ـ أى ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم ، أى وافق ملتكم التى أنتم عليها ، وهى اليهودية »[1] .

أى من كان على شاكلتكم فقط هو الذى تصدقوه .

مع اليهود فقط تكون علاقتكم الحميمة وتوابعها .

ولنعط ـ هنا مثالاً واضحاً على ما ترتب على المنهجين فى العلاقات الإنسانية :

موقف الإسلام من مسلم تزوج بإسرائيلية .

وموقف الأحبار من هذه الزيجة عينها .!

فأما الإسلام فيقر هذا الزواج ، ويراه زواجاً شرعياً لا غبار عليه ، فالمرأة زوجة ، والأبناء شرعيون ـ قولاً واحداً ، وقع على ذلك الإجماع ، ونَصُّ الكتاب العزيز .

وليس كذلك الوضع لدى الأحبار .. فإنهم يعتبرون هذا النوع من الزواج نكاحاً فاسداً ؛ لأن كل من ليس يهودى فهو أجنبى ، و « لأن كل عقد نكاح مع الأجانب فاسد»[2] . ويصرح الحاخام (تام) بأن الأجانب (أى غير الإسرائيليين) من نسل الحيوانات ، وعليه يعتبر هذا النكاح أشبه شىء بسفاد الحيوانات[3] .

أى أن هؤلاء الأبناء عند « الحاخاميم » غير شرعيين ؛ بل هم أحط .

ومن هنا نعلم منزلة هذه الزيجة عندهم .. وما أجل رحمة الله ـ تعالى ـ إذ يأمرنا ألا نتخذهم أولياء ، وهم يكنون للعالم كله هذا الحقد الرهيب ، ويدارونه قهراً على نفاق .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (سـورة المائدة)

ولقد كان اليُمْنُ كله فى سياسة مصر مع هؤلاء الناس . سياسة سُداها ولحمتها الحذر الميمون ، وبه ـ بعونه تعالى ـ عادت « طابا » إلى أصحابها الشرعيين . ولا زال الضيق ـ منهم ـ بسياستنا ينطلق فى تصريحات تريد النيل باسم « عرقلة السلام » . والله يعلم أن السلام هو هدفنا .

فلسنا نؤمن بعقيدة : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ولكنا نؤمن بقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة الأنفال

د. على أحمد الخطيب

(١) الإمام الخازن ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل ٢٤٧/١ ط الميمنية .

(٢) و (٣) انظر : يوسف نصر الله ـ الكنز المرصود فى قواعد التلمود (ترجمة عن الفرنسية) ص ٧١ ط أولى ـ المعارف أول الفجالة ١٨٩٩ .

(٤) راجع نفس المرجع ص ٤٦ .

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – تعالى – . ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
(٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥)
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧)
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

وبعد أن بيَّن القرآن فى الآيات السابقة بعض الكرامات التى خص الله بها آدم – عليه السلام – انتقل إلى بيان كرامة أخرى أكرم الله بها آدم – عليه السلام – وهى أمره للملائكة بالسجود له ، ثم بيان ما حصل بينه وبين إبليس – لعنة الله عليه – فكانت الآيات .

وقوله – تعالى – :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ . ﴾

معطوف على قوله - تعالى - قبل ذلك :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ .. ﴾ .

من باب عطف القصة على القصة ، وإعادة (إذ) بعد حرف العطف المغنى عن إعادة ظرفه ، تنبيه على أن الجملة مقصودة بذاتها ، لأنها متميزة بهذه القصة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام .

والسجود : لغة التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره ، وخص فى الشرع بوضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة .

وللعلماء فى كيفية السجود الذى أمر الله به الملائكة لآدم أقوال :

أرجحها : أن السجود المأمور به فى الآية يحمل على المعنى المعروف فى اللغة ، أى : أن الله - تعالى - أمرهم بفعل تجاه آدم يكون مظهراً من مظاهر التواضع والخضوع له تحية وتعظيماً ، وإقرارًا له بالفضل دون وضع الجبهة على الأرض الذى هو عبادة ، إذ عبادة غير الله شرك يتنزه الملائكة عنه .

وعلى هذا الرأى سار علماء أهل السنة .

وقيل : إن السجود كان لله ، وآدم إنما كان كالقبلة يتوجه إليه الساجدون تحية له ، وإلى هذا الرأى اتجه علماء المعتزلة ، وقد قالوا ذلك هربًا من أن تكون الآية الكريمة حجة عليهم ، فإن أهل السنة قالوا : إبليس من الملائكة ، والصالحون من البشر أفضل من الملائكة ، واحتجوا بسجود الملائكة لآدم ، وخالفت المعتزلة فى ذلك ، وقالت : الملائكة أفضل من البشر ، وسجود الملائكة لآدم كان كالقبلة .

والذى نراه أن ما سار عليه أهل السنة أرجح ، لأن ما ذهب إليه المعتزلة يبعده أن المقام مقام لإظهار فضل آدم على الملائكة ، وإظهار فضله عليهم لا يتحقق بمجرد كونه قبلة للسجود .

وأمر الملائكة بالسجود لآدم هو لون من الابتلاء والاختبار ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفذ ما سبق به العلم ، واقتضته المشيئة والحكمة :

ثم بين - سبحانه - ما حدث من الملائكة ومن إبليس فقال :

﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

إبليس : اسم مشتق من الإبلاس ، وهو الحزن الناشىء عن شدة اليأس ، وفعله أبلس ، والراجح أنه اسم أعجمى ، ومنعه من الصرف للعلمية والعجمة وهو كائن حى ، وقد أخطأ من حمله على معنى داعى الشر الذى يخطر فى النفوس ، إذ ليس من المعقول أن يكون كذلك مع أن القرآن أخبرنا بأنه يرى الناس ولا يرونه . قال - تعالى - .

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

سورة الأعراف ـ آية : ٢٧

وقوله : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ الإباء : الامتناع عن الفعل أنفة مع التمكن منه . والاستكبار : التكبر والتعاظم والغرور ، بمعنى أن يرى الشخص فى نفسه علوًا على غيره ، وهو خلق مذموم .

وكان فى قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بمعنى صار .

وجاء العطف فى قوله ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ... ﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب ، للإشارة إلى أن الملائكة قد بادروا بالامتثال بدون تردد ، ولم يصدهم ما كان فى نفوسهم من التخوف من أن يكون هذا المخلوق ، مظهر فساد وسفك دماء ، لأنهم منزهون عن المعاصى .

وللعلماء فى كون إبليس من الملائكة أم لا قولان :

أحدهما : أنه كان منهم لأنه – سبحانه – أمرهم بالسجود لآدم ، ولولا أنه كان منهم لما توجه إليه الأمر بالسجود ، ولو لم يتوجه إليه الأمر بالسجود لم يكن عاصيًا ، ولما استحق الخزى والنكال .

ولأن الأصل فى المستثنى أن يكون داخلا تحت اسم المستثنى منه حتى يقوم دليل على أنه خارج عنه . وقد اختار هذا الرأى : ابن عباس ، وابن مسعود وجمهور المفسرين .

الثانى : أنه ليس منهم لقوله – تعالى – :

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ .

سورة الكهف ـ آية : ٥٠

فهو أصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس ، ولأنه خلق من نار ، والملائكة خلقوا من نور ، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة ، وقد اختار هذا القول : الحسن وقتادة وغيرهما .

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين الرأيين فقال : والصواب التفصيل فى هذه المسألة ، وأن القولين فى الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله . كان من نار وأصل الملائكة من نور ، فالناف كونه من الملائكة . والمثبت لم يتواردا على محل واحد .[1] .

ولما كان استثناء إبليس من الساجدين لا يدل على أنه ترك السجود عصياناً ، إذ قد يكون تركه لعذر ، دل بقول : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ على أنه امتنع من السجود أنفة ، وتعاظمًا ، وأردف هذا التعاظم والغرور باعتراضه على الله – تعالى – فى تفضيل آدم ، فصار بذلك فى فريق

(١) تفسير القاسمى جـ ٢ ص ١٠٤

الكافرين ، ولذا ختمت الآية بقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى : صار بسبب عصيانه واستكباره من الكافرين بالله ، الجاحدين لنعمة ، البعيدين عن رحمته ورضوانه .

وقوله - تعالى -

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

معطوف على قوله :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ... ﴾ .

أى : بعد أن أمرنا الملائكة بالسجود لآدم ، قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، فهذه تكرمة أكرمه الله بها بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة .

وقوله : ﴿ **اسكن** ﴾ أمر من السكنى بمعنى اتخاذ المسكن على وجه الاستقرار .

والزوج : يطلق على الرجل والمرأة ، والمراد به هنا حواء ، حيث تقول العرب للمرأة زوج ، ولا تكاد تقول زوجة .

والجنة : هى كل بستان ذى شجر متكاثف ، ملتف الأغصان ، يظلل ما تحته ويستره ، من الجن ، وهو ستر الشىء عن الحاسة .

وجمهور أهل السنة على أن المراد بها هنا دار الثواب . التى أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة ، لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق .

ويرى جمهور علماء المعتزلة أن المراد بها هنا بستان بمكان مرتفع من الأرض ، خلقه الله لإسكان آدم وزوجه ، واختلفوا فى مكانه ، فقيل بفلسطين . وقيل بغيرها .

وقد ساق الإمام ابن القيم فى كتابه (حادى الأرواح) أدلة الفريقين دون أن يرجح شيئًا منها . والأحوط والأسلم : الكف عن تعيينها وعن القطع به ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدى فى التأويلات ، إذ ليس لهذه المسألة تأثير فى العقيدة .

والمخاطب بالأمر ، بسكنى الجنة آدم وحواء ، ولكن الأسلوب جاء فى صيغة الخطاب لآدم وعطفت عليه زوجه ، لأنه هو المقصود بالأمر وزوجه تبع له .

ثم بيّن - سبحانه - أنه قد أباح لهما أن يأكلا من ثمار الجنة أكلا واسعا فقال :

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

أى كلا من مطاعم الجنة وثمارها أكلا هنيئًا أو واسعًا فى أى مكان من الجنة أردتم .

يقال : رغد عيش القوم أى : اتسع وطاب ، وأرغد القوم ، أى : أخصبوا وصاروا فى رزق واسع .

والضمير فى قوله : ﴿ **منها** ﴾ يعود إلى الجنة ، والمراد بالأكل منها : الأكل من مطاعمها وثمارها ، لأن الجنة تستلزم ثماراً هى المقصودة بالأكل .

ثم بين – سبحانه أنه نهاهم عن الأكل من شجرة معينة فقال :

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

القرب : الدنو ، والمنهى عنه هو الأكل من ثمار الشجرة ، وتعليق النهى بالقرب منها إذ قال ﴿ **ولا تقربا** ﴾ القصد منه المبالغة فى النهى عن الأكل ، إذ فى النهى عن القرب من الشيء قطع لوسيلة التلبس به ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ الإسراء / ٣٢ ، فنهى عن القرب من الزنا ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه وهى القرب منه ، وأكد النهى بأن جعل عدم اجتناب الأكل من الشجرة ظلمًا فقال : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وقد ظلما أنفسهما إذ أكلا منها ، فقد ترتب على أكلهما منها أن أخرجا من الجنة التى كانا يعيشان فيها عيشة راضية .

وقد تكلم العلماء كثيراً عن اسم هذه الشجرة ونوعها فقيل هى التينة ، وقيل : هى السنبلة ، وقيل هى الكرم .. إلخ . إلا أن القرآن لم يذكر نوعها على عادته فى عدم التعرض لذكر مالم يدع المقصود من سوق القصة إلى بيانه .

وقد أحسن الإمام ابن جرير فى التعبير عن هذا المعنى فقال : ﴿ والصواب فى ذلك أن يقال : إن الله – تعالى – نهى آدم وزوجه عن الأكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها ، ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا من السنة الصحيحة ، وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل كانت شجرة العنب . وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به (٢) .

ثم بين القرآن بعد ذلك ما وقع فيه آدم من خطأ فقال :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

أى : اذهبهما عن الجنة بكذبه عليهما ومقاسمته أنه لهما من الناصحين .

وأزل من الإزلال وهو الإزلاق : زل يزل زلا وزللا ، أى : زلق فى طين أو منطق ، والاسم الزلة . وأزله غيره واستزله : أى أزلقه . أطلق وأريد به لازمه وهو الإذهاب .

وقرىء ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾ أى : نحاهما من الإزالة ، تقول أزلت الشيء عن مكانه إزالة . أى : نحيته وأذهبته عنه .

ثم استعمل هذا اللفظ فى ارتكاب الخطيئة كما استعمل فى خطأ الرأى مجازاً . والضمير فى قوله : ﴿ **عنها** ﴾ يعود إلى الشجرة ، ومعنى أزلهما عن الشجرة أوقعهما فى الزلة بسببها .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٥٢١

والتعبير بقوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أبلغ فى الدلالة على فخامة الخيرات التى كانا يتقلبان فيها مما لو قيل : فأخرجهما من النعيم أو من الجنة لأن من أساليب البلاغة فى الدلالة على عظم الشيء أن يعبر عنه بلفظ مبهم كما هنا . لكى تذهب نفس السامع فى تصور عظمته وكماله إلى أقصى ما يمكنها أن تذهب إليه .

ونسبة إخراجهما من الجنة إلى الشيطان فى قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ من قبيل نسبة الفعل إلى ما كان سببًا فيه ، وذلك أن أكلهما من الشجرة الذى ترتب عليه إخراجهما من الجنة إنما وقع بسبب وسوسة الشيطان لهما .

وقوله - تعالى -

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

الخطاب فيه لآدم وحواء ، وإبليس ، وقيل الخطاب لآدم وحواء ونسلهما .

والهبوط : النزول من أعلى إلى أسفل ضد الصعود . يقال : هبط يهبِط ويهبُط أى : نزل من علو إلى سفل .

والعداوة معناها التناكر والتنافر بالقلوب .

أى : قلنا لآدم وحواء والشيطان انزلوا إلى الأرض متنافرين متباغضين ، يبغى بعضكم على بعض .

وعداوة الشيطان لآدم نشأت عن حسد وتكبر منذ أن أُمِر بالسجود له فأبى وامتنع وقال : أنا خير منه .

وعداوة آدم وذريته للشيطان من جهة أنه يكيد لهم بالوسوسة والإغراء وفى هذه الجملة الكريمة إرشاد لآدم وذريته ، ونهى لهم عن اتباع خطوات الشيطان ، لأنه عدو لهم ، ومن شأن العدو أنه يسعى لمضرة عدوه .

قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾

(سـورة فاطـر)

ثم ختمت الآية بقوله - تعالى - :

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

المستقر : موضع الاستقرار والثبات ، وهو مقابل القلق والاضطراب ، والمتاع : اسم لما يستمتع به من مأكل ومشرب وملبس وحياة وأنس وغير ذلك ، مأخوذ من متع النهار متوعًا إذا ارتفع ، ويطلق على الانتفاع الممتد الوقت .

والحين : الجزء من الزمان غير محدد بحد ، والمراد به هنا وقت الموت أو يوم القيامة .

والمعنى : انزلوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو ؛ ولكم فيها منزل وموضع استقرار . وتمتع بالعيش إلى أن يأتيكم الموت .

ومن كان على ذكر دائم من أن استقراره فى الأرض وتمتعه بنعيمها سينتهى فى وقت ، لا يدرى متى يدركه ، فشأنه أن ينتفع بخيراتها ويتمتع بطيب العيش فيها ، وهو مقبل على العمل لمرضاة الله مااستطاع ، وشاكر لأنعمه بالقلب واللسان ، لا يشغله عن الشكر شاغل من ملذات هذه الحياة ومظاهر زينتها .

ثم حكى القرآن أن آدم قد بادر بطلب العفو والمغفرة من ربه فقال :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

التلقى فى الأصل : التعرض للقاء ، ثم استعمل بمعنى أخذ الشىء وقبوله ، تقول : تلقيت رسالة من فلان . أى أخذتها منه وقبلتها .

والكلمات : جمع كلمة ، وهى اللفظة الموضوعة لمعنى ، وأرجح ما قيل فى تعيين هذه الكلمات ، ماأشار إليه القرآن فى سورة الأعراف بقوله :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف

والتوبة فى أصل اللغة معناها : الرجوع ، وإذا عديت بعن كان معناها الرجوع عن المعصية إلى الطاعة ، وإذا عديت بعلى – كما فى هذه الآية – كان معناها قبول التوبة ، فالعبد يتوب عن المعصية ، والله يتوب على العبد أى : يقبل توبته .

وجملة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ واردة مورد التعليل لقوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِۚ ﴾ .

والتواب وصف له – تعالى – من تاب ، أى : قبل التوبة ، وجاء التعبير بصيغة فعّال ، للإشعار بأنه كثير القبول للتوبة من عباده ، وليدل على أنه يقبل توبة العبد وإن وقعت بعد ذنب يرتكبه ويتوب منه ثم يعود إليه بعد التوبة ثم يتوب بعد العودة إليه توبة صادقة نصوحًا .

وبعد أن أخبر القرآن فى الآيات السابقة أن الله – تعالى – قد أمر آدم وحواء وإبليس بالهبوط من الجنة ، نراه بعد ذلك قد أعاد خبر الأمر بالهبوط فقال :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

وليست هذه الإعادة من قبيل التكرار الذى يقصد منه مجرد التوكيد ، بل قص الأمر بالهبوط أولا ليعلق عليه معنى ؛ هو كون بعضهم لبعض عدوًا .

ثم قصة ثانية ليعلق عليه معنى آخر هو ما ترتب على الهبوط من تفصيل لحال المخاطبين ، وانقسامهم إلى مهتدين وضالين .

والفاء فى قوله ﴿ **فإما** ﴾ لإفادة ترتيب انقسام المخاطبين إلى مهتدين وكافرين على الهبوط المفهوم من قوله : ﴿ **اهبطوا** ﴾ .

و ﴿ **إما** ﴾ هى إن الشرطية دخلت عليها « **ما** » لإفادة التوكيد ، ويغلب على فعل شرطها أن يكون مؤكدًا بالنون وأوجب بعضهم ذلك .

والهدى من الله : معناه الدلالة على ما هو حق وخير بلسان رسول ، أو بآيات كتاب .

وقد صرح - سبحانه - بأن الهدى صادر منه بقوله : ﴿ مِّنِّي هُدًى ﴾ ثم أضافه إلى نفسه بقوله : ﴿ هُدَايَ ﴾ للإيذان بتعظيم أمر الهدى ؛ وأنه أحق بأن يتبع ، ويتخذ سبيلا لطمأنينة النفس فى الدنيا ، والفوز بالسعادة فى الأخرى .

والخوف : الفزع وهو تألم النفس من مكروه يتوقع حصوله .

والحزن : الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فقد محبوب .

ومعنى ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أن نفوسهم آمنة مطمئنة بحيث لا يعتريها فزع ، ولا ينتابها ذعر ، كما أن قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ينفى عنهم الاغتمام لفوات مطلوب أو فقد محبوب .

ونفى الخوف والحزن ورد فى الآية على وجه الإطلاق ، وظاهره أن المهتدين لا يعتريهم الخوف ولا الحزن فى دنياهم ولا فى آخرتهم ، ولكن قوله - تعالى - فيما يقابله من جزاء الكافرين ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ، يرجح أن يكون المراد نفى الخوف والحزن فى الدار الآخرة .

ونفى الخوف والحزن عن المهتدين يوم القيامة كناية عن سلامتهم من العذاب وفوزهم بالنعيم الخالد فى الجنة ، فتمت المقابلة بين جزاء المهتدين وجزاء الكافرين المشار إليه بقوله - تعالى - : -

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

إذ هذه الآية الكريمة معطوفة على قوله - تعالى - ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ . إلخ ، وواردة مورد المقابل له فى تفصيل أحوال من يأتيهم الهدى من الله .

ولم يقل : والذين لم يتبعوا هداى أولئك أصحاب النار .. وإنما قال : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ .. ﴾ إلخ ، وذلك لأن من لم يتبع هدى الله يشمل من لم تبلغه الدعوة ، وغير المكلفين مثل الصبيان وفاقدى العقل ، وهؤلاء ليسوا من أصحاب النار . فظهر أن قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ .. ﴾ جىء به على قدر من يستحقون الحكم عليهم بأنهم من أصحاب النار والمجازاة بالعذاب الخالد الأليم .

والآيات : جمع آية ، وهى فى الأصل العلامة ، وتستعمل فى الطائفة من الكتاب المنزل ، وفيما يستدل به على وجود الله وتوحيده ، من نحو بدائع مصنوعاته ومظاهر عنايته بالإنسان .

وأضاف - سبحانه - الآيات إلى نفسه فقال : ﴿ **بآياتنا** ﴾ ليكون قبح التكذيب بها أظهر ، وأتى بنون العظمة فقال (**بآياتنا**) دون أن يقول « بآياتى » لبعث المهابة فى نفوس السامعين ، وذلك أدعى إلى تلقى الوعيد باهتمام وخشية .

وأصحاب : جمع صاحب مأخوذ من الصحبة ، وهى الاقتران والملازمة ، ودل بقوله : ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ على أن صحبتهم للنار دائمة ، وليست من الصحبة التى تستمر مدة ثم تنقطع .

هذا جانب من قصة آدم كما حكاه القرآن فى هذه السورة ، ومن الحكم التى تؤخذ منها : أن سياسة الأمم على الطريقة المثلى إنما تقوم على أساس راسخ من العلم ، وأن فضل العلم النافع فوق فضل العبادة ، وأن روح الشر الخبيثة إذا طغت على نفس من النفوس ، جعلتها لا ترى البراهين الساطعة ، ولا يوجهها إلى الخير وعد ، ولا يردعها عن الشر وعيد .

كما يستفاد منها كيف أن الرئيس يفسح المجال لمرؤسيه المخلصين ، يجادلونه فى أمر يريد قضاءه ، ولا يزيد عن أن يبين لهم وجهة نظره فى رفق ، وإذا تجاوزوا حدود الأدب اللائق به راعى فى عتابهم ما عرفه فيهم من سلامة القلب ، وتلقى أوامره بحسن الطاعة .

كما يؤخذ منها أن المتقلب فى نعمة يجب أن يحافظ عليها بشكر الله ، ولا يعمل عملا فيه مخالفة لأوامر الله ؛ لأن مخالفة أوامر الله ، كثيراً ما تؤدى إلى زوال تلك النعمة ، ومن أراد أن تزداد النعمة بين يديه ، فعليه أن يلتزم طاعة الله وشكره .

وقال بعض العلماء : وقد يتبادر إلى الذهن أن آدم قد ارتكب ما نهى عنه ، ارتكاب من يتعمد المخالفة ، فيكون أكله من الشجرة معصية ، مع أنه من الأنبياء المرسلين ، والرسل

معصومون من مخالفة أوامر الله .

والجواب عن ذلك أن آدم تعمد الأكل من الشجرة ، ناسيًا النهى عن الأكل منها ، وفعل المنهى عنه على وجه النسيان لا يُعد من قبيل المعاصى التى يرتكبها الشخص وهو متذكر أنه يرتكب محرمًا ، إذ أن ارتكاب المحرم عن علم وتذكر هو الذى يجعل مرتكبه مستحقًا للعقاب ، والأنبياء معصومون من ذلك .

وإذا عاتب الله بعض الأخيار من عباده عل ما صدر منهم على وجه النسيان ، فلأن علمهم بالنهى يدعوهم إلى أن يقع النهى من نفوسهم موقع الاهتمام ، بحيث يستفظعون مخالفته استفظاعًا يملأ نفوسهم بالنفور منها ، ويجعلهم على حذر من الوقوع فى بلائها .

فالذى وقع من آدم – عليه السلام – هو أنه غفل عن الأخذ بالحزم فى استحضار النهى وجعله نصب عينيه حتى أدركه النسيان ، ففعل ما نهى عنه غير متعمد للمخالفة ، قال – تعالى : –

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ . (سورة طه)

« يتبع »

حوار صحفي مع فضيلة الإمام الأكبر

أجرى الحوار : سناء السعيد

رغم حدّة الأسئلة وحساسيتها ، أجاب عنها كلها ـ وبرحابة صدر ـ فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور ـ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

سألناه .. هل يوافق على دعوة منع مهاجمة اليهود من فوق المنابر ، تلك التى يتبناها الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف؟ وهل الأزهر يخضع للدولة؟.. ولماذا رفض تلبية دعوة وجهت له لزيارة السودان؟..

وسألناه أيضا عن رأيه فى بعض القوانين الموجودة حاليا ، والتى لا تردع مرتكبى بعض الجرائم.. وعن دور علماء الدين خاصة فى الأمور الاجتماعية الكبيرة والملمات التى يتعرض لها المجتمع .

أما أول أسئلتنا فقد كان عن التعنت الإسرائيلى خاصة بالنسبة للأماكن الإسلامية المقدسة التى لا تزال تحت قبضتها.

هناك اقتراح بأن تكون القدس عاصمة للأديان الثلاثة ، وقيل بأن إسرائيل قد تقبل بهذا الطرح شريطة أن تكون القدس عاصمة إسرائيل الأبدية الموحدة؟

●● ماهو المقصود بقدس موحدة وأن تكون عاصمة إسرائيل الأبدية ؟ إن القدس الشرقية أرض عربية ويصدق عليها ما يصدق على الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل فى يونيو ٦٧ .. ولابد لإسرائيل من الانسحاب منها بموجب القرارات الشرعية الدولية ٢٤٢، ٣٣٨.

● إسرائيل تتحدث عن القدس كعاصمة موحدة تحت سيادتها وتقول من الممكن أن تكون مفتوحة دينياً بيد أنها ستظل مغلقة سياسياً ؟

●● لا نوافق على هذا بالطبع . ستظل القدس مفتوحة دينياً وسياسياً وخارجياً وداخلياً وللمسلمين وللناس جميعاً.. ويجب أن تكون الإدارة فى القدس والمسجد الأقصى للمسلمين ، لأن هذه البلدة يعيش فيها المسلمون منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة . أما إذا كان المقصود أن تكون موحدة لكل الأديان حيث يأتى إليها كل دين لممارسة شعائره فهنا نقول على العين والرأس . وأعود فأقول بأن القدس فيها المسجد الأقصى يجب أن تبقى إدارتها للمسلمين ، لأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد التى يشد إليها الرحال ، ويجب أن

يعيش المسلمون فيها آمنين مطمئنين .. وأيضاً يجب أن يعيش فيها المسيحيون واليهود آمنين مطمئنين .

● إسرائيل تتشبث بالإشراف الكامل على الحرم الإبراهيمى الشريف وترفض مشاركة الفلسطينيين فى الإشراف ، كما أنها ترفض مشاركة الشرطة الفلسطينية فى الدوريات بالمكان؟؟

● ● ما معنى ذلك . هذا الرفض نحن لانؤيده بأية صورة من الصور فالحرم الإبراهيمى منسوب إلى سيدنا إبراهيم .. «إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ» (سورة آل عمران) ونحن الذين اتبعناه . ولما كانت العبادة لله الواحد القهار فيجب أن يشرف المسلمون على الحرم الإبراهيمى وأن يؤدوا شعائرهم فيه ويجب أن يؤدى فيه المسلمون الصلاة كما يؤدونها فى الكعبة المشرفة فى المسجد الحرام أو المسجد النبوى .

● هناك دعوة صدرت منذ شهرين لمنع الدعاة من مهاجمة اليهود . هل تتفقون مع هذه الدعوة؟

● ● ماقال عاقل بأن مهاجمة الظالم يمنع منها من وقع عليه الضرر . مصر من رئيس جمهوريتها إلى أقل فرد فيها كلها تتفق بأن مهاجمة الظالم بالحق والعدل أمر واجب .. مالا نريده هو المواجهة بدون دليل . لكن مادامت المهاجمة لظالم أو معتد أو مجرم فهى واجبة . بل إن شريعة الاسلام تأمر بها وكذلك القوانين الوضعية . ولايوجد عاقل يستطيع القول بأن مهاجمة اليهود ــ عندما يرتكبون مايسيء إلينا فى ديننا أو أعراضنا أو أموالنا ــ محظورة ويجب ألا تكون . ولكن فى الوقت نفسه يجب أن تكون المهاجمة موضوعية ترتكز على سبب حقيقى وتأتى نصرة للحق ودحرا للباطل ، ذلك أن المهاجمة التى لاتقوم على أساس ضررها أكبر من نفعها .

● رفضتم الذهاب إلى السودان عندما دعيتم لكى تؤموا صلاة الجمعة بالمسجد الرئيسى بالخرطوم . ماهى الأسباب ؟

● ● أنا لم أرفض . ولكن يحسن هنا أن أوضح هذه القضية .. كونى شيخ أزهر يعنى أننى موظف رسمى فى الدولة وأعرف مايجب على نحو وطنى . هناك جهات معينة هى التى توافق على سفرى أو لا توافق . وهى الأدرى بالظروف حيث الأجواء أمامها واضحة . وعليه فإن أية دعوة تأتينى من الخارج لابد أن تأتينى عن الطريق الرسمى ، فأنا كشيخ للأزهر بدرجة رئيس وزراء .. ومن ثم لابد أن تأتينى الدعوة من رئيس وزراء الدولة الداعية وأن تأتينى عن طريق وزارة الخارجية ، وتوجه الدعوة من الدولة الداعية إلى سفيرنا لدى تلك الدولة . وسفيرنا يوجهها إلى وأرسلها إلى الخارجية لتقول رأيها .. وبعد الخارجية هناك جهات أخرى على أعلى المستويات تقول رأيها أيضاً . فإذا رأت تلك الجهات ــ خاصة وأن الصورة تكون واضحة أمامها ــ أن فى زيارتى لتلك الدولة خيراً يعود على مصر فعندئذ سأكون أول الملبين للدعوة ، لكن إذا لم ترد الجهات الرسمية التى لدينا أو اشارت علىّ بعدم تلبيتها فى هذا التوقيت ؛ فأنا فى هذه الحالة أقول سمعاً وطاعة ــ لأن القرآن الكريم يأمرنا بأن نسأل أهل الخبرة .. «فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» . فأنا لست إنساناً فى غير وظيفة ، بل على العكس أنا فى وظيفة رسمية ولا ألبى دعوة أية

جهة خارجية إلا بعد أن تقرها الجهات المسئولة من خارجية وأمنية حتى إذا أعطتني الضوء الأخضر سارعت بتلبية أية دعوة . فأنا لا ألبى الدعوات إلا عندما تأذن الدولة لى بذلك وهذا أمر مسلم به فى جميع أنحاء العالم.

● ولكن ذلك من شأنه أن يعطى الانطباع بأن الأزهر يخضع للدولة رغم أن المفروض أن يكون جهازاً مستقلاً؟

● ● الأزهر لا يخضع للدولة . الأزهر كمؤسسة رسمية فى الدولة هو أستاذ لغيره فى حدود تخصصه أياً كان هذا الغير . وكلمة الأزهر فى الأمور الدينية تعلو كل كلمة فى الدولة ، ولكن كلمة جهات الاختصاص فيما يتعلق بالأمور السياسية والأمنية فوق كلمة الأزهر . نحن نتعاون .. فليس معنى أن استجيب للدولة فى شأن كهذا أن أكون خاضعاً . فما أفعله هنا يوجبه علىّ دينى ، لأن تخصصى فى الجوانب الدينية يوجب علىّ مراعاة غيرى من المتخصصين فى الجوانب الأمنية والسياسية .

وأنا أتحدث فى نقطة محددة أنا أؤمن بها وقالها الإمام الغزالى منذ أكثر من ألف سنة : « ما من عالم فى فن إلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر » . فأنا أستاذ لك فيما يتعلق بالناحية الدينية ولكن من الجائز أن تكونى أعلى منى فيما يتعلق بالامور السياسية . ولهذا عندما أريد الاقدام على أمر ما ؛ فإنى أستشيرك بحكم أن لديك الأنوار الكاشفة أكثر منى فى الأمور السياسية ، فإذا قلت لى إن هذه المسألة من الناحية السياسية ليست مناسبة سأقول لك عندئذ سمعاً وطاعة لأنك أنت من أهل الخبرة فى هذا المجال . والقرآن يقول « فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ » النحل / ٤٣ ـ فليس معنى عدم تلبيتى الدعوة للذهاب إلى السودان خضوعى للدولة ، وإنما معناه استجابتى للمصلحة العامة التى يراها من هو أدرى منى بهذه المصلحة فى جوانب ليست دينية مثل الجوانب السياسية والأمنية والشخصية ، وفى هذه الحالة أنا ملزم أن أطيع غيرى فيما هو حق وعدل .

● هناك جرائم فى المجتمع لم يعد القانون يشكل رادعاً بالنسبة لها ، وأذكر على سبيل المثال قضية الاغتصاب ، والتى امتدت إلى الأطفال ألستم معى بأنه يجب أن تسن قوانين رادعة ضدها !

● ● أعتقد أن القوانين الرادعة موجودة بدليل أن هذه القوانين فى تصورى تتيح للجهات القضائية أن تحكم على المغتصب بالإعدام؟

ولكن أكثر الأحكام لاتصدر بالإعدام . فهذه مسألة ترجع إلى ضمير القاضى نفسه . لأن القاضى قد يكون مقتنعاً بأن هذا المغتصب يستحق عقوبة الإعدام فيحكم بها ، وقد لايكون مقتنعاً بأن ارتكاب جريمة معينة لايؤدى إلى الحكم بالإعدام فيحكم حكماً آخر هو قد اقتنع به .

● ولكن ماذا عن القصاص فى الإسلام بالنسبة للمغتصب ؟

● ● بينه الله الكريم فى قوله ـ عز وجل : «وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾» (سورة البقرة) ، إذن القصاص أمر من الله أما معنى «ولكم فى القصاص حياة» أى حياة آمنة شريفة سعيدة .. يا أولى الألباب ـ أى يا أصحاب العقول السليمة ، فمن الناحية الشرعية نجد أن شريعة الإسلام صانت أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم وكرامتهم . فإذا جاء إنسان

واعتدى على أعراض الناس وحرماتهم ، فإن شريعة الإسلام تأمر بأن يعاقب هذا المعتدى بالعقوبة التى تتناسب وجريمته . والقوانين الوضعية الموجودة فيما يتعلق بحماية الأعراض لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، بدليل أن القاضى قد يقتنع بأن المعتدى على عرض غيره يستحق عقوبة الإعدام فيحكم عليه بها وتلك هى شريعة الإسلام .

● وماذا إذا لم يقتنع ولم يزد حكمه على عدة سنوات بالسجن ؟

● ● هذه مسألة مردها إلى إقتناع القاضى . فإذا قلنا لماذا لايحكم على كل من يتهم بتهمة بالإعدام لكان معنى ذلك أننا ننصب أنفسنا قضاة ونتجاوز بذلك الجهة القضائية الرسمية ، وكأننا نقول لها عندئذ : اعتزلى أنت منصة القضاء ونحن الذين سنتولى إصدار الأحكام وهذا لايليق عقلاً.

● كارثة السيول التى اجتاحت «قنا» كانت تتطلب تضافراً من الجميع للتخفيف من حجم المأساة على مواطنى الصعيد . ألا ينبغى أن يكون رجال الدين قدوة فى الدعوة إلى التضافر ومساعدة هؤلاء فى مثل هذه الملمات؟

● ● نحن لانؤيد بالطبع أن يتحرك من يتعرض لكارثة بمفرده . ولكن الجهات الدينية جهات إرشاد وتوجيه ، وليست جهة تنفيذ وتسليط الضوء على وجوب التضافر ، وتقديم يد العون للآخرين أمر واجب ـ وهو ما أتناوله دائماً فى أحاديثى الدينية وأكرر دائماً حديث النبى صلى الله عليه وسلم : «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» .

وأردد قول الله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان» المائدة / ٢ ومن حق كل مصرى. سواء أكان مسلماً أم مسيحيا أن يحظى بنفس الفرص ،واخواننا الذين أصيبوا بكوارث سواء أكانت فى أسوان أو قنا أو سوهاج أو أسيوط أو المنيا أو فى أى بقعة فى مصر من حقهم علينا أن نسعى إلى مساعدتهم . كحاكمين ومحكومين فإننا مسئولون أمام الله أن نقدم لهم يد العون والمساعدة .. وإذا قصرنا فى ذلك سيسألنا الله ـ عز وجل ـ عن هذا التقصير . وهذا بالنسبة للجزاء من الناحية الدينية أما الجزاء من الناحية الاجتماعية فإن تقصيرنا سيؤدى الى الإكثار من التطرف والتخريب والإرهاب لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها . فإذا وجدت أننى فى مصيبة ولم يساعدنى أحد وخرجت منها بتوفيق من الله فإنى سأكون مشحوناً بمشاعر عدم الحب ، فإذا حلت مصيبة ببلدى ـ لا قدر الله ـ فإنى عندئذ لن أغار ولن أسعى لإزالتها وإنما أقول كما قال أمير الشعراء فى قصيدة طويلة .

لا أزود الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره

● هل أنتم راضون عما يعرض على شاشات التليفزيون خلال شهر رمضان؟

● ● كل ما نريده أننا نرجو أن تكون البرامج متناسقة ومتناسبة تتضمن النواحى الاجتماعية الطيبة والتمثيليات الهادفة التى تدعو إلى مكارم الأخلاق والأحاديث الدينية و العلمية.

برامج فيها الترفيه البرىء الذى لا يتنافى مع مكارم الأخلاق.

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

الأبوة الحانية .. والبنوة الصالحة

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

الولد الصالح ، نعمة ، ورحمة ، وبهجة لقلب أبويه ، ودرة ثمينة فى عقد أسرته ، وعمل صالح لأمته ، فالولد إذا نشأ فى بيئة طيبة ، ورُبّى تربية سليمة ، وغذى بالقيم العالية الثابتة نفع نفسه ، ونفع الجماعة ، وكان للخير محباً ، وعليه معينا ، وللشر مبغضاً ، وله مجتنباً .

وهذا دعاء أبى الأنبياء إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام يؤكد سعادة النفس بالولد الصالح الذى يرجى منه الخير ، ويؤمن شره :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (إبراهيم

إنها نفس طيبة رزقها الله ـ عز وجل ـ ذرية طيبة هى قرة العين . لذا توجه الخليل إلى ربه أن يثبته وأولاده على دينه القيم ، وعلى طاعته ، وأن يجعل ذلك فى ذريته ؛ إذ الإنسان بالنفس لا بالجسم ، بالروح لا بالمال ، بالعقيدة الصحيحة ، والآداب السامية لا بالأحساب والأنساب ، ولنتدبر دعاءه :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ (إبراهيم : ٤٠) .

دعا لنفسه ، ثم دعا لذريته أن يكونوا حتى آخر لحظة من الحياة ممن يعبدون الله ويطيعونه ويؤدون الصلاة شكراً للمنعم الوهاب ، ثم ألح عليه بالدعاء ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ والله يحب الملحين فى الدعاء .

وأثنى الله على نبيه إسماعيل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لدأبه على توجيه أهله وأولاده نحو الخير ، وتثبيتهم على طريق الطاعة والشكر وأداء حقوق الله : .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ (سورة مريم)

وهذا حفيد خليل الرحمن يعقوب يتابعه فى وصية الأبناء بالثبات على دين الله عز وجل ، والانقياد لطاعته سبحانه ، وإسلام وجوههم لهم ، ففى هذا خيرهم ونجاتهم ، وسكينة نفوسهم :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٢) .

أى وصى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بنيه بوصية ربه له :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (سورة البقرة) .

ثم جاء يعقوب فوصى بها بنيه أحفاد خليل الرحمن ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إنها وصية القلوب الطاهرة الحريصة على سلامة الأبناء من مزالق الأهواء ونزغات الشياطين . وحتى تسلم مهجهم ، ويفوزوا برضوان الله ورحمته .

إن الأب العاقل الحكيم هو الذى يرحم ولده بإحسان تربيته ، وإحاطته بالرعاية والتوجيه السديد ، وتنمية نوازع الخير فى نفسه .

ولنتدبر صورة كريمة لهذا الاتجاه الأبوى الكريم فى رحمته بالولد ، هذه الصورة يرسمها لنا القرآن الكريم على نحو يأخذ بالألباب ، ليعقوب ـ عليه السلام ـ وهو يودع الدنيا ويستقبل الآخرة فيجرى حواراً بديعاً رائعاً مع بنيه :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

لا شك أن قلبه اطمأن لجواب بنيه ، واستقبل الآخرة قرير العين لسلامة يقينهم ، وارتباطهم بالسلسلة الذهبية لأهل التوحيد النقى الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك أو الشك ، وقد أكدوا إخلاصهم بتأكيدهم الانقياد التام لأوامر الله ، وإخلاصهم الطاعة له وحده :

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

تلكم هى الذرية التى تسر القلب ، وتسعد النفوس ، وتصلح بها الحياة ، وتستقيم على يديها الأمور ، وإنها لنماذج كريمة للأبوة الحانية أعطاها الله الحكمة ، ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، وقد قص علينا الله ـ عز وجل ـ قصصهم ، وبين لنا أحوالهم لأنها النماذج البشرية الكاملة

الصالحة لنقتدى ونعمل ، ونسير على هذا الصراط المستقيم الذى يهتدى سالكه بنور العلم والحكمة ، ولا يفلح تاركه .

أثر البيئة الصالحة :

إن هذا التكوين الطيب للأسرة وللأمة لا يمكن أن يتم إلا فى إطار الأسرة المستقرة القائمة على علاقة وثيقة من التعاون والرحمة بين الزوجين ـ الرجل والمرأة ـ بحيث يأتى النسل جزءاً متمماً لنفسين كريمين ، يحمل اسم الأب انتماء للأصلاب التى بها تتضح معالم الأنساب ، وتنمو الجماعة على نحو مترابط ، تتوثق فيه العلاقات الاجتماعية جيلا بعد جيل على نحو سليم يحفظ للأمة شخصيتها المتميزة ، ويوجه الأجيال الوجهة الصالحة اللائقة بالإنسان ومكانته .

الفوضى باسم الحرية دمار وضياع :

لذا كانت الفوضى فى العلاقات بين الجنسين مؤدية إلى تدمير البناء الاجتماعى للأمة ، وشعور الجيل أو الأجيال التى تنشأ عن هذا الغرس السيىء بالضياع وضعف النفس وما يترتب على ذلك من شعور بالصغار فالحقد على الأسوياء ؛ فالضيق .. حتى بالوطن نفسه ، ويوازى هذا فى سوئه الكذب فى الأنساب والافتراء فيها بانتساب إنسان إلى غير أبيه ، وفى الحديث المتفق عليه رواية سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام** » .

ورواية أبى هريرة : « **لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر** » (متفق عليه) .
وفى رواية أبى ذر : « **ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر** » لأن فى ذلك ستراً للحقيقة ، وإنكاراً للفضل ، وضياعاً لمعالم الترابط الأسرى الذى هو قوام الجماعة المؤمنة المتراحمة ، القائمة على التناصر والتواصى بالحق والخير .

الانتماء إلى الأصلاب فطرة نقية :

إن الانتماء إلى الأصلاب يعطى الناشئة ملامحها الحقيقية ، ويكسبها سكينة ، ويضيف إلى القوم رأياً وقوة وعزماً ، ويزيد الأسرة تراحماً والأمة قوة ومنعة ، ويحفظ للقبيلة أو الجماعة تاريخها، ولقد ازدهر شرف الأنساب فى ظلال الإسلام وصار خيارهم : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام .

طهارة نسب الرسول محمد ـ ﷺ ـ :

ولنتأمل طهارة نسب الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانحداره من أصلاب نقية عن طريق الزواج والنكاح ، ومن ترائب طاهرة ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف ولد آدم حسباً ، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه ، ذرية بعضها من بعض فى الشرف والنقاء والصفاء وسلامة الأنساب ووضوحها ومتانة الأعراق ، وقد حفظ لأجداده ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفضل جيلاً بعد جيل ، وقد جاء فى الحديث عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابراً عن كابر ، حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة » (حاشية سيرة ابن هشام ـ الجزء الأول ، صفحة ١١٠) .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعبر عن اعتزازه بنسبه إلى قريش ، قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » (سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٦٧) .

فهذا النسب انتماء إلى الأصلاب يدعمه انتساب كريم آخر من جهة أمه ـ صلى الله عليه وسلم ، وقد شرفوا جميعاً به وزادوا عزاً ونبلاً ونباهة شأن .

أبو بكر الصديق (النسابة) :

وكان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنسب العرب وأعلمهم فى هذا الباب ، مع اعتزاز العرب بعلم الأنساب ، وحفظها جيلاً بعد جيل(*) ، وكان رضى الله عنه يحض على تعلم الأنساب ، ويسعى لتعليم من يتوسم فيهم القدرة والنباهة ، ومما يؤكد فضل هذا الأمر : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه حين افتتحت المدائن وأتى بسيف النعمان بن المنذر ، دعا عمر إليه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى يسأله عن النعمان ، وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، فقال : فمن كان يا جبير النعمان بن المنذر ؟ يعنى ما أصوله ؟ ما عروقه التاريخية ؟ فأجاب جبير : النعمان كان من أشلاء قنص بن معد ، أى : من بقايا أولاد قنص بن معد أى ابن عدنان وذريته ، وهؤلاء كانوا تفرقوا بعد معارك دارت بينهم وقحط حل بهم بالحجاز ، فساروا نحو سواد العراق ، ثم أجلاهم عنه من تغلب عليهم فتمزقوا أشلاء وقطعا متناثرة لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم ، وانتسبوا إليهم .

---

* وقد عاب الجاحظ ـ رحمه الله تعالى ـ الأعاجم ، فأشار إلى عدم اهتمامهم بالأنساب اهتمام العرب بها وذكر أن الرجل منهم ينتسب إلى بلدته ، ولذا يندر منهم من نجد له نسباً متصلاً .

فانظر كيف استطاع جبير ـ رضى الله عنه ـ تحديد نسب النعمان بن المنذر ورده إلى جذوره برغم تشتت قبيلته وتناثرها .

إن جبير بن مطعم يعترف بالأستاذية فى هذه الدقة العلمية لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فكان يقول : إنما أخذت الأنساب من أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وكان أبو بكر أنسب العرب » (قصة جبير مع عمر فى سيرة ابن هشام صفحة ١٢ ، الصلب والهامش الجزء الأول) .

وحسّـــان بـن ثـابت :

وتشعر بقوة وجمال هذا العلم وأنت تسمع لحسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ ينبيك عن جذور الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ أهل المدينة المنورة وأنصار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول : « والأنصار بنو الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث .

والغوث تتصل سلسلة نسبه بيعرب بن قحطان من اليمن أصلاً ، وكان حسان يقول عن نسبه :

يا أخـت آل فـراس إننـى رجـل من معشـر لهـم فى المجـد بنيـان
إمـا سـألت فإنـا معشـر نجـب الأسـد نسـبتنا والماء غسـان

وتلك قطرة من بحر فى هذا الباب ، ومجرد أمثلة ، تنبيها إلى فضل هذا الباب ، وتأكيداً لكرامة قوة الانتساب إلى الأصلاب .

تحـريم الطعن فى الأنســاب :

ومما يؤكد شرف الانتساب إلى الأصلاب ما جاء من تغليظ النهى عن الطعن فى الأنساب احتراماً لتلك الرابطة الإنسانية التى بها تتضح معالم شخصية المرء : طفلاً وشاباً ورجلاً وشيخاً ، فقد جاء عند « مسلم » عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **اثنتان فى الناس هما بهما كفر : الطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت** » .

إن نسب المرء إلى أبيه وارتباطه بسلسلة آبائه وأصلابه يكسبه قوة فى الشخصية وطمأنينة نفسية ، فإذا التقى مع هذا حلاوة الإيمان وصدق اليقين ، وسلامة الدين كان الخير أعم ، والسكينة أعظم ، واكتسى الإنسان وقاراً وسماحة نفس وتواضعاً كريماً بفضل إيمانه بالدين الحق وانقياده لتعاليمه وآدابه .

قبس من أنوار النبوة

الشجاعة فى الحق

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن حذيفة بن اليمان — رضى الله عنه — قال :
قال رسول الله ﷺ « لا تكونوا إمَّعَةً تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن لا تظلموا .
« رواه الترمذى »

الإمعة : الذى لا رأى له

إن النظرة الفاحصة فى هذا الحديث النبوى تعطى للإنسان المؤمن وصية من أجمع وصايا الرسول ﷺ : كافية لتربية أمة بأسرها ، وتثقيف شعب بأجمعه عندما يتنبه الناس لمغزاه ، ويعملون بمقتضاه ، ويأخذون أنفسهم بتعاليمه العالية ، ومقاصده الشريفة التى تدعو أهل الإيمان إلى إثبات الشخصية الإسلامية والسمو بالعقل عن مهابط التقليد وتحرير الإرادة من رق اتباع أهواء الناس ، والسير فى ركاب أغراضهم ، وموافقتهم فى باطلهم وشرورهم أو الخضوع لبدعهم الضالة ، وأعرافهم الفاسدة ، أو التسليم بقبيح عاداتهم ومذاهبهم الهدامة ، وأرائهم المسمومة ، وأفعالهم الزميمة .

والحديث دعوة للمؤمن أن يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستجيبا لأمر ربه :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة آل عمران : آية ١٠٤

داعيا إلى دين الله القويم، وصراطه المستقيم بالتى هى أحسن استجابة لدعوة الله حيث يقول :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

سورة النحل : آية ١٢٥

يجهر بكلمة الحق وهو فى ذلك يضع نفسه فى المكانة اللائقة بها فلا يحتقرها ولا يزدريها بالجبن فهو قائم بالحق لا يخشى فى الله لومة لائم مهتدٍ بتوجيه الرسول ﷺ حيث يقول فيما رواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى : « **لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا : يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل — يوم القيامة : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا؟ فيقول : خشية الناس، فيقول الله : إياى كنت أحق أن تخشى** » .

والمؤمن الحق لا يتخلى عن حق الله إذ أن التخلى عنه أمر لا يتفق مع عمق إيمانه بربه ولا مع صدق احترامه لنفسه فإن تَخَلَّى كان إِمَّعَةً لا رأى له، يتابع الناس على رأيهم وسلوكهم ويصرح لكل أحد بقوله : أنا معك .. أنا معك ؛ ويتابع العرف والبيئة على ما هما عليه دون أن يقيس ما يرى ويسمع بمقياس الدين ويزنه بميزان العقل السليم.

والإمعة لا يخلو حاله من أحد أمرين — وكلاهما لا يليق بأهل الإيمان :

إما أن يكون جاهلا فهو ذيل مقلد تقليدا أعمى، يطبل لكل زامر، ويتبع كل ناعق.

وإما أن يكون مدعيا للجهل عن قصد وعمد فهو يعلم الحق ولا يتبعه لحاجة فى نفسه فهو يوافق كل أحد ليكسبه أو يخدعه، وهذا هو النفاق بعينه وهذا أخبث من سابقه منزلة، وأحط درجة لأنه يقول للناس : أنا معكم إن أحسنتم أحسنت وإن أسأتم أسأت.

ولنستمع الى رسول الله ﷺ فى هذا الشأن : فيما رواه الطبرانى بإسناد جيد عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ :

« **من أسخط الله فى رضا الناس، سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه، حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه** » .

وإن من بديع حكمة الله فى هذا الصنف الذى أسخط الله فى الناس وكره رضوانه ونسى عقابه وحسابه، أن يبدل الله أمنهم خوفا، وإذا قلوب العباد تبغضهم وتتحول مودتهم عندهم عداوة لهم، ورضاهم سخطا عليهم، وهانوا على العباد وخفف وزنهم فلا دُنيا أصابوا، ولا دينا أقاموا، ولا جاها اكتسبوا وكان جزاؤهم وفاقا، ومكافأة عادلة، وكان الجزاء من جنس العمل.

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

سورة الحشر : آية ١٩

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

سورة الصف ـ آية : ٥ .

أما أهل الإيمان الصريح، والعقيدة الراسخة فهم يوطنون أنفسهم على الإحسان فى أنفسهم ودعوة غيرهم إليه .

وإن أساء الناس وظلموا فلا يتبعوا ظلمهم بل يتمسكوا بالعدل، وحبل الإنصاف فإنهم على الحق ومع الله وفى شأن المتمسكين بالحق قال النبى ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله** » .. رواه مسلم عن ثوبان .

« **من طلب محامد الناس بسخط الله عاد حامده ذاما** » .. رواه البزار .

فلا مداهنة على حساب الحق . إن قول الحق لا يقرب من الأجل، ولا يباعد من الرزق لأن أمر الآجال والأرزاق إلى الخلاق الرزاق وإن أفراد الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .

وشعار المؤمن :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة التوبة : آية ٥١

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ . سورة الحج

« وفقنا الله لقول الحق والوقوف إلى جانب الحق . إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ . سورة النحل

« مدير تحرير مجلة الأزهر »

صدر قرار فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى بإسناد إدارة تحرير المجلة إلى الشيخ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم وذلك بتاريخ ١٢ من رمضان ١٤١٧هـ / الموافق ٢١/١/١٩٩٧. ومدير التحرير الجديد من شاغلى الدرجة الأولى التخصصية بالمجموعة النوعية التخصصية لوظائف الإعلام بالأزهر الشريف .

من رجال الحديث الشريف

العباس بن محمد الدورى

وروايته لكتاب تاريخ يحيى بن معين

عرض الأستاذ / أحمد تقى الدين

الدورى : هو العباس بن محمد بن حاتم بن واقد ، أبو الفضل الدورى ، مولى بنى هاشم . ولد سنة خمس وثمانين ومائة من الهجرة .

سمع شبابة بن سوار ، وأبا النضر : هاشم بن القاسم ، وعبدالوهاب بن عطاء ، ويونس بن محمد ، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ، وأبا داود الطيالسى ، والحسن بن موسى الأشيب ، ويحيى بن أبى بكر ، وعبيدالله بن موسى ، وخالد بن مخلد ، وخلف بن تميم ، وأبا نعيم ، والحسين بن على الجعفى ، وعثمان بن مسلم ، ويحيى بن معين .. [وغيرهم] .

روى عنه يعقوب بن سفيان ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وجعفر الفريابى ، وأبو جعفر النسائى ، وقاسم بن زكريا المطرز ، وأبو القاسم البغوى ، ويحيى بن صاعد ، والقاضى المحاملى .. وغيرهم[1] .

قال ابن أبى حاتم : صدوق ، سمعت منه مع أبى ، وسئل عنه أبى ، فقال : صدوق .

وقال النسائى : ثقة .

وقال الأصم : لم أر فى مشائخى أحسن حديثا منه .

(١) تاريخ بغداد ، جـ ١٢ ص ١٤٤ : ١٤٥ .

وذكره يحيى بن معين فقال : صديقنا وصاحبنا .

وقال مسلمة : ثقة .. وذكره ابن حبان فى الثقات .. وقال الخليلى فى الإرشاد : متفق عليه (يعنى عدالته)[٢] وقال الذهبى : وكتابه فى الرجال عن أبى معين ، مجلد كبير نافع ينبىء عن بصره بهذا الشأن[٣] .

توفى يوم الثلاثاء لخمس عشرة خلت من صفر سنة إحدى وسبعين ومائتين ، عن ثمانية وثمانين عاما .[٤] .

وحين يذكر الدورى تذكر روايته عن يحيى بن معين[٥] . هذه الرواية المسماة : التاريخ ، وبعض المراجع تنسبها تارة إلى يحيى بن معين وأخرى إلى الدورى ، ويحصل هذا كثيرا فى المصادر القديمة ، حيث تنسب تارة إلى مؤلفيها ، وأخرى إلى رواتها ومدونيها عن أصحابها .

هذه الرواية قام على تحقيقها ودراستها الدكتور أحمد محمد نور سيف ، وصدرت فى أربعة مجلدات ضخمة لتبرز واحدة من أهم الروايات ، أو الدراسات المتخصصة فى علم الجرح والتعديل .

والرواية فى أصلها – حسبما يورد المحقق – تتألف من مائة وسبع وستين ورقة متوسطة الحجم ، مسطرتها ما بين ثلاثة وعشرين إلى سبعة وعشرين سطرا ، وتقع فى أحد عشر جزءا ، ويتفاوت عدد الأوراق بين كل جزء وآخر ،خطها نسخى يتخلله ضبط كثير .

نسخها الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد ابن أحمد عبدالرحمن : ضياء الدين المقدسى الصالحى عام ٦١٠ هـ ، وكان نازلا بهراة ، بصحبة الحافظ أبو إسحاق الصريفينى ، وسمعا الكتاب على الشيخ أبى روح عبدالمعز بن محمد الهروى مع آخرين مثبتين فى السماعات .

نظم الدورى روايته على طبقات ، حسب الأمصار ، حيث بدأ بالصحابة ، ثم التابعين ، ومن بعدهم فى الأمصار المختلفة ، وترد هذه الطبقات فى ثمانية أبواب ، ويشتمل الباب أحيانا على طبقة أو أكثر من أهل الأمصار المختلفة كالمكيين ، وأهل الطائف ، وأهل اليمن ، أوردهم الدورى فى الباب الثانى بعد أن أورد الصحابة فى الباب الأول ، كما يورد الطبقة الواحدة من أهل الأمصار فى بابين كما فى البصريين ، وأوردهم فى الباب الرابع ، والخامس .

ضمت الرواية مادة غزيرة من الأعلام ، تارة بأسمائها ، وتارة بألفاظها ، وتارة بأنسابها ، واشتملت على قدر كبير من الأحاديث ، وبلغ عدد نصوص الرواية – كما أوردها المحقق – خمسة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر نصا .

ونظرا لما لهذه الرواية من مكانة عند العلماء لغزارة مادتها ، وكثرة فوائدها ، فقد قام الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ، المعروف

---

(٢) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، جـ ٥ ص ١٢٩ : ١٣٠ .

(٣) الإمام الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٢ ص ٥٧٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ، جـ ٥ ص ١٢٩ .

(٥) سبق وأن قدمنا مقالا عن الإمام يحيى بن معين فى عدد المحرم ١٤١٧ ص ٢٤ .

بـ (ابن الأعرابى) بترتيب هذه الرواية على حروف المعجم ، وكان هذا الترتيب عاملا على انتشار هذه الرواية ، فقد عرفت فى مصر ، وبلاد المغرب ، واعتمد عليها ابن عبد البر فى تآليفه ، وذكرها ابن خير الأشبيلى فى فهرسته ، واستخدمها ابن حجر فى مصنفاته ، وأشار إليها الكتانى فى رسالته .

ويحدد المحقق مميزات هذه الرواية عن غيرها من الروايات التى روت عن يحيى بن معين فى النقاط التالية :

ـ تنوع النصوص فى الشخص الواحد ، مع إيضاح الأسباب أحيانا التى بنى عليها يحيى نقده .
ـ تنوع الطبقات التى أوردها فى روايته ، واشتمالها على تراجم لرجال من مناطق مختلفة .
ـ تنوع المادة وكثرتها حيث شملت عددا كبيرا من الصحابة ومن اختلف فى صحبته ، وعددا كبيرا ممن جُرح أو عُدّل وأحوالهم فى الأخذ ، الأسماء والكنى والألقاب والأنساب .
ـ المفاضلة بين الرواة فى الأخذ والسماع .
ـ الوفيات والمقارنة فى السن .
ـ قضايا الإرسال والسماع ، ومن حدث من صحيفة .
ـ من أخذ عن الراوى ، وعمن أخذ ، وبيان مواطن السماع أحيانا .
ـ أوهام بعض المحدثين .
ـ من عرف ببدعة أو اتهم بها .
ـ قضايا الكتابة والتدوين .
ـ بيان الأبناء والإخوة ومن تربطهم بالراوى صلة .
ـ بيان مواطن الرواة ومن تحول إلى غيرها .
ـ ضبط بعض الأعلام التى تكون موضع اختلاف .
ـ التفريق بين الرواة عند التشابه ، وبيان من أبهم فى موضع .
ـ من عرف بالسماع لأحاديث معينة .
ـ بيان الغريب من الألفاظ .
ـ قضايا فى مصطلح الحديث .
ـ الأحاديث الأفراد .
ـ ألفاظ فى القراءات أو التفسير .
ـ أحاديث ينبه على أنها موضوعة .
ـ أحاديث يوردها الدورى لمناسبة ذكرها ابن معين .
ـ الأحاديث المقلةً بالإرسال ، أو لاختلاف الرواة .
ـ قضايا فقهية عن يحيى وغيره .
ـ قضايا تاريخية ومناسبات أخرى .
ـ يستدرك الدورى أحيانا على يحيى فى إيضاح النص أو تفسيره .

جهد المحقق :

بذل المحقق الدكتور أحمد محمد نور سيف جهدا رائعا فى إخراج الكتاب على هذه الصورة وقد وقعت مقدمة التحقيق وحدها فى أربعمائة وثمانية وأربعين صفحة تناول فيها كيفية نقد الروايات ، ومهمة الناقد ، والغاية التى يسعى إليها ، ودوافع النقد ، وعوامل ظهوره ، وطبقات النقاد فى الأمصار المختلفة ، وصلة يحيى بن معين بهم ، وتطور النقد ومراحل تدوينه .

ثم قام المحقق بدراسة حياة يحيى بن معين الاجتماعية ، والفكرية ، والعلمية ، ووقعت هذه

الدراسة وحدها ـ فيما يزيد على مائة صفحة ـ .

بعد ذلك عقد المحقق مقارنة بين الروايات(٦) عن يحيى بن معين : أهمها ، وما اشتملت عليه ، وما امتازت به ، وهى :

رواية ابن محرز ، ورواية ابن الجنيد ، ورواية الدارمى ، ورواية إسحاق بن منصور الكوسج ، ورواية الدورى .

ثم قدم المحقق دراسة وصفية للكتاب ، وختم مقدمته بشرح منهجه فى التحقيق .

كذلك قام المحقق بدراسة وتحقيق دقيق لخمسة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر نصا شكلت ثلاثة أجزاء كاملة من الكتاب فكونت عملا ضخما حيث وقع الجزء الثانى فى سبعمائة وإثنتين وسبعين صفحة ، والثالث فى خمسمائة وتسع وسبعين صفحة ، والرابع فى خمسمائة وأربع وأربعين صفحة ، بينما يمثل المجلد الأول المقدمة .

وفى نهاية التحقيق ختم الباحث دراسته فى جزئها الرابع بدراسة السماعات المثبتة على الأجزاء ، فقسمها إلى ثلاثة أنواع :

● الأول : ما أثبته الناسخ ، أو نقله من الأصل الذى نسخ منه :

وهى السماعات المؤرخة على النحو التالى :

ـ سنة ٦١٠ هـ سماع الناسخ من أبى روح ، عبد المعز بهراة .

ـ سنة ٥٣٠ هـ سماع أبى روح ، وأخيه أبى الفضل من أبى الفتح المضرى ، وأبى نصر الصوفى بهراة .

ـ سنة ٤٧٦ هـ سماع أبى الفتح المضرى ، وأبى نصر الصوفى ، من أبى سعد الحاكم ، حكيم بن أحمد الأسفرائينى .

● الثانى : سماعٌ أثبت بعد ذلك على النسخة حين قرأها أحمد بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسى على والده محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسى سنة ٦٨٥ بإجازته من الشيخ أبى روح عبد المعز .

وقد أثبت هذا السماع على النسخة بعد نسخها ومعارضتها بخمس وسبعين سنة .

● أما النوع الثالث : فهو سماع أثبت على هذه النسخة بعد نسخها باثنتين وأربعين سنة بقراءة محمد بن أحمد بن محمد الأصبهانى على الشيخ أبى الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقى سنة ٦٥٢ هـ بسند آخر مثبت فى السماع عن أبى طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد السلفى بروايته عن أبى عبدالله : القاسم بن الفضل بن محمود الثقفى عن أبى عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى ، عن أبى العباس : الأصم عن الدورى عن يحيى بن معين .

ولعلنا فى هذه العجالة نكون قد أحطنا بجهد ضخم بذله علماء أفذاذ نذروا أنفسهم لله يريدون وجهه ونسأل الله أن ينفعنا وينفع الناس بعلمهم ..

(٦) سبق أن نشرنا مقالين تضمنا روايتين عن الإمام يحيى بن معين ، الرواية الأولى « تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى ابن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم » ونشرت فى عدد جمادى الأولى ١٤١٧ هـ ص ٦٤٨ والثانية « من كلام أبى زكريا يحيى بن معين رواية يزيد بن الهيثم بن طهمان البادى » ونشرت فى رمضان ١٤١٧ هـ ص ١٢٦٨ ، وحققهما الدكتور أحمد محمد نور سيف .

تصحيح وقت أذان الفجر

للأستاذ/ عبد الملك على الكليب•

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد فمن المتفق عليه بين فقهاء المسلمين أن وقت صلاة الفجر يدخل بطلوع الفجر الصادق وهو البياض الذى يأخذ فى عرض السماء فى أفق المشرق فى موضع طلوع الشمس ويزداد بياضه تدريجيا مع صفرة أو حمرة حتى ينتشر فى جميع القبة السماوية .

كذلك من المتفق عليه فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية أن الظلام يكون دامسا عندما يكون انخفاض الشمس ١٨ تحت الأفق وأن أول خيط من الفجر يظهر بعد دقائق ليست بالقليلة من الوقت الذى يكون فيه مركز الشمس عند هذه الدرجة (١٨) .

وتقاويم الصلاة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى اليوم تحسب الفجر الصادق عندما يكون انخفاض الشمس ١٩٣٣ تحت الافق ، ومن المفروض عند من يقول هذا من الفلكيين العرب ان الفجر

• باحث إسلامى.

الصادق يطلع عند هذه الدرجة ، ولكن العلم والواقع ينفيان ذلك نفيا قاطعا ويثبتان أن الظلام يكون دامسا عندما ينادى بالصلاة ، ومن باب النصح للمسلمين وعدم كتمان العلم واحتسابا للثواب عند رب العالمين قمت بكتابة هذه الرسالة معرفا فيها ظاهرة الفجر فى اللغة وفى الكتاب والسنة وفى علوم الفلك والجو والملاحة والرصدات التى قمنا بها والمراسلات التى جرت مع مرصدى جرينتش الملكى والبحرية الأمريكية حتى يكون المسلم على بينة من وقت هذه الصلاة الجليلة التى يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ولئلا يقضى عمره وهو لا يعد مصليا لها لأنه يصليها قبل وقتها .

تعريف الفجر

أولا ـ الفجر فى اللغة :

الفجر : ضوء الصباح ، وهو حمرة الشمس فى سواد الليل وهما فجران ، أحدهما المستطيل وهو الكاذب الذى يسمى ذنب السرحان ، والآخر المستطير وهو الصادق المنتشر فى الأفق الذى يحرم الأكل والشرب على الصائم ولا يكون الصبح إلا الصادق .

(لسان العرب م٢/١٠٥٣)

قلت : سمى ذنب السرحان وهو الذئب الأسود فإن باطن ذنبه ابيض بجانبيه سواد مثل الفجر الكاذب فهو عبارة عن عمود مضىء يمتد من المشرق إلى كبد السماء ويحيط به الظلام . ويسمى القسم الأول من الفجر الغلس ، وهو الذى حفظ عن رسول الله ﷺ انه كان يصلى فيه الفجر وهذه صفته .

والغلس : قال أبو منصور : هو أول الصبح حتى ينتشر فى الآفاق وكذلك الغبس (بالسين) وهما سواد مختلط ببياض وحمره مثل الصبح سواء ، وفى الحديث (كان يصلى الصبح بغلس) ، الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح .

(لسان العرب م٢/١٠٠٥)

قلت : هذه أوصاف الفجر والغلس فى لغة العرب وليس فيها ما يحتمل التأويل أو يدعو إلى التبكير عن هذا الوقت .

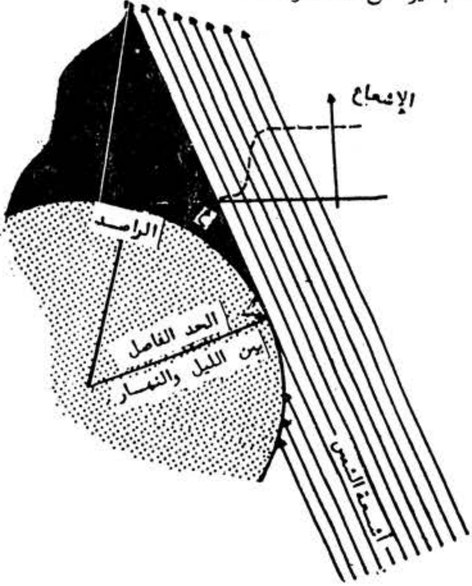

يبين الشكل (١) أبسط صورة لكيفية حدوث الفجر ، فالراصد الذى ينظر إلى الموضع الذى سوف تطلع منه الشمس يرى فقط تلك الأجزاء المتوهجة من الغلاف الجوى فوق الارتفاع (ع) .

ثانيا ـ الفجر فى علم الفلك :

الشفق هو الفترة من الظلام الناقص بين غروب الشمس والظلام التـام ، أو بين الظـلام التـام وشروق الشمس (الفجـر) وهـــو ينشأ عن انعكاس ضوء الشمس من الأجزاء العليـا من الغلاف الجوى التى تظل منيرة بعد ان تكون الشمس قد اختفت عن مستوى سطح الأرض .

الموسوعة الأمريكية .

Twilight, the period of incomplete darkness between sunset and full night, or between full night and sunrise (dawn). It is caused by reflection of sulight from the higher parts of the atmosphere that are still illuminated after the sun has become invisible from ordinary heights.

The Encyclopedia Americana 1963 Vol.: 27, P:228

الفجر فى الكتاب والسنة

قال الله ـ عز وجل :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ البقرة ـ ١٨٧

ففى هذه الآية يرخص الله ـ تبارك وتعالى ـ بالأكل والشرب حتى طلوع الفجر ، ولما كانت صلاة الفجر تعقب الإمساء عن الطعام فإنها لا تصلى إلا بعد طلوع الفجر حتما . ومن حديث عن المواقيت رواه أبو موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ فى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة فلم يرد عليه شيئا ، قال : فأمر بلالا فأقام الفجر حين **انشق الفجر** والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا ـ ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها والقائل يقول : قد طلعت الشمس أو كادت ، ثم دعا السائل فقال : « الوقت بين هذين » .

(مسلم م ١١٥/٥)

انشق الفجر : يقال : شق الفجر ، وانشق إذا طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه .

(لسان العرب م٣٤١/٢)

وفى هذا الحديث دليل على أن أول وقت صلاة الفجر يقع عند طلوع الفجر وليس قبل ذلك ، وأن الوقت يستمر ما لم تطلع الشمس .

وروى البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين بعد أن يستبين الفجر ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة .

(فتح البارى م٢٥٠/٢)

قال ابن حجر العسقلانى ـ رحمة الله تعالى ـ فى فتح البارى : (قوله بالأولى) أى الأذان الذى يؤذن به عند دخول الوقت وهو أول باعتبار الإقامة ، وجاءه التأنيث إما من قبل مؤاخاته للإقامة أو لأنه أراد المناداة أو الدعوة التامة ،

ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف والتقدير : إذا سكت عن المرة الأولى . (قوله يستبين) بموحدة وآخر نون ، وفى رواية (يستنير) بنون وآخره راء .

(فتح البارى م٢/٢٥٠)

قلت : ليس أبلغ من هذا الحديث فى الدلالة على أن سنة رسول الله ﷺ غى هذه الصلاة قد مضت أنه لم يكن ينتظر فقط طلوع الفجر ، ثم يصلى الركعتين الخفيفتين (سنة الصبح) بل كان يمهل حتى يستنير الفجر ثم يصليهما ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة ، فانظر - رحمك الله - كم يبلغ الوقت بين طلوع الفجر واستنارته وصلاة الركعتين وبين الإقامة واذكر أنه كان يصلى بغلس وأن النساء كن ينقلبن إلى بيوتهن لا يعرفن من الغلس ، فهل يؤذن اليوم عند طلوع الفجر ؟

لا ، والله ؛ بل يؤذن والظلام مازال دامسا .

وهل يصلى المصلى سنة الصبح بعد ان يستنير الفجر أسوة برسول الله ﷺ ؟

لا ، والله ؛ بل يصليها أكثر أهل المساجد قبل طلوع الفجر .

وهل تقام الصلاة بعد مدة تكفى للتأكد من استنارة الفجر ومن صلاة ركعتين خفيفتين ومن الاضطجاع برهة لم يحفظ مقدارها ؟

هذه لو حلفت عليها لرجوت ألا أكون آثما .

إن صلاة الفجر تقام قبل طلوع الفجر وقد يقضى بعض السرعان من الأئمة الصلاة قبل بزوغ الفجر . وروى أصحاب السنن بإسناد صحيح عن رافع بن خديج - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر » .

(شرح السنة م٢/١٩٦)

قال البغوى فى (شرح السنة) والعسقلانى فى (فتح البارى) : إن الإسفار المذكور فى هذا الحديث حمله الشافعى وغيره على تيقن طلوع الفجر وزوال الشك .

وقد لخص ابن قدامه - رحمه الله - وقت الصبح فى المغنى : قال : (وإذا طلع الفجر الثانى وجبت صلاة الصبح والوقت مبقى إلى أن تطلع الشمس) . وجملته أن وقت الصبح يدخل بطلوع الفجر الثانى إجماعا ، وقد دلت عليه أخبار المواقيت ، وهو البياض المستطير المنتشر فى الأفق ، ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح ، وَبَيَّنَهُ لك . **والصبح ما جمع بياضا وحمرة** ومنه سمى الرجل الذى فى لونه بياض وحمرة أصبح ، فأما الفجر الأول فهو البياض المستدق صُعُدًا من غير اعتراض فلا يتعلق به حكم ويسمى الفجر الكاذب ، ثم لا يزال وقت الاختيار إلى ان يسفر النهار .

(المغنى م١/٣٩٩)

فهل ما يفعله الناس اليوم هو ما كان يفعله أولئك الاقدمون ؟

لا ، والله ؛ بل إنهم لينصرفون اليوم من الصلاة وخاصة فى الصيف والظلام مازال مطبقا على الآفاق .

وروى ابن خزيمة والحاكم وصححاه ووافقهم الذهبى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « الفجر فجران : فجر

يحرم الطعام وتحل فيه الصلاة وفجر تحرم فيه الصلاة ـ أى صلاة الصبـح ـ ويحل فيـه الطعام » .

(بلوغ المرام ـ ٣٤)

قال ابن خزيمة رحمه الله : فى هذا الخبر دلالة على أن صلاة الفرض لا يجوز اداؤها قبل دخول وقتها .

(صحيح ابن خزيمة م١/١٨٥)

وقال ابن قدامة ـ رحمه الله : ومن صلى ـ قبل الوقت ـ لم تجز صلاته فى قول أكثر أهل العلم سواء فعل عمدا أو خطأ ، كل الصلاة أو بعضها ، وبه قال الزهرى والأوزاعى والشافعى وأصحاب الرأى . وروى عن ابن عمر وأبى موسى ـ رضى الله عنهما ـ أنهما أعادا الفجر لأنهما صليا قبل الوقت .

(المغنى م١/٤١١)

وقال ابن حزم ـ رحمه الله : سئل الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ عن الرجل يؤذن قبل الفجر يوقظ الناس ؟ فغضب وقال : علوج[1] فراغ لو أدركهم عمر بن الخطاب لأوجع جنوبهم ، من أذن قبل الفجر فإنما صلى أهل ذلك المسجد بإقامة لا أذان فيه ، وفى رواية : أنه سمع مؤذنا أذن بليل فقال : علوج تبارى الديوك ، وهل كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ إلا بعدما يطلع الفجر ، وعن إبراهيم النَّخَعِى أنه كان يكره أن يؤذن قبل الفجر ، وعنه ـ أيضا ـ قال : سمع علقمة بن قيس مؤذنا بليل فقال : لقد خالف هذا سنة من سنة أصحاب رسول الله ﷺ لو نام على فراشه لكان خيرا له .

وروى عن نافع مولى ابن عمر عن مؤذن لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقال له مسروح أذن قبل الصبح فأمره عمر ان ينادى : ألا إن العبد نام .

وعن الأسود بن يزيد قال : قالت لعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ : متى تُوتِرِين ؟ قالت : بين الأذان والإقامة ، وما كانوا يؤذنون حتى يصبحوا ، وعن نافع قال : ما كانوا يؤذنون حتى يطلع الفجر .

ثم قال على : فهذه أقوال أئمة أهل المدينة : عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين ونافع وغيرهم . وهم أولى بالاتباع ممن جاء بعدهم فوجد عملا لا يدرى أصله ولا يجوز فيه دعوى نقل التواتر عن مثله أصلا ؛ لأن الروايات عن هؤلاء الثقات مبطلة لهذه الدعوى التى لا تصح ولا يعجز عنه أحد .

(المحلى م٣/١١٨)

الفجر فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية

يوجد فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية اتفاق عام على انه عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨ْ تحت الأفق أو أقل من ذلك بقليل (٣٠ ١٧ْ أو ١٧ْ مثلا) فإنه لا يوجد أى أثر لضوء الفجر على الأفق وفيما يلى عرض لبعض هذه النصوص :

(١) علوج ـ جمع علج : كل جاف شديد من الرجال .

١ ـ يعرف الشفق الفلكى بانه الفترة بين الشروق أو الغروب وبين الوقت الذى يكون فيه الموضع الحقيقى لمركز الشمس ١٨° تحت الأفق ففى هذا الوقت ترى نجوم الدرجة السادسة قرب نقطة السمت ، ولا يوجد عادة أثر لضوء الفجر أو الشفق على الأقل .

جداول سمثونيان للعلوم الجوية .

قلت : نجوم الدرجة السادسة هى أضعف النجوم لمعانا .

٢ ـ الفجر الفلكى : عندما تنخفض الشمس ١٨° تحت الأفق فقد تقرر إنها النقطة التى تفصل الظلام التام عن الشروق أو الغروب ، ومهما يكن من أمر فإن الإضاءة لا تدرك بالحس عندما تكون زاوية انخفاض الشمس أقل قليلا من ١٨° تحت الأفق .

الموسوعة البريطانية

٣ ـ (الفجر أو الشفق) عندما تكون الشمس غير بعيدة تحت الأفق فإن ضوءها يصل إلى الأرض منعكسا ومشتتا بواسطة الغلاف الجوى العلوى ، وتعرف الفترة التى تحدث أثناءها هذه الإضاءة بـ (الفجر أو الشفق) ويعتبر أنه يبدأ عادة (فى الصباح) أو ينتهى (فى المساء) عندما يكون مركز الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨° .

1. Astronomical twilight is defined as the interval between sunrise or sunset and the time when the true position of the center of the sun is 18° below the horizon, at which time stars of the sixth magnitude are visible near the zenith and generally there is no trace on the horizon of the twilight glow.

Smithsonian Meteorological tables, Washington, D.C. 1971, P:506

2. Astronomical Twilight: When the sun dropped about 18° below the horizon; it has been adopted as the point that seperates complete darkness from sunset or sunrise. However, illumination is practically imperceptible when the sun is only slightly less than 18° below the horizon.

Encyclopedia Britannica,
Vol.: 22. P:430.

3. Twilight; When the sun is not too far below the horizon, light reflected and scattered by the upper atmosphere reaches the Earth; the period during which this illimination occurs is known as twilight; and is usually considered to begin (in the morning) or end (in the evening) when the centre of the sun is 18° below the horizon.

الوقت	انخفاض مركز الشمس
شروق أو غروب الشمس	
الفجر أو الشفق المدنى	
الفجر أو الشفق الملاحى	
الفجر أو الشفق الفلكى	

Time	Depression of Sun's centre
Sunrise or sunset	0° 50
Civil twilight	6°
Nautical twilight	12°
Astronomical twilight	18°

وسوف يوجد بوجه عام أن (الفجر أو الشفق) المدنى يحدد الوقت الذى تكون فيه الأعمال المعتادة خارج المنازل صعبة بدون الضوء الصناعى ، ويمكن خلاله رؤية أشد النجوم لمعانا . وفى وقت (الفجر أو الشفق) الملاحى يكون الضوء قد تدهور بشكل كبير ، ولكن تبقى التحديدات العامة مرئية ، مع انه يحتمل عدم تمييز الأفق ، أما الأعمال الواسعة فإنها تكون مستحيلة ، ويمكن رؤية جميع النجوم اللامعة . أما (الفجر أو الشفق) الفلكى فيمكن اعتباره مرادفا للظلام .

It will be found, in general, that civil twilight marks the time when ordinary outdoor operations are difficult without artificial light, the brightost stars will be visible to the eye. By the time of nautical twilight the light will have deteriorated badly; general outlines will still be visible, although the horizon probably cannot be distinguished, all detailed operations are impossible, and all the brighter stars can be seen. Astronomical twilight may be taken as synonymous with darkne ss.

التقويم الملاحى :

The Nautical Almarac, 1955, P:452

ملاحظة : تطلق كلمة Twilight فى اللغة الانجليزية على الفجر وعلى الشفق سواء ، وعندما يراد به الفجر فإنهم يقولون Morning Twilight وعندما يراد به الشفق فإنهم يقولون Evening Twilight .

قلت : وهذا هو الحق وهو ان الظلام يكون دامسا عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨° تحت الافق أو حتى أقل من ذلك بقليل (٣٠ ١٧° أو ١٧°) كما جاء فى الموسوعة البريطانية ، فكيف ينادى بالصلاة عندما يكون انخفاض الشمس ٣٣ ١٩° .

الفجر يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ١٦ ٣٠ْ

لما عرفنا أن الظلام يكون دامسا عندما يكون انخفاض الشمس ١٨ْ تحت الأفق ، وأن ضوء الفجر يكون واضحا عندما يكون انخفاض الشمس ١٢ْ تحت الأفق ، لذلك فإننا نتوقع طلوع الفجر خلال الوقت المحصور بين هاتين الدرجتين الرئيسيتين ، ١٨ْ و١٢ْ . وقد كانت الرصدات الأولى تشير إلى أن الفجر يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ١٤ْ ، ولكن لأن موقع الكويت لا يعطيها فرصة رصدات دقيقة جدا بسبب كثرة تكرار وجود الغبار الخفيف المعلق فوق الأفق والذى يمنع رؤية أول علامة من الفجر فقد كنا نظن دوما أن الفجر قد يبدأ فى البلدان التى يكون فيها مدى الرؤية الأفقية ممتازا فى درجات أكبر من هذه الدرجة ، وكانت الرصدة الفاصلة هناك فى الحجاز فى المملكة العربية السعودية فى شتاء ١٩٧٤ حيث كان مدى الرؤية ممتازا لدرجة يمكن معها رؤية النجوم الصغيرة فوق الأفق . وهناك أمكن رؤية أول الفجر حيث طلع كالعمود فى مكان طلوع الشمس وبلغ ارتفاعه ١٥ْ تقريبا فوق الأفق وبعد خمس دقائق أخذ يعترض وينتشر فى الأفق الشرق كله آخذا فى نفس الوقت فى الارتفاع ثم التلون بالحمرة ، وكان انخفاض الشمس عند لحظة بدء الفجر ١٦ ٣٠ْ تحت الأفق.

ولهذا ؛ فإنا لما هدانا الله إلى هذا العلم الخطر وتبين لنا جليا الخطأ الفاحش الذى وقع فيه بعض الفلكيين العرب وهو أن الفجر الصادق يطلع عندما يكون انخفاض الشمس ٣٣ ١٩ْ تحت الأفق فى حين ان الظلام يكون دامسا عند هذه الدرجة وبعدها بمدد تتراوح بين ١٣ دقيقة فى فصل الشتاء و٢٠ دقيقة فى فصل الصيف (بالنسبة لخط عرض الكويت) ...

قلت لما هدانا الله إلى هذا العلم فانا نتقدم إلى المسلمين فى الكويت بنتيجة هذا البحث وخلاصته وهو جدول يبين وقت الفجر الإسلامى وهو الوقت الذى يبدأ عنده طلوع الفجر لكل يوم من أيام السنة وكذلك جدول وقت الفجر الفلكى وهو الوقت الذى يستحيل فيه رؤية ضوء الفجر وهو يصلح كوقت لامساك الصائم عند أولئك الذين يرون الإمساك قبل الفجر . كذلك نتقدم إلى المسلمين فى الأرض بجدول يبين طول الفترة (بالدقائق) بين طلوع الفجر وشروق الشمس لخطوط العرض الرئيسية الممتدة من خط الاستواء جنوبا الى خط عرض ٤٠ْ شمالا والتى تتضمن معظم أراضى المسلمين ، وما على المسلم الا ان يعرف وقت شروق الشمس ثم يطرح منه المدة فيكون وقت الفجر وبالله التوفيق .

وقت بدء الفجر الإسلامى فى الكويت (الشمس ١٦°٣٠ تحت الأفق)

التاريخ	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
١	٥٢٤	٥٢٢	٥٠٢	٤٢٤	٣٤٨	٣٢٤	٣٢٥	٣٤٥	٤١٠	٤٢٨	٤٤٧	٥٠٨
٢	٥٢٤	٥٢٢	٥٠٠	٤٢٣	٣٤٧	٣٢٣	٣٢٥	٣٤٦	٤١١	٤٢٩	٤٤٧	٥٠٩
٣	٥٢٤	٥٢١	٤٥٩	٤٢١	٣٤٦	٣٢٣	٣٢٦	٣٤٧	٤١١	٤٢٩	٤٤٨	٥٠٩
٤	٥٢٥	٥٢١	٤٥٨	٤٢٠	٣٤٥	٣٢٢	٣٢٦	٣٤٨	٤١١	٤٣٠	٤٤٩	٥١٠
٥	٥٢٥	٥٢١	٤٥٧	٤١٩	٣٤٤	٣٢٢	٣٢٦	٣٤٩	٤١٢	٤٣١	٤٤٩	٥١٠
٦	٥٢٥	٥٢٠	٤٥٦	٤١٨	٣٤٣	٣٢٢	٣٢٦	٣٥٠	٤١٢	٤٣١	٤٥٠	٥١١
٧	٥٢٥	٥١٩	٤٥٥	٤١٧	٣٤٢	٣٢٢	٣٢٧	٣٥١	٤١٣	٤٣٢	٤٥٠	٥١١
٨	٥٢٦	٥١٨	٤٥٤	٤١٥	٣٤٠	٣٢٢	٣٢٧	٣٥٢	٤١٣	٤٣٢	٤٥١	٥١٢
٩	٥٢٦	٥١٨	٤٥٣	٤١٤	٣٣٩	٣٢٢	٣٢٨	٣٥٢	٤١٤	٤٣٣	٤٥٢	٥١٢
١٠	٥٢٦	٥١٧	٤٥٢	٤١٣	٣٣٨	٣٢٢	٣٢٩	٣٥٣	٤١٤	٤٣٤	٤٥٣	٥١٣
١١	٥٢٦	٥١٧	٤٥١	٤١٢	٣٣٧	٣٢٢	٣٢٩	٣٥٤	٤١٥	٤٣٤	٤٥٣	٥١٤
١٢	٥٢٦	٥١٦	٤٥٠	٤١٠	٣٣٦	٣٢٢	٣٣٠	٣٥٥	٤١٦	٤٣٥	٤٥٤	٥١٤
١٣	٥٢٦	٥١٥	٤٤٨	٤٠٨	٣٣٥	٣٢١	٣٣١	٣٥٦	٤١٦	٤٣٥	٤٥٥	٥١٥
١٤	٥٢٦	٥١٥	٤٤٧	٤٠٧	٣٣٤	٣٢١	٣٣٢	٣٥٧	٤١٧	٤٣٦	٤٥٥	٥١٦
١٥	٥٢٦	٥١٤	٤٤٦	٤٠٦	٣٣٣	٣٢١	٣٣٣	٣٥٧	٤١٨	٤٣٦	٤٥٦	٥١٦
١٦	٥٢٦	٥١٣	٤٤٥	٤٠٥	٣٣٣	٣٢١	٣٣٣	٣٥٨	٤١٩	٤٣٦	٤٥٧	٥١٧
١٧	٥٢٦	٥١٢	٤٤٤	٤٠٣	٣٣٢	٣٢١	٣٣٤	٣٥٩	٤٢٠	٤٣٧	٤٥٨	٥١٧
١٨	٥٢٦	٥١١	٤٤٢	٤٠٢	٣٣١	٣٢١	٣٣٥	٤٠٠	٤٢٠	٤٣٧	٤٥٨	٥١٨
١٩	٥٢٦	٥١٠	٤٤١	٤٠١	٣٣٠	٣٢١	٣٣٥	٤٠٠	٤٢١	٤٣٨	٤٥٩	٥١٨
٢٠	٥٢٦	٥١٠	٤٤٠	٤٠٠	٣٢٩	٣٢١	٣٣٥	٤٠١	٤٢٢	٤٣٩	٥٠٠	٥١٩
٢١	٥٢٦	٥٠٩	٤٣٨	٣٥٩	٣٢٩	٣٢١	٣٣٦	٤٠٢	٤٢٢	٤٣٩	٥٠١	٥١٩
٢٢	٥٢٦	٥٠٨	٤٣٧	٣٥٨	٣٢٨	٣٢١	٣٣٧	٤٠٣	٤٢٣	٤٤٠	٥٠٢	٥٢٠
٢٣	٥٢٥	٥٠٧	٤٣٦	٣٥٧	٣٢٧	٣٢٢	٣٣٨	٤٠٤	٤٢٤	٤٤٠	٥٠٢	٥٢٠
٢٤	٥٢٥	٥٠٦	٤٣٥	٣٥٦	٣٢٦	٣٢٢	٣٣٩	٤٠٤	٤٢٤	٤٤١	٥٠٣	٥٢١
٢٥	٥٢٥	٥٠٥	٤٣٤	٣٥٤	٣٢٥	٣٢٢	٣٤٠	٤٠٥	٤٢٥	٤٤١	٥٠٣	٥٢١
٢٦	٥٢٥	٥٠٤	٤٣٢	٣٥٣	٣٢٥	٣٢٣	٣٤٠	٤٠٦	٤٢٥	٤٤٢	٥٠٤	٥٢٢
٢٧	٥٢٤	٥٠٤	٤٣١	٣٥٢	٣٢٤	٣٢٣	٣٤١	٤٠٧	[illegible]	٤٤٢	٥٠٥	٥٢٢
٢٨	٥٢٤	٥٠٣	٤٢٩	٣٥١	٣٢٤	٣٢٤	٣٤٢	٤٠٧	٤٢٧	٤٤٤	٥٠٦	٥٢٣
٢٩	٥٢٤		٤٢٨	٣٥٠	٣٢٤	٣٢٤	٣٤٣	٤٠٧	٤٢٧	[illegible]	٥٠٧	٥٢٣
٣٠	٥٢٣		٤٢٧	٣٤٩	٣٢٤	٣٢٤	٣٤٢	٤٠٨	٤٢٨	٤٤٦	٥٠٧	٥٢٤
٣١	٥٢٣		٤٢٥		٣٢٤		٣٤٤	٤٠٩		٤٤٦		٥٢٤

وقت بدء الفجر الفلكى فى الكويت (الشمس ١٨° تحت الأفق)

التاريخ	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
١	٥١٧	٥١٥	٤٥٥	٤١٧	٣٤٠	٣١٥	٣١٦	٣٣٧	٤٠٣	٤٢١	٤٤٠	٠١
٢	٥١٧	٥١٥	٤٥٣	٤١٦	٣٣٩	٣١٤	٣١٦	٣٣٨	٤٠٤	٤٢٢	٤٤٠	٠٢
٣	٥١٧	٥١٤	٤٥٢	٤١٤	٣٣٨	٣١٤	٣١٧	٣٣٩	٤٠٤	٤٢٢	٤٤١	٠٢
٤	٥١٨	٥١٤	٤٥١	٤١٣	٣٣٧	٣١٣	٣١٧	٣٤٠	٤٠٤	٤٢٣	٤٤٢	٠٣
٥	٥١٨	٥١٤	٤٥٠	٤١٢	٣٣٦	٣١٣	٣١٧	٣٤١	٤٠٥	٤٢٤	٤٤٢	٠٣
٦	٥١٨	٥١٣	٤٤٩	٤١١	٣٣٥	٣١٣	٣١٧	٣٤٢	٤٠٥	٤٢٤	٤٤٣	٠٤
٧	٥١٨	٥١٢	٤٤٨	٤١٠	٣٣٤	٣١٣	٣١٨	٣٤٣	٤٠٦	٤٢٥	٤٤٣	٠٤
٨	٥١٩	٥١١	٤٤٧	٤٠٨	٣٣٢	٣١٣	٣١٨	٣٤٤	٤٠٦	٤٢٥	٤٤٤	٠٥
٩	٥١٩	٥١١	٤٤٦	٤٠٧	٣٣١	٣١٣	٣١٩	٣٤٤	٤٠٧	٤٢٦	٤٤٥	٠٥
١٠	٥١٩	٥١٠	٤٤٥	٤٠٦	٣٣٠	٣١٣	٣٢٠	٣٤٥	٤٠٧	٤٢٧	٤٤٦	٠٦
١١	٥١٩	٥١٠	٤٤٤	٤٠٥	٣٢٩	٣١٣	٣٢٠	٣٤٦	٤٠٨	٤٢٧	٤٤٦	٠٧
١٢	٥١٩	٥٠٩	٤٤٣	٤٠٣	٣٢٨	٣١٣	٣٢١	٣٤٧	٤٠٩	٤٢٨	٤٤٧	٠٧
١٣	٥١٩	٥٠٨	٤٤١	٤٠١	٣٢٧	٣١٢	٣٢٢	٣٤٨	٤٠٩	٤٢٨	٤٤٨	٠٨
١٤	٥١٩	٥٠٨	٤٤٠	٤٠٠	٣٢٦	٣١٢	٣٢٣	٣٤٩	٤١٠	٤٢٩	٤٤٨	٠٩
١٥	٥١٩	٥٠٧	٤٣٩	٣٥٩	٣٢٥	٣١٢	٣٢٤	٣٤٩	٤١١	٤٢٩	٤٤٩	٠٩
١٦	٥١٩	٥٠٦	٤٣٨	٣٥٨	٣٢٥	٣١٢	٣٢٤	٣٥٠	٤١٢	٤٢٩	٤٥٠	١٠
١٧	٥١٩	٥٠٥	٤٣٧	٣٥٦	٣٢٤	٣١٢	٣٢٥	٣٥١	٤١٣	٤٣٠	٤٥١	١٠
١٨	٥١٩	٥٠٤	٤٣٥	٣٥٥	٣٢٣	٣١٢	٣٢٦	٣٥٢	٤١٣	٤٣٠	٤٥١	١١
١٩	٥١٩	٥٠٣	٤٣٤	٣٥٤	٣٢٢	٣١٢	٣٢٧	٣٥٢	٤١٤	٤٣١	٤٥٢	١١
٢٠	٥١٩	٥٠٣	٤٣٣	٣٥٣	٣٢١	٣١٢	٣٢٧	٣٥٣	٤١٥	٤٣٢	٤٥٣	١٢
٢١	٥١٩	٥٠٢	٤٣١	٣٥٢	٣٢١	٣١٢	٣٢٨	٣٥٤	٤١٥	٤٣٢	٤٥٤	١٢
٢٢	٥١٩	٥٠١	٤٣٠	٣٥١	٣٢٠	٣١٢	٣٢٩	٣٥٥	٤١٦	٤٣٣	٤٥٥	١٣
٢٣	٥١٨	٥٠٠	٤٢٩	٣٥٠	٣١٩	٣١٣	٣٣٠	٣٥٦	٤١٧	٤٣٣	٤٥٥	١٣
٢٤	٥١٨	٤٥٩	٤٢٨	٣٤٩	٣١٨	٣١٣	٣٣١	٣٥٦	٤١٧	٤٣٤	٤٥٦	١٤
٢٥	٥١٨	٤٥٨	٤٢٧	٣٤٧	٣١٧	٣١٣	٣٣٢	٣٥٧	٤١٨	٤٣٤	٤٥٦	١٤
٢٦	٥١٨	٤٥٧	٤٢٥	٣٤٦	٣١٧	٣١٤	٣٣٢	٣٥٨	٤١٨	٤٣٥	٤٥٧	١٥
٢٧	٥١٧	٤٥٧	٤٢٤	٣٤٥	٣١٦	٣١٤	٣٣٣	٣٥٩	٤١٩	٤٣٦	٤٥٨	١٥
٢٨	٥١٧	٤٥٦	٤٢٢	٣٤٤	٣١٦	٣١٥	٣٣٤	٤٠٠	٤٢٠	٤٣٧	٤٥٩	١٦
٢٩	٥١٧		٤٢١	٣٤٣	٣١٦	٣١٥	٣٣٥	٤٠٠	٤٢٠	٤٣٨	٥٠٠	١٦
٣٠	٥١٦		٤٢٠	٣٤١	٣١٥	٣١٥	٣٣٥	٤٠١	٤٢١	٤٣٩	٥٠٠	١٧
٣١	٥١٦		٤١٨		٣١٥		٣٣٦	٤٠٢		٤٣٩		١٧

طول الفترة (بالدقائق) بين طلوع الفجر وشروق الشمس لخطوط العرض الرئيسية

خط العرض	التاريخ	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
٤٠ْ شمالا	١	٩٠	٨٥	٨٣	٨٦	٩٤	١٠٩	١١٠	٩٧	٨٥	٨٢	٨٣	٨٨
	١١	٨٨	٨٤	٨٤	٨٨	٩٩	١١٠	١٠٥	٩٢	٨٤	٨٢	٨٤	٨٩
	٢١	٨٨	٨٣	٨٥	٩٠	١٠٤	١١١	١٠٢	٩٠	٨٢	٨٢	٨٦	٨٩
٣٥ْ شمالا	١	٨٣	٨٠	٧٨	٧٩	٨٥	٩٤	٩٥	٨٨	٧٩	٧٦	٧٧	٨١
	١١	٨٢	٧٨	٧٨	٨١	٨٨	٩٦	٩٣	٨٤	٧٨	٧٦	٧٩	٨٢
	٢١	٨١	٧٨	٧٨	٨٣	٩٢	٩٦	٩٠	٨٢	٧٦	٧٦	٧٩	٨٣
٣٠ْ شمالا	١	٧٨	٧٥	٧٣	٧٥	٨٠	٨٦	٨٧	٨٢	٧٥	٧٢	٧٣	٧٧
	١١	٧٨	٧٥	٧٣	٧٦	٨٣	٨٧	٨٦	٨٠	٧٤	٧٢	٧٥	٧٨
	٢١	٧٧	٧٤	٧٤	٧٨	٨٤	٨٨	٨٣	٧٧	٧٣	٧٣	٧٥	٧٨
٢٠ْ شمالا	١	٧٣	٦٩	٦٧	٦٨	٧١	٧٦	٧٦	٧٢	٦٧	٦٦	٦٧	٧٠
	١١	٧١	٦٨	٦٨	٦٩	٧٣	٧٦	٧٤	٧٠	٦٧	٦٦	٦٨	٧١
	٢١	٧٠	٦٧	٦٨	٧٠	٧٤	٧٦	٧٤	٦٩	٦٧	٦٧	٦٩	٧٢
١٠ْ شمالا	١	٦٨	٦٦	٦٥	٦٤	٦٦	٧١	٧٠	٦٨	٦٥	٦٤	٦٥	٦٧
	١١	٦٨	٦٦	٦٤	٦٥	٦٧	٧١	٧٠	٦٧	٦٤	٦٤	٦٦	٦٨
	٢١	٦٧	٦٥	٦٤	٦٦	٦٨	٧١	٦٩	٦٦	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨
خط الاستواء	١	٦٨	٦٦	٦٣	٦٤	٦٥	٦٧	٦٧	٦٦	٦٤	٦٣	٦٤	٦٧
	١١	٦٨	٦٦	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨	٦٧	٦٥	٦٣	٦٤	٦٥	٦٧
	٢١	٦٧	٦٣	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨	٦٧	٦٤	٦٣	٦٤	٦٦	٦٨

المراســـلات

وزيادة فى الحرص على توخى الحقيقة فقد كتبت إلى اثنين من أهم المراصد فى العالم وهما مرصد جرينتش الملكى ومرصد البحرية الأمريكية مستفسرا عن الأمرين التاليين :

١ ـ هل يظهر أول الفجر عندما يكون انخفاض الشمس ١٩ْ تحت الأفق .

٢ ـ عند أى انخفاض للشمس تحت الأفق يطلع الفجر .

وفى الصفحة (١٦) صورة الرد من المرصد الأول .

ويؤخذ منه قوله (ما تحته خط) : ومن ثم ،

فإن الراصد العادى يرجح له ان يلاحظ بدء الفجر عندما يكون الانخفاض بين ١٨° ، و١٢° .

أما المرصد الثانى فتجد صورة رده فى الصفحة (١٧) :

ويؤخذ منه قوله : يعتبر الظلام التام منتهيا فى الصباح عندما يكون مركز الشمس هندسيا ١٨° تحت الافق ، ومهما يكن ففى ذلك الوقت يكون النور باهتا لدرجة كبيرة لا يدرك معها بالحس .

ومن التعريفات المرفقة مع الرسالة أخذنا الفقرة التالية :

The times in the morning and evening when the center of the sun is geometrically 10° below the horizon have accordingly been conventionally defined as the beginning of morning twilight and end of evening twilight; but for a considerable interval after the beginning in the morning, and before the ending in the evening, the illumination is so faint that it is practically imperceptible.

الترجمة :

وهكذا فإن الوقتين فى الصباح وفى المساء عندما يكون مركز الشمس هندسيا ١٨° تحت الأفق قد تم الاصطلاح على تعريفهما كبدء فجر الصباح وانتهاء شفق المساء ، ولكن لفترة كبيرة بعد البدء فى الصباح وقبل الانتهاء فى المساء يكون النور باهتا لدرجة كبيرة لا يدرك معها بالحس .

U. S. NAVAL OBSERVATORY
WASHINGTON, D. C. 20390

7 February 1974

Dear Sir:

In reply to your letter of 23 January, enclosed is a copy of our definitions of astronomical, nautical and civil twilight.

Complete darkness is considered to end in the morning when the center of the sun is geometrically 18° below the horizon. However, at that time, the illumination is so faint it is practically imperceptible. Actual observations over a long period of time at your specific geographic location would be necessary in order to determine the length of time after the beginning of morning astronomical twilight when the first visible light appears.

Sincerely yours,

R. L. Duncombe

R. L. DUNCOMBE
Director
Nautical Almanac Office

Abdul Malik Al-Kulaib
Chief, Climatological Division
P.O. Box 17
Kuwait

SCIENCE RESEARCH COUNCIL

H.M. Nautical Almanac Office
ROYAL GREENWICH OBSERVATORY
Herstmonceux Castle, Hailsham, Sussex BN27 1RP

Telephone : Herstmonceux (032-181) 3171 Telex : 87451
Telegrams : Observer Hailsham Telex

Mr. A.M. Al-Kulaib,
Climatological Division,
Directorate General of Civil Aviation,
Meteorological Service,
P.O. Box 17,
KUWAIT, Middle East.

Your reference :
Our reference : C63 (B47d)
Date : 1974 January 28

Dear Sir,

We have been asked to reply to your enquiry of 1974 January 23 concerning the depression of the Sun below the horizon at the beginning of morning twilight. The questions do not admit of precise answers since the conditions during twilight depend on the actual, current, state of the atmosphere over a wide area. Even the average conditions near a given place may vary with the time of year and will differ from those in other areas. Hence, I can do little more than repeat the generally-accepted views on this matter. Firstly, it is necessary for the Sun to be more than 18° below the horizon in order that the twilight shall not affect astronomical observations of faint objects. Secondly, it is necessary for the Sun to be less than 12° below in order that an observer shall be able to see the horizon sufficiently well to be able to take astronomical sights for navigation at sea. Hence the ordinary observer is likely to notice the onset of twilight at a depression of between 18° and 12°. This is in agreement with your own observations that at a depression of 14° the onset of twilight is just noticeable, but I must emphasise that I would expect the value to differ from day to day as the sky conditions change.

I trust that these comments will be of assistance to you.

Yours faithfully,

G.A. Wilkins
Superintendent

ما أدعو اليه

والذى أدعو إليه الناس اليوم هو التقويم الجديد الذى مرّ آنفا ، وان يتركوا الصلاة قبل الوقت فإنهم اليوم يفعلون ذلك ، وان مثل امامهم فى تبكيره بالفجر عندى كمثل الرجل يؤذن لصلاة المغرب والشمس فوق الأفق ويـقيم الصلاة والشمس لم تغرب بعد ، فلا صحت صلاتـه ولا صحت صلاة الناس خلفه لعلمهم بعـدم دخول الوقت ، فليتقوا الله ولا يرفضوا الحق جملة واحـدة ، فقـد والله اجتهدت غاية المستطاع ونصحت فى العمل وان شك أحد بقولى فعليه بالأفق فلينظر فى يوم صحو لا يظهر فيه القمر ولا يثور فيه الغبار متى يطلع الفجر .

كذلك ادعو المسئولين عن شئون المسلمين فى بلـدان المسلـمين إلى اعتماد الدرجة الجديـدة (١٦٫٣٠) كوقت بدء الفجـــر بدلا من (١٩٫٣٣) فانهم مظنة الحرص على صلاح أمور المسلمين وان ينهضوا لهذا الأمر الخطير فإن لهم من الثواب على اجتهادهم فى تحقيق الحق بقدر ما عليهم من الوزر بإهمالهم وأعراضهم .

وبعد ، فهذا الذى قلته وعملته ، ان كان صوابا فهو من الله ـ وحده ، وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

٢

للدكتور السيد رضوان محمد جمعه*

تحرير محل النزاع :

لا خلاف بين الفقهاء فى وجوب الكفارة فى القتل شبه العمد والخطأ وما أُجرى مجرى الخطأ(١)، سواء كان المقتول ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا .

وإنما اختلفوا فى وجوب الكفارة فى القتل العمد والقتل بسبب، وسنبحث ذلك فى مطلبين :

---

(١) قسم الحنفية القتل إلى خمسة أنواع : عمد وشبه عمد وخطأ وما أجرى مجرى الخطأ وما ليس بعمد ولا خطأ ولا أجرى مجرى الخطأ وهو القتل بسبب.

فأما العمد فهو ما تعمدت ضربه بسلاح، لأن العمد هو القتل وقصد إزهاق الحياة.

وأما شبه العمد فهو ما تعمدت ضربه بالعصا أو السوط أو الحجر أو اليد، فإن فى هذا الفعل معنيين، العمد باعتبار قصد الفاعل إلى الضرب، ومعنى الخطأ باعتبار انعدام القصد منه إلى القتل: إلى أن قال: فأما بيان أحكام شبه العمد فنقول: إنه لا قصاص فيه لتمكن الشبهة والخطأ من حيث انعدام القصد إلى القتل، والقصاص عقوبة تندرىء بالشبهات.. إلى أن قال: ومن موجبه الكفارة ــ أيضا ــ باعتبار هذا المعنى لأنه جزاء أصل الفعل، وهو مما لا يندرىء بالشبهات، وبهذا ثبت فى الخطأ ففى شبه العمد أولى .

وأما الخطأ فهو ما أصبت مما كنت تعمدت غيره إلى أن قال : ومن موجبه الكفارة فإنها تثبت بهذا النص. فأما ما أجرى مجرى الخطأ على ما ذكره الرازى : فهو النائم إذا انقلب على إنسان فقتله، وهذا ليس بعمد ولا خطأ، لأنه لا تصور للقصد من النائم حتى يتصور منه ترك القصد أو ترك التحرز، ولكن الانقلاب الموجب لتلف ما انقلب عليه يتحقق من النائم فيجرى هذا مجرى الخطأ حتى تجب الدية على عاقلته والكفارة ويثبت به حرمان الميراث ليوهم أن يكون متهاونا ولم يكن نائما قصدا منه إلى استعجال الميراث وأظهر من نفسه القصد إلى محل آخر انظر : المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٥ ــ ص ٥٩ وما بعدها ــ طبع دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

وذكر الكاسانى خلافا بين فقهاء الحنفية فى وجوب الكفارة فى القتل شبه العمد فقال: «وهل تجب الكفارة فى هذا القتل؟ ذكر الكرخى ــ رضى الله عنه ــ أنها تجب وألحقه بالخطأ المحض فى وجوب الكفارة، وقال بعض مشايخنا: لا تجب وألحقه بالعمد المحض فى عدم وجوب الكفارة (وجه) ما ذكر الكرخى ــ رضى الله عنه ــ أن الكفارة إنما وجبت فى الخطأ إما لحق الشكر أو لحق التوبة على ما بينا، والداعى إلى الشكر والتوبة ههنا موجود، وهو سلامة البدن، وكون الفعل جناية فيها نوع خفة لشبهة عدم القصد، فأمكن أن يجعل التحرير فيه توبة (وجه) القول الآخر: أن هذه جناية مغلظة، ألا ترى أن المؤاخذة فيها ثابتة بخلاف الخطأ، فلا يصلح التحرير توبة بها كما فى العمد المحض .

المطلب الأول
كفارة القتل العمد

اختلف الفقهاء فى وجوب الكفارة على القاتل عمدا على مذهبين :

المذهب الأول : عدم وجوب الكفارة فى القتل العمد، وإليه ذهب جمهور الفقهاء: الحنفية(٢) والمالكية(٣) ومشهور مذهب الحنابلة(٤) والظاهرية(٥)، وبه قال الثورى وأبو ثور وابن

بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى ـ جـ٧ ـ ص ٢٥١ ـ الطبعة الثانية ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

وقال القرطبى ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد ، مثل أن يرمى صفوف المشركين فيصيب مسلما : إلى أن قال : أو يرمى إلى غرض فيصيب إنسانا أوما أجرى مجراه ، وهذا مما لا خلاف فيه .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ ص ٣١٣ ـ طبع مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفى البيجرمى قوله : القتل على ثلاثة أضرب : عمد محض ، وخطأ محض ، وعمد خطأ (وجه الحصر فى ذلك : أن الجانى إن لم يقصد عين المجنى عليه فهو خطأ ، وأن قصدها فإن كان بما يقتل غالبا فهو العمد وإلا فهو شبه عمد) حاشية البيجرمى على الخطيب ـ جـ٤ ـ ص ١٠١ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م وانظر ـ أيضا ـ المراجع الآتية : كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتى ـ جـ٦ ـ ص ٦٥ ـ طبع عالم الكتب : بيروت ـ سنة ١٤٠٣ هـ السبيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٤١٢ ـ طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م فقه الإمام جعفر ـ تحقيق محمد جواد مغنيه ـ جـ ٥ ـ ص ٣٦ ـ طبع دار مكتبة الهلال ـ بيروت : وانظر ـ أيضا ـ جـ ٦ ـ ص ٣٥٧ ، وورد فيه قوله : ولو قد قتله خطأ أو شبه العمد فعليه أن يدفع الدية إلى أهله ، وأن يكفر بعتق نسمة ، فإن عجز صام شهرين متتابعين ، فإن عجز أطعم ستين مسكينا .

وأنظر ـ أيضا ـ المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١١ ـ ص ٣٠ ـ طبع دار الأفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .

(٢) ففى المبسوط للسرخسى قوله : « وقد قامت الدلالة على أن الكفارة لا تجب فى العمد المحض ... إلى أن قال : وبهذا لا نوجب الكفارة على العامد : لأن الشرع أوجب عليه القصاص ، وفى الزيلعى قوله : « لا تجب الكفارة بقتل العمد » .

أنظر : المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٧ ، تبين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ ص ٩٩ ـ طبع دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عن الطبعة الأولى سنة ١٣١٥ هـ .

(٣) وفى القيروانى قوله : « ويؤمر بذلك أى بإخراج الكفارة ندبا إن عفى عنه فى قتل العمد ، والدليل من كلام المصنف على أن الأمر للندب قوله (فهو خير له) لعظم ما ارتكبه من الإثم . وفى الدسوقى قوله : إنما لم تجب الكفارة فى العمد ووجبت فى الخطأ مع أن مقتضى الظاهر العكس لأنهم رأوا أن العامل لا تلغيه الكفارة لجنايته ؛ لأنها أعظم من أن تكفر كما قالوا فى اليمين الغموس وأيضا فقد اوجبوا عليه حرب مائة وخمسين سنة انظر الفواكه الروانى جـ ٢ ص ٢٧٣ ، دار المعرفة ـ بيروت لبنان حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٣ ص ٢٨٦ دار إحياء الكتب العربية . مواهب الجليل ، شرح مختصر خليل جـ ٦ ص ٢٦٨ طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

(٤) وفى المغنى والشرح الكبير لابن قدامة قوله : « والمشهور فى المذهب أنه لا كفارة فى قتل العمد » ، وفى كشف القناع قوله : « ولا كفارة فى قتل عمد محض » ، وقال ابن مفلح : « ولا تلزم فى العمد » أنظر : المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٢ ـ كشاف القاع للبهوتى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٦٥ ـ كتاب الفروع لابن مفلح الحنبلى ـ جـ٦ ـ صـ ٤٤ ـ طبع عالم الكتب ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(٥) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١١ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٠ وورد فيه قوله : « لا كفارة إلا فى قتل الخطأ » وانظر : جـ ١٠ ـ ص ٥١٦ .

المنذر[٦] ونقله الشوكانى عن الهادى والمؤيد بالله والإمام يحيى من أهل البيت[٧]، ونقله ابن حزم عن الحكم بن عتيبة[٨] وبه قال الزيدية إذا اقتص من القاتل[٩].

المذهب الثانى

وجوب الكفارة فى القتل العمد، وإليه ذهب الشافعية[١٠] والإمامية[١١] وهو رواية عن الإمام أحمد[١٢] وروى عن الزهرى[١٣]، وبه قال الزيدية[١٤] والأباضية[١٥] إذا سقط القصاص عن القاتل

---

(٦) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٢ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣١ .

(٧) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ ص ١٨٤ ـ طبع مكتبة الكليات الأزهرية .

(٨) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٤ هـ .

(٩) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .

(١٠) حاشية البيجرمى على الخطيب ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٨ ، وورد فيه قوله : « وعلى قاتل النفس المحرمة سواء كان القتل عمدا أم خطأ كفارة » ، وفى روضة الطالبين للنووى قوله : « قتل العمد وشبه العمد والخطأ يرحب الكفارة وقال ابن المنذر : لا تجب فى العمد » . أنظر : روضة الطالبين للنووى ـ جـ ٩ ـ ص ٣٨٠ ـ طبع المكتب الإسلامى ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

وفى أحكام القرآن للإمام الشافعى قوله : « قال الشافعى فى كتاب البويطى : « وكل قاتل عمد عفى عنه وأخذت منه الدية فعليه الكفارة ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ : إذا جعلها فى الخطأ الذى وضع فيه الإثم كان العمد أولى .

والحجة فى ذلك : كتاب الله ـ عز وجل ـ حيث قال فى الظهار : « منكرا فى القول وزورا » ، وجعل فيه كفارة وفى قوله : « ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، ثم جعل فيه الكفارة .

وذكرها ـ أيضا ـ فى رواية المزنى ـ دون العفو ، وأخذ الدية ، أنظر : أحكام القرآن للإمام الشافعى ـ جـ١ ـ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م وأنظر ـ أيضا ـ المهذب للشيرازى ـ جـ٢ ـ ص ٢١٧ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .

(١١) فقه الإمام جعفر الصادق ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٦ ـ وورد فيه قوله : « ومن قتل مسلما متعمدا فعليه أن يجمع بين عتق رقبة مؤمنة وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكينا » ، وفى موضع آخر يقول : « وتجب الكفارة للعمد والخطأ وشبه العمد لقتل المسلم ، ذكرا كان أو أنثى ، كبيرا أو صغيرا ، عاقلا أو مجنونا ، أنظر : كتاب فقه الإمام جعفر الصادق ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥٧ .

(١٢) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٢ .

(١٣) نفس المرجع .

(١٤) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ ـ وفيه قوله : « وتجب على قاتل العمد إذا سقط عنه القصاص بوجه » . نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(١٥) شرح كتاب النيل وشفاء العليل ـ جـ ١٥ ـ المرجع السابق ـ ص ١٢٠ ـ وورد فيه قوله : « وقتل العمد لا كفارة فيه إن قتل ، وإن لم يقتل لزمته » .

بوجه، وهو قول الشافعى فى رواية المزنى[١٦].

وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه:

الأدلـــة

أولا : أدلة الجمهور :

استدل الجمهور على عدم وجوب الكفارة فى قتل العمد بالمنقول من الكتاب والسنة والمعقول:

١ ــ أما الكتاب فبالآيتين:

(أ) قوله تعالى «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ»[١٧].

(ب) قوله تعالى « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا »[١٨].

وجه الدلالة من الآيتين:

أوجب الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى الآية الأولى كفارة القتل الخطأ، ثم ذكر فى الآية الثانية القتل العمد، ولم يوجب فيه كفارة، وجعل جزاءه جهنم فمفهومه أن لا كفارة فيه، لأن اقتران الجواب بالفاء يقتضى أن يكون المذكور كل الجزاء، فلو أوجبنا الكفارة لكان المذكور بعضه وهو خلف[١٩].

قال السرخسى بعد أن ذكر الآية «فهذا يقتضى أن يكون المذكور فى الآية جميع أجزائه، ولو أوجبنا عليه الكفارة لكان المذكور بعض جزئه، فيكون فسخا لهذا الحكم[٢٠].

وقال الجصاص: «قال الله تعالى «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ[٢١] فنص على إيجاب الكفارة فى قتل الخطأ، وذكر قتل العمد فى قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى»[٢٢] وقال: «ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ»[٢٣] وخصه بالعمد، فلما كان كل واحد من القتيلين مذكورا بعينه ومنصوصا على حكمه، لم يجز لنا أن نتعدى ما نص الله ــ تعالى ــ علينا فيهما، إذ غير جائز قياس المنصوصات بعضها على بعض فى قول أصحابنا[٢٤].

(١٦) وفى روضة الطالبين قوله: « وحكى الزوياني وجها ضعيفا عن رواية أبوى على ابن أبى هريرة والطبرى: أنه إذا اقتص من المتعمد فلا كفارة فى ماله، فعلى هذا إنما يجب إخراج الكفارة إذا لم يقتص منه، بأن مات أو عفى عنه: » روضة الطالبين للنووى ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ٣٨٠.

(١٧) سورة النساء ــ الآية: ٩٢.

(١٨) سورة النساء ــ الآية: ٩٣.

(١٩) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ٥٧٢، ٥٧٣.

(٢٠) المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٥.

(٢١) سورة النساء ــ الآية: ٩٢.

(٢٢) سورة البقرة ــ الآية: ١٧٨.

(٢٣) سورة المائدة ــ الآية: ٤٥.

(٢٤) أحكام القرآن للجصاص ــ جـ ٢ ــ ص ٢٤٥ ــ طبع دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ (بتصرف).

٢ـ وأما السنة فيما يأتى :

(أ) ما روى أن سويد بن الصامت قتل رجلا، فأوجب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه القَوَد ، ولم يوجب كفارة .

(ب) وروى أن عمرو بن أمية الضمرى قتل رجلين فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوداهما النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يأمره بكفارة.

وجه الدلالة من هذين الحديثين:

هذان الحديثان يدلان على عدم وجوب الكفارة فى القتل العمد، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يوجب على الصاحبين الجليلين كفارة، ولو كانت الكفارة واجبة لأمرهما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأدائها، لأن الحاجة داعية إلى البيان ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

٣ ـ وأما المعقول فمن وجوه :

الأول : أنه فعل يوجب القتل فلا يوجب كفارة كزنا المحصن(٢٥) .

الثانى : أنه الكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة، فلابد من أن يكون سببها ـ أيضا ـ دائرا بين الحظر والإباحة، لتعلق العبادة بالمباح، والعقوبة بمحظور محض، وقتل العمد كبيرة محضة، فلا تناط به الكفارة كسائر الكبائر مثل الزنا والسرقة والربا(٢٦).

وبعبارة أخرى : أن القتل العمد كبيرة محضة، وما هو كذلك لا يكون سببا لما فيه معنى العبادة، والكفارة فيها معنى العبادة، فلا تناط الكفارة بمثلها، أى لا تناط الكفارة بما هو كبيرة محضة، لأن الحكم نتيجة السبب، فيراعى التناسب بينهما، فلا تجب إلا بسبب دائر بين الحظر والاباحة كالخطأ، فإنه بالنظر إلى أصل الفعل مباح، وبالنظر الى المحل الذى أصابه محظور، والكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة، فتجب بمثله، ولا تجب بالقتل العمد، لأنه محظور محض، كما لا تجب بالمباح المحض وهو القتل بحق كالقصاص، وإنما تجب بسبب دائر بين العبادة والعقوبة، لتنسب العقوبة إلى جانب الحظر، والعبادة إلى جانب الاباحة(٢٧).

الثالث : أن إثبات الكفارة فى العمد زيادة فى حكم النص، وغير جائز الزيادة فى النص إلا بمثل ما يجوز به النسخ(٢٨).

الرابع : ان الكفارات لا يجوز إثباتها قياسا، وإنما طريقها التوقيف أو الاتفاق(٢٩).

---

(٢٥) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

(٢٦) تبين نالحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٣١ .

(٢٧) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٣ .

(٢٨) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٢٩) نفس المرجع .

الخامس : قال الجصاص ــ أيضا ــ لما نص الله على حكم كل واحد من القتيلين، وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ «من أدخل فى أمرنا ما ليس منه فهو رد» فموجب الكفارة على العامد مدخل فى أمره ما ليس منه(٣٠). —

ثانيا : أدلة المذهب الثانى :

استدل الشافعية ومن وافقهم على وجوب الكفارة فى قتل العمد بالمنقول من السنة والمعقول .

١ ــ أما السنة فيما يأتى :

(أ) ما روى عن واثلة بن الأسقع قال : أتينا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بصاحب لنا قد استوجب النار بالقتل فقال : «أعتقوا عنه رقبة يعتق الله ــ تعالى ــ بكل عضو منها عضوا منه من النار(٣١).

وجه الدلالة من الحديث :

هذا الحديث صريح فى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوجب الكفارة فيما يستوجب النار، ولا يستوجب النار إلا فى قتل العمد(٣٢).

(ب) وروى أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال يارسول الله: إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية؟ فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ «أعتق بكل مؤودة رقبة»(٣٣) ورواه ابن حزم بلفظ «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال يارسول الله : إنى صاحب إبل قال : «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة»(٣٤).

وجه الدلالة من الحديث :

هذا الحديث نص فى إيجاب الكفارة فى القتل العمد، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر الصحابى ــ رضى الله عنه ــ بأن يعتق بكل مؤودة رقبة، والأمر للوجوب، وكان هذا قتلا عمدا فى الجاهلية، فدل ذلك على وجوب الكفارة فى القتل العمد(٣٥).

---

(٣٠) قال الحاكم صحيح على شرطهما وأقره الذهبى ورمز له السيوطى بالصحة ، مختصر السنن للمنذرى ـ جـ ٥ ـ ص ٤٢٤ ورواه ـ أيضا ـ أبو داود وأحمد كما رواه ـ أيضا ـ النسائى وابن حبان ـ أنظر : سنن أبى داود ـ كتاب العتق (١٣) باب ثواب العتق حديث رقم ٢٩٦٤ . عن الغريف الديلمى .

وأنظر ـ أيضا ـ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل ـ تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمى ـ جـ ٥ ـ تخريج وتصحيح محمد فؤاد عبدالباق ـ طبع دار إحياء الكتب العربية ـ ص ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ .

(٣٢) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٧ .

(٣٣) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٧ .

(٣٤) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

(٣٥) المجموع شرح المهذب للنووى ـ جـ ١٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٧ .

٣ ــ وأما المعقول فبالقياس على الخطأ من وجهين :

الأول : أنه حيوان يضمن بالكفارة إذا قتل خطأ، فوجب أن يضمن بالكفارة إذا قتل عمدا كالصيد[٣٦].

قال الرازى فى تفسيره : وذكر الشافعى ــ رضى الله عنه ــ حجة أخرى من قياس الشبه فقال : لما وجبت الكفارة فى قتل الصيد فى الإحرام سوينا بين العامد وبين الخاطىء إلا فى الاثم، فكذا فى قتل المؤمن، ولهذا الكلام تأكيد آخرِ وهو أن يقال : نص الله ــ تعالى ــ هناك فى العامد، وأوجبنا على الخاطىء فههنا نص على الخاطى، فبأن نوجبه على العامد مع أن احتياج العامد إلى الاعتاق المخلص له عن النار أشد كان ذلك أولى[٣٧].

الثانى : أنها إذا وجبت فى قتل الخطأ مع عدم الإثم، فلأن تجب فى العمد وقد تغلظ بالإثم أولى، لأنه أعظم إثما وأكبر جرما، وحاجته إلى تكفير ذنبه أعظم[٣٨].

قال الرازى فى التفسير الكبير ــ أيضا ــ وأما القياس فهو أن الغرض من إعتاق العبد هو أن يعتقه الله من النار، والحاجة إلى هذا المعنى فى القتل العمد أتم، فكانت الحاجة فيه إلى إيجاب الكفارة أتم والله أعلم[٣٩].

واستدل الزيدية ومن وافقهم على وجوب الكفارة على من سقط عنه القصاص فى القتل العمد بالحديثين الآتيين :

(أ) ما أخرجه أبونعيم فى المعرفة من حديث خزيمة بن ثابت أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: «القتل كفارة»[٤٠].

(ب) ما رواه البخارى ومسلم من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : «من أتى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارة» وفى رواية بلفظ : «كفارته»[٤١].

وجه الدلالة من الحديثين :

هذان الحديثان نص على أن إقامة الحد كفارة للذنب، والحديث الأول صريح فى أن القاتل إذا قتل قصاصا لم يجب عليه كفارة، فدل ذلك على أنه إذا لم يقتل قصاصا فعليه الكفارة[٤٢].

« يتبــع »

(٣٦) نفس المرجع .

(٣٧) التفسير الكبير للفخر الرازى ــ جـ ٥ ــ ص ٢٣٦ ــ طبع دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

(٣٨) المجموع شرح المهذب للنووى ــ جـ ١٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٤ .

(٣٩) التفسير الكبير للفخر الرازى ــ جـ ٥ ــ المرجع السابق ــ ص ٢٣٦ .

(٤٠) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٨ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٤ .

(٤١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ــ جـ ١٢ المرجع السابق ــ ص ٨٥ ، ٨٦ .
باب الحدود كفارة حديث رقم ٦٧٨٤ صحيح مسلم بشرح النووى ــ جـ ١١ ــ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ باب الحدود كفارات لأهلها ــ طبع دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

(٤٢) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٨ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٠ ، السيل الجرار للشوكانى ــ جـ٤ ــ المرجع السابق ص ٤٢٦ .

٣

النزعة العقلية عند الإمام الشافعى

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى (*)

● **العقل والتأويل :**

جرت العادة أن كل شيء مكتوب يجب أن يفهم ، وأن يفسر ، وفهمه وتفسيره لا يخرج عن أربعة دوائر :

★ **الدائرة الأولى :**

وهدفها : **التأويل الظاهرى** ـ وهو الذى لايذهب إلى أبعد من النص الحرفى ـ وهو ما يعرف بالمذهب الظاهرى أو الاتجاه النصى .

★ **الدائرة الثانية :**

التأويل المجازى ـ وهو الذى يرى أن الظاهر ليس مرادا سوى ما يرمز إليه من خفايا لا يستوعبها إلا أولو النهى ، وهو ما يعرف بالاتجاه الرمزى .

★ **الدائرة الثالثة :**

وهى : التأويل الأخلاق ، وهو ما يجب مراعاته خاصة مع النص الإلهى ـ إذ كل نص إلهى لايخلو من قيمة أخلاقية ، وعلى المتأول أن يراعيها سواء أخذ بالظاهر أو المجاز .

★ **الدائرة الرابعة :**

هى : التأويل الخفى الذى لايخضع للمعنى الظاهرى ، ولا للمعنى الرمزى ـ أى المجازى المتقدم ـ إنما هو تفسير تحكمه الأهواء . مثل الباطنية .

(*) ـ الكاتب : الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

هذه الدوائر المنهجية تبين بسهولة : كيف يمكن تأويل أقوال الثقات فى فهم النص بحيث لا يبقى أمام العقل فى واقع الأمر سوى الترجيح فيما يرجحه ، أو النفى لما ينفيه ، وفق ما تؤدى إليه هذه المناهج ، ولاشك أن العقل الذى يدور مع النص وفق تلك الدوائر السابقة قد يلقى اعتراضاً أساسه أن مثل هذا العقل لا تحكمه قواعد الالتزام بمناهج محررة .. إلى أن جاء الشافعى وقوم هذا المنهج العقلى فوضع له قواعد تتحرى رعاية النص ، وتعين العقل على الفهم ، هى « **علم أصول الفقه** » .

قال الإمام الشافعى فى (الرسالة) :.

ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها .. وهى : العلم بأحكام كتاب الله : فرضه وآدابه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه وإرشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ ، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين فإن لم يكن إجماع فبالقياس :

ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب .

ولايكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولايعجل بالقول به دون التثبيت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه ؛ لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد تثبيتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده ـ والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك .

ولايكون بما قال أعْنَى منه بما خالفه حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله .

فأما من تم عقله ولم يكن عالما بما وصفنا فلا يحل له أن يقول بقياس . وذلك أنه لايعرف ما يقيس عليه كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول فى ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه .

ومن كان عالما بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة فليس له أن يقول أيضا بقياس ؛ لأنه قد يذهب عليه عقل المعانى . وكذلك لو كان حافظا مقصر العقل أو مقصرا عن علم لسان العرب : لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله عن الآلة التى يجوز بها القياس[1] .

---

(١) الرسالة للشافعى ص ٥٠٩ / ٥١١ .

ثم أخذ الشافعى يتكلم عن الاختلاف والتأويل فقال :

قال لى قائل : فإنى أجد أهل العلم قديما وحديثا مختلفين فى بعض أمورهم فهل يسعهم ذلك ؟ قال الشافعى : فقلت له (أى لسائله) : الاختلاف من وجهين :

أحدهما محرم ولا أقول ذلك فى الآخر .

قال (السائل) : فما الاختلاف المحرم ؟

قلت : كل ما أقام الله به الحجة فى كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بيّنا لم يَحِلَّ الاختلاف فيه لمن علمه .. وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسا فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه فيه غيره . لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الخلاف فى المنصوص .

قال (السائل) : فهل فى هذا حجة تبين فرقك بين الاختلافين ؟

قلت (أى الشافعى) : قال الله ـ تعالى ـ فى ذم الاختلاف والتفرق ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾(٢) .

وقال جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾(٣) فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات .

فأما ما كُلِّفوا فيه الاجتهاد فقد مثَّلته لك بالقبلة والشهادة وغيرهما .

قال : فمثل لى بعض ما افترق عليه من روى قوله من السلف مما لله فيه نص حكم يحتمل التأويل : فهل يوجد على الصواب فيه دلالة ؟

قلت : قَلَّ ما اختلفوا فيه إلا وجدنا فيه عندنا دِلالة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو قياسا عليهما أو على واحد منها(٤) .

ثم قال الشافعى عن علاقة الظاهر بالباطن :

والقرآن على ظاهره حتى تأتى دلالة منه أو سنة أو إجماع بأنه على باطن دون ظاهر(٥) .

---

(٢) سورة البينة آية : ٤ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٤) الرسالة للشافعى ص ٥٦٠ ، ٥٦٢ باب الأخلاق .

(٥) الرسالة للشافعى ص ٥٨٠ .

ثم قال السائل للشافعى عن أقاويل الصحابة :
أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا تفرقوا فيها ؟
فقلت : نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح فى القياس(٦) .
واضح مما سبق أن القياس الذى يذهب إليه الشافعى ليس منه الإلهام . وهو الإلقاء بطريق الفيض والفراسة وهو الأخذ بحدة الذكاء .
أما عن الاتجاه النقلى : فإن كان قد تشعب ليحارب العقل فبينه ابن حزم فقال : من غير إعمال للفكر فى الحكم الشرعى .
قال قوم : لا يعلم شىء إلا بالإلهام .
وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بقول الإمام وهو عندهم رجل بعينه .
وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بالخبر .
وقال آخرون : لايعلم شىء إلا بالتقليد . واجتمعوا فى إبطال حجة العقل بأن قالوا : قد يعتقد الإنسان شيئا ويجادل عنه ولايشك فى أنه حق ، ثم يلوح له غير ذلك . فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت أدلتها .
ثم أخذ يرد على كل طائفة .
يقول لمن قال بالإلهام : فالفرق بينك وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولك . فلا سبيل إلى الانفصال عنه .

وقال أيضا : فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل .
وأما الذين يقولون بالإمام فإنهم يؤولون لقوله تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٧) .
قال الشيعة : المراد من المؤمنين الأئمة المعصومون ، أو من كان منهم الإمام المعصوم .
ويقال : لمن قال بالإمام المعصوم ؟ بأى شىء عرفت صحة قول الإمام ؟ أببرهان أم بمعجزة أم بالإلهام أم بقوله مجردا ؟
فلا بد من حاكم يميز الحق منها عن الباطل ، وليس ذلك إلا العقل الذى لاتتعارض دلائله .
وقال عن التقليد : المقلدون كالغرق فأى شىء وجدوه تعلقوا به .
ووفق هذا المنهج الذى وصف الرازى به حال الجو الفكرى إبان العصر الذى نبغ فيه الشافعى وقدمنا عرضه حتى رأينا كيف قوّمه وربط بين المنهجين بما وضعه من قواعد أصولية تحكم العقل وتوضح النص ، تقوّم العقل من غير إغفال للنقل . وكنا نرى ذلك ظاهرا على آرائه الفقهية والأصولية حتى الكلامية على قلتها .

(٦) الرسالة للشافعى ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .
(٧) سورة النساء آية : ١١٥ .

ولما كانت آراء الإمام الشافعى الكلامية ، بل وموقفه من علم الكلام ليس من الشهرة التى تطابق فقهه وأصوله رأينا أن نقدم موقفه من الكلام نموذجا تطبيقيا لمنهجه الفكرى .

ثانيا : الشافعى وعلم الكلام :

يقول الإمام الشافعى عن علم الكلام : الكلام يلعن أهل الكلام .

أثار قول الشافعى عن علم الكلام عدة قضايا لدى المهتمين بشئون الفكر الإسلامى أو الفكر الإنسانى .. وما أثاره قول الشافعى من قضايا ليذكرنا دائما بالمواقف الجادة التى شغلت العقل الإسلامى ـ أبان البحث عن حقيقته وأصالته واستقلاله فى ابتكار اتجاهاته الفكرية ـ كذلك يذكرنا بجدية الحركة الثقافية فى المجتمع الإسلامى . وإن اهتماماتها الثقافية ـ كانت بالدرجة الأولى مسايرة لحقيقة الدين الإسلامى ، كما كانت بنفس الدرجة تلبية لرغبة عقلية تطلب المزيد من التفاعل بين قضايا العقل وقضايا النقل .

(١) رأى الطاعنين فى قول الشافعى :

أما عن رأى الشافعى فى علم الكلام من خلال خصومه والقضايا التى أثيرت وسوف تثار دائما من خلال رأيه فى علم الكلام ؛ فهى كما تلاحظ أن بعضها يُطْعَنُ بها الشافعى ـ كما هو شأن كل قضية فكرية ويصدر من الذين يخالط فكرهم انفعالهم ، ولا يكاد يبدونه إلا ويحملون أوزار القول : فيرون : أن موقف الشافعى من علم الكلام لينم عن جهله ، ويطعن فى علمه ، ويعوق اجتهاده ، لأنهم يرون أن كل من كان منكرا لعلم الكلام ومبغضا له كان جاهلًا بذات الله ـ وبصفاته وبشرائط المعجزات ، ونبوة الأنبياء ـ ومن كان كذلك لا يكون مسلما فضلا عن أن يكون مجتهدا فى الدين . فنحن إذ نناقش الموقف الرافض لرأى الشافعى علينا أن نلاحظ أنه أثار قضيتين :

- ★ **القضية الأولى** : علاقة الكلام بمعرفة الله .
- ★ **القضية الثانية** : هل معرفة الله ضرورية(٨) أو استدلالية ؟ .

يرى الطاعنون فى موقف الشافعى : أن معرفة الله ومعرفة النبوات ليست ضرورية بل استدلالية أى تحتاج إلى دليل . والدليل إما أن يكون مصدره السمع ـ أى القرآن أو السنة ـ ودليل السمع فى نظرهم لا يصح ؛ لأن مصدره معرفة الله أولا ثم بعد معرفته يحتج بكلامه عن طريق الوحى ، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بالعقل فإذا ثبت أن معرفة الله منوطة بالعقل توقفت معرفته على علم الكلام فكيف يذمه الشافعى ؛ فالذى ينكر علم الكلام ينكر العقل الباحث فى معرفة الله ـ والذى ينكر المعرفة جاهل .

---

(٨) الضرورى هو الذى لا يحتاج إلى نظر واستدلال . مجلة الأزهر .

ثانى أدلتهم : أن المسلمين قد اختلفوا فى صفات الله اختلافا شديدا ، وكل واحد يدعى أنه على حق وأن مخالفه هو المبتدع فلا بد فى التمييز من طريق ـ ذلك الطريق هو النقل ـ إما تواتر أو آحاد ـ أما المتواتر فمفقود ـ وأما الآحاد فلا يفيد إلا الظن .

وهذه المسائل قطعية فلا يبقى إلا قضايا العقل لعلم الكلام . فمن هنا كان الطاعن لعلم الكلام والمبغض له ـ فى نظرهم ـ جاهلا بالله ورسوله واليوم الآخر . ومن كان كذلك لم يكن من المسلمين فضلا عن أن يكون من المجتهدين . هذا رأى الطاعنين فى موقف الشافعى .

● **تقيم رأى الطاعنين فى نظرنا** :

لاحظنا أن نقدهم كان قاسيا شديد القسوة إذ استهدف بالنسبة للشافعى النيل من اجتهاده ومن مرتبته وعلمه . واستهدف بالنسبة لعلم الكلام رفعه ـ رفعة تتجاوز رفعة الله وتتجاوز كمال قدسه .. وهذا الاستهداف بالنسبة للشافعى وبالنسبة لعلم الكلام وطأته لهم المغالاة فى التعصب ـ ومغالطة الجدل ـ فمن ناحية المغالاة فى التعصب ربطهم بين معرفة الله وعلم الكلام على أساس أن العقل دليل معرفة الله الوحيد ـ مع أن معرفة الله ليست محصورة فى علم الكلام فلها سبل شتى مثل : العقل والحس والذوق .

أما علم الكلام فقد يغالى ويجعلها محصورة فيه على أساس أنه قصر نفسه عليها ـ وفهم علماء الكلام أن الطريق مسدود على غيرهم إلا طريقهم ، وذلك نوع من المغالاة فى التعصب .

وأما من ناحية مغالطة الجدل : فقولهم : أما التواتر فمفقود .

هذا لون من المغالطات فى الجدل يقع الناس فيه عندما يخالون : أن النوبة العصبية تفكير لأن قولهم هذا منقوض بالقرآن : فالقرآن منقول إلينا بالتواتر ، وهو مصدر علمنا بصفات الله ـ وأما الاختلاف حول الصفات فإنما هو اختلاف حول تصورها وكيفيتها وذلك من قضايا الفلسفة ـ بعدما رأينا مغالاتهم ومغالطاتهم : تثبت أن ما استهدفوه من النيل من الشافعى لايثبت لدعواهم لقيام دليلهم على مغالاة ومغالطات . وأن إيمانه بالله ومعرفته به قام على دليل من جانب آخر غير جانب الكلام . وأن قضية اجتهاده غير مطعون فيها أيضا لأنه لا يدعى اجتهادا فى علم الكلام ـ وإنما فى علم آخر ـ هو علم الفقه ـ وأن إسلامه لا ردة فيه لأنه يرى إيمانه نابعا من القرآن والسنة دون نظر إلى أدلة علم الكلام .

وأما ما استهدفوه من رفعة علم الكلام . فإننا لانناقشها لاعترافنا بقيمته وثمرة وظيفته بيد أننا ننازع علم الكلام إسرافه فى فهم وظيفته حينما جعل الطريق إلى الله مقصورا عليه فقط ، وفى نفس الوقت نرى أن له من الأهمية التى تكفل له مهمة بحثه فى معرفة الله .

ومع ذلك لايستدعى إنكارنا لعلم من العلوم قد يكون إنكارا لقواعده أو منهجه أو نتائجه أو أدلته أو أى شىء آخر يتعلق بالعلم ولايتعلق بمعرفة الله ـ فالربط بينهما من مغالطات الجدل .

فأنا قد أنكر علم الطبيعة دون أن أنكر الطبيعة .

وفى النهاية يشير هذا الموقف المعارض لموقف الشافعى من غير شك — إلى حرية النقد التى وسعتها روح المجتمع الإسلامى نقداً من غير حدود لقواعد النقد ومن غير مراعاة لأدب البيئة وأصول اللياقة فمست — فى عنف — رجالا بصماتهم على التاريخ واضحة مشرقة . ولعل موقفهم العنيف من الشافعى وتكفيرهم إياه صحح ما رواه الربيع عن الشافعى أنه قال : رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا ، ورأيت أهل الحديث يخطىء بعضهم بعضا والتخطئة أهون من الكفر — فنلاحظ أن أهم ما أخذه على علم الكلام مغالاتهم فى تكفير بعضهم بعضا .

● **موقف المنصفين لرأى الشافعى :**

وهناك من يرى أن هذه الأقوال التى أثرت عن الشافعى صحيحة غير مطعون فى نسبتها إليه وأنها لاتعنى من ورائها موقفا محددا بين الشافعى وعلم الكلام وإنما تعنى توجها ما .

قالوا : لاشك أن الشافعى كان إماما من أئمة المسلمين ، وكان عظيم القدر عالى الدرجة فلما أظهر الإنكار على هذا العلم علمنا أنه مذموم .

وحاصل الكلام : أن هذه الروايات دلت على حصول العداوة بينه وبين علماء الكلام فمن اعتقد أن علم الكلام شريف فقد استدل به على الطعن فى الشافعى . ثم قالوا : وأما نحن فنعتقد أن علم الكلام أشرف العلوم وأجلها ، وأن الشافعى أفضل المجتهدين وأعلمهم لذلك لا بُدّ لنا من التوفيق .

وطريق ذلك — أن نحمل طعن الشافعى فى علم الكلام على تأويلات :

التأويل الأول :

من وجهة النظر السياسية وحال العصر : أن فتنا عظيمة وقعت فى ذلك الزمان بسبب خوض الناس فى مسألة « **خلق القرآن** » وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق — فلما عرف الشافعى أن البحث عن هذا العلم فى ذلك الزمان ليس لطلب الحق وليس لله وفى الله — بل لأجل الدنيا والسلطنة . تركه وأعرض عنه — أى علم الكلام — فذمه ليس لذاته — وإنما ذم معرض به عن أهواء السياسة .

التأويل الثانى :

صرف ذمه إلى مسائل من علم الكلام : أن يصرف ذلك الذم إلى الكلام الذى كان أهل البدعة ينصرونه ويقرونه ، ومثاله : أن الفقهاء متفقون على أن القياس حجة فى الشرع ، ثم ظهر النقل المتواتر من الصحابة والتابعين فى ذم القياس فعند هذا قال الفقهاء : ذلك الذم منصرف إلى الأقيسة الفاسدة الواقعة فى معارضة النصوص فكذا ها هنا .

ثم يقولون ـ نحن نقول بأن الذم العظيم المنقول عن الشافعى للكلام يجب صرفه إلى الكلام الذى كان أهل البدع ينصرونه ـ فإن فى ذلك الزمان ـ كان الكلام اسما للمتكلم فى الاعتزال والقدر .

التأويل الثالث :

لعله كان من مذهبه أن الاكتفاء بالدلائل المذكورة فى كتاب الله واجب وأن الزيادة عليها والتوغل فى المضايق التى لاسبيل للعقل فى الخوض فيها غير جائز فلهذا السبب بالغ فى ذم من حاول الخوض فى تلك الدقائق .

● تقيم موقف المنصفين فى نظرنا :

ماذا يهدف إليه المؤولون لموقف الشافعى من الكلام ؟

يهدفون إلى عدة أمور متعلقة بالشافعى وبعلم الكلام :

(١) بالنسبة للشافعى :

ـ نفى التقليد عنه وعن مذهبه ـ فلا يقال كان مذهبه أن الدين فيه إنما يستفاد من متابعة الأسلاف لأن هذا الطريق مذموم فى القرآن

ـ نفى أنه كان يحارب النظر العقلى ـ نفى جهله بعلم الكلام ـ روى البيهقى عن الحكم بن عبيد الله الحافظ بإسناده عن المزنى قال : كنا على باب الشافعى نتناظر فى الكلام فخرج الشافعى إلينا فسمع بعض ما كنا فيه ، فرجع عنا ، وما رجع إلينا إلا بعد سبعة أيام ـ ثم خرج فقال ـ مامنعنى عن الخروج إليكم إلا أننى سمعتكم تتناظرون فى الكلام ـ أتظنون أنى لا أحسنه ؟ . لقد دخلت فيه حتى بلغت فيه مبلغا عظيما إلا أن الكلام لا غاية له . تناظروا فى شىء إن أخطأتم فيه يقال : أخطأتم ولايقال كفرتم .

ثم علق البيهقى قائلا : وهذه الحكاية تدل على أن الشافعى كان عالما بهذا العلم إلا أنه ماكان يفتح باب المناظرة للخوف من المفاسد المتولدة منه .

● بالنسبة لعلم الكلام :

رفع قيمة علم الكلام وتأكيد أنه علم إسلامى ذو منهج عقلى : بيان أنه طريق وسط فهو يحد من نطاق العقل : فلا يدعه مع أهوائه وأخيلته حتى يرسم لها منهاجا غايته الإيمان ـ كذلك يؤكد من « **اللامعقولية للمغيبات** » . فإن القول « **بعدم معقوليتها** » فيه مايغرى بتركها أو إنكارها دون تورط فى الكفر ـ كذلك القول بمعقوليتها فيه ما يغرى أيضا بدعوى إنكار الرسل والوحى إذ لا وظيفة لهم مع العقل فى نظر العقليين ـ فعلم الكلام طريق وسط يربط بين العقل بتوجيه مبادئه ـ فالعقل الكلامى عقل موجه بالوحى . وبين اللامعقول ـ فيرفع بذلك مرتبة الإيمان التقليدى إلى رتبة الإيمان العقلى ، ويربط مسالك النظر بمسالك البصر .

مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية

فى

لغة معاصرة

تصنيف الدكتور : عبدالعزيز عزت عبدالجليل حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فإن الحمد كل الحمد لله ، والشكر له فبعونه تعالى وتوفيق منه أقدم للقارىء المسلم مجموعة من التعريفات والمصطلحات الفقهية التى نحتاج فى الكشف عنها وقتا وجهدا قد لايتيسران لكثير من الراغبين فى المعرفة الفقهية .

● وقد رأيت قبل أن أنقل للقارىء الكريم هذه المجموعة التى اشتمل عليها هذا المصنف أن أوضح أن عملى فى هذا الموضوع قاصر على الجمع والتصنيف ؛ لأن الموضوع ليس بمحل اجتهاد ، ولامجال فيه للرأى أو التأليف .

● أن هذا العمل الذى قد يبدو للقارىء ـ لأول وهلة ـ أنه أمر سهل للغاية ؛ لأنه لايتعدى النقل من كتب الفقه ، فإن الحقيقة غير ذلك تماما لأن هذا العمل استدعى بالضرورة البحث

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر

فى أمهات كتب الفقه ومراجعتها لأن اختلاف آراء الفقهاء فى المسائل استتبع منهم أن يضعوا من التعريفات لكل باب من أبواب الفقه أو فصوله حداً جامعا مانعا يندرج تحته كل مايصدق عليه التعريف ويخرج منه ماليس داخلا فى مفهومه آراءُ كل فريق وهو مما أدى إلى تعدد التعريفات .

- **كما أن الفقهاء ذكروا فى كتبهم كثيرا من المصطلحات فى تعبيراتهم تتفق مع عصورهم .**
- **ونحن ـ المسلمين ـ اليوم فى أمس الحاجة إلى الإلمام بهذه التعريفات وتلك المصطلحات ؛ لأنها هى التى تضبط المفاهيم الفقهية وتحدد مسارها دون خروج بها عن دائرتها ؛ فإن كثيرا من الشباب فى العصر الذى نعيش ليس لديهم خلفية قليلة أو كثيرة من الثقافة الدينية ، ثم يقحمون أنفسهم على الفقه ومسائله وهم لايميزون بين الفرض والواجب ولابين الركن والشرط ويفتون بغير علم ـ إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس .**
- **أن المصطلح الفقهى عند الفقهاء له مدلول يختلف عن المعنى اللغوى**

وإذا أخذنا على سبيل المثال لفظ ـ الطهارة ـ فإننا نجد معناها فى اللغة : النظافة والنزاهة عن الأقذار والأوساخ سواء كانت هذه الأقذار حسية أو معنوية ؛ بينما التعريف الاصطلاحى لهذه الكلمة لدى الفقهاء يتخذ التحديد الآتى :

الحنفية : قالوا : الطهارة شرعا النظافة عن حدث أو خبث ، والحدث : وصف شرعى يحل ببعض الأعضاء أو البدن كله فيزيل الطهارة .

المالكية : قالوا :ـ الطهارة صفة حكمية توجب لموصوفها استباحة الصلاة بثوبه الذى يلبسه وفى المكان الذى يصلى فيه .

الشافعية قالوا :ـ تطلق الطهارة شرعا على معنيين : أحدهما فعل شيء تستباح به الصلاة من وضوء وغسل وتيمم وإزالة نجاسة أو فعل مافى معناها .

وثانيهما : أنها ارتفاع الحدث أو إزالة النجاسة .

الحنابلة قالوا :ـ الطهارة شرعا : ارتفاع الحدث ومافى معناه وزوال النجس أو ارتفاع حكم ذلك .

- وكذلك الأمر عند تعريف أنواع المياه ـ الطهور والطاهر والمستعمل والمتنجس .
- **كما أن بعض الفقهاء استخدم الرموز الحرفية فى المسائل الفقهية**

تسهيلا على الدارسين والمتعلمين ، وأذكر من بين ذلك على سبيل المثال فى أحكام **(موانع الرجوع فى الهبة)** فقد رمز لها بعضهم بعبارة ـ دمع خزقه ـ

ومــانــع مــن الرجــوع فى الهبــة   ياصــاحبى حــروف دمــع خزقــه

فرمز بالدال للزيادة المتصلة بالموهوب كالبناء على الأرض ، ورمـز بالميم لموت أحـد المتعاقدين ، ورمز بالعين للعوض المضاف إليها ، ورمز بالخاء لخروج العين الموهوبة عن ملك الموهوب له ، ورمز بالزاى للزوجية ، ورمز بحرف القاف للقرابة ، ورمز بالهاء لهلاك الموهوب .

● ثم إن الفقهاء استعملوا فى كتبهم ـ الصاع والمد والوسق والفرسخ والبريد والمرحلة وغير ذلك ، كما استعملوا القيراط والدرهم والدينار وهذه المكاييل والموازين أو المسافات هى التى كانت سائدة وشائعة فى أزمانهم ، وكان الناس يتعاملون بها فى عصورهم .

لذلك أعقبت هذا المصنف بجداول توضح مدلولات هذه الأشياء وبلغة معاصرة حتى لايصعب على الناس معرفة قدر الكفارة أو زكاتهم ، أو مسافة السفر المبيحة للقصر أو الإفطار فى رمضان وغير ذلك .

هذا وقد ذكرت مجموعة التعريفات والمصطلحات التى تناولتها على ما هو متفق عليه بين الأئمة ، ونبهت على ما اختلفوا فيه بإيجاز ، وقد أسوق بعض الأحكام الشرعية وآراء الفقهاء فيها نظرا لحاجة كثير من الناس إليها .

أدعو الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه تعالى ، وأن يفيد منه العامة والخاصة ، وهو وحده من وراء القصد .

د. عبدالعزيز عبدالجليل
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

رأيت أن أضع بين يدى القارىء بيانا لمعانى بعض التعريفات والمصطلحات الفقهية التى تشتمل عليها كتب الفقه ، وأبدأ بتعريف الفقه نفسه . أقول :

الفقه لغة : معناه الفهم يقال : فقهت المسألة أى فهمتها .

الفقه اصطلاحا : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، يقول المصطفى ـ ـ صلى الله عليه وسلم : « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين** » ويقول : « **إنما أنا قاسم والله معطى** »

المصطلحات الأساسية العامة

الفرض : هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل قطعى لاشبهة فيه ، وحكمه الثواب على فعله ، والعقوبة على تركه بغير عذر ، ويكفر جاحده ، وذلك كالصلاة ،

والزكاة ، والحج ، وقد اصطلح الفقهاء على أن الفرض مُساوٍ للركن فركن الشيء وفرضه شيء واحد .

الواجب :ـ هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل ظنى فيه شبهة ، وحكمه مثوبة فاعله ، وعقوبة تاركه بلا عذر ، ولايكفر جاحده ، بل يحكم بفسقه وذلك كقراءة الفاتحة فى الصلاة ، وهذه التفرقة بين الفرض والواجب مذهب الحنفية أما غيرهم فالكل يطلق عليه اسم الواجب(*) .

المندوب :ـ

المندوب : هو ماطلب الشارع فعله من غير إلزام ، وحكمه أن فاعله يستحق الثواب ، وتاركه لايستحق العقاب ، وقد يستحق اللوم والعتاب ، وذلك كصلاة ركعتين قبل الصبح .

الحرام : هو ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام ، وكان ثبوته بدليل قطعى لا شبهة فيه ، وحكمه : عقوبة فاعله وذلك كالزنا ، وأكل مال اليتيم .

المكروه تحريما :ـ

المكروه تحريما هو : ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام وكان ثبوته بدليل ظنى ، وحكمة : عقوبة فاعله ولكنها عقوبة دون عقوبة الحرام ، كخطبة مسلم على خطبة أخيه .

المكروه تنزيها :ـ

المكروه تنزيها : هو ماطلب الشارع تركه على سبيل الحتم والإلزام ، وحكمه أن فعله لا ثواب ولا عقاب عليه ، ولكنه خلاف الأولى كأكل لحم الخيل(1) .

المباح :ـ

المباح : هو ما خير الشارع فيه المكلف بين الفعل والترك ، وحكمه أنه لا ثواب على فعله ، ولاعقاب على تركه ، وذلك كالأكل والتنزه .

الركن :ـ

(*) المالكية يرون : الفرض والركن والواجب واللازم بمعنى واحد ، ولا يفرقون بين الفرض والواجب إلا فى أعمال الحج ، فالفرض المتروك يفسد الحج ، والواجب ينجبر بالدم .

(1) هذا التقسيم للحرام والمكروه على مذهب الحنفية ، أما غيرهم فيطلقون الحرام على ما يشمل الحرام والمكروه تحريماً عند الحنفية ، ويوافقونهم . فى المكروه تنزيهاً ولكن لا يقيدونه بوصف التنزيه .

الركن : هو ماكان داخلا فى ماهية الشيء ـ يعنى حقيقته ـ بحيث يوجد بوجوده وينعدم بانعدامه ، كالإيجاب والقبول فى عقد الزواج .

الشرط :ـ

الشرط : هو ماكان خارجا عن ماهية الشيء وحقيقته ، ولايلزم من وجوده وجود المشروط ، ولكن يلزم من عدمه كالوضوء بالنسبة للصلاة .

السبب :ـ

هو كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم ، وانتفاؤه علامة على انتفائه ، وليس بينه وبين الحكم مناسبة ، كزوال الشمس بالنسبة لصلاة الظهر .

العلة :ـ

العلة : هى كل أمر جعل الشارع وجوده علامة على وجود الحكم وانتفاؤه علامة على انتفائه بشرط أن يكون بينه وبين شرعية الحكم مناسبة كالسفر بالنسبة لجواز الفطر فى رمضان ، وبعضهم يطلق على هذا النوع اسم السبب أيضا .

الصحيح :ـ

الصحيح : هو المشروع بأصله ووصفه ، وذلك كالبيع المستوفى أركانه وشروطه .

الباطل :ـ

الباطل : هو مالم يُشْرَعْ بأصله ولا وصفه ، مثل زواج الأم والأخت .

الفاسد :

الفاسد : هو ماشرع بأصله دون وصفه وذلك كالزواج المنعقد بدون شهود ، وكبيع السمك فى الماء ، والطير فى الهواء .

الموقوف :ـ

الموقوف : هو ماشرع بأصله ووصفه ، ولكن لا تترتب عليه آثار بالفعل لمانع خارجى كزواج المرأة بأقل من مهر مثلها دون رضى الولى

فرض العين :ـ

فرض العين : هو ماطلب الشارع فعله على سبيل الحتم والإلزام من المكلفين ـ ذكرا أو أنثى ـ كالصلوات الخمس المفروضة .

فرض الكفاية :ـ

فرض الكفاية : هو الذى إذا أداه واحد أو جماعة سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة .

كتاب الطهارة

معنى الطهارة :ـ

الطهارة فى اللغة : النظافة والنزاهة عن الأقذار والأوساخ سواء كانت حسية أو معنوية .

أما معنى الطهارة فى اصطلاح الفقهاء : ففى بيانها أقوال وعبارات فى المذاهب يمكن أن نأخذ منها معنى للطهارة متفقا عليه وهو أن الطهارة شرعا : صفة اعتبارية قدرها الشارع شرطا لصحة الصلاة ، وجواز استعمال الآنية ، والأطعمة ، وغير ذلك ؛ فالشارع اشترط لصحة الصلاة ـ لأى شخص يريد الصلاة ـ أن يكون بدنه موصوفا بالطهارة (طاهرا) ولصحة الصلاة فى المكان أن يكون المكان موصوفا بالطهارة ولصحة الصلاة بالثوب أن يكون الثوب موصوفا بالطهارة ، واشترط لحل أكل الطعام أن يكون الطعام موصوفا بالطهارة ، فحقيقة الطهارة ـ فى ذاتها شيء واحد ، وانما تنقسم باعتبار ماتضاف اليه من حدث أو خبث ، أو باعتبار ما تكون صفة له عند الجنابة أو بعض أعضاء البدن ، بسبب ناقض للوضوء من ريح وبول ونحوهما .

ويقال للأول ـ حدث أكبر ـ والطهارة منه تكون بالغسل ويتبعه الحيض والنفاس .

ويقال للثانى ـ حدث اصغر والطهارة منه تكون بالوضوء ، وينوب عن الغسل والوضوء التيمم عند فقد الماء ، أو عدم القدرة على استعماله .

الأعيان الطاهرة :ـ

الأصل فى الأشياء الطهارة مالم تثبت نجاستها بدليل ، والأشياء الطاهرة كثيرة منها :ـ

الإنسان : سواء كان حيا أو ميتا ، والمشرك من بنى آدم نجاسته معنوية حكم بها الشارع وليست ذات المشرك نجسة كنجاسة الخنزير .

الجماد : وهو كل جسم لم تحله الحياة ولم ينفصل عن شيء حى .

والجماد قسمان :ـ

(ا) **جامد** (ب) **مائع**

فمن الجامد جميع أجزاء الأرض ومعادنها ، وكذلك جميع أنواع النبات ولو كان مخدرا ، ويقال له : المفسد ، وهو ما غيب العقل والحواس معا مثل « **الداتورة** » و « **البنج** » . أو كان يضر

بالبدن كالنباتات السامة فهذه النباتات كلها طاهرة ، وإن حرم منها تناول ما يضر العقل أو الحواس أو غيرهما .

ومن أمثلة المائع : **المياه ، الزيوت ، ماء الأزهار ، الخل ، وغير ذلك ؛ فهذه كلها من الجماد الطاهر مالم يطرأ عليها ما ينجسها .**

الأعيان النجسة :ـ

الأعيان النجسة كثيرة منها : ميتة الحيوان البرى غير الآدمى ، إذا كان له دم ذاتى يسيل عند جرحه ، بخلاف ميتة الحيوان البحرى فإنها طاهرة .

تعريف النجاسة :

النجاسة اسم لكل مستقذر ، وكذلك النجس بكسر الجيم وفتحها وسكونها ، والفقهاء يقسمون النجاسة إلى قسمين :

(ا) نجاسة حكمية (ب) ونجاسة حقيقية

يذهب الحنفية إلى أن النجاسة الحكمية هى الحدث الأصغر والحدث الأكبر ، وهو وصف شرعى يحل بالأعضاء أو البدن كله يزيل الطهارة ، وقد سبق أن أوضحنا ذلك .

والنجاسة الحقيقية : هى الخبث : وهو كل عين مستقذرة شرعا .

ويقول الشافعية : إن النجاسة « **الحقيقية**» هى التى لها جرم ، أى مادة أو طعم أو لون أو ريح و«**الحكمية**» التى لاجرم لها ولا طعم ولا ريح كبول جف لم تدرك له صفة ، فإنه نجس نجاسة حكمية : أما عند المالكية فالنجاسة العينية هى ذات النجاسة ، والحكمية أثرها المحكوم به على المحل .

وعند الحنابلة النجاسة الحقيقية هى عين النجس ـ بالفتح ـ والحكمية هى الطارئة على محل طاهر قبل طروها ، وذلك يشمل النجاسة التى لها جرم وغيرها .

وفى تقسيم آخر للنجاسة :

النجاسة الغليظة ، والمانع من الغليظة أن تزيد على قدر الدرهم البغلى ، وهو الدائرة السوداء الكائنة فى ذراع البغل ، وذلك إذا كانت النجاسة مائعة ، ووزنا إن كانت النجاسة كثيفة .

النجاسة المخففة : ويعفى فيها عما دون ربع الثوب كله ، أو ربع البدن كله وتظهر الخفة فى غير المائع ، وهى عند الحنفية ماورد فيها نص عورض بنص آخر مثل بول ما يؤكل لحمه .

« **يتبع** »

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقي شمس الدين

السؤال من السيد/ محمود منير عبدالوهاب بشر كوم النور – ميت غمر – دقهلية يقول فيه أعمل فى ورق البردى – أُلَوّن الورق البردى : أى الرسوم الفرعونية ثم أبيعها إلى « البزار » الذى يقوم ببيعها إلى الأجانب فهل هذا حرام ، وماالحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فنفيد بأن الذين يقولون لك إن الرسم الفرعونى حرام ، وأن الشغل به حرام والآخرون الذين يقولون عكس ذلك إنما هم فى الحقيقة معذورون ؛ لأن النصوص فى حرمة التصوير عموما كثيرة ومشهورة والذين يتأولون هذه النصوص لهم نصيب من صحة اجتهادهم

وقد اتفق العلماء والمجتهدون على أن التصوير الشمسى لايقع فى دائرة الحرمة ، وأن التصوير المنهى عنه إنما هو التصوير المجسد أى صناعة التماثيل التى تشبه فى هيئتها أصنام الجاهلية .

وبناء على ذلك اعتبر أن أجرك الذى تحصل عليه هو نظير الوقت الذى يستغرقه هذا العمل والله أعلم .

● ● ●

السؤال من السيد/ م . ا . م – شرقية – يقول فيه :

١ – رجل حلف على زوجته ثلاثة أيمان طلاق على فترات مختلفة ، وكان بينهما خلاف وقبل وفاته لم تكن هذه الزوجة فى منزل الزوجية وكانت عند أحد أبنائه علما بأن هذا الزوج حلف عليها اليمين مرات عديدة وقد حضرت هذه الزوجة إلى بيتها فى ساعة احتضار زوجها ،

وطلبوا منه مسامحة زوجته فلم تخرج منه كلمة السماح إلا بعد تدخل أولاده وأقربائه

ونحيطكم علما بأن هذين الزوجين كانا على خلاف مستمر وهذه الزوجة فى مرات رمى اليمين عليها ، ولم تطلق على يد مأذون ولم تستخرج لها قسيمة طلاق عن طريق الحاكم والمأذون . فهل ترث هذه الزوجة فى زوجها المتوفى ؟ علما بأن هذا الزوج المتوفى له ابن وزوجة أخرى .

٢ - مستأجر قطعة أرض ولانعرف كيفية إخراج زكاة هذه الأرض ، هل تحسب قيمة الإيجار ومصاريف الأرض قبل إخراج الزكاة أم لا ؟ علما بأن الأرض تسقى بآلة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد :

فنفيد عن **الأول** بأن السائل لم يوضح فى رسالته صيغة هذه الأيمان التى تلفظ بها الزوج فإن ذكرها بالنص أمكن أن يأتى الحكم الصحيح وبغير ذلك لايمكن أن تصدر فتوى فهناك صيغ طلاق لابد فيها من معرفة نية الحالف وهناك صيغة على الطلاق - وهى لغو لايقع به طلاق وإنما هى أيمان تؤدى عنها كفارة بالحنث فيها وغير ذلك .

وعن الثانى : زكاة الزروع والثمار هى إخراج العشر مما تنبت الأرض إذا كانت تسقى بدون آله ونصف العشر إن كانت تسقى بآله ، وهذا هو مذهب الإمام أبوحنيفة الذى يرى إخراج هذا القدر مما أخرجته الأرض ، أى جميع ماتخرجه سواء كان مقتاتا به أو غير مقتات به ، وسواء كان مما يدخر أو لا يدخر ، ويخرج هذا القدر بدون احتساب الايجار أو نفقات أخرى ، والله تعالى أعلم .

● ● ●

س : هل يجوز للأب والأم شرعاً مراقبة المكالمات التليفونية للأبناء وتسجيلها ؟

الجواب

على ضوء ماسبق فإن مراقبة مكالمات الأبناء الذين هم دون البلوغ حق قاصر على الوالدين فقط لايتعداهما إلى غيرهما من قبيل التربية والرعاية المطلوبة - كلكم راع وكلكم مسئول - إذا كان المقصود من ذلك صلاح النشئ .

أما بعد البلوغ فإن هذا العمل يدخل فى دائرة المحرم فكل نفس بما كسبت رهينة .

● ● ●

س : هل يجوز للزوج مراقبة مكالمات زوجته ؟ وهل يجوز للزوجة مراقبة مكالمات زوجها ؟

الجواب

هذا العمل فى القول بإجازته سلبيات تفوق ماعساه يكون فيه من إيجابيات ، فضلاً عن كشف المستور الذى يحرص كل من الزوجين على الاحتفاظ به لنفسه وهو حق لكل منهما ، وتجاوز ذلك مدعاة إلى الدخول فى متاهات تفسد بها الحياة الزوجية ، وقد أجرى الشارع الحكيم وعلماء الفقه أحكامهم على الأمور التى تصدر من الشخص ويمكن سماع الشهادة فيها وتسجيل مايصدر من الشخص بالصوت أو الصورة أو كلاهما معاً مما لايفيد القطع نظراً لتقدم التكنولوجيا فى إمكان تزييف مثل هذه التسجيلات ، وكثيراً مايحدث ذلك .

ثم نقول إذا كان الشارع الحكيم قد جعل للمرأة ذمة مالية مستقلة عن زوجها، فقياساً على الحق المقرر لها فى حل ذلك فمن حقها الاحتفاظ لنفسها بما تريد ، ومن المعلوم فى أصول الفقه أن دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة درءاً لاتقاء المفاسد ، والحديث الشريف « **ثلاثة لايخلو منهم أحد : الظن والحسد والطيرة** » ولما سألوا الرسول ﷺ عن المخرج من ذلك قال إذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا تطيرت فامض » ولاشك أن هذا العمل مما يندرج تحت عموم قوله تعالى : « ولا تجسسوا » ثم أنه عمل يشبه من جهة عمل الشيطان الذى يقول الله ـ تعالى ـ فى شأنه ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ . الأعراف - ٢٧ .

● ● ●

س : هل يجوز لصاحب العمل مراقبة مرؤسيه أثناء عملهم لديه لحماية أسرار عمله ؟

الجواب

نعم يجوز لذلك مادام فى دائرة العمل لايتعداه إلى جوانب أخرى ، وهى الجوانب الخاصة للشخص .

ملحوظة :

قرر الفقهاء : أنه إذا حرم الشىء حرمت جميع الوسائل المؤدية إليه .

● ● ●

السؤال من السيدة/ ف.أ.ع. :

هل يجوز تخصيص جزء من زكاة مالى إلى معهد الأورام وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعا من تخصيص جزء من زكاة المال للمرضى الفقراء الموجودين فى معهد الأورام .

ويجوز ـ أيضا ـ تخصيص جزء من زكاة المال للمساهمة فى إنشاء وترميم معهد الأورام والمرافق العامة ، وهذا يدخل تحت باب (وفى سبيل الله) والله ـ تعالى ـ أعلم .

● ● ●

السؤال مقدم من السيد/ خيرى محمد ابراهيم أبوالروس/ كفر الجرايدة بيلا :

س ١ : توفيت امرأة عن : أخت شقيقة ، وإخوة لأب ، وأخت لأب ، فمن يرث ؟ وهل الأخت الشقيقة تحجب الإخوة لأب ؟؟

س ٢ : توفى أب عن : زوجة ، وابنين وأخت شقيقة فمن يرث ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد فنفيد عن :

السؤال الأول : بأن للأخت الشقيقة النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للإخوة والأخت لأب تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ؛ والأخت الشقيقة هنا لاتحجب الأخوة لأب .

وعن الثانى : نفيد بأن للزوجة الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث والباقى للابنين تعصيباً ، يقسم بينهما بالتساوى ، ولاشىء للأخت الشقيقة لحجبها بالفرع الوارث المذكر ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« أكلمك فلا تجيبني »

قال أبو الحسن المدائني : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان فى مدرعة صوف ، فقال له : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة : أكلمك فلا تجيبنى ؟

قال : أكره أن أقول : زهداً ، فأزكى نفسى ، أو أقول : فقراً فأشكو ربى ، فما جوابك إلا السكوت .

« قيدوا العلم »

عن سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قيدوا العلم ؛ قلنا : وما تقييده ؟ قال : تعلموه وعلموه ، واستنسخوه ؛ فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه .

« حقا »

ما أحْسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله .

« الحزن على الشباب »

قيل : إن أول من لبس البياض عند الحزن على الميت ملوك العرب من بنى أمية ، وقصدوا بذلك المخالفة لبنى العباس فى لباسهم السواد ، وفى ذلك قيل :

إذا كان البياض لباس حزن
بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى
لأنى قد حزنت على شبابى

« حقيقة »

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
أحاط بى علمه من قبل تصويرى

« اختبـــار جاريــــة »

عرض على المتوكل جارية ؛ فقيل له : إنها فصيحة شاعرة ، فأراد أن يختبرها ، وكان أبو العيناء الضرير جالساً عنده ، فطلب منه اختبارها .

فقال لها : أجيزى : أحمد الله كثيراً .

فقالت : حيث أنشأك ضريراً .

فقال : اشترها يا أمير ، فقد أحسنت فى إساءتها .

« مــكارم الأخــلاق »

قال أبو العتاهية :

إن المــكارم أخـــلاق مطهـــرة
فالعقـــل أولها ، والديـن ثانيهـــا
والعـلم ثالثهـــا ، والحلـم رابعهـــا
والجـــود خامســـها ، والصـدق ساديها
والبـــر سابعها ، والصـــبر ثامنهـــا
والشـــكر تاسـعها ، والرفق عاشيها

« وأخـــرى »

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : من اشتاق إلى الجنة سارع فى الخيرات ، ومن خاف النار ترك الشهوات ، ومن ترقب الموت زهد الدنيا وهانت عليه المصيبات .

« على الــزوج الســادس »

تزوجت امرأة بأربعة رجال ماتوا إلى التوالى ثم تزوجت الخامس ، ولما أشرف على الموت جلست فوق رأسه ، تلطم وجهها وتصرخ على من تتركنى ؟ ففتح الزوج عينيه ورد بصوت ضعيف : على الزوج السادس .

دعاء

اللهم كما مَنَنْتَ علينا بالصلاة على نبينا فامنن علينا بفهم الكتاب الذى أنزل إليه ؛ لأنه شفاء للمؤمنين ورحمة للعالمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسنين محمد مخلوف

دراسة في شخصيته وعلمه

للأستاذ الدكتور / سعد عبدالمقصود ظلام (*)

من الناس من يمرّ على الدنيا مرورا عابرا ساذجا، لم يحظ من الدنيا بشىء سوى رقم فى دفتر الإحصاء لم يثر الدنيا ، ولم تُثر ولم يُفدها ولم تُفده.

قضى عمره كله بمعزل عن الحياة وتيارها الصاخب ، حظه منها وحظها منه مطعم ومشرب وحيّز يشغله.

ومن الناس من يقتحم الحياة اقتحاما ، ويدخل فى غمارها ومشكلاتها فى شجاعة وثقة ، جاهد وجهر بالحق وصدع به وقذف به وجه الباطل ؛ فكتب لنفسه بنفسه تاريخ ميلاده وبقائه حتى بعد موته، ونضر وجه أمته وسجل لها إضمامة ناضرة فى سفر خلودها.

ليست العبرة بالوجود فى الحياة ، ولكن العبرة بما يكتبه ذوو العزائم والصادقو الهمة والعظماء الواعون بأدوارهم على أساس من وعيهم برسالتهم ومواريثهم البيئية والذاتية.

وعلى أساس هذا التمايز فى النشأة والتكوين والوعى بالمسئولية والرسالة كان من الأسماء ما يستوقفك من بعيد وكأنه هامة شامخة أو قمة جبل سامقة تستشرقك من عَلٍ ، وتطل عليك وكأن تاريخا مضيئا يتملأك ويملأ جوانحك بالعبق والنغم والضياء ، ومن الأعلام ما يحنو عليك ويدلف إلى عالمك ؛ فيأخذك على جناحه ويضعك فى دنياه ، ومن هؤلاء الأعلام : الثقاة من الصحابة والتابعين ومن عمّقوا نهر الحياة للإنسانية ، ومن كتبوا على صفحات الخلود أسماءهم وأعمالهم ، وسجلوا بأنفسهم تراثا مطمئنا من الخير للناس وللعلم وللبشرية.

(*) الكاتب : عميد كلية اللغة العربية ، القاهرة ـ جامعة الأزهر .

كل هؤلاء .. وأولئك نماذج تُذكر فتثرى جوّنا بالإشراق والنعمى والتواريخ الفِصاح :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب ــ ٢٣

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة ــ ٢٠٧ .

والدول والشعوب والبشرية كلها والحضارة والتقدم فى العلوم والفنون والرشد الإنسانى كله مدينة لهذه النماذج الصادقة المعطاة فى حركتها الدءوب من أجل تحضر الإنسان وخيره وسعادته ورفاهيته ، وتأكيد رسالته على وجه الأرض ، وبعث الرجاء والطمأنينة فى نفسه اللاهثة القلقة ، والبشرية إنما تعيش وتستمر وتتقدم على ما قدمه الصادقون فى كل مجال من المجالات.

وهكذا الحياة جيل من العطاء يتلوه جيل ، ونموذج خيّر يقفوه نموذج يضوّء للإنسانية السبل ويحدد لها معالم الطريق.

من هذه النماذج الهادية الصادقة العهد والوفاء فضيلة المرحوم حسنين محمد مخلوف الذى أدى لله وللحق وللعلم وللأزهر ولمصر أروع ما يؤديه عالم يعتز بدينه ووطنه وأزهره.

ولد الشيخ الجليل فى يوم السبت السادس من شهر مايو سنة تسعين وثمانمائة وألف للميلاد فى « باب الفتوح » بمدينة القاهرة لأب كان شيخا من شيوخ الأزهر العظام هو فضيلة الشيخ المرحوم محمد حسنين مخلوف العدوى العالم الأزهرى الذى كان وكيلا للأزهر الشريف ، والذى انحدر من أسرة فى بنى عدىّ . مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر . منجم العلماء الأعلام وكنز الرجولة الزّاخر.

حفظ الشيخ فى طفولته وصباه الباكر القرآن الكريم بالأزهر الشريف ، ثم جوّد قراءته على شيخ القراء آنذاك وهو الشيخ محمد على خلف الحسينى ــ رحمه الله ــ والتحق فى الحادية عشرة من عمره بالأزهر طالبا فتلقى العلم على كبار شيوخه الذين كان منهم بالطبع والده الشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ عبدالله دراز والشيخ عبدالهادى مخلوف والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبدالحكيم الدجوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ البيجرمى وغيرهم من الشيوخ الأعلام .

ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى ، وحصل بعد ذلك على الشهادة العالمية فى يونيه سنة ١٩١٤، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من العمر ، وتطوع(*) للتدريس بالأزهر عامين، فدرّس المنطق وأدب البحث والأخلاق والفقه حتى عُين قاضيا بالمحاكم الشرعية فى يونيه سنة ١٩١٦ وتدرج فى مناصب القضاء فعين رئيسا لمحكمة الإسكندرية الكلية سنة ١٩٤١ ، ثم رئيسا

(*) فى حديث لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف مع د/ على الخطيب قال فضيلته : عند تعيينى بالأزهر سئلت عن المكان الذى أرغب العمل فيه ، فقلت : « قنا » فكانت إجابتى محل عجب شديد ، إذ كيف أطلب العمل فى هذا المكان القصى الحار .. لكنى طلبت ذلك لأن شيخى فى الطريق كان مقيما بـ « قنا » . رئيس التحرير : وأرجو أن أكون قد سطرت المضمون بدقة .

لتفتيش القضاء الشرعى بوزارة العدل ، واشترك فى إعداد مشروعات إصلاحية لبعض القوانين مثل «قانون المحاكم الشرعية» و«قانون المجالس الحسبية» و«قانون الطوائف الملية» وانتدب للتدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات حتى صدر مرسوم ملكى فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة العليا الشرعية ، كما صدر مرسوم ملكى آخر بتعيينه مفتيا للديار المصرية عندما خلا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبدالمجيد سليم ، وكان هذا المرسوم فى الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٦٥هـ الموافق ٥ من شهر يناير سنة ١٩٤٦م ، وظل بهذا المنصب حتى العشرين من شهر رجب سنة ١٣٦٩هـ الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٥٠ تاريخ انتهاء مدته القانونية ثم عُين مرة أخرى مفتيا للديار المصرية فى مارس سنة ١٩٥٢ حتى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٤م .

وقد عُين فضيلته عضوا فى هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤٨ ، ثم عضوا بعد ذلك فى مجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ كذلك عُين عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامى .

ولقد كُرم الشيخ وكان من الطبيعى أن يُكرم ، فمنح كسوة التشريفة العلمية وهو رئيس لمحكمة طنطا ، ثم مُنحها وهو مُفتٍ للديار المصرية ، ثم نال جائزة «الملك فيصل» العالمية سنة ١٤٠٣هـ ومُنح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٢م، منحه له السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

شخصيته وخلقه

كان من أهم ما يمتاز به فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف ـ رحمه الله تعالى ـ علمه وأدبه وورعه وتقواه وخلقه و وخشيته من الله كان لا يخشى فى الحق لومة لائم ـــ يقول القول أو يرى الرأى لا يهمه من سيغضب منه ومن سيرضى ؛ لأنه كان معايشا لقوله ـ سبحانه :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب ـــ ٣٩

وهو إذا قرأ ما يتعارض مع الدين والخلق والقيم والنهج الصحيح دفعه وردّ عليه ، ولو كان صاحبه يحظى بأكبر المناصب وأسماها ـ فالميزان الصحيح عنده ـ أو مفتاح شخصيته كما يحب أستاذنا العقاد أن يقول ـ هو مصاحبة الحق يؤديه ، ويؤلمه ما ينتاب الحق من نكسات ، أو يواجهه من مآزق ومشكلات ، ويظل يؤازره ويناصره ويدافع عنه لا يعنيه إلا أن يبقى الحق عاليا مرفوع الجناب ، ومثل هذا الخلق يفرد لصاحبه مكانة فى النفوس ومذهبا فى السلوك ومنهجا فى التعامل معه أو ضده .

ولقد كان الشيخ وفيا لهذا المنهج وفاء مطلقا، كان لسانا للحق يلتمس رضاء الله ولو أسخط الناس ، ولا يلتمس رضا الناس بسخط الله ـ عز وجل.

هكذا كان الشيخ ـ يرحمه الله ـ وكان حريصا فى نفس الوقت أبلغ مايكون الحرص على الاعتزاز بنفسه ، ووضعها الموضع الصحيح اللائق بها وبعالم مثله ، فلم يُسف ولم يهزل ولم يرتكب ما يشين أو ينال من مهابته وكرامته ؛ بل ترفع عن الصغار والصغائر، فلم يخالط إلا ذوى الهمم والمروءات المشهود لهم بالفضل والسبق والسيرة الحسنة والعلم الغزير فصان نفسه ومكانته عن الريب والتقول ، وشبهة الذم فعظمت منزلته وعظم هو فى نفوس الناس.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لَعظّما

دُعى ذات يوم لحضور مؤتمر كبير يحضره رئيس الدولة الأسبق ولما ذهب الى قاعة المؤتمر وجد المكان الذى سيجلسونه فيه لا يتفق مع منزلته ومكانته باعتباره عالما فانصرف راجعا ، ولما قابله المشرفون على الحفل خارجا حاولوا الاعتذار له ، وطلبوا منه أن يعود وسوف يعّدون له مكانا لائقا ، فأبى وانصرف.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

كان الشيخ من العلماء القلائل الذين يدركون ما تفرضه عليهم مسئولياتهم باعتبارهم علماء فهو يعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق ، والإنسانية تطير بجناحين جناح الحق وجناح الواجب فكانت نفسه الأبية التى لم تضعف أمام المغريات وخلقه الفاضل ونزاهته ومصاحبته للحق تفرض احترامه على الناس كما كانت تفرض عليه أن يحترم الناس ، وهو بهذا الفهم الصحيح وصل نفسه بشيوخ وعلماء كبار أحلوا الأزهر بمكانتهم وخلقهم وسلوكهم وعلمهم رفيع المكانة ، ووضعوه فوق كل الرءوس .

وتاريخ الأزهر مدين إلى حد كبير لهذه النماذج الفادية القادرة فتاريخه غير المكتوب رهن بمواقف هؤلاء الشيوخ الأفذاذ ، ومواقفهم الشجاعة وعلمهم الثبت .

كان فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف والد الشيخ حسنين مخلوف من هؤلاء العلماء فقد استقال من وكالة الأزهر احتجاجا على انصياع الخديوى للاحتلال .. كما كان بسمته الوقور وهدوئه المتزن يعيد إلينا تاريخ العلماء السابقين (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وكذلك

كان الشيخ حسنين بمسلكه ونفسه النقية كالصفوة من التابعين أو تابعى التابعين ـ رضوان الله عليهم ، سلوكه مثل سلوكهم ، وخلقه كخلقهم وعلمه كعلمهم لم يؤثر عنه ما يُغاير باطنه ظاهره أو ظاهره باطنه أو يعرف عنه أنه يقول بغير علم أو يعمل بغير ما يقول ، كان سلوكه ترجمانا لعلمه وكان خلقه نقيا كجلوة الصبح طاهرا كماء المزن . كان صادقا مع نفسه يفى لله ولدينه أعظم ما يكون الوفاء . لم يغير ولم يبدل ولم يتغير ولم يتبدل :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٢٣

ولم يكن فى طبيعة الشيخ إلا أن يكون كذلك فبيئته وتربيته الدينية وبيته الذى يعبق بأرج الدين والعلم والفضيلة كل ذلك جعله مخلصا تمام الاخلاص لهذه النشأة القويمة ، لا يستطيع لها مدافعة أو يحيد عنها ، أو تحيد عنه فهو غصن من أغصان هذه الدوحة ومحال للغصن أن تتغير طبيعته عن جذوره وأصله ، أو يتخلى عن طبيعته مهما تكن الظروف.

على هذا الخلق الفاضل تربى الشيخ فى طفولته وصباه وشبابه والتزمه فى كهولته وشيخوخته ولقد أخذ به أولاده لقد بعث برسالة الى ولده «عبدالهادى» السفير عبدالهادى مخلوف فيما بعد بعث إليه بهذه الرسالة وهو يدرس الاقتصاد فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٠ يقول له فيها .

«حفظك الله من كل سوء ووجهك الى الخير ، ووفقك الى مافيه رضاه ، اعلم أنك ستمكث فى هذه الدنيا الجديدة سنين عديدة مغتربا عن الأهل والوطن فى سبيل العلم ؛ فاستعن ـ على ذلك ـ بتقوى الله فى سرّك وعلانيتك فهو الفتاح العليم ، واستعن بالصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وبتلاوة القرآن ؛ فإنه جلاء القلوب وشفاء الصدور ، واجتنب فى جهادك قرناء السوء وخلطاء الفتنة وما حرم الله من طعام وشراب ، واعلم أنك فى تربيتك ونشأتك يُنظر إليك هنا وهناك نظرة احترام إن أنت اعتصمت بدينك وتقاليدك.

ما كل ما هنالك حسن وما كل ما هنالك قبيح فخذ ما ترى وتعلم أحسنه وأنفعه واجتنب أقبحه وأضره ، وعد إلينا موفور الكرامة عَلِيَّ الهَمة ، واقرأ هذه الوصية مرارا ، واتخذها منهاجا ودستورا والله يفتح عليك ويوفقك ويسدد خطاك ـــ التوقيع.

كما يظهر ذلك أيضا فى رسالته المطولة التى وجهها الى أولاده وأجفاده من مكة المكرمة فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ وقد ذكرهم فيها بواجباتهم الإسلامية علما وعملا ، ونصحهم فيها بالتواصل والتراحم والتواد والتحاب والعناية بتربية الأولاد على الدين والتخلق بمكارم الأخلاق .. ودعاهم إلى الأمانة فى الصدق فى أعمالهم وأقوالهم وإلى العزة وشرف النفس ودعا لهم بالتوفيق إلى طاعة الله والسعادة فى الدنيا والآخرة.

مؤلفاتـه

أخلص الشيخ لأعماله الوظيفية فترة اشتغاله بها ؛ فلم ينزل إلى ميدان التأليف بصورة أصيلة إلا بعد أن تخلص من قيود الوظيفة ، وألقى عصا التسيار ، واستقر به النوى(*) ، فألف ما يزيد على سبعة وعشرين مؤلفا أغلبها فى القرآن الكريم ، فله :

كلمات القرآن ـــ تفسير وبيان

صفوة البيان لمعانى القرآن

رسالة التفسير والمفسرون

رسالة فى فضل تلاوة القرآن

رسالة فى تفسير سورة القدر

أدعية من وحى القرآن الكريم والسنة النبوية

وله كتب أخرى فى السنة والعقيدة وفى أحكام الشريعة فى بدع المآتم وفى الميراث والتصوف والأخلاق ومصطلح الحديث والمديح النبوى والسيرة النبوية وله الى جانب ذلك كله مجموعة «الفتاوى» وهى أبرز أعماله كلها ، وقد أكسبه عمله بالقضاء حصافة فى الرأى ، ودقة فى الفتيا ، مع ما له من نفاذ البصيرة.

وقد لقيت كتبه فى التفسير شهرة واسعة ، وطبع كتاباه الأول الثانى أكثر من طبعة فى أكثر من دولة ، ولقيا قبولا حسنا لدى الجماهير المسلمة فى كل مكان ، وكان لا يبتغى من وراء طبع كتبه إلا المثوبة والأجر من الله ـ سبحانه وتعالى.

ومنهجه فى كتابه الأول :

أن يفسر الكلمة القرآنية بالمعنى المراد منها فى الآية حقيقيا كان المعنى أو مجازيا أو كنائيا ، وهو بهذا يقرب معانى القرآن من جمهور قارئيه ، وقد أورد هذه المعانى من الجهة الشرعية لا من حيث أوضاعها اللغوية.

ويعتبر هذا الكتاب أساسا وتفسيرا للكتاب الثانى « صفوة البيان لمعانى القرآن » .. فهو قد شرح فى الكتاب الأول مفردات القرآن ، ولكنه وجد الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصد ؛ فكان كتابه الثانى الذى بعُد به عن غريب القرآن.

(*) ينبغى أن نستثنى من ذلك مؤلفه عن « الرفق بالحيوان » الذى ألفه وهو طالب كما حدث بذلك رئيس التحرير ، فقد ألفه وهو فى السنة الثانية الابتدائية . وقد نشرته مجلة الأزهر فى هداياها ، رئيس التحرير .

وقد التزم فى الكتاب الثانى ـ وهو يبين مقاصد الآيات ـ بما عليه سلف الأمة من الأشاعرة فى مسائل العقيدة ، وتوسع أيما توسع فى الأحكام الفقهية ، وهو حين يشرح الآية يستعرض كل وجوه التأويل ثم يختار ما يميل إليه منها شارحا السبب ومبينا العلة ، ويعمل عقله من غير شطط ، وهو فى عرضه للآراء والفتاوى والأحكام الشرعية يستمد من ثقافته وموهبته فى تمكن وثراء كما يبدو لنا مدى التزامه برأى جمهور الفقهاء لا يميل إلى رأى ضعيف ، وحين تختلف الآراء ، وتتعدد وجهات النظر يذكر كل رأى ، وينسبه إلى صاحبه فى حسم وحسن قصد .

أما فتاواه فكانت ـ بلا شك ـ من أبرز أعماله ، وقد نضح عليها عمله بالقضاء دقة وقوة ، ونفاذ بصيرة ، ووصولا الى القصد فى أناة وتبصر .

ويمكن تتبع تلك الفتاوى فى مصدرين :

المصدر الأول : ما جمعه الشيخ من فتاواه وأصدره فى مجموعات .

والمصدر الثانى : «الفتاوى الإسلامية» التى صدرت عن دار الإفتاء المصرية ، وطبعها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

وشخصية الشيخ فى فتاواه بارزة تجمع بين مصاحبة الحق وحرصه عليه ، وتبحره الواسع فى الاطلاع والإحاطة بوجود الرأى مع الدقة فى استخراج الأحكام والتحليل والتعليل ، ولطف الملمح وحسن الاستدلال مع شيء غير قليل من شدة الاحتياط ، وخشية الله ومراقبته ؛ فلا يميل مع الهوى حيث يميل ولا يبرِّر عملا غير مشروع .

وقد كان من الواجب أن نتعرض بأمثلة من أعماله لندلل على ما ذكرناه سابقا من الكتب والفتاوى ونحشد مجموعة من أقوال الشيخ وفتاواه، نبحثها وندلل على صحة ما ذهبنا إليه ، ولكن المقام لا يتسع فى هذه العجالة ، وتلك الإلمامة اليسيرة ، وكتبه وفتاواه تحت عين القراء وأسماعهم .

وحسبنا أن نشير إلى فتاواه العظيمة فى الوقف وفى تولى المرأة القضاء وفى التأمين وفى إحراق جثث المسلمين فهى فتاوى تدل على جهد عقلى وتمكن علمى وغيرةٍ من الشيخ على دينه وشدة حذره من مزالق الفتن ، وحسن عرضه للأدلة بإقناع وحسن توجيه ؛ فليطلع عليها فى مصادرها من يريد أن يتزود منها .

ومثل الشيخ فى علمه وفضله وورعه وتقواه وتراثه العلمى جدير بالتكريم والإجلال ؛ فله كثير من المفاخر والمآثر والمواقف التى يُكرم من أجلها العلماء والعظماء .

ولقد لقى ربه راضيا مرضيا فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠هـ الموافق الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٦٠م رحمه الله رحمة واسعة ، وأكرم مثواه وجزاه عن الإسلام والوطن وشعبه وقبيله خير الجزاء .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

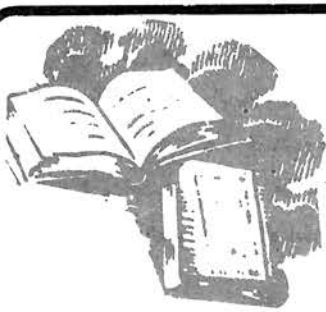

دراسة فى حياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / عبد القادر المغربي

إعداد وتقديم : أ / عبد الفتاح حسين الزيات

لم تحظ شخصية من الشخصيات بالبحث والدراسة والتحليل بمثل ما حظيت به شخصية سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد تناولها الكتاب والمفكرون وأولو العلم ، وأفردوا لها المؤلفات الطوال ، ذلك لتفردها بمزايا وخصال وسجايا لا توجد فى غيرها من البشر ، فهو خاتم النبيين .

وهؤلاء الباحثون والكتاب والمفكرون ، كل يمثل أحد اتجاهين : مادح أو قادح ، ولكن الشىء المؤكد أن المادح اهتدى إلى كلمة الحق فأعلنها ، والقادح ختم الله على قلبه فأضله على علم .

ومن الباحثين الذين لا نسىء بهم الظن من يندّ منه القلم ويشرد به الفكر ، فيقع فى سقطات ويأتى من الزلات ما لا يمكن السكوت عليه خصوصاً إذا كانت تمس سيد الخلق - محمداً صلى الله عليه وسلم - فيصبح الرد عليه واجباً حتمياً ، وتصحيح المفاهيم فى هذه الحالة مأمور به شرعاً ؛ فإن واجب علماء الإسلام تقويم الفكر المنحرف ، والرأى الشارد ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

قال الأستاذ

إن انتشار اللغات الأجنبية فى الشرق مكن المتعلمين من أبنائه من الاطلاع على ما كتبه الأوربيون فى السيرة النبوية ، وأكثره يحتاج لتقويم ، فإذا بقى على علاته انحرف بهم عن الجادة التى يجب أن يقوموا عليها لفهم سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

لذلك أصبح من الواجب علينا أن ننظر فيما قاله الكتبة الأوربيون لنصحح الباطل من آرائهم فينا ، ونقوّم المعوّج من أحكامهم علينا .

من أسبق هؤلاء الكتبة إلى إنصاف الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، المستشرق الإفرنسى المسيو (سافارى) ، فقد وضع سيرة نبوية مختصرة ، اعتمد فيها على ماقاله علماء الإسلام ، ثم اتبعها بآرائه وملاحظاته الخاصة .

فرأيناه فى أبحاثه عن النبى ﷺ يعترف له بكل معانى العبقرية والتفوق البشرى ، سوى النبوة .

قال : « إن محمدا كان واحدا من أولئك الأفذاذ الخارق العادة الذين ولدوا بمواهب سامية وكانوا يظهرون فى الأحايين على مرسح هذا الكون لأجل أن يغيروا وجهه ، ولأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » .

نقول : لا بأس فيما قلته أيها الشاب الإفرنسى سوى قولك : « لأجل أن يقطروا البشر فى جر مركباتهم » ، فإن هذا القول يشعر بأن نبينا ﷺ إنما قام بدعوته ليسخر البشر فى سبيل حظوظه الدنيوية كما فعل الإسكندر ونابليون .

ولا يمكننا أن نطيل الكلام فى الرد عليك لأن مقام الخطابة لك ، كما لا يمكننا أن نسكت عنك لئلا ينسب العجز إلينا ، ولهذا نكتفى بقولنا : إن سيدنا الرسول ﷺ لو كان يريد أن يكون كالقياصرة والأكاسرة لعاش عيشهم ، ولبذخ فى الحياة بذخهم ، ولخص ذريته بخلافته من بعده مثلهم ، ولو فعل لحقت كلمة الاحتجاج عليه .

أما جعله الخلافة فى قومه (قريش) فلأن القرآن عربى ، والشريعة - كما قال صاحب كتاب الموافقات - عربية ، ولا يفهمها حق الفهم ، إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم .

ثم قال العلامة المستشرق :

« إذا تأمل الانسان فى الوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه محمد ﷺ ، وفى قمة العظمة التى بلغها ، تعجب مما تستطيع العبقرية البشرية أن تفعله إذا ساعدتها الظروف » .

لم يخطىء خطيبنا الشاب فى وصف عبقريته صلى الله عليه وسلم ، لكننا نقول : إنها عبقرية نبوة ، لا عبقرية فتوة ، وساعدتها الظروف ، لكنها ظروف سماوية ، لا ظروف اتفاقية .

قال خطيبنا العلامة :

- « ولد محمد وثنيا ، وارتقى إلى معرفة إله واحد » .

نقول : لو قلت أيها المستشرق الفاضل : « ولد فى قوم وثنيين » لكنت أحسنت ؛ لأن نبينا محمد ﷺ لم يسجد لصنم قط ، حتى فى زمن طفولته ، فقد روى علماء السيرة ، أنه لما اجتمع ببحيرا الراهب - وكان صبيا - استحلفه بحيرا باللات والعزى على شىء ، فقال له النبى : « لا تسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ماأبغضت شيئا قط بغضهما ! » .

وقولك « إن محمدا ارتقى إلى معرفة إله واحد » كلام حق ، فإن التوحيد مركوز فى طبعه منذ ولد ، ثم تأيد هذا التوحيد الفطرى بالوحى الإلهى .

قال باحثنا المستشرق :

- « وبعد أن هتك محمد حجاب الوثنية فكر فى أن يحدث لقومه دينا جديدا » .

نقول : قولك « يحدث دينا جديدا » المحدث هو الله تعالى . أما تفكيره - صلى الله عليه وسلم -

فى أن يكون لقومه دين جديد فلم تبتعد فيه عن الحقيقة ؛ لأن نبينا كان يتطلب لقومه منذ صبوته دينا غير الوثنية . فقولك « إنه يفكر » ربما كان فيه إشارة إلى آية « ووجدك ضالا فهدى » ، فإن بعض حذاق المفسرين [فسر الضلال] بمعنى تردده فى أية الطرق يسلك إلى هداية العرب ، وإنقاذهم من الشرك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمرهم ، وتفكير شديد فى إنقاذهم من شقائهم ، حتى أراه الله الطريق إلى هدايتهم : بأن أوحى إليه دين الاسلام .

قال العلامة : « تعلم محمد بواسطة أسفاره ، ورأى النصارى منقسمين إلى طوائف ، كل طائفة تكفر الأخرى ، واليهود هول الأمم L'horreur des nations يدافعون عن شريعة موسى بعناد ، وقبائل العرب غائصين فى ظلمات الوثنية » .

نقول : إذا كنت تريد أيها العلامة أن محمدا ازداد فى أسفاره علما بما كانت عليه الأمم فى عهده من ضلال وشقاء ونزاع وتعصب ، وأن علمه هذا حصل بتدبير الله كى تستعد نفسه الشريفة لتلقى الوحى والنبوة ، كان قولك حسنا .

أما إذا أردت بتعلمه فى الأسفار أنه تعلم علوما لاهوتية استعان بها على دعوة النبوة ، كان قولك باطلا ، لأن سيدنا الرسول ﷺ نشأ أميا ، والأمية عائق كبير عن طلب العلم وتتبع مسائله وتقييد شوارده ، وكانت أميته هذه حجة على المشركين فى صحة نبوته ، ولم يسمع منهم قط احتجاج عليه بالقراءة والكتابة ، كما لم يسمع منهم أنهم قالوا له : إنك تعلمت وتلقنت فى أسفارك علوما لاهوتية ، ولو علموا ذلك لاحتجوا عليه به ولنقل إلينا ، وكل ماعلمه قومه أنه لأول مرة سافر إلى الشام مع عمه أبى طالب ، وكان يومئذ صبيا ، حتى إنه تعلق بزمام ناقة عمه ، وقال له : « ياعم ! إلى من تكلنى وأنا لاأب لى ولاأم » وفى عبارته هذه عبقة من الطفولة المقدسة .

ثم سافر – صلى الله عليه وسلم – فى شبابه إلى الشام فى تجارة لخديجة بنت خويلد ، فساوم وباع وربح وعاد ، وكان يهمه فى سفرته هذه أن يرضى السيدة خديجة بحسن تصريف البضاعة ، ووفرة أرباحها ؛ فلا يمكن أن يشغل نفسه بمزاولة العلم والتعلم ، فلاتعود ترسله مرة ثانية فى تجارتها ، وكان هو وعمه أبو طالب حريصين على إرضائها كما يفهم ذلك مما قاله علماء السيرة عند كلامهم على أسباب هذه السفرة .

على أن نبينا ﷺ كان فطنا ذكيا ، موحدا بفطرته ، محبا للخير والحق والعدل بطبيعته ، فلا يضر إذا قلنا : إنه كان يرى فى سفره من الشر ماينافى طبعه فيأنف منه وينكره ، كما يرى من الخير مايلائم طبعه فيرتاح إليه ويقره ، فيكون علمه فى سفره علم تحقيق وتطبيق ، لاعلم استفادة وتحصيل .

قال خطيبنا الإفرنسى :

– « وقد أثر فى نفس محمد ماشهده من أحوال الأمم ، فانسحب إلى عزلته (فى غار حراء) وهيأ فى نفسه فى مدة خمس عشرة سنة طريقة فى الدين يمكنه بها أن يجمع بين المسيحيين واليهود والوثنيين » .

نقول : قولك « هيأ فى نفسه » : المهيىء والمرشد هو الله – تعالى – أما قولك : أثر فى

نفسه ما شهده من أحوال الأمم ، فحسن جدا ، إذ أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يشق عليه ما يراه من ضلالهم وشقائهم . فقولك هذا ينبغى أن نجعله تفسيرا لقولك الأول « إن محمداً تعلم فى أسفاره » فلا يكون معنى تعلمه إلا أنه استفاد علماً جديداً بشقاء الأمم ، وحاجتها إلى نبى ينقذها من ضلالها .

ثم قال :

« هذا المشروع الدينى الذى فكر فيه محمد كان واسع النطاق ، غير ممكن التنفيذ ، فرأى أن الممكن إحداث عقيدة بسيطة ، يقبلها العقل ، وتناسب جميع أمم الأرض ، وهذه العقيدة هى الايمان بإله واحد ، يعاقب على الرذيلة ، ويكافىء على الفضيلة » .

نقول : ما أحسن ما قلت أيها الشاب الافرنسى الحر ! حقاً إن نبينا محمداً ﷺ تدرج فى عرض تعاليم دينه على مشركى العرب : فكان يأتيهم أولا بالتعاليم السهلة ، ثم بما يحتاج إلى دقة وتأمل . لكن عبارتك تفيد أنه فعل ذلك من عند نفسه ، وهو إنما تلقاه بوحى من الله ، كما كان يتلقى ذلك إخوانه الأنبياء السابقون .

قال المستشرق :

ـ « غير أن محمداً لما رأى أن الناس لا يتبعون دينه ما لم يكن هو نبيا مرسلا من الله ، أضاف كلمة « محمد رسول الله » إلى كلمة « لا إله إلا الله » .

نقول : مادمت أيها العلامة غير مسلم فلا يمكننا أن ننازعك فى قولك نزاعاً ثقيلا . وكل ما يمكننا ، [هو] أن نعاتبك عليه عتابا جميلا .

نراك تؤمن بأنبياء التوراة ، مع أن الواحد من هؤلاء الأنبياء قد لا يؤثر عنه من أعمال النبوة وتعاليمها سوى قوله مثلا : « إن الرب أمرنى أن أقول لملك إسرائيل أن يفعل كذا ويترك كذا » .

هذا كل آيات نبوته التى تجعلك تؤمن به ، ولا تؤمن بمحمد الذى أتى بتعاليم وشرائع وآداب وقوانين اجتماعية ، ظهر أثرها فى إصلاح البشر ، ومهدت بين أيديهم سبل الحضارة والعمران ، وأوجدت لهم ثقافة راقية فى كل ناحية من نواحى الحياة . وقد دونت ثقافته هذه وشرحت فى ألوف وألوف من الكتب التى لو نفضت لكان فى نفاضتها من المراشد والمنافع ما هو أجدى على البشر من كثير مما فى الكتب الأخرى . وقد تبع محمداً ملايين وملايين من البشر يعملون بشرائعه وفيهم ألوف وألوف من العلماء والصوفية والفلاسفة والساسة وقواد الحروب ، ورجال الفنون ، وأساطين الفقه والتشريع والأدب والشعر ، والمصنفين فى كل فن ومطلب من مطالب الحياة ، وكلهم يعترفون بأنهم إنما استقوا علومهم من ذلك الينبوع الأعظم ، صلى الله عليه وسلم .

فالرجل الذى انبثقت من روحانيته روحانية الحسن البصرى والجنيد والشبلى والسرى السقطى وابن عربى وابن الفارض .

الرجل الذى انبثق من علمه علم الصحابة والتابعين وعلم أبى حنيفة والشافعى والأشعرى والغزالى وابن رشد والفارابى والرازى .

الرجل الذى انبثق من عبقريته عبقرية الخليل بن أحمد والزمخشرى وأبى العلاء المعرى والجاحظ وابن خلدون .

الرجل الذى انبثقت من فتوته فتوة الإمام على ، وخالد بن الوليد ، وصقر قريش

عبدالرحمن الداخل ، وموسى بن نصير فاتح المغرب ، وقتيبة بن مسلم فاتح المشرق ، والمهلب ابن أبي صفرة ، وصلاح الدين الأيوبى .

الرجل الذى أثمر وأنتج كل هذا تبخل عليه بكلمة « نبى » أيها الشاب الحر المنصف وتجود بها على أولئك الذين تعرفهم ويعرفهم التاريخ ؟!

هذا ماأحببنا أن نعاتب صاحبنا عليه . ونعود الآن إلى استماع بقية حديثه فى السيرة ، فنسمعه يقول :

« وبعد أن وضع محمد أساس طريقته الدينية على هذه الصورة أخذ من تعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية ماعلم أنه أكثر موافقة للعرب سكان البلاد الحارة .

« أما العرب فلم يكن محمد غافلا عن إدخالهم فى مشروعه ، كيف وهو إنما كان يعمل من أول الأمر لأجلهم ؟

« فأخذ يذكرهم بذكرى عزيزة عليهم : تلك الذكرى هى أبوة إبراهيم وإسماعيل ، وبذلك جعلهم ينظرون إلى الدين الإسلامى كأنه دين هذين القديسين » .

نقول : عاد مستشرقنا إلى نغمته السابقة ، فزعم أن كل ماكان يفعله نبينا ﷺ صادر من عند نفسه ، وليس الأمر كمازعم ، وإنما هو وحى يوحى ، لما قامت عليه البراهين من صدقه صلى الله عليه وسلم .

ثم وصف العلامة الافرنسى ماأوتى نبينا ﷺ من فصاحة وبلاغة فى لغته العربية ، فقال :

ـ « وكان محمد واقفاً على أسرار بلاغة لغته ، تلك اللغة التى هى أغزر مادة وألذ فى السمع من جميع لغات الأرض . تلك اللغة التى بواسطة تأليف مقاطعها يمكنها أن تتابع الفكر مهما حلق فى جو الخيال ، فتصوره أكمل تصوير . تلك اللغة التى بواسطة تناسب نغماتها تسمعك تارة زئير الأسود ، وطوراً هدير الأمواج ، ومرة قصف الرعود ، وأحياناً هبوب النسمات . تلك اللغة التى وجدت من يوم أن خلق الله البشر

(depuis le commcement du monfe)

والتى هذبها وحسن ديباجتها الكثيرون من شعراء الجاهلية . بهذه اللغة كان يخطب محمد قومه ، فكان يعطى حكمه جميع صنوف التأثير السحرى ، ويعطى تعاليمه الروعة التى تناسبها ، ويعطى الأمثال المتداولة بين أهل زمانه مسحة من الجمال جعلتها ذات قيمة غير قيمتها الأولى» .

نقول : هذا ماوصف به المستشرق لغتنا العربية ، وماهى عليه من قوة التأثير فى النفوس ، وصلاحيتها لتقييد أوابد الأفكار ، فلنحرص عليها .

ثم قال :

« ولما حان الوقت لإظهار الدعوة استعان محمد على أمره بالكتمان الشديد ، فدعا أولا أهل بيته وخادمه الأمين (أم أيمن) ، وأثر بفصاحته على بعض سادات مكة فآمنوا به ، ولما شعر بقوته رفع صوته ضد الوثنية ، وماكانت النكبات التى تنزل به ولا التغريب عن وطنه ، ولا الحكم عليه بالموت إلا لتزيد فى شجاعته ، وإلهاب همته ، وفى آخر الأمر هيأ لنفسه بواسطة مستشاريه السريين ملجأ فى بلاط ملك الحبشة لينحاز إليه حين الحاجة ، ثم ملجأ آخر فى مدينة يثرب ، حتى إذا أحكم

التدبيرين ، واستوثق من الملجأين ، ظهر فى رائعة النهار ، وأعلـن مقـاصده فى طلب المجد والفخار » .

لا بأس فى هذا الكلام الذى قاله خطيبنا المستشرق لو لم ينسب التدابير فى نشر الدعوة إلى النبى نفسه ، وأن له من وراء ذلك غرضا خاصا به . وقد تقدم ردنا عليه فى أمثال ذلك ، فلنكتف بما تقدم .

ثم قال المستشرق :

ـ « قاومه النصارى وقالوا فيه ما قالوا ، وأنكره اليهود مستبعدين أن يكون رجل عادى من أهل مكة هو المسيح المنتظر . أما مشركو العرب فقد رأوا أن دينهم الوثنى الذى هو أساس سطوتهم قد زعزعه محمد وعرضه للزوال ، ففكروا فى قتله ، ووضعوا رأسه فى المزاد ، ومع هذا فإن ضجيج هذه الطوائف الثلاث وأحقادهم وتسابقهم فى مقاومة محمد ما كانت لتخيفه . وقد كان ثباته فوق كل النكبات ، وعبقريته خلقت مستعدة لتذليل كل العقبات . ولما استولى على المدينة سلحها ضد مكة ، وصمم على أن يقهر بقوة السيف والسنان أولئك المكابرين الذين لم تفلح فيهم قوة الحجة والبرهان . كما أنه لما يئس من اجتذاب اليهود والنصارى إلى دينه نسخ الشرائع الناظرة إلى مصلحتهم ، وعول فى تأييد دعوته على العرب وحدهم : فكان أول ما فعله ، من هذا القبيل تحويل القبلة إلى مكة بعد أن كانت إلى بيت المقدس ، فقوبل هذا التشريع من العرب بالتكبير والتهليل ، وعدوه نعمة سماوية ، أما الشارع فكان يرى فى هذا التحويل وسيلة إلى حمل صحابته على فتح مكة منبت أسلته ، وهدف رغبته » .

« وبعد تحويل القبلة إلى مكة وجه همته إلى أمر أهم : هو توحيد كلمة القبائل المتعادية ، فانشأ نظام التآخى ، الذى بواسطته أصبح المسلمون أسرة واحدة يتسابق أفرادها إلى إعلاء شأن رئيسها » .

« ولما تم له كل هذا صمد إلى أعدائه ، فكافحهم بتلك الشجاعة النادرة التى اكتسبها فى الحروب تحت إشراف عمه أبى طالب ، فأهلته لأن يكون قائدا حربيا كبيرا . ووصية محمد لرجاله بالظفر أو الموت ، وثقتهم . بمعونة الله الموعودة ، وأملهم بالغنائم التى كانت تقسم بينهم بالعدل ، كل ذلك ألهب نفوسهم بالبسالة ، وجعل انكسارهم من رابع المستحيلات » .

« حارب العرب كلهم ، بأهل المدينة وحدهم ، فكان استبساله فى الهجوم ، واختياره المراكز المنيعة لنزول جيشه ، وإضرامه نار الحمية فى نفوس أبطاله ، كل هذا جعله يتفوق على أعدائه : فكنت تراه فى وسط الحروب الموقدة ، وبين خفقان القلوب الملتهبة ، بارد القلب ، مطمئن النفس ، واثقا بالنصر » .

« وكان دقيق النظر فى مراقبة حركات أعدائه وسكناتهم ، حتى إذا بدرت منهم هفوة اغتنمها حالا ، وعززها بخدعة حربية ، فيكون النجاح ، ويكون الظفر » .

« ويوم «أحد» هو اليوم الوحيد الذى خانه فيه الحظ ، ومع هذا فقد عرف يومئذ مبلغ ما لمحمد من السلطة على العقول ، وما لعبقريته من المقدرة على استعمال الخدع والمكايد . وكان من

أثر ذلك أن المشركين – مع كونهم غالبين – جبنوا عن الاستفادة من غلبتهم ، وأن صحابة محمد المغلوبين بقوا متمسكين به ، ولم ينفصل واحد منهم عنه » .

هذا الكلام من خطيبنا الشاب الافرنسى حسن ، لكنه مبنى على رأيه فى أن محمدا ﷺ هو نفسه مصدر كل هذه التدابير الحربية . أما نحن – معشر المسلمين – فنعتقد أن الله الذى أرسله هو الذى كان يوحى إليه بها .

على أننا لا ننكر أن له – صلى الله عليه وسلم – مع صحابته أحيانا تدابير شخصية ترجع إلى الاجتهاد وإعمال الرأى وتلمس الخدع الحربية وفقاً لآية :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

سورة الشورى – آية : ٣٨

وعملا بالحديث المأثور « الحرب خدعة »

قال خطيبنا الافرنسى :

– « أخضع محمد اليهود وجمهرة القبائل العربية ، وفتح مكة . وكان يعلل نفسه بالاستيلاء على الملوك المجاورين ، وأن يراهم مؤمنين به . وكان يهيىء الوسائل لهذا الغرض . من ذلك أنه أرسل إليهم رسلا يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا وإلا اتخذ من عنادهم عذراً إلى مهاجمتهم . وكان عميق النظر جداً فى معرفة القلوب البشرية ، فكان عماله وقواده من عظماء الرجال . وكان طموحه إلى المعالى يجعله يحول نظراته إلى « سورية » من وقت إلى آخر ، ويذكرها بشوق وارتياح ، فاتفق للروم يوما أن حملتهم سفالتهم على قتل رسول أرسله محمد إليهم ، وكانوا ومعه فى قلب السلم » .

أقول : وهذا الرسول اسمه « الحارث بن عمير الأزدى » كان – صلى الله عليه وسلم – أرسله إلى أمير « بصرى » فى حوران من بلادنا الشامية ، فقتله الأمير . وبسببه نشبت بين الروم والصحابة حرب « مؤتة » ...

فقال :

– « قطع خالد بن الوليد رمال جزيرة العرب المحرقة حتى بلغ أرض الروم ، ونال هذا القائد الباسل انتصارا عليهم كان من أعجب الانتصارات التى خلدت ذكره فى تواريخ الأجيال . وهكذا كان دم عدة آلاف من الروم كافيا للانتقام من سفالتهم ، ولم يكن طمعا فى غنائمهم . ومن ذلك الحين عزم محمد على انتزاع سورية من يد هرقل . وبعد قليل من الزمن رأيناه يمشى إليها على رأس ثلاثين ألف محارب ، وكان قبل ثمانى سنوات ، فى وقعة بدر ، لم يمكنه أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا ؛ فاجتاز الصحارى والرمال المحرقة كالبرق الخاطف ، وعسكر فى « تبوك » ومن تلال رمالها أشرف على سورية . وقد كفاه عشرون يوما لإخضاع جميع البلاد التى فى طريقه . ولما لم يسلموا وضع عليهم الجزية ، ورجع إلى عاصمته مثقلا بالغنائم ، مجللا بالفخار ثم فى ثالث مرة جهز محمد لفتح « سوريا » جيشا عرمرم يبلغ أربعين ألف مقاتل . غير أن المنية اعترضت سبيله ، وحالت بينه وبين المسير إليها ، فتجلببت المدينة بأثواب الحداد على فقده ، وشملت سكانها كآبة لا توصف ، مما برهن على مقدار ما كان لمحمد من التسلط على العقول » !

الشعر والشعراء
إعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

حقائق وأوهام

لفضيلة الشيخ عبد الغفار الدلاش

قضـــــــاءُ الله ليس له مَـرَدُّ … وما مـن صـــــولةِ الأقـدار بُـدُّ
إذا ما حـان حيـن المـرءِ يمضــــــى … إليـه .. فما لـه لا يســـــتعِـدُّ ؟
وما الآمـــــال إلا ظِـــلُّ وَهْــمٍ … وما للوهـم كالشــــيطان عهـدُ !
فكـم من جاهـــــلٍ قـد ظن يومـاً … بأن بقـــــاءه للدهــــر مَجْـدُ
هـو الرأس المدبــــر للبرايــــا … وكـلٌّ تحـــــت إمرتــــه يُعَـدُّ
مع الأطمـــاع لم يشــبع بشـىء … وعن جشـــع الحمـــاقة لا يُصَـدُّ
وراح كما يــــروح النـــاس يـوماً … فغيَّـــبه الثـرىٰ وطـواه لَحْـدُ
فهـل أهنــــاه أن شـــادوا ضريحـاً … له فى قُبَّـــــةٍ تعـلو وتبـدو ؟
وشَـــيَّعَهُ إلى المثـــوى ألـوف … مزركشــةٌ بها طبــلٌ وجنـــد ؟
وهـل يشـــقى الفقير بلحـد أرض … عليـه غبـــارها يســـفو ويعدو ؟
وما بين اللحـــود هنــاك مَوْلَىٰ … كما فى هـذه الدنيـــا وعَبْـــدُ !
ولكـن للتقـــىِّ هنـــاك شـــأن … ورضـــوانٌ أُعِـدَّ لـه وخـــلد

* * *

وضاق النـاسُ بالأديـان كفـراً | فما للديـن فى الآفـاق وُدُّ
وللإسـلام عندهمـو عـداءٌ | فذلك وحـده الخصـم الأشـد
عداء الغرب للإسـلام ثَأرٌ | قديـمٌ لم يـزل وهو الألَدُّ
تضافـرت الجهـود ليخذلـوه | وكم ثاروا عليـه وكم أعـدُّوا
فمـا نالـوا سـوى الخذلان غُنْمـاً | وبـاءوا بالبـوار وخـاب كَيْـدُ ؟

* * *

لقـد غرسوا بأرض القـدس داءً | كَبُركـان لـه لهـبٌ ووقـد
ضـلال يهـود قد أرزوا إليها | وما زالـت فـلول تسـتجدُ
هُـمُ الداءُ اللعيـن فليـس يُرجَـىٰ | له يومـاً شـفاءٌ أو يُحَـدُ
إذا ما لم يكن حسـمٌ وبترٌ | فليس لمثلهـم عهـدٌ ووعـدُ
وفى (القـرآن) وعـد الله بـاقٍ | ووعـدُ اللهِ إيمـان وَرُشْـدُ
وإن طال المدىٰ سـيكونُ زحفٌ | وجنـد الله فى الآفـاق أُسْـدُ
وفضـل الله ليس لـه حـدود | وليس علي جنـود الله قيْـدُ
فقل للغادرين : لنـا لقـاءٌ | وحد السـيف للأوهـام حَـدُّ

* * *

أمـا كـان العُبُـورُ لهـم دليـلًا | وجنـد الله بالإيمان يحدو ؟
ودوَّى الصوت فى الآفاق رعـدا | يقـول : الله أكبر وَهْـوَ يشـدو
وكـرُّوا فى الوغـى أُسْداً غِضابـا | وإن عدوَّهـم بالذعـر يعـدو
همو الأبطـال ليس لهم مثيـل | فكـلٌّ منهمـو فى البـذل فَرْدُ
بديـن الله قد زحفـوا خِفَافـا | كما تَثِبُ الليـوثُ وقـد أُمِـدُّوا
وديـن الله فى الأخـلادِ باقٍ | وَقُوَّتُـهُ لباطلهـم تَهُـدُّ
حقائـق ليس ينكرهـا حكيم | وأوهـام بلا حصرٍ تُعَـدُّ !!

شوارد وسوانح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم الشاعرة : جليلة رضا

أسعدنى كثيرا الاطلاع على هذا الكتاب النفيس ، الذى حوى بين دَفتيه من صنوف الحكمة وعصارة التجاريب ، الشيء الكثير ، وجاء أشبه بالقطرات ، التى تهطل بين الحين والحين ، من واعية الشاعر صان الدين الباطنة ، بتداع حر ، غير مقيدة بقافية أو وزن ، ومن ثم ، تجيء أكثر عفوية وطواعية ، من الكلام الموزون المقفي ، وتكون أكثر دلالة على نفسية مُبْدِعها ، وهو يرسل نفسه على سجيتها ، ويقتنص من سوانح الفكر فى هَدْأة الوحدة والعزلة ــ ما يشف بجلاء ووضوح ، عن زبدة تجاربه ، وخلاصة أفكاره وتأملاته ، بصدق وعمق ، بعد مصاحبته للزمان ، زهاء خمسة وسبعين عاما ، مضى أكثرها : باحثا ، ومفكرا متأملا ، وشاعرا مُحلقا مترنِّما .

ففى مثل هذه « الشوارد والسوانح » نستطيع أن نستشف العالم الباطنى للشاعر ، والركيزة التى ينطلق منها إلى إبداع شعره ، وتجسيد خواطره ، حينما تطالعنا بها فى ثيابها اللفظية المنغومة ، فى غير ما تصنع أو استكراه .

والأستاذ صان الدين لديه دائما ما يقوله ، بل ما لا يستطيع إلا أن يقوله ، لإفراغ شحنته ، وقول كلمته ، حينما لمس موهبة الكتابة ، متوهجة لديه ــ شعرا ونثرا ــ .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الشواهد وسوانح ، هى روافد استقى منها خواطره المنظومة فى قصيدته الفريدة الطويلة . التى لا نظير لها فى رأيى فى القديم أو الحديث ــ والتى جعلها مادة ديوانه الذى يحمل عنوانه : « الإنسان فى الميزان » ، فى زهاء ألف وخمسمائة بيت من الشعر الرصين ، الذى تحدثت عنه ــ أقصد عن هذا الديوان ــ بعدد سابق من مجلة الأزهر ، وأحسب أن هذا الديوان لم يحْظ بعد بمن يكشف عن كنوزه وروائعه ..

● ● ●

والإنسان يُحار إذا ما حاول أن يعقد موازنة بين « شوارد وسوانح » و « الإنسان فى الميزان » ، لأن نثر صان الدين لا يقل روعة عن نظمه تماما كما كان شأن « شوقى » فى كتابه النثرى الرائع « أسواق الذهب » ، ودواوين شوقى الشعرية ــ وإن كان شوقى قد نحا فى « أسواق الذهب » مَنْحى الزمخشرى

فى مؤلفه : « آطواق الذهب » والأصفهانى فى كتابه : « أطباق الذهب » ، ولذلك سمى هذا الكتاب بما يشابه ، اسميهما ، كما يقول الأستاذ الراحل طاهر الطناحى « شوقى وحافظ » ص ٦٧ .

وصدق الأستاذ الدكتور عبدالمنعم خفاجى فى تقديمه لكتاب : « شوارد وسوانح » ووصفه لمؤلفه صان الدين ، بأنه « يتراءى لنا فى صورة الحكيم الحائر ، والفيلسوف الساخر ، والشاعر المالك لزمام الكلمة ، والمتذوق لسحرها وبلاغتها وموسيقاها » .

وقد برىء « شوارد وسوانح » من الألفاظ القاموسية العتيقة ، التى طالما عمد إليها الشاعر صان الدين أحيانا ، فى بعض أبيات قصائده ، لأنه ـ فيما نرى ـ لا يجد سواها أكثر قدرة ودلالة على التعبير عما سيطرأ فى خياله أو يعتمل فى وجدانه من الأحاسيس والمشاعر .. أو ربما صَدَرَ فى ذلك عن رغبته فى إحياء بعض الألفاظ القديمة البليغة فى العربية ، لإثرائها وتدعيمها ، وتجديدها ، كما كان « المازنى » رحمه الله يعمد إلى ذلك ، أحيانا فى بعض كتاباته ، رغم إيثاره لِلسلاسة والدقة والوضوح .

● ● ●

ومهما يكن من أمر ، فإن لغة صان الدين فى « شوارد وسوانح » أقرب إلى الإيجاز البليغ ، ونصاعة العبارة ، والمساواة بين المعانى فى أرْدِيتها اللفظية المناسبة ، بما يعين على استيعابها واستظهارها لتجرى مجرى المثل ، خاصة وأن كثيرا منها كان يستمل فى حِكَمِه على سطر أو سطرين .

● ● ●

وقد كان الرافعى ـ رحمه الله ـ يعمد إلى اقتناص بعض شوارده الذهنية التى لا تتعلق بموضوع واحد ، فيسلكها فى مقال برأسه ، تحت عنوان « كلمة وكليمة » ، فتجىء أقرب أو أشبه بمقالات فى عبارات محددة ، واشتهر الكثير منها لقوله فى بعضها : (اسكت عن السفيه ، فإن ذلك إلا تجعله كريما مثلك ، لا يَجْعَلك سفيها مثله) .

وقوله : « ليس لمصباح الطريق أن يقول إن الطريق مُظلم ، وإنما قوله ـ إذا أراد كلاما : « هأنذا مضىء » .... الخ .

وقول صان الدين فى باب اللواذع ص (٦٤) :

لا يُحســـــــد إلا ذو مال وذو موهبـــــــة

لذا فإنى فى مأمـــــــن من الحســـــــد !!

ونحن نقول له فى ختام مقالنا هذا :

« بل أنت ذو موهبة حقيقية متوهجة وعميقة المدى فى الشعر والفكر ، والأدب والحياة » ..

ونحن نَغْبطك ـ ولا نحسدك على ذلك ـ .

وبالله التوفيق ...

أرحنا بها

للشاعر: رشاد محمد يوسف

بلال على كل المآذن كَبَّـــرا ... وألقى على الأسماع لحنا مُنَـورا
ونادى فهب الكون من غفوة الكرى ... يعانـق صبحـا بالهدايـة أسفـرا
أرحنا بها . قال النبى — ولم يزل ... صدى صوته العلوى نورا وجوهرا
أرحنا بنور الوصل فى ساحة الرضا ... وردد نداء الله فى مسمع الـورى
أرحنا بها على القلوب وقد مضى ... عليها زمـان تدرك الآن ما جرى
أرحنا بها .. أيقظ من التيه أمـة ... تطاول فيها الوهم والليل والكرى
فمن أركبوا التاريخ خلف ظهورهم ... ومن بددوا الشملين : كسرى وقيصرا
ومن نضروا الأيام علما وحكمة ... ومن حاربوا الطغيان حتى تكسرا
ومن أثبتوا فى الأرض عدلا ورحمة ... ومن ألبسوا الأيام ثوبا مطهـرا
ومن أخرجوا للناس أكرم أمـة ... فكانت بحق خير من وطىء الثرى
ومن طوفوا بالنور والعلم والهدى ... يشقون ليل الجهـل حتـى تحررا
ومن خلدوا الأمجاد موصولة الخطا ... تتيـه على الدنيـا كتابـا ومـنبرا

تراهم حيارى ضيع الخلف ريحهم ... خطاهم على الدرب الطويل تعثرا
وجـفت ينابيـع المحبـة بينهم ... وأضحى صفاء النبع وردا معكرا
وعاشوا على سفح الحيـاة أذلـة ... وكانوا حداة الركب يحيون فى الذرا
كأن هموم الدهر حطت بأرضهـم ... وخيم فيها البطش والظلم أدهـرا
يهوذا وشذاذ الحيـاة تآمـروا ... على الأرض والإنسان حتى تقهقرا

فأذن بلال الخير بالنـور والهدى ... وصب على الأسماع مسكا وعنبرا
وأذن لتهدى الحائريـن لدربهم ... وتجمع شملا فى الـدروب تبـعثرا
وقـل لعبـاد الله : إن صلاتهم ... هى الوحدة العصماء موثوقة العرى
وقـل لعبـاد الله إن فلاحهـم ... عطاء لمن لبـى وصلَّـى وكَبَّـرا
هلموا ، أعدوا ما استطعتم وشمروا ... ولا ترهبوا الأحداث نابا وأظفرا
فمازالت الأصنام تعبـد جهـرة ... يطوف بها من خان أو ضل وافترى
وليس سوى الإسلام ريًّا لظامىء ... وظلا لمقهـور وشَهْـداً وكوثـرا
وليس سوى القرآن زادًا ومسلكا ... يُبَـدِّلُ فينـا الـعسر عيشا ميسرا
أصيخـوا نداء الله يا خير أمـة ... وكونـوا لدين الله حزبا وعسكرا
تطـيب بأنـوار الإلـه حياتكـم ... ويغدو الثرى فينان والعيش أخضرا

العلوم الكونية

التشريعات الإسلامية لحماية البيئة

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

تحدثنا فى مقالين سابقين[1] عن أوجه القصور فى التعريف الشائع لمفهوم «البيئة» ومشكلاتها المتفاقمة فى الفكر والواقع على حدّ سواء، واستحسنّا أن يكون الكون بأسره، أو عالم الشهادة هو المفهوم الأصوب والأشمل لبيئة الإنسان الكبرى حتى يمكن وضع تصوّر عام يتضح فيه الربط بين البيئة ومشكلاتها من جهة وبين العقيدة وتشريعاتها من جهة أخرى وعندئذ يتحدد الهدف المطلوب لتصويب النظر إلى الموقع الذى ينبغى أن تتخذه البيئة ومشكلاتها فى أرجاء الدراسات الإسلامية المتعلقة بقضايا الوجود الكبرى، وذلك من خلال التناول الموضوعى لعدة جوانب نعتبرها ضرورية للمنطلق العقدى فى فهم العلاقة بين الإنسان والبيئة وهذه الجوانب هى: التوحيد الخالص والتوازن البيئى (الكونى) والعلاقة بين الإنسان والبيئة والتوافق بين الفكر والواقع.

وفى هذا المقال سنحاول ــ إن شاء الله ــ أن نلقى الضوء على دور التشريعات الإسلامية فى رعاية البيئة وحمايتها من أخطار التلوث.

حدود التشريعات البيئية فى المنهج الإسلامى

لقد سبق الدين الإسلامى الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين

(*) أستاذ الفيزياء ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة.

(١) راجع عددىْ: جمادى الآخرة ورجب السابقين من مجلة الأزهر.

أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التى يعيش فيها .

أما المبدأ الأول فهو : « درء المفاسد » حتى لا تقع بالبلاد والعباد وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة ، حيث لا ضرر بالنفس ، ولا ضرار بالغير .

وأما المبدأ الثانى فهو : « جلب المصالح » وبذل كل الجهود التى من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية ابتغاء مرضاة الله ورحمته فى الدنيا والآخرة .

وأهم ما يميز المنهج الإسلامى فى الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال فى كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب فى منظومة التوازن البيئى المحكم الذى وهبه الله — سبحانه وتعالى — للحياة والأحياء فى هذا الكون ، ولقد أقام الإسلام بناءه كله على الوسطية والتوازن والاعتدال والقصد وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ (٢) .

كما نهى عن الإسراف فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم فقال تعالى :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٣) .

وقال عز من قائل :

﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٤) .

بل إن الإسلام دعا إلى الاعتدال حتى فى الإنفاق فقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (٥)

وفى السنة النبوية المطهرة أيضا ينهى رسول الله ﷺ عن الإسراف فى استعمال حتى ولو كان من أجل الوضوء .

فقد روى عن عبدالله بن عمر أن رسول الله — ﷺ — مرّ بسعد وهو يتوضأ فقال : « **ما هذا الاسراف ؟** » **فقال : أفى الوضوء إسراف ؟ قال : « نعم وإن كنت على نهر جار** » (٦)

فالوسطية الرشيدة إذَنْ هى مسلك المسلمين ودعوة الإسلام لأتباعه فى كل الأحوال وعموم الأوقات .. ومن ثم فإنها خير ضمان لحماية التوازن البيئى سنَّهُ الخالق جل وعلا لاحتضان الحياة واستمرارها على كوكب الأرض .

ولقد أجمعت الدراسات التى أجريت حول مشكلات التلوث البيئى على وجود علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان فى تعامله مع مكوّنات البيئة المختلفة وبين التلوث البيئى بجميع أشكاله ، كما أن الاسراف يفضى إلى مشكلات بيئية أخرى لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده ، بل يمتد ليشمل باقى الأحياء التى تشاركه الحياة على كوكب الأرض ، وإن ما تعانيه البيئة اليوم من تدهور شمل ثرواتها الطبيعية التى أوشك بعضها على النفاد ، وغاباتها الشاسعة التى أزيل منها الكثير بالإضافة إلى بعض أنواع الطيور والحيوانات والكائنات البحرية التى انقرضت أو فى طريقها إلى الإنقراض ليس إلا نتيجة طبيعية لتدخل الإنسان الزائد عن الحدّ بما

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

(٣) سورة الأعراف : ٣١

(٤) سورة الأنعام : ١٤١

(٥) سورة الفرقان : ٦٧

(٦) سنن ابن ماجه/٤٢٥

يفسد على البيئة نظامها المحكم الدقيق ولا شك أن خير وسيلة لإنقاذ البشرية أو البيئة من آثار الإسراف واستنـــزاف الموارد الطبيعيـــة دون جدوى، أو دون اكتراث بالأخطار، إنما يكون بالعودة إلى منهج الدين الإسلامى فى الوسطية والاعتدال حيث : «لا ضرر ولا ضرار»(٧)

على أن الدعوة إلى الوسطية والاعتدال لا تعنى بطبيعة الحال أن يقف الإنسان مكتوف الأيدى إزاء النظم البيئية المحيطة به أو أن يعطل أداء واجب التعمير الذى تقتضيه أمانة الاستخلاف فى الأرض، ولكنه يعنى أن يتعامل الإنسان مع هذه النظم البيئية بما يمكنه من تطوير حياته دون إسراف فى استخدام الموارد الطبيعية أَوْ جوْر على حقوق الآخرين.

النظافة من الإيمان :

هناك العديد من التعاليم الإسلامية التى تحث على حماية البيئة والاهتمام بالنظافة العامة فالإسلام بكماله وشموله لم يدع شيئا فيه سعادة البشرية ورقيّها إلا ووضع له الضوابط الدقيقة والمعايير الواضحة ، ولقد اقترنت النظافة والطهارة فى الإسلام بالإيمان واعتبر التلوث نجاسة كريهة يجب على المسلمين إن يتطهروا منها لأن «الطهور شطر الإيمان» والقرآن الكريم ..

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾(٨)

والله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٩)

والماء الذى جعله الله أصل الحياة ووسيلة التطهر يصفه القرآن الكريم بقوله :

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾(١٠) .

وقد ورد لفظ «طهر» ومشتقاته فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة لإيجاب طهارة النفس المؤمنة والبيئة الإنسانية فى الظاهر والباطن.

كما جاء فى الحديث الشريف : «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل**»(١١) ولقد أطلق الحديث النبوى على هذه السلوكيات «ملاعن» لأنها تسبب لعن الناس لمن يفعلها. كذلك نهى الرسول ﷺ عن البول فى الماء، فقال : «**لا يبولنّ أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه**»(١٢)

وروى ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن النبى ﷺ : «**نهى أن يتنفس فى الإناء وأن ينفخ**

---

(٧) لمزيد من التفصيل راجع :

ــ د. أحمد فؤاد باشا، الفلسفة الإسلامية ومشكلات البيئة، دراسة ضمن أعمال المؤتمر الدولى الأول للفلسفة اسلامية عن «الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة» ٢٠ ــ ٢٢ ابريل ١٩٩٦م كلية دار العلوم جامعة القاهرة

ــ د. على على السكرى «البيئة من منظور إسلامى»، «منشأة المعارف الاسكندرية» ١٩٩٥م

ــ د. عبدالله هلال «التأصيل الإسلامى للتشريعات البيئية». مجلة منبر الشرق عدد (٦) ١٩٩٣م

ــ خالد محمود عبداللطيف، البيئة والتلوث من منظور الإسلام، بحث فى حماية البيئة من التلوث المادى والمعنوى، دار الصحوة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

ــ د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى «البيئة فى الفكر الانسانى والواقع الإيمانى» الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤م

(٨) سورة الواقعة : ٧٩

(٩) سورة البقرة : ٢٢٢

(١٠) سورة الفرقان : ٤٨

(١١) رواه أبوداود وأحمد ومسلم

(١٢) رواه مسلم

فيه »[١٣] وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة وتساعد على انتشارها والنهى عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التى تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات.

حماية البيئة وإصحاحها:

فى مجال العناية بالبيئة وعناصرها نجد الإسلام ينهى عن تبوير الأرض وتركها بغير زراعة ويدعو إلى الاهتمام بالزراعة وبيان الغاية منها بالنفع للإنسان والحيوان ، فقد جاء فى الحديث الشريف « **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة** »[١٤] واعتبر الرسول ﷺ غرس الأشجار وتطهير الأنهار وحفر الآبار وغيرها من الأعمال النافعة ، صدقة جارية فقال: « **سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته : من علم علما أو كرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس شجرة ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته** »[١٥] وقال أيضا : « **من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا فى غير ظلم أو اعتداء كان له أجرا جاريا ما انتفع به من خلق الرحمن ــ تبارك وتعالى ــ** »[١٦] **وقال** أيضا : « **ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه صدقة وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة**[١٧]

كذلك أمر الإسلام بالرحمة والإشفاق على الحيوانات باعتبارها أحد العناصر الحية فى البيئة وقد رويت أحاديث عديدة فى هذا الأمر ، منها قوله ــ ﷺ ــ : « **عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض** »[١٨]

بل إن الإسلام ينهى عن الإفساد فى البيئة حتى فى أوقات المعارك والجهاد ضد الأعداء فيقول الرسول ﷺ آمرا جنده : « **لا تقتلوا امرأة ولا وليدا ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا** »[١٩]

حتى بالنسبة لتلوث الضوضاء الذى أحست به البشرية حديثا نجد أن الاسلام قد سبق إلى النهى عن الضجيج بأسلوب بليغ يرزل رفع الصوت ويقبحه فى صورة منفرة محتقرة ، وذلك فى قوله ــ تعالى ــ على لسان لقمان وهو يعظ ابنه:

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[٢٠]

وللحديث بقية إن شاء الله

---

(١٣) سنن الترمذى ــ الجزء الثانى ص ٤٥
(١٤) رواه البخارى
(١٥) الترغيب والترهيب الجزء الخامس
(١٦) الترغيب والترهيب الجزء الخامس
(١٧) الترغيب والترهيب الجزء الخامس
(١٨) رواه مسلم
(١٩) رواه أحمد
(٢٠) سورة لقمان : ١٩

مناهج النفس بين العقيدة وعلماء النفس

للأستاذ الدكتور
محمد يوسف خليل

مناهج النفس هى التى تبحث عن الهيكل العام للشخصية على أساس من دوافعها وميولها وغرائزها ونزوعها حسب مراتب العقل والنفس ، وهذا ما تختص به النظريات النفسية عموماً ، وصولا إلى صحة النفس بمفهومها المتكامل الذى يجمع بين صحة الجسم والنفس وصحة المجتمع والصحة الروحية .

هذا وتتميز مناهج العقيدة بأنها ليست نظريات أو افتراضات تعتمد على البحث والدراسة والتجربة ، لأنها الأصل الثابت الذى ينبع منه كل صحيح أصيل لا يتغير من علوم البشر .

ولقد قرر علم النفس أن صحة النفس ترتكز على دعامتين ثابتتين راسختين هما : الحب والاطمئنان ، وهذا أعمق وأصدق ما وصلت إليه الصحة النفسية الموضوعة عندما أرادت أن تختار أساسها ، لأن المحبة والاطمئنان هما أساس العقيدة ذاتها ، فالعقيدة الصادقة تبدأ أساسا بمحبة الله ورسوله محبة صادقة خالصة لقول رسول الله ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »

رواه البخارى .

هذا الحب : أساس الصحة النفسية ودعامتها الأولى .

أما الدعامة الثانية فهى « الاطمئنان » .

والاطمئنان - بالنسبة للعقيدة - هو أن تستقر فى القلب والوجدان ، استقرارا راسخا .. إيمانا بالله سبحانه وتعالى وتصديقا برسالاته ومايصاحب هذا الاعتقاد الإيمانى من سلوك ، فمعنى هذا أن العقيدة إيمان قلبى يصحبها سلوك عملى لقول الحق - سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة - ٢٨٥]

وعلى هذا فإن المؤمن بعقيدته هو الذى يسير بسلوكياته وفق منهج العقيدة لايميل عنها ولا يحيد ، لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام

والدين فى أصوله وتفرعاته كل لايتجزأ ، فهو عقيدة وشريعة وأحكام وحدود وقيود وأوامر ونواه ، وترغيب وترهيب وثواب وعقاب ، وهو - أى الدين - سلوكيات وأخلاقيات ومعاملات ، فهو كل لا يتجزأ لقوله - سبحانه : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر - ١١]

ثم تأتى السنة المطهرة فتفسر وتوضح حتى لا يختلط الأمر ولا يلتبس حق وباطل ، وفى هذا يقول الرسول الكريم ﷺ فى حديث صحيح :

« الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات فقد وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه » رواه البخارى ومسلم.

وهكذا نجد أن التشريع بما فيه من كتاب وسنة يحقق هذه الغاية .. غاية الوصول إلى السلوك الإيمانى الصحيح ، والكتاب والسنة يتلازمان لقوله - سبحانه :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر - ٧]

وماجاء به رسول الله ﷺ من شعب الإيمان ، لا يترك من السلوك البشرى شيئا إلا انتهى به إلى الإيمان نفسه ، لقوله ﷺ فى حديث صحيح :

« الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان » رواه البخارى.

ويصبح حظ النفس منه فى منهج العقيدة يكمن فى كل ما تنتهى إليه معالم السلوك البشرى ، بما جاء فى الكتاب الكريم ، وبما احتوته السنة النبوية من تشريع .

يقول ربنا - سبحانه - مؤكدا على كمال منهج العقيدة من سورة المائدة :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة - ٣]

و(الكمال) عندما ينتهى إلى (السلوك) فهو يحيط بكل أبعاده بما في ذلك من عبادات وطاعات واجتماعيات وأخلاقيات ومعاملات ، وبما فيه من : بيع وشراء وسياسة واقتصاد ، ويتسع لكل أحوال البشر فى السلم والحرب والصحة والمرض ، وعند الموت وبعد الموت .

هذا الاهتمام الواضح بـ(السلوك البشرى) فى (منهج العقيدة) هو ما جعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يسأل الرجل الذى جاء يشهد لصاحبه : هل تعرف صاحبك ؟ قال الرجل : نعم ، ياأمير المؤمنين ! قال له عمر : لعلك رأيته قائما أو ساجدا فى المسجد ؟ قال : نعم ! قال عمر : هل صحبته فى سفر حتى تعرف كيف يسلك ويتعامل ؟ قال الرجل : لا ، فقال عمر : إنك لاتعرف صاحبك !!

بهذه المواصفات ، وبهذا النمط من تقصى السلوك البشرى فى ضوء الحقائق الإيمانية ، يصل السلوك إلى مرتبة العبادة ، ولهذا يتميز السلوك الإيمانى بسلامة قصده ، وسمو أهدافه ، ونبل مقاصده ، فليس للمظهر عند الله أى شأن ، بل إن التظاهر بالسلوك يبعده عن مقاصده الإيمانية ، ويبعد صاحبه بذلك عن منهج العقيدة ، فالرياء والمفاخرة والمباهاة والسمعة والمظهر الكاذب ، كل ذلك يعتبره المنهج الإسلامى من الرذائل والآثام ، التظاهر بالسلوك - بهذا النمط - من أشد الآفات النفسية التى تنفر منها العقيدة ، وهى بمفاهيم الربوبية إثم وخطيئة فى الدنيا ، وحسرة وندامة يوم القيامة ، ولهذا فإن العمل الخالص والسلوك الإيمانى الصادق لايتحقق إلا فى نبل غاياته ، وطهارة جوهره وصدق نية صاحبه لقول رسول الله ﷺ :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » [صحيح البخارى]

فإذا تَطَبَّعَ المؤمن مع تشريع خالقه ، فقد أمسك بزمام منهج النفس فى العقيدة ، لأن قوانين النفس فى منهج العقيدة ليست فقرات محددة أو بنودا واضحة ومعنونة ، إنها كلمات ربى نزل بها جبريل - عليه السلام - على قلب رسوله الكريم ﷺ ، فهى فى مضمون سور القرآن كله ، لايفصح عنها إلا الفهم المتعمق ، والتدبر الواعى ، لقوله - سبحانه :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

[محمد - ٢٤]

وهى كذلك فى أحاديث رسولنا الكريم ﷺ تلقى بظلالها النفسية فى صراحة ووضوح ، لقول الرسول ﷺ :

« **دع مايريبك إلى مالايريبك** »

رواه الترمذى

ولقوله ﷺ « **البر حُسْنُ الخُلق** » وفى رواية : ما اطمأنت إليه النفس ، « **والإثم ماحاك فى الصدر ، وتردد فى النفس ، وكرهت أن يطّلع عليه الناس** » . رواه مسلم.

وهذه مجرد نماذج من الأحاديث التى تلقى بظلالها النفسية بفيض وثراء ، ثم نأتى بعد ذلك

إلى أقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن تبعهم بإحسان ، هؤلاء علموا عن النفس بما علمهم الله – سبحانه ، وما علموه من رسوله الكريم ﷺ ، فقد جاء على ألسنتهم من مأثور القول ما يجرى مجرى الأحاديث بين الناس ، وما يحمل فى طياته الكثير من المعانى النفسية الواضحة ، ومع أنها جاءت فى مضمون أحاديثهم العامة ، إلا أن ظلالها النفسية عميقة المعنى واضحة الدلالة . ولقد اشتهر من هؤلاء الفقيه المحدث الإمام الحسن البصرى – رضى الله عنه – وما اشتهر من أقواله مما يتداوله الناس ويسير مجرى الحديث النبوى ، يقول الإمام :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

ويقول – رضى الله عنه :

« وإن قوما غرتهم أمانى المغفرة ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا .. لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

ظلال نفسية واضحة ، وأصول نفسية مؤكدة ، فالمحبة أساس الصحة النفسية ، والسلوك والعمل أساس الإيمان .

فإذا ما انتهينا إلى ما اشتهر من أقواله التى يصف فيها ما يختفى فى أعماق النفس البشرية .. كقوله :

« إن أهل الدنيا وإن دقدقت بهم الهماليج ووطىء الناس أعقابهم ، لا يزالون يجدون ذل المعصية فى نفوسهم »

فهؤلاء الذين سار الناس فى ركابهم والتفوا حولهم ، مهما كانت مظاهر عظمتهم ، يحملون فى داخلهم أدران نفوسهم بما فيها من ذل المعاصى التى اقترفوها ، فربما سرقوا أو نهبوا أو ارتشوا وضلوا وأضلوا وكذبوا ونافقوا وتسلقوا أكتاف العباد حتى وصلوا إلى ما هم عليه ، والناس لا يعلمون عما بداخلهم ويتعاملون معهم بظاهر عظمتهم وأبهة سلطانهم .

هؤلاء الصنف من البشر ، مهما ارتفع شأنهم وعلت مكانتهم فذل المعصية يتصارع فى نفوسهم بما فعلوه وما اقترفوه ، فهم لا يغفرون لأنفسهم انحطاط وسيلتهم ، ودناءة غايتهم مهما كانوا فيه من سلطان ومكانة ورغد وعظمة ومهابة ، وتظل مهانة نفوسهم تلاحقهم أينما كانوا وأينما ذهبوا .

أما الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فقد وصف النفس بأنها تحمل فى داخلها كل صفات الحيوان بما فيها من غرابة السلوك فهو يقول :

« إن النفس يجتمع فيها من صفات الحيوان الكثير : ففيها حرص الغراب ، وشره الكلب ، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجعل ، وعقوق الضب ، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة ، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، وخفة الفراشة ، ونوم الضبع ، وفيها من كبر إبليس ، وحسد قابيل ، وعتو عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة النمرود ، واستطالة فرعون ، وبغى قارون ، وقحة هامان ، وهوى بلعام ، وحيل أصحاب السبت ، وتمرد الوليد ، وجهل أبى جهل » .

وذلك يعطى بيانا بفضل التقاة الذين يصارعون شهوات النفس ، ويقاومون طغيان شرورها ، ومن هنا – وإزاء هذا الصراع فإن الذين يخلصون جهادهم فيه يأتى فضل الله – تعالى – ليغمرهم برحمته ويجزيهم أحسن الجزاء .

الإعلام فى القرآن الكريم

النبأ فى القرآن الكريم

للأستاذ/ عبد السلام إبراهيم ناصف

النبأ لغة : هو الخبر أو الإعلام ؛ يقال أنبأت زيداً أى أخبرته أو أعلمته وجمعه أنباء ؛ ويقول رب العزة : ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الحجر ـ الآية ٤٩ أى أخبرهم وأعلمهم .

وفى « علم الإعلام » : أنه لا يتأتى النبأ بدون وسيلة اتصال ـ أيا كان نوعها ـ ولا بدون هدف أو فائدة .

والنبأ فى القرآن الكريم : حق ، صادق ، صحيح ، صادر منه ـ سبحانه وتعالى ـ الذى يقول ـ عن نفسه للبشر : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ الأعراف ـ الآية : ٧ . بغية هدايتهم وتبصيرهم بما يحقق لهم الخير والسعادة ، حتى ولو لم يلمسه قاصروا العقل والمتعجلون قليلو الصبر .

وهو ـ أى القرآن الكريم ـ وحى يوحى به ومن ثم فهو حق يقينى لصدقه وصحته وسلامته ولم يترك القرآن الكريم ميدانا واحداً من ميادين الحياة الدنيا والآخرة إلا وتعرض له ووضع له أحكاماً ومناهج لتنظيم حياة البشر وإبعاد البلبلة والشك فيما يغم عليهم ، أليس هو القائل ـ سبحانه ـ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾.
سورة الأنعام / ٣٨

أى أنه ما ترك من شىء فيه صلاح الناس وإصلاحهم بالحق إلا أنزله إليهم فى قرآنه ليستفيد منه ذوو العقول الراشدة الواعية .

والنبأ ـ فى علم الإعلام ـ يختلف عن الدعاية التى تهدف إلى تخدير الرأى العام وإيهامه بصحة ما تهدف إليه ، وهى لذلك تستخدم كل وسائل التأثير سواء كانت صادقة صحيحة أو ملفقة مشوشة بهدف تغيير اتجاهات البشر لصالح مبدأ أو

رأى أو اتجاه تتبناه دون الاهتمام بالوسيلة التى تؤدى إلى هذه الغاية ، وعلماء النفس الاجتماعى أمثال (وولتر ليبمان) يرون أن (الدعاية) تستخدم وسائل للتأثير على الأفراد والسيطرة على أفكارهم وسلوكهم لغرض مّا قد تلجأ فيه إلى الكذب والتضليل وتلوين الأخبار وإخفاء مسارها لتحقيق انقياد الأفراد خلف أهدافها ، ولقد عاش مبدأ «جوبلز» : جذر الكذب منذ استخدمه فى الدعاية النازية إلى يومنا هذا ، وهذا لاشك يتعارض تماما مع تعريف النبأ الذى يقوم على الحق والصدق وإبراز الحقيقة التى تخاطب وجدان الناس التى فطرها الله على المحجة البيضاء . فالنبأ فى القرآن الكريم كما ورد ليس إلا قول الحق يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة / ٨٣

وفى موضع آخر يقول ـ سبحانه :
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ . الأنعام / ١٥٢

وهو ـ سبحانه ـ بهذا يأمر بقول الصدق فى كل ما تخبر به أو تنقله أو تنشره ، كما أمر ـ سبحانه وتعالى ـ بدقة تمحيص مضمون أى خبر والتثبت من صدقه قبل التسليم به ، أو تداوله ؛ فليس كل مخبر خبراً صادقا فيه ؛ قد يكون كذلك ، وقد يكون واهماً أو مغرضاً ، أو كاذباً ، أو مُعَدًّا لترويجه ، لذا وجب التثبت قال ـ تعالى ، وهو أصدق القائلين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ سورة الحجرات

وقبل أن نستطرد نحاول أن نحدد أركان النبأ وركائزه التى يرتكز عليها من وجهة النظر الحديثة فى علم النفس الاجتماعى فأى نبأ لابد له من مرسل كما أن له مستقبل ، وله فحوى ووسيلة وظرف عام يساعد على نشره فالمرسل : هو من يقوم بعملية الاتصال ونقل الخبر أو المعلومة أو الرأى أو النبأ لذا حدد المختصُّون أن يكون المرسل متمتعاً بأعلى مستوى من المهارات والإمكانيات والقدرات بحيث تؤهله للمكانة التأثيرية فيمن هم دونه لتصديقه والإيمان بما يذيعه أو ينشره ، ولكى يتحقق هدفه وجب أن تتوفر فيه صفات الجدية والصدق وقول الحق والالتزام به ، وأن يكون ذا حس إدراكى وذكاء فطرى وخبرة عملية وتجارب علمية ، ملماً بمجموعة المعارف التى تؤهله إلى هذه الوظيفة الهامة كالداعية والإعلامى والوظائف القيادية ، وعليه أن يهتم بدراسة البيئة التى يخاطبها من حيث مستوى معيشة أفرادها ومستوى ثقافتهم وأسلوب ونظم الحكم ومدى تقبلهم لسلطاتهم التشريعية والتنفيذية ـ على أن يكون مزوداً بمهارات فى كل مجالات الحياة العامة سواء كانت لفظية أو فنية أو حسابية ليتمكن من اختيار أمثلها فى كل مجال للاستعانة بها واستخدامها فى عملية التأثير .

أما عن النبأ فى القرآن الكريم فقد كفانا ـ تماماً ـ أنه من عند رب العالمين ـ سبحانه ـ فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ ... وإنما قوله الحق وهو يحق الحق بكلماته فهو القائل : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ فالله هو الحق والحق أحد أسمائه ـ جل وعلا ـ : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢ ﴾ سورة يونس

كما قال فى سورة الزمر ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾

ولنا فى الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الأسوة الحسنة فكل ما قاله كان صدقا والله ـ سبحانه ـ قد هيأه ـ لهذه الرسالة الحقة وقد عرف بين قومه بالصادق الأمين ـ

وعلى الدعاة ورجال الإعلام والقادة والرؤساء والمرشدين أن يتوسموا خطاه ويسيروا على نهجه فلقد قال عنه ربه ـ سبحانه عن إبلاغه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . ومن ثم وجب عليهم جميعا أن يلجئوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليتزودوا بطيب الكلم وسمو الأدب ، ورعة البلاغة وبالقدرات ، والإمكانيات والمهارات التى ينشدها علماء النفس الاجتماعى حيث نجد تجارب الأولين والآخرين وقصص السابقين وسيرهم وما ترتاح إليه النفوس وتقربة الأعين .

فإذا ما ارتوى كل منهم من معينهما فلسوف يوفقهم الله رب العالمين ـ إلى ما يبغون نشره ولسوف يهئ لهم البشر الذى يثق فيهم ويتقبل تعاليمهم .

وليس من شك فى أن المُرسل إذا تمتع بتلك الصفات الربانية ؛ فإن المتلقى سوف يستقبل أعماله بترحاب وإيمان شديدين ، ذلك أن المتلقى حساس وعنده صدق التقييم ، وصدق الحكم ، فإن ظن المرسل ـ أو فهم ـ أنه يستطيع أن يقول ما يريد ، ويسره ما حوله من أضواء ؛ فما أبسط وأسرع ما يدير المتلقى المؤشر الذى يفصله عنه إلى مُرْسل آخر يطمئن إليه ، لاسيما عندما يشعر أن هذا الأخير يحترم إنسانيته .

إن الوسيلة المثلى فى نشر الخبر أو المعلومة أو النبأ أو الاتجاه والأفكار ـ تتوقف على طبيعة ما يرجى نشره أو بثه فلكل مقام مقال ولكل فكرة وسيلة توصيل فمن الاتصال ما هو مباشر تجدى فيه علاقة الوجه للوجه ، وأسلوب التجاور والمناقشة ومنها ما يصح فيه أسلوب الندوة ؛ ومنها ما هو مكتوب أو مسموع أو مرئى .

وكلما كان الهدف واضحاً جلياً ظاهراً صادراً فى إطار من قوميتنا معبراً يخاطب الفطرة كلما كان تقبله أسهل وأيسر وكلما كان أثره واضحاً ومتقبلا .

ويبقى أن يكون الظرف العام ـ أو ما يحلو لعلمائنا المحدثين أن يطلقوا عليه (الجو العام) ـ مهيئاً لاستقبال النبأ كان انتشاره أوسع وتأثيرة أوقع ـ وما من شك أن المبادىء التى تعتنق الحق وتهدف إلى خير الناس ورفع مستوى معيشتهم تتسلل إلى نفوس الناس بلا عناء حيث يميل الإنسان عادة إلى الحق مهما خالفه شيطانه وأغوته غرائزه ، فهو يضيق بالكذب ويثور على الظلم ولو بينه وبين نفسه ؛ وإذا ما ارتكب خطأ ندم ورغب فى التوبة ـ وإن عاد .

ومن اتبع طريق الحق وفقه الله وسدد خطاه وهدى على يديه الكثير والكثير والشباب اليوم فى أمس الحاجة إلى من يهديه ويأخذ بيده ويرشده إلى الطريق المستقيم وينقذه من حبائل الأفكار الهدامة ، وبخاصة بعدما انشغل والداه عنه بالعمل أو بالاغتراب والبعد عنه بحجة تحسين مستوى معيشته وما أغناه بحبهما واحتضانهما له عن أموال الدنيا كلها .

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

الضعف الجنسي

٨

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

يبدأ هذا المقال بوصف تشريحى للذكر، يتلوه وصف تحليلى لكيفية الانتشار وأخيرا بعض المشاكل المتعلقة به، وبعض من طرق علاجها.

الوصف التشريحى للذكر :

يتكون من ثلاثة أنابيب أسطوانية تتحد سويا بواسطة غشاء سميك ويتكون جسم هذه الأنابيب من نسيج إسفنجى. فأما الجسم الإسطوانى الأول ويعرف بالجسم الإسفنجى فإنه يجرى أسفل العضو الذكرى فى المنطقة التى توجه الخصيتين فى حالة الارتخاء، ومن خلال هذه الاسطوانة تمر أنبوبة مجرى البول حاملة البول والسائل المنوى عبر فتحة فى رأس القضيب تعرف «بالصماخ المبالى».

أما الاسطوانتان الأخريتان فتعرفان باسم الجسمين الكهفيين وتقعان جنبا إلى جنب فوق الجسم الإسفنجى الأول وتنتهى الاسطوانات جميعا داخل الجسم حيث تلتحم بعظام الحوض بواسطة أنسجة ضامة.

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الاسطوانات غنية بالأوعية الدموية التى تمتلىء فى حالة الاستثارة مما يسبب تمدد النسيج الأسفنجى للجسم الكهفى، فيؤدى ذلك إلى انتصاب العضو الذكرى.

الحشفة (رأس الذكر)

وهى لها نفس تكوين الجسم الأسفنجى إلا أنها تتميز بوجود شبكة واسعة من نهايات الأعصاب مما يجعلها أكثر الأماكن حساسية فى الذكر. وعند

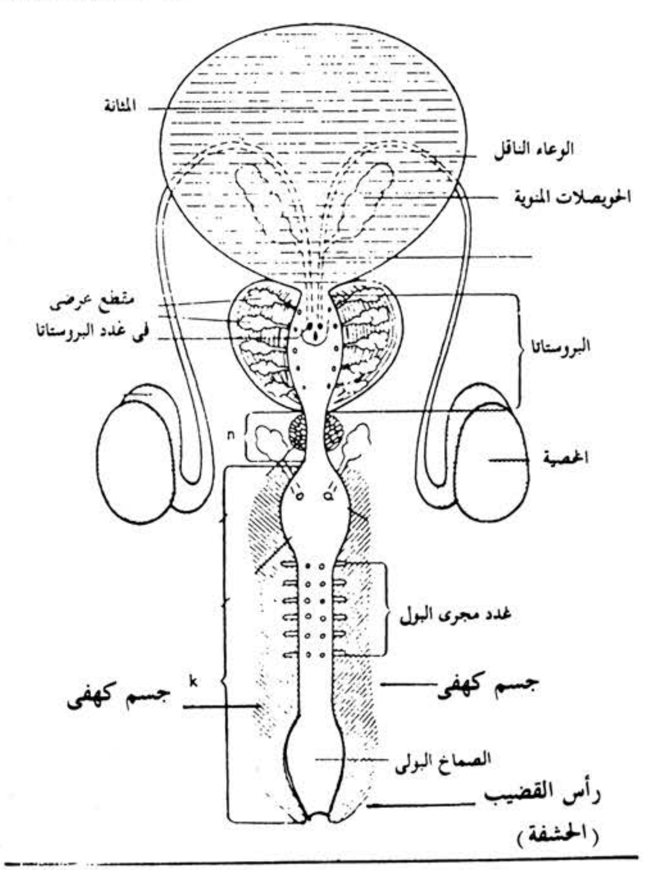

صورة كاملة للجهاز التناسلي الداخلي

الميلاد تتغطى هذه الحشفة بالغلفة التي هي جزء من الجلد يتم إزالته عند إجراء عملية الختان .

عملية الانتشار «الانتصاب» :

يتغذى العضو الذكرى بواسطة أربعة شرايين :

اثنان منهما يغذيان الجسمين الكهفيين والحشفة ، أما الآخران فيغذيان الجسم الأسفنجي أثناء الانتشار « الانتصاب » .

وكذلك توجد شبكة من الأوردة مهمتها إعادة الدم من جسم الذكر إلى أوردة الجسم الكبرى إلى الرئتين لكي يتم تنقيتها وضخها من جديد بواسطة القلب .

وفي حالة الارتخاء تتحكم العضلات الملساء التي تحيط بالشرايين في كمية الدم المتدفق داخل جسم الذكر ، ولا تسمح إلا بالقدر الذي يسمح بتغذية الذكر فقط .

وفي حالة ما إذا كانت هناك استثارة جنسية تتم إثارة أعصاب العضو الذكرى ، وبمجرد استثارة العصب الكهفي نجده يفرز مواد كيميائية تعرف « بالموصلات العصبية » تساهم في ارتخاء العضلات الملساء التي تحيط بالشرايين ، فيزيد تدفق الدم من

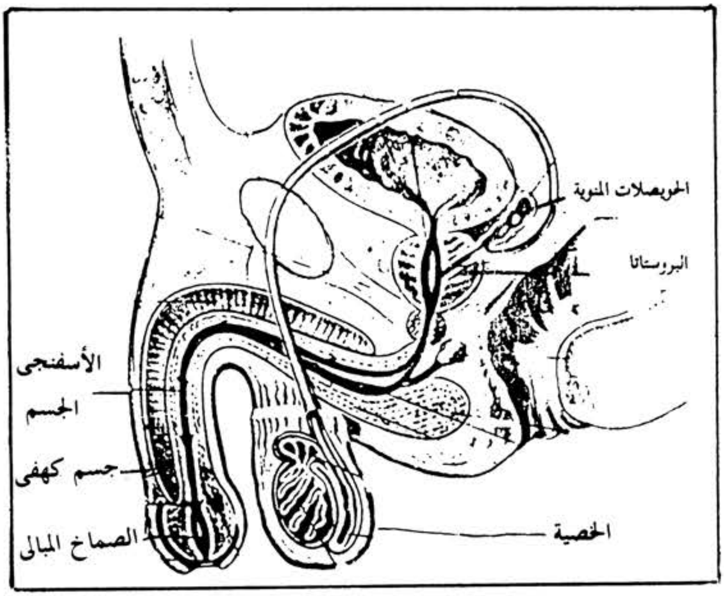

صورة لقطاع جانبى فى الجهاز التناسلى للذكر

الشرايين إلى داخل جسم الذكر فيتمدد ويكبر حجمه.

ويستمر تدفق الدم داخل جسم الذكر إلى أن يصل الضغط فى داخله إلى الحد الذى يسمح بإغلاق شبكة الأوردة فلا يعود الدم — الذى يصل إلى الجسم الكهفى — إلى داخل الجسم خلال العملية الجنسية إلا فى حالات معينة كحالة: (الضعف الجنسى) ويزداد حجم القضيب كلما زاد تدفق الدم داخل جسم القضيب إلى أن يصل إلى كامل انتشاره وبمجرد القذف تنقبض العضلات الملساء فيقل تدفق الدم الشرايين مما يقلل الضغط داخل الجسم الكهفى، وبذلك يتم فتح شبكة الأوردة ويرجع الدم مرة أخرى لكى يدخل إلى الأوردة الدموية فى الجسم.

ملاحظة :

إنه فى حالة الانتصاب يختلف الضغط فى الذكر من مكان لآخر .. ففى جسم الذكر يكون الضغط أعلى من الضغط العادى، أما فى الحشفة فيكون بها نصف الضغط الواقع على جسم القضيب .. وهذا له حِكْمَة حيث يتم تخفيف الضغط على عنق الرحم، والرحم أثناء الجماع.

وطول العضو الذكرى فى حالة الانتصاب يكون ما بين (١١ — ١٥ سم) تقريبا، ولا علاقة بين قدرة تمدده وبين حجمه أو شكله وهو فى حالة الارتخاء حيث يمكن للعضو تأدية وظيفته على أكمل وجه طالما أنه ينتصب بالقوة اللازمة.

ومن المهم أن نؤكد على أنه لا توجد علاقة بين طول العضو الذكرى وبين وظيفته، فقد يكون حجمه كبيرا ولكن انتصابه ضعيف، والعكس صحيح. ويختلف حجم العضو الذكرى فى الطول والقطر بين الأفراد.

النمو وهرمونات الذكورة

فى قاع المخ توجد الغدة النخامية، وهى الغدة التى تؤثر وتنظم إفرازات الغدد الصماء الأخرى.

وما تفرزه الغدد الصماء نسميه «هرمون».

وتفرز الغدة النخامية هرمونين جنسيين لهما القدرة على التأثير فى إفراز هرمون الذكورة «التستوستيرون».

تأثير هرمون التستوستيرون :

١ ــ ظهور علامات الرجولة مثل شعر الذقن والجسم.

٢ ــ نمو الهيكل العظمى (النمو الذكرى) و(يختلف هذا النوع عن النمو الأنثوى حيث إن الهيكل العظمى الأنثوى مهيأ لعملية الحمل والولادة).

٣ ــ نمو العضو الذكرى للرجل.

مشاكل الانتصاب :

مشاكل الانتصاب كثيرة ومتعـــددة ولها درجات : فمثلا يحدث العجز الجنسى : (العنة) عند الرجل نتيجة عوامل عضوية تؤثر على ميكانيكية الانتصاب، أو نتيجة عوامل نفسية.

(أ) **العوامل النفسية :**

ومنها : الخوف من الفشل، أو خفض الرغبة الجنسية أو انعدامها. ويحدث ذلك غالبا فى أول لقاء جنسى يمارسه الشخص مثل أن يحدث ليلة الزفاف، أو نتيجة الشعور الخاطىء بصغر العضو التناسلى، وكذلك عند الخوف من حدوث الحمل أو الخوف من إيذاء الطرف الآخر، أو الشعور بأنه يرتكب إثما، أو الخوف من الإصابة بأمراض تناسلية، وقد يحدث فى حالات : منها أن تكون الزوجة قوية الشخصية، أو السلوك السلبى لبعض الزوجات مما يؤدى إلى فقدان الرجل لثقته فى نفسه.

(ب) **الأسباب العضوية :**

عيوب خلقية مثل تليف بالعضو، وفى حالة الإصابة بمرض السكر لمدة طويلة مما يؤدى إلى التهاب بالأعصاب الطرفية ونقص الإحساس، وهذا يشمل اليدين والقدمين وكذلك العضو التناسلى كما تتسبب العنة فى نقص وظيفى أو عضوى فى الخصيتين مما ينتج عنه نقص فى الهرمونات الذكرية (وكما ذكرنا سابقا وإن هذه الهرمونات هامة وأساسية فى عملية الانتصاب «الانتشار» وتكوين العضو التناسلى والأعضاء التناسلية الثانوية مثل « البروستاتا ، والحويصلات المنوية ».

ومن أسباب العنة أيضا : إصابات أو أمراض عصبية فى مراكز الانتصاب فى المخ أو النخاع الشوكى أو الحبال العصبية التى تؤثر على الانتصاب مثلما يحدث فى حالة مرض السكر أو إصابات نتيجة حوادث أو حروب، وكذلك تؤدى إصابات وأمراض عظام العمود الفقرى إلى نفس الحالة.

وقد يكون ضعف الانتشار جزءاً من أمراض مزمنة مثل : أمراض الكلى والكبد المزمنة، وكذلك أمراض واضطرابات بعض الغدد الصماء مثل الغدة النخامية.

فأما السمنة المفرطة فإنها تؤدى إلى الإقلال من الرغبة الجنسية، وبالتالى إلى ضعف الانتشار.

وإدمان المخدرات وشرب الخمور يؤديان إلى الضعف الجنسى على المدى الطويل حيث إنهما فى بدء استخدامهما قد يؤديان إلى إحساس كاذب بالقوة والنشوة لكنهما بعد ذلك يؤديان إلى العجز عن طريق تأثيرهما على المراكز العصبية والكبد.

وبعض الأدوية قد تؤدى إلى ضعف الانتشار مثل الأدوية التى تعالج ارتفاع ضغط الدم.

العلاج :

نظرا لاختلاف وتنوع أسباب العجز الجنسى، فإن العلاج يختلف من مريض إلى آخر ؛ ولكن العامل المشترك فى هذا العلاج هو العلاج النفسى، ثم يكون العلاج موجها إلى السبب، فإذا ما كان بسبب نقص هرمونات فيعطى المريض ما يعوضه عن ذلك، وإذا كان بسبب التهاب أو احتقان البروستاتا فيتم العلاج بإزالة هذه الأسباب، كما أنه من المهم ـــ بمكان ـــ إعطاء الثقافة الجنسية المناسبة للشباب المقبل على الزواج.

وننصح الجميع بتجنب أى لقاء جنسى فى حالة ما إذا كان المرء مجهدا جسمانيا، أو يعانى من قلق نفسى، وكذلك على من يعانى من هذه الأعراض استشارة الأطباء المختصين بدون خجل فذلك بداية الطريق السليم لعلاج ناجح وليس عن طريق الدجالين والمشعوذين.

العلاج الجراحى :

فى معظم الحالات ينجح العلاج الطبى ولكن ثَمَّةَ حالات يفشل معها العلاج ويحتاج المريض فيها إلى عملية جراحية بسيطة يتم فيها وضع جهاز خاص داخل العضو الذكرى وتوجد أنواع مختلفة من هذه الأجهزة ومنها ـــ وهو الأكثر انتشارا ـــ جهاز عبارة عن أنبوبتين من مادة (السليكون) يتقبلها الجسم بسهولة ولا تسبب أى مضاعفات داخل الأنسجة ولا يرفضها الجسم البشرى.

وتتم العملية تحت مخدر عام عن طريق فتحة جراحية صغيرة أعلى العضو التناسلى مما يُمَكِّن الجراح من أن يعد مكانا لأنبوبتى السليكون داخل العضو الذكرى ثم يتم إدخالهما بسهولة ليصبح العضو فى حالة انتصاب ثم يقوم الجراح برتق الجرح، وبعد فترة النقاهة يكون المريض قادرا على ممارسة حياته الطبيعية، وكذلك فإنه فى حالات العقم يكون قادرا على الإنجاب بإذن الله ـــ تعالى ـــ.

« وَيخلق مَالاتعلمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د / نجوى السيد أحمد (•)

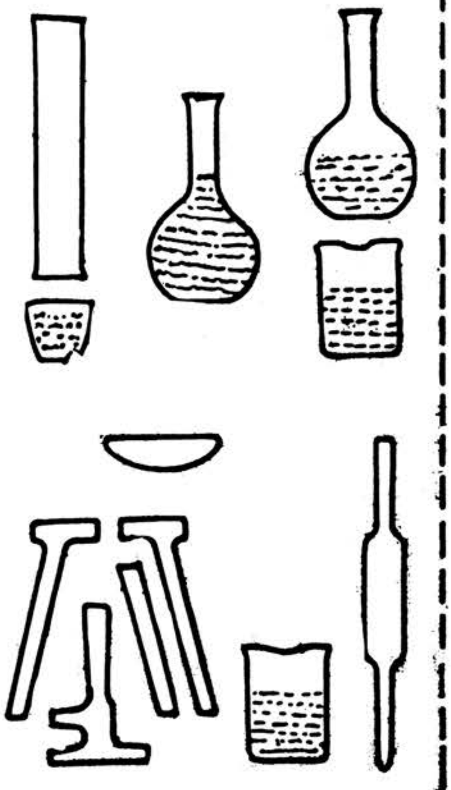

إطلاق القمر الصناعي

« إسترا ـــ ٢ ١ » فى نهاية العام :

تقوم شركة هيوز الدولية للاتصالات الفضائية ببناء القمر الصناعى « إسترا ـــ ٢ ١ » للشركة الاوربية للأقمار الصناعية ، وهو القمر التاسع فى سلسلة الأقمار التى أطلقت ، وسيتم إطلاقه فى نهاية العام عند خط طول ٢٨,٢ درجة شرقا ، وهو مجهز بنظام الدفع بأيونات غاز الزينون ، وسوف يحمل (٢٨) جهازا للإرسال يعمل فى نطاق التردد اللاسلكى « كيو » .

زيت الصويا لمرضى ضغط الدم والقلب

أعلن باحثون بالمعهد الدولى للزراعة فى « نيجريا » أن أستخدام زيت الصويا المستخرج من فول الصويا فى الطهى يقلل من نسبة الكوليسترول فى الدم ، بالاضافة إلى احتوائه على نسبة بروتين عالية تجعله غذاءا جيدا لمرضى ضغط الدم وأمراض القلب والبول السكرى .

(•) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

جهاز للحماية من إشعاعات شاشات الأجهزة الالكترونية :

توصلت الإدارة الأوربية المسئولة عن حماية الإنسان من الاشعاعات الكهرومغناطيسية الناتجة عن شاشات الأجهزة الالكترونية إلى إنتاج جهاز على هيئة هوائى « إيريال » متطور يقوم بإصدار موجات مغناطيسية قوتها « ١٢ » هرتز فى تتابع مستمر ومنتظم تعمل على الحد من الأشعة الترددية الناتجة عن الشاشات والتى تؤثر سلبيا على صحة الإنسان ، ويبلغ طول الهوائى ١٧ سم ، ويزن حوالى ٢٥ جرام ، ولا يحتاج توصيله بأية أسلاك حيث يكفى وضعه رأسيا فوق مختلف أنواع الشاشات ليبدأ عمله .

جهاز آلى لتعبئة السوائل فى أكياس بلاستيك :

أنتجت شركة فرنسية جهازا آليا لتعبئة السوائل فى أكياس « بلاستيكية » خفيفة ، ولحامها فى نفس الوقت بواسطة التردد العالى لان الترددات العالية وذبذبات الطيف « الهرتزى » لها خاصية إثارة ذرات البلاستيك وتجميعها مما يسهل من عملية لحام الرقائق « البلاستيكية » والبلاستيك المستخدم فى الاكياس يتميز بتكلفته الاقتصادية المنخفضة وقوة التحمل للمنتجات الكيميائية والمنظفات التى توضع بداخله ، والجهاز يمكنه تعبئة ولحام أكثر من ٤٠ كيسا فى الدقيقة .

مفاتيح كهربائية جديدة للجهد المتوسط

قامت مجموعة شركات لتوزيع الكهرباء فى فرنسا بتطوير جهاز جديد يضم مجموعة من المفاتيح الكهربائية للجهد المتوسط ، وتعتمد فكرته على تطوير تكنولوجيا مفاتيح التحويل التقليدية المعزولة الهواء باستخدام دائرة قطع عازلة متكاملة ، فيجمع بين وظائف العزل ودوائر القطع فى نظام مفرد لتوفير عزل كامل ، وتتميز هذه المجموعة من المفاتيح بتوصيل الخط بين قضبان التوصيل ، ونهايات « الكابلات » مما يؤدى إلى خفض عدد الوصلات ودعائم العزل .

محرك صناعى لا يلوث البيئة :

أنتجت شركة بريطانية أول محرك صناعى لضخ الغاز الطبيعى لا يسبب أى تلوث للبيئة ، لأن غازات العادم التى تنبعث منه جافة ، وتحتوى على أقل مستوى من الأكاسيد النيتروجينية أى أقل من ٢٥ جزء فى المليون بالإضافة الى انخفاض مستوى أول « اكسيد الكربون » وهذا المحرك مشتق من محرك الطائرات .

جهاز لإرشاد السفن والسيارات

طورت شركة أمريكية جهازا لإرشاد السفن والسيارات يحمى السائق من أن يضل الطريق بسيارته ، كما يحمى السفن من الضياع فى عرض البحار والمحيطات ، والجهاز يستخدم قاعدة إرشادية لتحديد موقع السيارة أو السفينة ، ثم يرجع إلى الخرائط المخزنة رقميا به بواسطة الحاسب الآلى لتحديد المسار السليم والوصول إلى الطريق الصحيح .

طابعة « كمبيوتر » جديدة

طرحت شركة أوربية للأجهزة الالكترونية طابعة « كمبيوتر » جديدة لطبع التذاكر والكروت الحرارية ذات تكنولوجيا عالية وصغيرة الحجم وهى تصلح لطبع الكروت الخاصة بالوزن والطول وكروت الهوية للمرضى وتذاكر المواصلات ، كما أنها مفيدة فى أماكن التخزين وانتظار السيارات ، وتتميز الطابعة بسهولة حملها ونقلها من مكان لآخر ، وطبع التذاكر بسرعة جدا وبجودة عالية .

اكتشاف فيروس سرطان الدم

توصل باحث كندى الى اكتشاف طريقة جديدة لعلاج سرطان الدم بعد عشر سنوات من الأبحاث المستمرة ، توصل خلالها إلى تحديد الفيروس الذى يتسبب فى التكاثر السريع للخلايا السرطانية ، ونجح فى التوصل إلى المادة التى تقضى عليه وتوقف عمله دون حدوث آثار جانبية للمريض .

سرير طبى لمرضى العمود الفقرى

أنتجت شركة أوربية سريرا لمرضى العمود الفقرى الذين يعانون من آلام فى الرقبة والظهر ، السرير طوله متر وعرضه نصف متر ، وله قاعدة خشبية ، عليه وسادتان من القماش تم تثبيتهما على عجلات بلاستيكية كبيرة ، وتتحرك الوسادتان بواسطة مقبض صغير على جانب السرير ، ويتحكم الطبيب بواسطة المقبض فى شد فقرات المريض الذى يتم ربطه بحزامين من جهة الصدر والفخذ ، ويعمل السرير يدويا وبدون طاقة كهربائية .

مورثات لعلاج مرض السكر وسيولة الدم :

نجح علماء من جامعة « ميتشجان » فى حقن خلايا جدران قلوب حيوانات المعامل بمورثات تنتج مادة كيميائية تساعد الوعاء الدموى على النمو بإنتاج خلايا دموية جديدة ، وأكد العلماء أن التجربة أدت إلى زيادة نمو الخلايا بنسبة تراوحت بين ٣٠ الى ٤٠٪ بالأوعية الدموية وأن حقن المورثات مباشرة فى خلايا العضلات الصقلية بالقلب يحول هذه الخلايا الى مصانع تقوم بإنتاج « الأنسولين » لمرضى السكر وبروتين تجلط الدم الذى يفتقد اليه مرض سيولة الدم وتستمر الخلايا فى إنتاج هذه البروتينات لمدة تصل الى ستة أشهر .

اللغة والنقد
والأدب

من تراث المحقق محمد أبى الفضل ابراهيم

مراتب النحويين

حينما كنت معنياً بتحقيق كتاب (إنباه الرواة على أنباه النحاة) ، للوزير جمال الدين على بن يوسف القفطى كان من أكبر همى أن أرجع إلى الكتب التى استمد منها المؤلف ، مادة كتابه ، أو التى شاركته فى موضوعه ، لتكون عونا على تحقيق الكتاب ، وتحرير نصوصه ، وإيضاح مبهمه ، وكشف غامضه ، ومقفل مسائله ، فكان مما وقع لى كتابان نادران ، لمؤلفين جليلين ، هما كتاب (طبقات النحويين واللغويين) لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى ، وكتاب مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ، فوجدت فيهما من جمال التصنيف ، وحسن الأداء ، وغزارة المادة ، ما رغب إلى أن أقوم بتحقيقهما ونشرهما ، وخاصة فإنهما يعدان من المصادر الأصيلة الأولى لمن ترجم لأعلام اللغة والنحو والأدب ، وعنهما نقل ياقوت والقفطى والصفدى والسيوطى وغيرهم .

والكتابان وإن كانا متفقين فى الموضوع والغاية ، إلا أنهما يختلفان شريعة ومنهجا ، فكتاب الزبيدى بناه على الطبقات والمدارس ، وعنى فيه بذكر الموالد والوفيات . وحشاه بمختلف الأخبار والطرف والحكايات ، عن النحويين واللغويين ، فى صدر الإسلام ، ثم من تلاهم ، إلى شيخه أبى عبدالله الرياحى الأندلسى المتوفى سنة ٣٥٨ .

وكتاب أبى الطيب أقامه على ذكر مراتب العلماء ، ومنازلهم من العلم ، وحظهم فى الرواية . وعقد الصلة بين الشيوخ والتلاميذ ؛ منذ ظهور اللحن ووضع النحو ، ثم ظهور مدرستى البصرة والكوفة إلى أن انتهى العلم فيهما ثم انتقل إلى بغداد ، فهو يذكر أبا الأسود الدؤلى وتلاميذه ، وأبا عمرو ابن العلاء والخليل بن أحمد ومن أخذ عنهما ، وهكذا ، وسبيله فيما أورد السند والرواية .

● ● ●

ومؤلف كتاب مراتب النحويين هو : عبد الواحد بن على أبو الطيب اللغوى ، ولد فى عسكر مكرم ــ وهى بلدة مشهورة فى نواحى « خوزستان » ، نشأ فيها كثير من الفضلاء والعلماء ، ومنها العسكريان : أبو أحمد صاحب كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، وأبو هلال صاحب كتابى الصناعتين وجمهرة الأمثال ، وإلى علمائها كانت تشد الرحال ، ويقصدون من شتى الجهات ــ ونشأ فيها ؛ وحذق النحو واللغة ؛ ثم رحل إلى بغداد ، فأخذ عن أسناده وروى عن أثباتها ، وكان ممن روى عنهم محمد بن يحيى الصولى وأبوعمر الزاهد ، أخذ عنه « كتاب الفصيح »

لثعلب ، و « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، و « النوادر » لأبى عمرو الشيبانى وغيرها ، وفيها ألف بعض كتبه ، منها « كتاب الإتباع » الذى أعجب به البغداديون ، وتداولوه فيما بينهم .

وكانت مدينة حلب فى القرن الرابع من أزهر الحواضر الإسلامية ، وأحفلها بالعلماء والشعراء والأدباء ، وكان أميرها سيف الدولة من أعظم ملوك العرب شأنا ، وأعلاهم فى العلوم والآداب كعبا ، وأوسعهم فى المكرمات باعا ، فاجتذب إلى حلب أعيان الأدب واللغة والشعر ، كالمتنبى والوأواء والنامى والرفاء وابن خالويه والفارابى وكشاجم ، فكان منهم أبو الطيب اللغوى ، وهناك ازدهر علمه ، وبان فضله ، وفيها أيضا قامت الخصومة بينه وبين ابن خالويه ، وذكت المنافسة ، ولكنه كان صاحب السبق والتقدم .

قال ابن القارح : « حدثنى أبو علىّ الصقلىّ بدمشق قال : كنت فى مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته ، وأخرج منها كتب اللغة وفرّقها على أصحابه يفتّشونها ليُجيب عنها ، وتركته وذهبت إلى أبى الطيب اللغوىّ وهو جالس ، وقد وردت عليه المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة ؛ فأجاب به ولم يغيّره ؛ قدرة على الجواب[1] .

وقد ذكر أبو العلاء المعرى[2] أنه كان يتعاطى شيئاً من النظم ؛ وله شىء منه فى كتاب المراتب ؛ ولكنه نظم ضعيف .

وظل فى حلب إلى أن كانت ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة دخل « الدمستق » حلب ، وأخذ منها خلقاً من النساء والأطفال ، وقتل معظم الرجال ولم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعة من العلويين والهاشميين والكتاب وأرباب الأموال[3] . فكان أبو الطيب فيمن قتل مع أبيه فى تلك المحنة ؛ ولعلها هى التى ذهبت بمعظم آثاره وأخباره .

* * *

وكما ضاعت معظم أخباره ، ضاع كثير من مؤلفاته أيضاً ؛ قال أبو العلاء : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته ؛ لأن الروم قتلوه وأباه فى فتح حلب » . إلا أن الزمان قد أبقى منها ما يأتى :

١ ـ كتاب شجر الدر ، سلك فيه مسلك شيخه أبى عمر الزاهد فى كتاب المداخل ؛ ومنه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية ومكتبة الأزهر[4] .

٢ ـ كتاب الفرق ؛ ذكره المعرى فى رسالة الغفران ؛ وقال : « قد أكثر فيه وأسهب » ، وعنه

(١) رسالة ابن القارح ٢٨ (٢) رسالة الغفران ٥١٢ (٣) زبدة الطلب : ١ : ١٣٧

(٤) كان يقوم بتحقيقه الأستاذ محمد عبدالجواد .

نقل السيوطى فى المزهر[٥] .

٣ ـ كتاب الإتباع ؛ قال أبو العلاء : « وله كتاب فى الإتباع صغير على حروف المعجم ، وفى أيدى البغداديين » وذكره السيوطى فى بغية الوعاة .

٤ ـ كتاب الإبدال ؛ ذكره السيوطى والصفدى فى الوافى بالوفيات ؛ وقال أبو العلاء : « قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب فى القلب » .

٥ ـ كتاب الأضداد ؛ ذكره المرتضى الزبيدى فى مقدمة تاج العروس .

٦ ـ المثنى ؛ ذكره الأستاذ عز الدين التنوخى فى مقاله[٦] ، وقال : « ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب المثنى ، وهو عندى ولله الحمد ؛ لطيف يشتمل على نوعين : الإتباع والتغليب ... ولا أدرى : أكتاب الإتباع مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى » .

٧ ـ كتاب مراتب النحويين .

* * *

وأصل هذا الكتاب نسخة نادرة فى دار الكتب المصرية برقم ١٤٢٥ تاريخ تيمور ؛ تقع فى ١٦٤ صفحة ؛ كتبها عيسى بن أبى بكر بن محمد الحميدى ؛ ثم قوبلت على أصل صحيح ، عليه حواش لابن نوبخت ، وفى آخرها خط الشيخ محمد بن المخلطة المالكى وتاريخه ٨٦١ ، وخط الشيخ محمد عبد العزيز الشافعى . وقد سقط من هذه النسخة ورقة بعد ص ١٥٨ .

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب على تلك النسخة ، وقابلتها بما نقله السيوطى عنه فى المزهر ؛ وأكملت الناقص منه ؛ وأثبت فروق النسخ التى وردت فى الحواشى ، ووضعت أرقام الصفحات على الجانبين ؛ كما رقمها العلامة أحمد تيمور ، ووضعت له عنوانات ميزتها بعلامات الزيادة وألحقت به الفهارس المفصلة .

هذا الكتاب على صغر حجمه ، وقلة أوراقه ، نادر فى فنه بالغ الإفادة فى موضوعه ، لم يكد يخرج من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات للمرة الأولى ، حتى تلقاه العلماء والباحثون بهشاشة واطمئنان ، وتناولوه قراءة وبحثاً ، فى قبول وارتياح ؛ وذلك لما اشتمل عليه من مادة أصيلة ، وحقائق تاريخية ، ونصوص نادرة ، حول النحويين واللغويين ورواة اللغة والشعر ، منذ ظهور الإسلام فى القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع ؛ فى الكوفة والبصرة وبغداد ومكة والمدينة ، أشهر عواصم اللغة والأدب فى هذا العصر ، وهى الحقبة التى وضعت فيها أصول النحو وجمعت اللغة ، وصنعت المعاجم ، ودون الشعر ، وحول ذلك يتجه اهتمام الباحثين ومؤرخى الآداب العربية .

وأسأل الله أن يعم نفعه ، ويوفق من أعان على إخراجه وإعادة طبعه ، وأن يجزيه من الله خير الجزاء .

والله الهادى إلى أقوم طريق .

---

(٥) المزهر جـ ١ : ٤٥٤ وما بعدها (طبعة عيسى الحلبى) .

(٦) مجلة المجمع العلمى العربى الجزء الثانى ، المجلد التاسع والعشرون .

العربية الفصحى في وسائل الإعلام والتثقيف

مدخل للتنمية العربية الشاملة

للأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود (*)

لم تعد مسألة التنمية فى هذا الزمان ـ كما يتوهم البعض ـ مسألة علم و« تكنولوجيا» وتصنيع وتقدم مادى فقط، إذا ما أدركنا أن الإنسان هو مبتدأ عملية التنمية ومنتهاها، وأنه غايتها ووسيلتها فى نفس الوقت .

ولأن الإنسان هو موضوع التنمية، فإنه يصعب التفكير فيها بمعزل عنه، وعن تكوينه وطبيعته، وعن حركة حياته وإمكاناته، فى الزمان والمكان جميعاً، وهو مايمكن أن نقرأه ـ بوضوح ـ فى تجربة الإنسان التاريخية على الأرض، منذ كان الإنسان، كما يمكن أن نقرأه فى حياة بعض المجتمعات المعاصرة، التى استطاعت أن تتقدم، وتحقق مستويات من التنمية لافتة للنظر .

تابع العربية الفصحى فى وسائل الاعلام

لقد أثبتت تجربة الإنسان على الأرض ـ فى القديم والحديث على السواء ـ أنه مااستطاع أن يحقق تنمية فى جانب واحد فقط من جوانب حياته، وإن بدت ـ لبعض قِصار النظر ـ كذلك، وإنما كانت التنمية تحدث فى جوانب الحياة المختلفة ـ ولاتزال، وكان نجاحها يتوقف ـ ولايزال ـ على مدى مابين جوانب الحياة تلك من تنسيق فى خططها، يقود إلى تناسق فى خطوطها، يقود إلى ماسماه العلامة العربى عبدالرحمن بن خلدون (بالعُمران البشرى)، الذى نراه ـ عنده ـ (روحا) تسرى فى كل جوانب الحياة فى المجتمع، الذى استطاع توليد هذا (العمران)، سواء فى ذلك المنشآت والمبانى والمصانع والمزارع، والنظم والتنظيمات، والقوانين والتشريعات، والأعراف والعادات والتقاليد، وما يعبر عن ذلك كله من فنون وآداب، على اختلاف ألوانها .

إن كل جانب من هذه الجوانب، إنما هو أداة من أدوات التعبير عن هذا العمران البشرى الخلدونى، وإن كان المدخل إلى هذا العمران، أو إلى التنمية، لايمكن ـ عمليا ـ أن يكون إلا من

* الكاتب أستاذ التربية المقارنة والإدارة التعليمية ـ جامعة عين شمس ، كلية التربية .

واحد منها، لينتقل ـ منه ـ إلى سائر الجوانب، وإلا تعطلت مسيرة التنمية .

وفى كل الحالات ، فإن التنمية لايمكن أن تعنى (نسف) البناء الثقافى للأمة، ليقام على (أشلائه) بناء جديد، لأن مثل هذا الفهم لايمكن أن يؤدى إلا إلى تقويض دعائم الأمة، والمفروض فى التنمية أن تكون (دعما) لهذا البناء، لا تقويضا له، أو أن تكون (توسعة) للعُمران الخلدونى، لاتخريبا له .

إن هذا هو الدرس الأكبر الذى نخرج به من تجارب التنمية المعاصرة، حيث لا نجد تجربة منها نجحت إلا كانت قد اتبعت هذا النهج الخلدونى، فحافظت على مقومات ثقافتها، مثلما نجد تجارب أخرى كثيرة حاولت (الانفلات) من ثقافتها الأصيلة، بحجة أن هذه الثقافة هى التى تعوق (انطلاقتها) التنموية، فإذا بهذا(الانفلات) ذاته يتحول إلى عقبة كأداة فى طريق نموها، على نحو مانرى فى تجارب كثيرة من بلاد العالم الثالث، ونحن من بينها بطبيعة الحال، بل إن التجربة المصرية تعتبر ـ من بينها ـ التجربة الأكثر دلالة على صدق هذا الذى نذهب إليه .

ويجد (العمران البشرى) بالنسبة لأية أمة، وسائل عدة للتعبير عنه، أقدمها ـ على الاطلاق ـ الفنون التى نراها منقوشة على جدران المعابد هنا وهناك، مما يدل على أن الإنسان بدأ رحلته الحضارية (فنانا)، يهيم بعناصر الطبيعة من حوله، حتى لقد اتخذ من بعضها آلهة له .

لقد كان تعبير الإنسان عن ذاته، فى تفاعلها مع عناصر الطبيعة المحيطة به، وانفعاله بها، بداية تفرده، وبداية إبداعه، وبداية إحساسه بالحياة، جميعا، مما فجر فى نفسه الطاقات الكامنة، ذات طعم هنا يختلف عن طعمها هناك، بسبب اختلاف طعم العمران هنا عنه هناك .

ومن خصوصية المكان، وخصوصية الثقافة التى تمت صياغتها من خلال انفعال الإنسان بعناصر الطبيعة المختلفة التى يكتنفها هذا المكان، وخصوصية العمران البشرى بالتالى، وخصوصية وسائل التعبير عن هذا العمران ـ كانت الحضارة الإنسانية الأولى، كما تحدثنا كتب التاريخ .

وقد كان تمكن الإنسان من استخدام اللغة أداة للتعبير عن أفكاره، هو بداية ولوجه عصر العلم، وذلك لأن استخدام اللغة واتقان مهاراتها، يعنى قدرة الإنسان على أن يتفاهم مع غيره وعلى أن ينظم أفكاره، وعلى أن ينمى هذه الأفكار، فيستطيع قراءة لغة الحياة من حوله، ويستطيع فهمها واستيعابها، مما يعد بدايات العلم .

وتربط الكتابات التاريخية التى تعالج (قصة الحضارة) بين تمكن الإنسان فى بيئة معينة (كبيئة مصر القديمة ـ الصين ـ اليابان) من مهارات لغته، وبين قدرته على فهم عناصر الطبيعة من حوله، ومن ثَمَّ تسخيرها لخدمته، مما يعنى أن هذا الإتقان للغة ومهاراتها، هو المدخل الأساسى للتقدم، إن لم يكن مدخله الوحيد .

وإذا كان هذا هو شأن اللغة فى البدايات، فإنه لايزال شأنها حتى اليوم، فما قامت ـ فى العصور الحديثة فى الغرب ـ نهضة إلا على أكتاف لغة قومية، يعتز بها المتحدثون بها، ويعملون على زرعها فى قلب حياتهم، لتكون صادقة فى التعبير عن الحياة، حتى يكونوا أقدر على فهمها، وعلى الانفعال مع عناصرها ، ليكونوا أقدر على الدفاع عنها، وحمايتها، وتطويرها جميعا .

ولأن اللغة القومية التى يعبر بها الناس فى كل مجتمع عن أنفسهم، هى رمز وجودهم، وهى التعبير عنه أيضا، فقد رأينا اللغة تدخل فى خِضَمّ الصراع الشرس، الدائر بين الأمم والشعوب، فى (معركة الحياة) التى كُتب على الأمم أن تعيشها منذ أقدم العصور، وكان دخول اللغة حلبة الصراع تلك واضحا فى بلاد أوربا المختلفة بعد عصر الإصلاح الدين، على النحو الذى لا نزال نراه ـ حتى اليوم ـ فى قلب أوربا ـ بين اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، على سبيل المثال .

ونسمع ـ فى هذا الزمان ـ عن لغات سيِّدة، تتقدمها ـ فى السيادة ـ اللغة الإنجليزية، لغة سيّدة النظام العالمى الجديد بطبيعة الحال، مما يثير حفيظة لغات بينها وبين اللغة الإنجليزية صراع طويل، وتنكمش ـ فى حلبة صراع العمالقة تلك ـ لغات كان لها فى تاريخ الإنسانية ـ وفى تاريخ الحضارة ـ شأن ومكان، كاللغة العربية، لغة القرآن الكريم .

وفى الوقت الذى يبعث فيه المغضوب عليه عليهم عبريتهم من مرقدها فى مقبرة التاريخ، موهومين بأنها لغة دين وعلم وحضارة وحياة، نجد أهل العربية يشيِّعون لغتهم إلى مثواها الأخير، أملا فى التقدم، ناسين أن تقدمهم رهن بحرصهم عليها، وتشبثهم بها، وذودهم عن حياضها، التى هى حياض القرآن الكريم، الذى وعد الله بحِفظه، وبحفظ من يحفظه، وبحفظ اللغة التى نزل بها بالتالى ـ ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وتقوم وسائل الإعلام والتثقيف ـ فى عالمنا المعاصر ـ بدور كبير فى الإعلاء من شأن لغة ما فى مسألة التعبير، مثلما تقوم بنفس الدور فى الإحطاط من شأن لغة أخرى، من خلال ماتقدمه من أعمال متنوعة، وجذابة، وقادرة على النفاذ ـ بالتالى ـ إلى قلوب الصغار والكبار جميعا، تتنوع بين مسرحيات وتمثيليات ومسلسلات « وكرتون » ونشرات أخبار وبرامج، علمية وفنية وأدبية ـ ناهيك عن الإعلانات، التى تأسر الجميع، صغيرا وكبيرا على السواء .

ولو أتيح لانسان أن يشاهد مثل هذه الأعمال المتنوعة، فى وسائل إعلام وتثقيف تنتمى لثقافات ـ ومجتمعات ـ مختلفة، فإنه لابد أن يلفت نظره درجة الهوان الذى تتعرض لها لغة القرآن الكريم على ألسنة المتحدثين بها فى هذه الوسائل، وهو هوان يتجاوز الجهل بقواعدها وتشكيل بنى كلماتها، إلى حد السخرية منها ومن المتحدثين بها، بصور مختلفة، تزرع فى الضمير العام إحساسا (بالدونية) وتدفع دفعا نحو التحدث بغيرها، وخاصة اللهجة العامية، بمستويات هبوطها ـ أو تدنِّيها ـ المختلفة .

وقد كانت هذه الصورة المستفزة التى يحرص بعض أهل الإعلام والتثقيف على أن يعرضوا عليها لغتنا العربية ـ لغة أهل الجنة ـ فيما يقدمونه من أعمال متنوعة، لايجمع بينها شىء أكثر من الهبوط والإسفاف ـ نجد بعضهم يستثيره مايرى ويسمع، فينهض لحمل العبء، والذود عن كرامة لغته الجريحة، من خلال عمل ينطق بها، يفرض على من يشاهده احترامه، ويفضح المتخاذلين والذين فى قلوبهم مرض، من المدعين بعجز اللغة العربية الفصحى عن أن تكون لغة تعبير عن هذه الفنون القديمة الحديثة معاً ليبدو بوضوح وجلاء ـ أن الكارثة مصدرها شلل أصاب عقول المتخاذلين وهممهم، وليس شللا أصاب لغة أهل الجنة، التى

ابتليت ـ فى آخر الزمـان ـ بأن يكونـوا من الناطقين بها .

ويلفت النظر ـ فى هذا المجال ـ أن قطرات الغـــيث الأولى أتت ـ أول ماأتت ـ من الإذاعات العربية المبثوثة من قلب بيئات غربية، ربما لأن أهل كل إذاعة منها وجدوا أنفسهم أمام لهجات عربية عامية شتى، فكانت اللغة الفصحى هى المخرج لهم من هذا المأزق، وربما لأن العاملين عليها من أصول عربية مختلفة، بحيث يكون التفاهم بالفصحى هو الأقدر على تحقيق تآلفهم، وربما لأن الغربة عن الأوطان مما يحرك الأصول فى نفوس المغتربين، واللغة واحدة من هذه الأصول التى يرى فيها المرء ذاته، إن لم يكن أهمها جميعا .

وسواء كان بدء قدوم القطرات من إذاعات الغرب، لهذا السبب أو لذاك، أو لهذه الأسباب جميعا، فإن إذاعة عربية كإذاعة « هيئة الاذاعة البريطانية » فى لندن، أو كإذاعـــة « مونت كارلو » ، لَمِمَّا يكتسب كُلَّ يوم آذانا ـ وعقولا وقلوبا ـ عربية جديدة، يرغم اللغة العربية الفصحى التى تتعامل بها طوال اليوم، وربما بسبب هذه اللغة العربية الفصحى، والتفنن فى التعامل بها ومعها من خلالها، حتى صارت الإذاعات الناطقة بالعربية، فى البيئات العربية، غريبة فى بلادها ذاتها، على آذان من تبث هذه الإذاعات لهم .

ولايزاحم هذه القطرات القادمة من الغرب سوى قطرات شامية، تتجاوز الأذاعة المسموعة إلى الاذاعة المرئية ومايلزمها من أعمال وبرامج، أثبت أهل الشام ـ فيها ـ قدرة غير مسبوقة على الساحة العربية، لاقتحام أسواق الخليج، بعد أن كانت ساحة هذه الأسواق حكرا على الإنتاج المصرى، من الأفلام ومن التمثيليات والمسلسلات التليفزيونية جميعا .

ويبدو أن أهل الشام ـ بالحس التجارى ـ عرفوا أن التجارة مع العربية الفصحى هى تجارة المستقبل الرائجة، فى الخليج العربى، فى عصر النفط بعد حرب ١٩٧٣، إذا هم أرادوا أن يجدوا لبضاعتهم الفنية مكانها فى سوقه الواعد، بجانب البضاعة المصرية، التى تعودت آذان أهل الخليج على لغتها العامية، وصار من الصعب على أية عامية عربية غيرها أن تزاحمها، فكان اتجاه أهل لبنان خاصة صوب اللغة العربية الفصحى، ربما بعد أن فشلوا فى أن يوجدوا لعاميتهم اللبنانية مكانا هناك، رغم حلاوة هذه العامية اللبنانية وطلاوتها .

وهكذا تكاتفت قطرات من هنا ـ من الشام، ومن لبنان خاصة ـ مع قطرات من هناك ـ من « لندن » و « مونت كارلو » خاصة، إضافة إلى « صوت أمريكا » ـ لتظهر اللغة العربية، لغة شاعرة، قادرة على التعبير عن الاعمال الفنية، الثقيلة منها والخفيفة، والجادة منها والهازلة، مما لم نألفه منها فى كتبنا القديمة، مما يدل على إمكانات تلك اللغة الشاعرة وقدراتها، لو أننا وقفنا على هذه الإمكانات، من خلال نظام تعليمى يحترم هوية الأمة، ويحترم لغة تعبير أهلها عن أنفسهم، مثلما نرى نظام أهل الشام يفعل، فكان من إفرازاته مانراه وما نسمعه حتى صار لأهل الشام الريادة والسبق فى هذا المضمار بلا منازع، مما لابد أن نغبطهم عليه .

لقد كان لمصر ـ فى المنطقة العربية ـ عبر تاريخ هذه المنطقة ـ سبقها وريادتها جميعا، ولو أنها

استغلت ما أنتجته من أعمال فنية وأدبية طوال القرن الماضى لصالح قضية العربية تلك، لكان لها اليوم شأن آخر، ولكان لها ماهو من تبعات أهل القيادة والريادة من سبق، فى مجال الصناعة والتجارة والاقتصاد جميعا .

إن أطفالنا يقضون عاما أو بعض عام فى الخليج مع ذويهم، ليعودوا إلينا حاملين اللغة الفصحى التى حفظوها من البرامج والمسلسلات والأعمال الفنية التى استمتعوا بمشاهدتها هناك، ولو أننا قدمنا لأطفالنا فى مصر أعمالا على نفس المستوى لجذبناهم إلينا، ولسهلنا عليهم عمليات التعلم بها وتعليمها فى مدارسنا، ولتجنبنا الفشل التعليمى الذى يلاحق أبناءنا فى المدارس، ولخفت أعباء مدارسنا وأوجاعها كثيرا، ولخفت أعباؤنا وأوجاعنا نحن كذلك، فكثير من أوجاعنا ـ نحن الكبار ـ إنما مصدرها أبناؤنا، ومشكلات تعليمهم .

ويبدو أن قطاع الإنتاج فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون فى مصر قد فكر فى القضية، ولو من باب المنافسة التجارية، فأنتج ـ فى السنوات الأخيرة ـ عددا من الأعمال الجادة، باللغة العربية الفصحى، استطاع ـ بها ـ اقتحام السوق المصرية والعربية ،بجرأة واقتدار ، أعادت ـ بهما ـ إلى مصرنا ـ وجهها الحضارى والقيادى والريادى المشرف ،الذى كان هادوما ،لولا الهجمة الشرسة للعامية السوقية على فنونها مؤخرا، حتى كادت تأتى على هذه الفنون، وعلى قيادة مصر وريادتها جميعا .

وإذا كان جهد إتحاد الأذاعة والتليفزيون فى مصر يمكن اعتباره جهدا مؤسسيا، اكتسب إمكاناته وقدرته على الفعل من المؤسسة ذاتها، فإننا يجب ألا ننسى أن المؤسسات إنما يقوم عليها أفراد، وأن الأعمال الفنية والإذاعية والتليفزيونية بالذات إنما هى جهد جيش من الأفراد، يستطيع المشاهد أن يرى مابين أفراده من تناسق وتناغم وتعاون، من خلال العمل ذاته، مما يدل على أن المؤسسة إنما تعكس نبض الوسط كله، يؤكد ذلك أن توجهها هذا قد سبقته برامج جيدة، أصرت على العربية الفصحى لغة تعبير لها، فكانت الفصحى عونا لها على النفاذ والتأثير وسعة الانتشار جميعا .

ولا يتبادَرَنَّ إلى الذهن أن هذا الجهد الفردى وقف ـ ويقف ـ عند حد أولئك الذين يقدمون برامج دينية، وإنما هو يتعداهم إلى بعض من معدى البرامج غير الدينية ومقدميها جميعا، وفى مقدمهتهم معدوا البرامج العلمية ومقدموها .

وإذا كانت اللغة العامية ـ بمستويات هبوطها وإسفافها المختلفة ـ قد قادتنا إلى مانعيشه الآن من إسفاف وهبوط، ـ نسأل الله ـ أن يقيل عثرتنا منه، فإن ماانهمر من قطرات الغيث، التى أخذت تتكاثر، لَمِمَّا يبشر بالخير إن شاء الله، لأنه يدل على أن عقل الأمة قد بدأ يصحو بعد طول نعاس، وعلى أن ساعات الظلام توشك أن تنجلى عن فجر.

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يكون الفجر الصادق .

إن صلاح اللغة يقود إلى صلاح العقل، وصلاح العقل يقول إلى صلاح التفكير، وصلاح التفكير يقود إلى صلاح الحياة، وصلاح الحياة يقود إلى تنمية هذه الحياة، فتكون حياة تستحق أن تعاش .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

طبقات المحققين والمصححين

١٣ من المحققين الأعلام

الأستاذ الدكتور/ عبد الغنى محمد عبد الخالق

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

لا يزال المضمار مفسوحاً ، والحلبة واسعة ، والمجال مبسوطاً لفرسان العلم والتحقيق الذين حازوا قصب السبق فى المضمار ؛ فكان فضلهم مشهوداً ، وبذلهم مذكوراً ، وفوارط أعمالهم باقية حتى الأبد الأبيد .

وتأخذنى الحيرة الشديدة عندما أجتهد فى البحث عن سمات وفروق جوهرية للتمايز بين هؤلاء الأعلام المبرزين المرموقين ؛ إذ أن هناك قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً ، وهذا القاسم المشترك ينتظم مساحة عريضة واسعة من الخلال والسمات والسجايا المحمودة والمآثر والمناقب الممدوحة ، مما يجعل هذه الوجوه المتعددة وكأنها مصبوبة فى قالب واحد تقريباً ما خلا قليلاً محصوراً، ونزراً محدوداً من الفروق الفردية .

وهذا مما يضاعف من المسئولية وشرف

الالتزام .

ثم إن كتب الطبقات أو تراجم الأعلام على اختلاف نوعياتها ودرجاتها ومراكز مصنفيها ـ نرى أكثرها يعمد إلى حصر الترجمة فى بضعة أسطر ، أو صفحة أو صفحتين على الأكثر ، ما عدا الكتب الموسوعية الضخمة التى تعنى بالبسط والتفصيل والإطناب والإيغال والاستقصاء .

* * *

لكن الأمر بالنسبة لأعلام المحققين ـ فى اعتقادنا ـ يحتم علينا مسئولية مضاعفة ، وذلك لخطورة أدوارهم إذ أنهم حلقة الوصل التى ربطت الماضى بالحاضر ، كذا ربطت الحاضر بالمستقبل ، فأخرجت مخبوءات الكنوز المطمورة المتروكة وقد علاها غبار الزمان ـ إلى النور فكان لها من الفضل والمنزلة ما يعيا به الباحث ، ويشعر معه بالتقصير مهما قدَّم ونحل وأعطى .

فالمساحة العريضة من السمات والطبائع المشتركة بين هؤلاء جميعاً تتمثل جلية فى التماثل والتشابه فى النشأة واستظهار القرآن الكريم وحفظه مع باكورة الصبا ، ثم الاختلاف إلى الأزهر أو الجامعة والاجتهاد فى سبيل تحصيل العلم ، والتجرد لذلك ، وشحذ الهمة ، والتشمير والاستعداد لموجبات هذا التحصيل رغم الصعوبات والمشكلات التى كثيراً ما تعترض الحياة ، لكن التحلى بالصبر والجلد والمثابرة مع سلامة الصدر ، وشرف الغاية ، وكريم المقصد ، هذا كله فى إطار الأخلاق العالية ، والشيم المرضية ، وطول البال وبعد الأناة ، والإصرار على بلوغ المأمول .

ولئن اختلفت المواطن ، والظروف ومَحَالُّ النشوء إلا أن الفطرة والسجية مصبوبة فى هذا القالب المتميز الأبعاد من المثالية .

* * *

من أولئك الأعلام العاملين ، من هذه الصفوة المختارة ذلكم العبقرى العملاق فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الغنى محمد عبد الخالق حسن مصطفى ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ الموسوعى البحاثة العلامة الفهامة .

وهو المكنى بأبى الكمال ، نسبة إلى ابنه الأكبر الدكتور محمد كمال الدين الأستاذ بجامعة الأزهر ، وأحياناً بأبى الحسن ، وهو اسم ابنه الأستاذ حسن .

ولد شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ فى يوم السابع عشر من شهر مارس ، سنة ثمان وتسعمائة وألف للميلاد فى مدينة القاهرة المحروسة بلطف الله ـ تعالى ـ المأنوسة بأهل العلم والشريعة .

وتحدر هذا النابغة من أصلاب علماء أكابر ؛ فإن أباه كان شيخاً أزهرياً من كبار العلماء وكذلك كان جده لأمه أيضاً ، وكان كلاهما (أبوه وجده لأمه رحمهما الله تعالى) مثلما كان هو بعد ذلك خطيباً وإماماً وشيخاً لجامع السيدة نفيسة المعروف بالقاهرة ، وقيل : إنهم توارثوا مشيخته منذ العصر العباسى الثانى .

وكانت الأسرة بطبيعة الحال تقطن بجوار هذا المسجد النفيسى ، مما كان يمثل تراثاً تاريخياً وذخيرة روحية لها أهميتها .

بالبحث والاستقصاء والتحرى ثبت للأسرة أن لها نصيباً من النسب الشريف ، إذ أن والده

رحمه الله ـ تعالى ـ كان موصولاً من جهة أمه بالأشراف منسوباً إلى الدوحة النبوية والشجرة الندية .

أما نسبه من قبل أمه ـ رحمها الله ـ فقد كان موصول العروة بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ .

كان للشيخ محمد عبد الخالق (والد صاحبنا) ثلاثة أبناء الأكبر الشيخ مصطفى عبد الخالق ، وكان متخصصاً فى أصول الفقه وقارئاً موسوعياً فى علوم البلاغة والأدب والمنطق والشعر ، وعمل أستاذاً بكلية الشريعة بالأزهر فى القاهرة .

أما الشقيق الأصغر فهو الشيخ أحمد محمد عبد الخالق شيخ المسجد النفيسى بعد أبيه سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف .

* * *

رحلة الشـــيخ العلميـــة

حفظ الشيخ عبد الغنى محمد عبد الخالق القرآن واستظهره صبياً ، ثم التحق بالمعهد الأزهرى بالقاهرة ، ثم بعد حصوله على الثانوية الأزهرية التحق بكلية الشريعة ، وهى إحدى كليات الجامع الأزهر الثلاث ـ وقتذاك ـ .

أبدى تفوقاً ملحوظاً وذكاءً نادراً ، وشغفاً وولوعاً بالعلم والتحصيل حيث كان متقدماً على أترابه إذ حصل على الإجازة العالية (الليسانس) فى العلوم الشرعية ، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم التحق بعد ذلك بقسم تخصص المادة فحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) فى مادة أصول الفقه ، برسالة موضوعها « حجية السنة » وكان ذلك سنة أربعين وتسعمائة وألف .

ولم يكن نشاط الشيخ العلمى والثقافى موقوفاً على العلوم الشرعية ، مصروفاً إليها وحدها ، ولكن كان موزعاً مولعاً منهوماً بالاستزادة والتبحر فى علوم المعانى والبيان والبديع (علوم البلاغة الثلاثة المعروفة) فهو يعمد أيضاً إلى حفظ أكثر المتون ، ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين ، بل إن المقامات الأدبية واللغوية كانت غايته وبغيته فتوفر على أكثرها حفظاً واستظهاراً .

حفظ رسائل ومقامات بديع الزمان الهمذانى ، والوزير الأديب الشاعر الصاحب بن عباد ، والخوارزمى والزمخشرى وغيرهم وغيرهم .

ولعل أشعر الشعراء عنده ، أقربهم منه وأحظاهم لديه شاعر العربية أبو تمام ، وربما كانت هذه المكانة لأبى تمام عند الشيخ بسبب ولوعه بالبديع الذى لا يكاد يخلو منه بيت من ديوانه .

وبهذه المناسبة قال أبو العلاء المعرى شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء فى نقده للشعر والشعراء : المتنبى وأبو تمام : حكيمان ، والشاعر هو البحترى ... وقد كان هذا الرأى محلاً لنزاع طويل بين الأدباء والنقاد ، لكن شيخنا الجليل كان مصراً على أن أبا تمام هو شاعر العربية المجيد ، فربما كان السبب فى ذلك هو ما أشرنا إليه آنفاً .

كان الشيخ عبد الغنى عبد الخالق يحفظ الكثير والكثير من أشعار العرب سواء فى ذلك الجاهليين أو المخضرمين أو الإسلاميين أو حتى المحدثين المجيدين .

وكانت ذاكرته تعى وتستحضر فى كل وقت وفى أية مناسبة أشعار كعب بن زهير ، ولبيد ، والحارث بن حلزة اليشكرى وطرفة بن العبد ، وعنترة بن شداد العبسى وغيرهم .

لذلك فلا غرو إذا كان هذا الشيخ الجليل موسوعى الثقافة واسع المعرفة ، عميق الإحاطة ... وربما كان السر فى هذه الموسوعية معزواً لثلاثة أشياء :

الأول : الطبيعة الموروثة فى دخيلته من إقبال على العلم والثقافة ، حيث تحدر من سلالة منذورة وموهوبة للعلم والأزهر المعمور الذى شرفه الله تعالى .

الثانية : سكناه وإقامته فى حى منفوح بآلاء روحية حيث يتقاطر عليه ، وينثال إليه ، ويتدافع نحوه علماء الصوفية الكبار من أصدقاء وأحباب أبيه ومريديه ، وحباً فى زيارة مقام السيدة نفيسة ـ رضوان الله تعالى عليها ـ .

كان البيت الكريم قبلة مقصودة ، ومنتجعاً علمياً مشهوداً يضوى إليه ، ويستظل بذراه المشايخ والعلماء وطلاب العلم من كل فج وسبيل ، وحلقات الدرس والوعظ والإرشاد والإفتاء متصلة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

الثالثة وجود مكتبة عامرة جامعة تحتوى فى ثناياها وأطوائها وتجاليدها الأسفار والمراجع والمصادر النادرة فى مختلف فنون العلم والمعرفة كالتفسير والحديث والفقه والأصول والأدب والتاريخ والاجتماع وعلم النفس وعلم المنطق والنحو والصرف والإعراب . كما كانت تحتوى على مجموعة فريدة نفيسة من أندر المخطوطات وأعجبها وأنفسها .

ولئن كانت هذه المكتبة موروثة من أبيه إلا أنه أضاف إليها الجم والجمع الغفير من نوارد الأمهات والمخطوطات التى لا توجد إلا فيها من كتب اللغة والأصول والفلسفة وغيرها ، وهذا ما جعلها مرتادة مقصودة من الدارسين .

* * *

عمل ـ رحمه الله ـ مدرساً فأستاذاً مساعداً ، فأستاذاً ثم رئيساً لقسم أصول الفقه بكلية الشريعة ، واستمر على عمله وأشرافه على رسائل الماجستير والدكتوراه على مدار اثنتين وأربعين سنة من سنة أربعين وحتى قبيل وفاته تقريباً .

لم يكن مثل هذا العالم الجليل ليبخل على أحد من أبنائه وتلاميذه الباحثين والدارسين ، فهو بحلمه وعلمه ، مفتوح القلب والصدر ، وهو فى كل أحواله وأوقاته لم يتوان ولم يقصر عن معاونة أو مساعدة أو مكانفة لمن يقصده فى شيء من ذلك .

هذه الأريحية ، وهذا الكرم والجود والسخاء لم يكن مصنوعاً ولا منحولاً ولا مشكوكاً فيه ، إنما كان سجية وفطرة مجبولاً عليها ، وهذه خلة العالم العامل المخلص لدينه وعقيدته .

أشرف عالمنا الكريم على زهاء خمسمائة رسالة علمية للماجستير والدكتوراه ... وكانت نهمته وغاية طموحاته إخراج وتحقيق عيون كتب التراث ، فعمد إلى عديد من الكتب التراثية ؛ فحققها وشرحها وضبطها ضبطاً علمياً دقيقاً فكان له من ذلك القدح المعلى ، والنصيب الأوفر ، والشقص الأتم .

وبديهياً أن يكون مثل هذا الشيخ الجليل عزوفاً عن الأضواء ، فقد استدبر الشهرة وأشاح عن الشهوة الإعلامية ، وطوى كشحه عن المظاهر الرنانة الطنانة ، مكتفياً بعمله البحثى والتعليمى والإشراف فى صمت دءوب لا يعرف الملال ولا الكلال ولا السآمة .

كان زهد الشيخ وورعه وتقواه مضرباً للأمثال ومثاراً للدهشة والغرابة ، ولم يكن يقدر هذه الخلال إلا عار فى فضله ، من تلاميذه وأحبائه ومريديه .

اختير – رحمه الله – عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، كذا عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

هذا فضلاً عن كونه عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

ثم أنعم الله – تعالى – عليه بأداء فريضة الحج سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وألف .

وقد حصل على وسام الجمهورية للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى ، وذلك فى مناسبة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، وكان ذلك فى السابع عشر من شهر مارس سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف .

وقد أعقب الشيخ الكريم سبعة أنجال : ثلاثة رجال وأربع بنات ، توفيت إحداهن فى الرابعة من عمرها .

ابنه الأكبر هو الدكتور محمد كمال عبد الغنى عبد الخالق ، الذى اشتهر باسم « كمال عبد الغنى » وهو من الأزهريين لحماً ودماً من بنى جلدته حتى النخاع على الرغم من إحاطته بالثقافة الغربية اللغوية وتوسعه فى دراستها ، فهو متخرج فى الأزهر بحصوله على الإجازة العالية منه (ليسانس) ثم الماجستير فى الأدب والنقد ، من كلية اللغة العربية ، ثم عمد إلى الولايات المتحدة الأمريكية فحصل على الماجستير من « جامعة انديانا » فى علم اللغة المعاصر ، ثم حصل على « الدكتوراه » فى علم اللغة العام المقارن من « جامعة تكساس » فى « أوستن » ، حتى أصبح أستاذاً فى اللغويات .

ومن عجب أنه بعد هذه الرحلة والسياحة فى الثقافة والمجتمع الغربى ، إذا حادثته وناقشته فى أمر من الأمور تلمس وتشعر لأول وهلة أنه المثقف العالم المسلم الغيور الحريص على دينه ووطنه وقوميته ولغته العربية وكأن حضارة الغرب الزائفة لم تحرك فيه ساكناً ، والكلام فيه نافلة من القول ، أو ضرباً من التسرية والتسلية والممازحة .

الابن الثانى : الكيميائى حسن عبد الغنى محمد عبدالخالق . وهو متخرج فى كلية العلوم ، ويشتغل بالتدريس فى وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية ، ثم تجرد وتفرغ الآن للطباعة والنشر .

النجل الثالث : هو المرحوم محمد مجد الدين عبد الغنى عبد الخالق التحق بكلية طب الأسنان ، وقد عوجل إلى رحمة ربه ورضوانه إثر حادث أليم فى المملكة العربية السعودية .

أما الشقيقات الثلاثة فقد تخرجن فى الجامعة فى كليات مختلفة ، وتزوجن جميعهن .

* * *

مؤلفات الأستاذ الدكتور عبد الغنى عبد الخالق والكتب التى حققها وأخرجها ونشرها .

– كتاب « حجية السنة » وهو رسالته التى نال بها درجة الدكتوراه « العالمية » من درجة أستاذ .

- تحقيق كتاب : أحكام القرآن للإمام الشيخ أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) جمعه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى النيسابورى ، صاحب السنن الكبرى (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

- تحقيق كتاب « آداب الشافعى ومناقبه » لأبى حاتم الرازى ، وقد زاد الشيخ عليه فوائد وملاحظات وتنبيهات جديرة بالملاحظة والتقدير .

- الطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) .

- تحقيق « منتهى الإرادات فى جمع المقنع » فى مجلدين كبيرين لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى المشهور بابن النجار

- مقدمة حررها لصحيح البخارى بعنوان : « الإمام البخارى وصحيحه » ، وقد نشرها مع الصحيح السيد عبد الشكور صاحب مكتبة النهضة بمكة المكرمة سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف .

- أصول الفقه لغير الحنفية بالمشاركة مع الأستاذ إبراهيم عبد الحميد - والأستاذ حسن وهدان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف الموافق سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف للميلاد .

- بحوث فى السنة المشرفة : نشرت فى مجلة « أضواء الشريعة » الصادرة عن كلية الشريعة بالرياض .

- الإجماع حقيقته وحجيته ، وهو بحث جامع لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياضة .

وهناك غير هذه الكتب النفائس كثير من البحوث الفقهية المنشورة وغير المنشورة مثل « أحكام الرضاع » و « الكلام على حقيقة نكاح المتعة » و « مباحث أصولية فى الحكم والمحكوم عليه » .

ولا يزال أكثر هذه المباحث مخطوطاً ، والمأمول أن ينشر قريباً على أوسع نطاق .

رحم الله شيخنا الجليل وسلام عليه فى الخالدين .

التكريم الأدبي لحافظ إبراهيم عند الإنعام عليه بـ (البكوية)

تتمة

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كان (حافظ إبراهيم) ـ برغم ضيق ذات يده ، ومركزه المتواضع ـ نسبيا ـ فى دنيا الوظائف العامة ، وخاصة فى مستهل حياته ، وعدم انتمائه أو احتمائه بحزب سياسى ما ، يشد أزره ، أو يوطّد مركزه الاجتماعى ، وتصدِّيه للاستعمار وأعوانه ، فى ذلك الحين .. كان على الرغم من ذلك كله شديد الإحساس بمصريّته ، وانتمائه العميق لشعبها وتاريخها ، وقُوام وجودها بصفة عامة ..

ونستطيع أن نتبين ذلك بجلاء ووضوح ، فى قوله . متهدِّجا ، فى نجوى مصر ، وطنه الحبيب ، وهى تُعانِى من وطْأة ربْقة الاحتلال البريطانى :

إنى لأحمل فى هواك صبابــــــــــةً يا مصـــرُ ، قد خرجتْ عن الأطْــواق
لهْفــى علــيك .. متــى أراكِ طليقــة يَحمــى كريـــمَ حِمـــاك شعبٌ راق

وقوله من قصيدة أخرى :

لعمــــــــرك ، ما أرقْتُ لغير مصر ومـــــالى دونها أمـــــــلٌ يُرامُ

وقوله بلسان مصر الخالدة بقصيدته (مصر تتحدث عن نفسها) :

وقـــف الخلـــقُ ينظـــرون جميعـــا كيـــف أبْنِــى قواعـدَ المجد وحـــدى

وبنـــاة الأهـــرام فى سَـالـــف الدهْـــرِ .. كَفَـوْنى الكـــلامَ عنـــد التحـــدِّى
أنـــا تاج العـــلاء فى مفـــرق الشَّـــرْ قِ ... ودُرَّاتـــــهُ فِرائـــــدُ عِقْــــدى

● ● ●

وحينما وقعت مأساة دنشواى ، انطلق مهتاجا ، يُندد بمحاكمة ضحايا دنشواى الظالمة ، متحديا عناصر الاحتلال وأعوانه ، القابضين على أزمة الأمور فى مصر :

ليت شعرى ، أتـــلك « محكمـــة التَّفْتـــيش » عادتْ ، أم عهـــد (نيرون) عادا ؟

ثم يلتفت بغضب عارم إلى موقف (المدعى العام) المصرى ، بجرأة نادرة ، أثناء (المحاكمة) ، أو .. المهزلة ، فَيستَتلِى قائلا :

أيها المدعـــــى العمومُـــــى مَهْـــــلا بعضَ هذا ، فقـــدْ بَلَـغتَ المُـــرادا
قد ضمِنَّا لك (القضاءَ) .. بمصر ! ؟ وضَمِنَّـــا لنجْــــلِكَ الإسْعـــــادا ؟ !
فإذا مَا جَلَسْتَ للحُكـــم ، فاذكُـــــرْ عهدَ (مصر) .. فقد شفيتَ الفؤادا !

ثم يقول أنينا :

لا جَرَى النيـــل فى نواحـــيك يا مصـــــــرُ ، ولا جَادَكَ الحَيـــا حيث جادا
أنت أنْـــبَتِّ ذلك النَّـــبْتُ يَا مصــــــــر ، فأضْحَـــى علـــيك شوكا قتـــادا

ثم يقول ، مصرحاً مرة أخرى ، فى مخاطبة المدعى العمومى ، بما سيسجله عليه التاريخ من مَهَانة وخزى وشَنار :

أنتَ جلَّادُنــــا ، فلا تنسَ أنَّـــــا قد لبِسنـــا ـ على يديك ـ الحدادا ..

● ● ●

هذه المواقف الوطنية الفذة الشامخة ، كانت ببال الشعراء المحتفين بحافظ سنة ١٩١٢ ، وأشار إليها (مطران) فى قصيدته التى ألقاها فى الحفل ، بقوله :

أيُـــقضَى برأى ؟ فهـــو أبـــيض صارم مضى فى حواشى رائـــع الخطب أسودا
أيُطْعـــن فى شيْـــن ؟ ، فإنك واجِـــدٌ دَمـــا وصَرِيعـــا .. والزِّنـــادا المسدُدا

ويقول (طانيوس عبده) ، صاحب مجلة (الراوى) له أيضا :

سموْتَ ، من قبل أنْ تسمو بك الرُّتبُ فَلَـــمْ يزدْكَ عُلُـــوا ذلك اللـــــقبُ
فمـــا انتجـــاعك لعُـــوَا لمجد تطلُبُـــــهُ وبـــيت شعـــرَك بالشِّعْـــرى له نَسَب

إلى أن يقول ـ وكأنه يندد أو يسخر من الذى منح حافظا لقب (البكويَّة) ـ :

لا يَخلُـــدُون بألقـــاب منمقـــــة وأنت أخلـــدُ مَنسوب إذا انتسبـــوا
لكنها خَطَـــراتٌ من وَسَاوسهـــــم لا يُوهَبُ المجدُ إن المجدَ يُكـــتسب

ثم يختتم أبيات قصيدته ، بقوله :

إنِّــى أُهَنِّــيكَ ـ لا بالثــوب تلــبسه ... وقد توشَّى[1] ، وأمسى وَشْيهُ الـــذهبُ
بل للقــريض ، وقـــد أُغلـيْتَ رُتْبَتَــه ... ما بيننا .. فَعَدَتْ من دُونِــه الــرُّتب

● ● ●

ويقول عنه زميل كفاحه (عبدالحليم المصرى) ، ثورة نفسه :

.. وشاعـــر لو رَمَــى ماءَ المحيـــط بما ... فى نفسه .. ردَّه بحرا من اللـــــــهب

ثم يخاطب (حافظا) بقوله :

يا شاعـر النيـل ، أرْهِـفْ كلَّ مُصْلَتَــةٍ ... واركَبْ جوادَكَ فى الميــدان واحْتــربِ
إن الكنانـــــة فى حاجٍ إلى رجــــــل ... متى دعـــا أهلُهـــا فى صالـــح يُجبِ
.. بالـعُتِّ فى المجد ، حتى حُزْتَه رُتبـــا ... تُغنـــى بِنِسْبتها عن هذه الــــرُّتب
وهـل يزيـد الفتـــى فى فَضْلـــه لَقَبُ ؟ ... إنّ لم تكـنْ لقبا ـ ذكراه ـ لِلَّـــقَبِ ..

ويقول أحمد محرم ، شاعر (الإلياذة الإسلامية) :

أ (حافـــظ) أنت للآداب ذُخْـــرُ ... نؤمِّلُـــهُ ، لدفــــع العاديــــاتِ
لك الكِلَــمُ الــوضاء تشبُّ حُسْنـــا ... وتـــذهب فى النُّهـــى مُتغلغــــلات
.. ألا إن الشعـــوبَ بنــــا بغيها ... فإن ذهبــوا .. مضتْ فى الذاهبـــات

● ● ●

ويحييه وليُّ الدين يكن ، بقوله :

أ (حافـظ) إن العَصْرَ يزهــو بأهلــه ... كما الأفْــق يزهُــو بالنجــوم الطوالـــع
نَهَضْت بِهِ فى دولـــة الشعــــرِ نهضة ... لهُ أرْجَــعَتْ ما خِلْتُـــه غير راجــــع
بدائع فكـــرٍ ، قد تعالتْ ، فأصبحتْ ... مُنزَّهــــة عن نَعْتها ، بالبدائـــــع

● ● ●

(١) كان لرتبة (البكوية) ملبس خاص يهدى لمن أنعم عليه بها .

والشاعر (أحمد الكاشف) ، ينأى عن الإسراف فى المعانى التقليدية المعهودة للتهنئة التى تقتصر على التنميق والتزويق والتمدُّح .. ويذكر (الكاشف) المحتفين ، بحقيقة معاناة (حافظ) ، التى لا يعرفُها إلا القلة من أصْفيائه ، وهو ـ أى الكاشف ـ منهم :

أنسَيْتُمُوه لياليا مَرَّتْ وبصُحْبةِ الأحرار .. وَهْى نُحُوسُ
أيامَ يَضْحَكُ للرفيق تجملا وفؤاده جمُّ الهموم عبوس
يشكو مُعالجَةَ المعالى والغِنى وكلاهما غالٍ لديه نفيس

إلى أن يقول واصفا منزلته بين الشعراء :

قد كنْتُ بُلْبُلَهم وأنت اليوم فى حُللِ العُلى ، وحُلِيِّها ، طاووس

● ● ●

ثم وقف تجاهه ـ كما تصف مجلة سركيس ذلك ـ الدكتور شدودى ، طبيب الرمد ، وأنشد قصيدته التى يذكر (حافظا) فيها ، بذكرياتهما معا ، حينما عملا فى خدمة الجيش فى السودان ، فقال مُداعبا وواصفا واقع الحال :

لا تنسَ قيظا مُحرقا فى شهر كانون (شَوَاكْ(*))
لا تنس ساعات المكَا رِهِ .. فى المَعَامع والعراك
واذكر هنالك عِثْيراً(**) عرفت أذاه مقلتاك

● ● ●

واذكر إدامَ الجيش مِنْ عَدَسٍ و (فُولٍ) أسقماك
لا لحْم ضأن ، أو فِرا خٍ .. زار فى السودان .. فاك !

● ● ●

لا تنْس سيْرا فيه ينقطع التنفس و (الشِّراك)(٢)
أنسيتَ صَيحات الرئيس متى بلا عمل رآك ؟
تلك الليالى السُودُ قد وَلَّتْ ، كما ولى صِبَاك

(*) من الشى : شوى يشوى شيًا .

(**) العِثْيَرْ : الغبار .

(٢) لعله يعنى بلفظة (شراك) : ـ شراك النعل .

ثم يختتم قصيدته الطريفة تلك التى تكشف بعض ما عاناه (حافظ) أثناء عمله فى السودان بقوله :

واليـــــــومَ لذ بمعيشـــــــة كانت قُصَارى مُشتهاك
واحْـــــــرصْ على ودِّى ، ولا تَشْمـــــخُ بأنـــفك للسّـمــــاك
أنـــــا رَهـــــن فضلك ما حيـــيت ، ولا سبيـــــل إلى الفكـــــاك
أنـــــا مِنْ أحِبـــتك الألَـــــى يتألبـــــون على عِـــــدَاك
وأنـــــا أخـــــوك ، فإنْ تَنَـــــلْ أقْصَـــى العُــلا .. فاذكــر أخـــاك(٣)

وأنشد (نعيم شقير) الأبيات التالية ـ التى نظمها أثناء انعقاد الحفل ـ وأبى إلا أن يمتدح (شوقى) ـ فى مجال امْتداح (حافظ) الأولى بالرعاية فى حفل تكريمه ـ فقال فى (شوقى) ـ بدلا من حافظ ، وكأنه كان يقرأ ، بظهر الغيب ، ما آل إليه أمْر الشاعرين ، فيما بعد ، (حافظ وشوقى) :

وأنت الأمير ـ بكـــــل المعـــــانى ـ إذا ما الرجـــال أحَبُـــوا الـــــنَّسَب
أمير الخصال ، أمير الفعــــــــــال أمير المقــــــال ... أمير العـــــــرب

إلى أن يقول ـ وكأنه يعنى بـ (الفتى) الشاعر حافظ إبراهيم !! .

لئـــــن كان قول (الفتـــــى) فضة فقـــولك ـ فى مذهبـــــى ـ من ذهب
إلا إنها هِبَـــــــــــةٌ مِنْ عَلِ فسبحـــــــــان ربى على ما وَهَب(٤)

● ● ●

كما قال (محمد حمدى النشار) ـ والد الشاعر الراحل عبداللطيف النشار ـ ، مُخاطبا حافظ إبراهيم :

سمعتُ تهانىء الأقــــــــــلام والقرطـــــــــاس والكـــــــتب
أحافــــــظ يا كريم الطَّبْـــــــع والأخـــــــلاق والحَسَـــــــب

---

(٣) يذكرنا الشاعر فى هذا البيت ، بقول القائل :

إن الكـــــرام إذا أيسروا .. ذكــــــروا من كان يألفهـــــم فى الموطـــــن الخشن

(٤)وإن كان قد قال من قبل ـ فى ذات القصيدة ـ عن حافظ :

لئــــن ألـــــبسوا (حافظـــــا) رتبـــــة وقــــد طوقـــوا جيـــده بالـــــقصب
فقـــد ألـــبس الـــفضل ـ من قبلهـــم ـ عقـــــود المعـــــانى وحلى الأدب

بعد مخاطبته لحافظ ، بقوله :

.. فقـــد ألـــف الشعـــر منك الـــورى كما ألـــــف الخلـــــق نور الشهب
وذكـــــرك شاع بكـــــل البـــــلاد فى مصر والشام حتـــــى حلب

تحيـــــــة مخلص تُهـــــــدى إلـــــيك على يد السُّـــــحُبِ
مُوَشَّـــــاةٌ بإخـــــــلاص كوشْى الثـــــوب بالـــــذَّهَب
.. ومــــا أدرى ... أتعرفنــــــى ولـــو بالإســـم واللـــقب ؟ ..
فمـــا سَمَـــحتْ لِى الأيـــــا مُ .. أنْ ألْقـــــاك عن كثب
.. ولكـــنْ بيننـــا صِلَـــةٌ من الآداب .. كالنَّسَــــــب
دَعَتْ شــعـــــرِى فَلبّاهــــا بلا كَـــــدٍّ ولا نَصَــــــب
ستبقـــــى مصر حافظـــةً لذكراهـــــا إلى العُــــــقُبِ
وتبقَـــى حفلـــةُ التـــكريـــمِ غُـــــرَّةَ عصرهـــا الذهبـــى

وقد صدقتْ نُبُوءة (محمد حمدى النشار) ، فها نحن ـ معشر العُقُب ـ قد تذكرنا هذا الحفل التكريمى لشاعر النيل ، حافظ إبراهيم ، بعد أن يسر الله تعالى لنا وجوده فى بطون الدوريات القديمة (سركيس سنة ١٩١٢) ، وغيرها بفضل تشجيع وتَحبيذ الأستاذ الدكتور على الخطيب ، لمثل هذه البحوث الجادة ، والجاهدة المتعمقة . إثراء للدراسات الأدبية فى شتى مَظَانِّها ..

وبقى أن نُثْبت قول (حافظ إبراهيم) للمحتفين به ، فى ختام الحفل المذكور :

ملكْتُـــمْ علـــىَّ عنـــانَ الخُـــطب وجُـــزْتم بفضْلِـــى سماء الـــرُّتب
فمـــن أنـــا بين ملـــوك الكـــلام ومـــن أنـــا بين كرام الحسب ؟
أتسْعَـــى إلـــىَّ حُمـــاةُ القـــريض وتمشى إلـــىَّ سُراةُ العـــرب
وتـــنثر فِىّ عقـــودُ الجُمـــان ويُـــنْثر فوق نثـــار الـــذهب
وأكْـــرم حتـــى كأنى نَبَـــغْتُ وقـــمتُ لمصر بما قد وجب ..

إلى أن يقول :

ومـــا أنـــا إلا امـــرؤ شاعـــر كثير الأمـــانى .. قليـــل الـــنشب
يقـــول .. فيُطْـــرب أترابـــه ويقنـــع منهم بذاك الطـــرب
.. تعلـــقت حينـــا بذيـــل البيـــان وأدخـــلت نفسى فيمـــن كتب

ويقول ، بعد ذلك ، بتأثر عميق ، وتواضع جم :

فلا السبـــق لى فى مجال النهى ولا لى يوم الفخـــار الغـــلب
ولا أنـــا من عليـــة الكاتـــبين ولا أنـــا بالشاعـــر المنتـــخب

ولكـــن سما بى عطـــف (الأمير) ورأى الوزيـــــر[٥] وفضل الأدب
ومـا كنت أحلـم ـ لولا الوزيـر ـ بهذا الهنـاء وهـذا (اللـقب)[٦]
تفيَّـأت منـه ظلال النـعيم وأصبحت أعرف لبس (القصب)[٧] !

وقد نشرت جريدة (المؤيد)[٨] ـ فى حينه ـ مقالا ضافيا ـ قبيل (الحفلة الأدبية) لتكريم حافظ ، جاء فيه : « ليست الحفلة التى ستقام يوم الجمعة فى فندق كونتيننتال ، مظرا لفرح المحتفين بالرتبة الثانية : (البكوية) ، التى أنعم بها على مُستحق لها .. فإن هذه الرتبة يُنعم بها ـ فى كل عام ـ على مئات من الناس ، ولا ينال صاحبها أكثر من تهنئة بكلمة .. ولكن هذه الحفلة سيقيمها المحتفون بها ، رمزا على مكانة الأدب فى مصر ، لأن حافظا لم تكن له واسطة تشفع له عند وُلاة الأمور ، غير أدبه .. الذى جعله فى صف البؤساء ، زمنا غير قليل ..

إلى أن تضيف (المؤيد) :

« نعم .. إن اسم (حافظ إبراهيم) من الأسماء الكبيرة ، التى قد تشعر بالتنزل إذا أضيف إليها مميز آخر » .

وقد صدقت (المؤيد) فيما قالت ، ولو لم تكن منزلة حافظ بهذا السمو ، لما اختار (شوقى) ـ بعد نفيه ـ حافظا بالذات ، حينما أرسل إليه ـ نيابة عن (ساكنى مصر) ـ يقول :

يا ساكنـى مصر إنـا لا نزال على عهد الوفاء ـ وإن غبنـا ـ مقيمينـا
هلا بعثتم لنـا من ماء نهركمـو شيئـا نبـل به أحشاء صادينـا
كل المناهـل بعـد (النيـل) آسنـة ما أبعـد (النيـل) إلا عن أمانينـا

وأجابه (شاعر النيل) .. حافظ إبراهيم بقوله : (من نفس البحر والقافية) :

عجبت للنيـل .. يدرى أن بُلبُلـه صاد .. ويسقـى ربى مصر ويسقينـا
والله ما طاب للأصحـاب مورده ولا ارتضوا فى عيشهـم لينـا
لم تنـأ عنـه ـ وإن فارقت شاطئـه وقـد نأينـا .. وإن كنـا .. مقيمينـا

رحم الله حافظ إبراهيم رحمة واسعة ...

---

(٥) يعنى بالوزير حشمت باشا وزير المعارف .

(٦) اللقب : يعنى لقب (البكوية) الذى أنعم عليه به .

(٧) القصب : يعنى البذلة أو الحلة الموشاة بالذهب التى سينعم عليه بها .

(٨) أنظر (مجلة سركيس) العددان ١٢ ، ١٣ من السنة السادسة الصادران فى ١٥ يونيو سنة ١٩١٢ و أول يوليو سنة ١٩١٢ ص ٣٣٣ .

قراءة في كتاب

د. محمد عبد الحكيم محمد

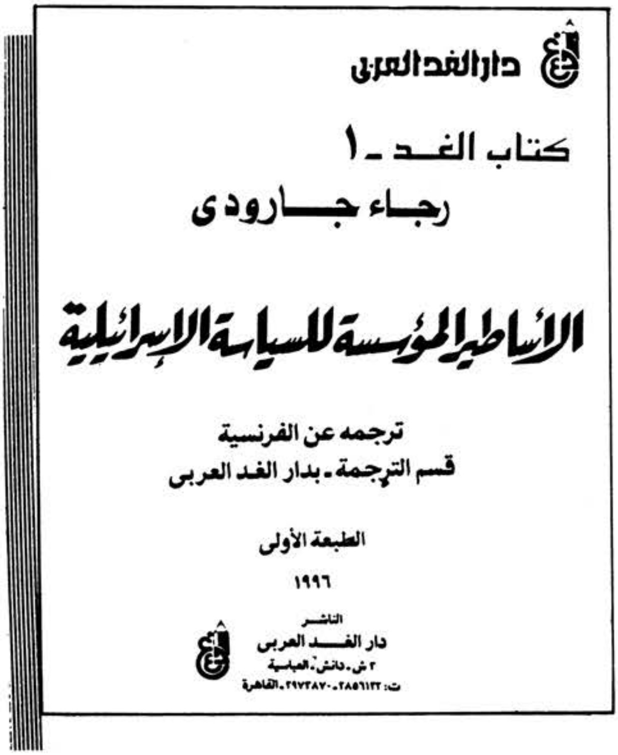
دار الغد العربي

كتاب الغد - ١

رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ترجمه عن الفرنسية

قسم الترجمة - بدار الغد العربي

الطبعة الأولى

١٩٩٦

الناشر

دار الغد العربي

٣ ش. دانش - العباسية

ت: ٢٨٥٦١٣٢ - ٢٩٧٢٨٧٠ - القاهرة

جارودى فى سطور

● أديب فيلسوف فرنسى بارز .

● ولد عام ١٩١٣م لأبوين بروتستانتيين .

● اعتنق الماركسية فى شبابه وتدرج فى الحزب الشيوعى حتى صار عضواً باللجنة المركزية للحزب ، ثم دخل مكتبه السياسى عام ١٩٥٦م .

● تخلى عن الشيوعية وألف كتاباً فى نقدها بعد أن اتضح له زيفها وقصورها وعاد إلى النصرانية ، وأخذ يبحث عن الحقيقة .

● شغل عدة مناصب فى فرنسا ، فكان نائباً فى البرلمان بين عامى ١٩٤٥ - ١٩٥١م ، ثم رئيساً للمجلس الوطنى الفرنسى من ١٩٥٦ - ١٩٥٨م ، ثم عضواً فى مجلس الشيوخ من عام ١٩٥٩ - ١٩٦٢م .

● كشف عن كنه النصرانية ، وعن دور الكنيسة الكاثوليكية من قضية فلسطين وارتباطها بأحلام وتضليل الصهيونية .

● بعد دراسة متأنية ، أعلن تركه للنصرانية واعتناقه للإسلام عن تأمل وملاحظة واقتناع .

● فى ١١ رمضان ١٤٠٢هـ الموافق ٢ يوليه ١٩٨٢م أشهر إسلامه بالمؤسسة الإسلامية الثقافية بجنيف بعد قرابة نصف قرن من البحث ، واستبدل اسمه «روجيه» بـ «رجاء» .

● أحدث إسلامه ضجيجا هائلا فى العالم الغربى بشكل عام وفى فرنسا بشكل خاص .

● تزوج من عربية فلسطينية مسلمة من عائلة معروفة .

● ألف كتباً تجاوز .. العشرين فى معالجة قضايا الإسلام والحضارة الغربية .

● أسقط العقيم من المعتقدات والفلسفات بمحاربته طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية التى قامت فى إسرائيل على حساب الحق العربى .

والحق أن هذا الكتاب جدير بالقراءة فهو لمفكر له وزنه وقيمته برغم الحملة التى يثيرها البعض فى العالم العربى للغض من قيمة جارودى ؛ فإنه أعلن إسلامه ، وعقيدته بينه وبين ربه لكننا نقدر له دوره ككاتب فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية ، وجاء عمله هذا دعامة للحق العربى المغتصب .

فشكراً له حيث نادى بالحق ووقف إلى جوار الحقيقة والتزم بمنهجية البحث العلمى حتى لا نحيا وسط أساطير صُنعت ووظـفت لأهـداف عنصرية .

يفتح «جارودى» فى هذا الكتاب ملف «خرافات السياسة الإسرائيلية وأكاذيب الدعاية الصهيونية للمزاعم الصهيونية فى بلاد تسيطر عليها الدعاية الصهيونية والتخطيط للفكر حتى فى مجال البحث العلمى داخل الجامعات ، وبين ظهرانينا من ذاق من هذا العنت حتى انهارت رسالته ، وفى أوربا وأمريكا يستطيع الإنسان أن يهاجم الأنبياء والديانات والرسالات ، وينعم ببسط حماية الغرب عليه بحجة حرية التعبير والاعتقاد ، ولكنه لا يستطيع أن ينتقد السياسة الإسرائيلية .

وعلى الرغم من أن الكتاب لم يمس عقيدة اليهود الدينية ، إنما ركز على مزاعم الصهيونية ، إلا أن مؤلفه حوكم فى باريس بتهمة معاداة السامية واليهودية ، وتبنت الدعوى ضده منظمة صهيونية تحمل اسم « منظمة مكافحة العنصرية والصداقة بين الشعوب » .

وهكـذا قامت الدنيـا ولم تقعـد على « جارودى » لأنه جهر بالحقيقة ، حقيقة أن كل ما تدعيه الصهيونية زيف وبهتان وأساطير خرافية ما أنزل الله بها من سلطان ، فصار فى نظر الغرب مَاسّاً لقدس الأقداس ، ولكن « جارودى » يواجه هذه العاصفة الهوجاء برباطة جأش نادرة غير مبال بالحكم عليه ؛ إذ يكفيه أنه قال الحقيقة .

وفى مقدمة الكتاب تجد هذا التنويه بقلم جارودى نفسه : « إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية ، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية التى يدافع عنها الآن قانون « جيسوفايوش » الغاشم ، الذى صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠ ، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث ، وجعلت منها قانوناً قمعياً يعوض ضعف الحجج » .

ولم يكن جارودى أول الذين غامروا بتجاوز الخط الأحمر وتفنيد المزاعم الصهيونية المتعلقة بعدد ضحايا اليهود فى ظل النازيـة ، ومبالغـات أفران الغاز ، وإنما سبقه آخرون يشكلون طابوراً من المثقفين والباحثين الذين واتهم شجاعة مماثلة

فكلفهم ذلك الكثير ، فمنهم من ضاع مستقبله العلمى ، ومنهم من قطع رزقه وغُلقت الأبواب فى وجهه ،ومنهم من ألقى فى غياهب السجون .

حاول جارودى فى هذا الكتاب أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونية ، وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية ، فقام بتفنيدها بالحجج والوثائق التاريخية مما أثار عليه حرباً ضروساً تم فيها تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده وضد من سانده مثل : الأب « بيير » المعروف فى فرنسا بالشجاعة والدفاع عن الفقراء والأجانب .

محتوى الكتاب

يحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء ويتكون كل جزء من عدة أقسام ، فضلًا عن مقدمة وخاتمة ، ويقع فى ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط .

ففى المقدمة : يوضح المؤلف أن كتابه معنىٌّ بتاريخ الهرطقة[1] ، وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزل ، وأن هذا هو التطرف والمرض القاتل ، وأنه ــ فى هذا الكتاب ــ يفضح الأساطير التى قامت عليها السياسة الإسرائيلية ، ويشجب ما فيها من هرطقة[1] سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل .

يقول جارودى :

« وأنا أحارب هذه النزعة الآن لدى اليهود فى كتابى هذا مجازفــاً بأن أثير ضدى عواصف الصهاينة ــ الإسرائيليين ــ الذين لم يعجبهم أن يذكرهم الحاخام هيرش بأن « الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودى كيانا قوميا .. وتلك هى الهرطقة » .

مفهوم الصهيونية

ويوضح جارودى أن الذى يدينه ويفضحه علناً فى كتابه هو « الصهيونية » وليست « الديانة اليهودية » ، ثم يتساءل عن حقيقة هذه الصهيونية ويرى أنها عرَّفت نفسها بنفسهاــ مسنداً تعريفه بالمصادر العلمية ــ بأنها :

١ ــ عقيدة سياسية منــذ عام ١٨٩٦م ارتبطت بالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل .

٢ ــ وعقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوربية فى القرن « ١٩ » ، ولم ينتسب مؤسس الصهيونية « هرتزل » إلى الدين .

٣ ــ ثم هى عقيدة استعمارية كما سبق أن أعلن « تيودور هرتزل » عن أهدافه من أجل ايجاد دولة يهودية .

« ومعروف ــ حينئذ ــ أنه لا أرض لتلك الدولة ، ويعنى ذلك اغتصاب أرض لها ، وهذا عين الاستعمار » .

---

(١) الهرطقة فى الفرنسية Hérésie تقابل الزندقة فى العربية أى الإلحاد .

وبعـــــد أن بين « جارودى » خصائص الصهيونية الثلاث : عقيدة سياسية ، وقومية ، واستعمارية : أسسها هرتزل وطبقها تلامذته وفقا لأساليبه ؛ أكد أنها لم تكن بأى حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية ، ويختم مقدمته بأن ما قدمّه فى كتابه عن الجريمة الصهيونية يسير فى امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومناصرتها ضد الصهيونية القبلية .

الأساطير اللاهوتية

فى الـــقسم الأول من الكتـــاب تنـــاول « جارودى » : الأساطير اللاهوتيـــة وهـــى الخرافات التى روجت لها الحركة الصهيونية مستندة إلى تأويل التوراة والعبث بنصوصها وأهمها :

١ ـ أسطورة الوعد :

ويـوضح فيها خرافـة أرض الميعـاد « أرض موعـودة أم أرض مغتصبـــة من فلسطين ؟ » ويستشهد بنصوص توراتية كثيرة تكشف جذور هذه الخرافة وتؤرخ لها فى التفسير المسيحى وفى التفسير اليهودى ، ويصل بذلك إلى فساد الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حالياً هو تحقيق لنبوءة توراتية .

٢ ـ أسطورة الشعب المختار

وينقل من سفر الخروج : « كذا قال الرب : إسرائيل ابنى البكر » ٤ ـ ٢٢ ، وكـذلك : روايات توراتية أخرى تدعم هذه الأكذوبة بما يجعل هذا الشعب هو القدوة فى العالم ، تسانده الكنائس ـ ومـن ورائهـا كل العـالم الغـربى ـ متضامنة معه حيث أنها مكلفة بالرسالة نفسها .

وبهذا الخلط المستمر بين إسرائيل الواردة فى التوارة ، ودولة إسرائيل المعاصرة ؛ فإن الأخيرة تمكنت من مواصلة القيام بدور الوكيل للاستعمار الغربى الجماعى ، وهو يفسر الأموال الطائلة التى تتلقاها من الخارج خاصة من الولايات المتحدة ومن الشبكة العالمية للصهيونية التى تمثل أهـم مواردها المالية .

٣ ـ أسـطورة يشـوع

وفيه يناقش الاستخدام « الذرائعى » للروايات التوراتية التى ما انفكت تؤدى دوراً حاسماً فى تغطية العمليات الدموية ، وهو يقدم لهذا الفصل بهذا الخبر « فى ٩ أبريل ١٩٤٨ أباد مناحم بيجين ومعه وحدات أرجون العسكرية سكان قرية (دير ياسين) البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفال » .

وجارودى حين يسرد يفسر تعداد عمليات الإبادة التى يصفونها « بالمقدسة » التى وقعت فى الضفة الغربية وغيرها بمبدأ التطهير العرق .

هذا التطهير الذى يمارس بشكل منتظم فى دولة إسرائيل بهدف النقاء العرق ، والذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دنس من دماء الآخرين عن طريق المصاهرة بالشعوب الأخرى تلك التى مقتها الرب كما يدعون .

ثانياً : أساطير القرن العشرين

وفى القسم الثانى عالج « جارودى » الخرافات التى روجت لها الصهيونية خلال القرن العشرين ، وهى أربع أساطير :

١ ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية .
٢ ـ أسطورة محاكمات نورمبرج .
٣ ـ أسطورة الملايين الستة .
٤ ـ أسطورة أرض بلا شعب .

ففى الأسطورة الأولى : دحض الزعم بأن الصهيونية ضد الفاشية ، فقد استقرأ « جارودى » التاريخ ، واستشهد بقرائن تدل على التواطؤ الصهيونى مع حكومة ألمانيا المعادية تماماً لليهود فى عصر الفاشية الهتلرية والموسولينية وذلك من خلال :

التعاون السياسى القائم على الاعتراف الألمانى الرسمى بالزعماء الصهاينة كممثلين وحيدين للطائفة اليهودية ، والمساعدة فى إنشاء الدولة اليهودية بفلسطين .

والتعاون الاقتصادى بإنشاء شركات استيراد وتصدير فى تل أبيب وبرلين ، إلى أن بلغت سياسة التواطؤ ـ بينهما ـ ذروتها عام ١٩٤١ بمناداة مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين ومن بينهم « إسحق شامير » بتحالف هتلر ، مع ألمانيا النازية ضد بريطانيا .

وفى الأسطورة الثانية : تعرض الأسطورة العدالة التى أخذت مجراها فى « محاكمات نورمبرج » ، تلك التى اقتصَّت من رموز النازية بوصفهم « مجرمى حرب » بعد هزيمة ألمانيا فى ١٩١٨ وإجبارها على دفع تعويضات حرب باهظة أدت إلى انهيار الاقتصاد الألمانى فى ذلك الوقت ، فضلًا عما تبع ذلك من خلق روح الحقد الشديد ضد زعماء النازية والألمانية ، وجارودى يريد الوصول إلى أن محاكمات نورمبرج ، لم تنبثق عن محكمة دولية محايدة ؛ بل عن محكمة عسكرية استثنائية تشكلت من الحلفاء المنتصرين فى الحرب باعتراف « جاكسون » النائب العام الأمريكى .

ومن ثم نفت المحكمة المسئولية عن المنتصرين وحكمت فيما اقترفه المنهزمون ، لذا لم يقف تشرشل ولا ترومان ولا ستالين وغيرهم من مجرمى حرب الحلفاء فى قفص الاتهام بـ « نورمبرج » .

محاكمة أوشفيتز والصابون البشرى

كما تعرض لمعسكر « أوشفيتز » وشكك فى قصة إبادة آلاف اليهود « بغرف الغاز المتنقلة » بهذا المعسكر من خلال مئات وآلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل ، لعدم وجود دليل إثبات واحد لها ، كذلك شكك فى قصة « الصابون البشرى » المصنوع من الدهن اليهودى الصافى المستخرج من جثث ٩٠٠,٠٠٠ يهودى ، مبيناً خرافة هذه الإشاعة . مقدماً الدليل على عدم وجودها البتة .

وفى الأسطورة الثالثة : شكك جارودى فى أسطورة « الستة ملايين يهودى » الذين أبيدوا جماعياً على أيدى النازية ، انطلاقاً من مفهوم

« الهولوكست » وهو اسم فيلم يعرض هذه المأساة بشكل يضفى عليها قدسية لا يمكن معها مقارنة هذه الجريمة بجريمة أخرى من جرائم النازية .

على أن ما قدمه « جارودى » من وثائق وتقارير تشكك فى هذه الأسطورة قد أثار حفيظة اليهود لإضفائهم طابع القداسة وحظر المناقشة على رقم « الستة ملايين » بسبب قانون « جيسو » الفرنسى الذى يسجن المتشككين فى هذا الرقم .

وفى الرابعة : تناول « جارودى » أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » تلك المقولة الزائفة التى اتخذت ذريعة لاحتلال فلسطين .

وفى الجزء الثـــالث والأخير : كشف « جارودى » النقاب عن الاستخدام السياسى للأساطير وكيفية توظيفها انطلاقا من الدور الذى يقوم به « اللوبى » الصهيونى فى الولايات المتحدة وفرنسا وكذلك تناول شائعة « المعجـــزة الإسرائيلية » المعتمدة كلية على التمويل الخارجى فى شكل منح ومعونات وصكوك وسندات معظمها من الولايات المتحدة .

وفى الخاتمة : ينتقد « جارودى » توظيف الأساطير لأنواع السيطرة والاستعمار والمذابح ، ويرى أن الاستخدام الأمثل للأساطير هو الذى يستهدف رقى الإنسان وإيقاظه .

ويعود جارودى ليؤكد أن نقده للتفسير الصهيونى للتوراة و« الأسفار التاريخية » ــ سفر يشوع وسفر صموئيل وسفر الملوك ــ لا يمس بحال : التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية ، وينفى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود ، مؤكدا أنه يقف فقط مع الحق والحقيقة .

من جوامع الكلم فى الأذكار

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك .●

جمع هذا الذكر بين التسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار والتوبة

بقية موضوع قراءات جادة ص ١٥٤٥

وكل هذا ــ وغيره كثير ــ من أجل حماية المجتمع من هذه الجرائم المدمرة للأخلاق والسلوك ، مما يبعث على القلق والاضطراب النفسى .. وهذا بلاشك مما يعوق مسيرة المجتمع نحو العمل ، والإنتاج ليمض الجميع فى أمن وسلام ..

وعن مكافحة الجريمة فقد أطلق عليها الإسلام « الضرورات الخمس » وهى النفس ، والمال والعقل والعرض والدين ..

قراءات جادة

عرض وتقديم الأستاذ/ عثمان الجوهرى

إن عالمنا اليوم يعيش فى نكسة لا تليق بالإنسان الذى كرمه الله ـ سبحانه ـ وتعالى وفضله على كثير من خلقه وسخر له نعمه ظاهرة وباطنة والله سبحانه لم يستخلف فى الأرض ملائكة ولا شياطين ، وإنما استخلف الإنسان وجعله أهلا لهذه الخلافة العظمى لتكون وفق المنهج الذى حدده الله ـ عز وجل ـ فلا يحيد عنه فيفجر ما فى الإنسان من طاقات إبداعية لعمارة هذا الكون الرحب .

لقد وضع الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمام الإنسانية وعدا بالحسنى للذين سيتبعون هديه ، ووعيداً بالشقاء والهلاك لمن يعرض عن هداه ثم جاءت رسل الله تبلغ الناس فمنهم من أطاع فأفلح ومنهم من أدبر فخسر .. لذلك فإن الإسلام وحده هو الذى يملك صيغة الوفاق الإنسانى العالمى ، يملكها منهجاً وسلوكا وأمامنا التاريخ خير شاهد .

تناول المؤلف ـ فى دراسته القيمة ـ النفى القاطع لاتهام الإسلام بالعنف والإرهاب لأن رحابة صدر الإسلام واحتوائه مبادىء قويمة للتعايش السلمى العالمى ؛ بل ولجميع الشعوب مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية وأجناسهم ؛ وبالتالى يمكن أن يعيش جميع البشر فى ظلها فى سلام وأمن وطمأنينة ، فالكل يعيش فى سلام دون أن يضيق الإسلام ذرعاً بأحدهم وهذا مالا وجود

له فى أى نظام آخر على وجه الأرض .

منهج الدعوة

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحدد منهج الدعـوة فى الإسلام وقيامـه على التبليـغ والتوضيح على أن يتم ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة مع عدم الإكراه ، وليتم فى إطار سلمى وعلى الداعية نفسه أن يكتفى بالبـلاغ الهادى الواضح وبالسلوك الحميد كقدوة .

إن الدعاة لا يلامون على بقـاء الضال على ضلاله ، أو حتى الكافر على كفره وإنما يلامون فقط عن تقصيرهم فى البلاغ الواضح المبين .

وهذا التوضيح يتم بعيداً عن العنف أو الإرهاب أو الإكراه فالدعاة واجبهم البلاغ والتوضيح والله ـ جل شأنه ـ هو ـ وحده ـ المختص بالحساب وليس فوق ذلك عدل ورحمة .

وإذا كانت هنـاك محاولات آثمة من بعض خصوم الإسلام وقولهم : إنه دين إرهاب فهذه دعوى يضيق بها كل منصف فهى فارغة المضمون ثم هى افتراء شنيع أملاه عليهم الحقد والحسد .

والدليل على أن فى قلوب هؤلاء الآثمين مرض هو أن القـرآن الكـريم حاور مخالفـى الإسلام ومشركى العرب ومنكرى البعث ، دون أن يفرض نفسه على الناس بقوة السلاح ؛ بل نحا إلى بيان بطلان دعوى الإشراك فى أساليب واعظة حكيمة ومقنعة .. هنا مثلا يقول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ **الآية ٣ سورة الزمر** .

ثم يطرح القرآن الكريم أمام المشركين دليلا كونياً عظيماً على نفى أن يكون مع الله آلهة أخرى .. إن هذا الكون العظيم منذ خلقه الله سبحانه وتعالى يسير فى نظام محكم بديع ! من سماوات وأرض وما بينهما ، وما فى الأرض من بشر وحيوانات ونباتات وما فى السموات من شمس وقمر .. ونجوم

هذا النظام المحكم يسير وفق إرادة الله وبقدرته وعلمـه وتـدبيره .. وهــذا أكبر دليــل على وحدانيته ـ سبحانه وتعالى ـ وتفرده وحـده بالجلال والكمال .. قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الأنبياء الآية ٢٣ :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

أما منكرو البعث فقد بين القرآن الكريم أن مدعيها اعتقدوا استحالة إعادة الحياة بعد الموت ، ولقد تصدى القرآن الكريم لهذه الدعوة فى إشارة بليغة إلى حماقة الذين قالوا بها ؛ لأن الوعد قائم لا محالة ـ قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ سورة الإسراء

العباد خلقهم الله ـ عز وجل ـ أول مرة فكيف يستحيل عليه إحياءهم بعد الموت ؟! أى عقل سليم يرتاب فى هذا !!

إن علاقة الإسلام بأهل الكتاب علاقة سلام ومودة ، وليست علاقة حرب وعداء .

إن الأصل هو السلام والإذن بالحرب إنما يقع

فى ظروف استثنائية طارئة .. قال الله تعالى :
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾
سورة آل عمران

وقال الله تعالى :
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾
(سورة البقرة الآية ١٩٠)

بل هناك أدلة قرآنية بالتوصية بالإحسان تخطو بنا نحو السلام العالمى خطوات عملية أخرى مثل قوله تعالى :
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة التوبة)

رسالة الإسلام :
بين المؤلف أن رسالة الإسلام إلى الناس عامة محصورة فى التبليغ بعد تجلية حقائق الإيمان ، وتعرية أوهام الفسوق والكفر والعصيان ، وليس للرسول ﷺ ولا لأحد من بعده أن يتجاوز حدود التبليغ والإرشاد والنصح ، وبذلك يرسى الإسلام مبدأ حرية الاعتقاد لدى الإنسان فى مسألة العقيدة التى هى ركن من الأركان فى الدين .. والعقيدة محلها القلب ، وليس لأحد على القلوب سلطان إلا خالق السموات والأرض .. قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الغاشية)

ولضمان حرية الاعتقاد وضع الإسلام عدة ضوابط منها ما يلى :
ـ إن هذه الحرية مقصورة على الحياة الدنيا .
ـ حرية الاعتقاد فى الإسلام ، مكفولة بالنظر إلى علاقات الناس بعضهم ببعض .
ـ والحرية مكفولة لأصحاب العقائد غير الإسلامية الذين ولدوا عليها كاليهود والنصارى والمجوس والملحدين أما من ارتد عن الإسلام فلا يترك وشأنه ، بل لابد من مسائلته ومعرفة سبب ارتداده فإن كان بشبهة غامت عليه قمنا بتبصيره وأزلنا شبهته ، أما إذا أصر على ارتداده طبق عليه حد الردة .

مهمة الدعاة :
ومهمة الدعاة عالجها المؤلف فبين أنها التبليغ والإرشاد والتبشير والإنذار بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس لهم أن يكرهوا الناس على الإسلام أو يعاقبوا من ظل على عقيدته التى نشأ عليها ..
وهنـــاك سؤال من خصوم الإسلام عن مشروعية القتال فى الإسلام من أن هناك ضوابط حكيمة وأهداف عادلة لمشروعية القتال نورد منها ما يلى :
ـ أن يكون القتال فى سبيل الله لا من أجل غرض أو فرض زعامات أو عنصرية أو أطماع خسيسة من أجل السيطرة والاستغلال .
ـ وأن القتال لمن يقاتلنا فعلا أو عقد العزم على قتالنا .. وعندما ينشب القتال علينا ألا نتجاوز حد الاعتدال فلا نعتدى ولا نظلم .
ـ قبل القتال يكون التخويف والتحذير من الاعتداء فالله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين .

ـ الاستجابة والكف عن القتال إذا طلبه العدو . وألا يكون القتال لقوم بيننا وبينهم ميثاق أمان .

ـ أما إذا خان العدو عهداً بيننا وبينه وخشينا مكره وجب إعلامه بإلغاء العهد الذى أبرم معه .

ـ يراعى الالتزام الكامل باتباع ما أنزل الله عقب تحقيق النصر على العدو فلا زهو ولا بطر .. ولا ظلم ولا عدوان .. والإحسان إلى أسرى الحرب بعد أن تضع الحرب أوزارها والترفق فى خطابهم .

ـ ألا نقاتل من اعتزلنا ولم يؤذنا ، مهما كانت عقيدته ودينه .

من هنا يتضح تماما لكل ذى نظرة سليمة ، أن القتال فى الإسلام ليس بقصد إجبار غير المسلمين على الدخول فى الإسلام بالقوة ولا يوجد فى التاريخ الإسلامى واقعة واحدة حدثت فى السيرة النبوية تدل على عكس ذلك ؛ فالقتال هنا ليس عقاب على كفر كافر أو إلحاد ملحد .

عدالة الإسلام :

وعالج المؤلف أيضا موضوع العدل والمساواة الذى أرسى قواعده الإسلام لتحقيق التعايش السلمى العالمى ، والعدل وسيلة ذات شأن لإعادة التوازن فى الحياة وتسكين هياج النفوس ، وليكون مظلة تحمى الحقوق وتشيع الأمن والسلام بين الناس .. وإذا غاب العدل تصدعت أسس الاستقرار ؛ بل فسد طعم الحياة لذا فقد جعله الإسلام حقا للناس جميعاً : فقيرهم وغنيهم ،أسودهم وأبيضهم .. ولقد صرح القرآن الكريم باستعمال القوة المحايدة لوقف القتال الظالم قال الله ـ تعالى :

﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾

إن الإسلام هو النظام العالمى الذى ينبغى أن يصغى له كل البشر كنظام عام ، وإن ظل كل إنسان على عقيدته وطقوسه غير معتد على الآخرين .

إن النظام العالمى الجديد مسئول عن ضياع الشعب العربى فى فلسطين ، وضياع المسلمين فى « ألبانيا » ، وإلحاق الأذى بالأقليات المسلمة فى مختلف دول العالم على امتداد القارات الخمس ، فلو كان النظام العالمى الجديد عادلا فعلا لوضع حدا لهذا الإجرام الدموى الناشب فى الشيشان وفى البوسنة وفى غيرهما .

أما فى ظل الإسلام فقد وضع مبادىء قويمة لتحقيق التعايش السلمى على مستوى العالم والمساواة بين جميع الناس مهما اختلفت أجناسهم وجعل الفضل بينهم والتفاضل على أساس التقوى والعمل الصالح ، وكم جلبت الفروق والمبادىء التى وضعها البشر من ويلات وأشعلت من حروب وكم أهدرت من دماء الملايين على امتداد العالم وعلى مر التاريخ الطويل للبشرية؟!! .

إننا فى ظل الإسلام نقترب من الوصول إلى صيغة وفاق عالمى تحل محل المخادعات ، ويكفى النظام العالمى الحالى مبدأ حق « استعمال الفيتو » فى الأمم المتحدة ، الذى يتيح إبطال أى مشروع قرار لا يكون على هوى ورغبة أحد الأعضاء الخمس الدائمين فى مجلس الأمن .

وهنا يهدف الإسلام إلى زجر المجرم وتأديبه مع تحذير غيره من الوقوع فيما وقع فيه الآخرون .

بقية ١٥٤٥

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

يوم العيد

عن أنس - رضى الله عنه - قال : « كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات » .

أخرجه البخاري عن أنس - كتاب العيدين

وعنه - أيضاً - رضى الله عنه أنه قال :

« قدم النبى ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : قد أبدلكما الله - تعالى - بهما خيراً منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى » .

أخرجه النسائى وابن حبان بإسناد صحيح

فهنيئاً لمن صلى وصام وقام ، وهنيئاً لمن ظفر بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ، والتزم هدى نبيه ﷺ واستقبل يوم فطره بتمرات قبل ذهابه إلى مصلاه ، وجعل من يومه يوم سرور شرعى يلتزم فيه باللعب المفيد المنشط للبدن ، البعيد عن إظهار المفاتن والفساد .

وفي غمضة العين آية

القارئة عبير محمد نصار ـ البحيرة ـ دمنهور

أرسلت إلينا هذه الكلمة عن « غمضة العين » تقول :

خلق الله ـ تعالى ـ الإنسان ، وأغدق عليه من نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ومن هذه النعم ، نعمة البصر ، والمتأمل للعين ، يجدها لا تكف عن الحركة ، فما السبب فى ذلك ؟ إن هذه الجوهرة ، التى أنعم الله ـ تعالى ـ بها على الإنسان معرضة للجو الملىء بالغبار والغازات الضارة .

فكان من نعم الله ـ أيضاً ـ أن جعل للعين غدة دمعية تفرز الدمع الذى يوزعه الجفن مع كل غمضة على شكل غلاف دمعى ينظف العين . وهكذا فى حركة بسيطة ، فى رقة ولطف دون أن نشعر بشىء . هذا فى مجرد غمضة ، فما بالنا بما يحدث فى جسم الإنسان ككل أو فى هذا الكون الفسيح ؟ فلا نملك إلا أن نقول : سبحان الله العظيم ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

لغة القرآن

القارىء : محمد أحمد جمعه السحرى ـ بلقينا ـ المحلة الكبرى ـ الغربية

أرسل هذه الكلمات التى جاء فيها :

الذى دفعنى إلى كتابة هذه الكلمة ، أننى شاهدت مباراة بين فريقين من بلدين عربيين ، ولاحظت أن أسماء اللاعبين تظهر على شاشة التلفاز باللغة الأجنبية .

فلماذا تظهر باللغة الأجنبية ولمن ؟

أين اللغة العربية فى حياتنا ؟

يكفى اللغة العربية شرفاً أنها لغة القرآن .

وإنى أتساءل : لصالح من ترك لغة القرآن ؟ وهى همزة الوصل بين ماضينا وحاضرنا ، وهى الوعاء الذى يحمى تراثنا .

ولماذا لا نأخذ العبرة من (فرنسا) التى منعت كتابة إعلانات المحلات أو التحدث بغير الفرنسية ؟

● مجلة الأزهر : لأنها يا بنى فرنسا تريد أن تتمسك بقوميتها ...!!!

القارئة : أم هاشم حسين يوسف ـ إسنا ـ الزاوية البيضاء ـ بالقسارية ـ طالبة بالمعهد الأزهرى أرسلت تقول :

قرأت من كلام الإمام علىّ ـ كرم الله وجهه ـ قوله :

كن على حذر :

من الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن الفاسق إذا عاشرته ، ومن الأحمق إذا مازحته .

وإنى ذقت الطيبات فلم أجد أطيب من العافية .. وذقت المرارات كلها فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس .. ونقلت الحديد والصخر ؛ فلم أجد أثقل من الدَّيْن .

واعلم أن الدهر يومٌ لك ويومٌ عليك ؛ فإن كان لك فلاتبطر ، وإن كان عليك فاصبر ، وكلاهما سينحسر

كَلِمَةُ وَفَاءٍ

ومن منطقة أسيوط الأزهرية

كتب إلينا القارىء عبدالمعز طاهر الجبَّود تحت عنوان كلمة وفاء يقول فيها :

لقد انتقل إلى رحمة الله ـ تعالى ـ فى يوم الجمعة الرابع من شهر رجب سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/١١/١٥ فضيلة الأستاذ الشيخ حسين رشدى اسماعيل . مدير منطقة أسيوط الأزهرية فى المستشفى التخصصى بالقاهرة وشيعت جنازته وصليت عليه صلاة الجنازة فى الأزهر الشريف حيث أم المصلين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى .

ولقد نعاه فضيلته وبكاه فى خطبة الجمعة التى كان موضوعها الصبر وجزاء الصابرين ـ وبموته فقد الأزهر الشريف علما من أعلامه الذين يعتز بهم ويفخر بعلمهم .

وفقد طلاب العلم شيخاً وأستاذاً ومربياً وموجهاً لهم وفقدت دار الإفتاء فى محافظة أسيوط عالما جليلا طالما لجأت إليه الجماهير لمعرفة أمور دينهم وأحكام شريعتهم وفقد رواد المساجد خطيباً مفوها ومحاضرا بليغاً طالما هز المنابر على مستوى المحافظة .

وعزاؤنا فيه . أنه لقى ربه فى يوم الجمعة . خير يوم طلعت فيه الشمس . لأنه يروى : « أن من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة وقى فتنة القبر » .

وعزاؤنا فيه . أنه كان كما قال الإمام أبو حامد الغزالى : « كالشمس يضىء لنفسه ولغيره » . وكما قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لأحد طلابه : « ما نمت من ثلاثين عاماً إلا ودعوت لشيخى ، قيل له وما سبب ذلك فقال لأنه كان كالشمس بالنسبة للدنيا والعافية بالنسبة للبدن . فهل لهما من خلف » .

طيب الله ثراه واسكنه فسيح جناته وألهمنا الصبر على فقده وعوض المسلمين فيه خيرا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إحدى الكاسيات العاريات

ومما ورد من أحد القراء تحت عنوان « احدى الكاسيات العاريات » هذا الجزء من قصيدة للرافعى :

دلالك فى الـــــتبرج من ضَلالكْ
ومـــا عاب الـــدلال سوى دلالك
مَلتِ تبرَّجـــاً فكمُـــلْت حُسْنـــا
ولكـــنْ جاء نَقْصُك من كَمَـــالك
لمن تتبرجين ؟ وذى سبيـــــل
وماهـــى أفـــق شمسك أو هلالك
أمـــا تخشين أنك فى طريـــق
يرفُّ بها الحرام على حلالك
أهـــذى مشيـــة الخفـــرات أم قد
غدا الشرفُ المُفـــدَّى فى نِعـــالك
كأنك لست بنْتَ أب وإلا
فمـــا لأبـيك لم يخطـــر ببـــالك ؟
وحـــالك للأبـــوة كلُّ عارٍ
وعَـــار للبنـــوَّة كلُّ حالك ..
إلخ

القارىء : مصطفى كمال عيسى

أسيوط ــ موشى

أهلا بكم ، وبإسهاماتكم ، وعودتكم للكتابة للمجلة مرة أخرى .

* * *

القارىء : م . صلاح رشاد حسين

كفر السيد ــ منوفية

وصلتنا إسهاماتكم ، وقريبا ــ بإذن الله ــ تنشر المجلة بعضا منها .

من كلام الإمام الشافعى

ارسل القارىء : احمد عبدالكريم البسيونى

صفط العنب ــ كوم حمادة ــ بحيرة

هذه المساهمة تحت عنوان «من كلام الإمام الشافعى» ــ رضى الله عنه ــ

اعلم أن العلم بطىء اللزام ، بعيد المرام ، لا يدرك بالسهام لا يرى فى المنام ، لا يورث عن الآباء والأعمام، وإنما هو شجرة لاتصلح إلا بالغرس ، ولا تغرس إلا بالنفس ولا تسقى إلا بالدرس ، ولا تحصل إلا بالاستناد إلى الحجة وافتراش المداد ، وإدمان السهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم.

ردود سريعة :

القارىء : محمود شوش

البحيرة ــ كفر الدوار ــ السعرانية

قصيدتكم « غرق ورجاء » تعتبر محاولة جيدة ولكن عليك بقراءة الجيد من الشعر القديم والحديث ، حتى تتكون لديك ملكة الشعر .

* * *

القارىء : أحمد محمد المسلمانى

محافظة البحيرة ــ مدينة المحمودية

يمكنك الاشتراك بمجلة الأزهر عن طريق قسم الاشتراكات ــ بجريدة الأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ، هذا عن الأعداد القادمة ، أما الأعداد السابقة فغير متوفرة ، لأنها تنفد بمجرد صدورها.

من إبداعات القراء

ميلاد خير الورى

قم يافـــؤادى سبّـــح المولى العـــظيم مُكبّـــرا
فاليـــوم ميـــلاد الحبـــيب محمـــدٍ خير الـــورَى
فاطـــو الدجـــى فى ذكـــره وصلاتـــه ودع الكَـــرَى
فلكْـــم غَفـــوْتَ وكـــمْ سَهـــرْتَ ومـــَنْ عَشقتَ تغيّـــرا
تلك الحيـــــــاة بما حوتْ لا شىء فيها أثمرا
إلا الصلاة على الـــــذى فاق الخلائـــــق جوهـــــرا
نور الهدى من جاء بالديـــــن الحنيـــــف مبشّرا
الله أنزلـــــه وأبلغـــــه الـــــرسول مطهّـــــرا
ديـــن السماحـــة والتقـــى فى كل أمـــرٍ قد جَرى

* * *

يا من عَشِقْتَ محمـــداً .. صلّـــى وسلّـــم مُكْثِـــرا
فهـــو الشفيـــع لكـــل من يرنـــو له مستـــنصرا
فى موقـــفٍ كل امـــرىءٍ فى رهبـــةٍ مما يرَى
وهـــو الشفـــاء لكـــل داءٍ فى القلـــوب تجَبّـــرا
ولـــه المحبـــة كلهـــا .. فى كل فجـــرٍ أو سرَى

عبدالحميد محمد الفرماوى
الجيزة ـ العمرانية الغربية

إنما المؤمنون إخوة

عقيدتى أن كل النـــاس إخـــوانُ
وكل مَنْ أمـــــه حوَّاء .. إنسان
لا فرق بين فقير يشتكـــى سغبـــا
ولا غنـــى له من مالـــــه شان
فمـــا جدالك والأيـــام شاهـــدة
بأننا فى الرَّدى ... أهـــل وخـــلان
نـــام فوق بساط التُّـــربْ يجمعنـــا
موت له صوت فينـــا وسلطـــان
للشاعر : عبدالهادى عبدالمقصود

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

أمسيات رمضان العلمية

● شهدت ساحة مسجد مولانا الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ بالقاهرة طوال شهر رمضان المعظم ندوات دينية وذلك بالسرادق الذى أقامته رياسة الجمهورية . بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقـــاف والمجلس الأعلى للشئـــون الإسلامية ، استمرت الأمسيات طوال ليالى الشهر الفضيل فى ملتقى علمى إسلامى يُعَرِّف بالإسلام وعالميته .

افتتحت أعمال الملتقى فى الثانى من شهر رمضان بحضور السيد الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر الشريف وجامعتــه ووزارة الأوقاف وسفراء الدول الإسلامية والعربية بالقاهرة وجموع من المواطنين ، والقيــادات التنفيذية والشعبية وطلبة الأزهر .

هدا وقد شهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى . اليوم السابع لأعمال الملتقى وذلك بعد عودة فضيلته من المملكة العربية السعودية بعد أن شارك فى أعمال التحكيم لجائزة الملك فيصل ، وتحدث فضيلته عن اهتمام الإسلام بالشباب ذكورا وإناثا وتربيتهم تربية دينية سليمة ، وإعدادهم لتحمل المسئولية وبناء نهضة أمتهم على أسس راسخة من الإيمان والعلم والفضيلة .

كذلك حضر فضيلته الاحتفال بذكرى العاشر من رمضان ، ثم بعد أيام حضر الاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى .

تخريج أئمة الدورة الخامسة والثلاثين

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى الكبير الذى أقامته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف لتكريم علماء العالم والدول الإسلامية أعضاء الدورة التدريبية الخامسة والثلاثين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى .

شاركت كل من :

البرتغال وألبانيا وبنجلاديش وسنغافورة وجنوب إفريقيا وموريتانيا وبنين ونيبال بعلمائها فى هذه الدورة ، وقد قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج عليهم .

أكد فضيلته فى الكلمة التى وجهها إلى الخريجين على ضرورة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يوحدوا فتاواهم ، وأن يحاربوا التعصب الأعمى للإرهاب ؛ لأنهم رسل سلام ويسر ومحبة .

حضر الحفل جميع سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، والسيد السفير حمدى زكى حسين نائب مساعد وزير الخارجية ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف وجامعته .

هذا وقد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بالموافقة على إقامة الدورة السادسة والثلاثين لتدريب الأئمة والدعاة ، وقد شمل القرار استقبال علماء كل من دول : اريتريا والسنغال ونيجيريا وكرواتيا وزيمبابوى والفلبين .

إستقبال الصادق المهدى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح الإثنين ٢٦ من شعبان ١٤١٧ هـ الموافق ١٩٩٧/١/٦م السيد / الصادق المهدى رئيس حزب الأمة السودانى ورئيس مجلس الوزراء الأسبق والوفد المرافق لسيادته .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر الشريف البارز فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال البعثات التى يوفدها الأزهر لمختلف الدول لنشر الدعوة وتعاليم الدين الإسلامى ، وبوجه خاص ما يقدمه الأزهر لأبناء الشعب السودانى الصديق الشقيق من المنح الدراسية فى معاهد الأزهر وكليات جامعة الأزهر الشريف .

إمداد المراكز العلمية بالمصحف الشريف ومطبوعات الأزهر

● بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر قامت الشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمدارس والجامعات والمعاهد الأزهرية بمختلف مراحلها ، ومراكز الشباب والهيئات والمصالح والوزارات ــ بأعداد من مصحف الأزهر الشريف بمختلف أحجامه ، وكذا مجموعات من الكتب الدينية والثقافية ، وسلسلة إصدارات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم ، أعاده الله ــ تعالى ــ على الأمة الإسلامية والعربية بالخير واليُمن والبركات .

مع الدكتور الحماشة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ٢٥ من شعبان ١٤١٧ هـ الموافق ٥ يناير ١٩٩٧م معالى الدكتور / محمد الحماشة رئيس اللجنة البرلمانية للتنمية والسكان بالأردن يرافقه السيد الأستاذ الدكتور ماهر مهران مقرر المركز القومى للسكان بمصر تم خلال اللقاء بحث مسألة تنظيم الأسرة وحكم الشريعة الإسلامية فيها .

أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة الضيوف واستفساراتهم مؤكدا على أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى النظام والتنظيم حفاظا على الطفل والأسرة وصحة الأم .

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من دور بارز فى خدمة قضايا الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض وذلك من خلال علمائه الذين يوفدهم إلى مختلف دول العالم لتأدية رسالة الأزهر السامية .

وزير الشئون الدينية بماليزيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد الدكتور عبدالحميد عثمان وزير الشئون الدينية والأوقاف بدولة ماليزيا والوفد المرافق له .

فى بداية اللقاء رحب الإمام الأكبر بالضيف الكبير الذى قدم بدوره الشكر والتقدير للأزهر الشريف على ما يقدمه للعالم الإسلامى عامة ولدولة ماليزيا خاصة ـ من مساهمات علمية على أيدى علمائه ، وقد وجه الضيف لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة ماليزيا باسم السيد رئيس الوزراء ، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير على الزيارة ووعد فضيلته بتلبية الدعوة فى أقرب وقت .

وسفير دولة قطر

● كذلك أستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد عبدالهادى الهاجرى سفير دولة قطر بالقاهرة حيث تَمَّ بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف ودولة قطر الشقيقة فى المجالات الثقافية والدينية لما للأزهر من دور بارز فى هذا المجال .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على ترشيح عدد من علماء الأزهر الشريف للمشاركة فى التحكيم فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم المزمع عقدها خلال شهرى شوال ، وذى القعدة الموافقين لشهرى فبراير ومارس القادمين .

الإمام الأكبر فى محافظة الغربية

● قام فضيلة الإمام الأكبر بزيارة لمحافظة الغربية لافتتاح مجمع المعاهد الأزهرية الذى يشمل معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية للبنين وذلك بقرية بلتاج مركز قطور .

كذلك قام فضيلته بافتتاح معهد محمد محمد رجب الإعدادى الثانوى للفتيات بقرية سجين الكوم بنفس المنطقة ، كما أفتتح فضيلته معاهد محمد

رجب الإعدادية والثانوية للبنين ، والإعدادية والثانوية للبنات بشبرا قاص بالسنطة .

كذلك تفقد فضيلته مركز تدريب محمد رجب على الصناعات الصغيرة بنفس القرية .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلته المؤتمر الشعبى بمقر مركز التدريب بقرية شبرا قاص ، حضر مع فضيلته السيد المحافظ ومعاونوه ، وفضيلة الشيخ مدير عام المنطقة الأزهرية بطنطا ولفيف من علماء وقيادات الأزهر والأوقاف بالمحافظة ، والقيادات التنفيذية والشعبية بها حيث أقيمت ندوة بهذه المناسبة بعنوان : (دور الجهود الذاتية فى التنمية الشاملة) ألقى فيها فضيلة الإمام الأكبر كلمة حيا فيها كافة أصحاب الجهود المبذولة فى مجال التنمية مشيرا إلى المشروعات التى تم افتتاحها خلال الزيارة .

رافق فضيلة الإمام الأكبر فى هذه الزيارة فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

مع رئيس جمهورية جامبيا

● أستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ١٨ من رمضان ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/١/٢٧م فخامة الرئيس / يحيى جامع رئيس جمهورية جامبيا والوفد المرافق لفخامته وذلك فى إطار زيارته للقاهرة ، وقد حضر اللقاء الدكتور محمد زكى أبو عامر وزير شئون مجلس الشعب والشورى ورئيس بعثة الشرف المرافقة للضيف الكبير .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر الكبير فى الأزهر الشريف وتم خلال اللقاء بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية جامبيا فى مختلف النواحى الثقافية والدينية .

أشاد الرئيس الجامبى بدور مصر المتميز بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى معالجة القضايا الإفريقية والعمل على نشر السلام والاستقرار فى ربوع القارة الإفريقية مشيرا إلى أن ذلك يرجع إلى مكانة مصر البارزة فى العالم العربى والإفريقى .

طلب الضيف الكبير من فضيلة الإمام الأكبر معاونة الأزهر الشريف فى إمداد الجامعة الإسلامية بجامبيا الجارى إنشاؤها حاليا بالخبرات الفنية والإدارية والأساتذة بالإضافة إلى المناهج الدراسية ، كذلك تم خلال اللقاء بحث زيادة عدد المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء جامبيا بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته العريقة .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الطلبات التى نوقشت أثناء اللقاء ، والعمل على تلبيتها فى أقرب فرصة .

أعرب الضيف عن سعادته الغامرة لوجوده فى الأزهر الشريف قلعة العلم وكعبة العلماء ولقائه بفضيلة الإمام الأكبر وعلماء الأزهر .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / حمدى عبد الحميد بشير

عصمت عبد المجيد

على إسرائيـــل التوقـــف عن انتهاك الحق الفلسطينى

أكد الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية أنه على إسرائيل أن تتوقف عن انتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى إذا كانت تريد سلاما فعليا .

جاء هذا التصريح فى اجتماعه مع وفد الأمم المتحدة المهتم بقضايا حقوق الانسان فى العالم .

اللواء سامى الخطيب يشيد بجهود مبارك

أشاد اللواء سامى الخطيب رئيس لجنة الدفاع والأمن بمجلس النواب اللبنانى بسياسة الرئيس مبارك وجهوده لإنجاح عملية السلام ، وقال الخطيب – فى حديث خاص للإذاعة صوت العرب : أنه يأمل اتباع النهج المصرى الذى يتسم بالحكمة والتعقل والعمق فى تقدير المواقف .

ثلاثة متهمين فى عبدة الشيطان ضحية الترف والفراغ الدينى

أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الاوقاف أن الظاهرة الجديدة لعبادة الشيطان-غريبة على المجتمع المصرى المعروف بتدينه منذ آلاف السنين ، وقال : إن هذا الشباب ضحية الترف والفراغ الفكرى والدينى والتقليد الأعمى لما يراه من ظواهر شاذة فى المجتمعات الغربية ، وقال : إنه يجب مواجهة هذه الظواهر الغريبة بتحصين شبابنا بالأخلاقيات والقيم الدينية الصحيحة

وقال : إن الوزارة أصدرت تعليماتها للأئمة المساجد بأن تتضمن خطب الجمعة : التنبيه الدائم بقيام الأسر برعاية أبنائهم والحفاظ عليهم من الاختلاط بالمنحرفين ، وأصحاب الأفكار الضالة وضرورة مراقبتهم حماية لهم وحفاظا عليهم من الذين يريدون ضياع مستقبل شبابنا .

مؤتمر الدعاة الثانى «بمنطقة وعظ الغربية»

بعد نجاح المؤتمر الأول للدعاة ، والذى أقامته « منطقة وعظ الغربية » بطنطا ؛ وامتداداً لهذه المسيرة الناجحة وبتوجيه من فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور « مدير منطقة الوعظ » بالغربية .

وإشراف فضيلة الشيخ عبدالخالق عطية نصير ، وفريق عمل من أصحاب الفضيلة العاملين بحقل الدعوة والإرشاد ، رأت المنطقة أن يكون مؤتمرها الثانى ـ خاصا ـ .

بتكريم الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالى السقا ـ رحمه الله ـ .

فأصدرت كتيبا فى ثلاث وعشرين صفحة ، شمل أربعة فصول :

الفصل الأول : عن نشأته العلمية وأعماله ، وما منح له من أوسمة وجوائز .

أما الفصل الثانى : فتحدث عن « فكر الشيخ الدَّعوِى » ؛ والذى تركز إلى مرتكزات أساسية ـ : أعظمها ـ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والتاريخ الإنسانى ، العام والإسلامى الخاص والثقافة العامة ؛ سواء الدينية منها أم الإنسانية .

أما المرتكز الأخير فقد كان عند الشيخ ـ رحمه الله ـ الواقع وفقهه ؛ وذلك عن طريق المعايشة والاطلاع ؛ سواء كان هذا واقع المسلمين ؛ أو واقع القوى المعادية لهم .

أما الفصل الثالث : فقد كان عن جهاده وحثه للأمة بأن تحسن عرض الإسلام ، وأن تقترب من « القرآن الكريم » و « السنة النبوية المطهرة » ودوام النظر فيهما بعقل ناضج ، وفكر مستنير .

أما الفصل الرابع : والذى عنون له بعنوان : « الغزالى داعية » فقد تحدث عن شخصية الشيخ واعتزازه بنفسه ، وانتمائه للعمل بالدعوة الإسلامية ؛ يحاور بفهم متَلَمِسا صميم القضايا الملحة ، والتى تعيشها الأمة ، يحلق فى آفاق الواقع الرحب بكل ما فيه من هموم بأسلوب علمى مُتزن ، خال من الصياح ، مغلف بحماس وعقلانية شباب الشيخوخة المحنكة .

ولقد حدد الشيخ الدواء بعد أن شخص الداء وكان يرى أنه لن ينصلح حال العرب ، ولن تقوم لهم دولة أو حضارة إلا بالدين ، فعندما حملوا الوحى وأخلصوا له كانوا سادة العالم الأول كله .

والكتيب على الرغم من صغره ؛ إلا أنه أعطى صورة صادقة وجلية عن العالم الجليل ؛ والذى كان دائما حاضرا بفكره وحكمته يُسهم بالرأى الصريح فى التعبير عن آمال الأمة وآلامها .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء ، وهنيئا له الجوار مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا ـ .

وشكر لله للقائمين على « منطقة وعظ الغربية » ما بذلوه من جهد صادق وأمين .

وفقهم الله وأعانهم على أداء رسالتهم الكريمة : رسالة الحق والخير والإرشاد .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ع.م.ع

moi-même ou sur une de ses tantes paternelles ou maternelles?". Le Prophète -b.s- lui dit: "Laissons cela et dis-moi plutôt ce que tu t'es dit en toi-même et que tes oreilles n'ont pas entendu." Le père dit: "Par Allah, O Messager d'Allah! Ton Seigneur ne cesse de T'affermir pour que nous soyons assurés de la véracité de Ta mission! Je me suis dit quelques vers dans mon coeur, que mes oreilles n'ont pas entendues. Le Prophète -b.s- lui dit: "Récite et je t'écoute".

Le père récita ces vers dont nous résumons le contenu: "Je t'ai nourri alors que tu étais petit et adolescent. Tu abusais à ta guise de tout ce que je gagnais. Si, un soir, tu te couchais malade je demeurais éveillé sans pouvoir me reposer comme si c'était moi le malade et non toi. Je craignais la mort en sachant qu'elle est une vérité, car je voulais vivre pour te passer tes caprices. Puis lorsque tu grandis et que tu arrivas à l'âge où tu peux me soulager et réaliser mes rêves, ma récompense fut l'ingratitude et la brutalité, comme si tu étais mon bienfaiteur. Si au moins tu ne peux avoir les égards dus à ton père, accorde-moi ceux qui sont dus aux voisins en étant prévenant et en me devant assistance, or, même de ton argent, tu t'es montré avare".

Le Prophète -b.s- tira le fils par le collet et lui dit: "Toi et ton argent vous appartenez à ton père".

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

dinars à condition de jouir d'elle. Elle accepta, mais quand je m'apprêtais pour l'accouplement, elle me dit: "crains Allah! et sauvegarde ma virginité". Alors je me suis relevé malgré mon désir ardent et je lui ai laissé l'argent. Seigneur si Tu sais que je me suis conduit ainsi en quête de Ta Grâce, écarte pour nous ce rocher". Le rocher s'écarta un peu, mais sans toutefois permettre la sortie des hommes.

"Seigneur! dit le troisième, j'ai employé des ouvriers moyennant un salaire. Quand ils eurent terminé leur travail je leur présentait leur salaire, ils le prirent, à l'exception d'un seul homme qui laissa son dû et partit. J'ai fait fructifer ce salaire pendant des années si bien qu'avec son prix j'ai formé un troupeau de vaches, de chameaux et des ovins avec leurs bergers. L'ouvrier revint un jour et me dit: "O serviteur d'Allah, donne-moi mon salaire". Je lui dis: "Tu vois tout ce bétail? il t'appartient, va le prendre ainsi que leur berger". "Te moques-tu de moi?" me dit-il "Mais non! je ne me moque pas de toi," lui dis-je. Alors il en prit possession et partit.

Seigneur si Tu sais que j'ai agi ainsi pour Te plaire écarte pour nous ce rocher". Le rocher finit par se déplacer et les voyageurs sortirent indemnes.

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Nous avons donc vu comment la piété filiale sauva les hommes d'une mort certaine et leur servit auprès d'Allah pour dissiper leur affliction.

Citons également une autre histoire pour souligner les droits du père sur son fils. Un homme se rendit auprès du Prophète -b.s- pour se plaindre de son père. Il lui dit: *"O Messager d'Allah, mon père m'a pris mon argent". Le Prophète -b.s- lui dit: "Amène-moi ton père". L'Archange Gibril descendit et dit au Prophète: "Allah t'envoie le salut et te dit: lorsque le vieillard viendra demande-lui de te répéter ce qu'il s'est dit en lui-même et que ses oreilles n'ont pas entendu.". Le vieil homme arriva et le Prophète -b.s- le questionna: "Pourquoi ton fils se plaint-il de toi? Veux-tu lui prendre son argent?". Le père répondit: "Questionne-le Ô Messager d'Allah: est-ce que je le dépense sur*

La piété filiale

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s- dit: "J'ai été envoyé pour parfaire les nobles qualités".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Les bénédictions qu'entraîne la piété filiale n'a pas de limites; le fidèle en profite en premier dans le monde d'ici-bas et aussi dans celui de l'au-delà. Le Prophète -b.s- nous donne un exemple de cette bénédiction et nous dit: "Trois voyageurs marchaient lorsqu'ils furent surpris par un orage. Ils se refugièrent dans une grotte. Un rocher se détacha de la montagne s'abattit devant la grotte et en obstrua l'entrée. "Souvenez-vous de quelques bonnes actions que vous avez accomplies pour l'amour d'Allah, dit l'un d'eux, évoquez-les et priez le Seigneur".

L'un dEux commença par dire: "*Seigneur! Tu sais bien que j'avais un père et une mère âgés et de jeunes enfants. J'étais berger de profession. A mon retour, le soir, je trayais mes chamelles et je commençais par donner à boire à mes parents avant mes enfants. Il advint qu'un jour, j'ai mené paître mes bêtes assez loin. A mon retour mes parents étaient déjà couchés. J'ai trait comme d'habitude et je suis resté debout, près d'eux, attendant leur réveil, ne voulant pas les brusquer. Il m'était désagréable aussi de donner à boire avant eux à mes enfants qui, pourtant, criaient de faim à mes pieds. Je suis demeuré ainsi jusqu'à l'aube, mes parents se réveillèrent et burent leur lait. Seigneur! si Tu sais que je me suis conduit ainsi pour Te plaire, fais-nous une issue". La roche bougea un peu, mais ils ne purent pas sortir.*

"Seigneur! dit le second, j'avais une cousine que j'aimais ardemment, aussi fort qu'un homme peut aimer une femme. Je me suis mis à la séduire mais elle refusa, jusqu'à un jour dans une année de disette, la famine la poussa à venir chez moi. J'acceptai de lui donner 120

sive sur toutes les tentations. Ceux-là ont découragé tous les démons de pouvoir trouver parmi eux des proies qu'ils prennent dans leurs filets mensongers, ou des êtres faibles devant leurs ruses habiles et leurs fausses promesses.

C'est aussi une joie pour ceux qui ont vécu tout le mois en se détournant des prohibitions aussi bien que des choses licites, pour ceux qui ont passé les nuits de Ramadan agenouillés et prosternés, lisant le Livre d'Allah, cherchant à faire les aumônes et les actes de bienfaisance pour resserrer les liens d'affection parmi les hommes, tout en corrigeant les mauvais comportements et toutes les formes de perversions. Ils ont ainsi réalisé en ce mois un changement qui guide la nation islamique vers une réalité plus noble et plus apte à être digne d'être le modèle d'une communauté qui met en application la Législation d'Allah.

D'autre part, une joie est réservée à ceux qui n'ont pas jeûné mais qui ont été plus proche d'Allah que bien des jeûneurs qui ont passé ce mois en jouisances et divertissements.

Ceux-là ont droit à la joie de la Fête, car ils ont profité de la licence accordée par Allah aux voyageurs, aux malades et aux vieillards séniles. Car ceux-là, bien qu'ils n'aient pas jeûné, ont largement profité des enseignements du jeûne et en ont cueilli les fruits.

La Fête sera pour eux une occasion de mettre en pratique cette expérience pour un mode de vie plus noble où l'homme ne perd jamais contact avec son Créateur.

«Tous les musulmans fêtent la rupture du jeûne le jour de 'Id Al Fitr»

par Dr. Rokeya Gabr

Celui qui a jeûné ainsi que celui qui n'a pas jeûné fêtent également la rupture du jeûne à la fin du mois de Ramadan.

Si la Fête de la rupture du jeûne représente l'une des deux joies promises par le Message d'Allah — à lui bénédiction et salut — aux croyants qui ont jeûné, nous devons savoir que tous ceux qui ont jeûné n'ont pas mérité cette récompense, et qu'il y a des croyants qui sans avoir jeûné, la méritent davantage et bien plus que beaucoup de jeûneurs.

Il faut savoir que le culte du jeûne est prescrit à la nature humaine pour réprimer les instincts et les passions et éprouver leur force de volonté. Le jeûne amène le musulman à un degré de foi tel qu'il ne laisse aucune place dans le coeur du croyant à nul autre qu'Allah. Le jeûneur agit avec les gens en ayant la certitude que c'est envers Allah qu'il agit. Il y a en cela un grand gain par lequel l'âme de jeûneur s'annoblit et devient digne de répondre à l'Appel divin, le Jour du Rassemblement; en ce jour où il lui sera dit: [O âme rassurée, reviens à ton Seigneur contente et satisfaite; entre parmi Mes serviteurs et entre dans Mon Paradis].

La joie de la Fête est réservée à ces jeûneurs et leurs semblables pour qui le jeûne est un effort et un sacrifice ainsi qu'une victoire déci-

REVUE
AL AZHAR

-vol. 69 Part x

Shwal 1417 Hijra, February 1997

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

with the mind". These are a few of many statements about Islam made by thinkers, scientists, wise men, philosophers, and those who look for the truth. Islam has no conflict with any other religion or with any prophet. Islam is the religion of mercy, love and peace. Islam has respected all people of the Book and has respected all of their prophets The Prophet of Islam was a merciful, pure, courageous, noble, and wise leader.

We have tried to remind people that there are many wise men who admit the truth, see the light and differentiate between right and wrong. To all of those who have a mind to think, you should be free unbiased in telling the truth .

The Qur'an is the source of happiness and elevation for humanity. If humanity follow Islam, happiness will prevail all over the world. If muslims follow their religion, they could become the apostles of civilization, love, peace, and as good examples as their grandfathers were. Allah speaks the truth and guides to the right path .

need from him other than that he did what he preached. What also do you need to believe that Muhammad was honest and a prophet when you see that for more than 12 centuries people still follow his instructions which take them to a noble way of life. Don't people know that any false invitation is like false money, which eventually will be discovered ? Islam guided the mind of humanity for generations and Muslims today still believe in Islam more than any other people do believe in their religions".

In the book of Arab civilization Futav Luben's writings may be summarized as follows. The instructions in the Qur'an are the best known ethics in the world today. The Qur'an declared and encouraged people to be honest, true, give charity, be just, follow moderation, fulfill promises, love neighbours, treat relatives in good way, be merciful, take care of orphans and widows, and take away bad actions by good actions. All of these are better than the manners even in the Bible.

The German philospher Jeot (1832) has indicated his admiration of Islam when he summed up "If this is Islam, we are then amongst those who are Muslims".

The philosopher keisro who wrote about European civilization wrote: "The Islamic religion is unique among all religions in challenging those who believe in anything without proof. It also challenges those who follow their doubts. It is the religion which seeks proof for the beliefs and works with the mind fully. Happiness comes from using one's own mind. Islam has nothing which could be rejected by the mind. Therefore Islam deals with the mind and all of its concepts fit exactly

invited his people to believe in God, and told them of his message which he received from God. In summary, his message was that there is no God but Allah-the one and only one. In order to love God, you should pray, be righteous, love all people and share with them love and affection. Muhammad did not claim that he was the only prophet, but he showed respect to all the prophets of God before him - Jesus, Moses, etc., and said that Jews should not be obliged to abandon their religion. Muhammad was one of the great leaders of humanity who benefitted his people and humanity".

Ghandi on one occasion (when the muslims were celebrating Milad in India) said "Muhammad was a great prophet who sufferred much, but he was patient, courageous, was not afraid except from the Lord. He was poor although he had all the means to become very rich. I cried when I read the history of this great man. Every one who seeks the truth, like me should bow to the personality of Muhammad who worked for the benefit of all mankind."

The French Doedianos said, "Islam came differring with many of the religions which had lost their truth. Islam came without any superstitous beliefs and the proof of this is its high respect for Jesus. Islam differred with Christianity in that Jesus was a human who had powers, but by the leave of the Lord. Islam is a mercy to humanity. It has nothing which remains inexplicable. Islam declares the unity of Allah, and therefore, there is no conflict. Islam commands equality, work ethics, of Muslims today who are backward, it is because they deviated from the message and directed themselves in different directions far from reality".

The English philosopher Carlyle in his book "Heroes and the Religion of Heroes" wrote about the Prophet, "what other proof do you

religion, the religion of Allah --- the one and only one. The Qur'an was his miracle. Humans and Jinns were challenged to substitute it, but they could not. This challenge was proof of his honesty, and the truthfulness of his message. He carried the heavy load of inviting his People with dignity, honesty, and courage. His intelligence and insight, determination and good planning of life, preclude the hypothesis that he was sick (as claimed). His message is as good and valid today as it was yesterday and will be in the future. What he told his people was close to their hearts because it was a clearly defined way of looking to the existence of Allah and His relation to Mankind".

The American writer washington Irving studied the life of Muhammad and wrote "Mohammad's life depended on honesty. There was no reason for him to go the hard way, except his honest belief in God. He was beloved by his People and his family was one of the most honoured in Arabia. However, his objectives were to seek that God's word should prevail. An example of his forgiveness is his action with his adversaries after the fall of Mecca".

The American writer General Ralph Brudy, after he had studied the Hudaibiya Treaty, wrote "that this treaty was the greatest diplomatic victory for Muhammad, because of which he was acknowledged a leader who had followers".

The Russian philosopher count Tolousty did not like attacks on Muhammad and he wrote "Mohammad's parents were poor. He preferred to be alone looking upon the creation of God around him. Arabs used to worship idols. Muhammad believed that they were wrong and believed in the existence of God, who is the Lord of the universe. He

Zayd,the slave of khadijah, loved the prophet to a degree that when he was set free, he refused to go back to his parents in yemen, and preferred to stay with the Prophet due to the good treatment bestowed upon him. His quality of forgiveness was not limited only to his followers, but also extended to his enemies. One example to quote is that 10,000 People were set free when Mecca fell in the hands of the Muslims. And these were the same People who tried to kill the Proplet few years before that.

Lynn Paul criticizes those writers who misrepresent Muhammad by claiming that he was harsh, self-indulgent, etc. These were not the characteristics of the Prophet. The Qur'an says."let there be no compulsion in religion" .

The French poet Lamartin studied Muhammad's history and wrote : Muhammad was a speaker, philosopher, leader, conquerer a man who invited people towards Allah in such a way that attracted minds, a man who established an empire on earth and spiritually guided people to acheive paradise in the Hereafter ... This is the greatness of this human being Muhammad who stoodfast, struggled, tolerated his people's ignorance and deception, was courgeous and stoodfast for 15 years, inviting people from amongst his enemies and those who ridiculed him. This is proof that Muhammad was on the path of solitude.! He never misled anybody or because he had truth in his heart, which gave him the strength to give humanity its wisdom, and guide it to the Unity of Allah".

The orientalist Emil Darmarghim, wrote a book on the life of Muhammad, after he studied the subject well enough. He wrote "Mohammad invited and advised his People to believe in the right

itself by whatever means necessary. Don't you see that Christianity also used force at one stage. Check what Charlemagne did to the Saxons. Therefore, Muhammad's (PBUH) method of spreading Islam was not by aggression, it was an answer to the aggression against Islam".

Henry de Castry, in his book about Islam says "There is no evidence that Muhammad (PBUH) sent one single expedition to force any nation to adopt Islam. Also, Muhammad (PBUH) did not oblige any person to adopt Islam. On the contrary, it was the unbelievers who tried to oblige Muslims to reject Islam. The proof that Islam did not spread by force is obvious when we see today that Islam still is present every where, although the Muslims are weak".

The English thinker Bosworth Smith, in his book about Muhammed (PBUH) and the Islamic religion has said "Muhammad built a nation, and developed it, which spread the religion. Though he was illiterate, he brought to the world a book which contains laws, manners, guidance, and also Holy Scripture, all in one book. It is the Qur'an, which one-sixth of the world's population follows until today. The Qur'an is full of wisdom and truth. . Muhammad (PBUH) was a leader in the history of humanity; that is a leader of the people, of the religion and of the government, although he did not know how to read or write".

William Moyer, the British politician and his co-author Lynn Paul, wrote in their book "Muhammad the Prophet of Islam" that Muhammad was a decent polite, humble man who dealt equally with people, rich or poor. He was generous and was loved by all around him and no one tried to harm him until he started his "dawah". That is delivering the message.

with (other human beings). This is their duty, but if they go astray, they will lose their leadership qualitites, and of course, there will be no difference between them the ignorant or misguided individuals .

There is nothing in our religious beliefs to be afraid or ashamed of Praise be to Allah, there is nothing against the sound logic in Islam. It is the religion of science, wisdom, mercy, and it stands for all that is good for life on this earth and in the Hereafter. We will not waste our time talking about the ignorant and blind people who speak negatively about Islam. However, let us review briefly what some of the world's greatest thinkers, writers, and leaders have said about Islam .

Bernard Shaw, on his visit to India, wrote about the suitability of Islam for every place and time, He says " The religion of Muhammad (PBUH) has a great vitality. It is the only religion which fits exactly the requirements of all stages of life and it has attraction for every time and place". He also said, "I feel strongly that Islam will be accepted today and in the future in Europe". He also noted that "Muhammad (PBUH) is not an enemy of Jesus as some people have claimed. Muhammad (PBUH) could be claimed to be savior of Humanity. Islam is able to solve all the world's problems in such a way as to make the world a better place to live" .

Tomas kareel wrote "Muhammad (PBUH) did not spread Islam by force as they claimed. He spread Islam bywise and good invitation. However, those who opposed him tried to silence the Islamic cause by various means, the least of which was force. This obligated the muslims to defend themselves. "He also said". The invitation of truth will spread

the needs of the area and time. Prophets were sent one after another, to complete Allah's message, Prophet Muhammad (peace be upon him) being the last one. Islam is, therefore the last religion to be revealed to Humanity. Islam was revealed at such a point in time that the human beings abilities reached a level where they could absorb the responsibility assigned to them by the Qur'an and Sunnah. The Qur'an and Sunnah contain complete direction as to the manner in which life should be conducted, in accordance to the wishes of the Creator. There are no contradictions whatever, between the commands of the Almighty and whatever progress science has made in its inventions and discoveries. No wonder the last revealed book "The Qur'an" has remained provably in-tact for more than 14 years, and such is also the case for the Sunnah of the prophet. No one, friend or foe, has been able to change anything in the Qur'an because Allah has promised to keep his last revelation in-tact and protected by Him to join in wise discussion .

Islam has invited the People of the Book, by peaceful persuasion. At the same time logically demonstate that Islam is the completion of all the previously revealed religions (verse III/64 - 68). The Qur'an is the complete book that respects both the Jews and Christians (verse V/44 - 5 and 82 - 86) .

Islam teaches how to live peacefully and in harmony with each other, because Islam is a mercy for all creation. Even if someone misbehaves with us, we should be tolerant and compassionate. Allah says "Hold to forgiveness; command what is right; but turn away from the ignorant".

Knowledgeable religious scholars and thinkers should be the first to follow and tell the truth, adhere to justice, and be fair in their dealings

ISLAM AND IT'S PROPHET
As Seen In the Eyes of Non-Muslim Scholars

By Dr. Tawfik Shahin Ph.- Al AZHAR. U.E 64 Pt.

A Muslim is one who accepts the existence of one God. His angels, His revealed books, His prophets, the Day of Judgment, and predestination as seen by the following quote from the Qur'an :

The Apostle Accepts what hath been revealed to him from his Lord, as to the men of faith. Each one them Accepts God. His angels. His books, and his apostles. We make no distinction (they say) between one and another of his apostles. And they say "we hear and we obey --- we seek thy forgiveness, our Lord, and to thee is the end of all journeys. Verse II - 285.

We muslims believe that there is no distinction between the prophets of Allah (peace be upon all of them), because they have been sent by Allah, because they are brothers, and because their message is the same (ie. to invite people to the way of Allah (verse v-69). We muslims also accept that the principles of all religions sent by Allah are the same --- to accept in Allah as one Deity, to believe in the Day of Judgment, and to do good deeds for the progress of all mankind (chapter VII/158 - 159). Muslims firmly believe that Islam is the religion for all human beings (chapter verse VII/158 - 159) .

As has been stated, the messages of all the prophets have been the same, the only differences being in jurisprudence, which was specific to

AL-AZHAR MAGAZINE
Shwal 1417 Hijra

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION
vol. 69 Part x

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:.
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية [دائرة تسع العالم كله]
للدكتور على أحمد الخطيب ١٤٠٩
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر . ١٤١٢
● حوار مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر
إعداد : سناء السعيد ١٤٢٢
● أطفالنا أكبادنا .. تمشى على الأرض
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٤٢٦
● قبس من أنوار النبوة (الشجاعة فى الحق)
للشيخ على حامد عبد الرحيم ١٤٣١
● من رجال الحديث الشريف
عرض للأستاذ/ أحمد تقى الدين ١٤٣٤
● تصحيح وقت أذان الفجر
للأستاذ / عبد الملك على الكليب ١٤٣٨
● كفارة القتل (٢)
للدكتور/ السيد رضوان محمد جمعة ١٤٥١
● النزعة العقلية عند الإمام الشافعى (٣)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى . ١٤٤٨
● مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية معاصرة
للدكتور/ عبدالعزيز عزت عبدالجليل ١٤٦٦
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ السيد العراق شمس الدين ١٤٧٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٤٧٦
● من أعلام الأزهر
(الشيخ حسنين محمد مخلوف)
للأستاذ الدكتور / سعد ظلام ١٤٧٨
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات ١٤٨٥

● الشعر والشعراء ●

● حقائق وأوهام للشاعر : عبدالغفار الدلاش ١٤٩٢
● شوارد وسوانح للشاعرة جليلة رضا ١٤٩٤
● أرحنا بها للشاعر رشاد محمد يوسف .. ١٤٩٦

● العلوم الكونية ●

● التشريعات الإسلامية لحماية البيئة
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٤٩٨
● مناهج النفس بين العقيدة وعلماء النفس
للأستاذ الدكتور / محمد يوسف خليل ... ١٥٠٣
● النبأ فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد السلام إبراهيم ناصف ١٥٠٦
● الصحة الانجابية (٨)
للدكتور / أحمد رجائى عبد الحميد ١٥٠٩
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد ١٥١١

● اللغة والأدب والنقد ●

● من تراث المحقق محمد أبى الفضل إبراهيم ١٥١٨
● العربية الفصحى فى وسائل الإعلام والتثقيف
للأستاذ الدكتور / عبد الغنى عبود ١٥٢١
● طبقات المحققين (١٣)
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٥٢٦
● التكريم الأدبى لحافظ إبراهيم (تتمة)
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٥٣٢
● قراءة فى كتاب (عرض)
للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد ١٥٣٩
● قراءات جادة
عرض وتقديم الأستاذ عثمان الجوهرى ... ١٥٤٥
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ : عادل رفاعى حفاجة ١٥٤٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ١٥٥٤
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير .. ١٥٥٨
● مؤتمر الدعاة الثانى بمنطقة وعظ الغربية .. ١٥٥٩
● القسم الفرنسى . ١٥٦٥
● القسم الإنجليزى ١٥٧٥

ع ٢٢٢٢٦
دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر
بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الشهادة للوحدانية

والشهادة القول الصادق الصادر عن علم ، وإذا كان العلم فى الإنسانية متفاوت القدر من إنسان لآخر ، فليس هو كذلك عند الله - سبحانه - فإنه - عز وجل - صاحب العلم اليقين ، و « إنما العلم عند الله » فعلمه ، سبحانه - وتعالى - لايعلق به الباطل ، فشهادته - سبحانه - أقوم الشهادة وأصدقها مطابقة للواقع الحق .

● وقد شهد - سبحانه وتعالى - للوحدانية ، وهى العقيدة الحق ، وَبَيَّنَها للناس ليتبعوها ، فلا يزيغ عنها إلا هالك ، فقال - سبحانه :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

سورة آل عمران - آية : ١٨

فهو ـ سبحانه ـ الإله الحق الذى تجب له العبادة وحده ، وهو ـ تعالى ـ على ما وصف به نفسه ، أَحَدٌ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوا أحد ، والإيمان بهذه الحقيقة إيمان الفطرة التى لم تعبث بها الأهواء ، ولم تتلاعب بها الفلسفات ، أو تنل منها وثنية المخلوقات ..

ولقد تبع هذه العقيدة الصفوة المطهرة من خلقه وشهدوا لها ، فكانت هى عقيدة الملائكة وأولو العلم الواردان فى ذات الآية الكريمة حيث يقول ـ تعالى :

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ .

فكُلٌّ شهد بأن الله هو الإله الحق المبين الذى منه البدء وإليه المعاد .

وعندى أن أولى العلم هنا تعنى ـ والله أعلم ـ بعد ـ الرسل ـ الربانيين من كل أمة ، هؤلاء الربانون الذين أشار إليهم القرآن الكريم فى أكثر من آية ، وهم أهل العلم ، والعمل بالعلم ، السالكون بالناس طريق البر والخير(١) ، وهم فى كل أمة من الأمم إلى حين .

● وشهد ـ سبحانه ـ للقرآن أنه قوله ، فهو الحق ، فليس قولا لأحد غيره ، وعَجْزُ الخلق عن مثله دليل قوله ، فلقد أعجز بلفظه ، وأعجز بعلمه ، وأعجز بتشريعه ، وأعجز بإحاطته لكل شىء ، وحسبنا منه مثالا واحدا : حديثه عن الإنسان نفسيا وخِلْقيًّا بما لم يذكره كتاب قبله ولا بشر من خلقه .

إنه كلمة الله مهما قال المرجفون .

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ سورة النساء

وهذه شهادة ثانية للملائكة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ خاصة للقرآن الكريم تضاف لشهادتهم السابقة الخاصة بألوهيته ـ وحده ـ سبحانه .

● ـ ثم هو ـ جل جلاله ـ شاهد على أعمال خلقه ، مطلع على سرهم وعلانيتهم ، وما هو أخفى من السر والعلن ..

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ .

سورة الحديد ـ آية : ٤

لذا يقول الحق ـ جل جلاله ـ :

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٩٨

---

(١) تفسير الخازن ٤٦٦/١ .

ويقول ـ عز من قائل ـ :

﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ .

سورة يونس ـ آية : ٦١

لقد شهد الله ـ تعالى ـ للوحدانية أنها الدين الحق ـ وشهد لما أنزله من كتبه ، ولم يفعل ذلك عبثا ـ تعالى الله ـ عنه ، فقد أوجب على خلقه هذا الدين ، وراقبهم عليه ؛ ليجازيهم بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا .. قال ـ تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾ . (سـورة المؤمنون)

● وللرسل ـ جميعا على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ شهادة كانت ميثاقا أخذه المولى ـ جل جلاله عليهم بتصديق بعضهم لبعض ونصرة كل منهم لأخيه وتأييده له ، ونصرتهم جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عقيدة التوحيد التى هى عقيدتهم . قال ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ سورة آل عمران

وقال ـ صلى الله عليه وسلم :« **الأنبياء بنوعلات أمهاتهم ودينهم شتى ودينهم واحد** » رواه الشيخان .

وشهادة ، يشهدون بها على الأتباع .. كل على أمته ، وفى التنزيل العزيز :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾ . (سـورة النساء)

فمن كل أمة شهيد ، أى رسول أرسله الله ـ تعالى ـ إليهم ليهديهم سواء السبيل ، وهؤلاء الرسل ـ أجمعون ـ يشهدون أنهم بلغوا رسالة ربهم على ما تحملوه فى سبيل التبليغ من عنت ومشقة واستهزاء ، حتى كان منهم رسل شقت أجسادهم بالمناشير ، وهم صابرون يحتسبون .. والله خير الشاهدين .

وفى القرآن الكريم شهادة الرسل مؤكدة بذكرها أكثر من مرة ،فقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤

وقال ـ عز وجل :

﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ .

سورة الحج ـ آية : ٧٨

شهادة مؤداة بين يدى الله ـ عز وجل ـ يوم يقوم الحساب .

● والشهادة للوحدانية سوف يؤديها أناس ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ،وشهادة أولئك الناس ، يشير إليها الكتاب الكريم ـ كذلك بأكثر من آية :

فالمؤمنون شهود : يقول ـ تعالى ـ لمؤمنى هذه الأمة :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

وجاء ذكر هذه الشهادة ـ كذلك ـ فى ختام سورة الحج فى قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

ولقد اخْتُصَّت أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشهادة على من قبلها من الأمم ؛ فإن القرآن الكريم قد أحاط أمته صلى الله عليه وسلم علما بالأنبياء ورسالاتهم وأقوامهم ، فصار مؤمنو هذه الأمة على أدق بيان بحوادث هذه الأمم فكانوا خير الشاهدين فيها بنص ما علموا من القرآن الكريم وعلى ذلك فالمراد بـ « الناس » فى الآية ما يعم جميعهم .

كذلك يشهد الضالون : يشهدون على أنفسهم ، كما يشهدون ـ كذلك ـ بإيمان المؤمنين . يشهدون على أنفسهم بالكفر . جاء ذلك فى قوله ـ تعالى ـ فى الموقف العصيب يوم لا ينفع النفس إلا إيمانُها ، وقد سئلوا :

﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ٣٧

وفى الكتاب العزيز تكرار لهذا الإقرار ، ففى سورة الأنعام جاء قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٣٠

ومن الطريف هنا أن من الساخرين بسيدنا رسول الله ﷺ أبا جهل – لعنة الله عليه – شهد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – متهكما فسجلت عليه :

روى الإمام البيهقى بسنده – إلى المغيرة بن شعبة – قال – أى المغيرة ، وكان لم يُسلم بعد : « إن أول يوم عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنِى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسولَ الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل : يا أبا الحكم ، هَلُمَّ إلى الله ، وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله .

فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنْتَهٍ عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله ، لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك » .

هكذا قالها متهكما فصار شاهدا ، ويستطرد المغيرة – رضى الله عنه – فيقول : فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل [أبو جهل] علىَّ ، فقال : والله ، إنى لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن يمنعنى شىء : إن بنى قُصى قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللواء فقلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكَبُ قالوا : منا نبى ، والله لا أفعل . »[٢] .

ثم إن ربك – من قبل ومن بعد : أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

د. على أحمد الخطيب

---

(٢) ابن كثير – السيرة النبوية ٥٠٦/١ ، ٥٠٧ ط . عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤ هـ .

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - تعالى - :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

هذا ، وبعد أن ذكر القرآن الكريم الناس جميعًا بنعم الله عليهم ، ليحملهم بذلك على إخلاص العبادة له ، وتصديق رسوله ﷺ فيما جاء به ، ومن بين هذه النعم خلق آدم وإظهار فضله على الملائكة ، بعد كل ذلك اتجه إلى تذكير طائفة خاصة من الكافرين المعاصرين للنبى ﷺ وهم بنو إسرائيل ، استمالة لقلوبهم نحو الإيمان بالله ، وكسرا لعنادهم ولجاجتهم ، فكانت هذه الآيات :

وإسرائيل : هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم - عليهم السلام - وفى إضافتهم إلى أبيهم إسرائيل تشريف لهم وتكريم ، وحث لهم على الامتثال لأوامر الله ونواهيه ، فكأنه قيل : يا بنى العبد الصالح ، والنبى الكريم ، كونوا مثل أبيكم فى الطاعة والعبادة .

ويستعمل مثل هذا التعبير فى مقام الترغيب والترهيب ، بناء على أن الحسنة فى نفسها حسنة

وهى من بيت النبوة أحسن ، والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بت النبوة أسوأ ، ففى هذا النداء . خير داع لذوى الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على ما يرد بعده من التذكير بالنعمة ، واستعمالها فيما خلقت له .

ومعنى ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ تنبهوا بعقولكم وقلوبكم لتلك المنافع التى أتتكم على سبيل الإحسان منى ، وقوموا بحقوقها وأكثروا من الحديث عنها بألسنتكم ، فإن التحدث بنعم الله فيه إغراء بشكرها .

والمراد بالنعمة : المنعم بها عليهم ، وتجمع على نعم ، وقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى الجمع كما فى قوله – تعالى :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النحل / ١٨

فإن لفظ العدد والإحصاء قرينة على أن المراد بالنعمة : النعم الكثيرة . ويبدو أن المراد بالنعمة فى الآية التى معنا كذلك النعم المتعددة حيث إنه لم يقم دليل على أن المراد بها نعمة معهودة ، وعلماء البيان يعدون استعمال المفرد فى معنى الجمع – اعتمادًا على القرينة – من أبلغ الأساليب الكلامية .

ثم أمرهم – سبحانه – بالوفاء بما عاهدهم عليه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ العهد ما من شأنه أن يراعى ويحفظ ، كاليمين والوصية وغيرهما ، ويضاف إلى المعاهد والمعاهَد جميعًا ، يقال : أوفيت بعهدى ، أى بما عاهدت غيرى عليه ، وأوفيت بعهدك ، أى بما عاهدتنى عليه ، وعهد الله : أوامره ونواهيه ، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، ويندرج فيه كل ما أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة ، من اتباع محمد ﷺ متى بعث ، والإيمان بما جاء به من عند الله وتصديقه فيما يخبر عن ربه .

المعنى : وأوفوا بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى ، والطاعة لى ، والتصديق برسلى ، أوف بما عاهدتكم عليه من التمكين فى الأرض فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

ثم أمرهم – سبحانه – بأن يجعلوا خوفهم من خالقهم وحده ، فقال – تعالى – : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ أى : خافونى ولا تخافوا سواى ، ولتكن قلوبكم عامرة بخشيتى وحدى ، فإن ذلك يعينكم على طاعتى ، ويبعدكم عن معصيتى .

وحذف متعلق الرهبة للعموم ، أى ارهبونى فى جميع ما تأتون ، وما تذرون ، حتى لا أنزل بكم من النقم مثل ما أنزلت بمن قبلكم من المسخ وغيره ، فالآيات الكريمة قد تضمنت وعدًا ووعيدًا وترغيبًا وترهيبًا .

﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ .

وبعد أن أمر الله – عز وجل – بنى إسرائيل ، أن يوفوا بعهده عمومًا أتبع ذلك بأمرهم بأن يوفوا بأمر خاص وهو القرآن الكريم ، وفى التعبير عنه بذلك تعظيم لشأنه ، وتفخيم لأمره . وأفرد – سبحانه – أمرهم بأن يؤمنوا به مع إندراجه فى قوله – تعالى – ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ ﴾ للإشارة إلى أن الوفاء بالعهد لا يحصل منهم إلا إذا صدقوا به .

والمراد بما معهم التوراة ، والتعبير عنها بذلك للإشعار بعلمهم بتصديقه لها . **والمعنى** : آمنوا يا بنى إسرائيل بالكتاب المنزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم المصدق لكتابكم التوراة ، ومن مظاهر هذا التصديق اشتمال دعوته على ما يحقق دعوتها ، من الأمر بتوحيد الله – تعالى – والحث على التمسك بالفضائل ، والبُعد عن الرذائل ، وإخباره بما جاء بها من الإشارة إلى بعثة النبى ﷺ ، ومطابقة ما وصفته به مطابقة واضحة جلية وموافقته لها فى أصول الدين الكلية ، وهيمنته عليها ، ولذا قال – عليه الصلاة والسلام – : ﷺ « **لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعى** » (٣)

وفى إخبار بنى إسرائيل بأن القرآن الكريم مصدق لما معهم ، إثارة لهممهم لو كانوا يعقلون – للإقبال عليه ، متدبرين آياته ، حتى تستيقن نفوسهم أنه دعوة الحق والإصلاح المؤدية إلى السعادة فى الدنيا والآخرة وحتى تطمئن قلوبهم إلى أن الإيمان به معناه الإيمان بما معهم ، والكفر به ، كفر بما بين أيديهم ، حيث إن ما بين أيديهم قد بشر ببعثة محمد – ﷺ – المنزل عليه القرآن الكريم .

قال الإمام الرازى : (وهذه الجملة الكريمة تدل على صدق النبى – ﷺ – من وجهين :
أولهما : أن الكتب السابقة قد بشرت به ، وشهاداتها لا تكون إلا حقًا .
وثانيهما : أنه – عليه الصلاة والسلام – قد أخبرهم عما فى كتبهم بدون معرفة سابقة لها ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوحى (٤) .

وبعد أن أمرهم – سبحانه – بالإيمان الخالص ، عرض بهم لتكذيبهم وجحودهم ، فقال – تعالى – : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ أى : لا تكونوا أول فريق من أهل الكتاب يكفر بالقرآن الكريم ، فيقتدى بكم أناس آخرون وبهذا تصيرون أئمة للكفر ؛ مع أن من الواجب عليكم أن تسارعوا إلى الإيمان به لأنكم أدرى الناس بأنه من عند الله ، وأكثرهم علمًا بأنه الرسول الذى نزل عليه هذا القرآن ، وهو الصادق الأمين فيما يبلغه عن ربه .

والمقصود من هذه الجملة الكريمة ، تبكيتهم على مسارعتهم فى الكفر ، واستعظام وقوع الجحود منهم ، وتوعدهم عليه بسوء المآل .

---

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن جابر بن عبدالله ــ رضى الله عنهما ــ
(٤) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٣٠

قال الإمام الرازى : (هذه الجملة خطاب لبنى إسرائيل قبل غيرهم فكأنه - سبحانه - يقول لهم : لا تكفروا بمحمد ، فإنه سيكون بعدكم كفرة ، فلا تكونوا أنتم أولهم لأن هذه الأولية موجبة لمزيد الإثم ، وذلك لأنهم إذا سُبقوا إلى الكفر ، فإما أن يقتدى بهم غيرهم أولا ، فإن اقتدى بهم غيرهم كان عليهم وزره ووزر كل كافر إلى يوم القيامة ، وإن لم يقتد بهم غيرهم ، اجتمع عليهم أمران : السبق إلى الكفر ؛ والتفرد به وكلاهما منقصة عظيمة ، وتؤدى إلى العاقبة الوبيلة) (٥) .

ثم نهاهم عن أن يبيعوا دينهم بدنياهم ، فقال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . والاشتراء هنا استعارة للاستبدال ، والذى استبدل به الثمن القليل هو الإيمان بالآيات ، والمراد بالآيات : البراهين المؤيدة لصدق النبى ﷺ وفى مقدمتها القرآن الكريم والتوراة .

والمراد بالثمن القليل : حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو الرياسة والمال والجاه ، وما إلى ذلك من الأمور التى خافوا ضياعها لو اتبعوا الرسول ﷺ .

والمعنى : لا تستبدلوا بالإيمان بما أنزلت مصدقًا لما معكم شيئًا من حطام الدنيا ، ولا تختاروا على ثواب الله بديلا من الأموال ، فإنها مهما كثرت فهى قليلة مسترذلة بالنسبة لما يناله أولو الإيمان الخالص من رعاية ضافية فى الدنيا ، وخيرات حسان فى الأخرى .

وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات ، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل بالآيات ؛ إذ لا يكون إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله - عز وجل - .

ونزل تمكينهم من الإيمان بالآيات لوضوحها منزلة حصوله بالفعل ، فكأن الإيمان كان فى حوزتهم ، ولكنهم خلعوه ونبذوه ، مستبدلين الذى هو أدنى بالذى هو خير ؛ فباءوا بغضب على غضب لكفرهم بالقرآن الكريم وبتوراتهم التى بشرت بالرسول - عليه الصلاة والسلام - .

ثم حذرهم - سبحانه - من التمادى فى الكفر بما أنزل ، مصدقًا لما معهم ، فقال - تعالى : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

الاتقاء معناه الحذر ، يقال : فلان اتقى الله أى حذر عقابه وبطشه ، والحذر من عقاب الله ، يستلزم امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، فمعنى « وإياى فاتقون » آمنوا بى ، واتبعوا الحق وأعرضوا عن الباطل .

---

(٥) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ٤٣٢ بتصرف وتلخيص

وبعد أن نهى القرآن الكريم بنى إسرائيل عن الكفر والضلال ، عقب ذلك بنهيهم عن أن يعملوا لإضلال غيرهم ، فقال – تعالى – :

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) ﴾ .

اللبس – بفتح اللام – الخلط ، وفعله : لبس ، من باب : ضرب تقول : لَبست عليه الأمر ، ألبِسه إذا مزجت بينه بمشكلة ، وحقه بباطله .

ولدعاة الضلالة طريقتان فى إغواء الناس :

إحداهما : طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

والثانية : طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر ، وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ .

وقد استعمل بنو إسرائيل الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام ، فقد كان بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبى – ﷺ – تأويلا فاسدًا ، يخلطون فيه الحق بالباطل ، ليوهموا العامة أنه ليس هو النبى المنتظر ، وكان بعضهم يلقى حول الحق الظاهر شبهًا ، ليوقع ضعفاء الإيمان فى حيرة وتردد ، وكان بعضهم يخفى أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبى ﷺ ، والتى لا توافق أهواءهم وشهواتهم ، فنهاهم الله – تعالى – عن هذه التصرفات الخبيثة .

والمعنى : ولا تخلطوا الحق الواضح الذى نطقت به الكتب السماوية ، وأيدته العقول السليمة ، بالباطل الذى تخترعونه من عند أنفسكم ، إرضاء لأهوائكم ، ولا تكتموا الحق الذى تعرفونه ، كما تعرفون أبناءكم ، بغية انصراف الناس عنه « لأن من جهل شيئًا عداه ، فالنهى الأول عن التغيير والخلط ، والنهى الثانى عن الكتمان والإخفاء .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ جملة حالية ، أى وأنتم من ذوى العلم ، ولا يناسب من كان كذلك أن يكتم الحق ، أو يلبسه بالباطل ، وإذا كان هذا الفعل ــ وهو لبس الحق بالباطل ، أو كتمانه وإظهار الباطل وحده ــ يعد من كبائر الذنوب ، فإن وقعه يكون أقبح ، وفساده أكبر ، وعاقبته أشأم متى صدر من عالم فاهم ، يميز بين الحق والباطل .

ففى هذه الجملة الكريمة بيان لحال بنى إسرائيل ، المخاطبين بهذا النهى ، وتبكيت لهم ، لأنهم لم يفعلوا ما فعلوه عن جهالة ، وإنما عن علم وإصرار على سلوك هذا الطريق المعوج .

قال أبو حيان فى « البحر » : وهذه الحال ، وإن كان ظاهرها أنها قيد فى النهى عن اللبس

والكتم، فلا تدل بمفهومها على جواز اللبس والكتم حالة الجهل، إذا الجاهل بحال الشيء لا يدرى كونه حقاً أو باطلا، وإنما فائدتها بيان أن الإقدام على الأشياء القبيحة، مع العلم بها، أفحش من الإقدام عليها مع الجهل(٦).

وبعد أن أمرهم ــ سبحانه ــ بأصل الدين الذى هو الإيمان به وبرسوله محمد ﷺ أردفه بركنين من أركانه العملية، إذا قاموا بهما لانت قلوبهم للحق، وانعطفت نفوسهم نحو خشية الله وحده، فقال تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

والمراد بإقامة الصلاة، أداؤها مستوفية لأركانها وشرائطها وآدابها. والمراد بإيتاء الزكاة دفعها لمستحقيها كاملة غير منقوصة.

والمعنى: عليكم يا معشر اليهود أن تحافظوا على أداء الصلاة، التى هى أعظم العبادات البدنية، وعلى إيتاء الزكاة التى هى أعظم العبادات المالية، وأن تخضعوا لما يلزمكم فى دين الله ــ تعالى ــ لأن فى محافظتكم على هذه العبادات تطهيرا لقلوبكم، وتأليفا لنفوسكم، وتزكية لمشاعركم، ولأنكم إن لم تحافظوا عليها كما أمركم الله ــ تعالى ــ فسيلحقكم الخزى فى الدنيا، والعذاب فى الأخرى.

هذا، ونرى من المناسب أن نختم تفسير هذه الآيات الكريمة، وبيان ما اشتملت عليه من توجيه سليم، وتركيب بليغ، بما قاله أبو حيان فى تفسيره، فقد قال ــ رحمه الله ــ

« وفى هذه الجمل ــ وإن كانت معطوفات بالواو التى لا تقتضى فى الوضع ترتيبا ــ ترتيب عجيب من الفصاحة، وبناء الكلام بعضه على بعض، وذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التى أنعمها عليهم، إذ فى ذلك ما يدعو إلى محبة المنعم ووجوب طاعته: ثم أمرهم بإيفاء العهد الذى التزموه للمنعم، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هوتعالى بعهدهم فى الإيفاء بالعهد، ثم أمرهم بالخوف من نقمه إن لم يوفوا، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة والإحسان، وأمر بالخوف من العصيان. ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص وهو ما أنزل من القرآن، ورغب فى ذلك بأنه مصدق لما معهم، فليس أمراً مخالفا لما فى أيديهم، لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس، ثم أمرهم ــ تعالى ــ باتقائه ثم أعقب ذلك بالنهى عن لبس الحق بالباطل، وعن كتم الحق، فكان الأمر بالإيمان أمرا بترك الضلال، والنهى عن لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق تركا للإضلال.

---

(٦) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ١٨٠ ـ مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

ولما كان الضلال ناشئاً عن أمرين :

إما تمويه الباطل حقا ، إن كانت الدلائل قد بلغت المستمع ، وإما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، أشار إلى الأمرين : بلا تلبسوا وتكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان ، وإظهار الحق بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، لأن الصلاة آكد العبادات البدنية ، والزكاة آكد العبادات المالية ثم ختم ذلك بالأمر بالانقياد والخضوع له ــ تعالى ــ مع جملة الخاضعين الطائعين .

فكان افتتاح هذه الآيات بذكر النعم واختتامها بالانقياد للمنعم ، وما بينهما من تكاليف اعتقادية ، وأفعال بدنية ومالية ، وبنحو ما تضمنته هذه الآيات من الافتتاح والإرداف والاختتام يظهر فضل كلام الله ــ تعالى ــ على سائر الكلام ، وهذه الأوامر والنواهى ، وإن كانت خاصة ببنى إسرائيل فى الصورة ، إلا أنها عامة فى المعنى ، فيجب على كل مكلف فى كل زمان ومكان أن يعمل بها.(٧)

« يتبع »

(٧) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ١ ص ١٨١ مطبعة السعادة : الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢ هـ

أطفالنا أكبادنا ـ تمشى على الأرض

فى رعاية الناشئة... إحسان إلى أنفسنا

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

٣

أولادنا هم الصحف التى ننقشُ عليها خبراتنا ، وتوجهاتنا ، ليضيفوا هم لمن بعدهم ، وبذلك تظلُّ حياةُ الإنسان فى نماء مستمر ، وتتعدل ظواهرُ حياته ، أو يتغير تشكيلُ جوانبَ منها جيلًا بعد جيل ، حسب نوع اللبناتِ الفكرية ، أو الصوريةِ التى تضاف أو تنشأ كل حين .

خبراتنا وأولادنا :

إننا نبنى ، ونشيد ، ونكتبُ ، ونبتكرُ ، ونخترعُ ، ونزرعُ ، نمهدُ بذلك لأطفالنا الذين يُطِلُّون على الدنيا بوجوهٍ بريئة ، وقلوب نقية طاهرة ، وهؤلاء يكبرون ويتسلمون الزمام لِيُضيفوا ما شاء الله ـ سبحانه ـ لهم أن يضيفوا لمن يلُونهم ، وهكذا مضت الحياةُ منذ آدم ، وتمضى على السُّنن المقدر لها ، حتى يرثَ الله الأرضَ ومَن عليها .

كيف لا نمنحهم كل رعاية وعناية ؟

إن أطفالنا اليوم هم بناةُ الغد ، وهم رجاله : مفكروه ، وسواعده ، ودروع أمنه ، وحماة استقراره ، وهم ـ فى الإسلام ـ مُستودعُ أمانات الآباء ؛ يحفظون الدّين ، وينقادون لرب العالمين ، ويُبقون على العهد ما بقى لهم على الأرض نَفس ، هم حلقة زهيَّةٌ فى سلسلة أَسَرهم وقبائلهم التى يتكون من مجموعها تاريخُ الأمة . وتكتسب الأمة منعتها ومزاياها من امتزاجها

وتضافر جهودها لتقديم أحسن ما عندها وعند أفرادها من خدمات وأعمال بها يتحقق الرخاء والازدهار والترقى المنشود الذى يعود خيره على الجميع ، فالتعاون شعارهم ، والإخـــلاص حَادِيهم ، وقصدُ الخير للجميع غايتهم .

وقد أجرى الله الكريم سنته بأن من قَصد الخير وفق له ، ويُسِّر عليه ، ومن نوى صالحاً ثُبتَّ عليه بفضل الله ـ تعالى ـ وإحسانه .

إن أطفالنا يحملون أسماءَ أسرهم وآبائهم ، وإن الإسلام يوجب علينا إحسانَ تربيتهم ، وإعدادِهم إعداداً طيباً ليكونوا أهلًا للكرامة فى الدنيا ، وللفوز والنجاة فى الآخرة ، وإذا أحسنَّا تربيتهم فقد أحسنَّا إلى أنفسنا .

إن الأبوة حنانٌ ورحمة ، وإن فلذات الأكباد هم الأولى بهذه الرحمة التى تحيط الناشئة بسياج من الرعاية والعناية يجنبهم أسباب الهلكة والضياع ، ويُرَشِّدُ مسالكهم على طريق الخير والنجاح :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

(التحريم : ٦)

وهذا هو الذى حدا بإبراهيم الخليل ويعقوب ـ عليهما أفضل الصلاة والسلام ـ إلى تأكيد الوصية بالدين ، والتزام توحيد الإلـٰه وطاعته والانقياد لأمره وإسلام الوجوه له ، وظلَّت تلك الوصية على ألسنتهم يلحون بها على الأبناء ، ويذكرونهم بها حيناً بعد حين ، وقد كانت تلك آخر وصايا يعقوب وهو يفارق الدنيا ، وقد اطمأن قلبُه إلى سلامة موقف أبنائه من الحق ، وتمسكهم به ، وسيرهم على منهاج آبائهم الصالحين .

نموذج للأبوة الحانية :

إن المتدبر فى وصايا لقمان الحكيم ـ عليه السلام ـ ليرى أنموذجاً رائعاً ومؤثِّراً للأبوة الحانية ، والقلب الكبير ، والمربى الكريم ، والحكيم ذى الفكر المستقيم ، والرأى السديد ، وقد سُميت إحدى سور القرآن باسمه فيها آيات بيناتٌ ، وحكَمٌ مفصَّلات ، ووصايا لبناء النفس الإنسانية بناءً سليماً مكتملًا يشمل : القلبَ ، والعقلَ ، والجسمَ ، والخُلق .

وأولُ قاعدة فى هذا البناء طهارة القلب بتوحيد الإلـٰه وإخلاصِ الطاعة له ـ وحده سبحانه :

﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ (لقمان : ١٣) .

نهاه عن أعظم الظلم ، وهو الظلمُ الذى لا يُغفر لصاحبه إذا مات مصرًّا على الإنكار أو الشرك فى الأفعال أو الأقوال ، أو النيات ، والنهىُ عن الشىء يَقْتضى اجتنابه والحذر منه ، ولزوم ضِده والتزامه وهو ـ أى الضد ـ التوحيدُ النقىُّ الخالصُ من كل شائبة من شوائبِ الشرك الذى هو أساسُ كل خير ، ومنبعُ كل بركة ، وسرُّ كل رحمة .

ومن مقتضيات التوحيد شكر المنعم ، وإدْآب الجوارح فى خدمته ، وخشيتُه فى السرّ والعلانية ، لذا أمر الله ـ تعالى ـ العبد بقوله :﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ (لقمان : ١٤) .

وبر الوالديــن ، وطاعتُهمـا ، والوفـاءُ بحقوقهما ، والقيامُ على خدمتهما ، وخفض الصوت أمامهما ، ولينُ الكلام لهما ، وحسنُ الخلق معهما ، والدأبُ على راحتهما هو عينُ شكرهما .

كما أن طاعة الله وعبادته والإخلاص فيها والقيام

بفرائضه وكثرة ذكره وحمده هو عين الشكر الذى من أجله، خلق الإنسان ، ومنح السمع والبصر والعقل والفهم ، وسخر الكون لخدمته .

تربية الضمير وصقله :

إن ما يسمى « الضمير » فى عالم المدنية المعاصرة لا يصلحُ وحده للحكم على الأمور ، وتحديد ما هو حسَنٌ ، وما هو قبيحٌ ، وما ينبغى وما لا ينبغى ؛ لأنه بطبيعته متذبذبٌ متقلبٌ لا يستقر على حال ، فقد يَرضى عن شيء فى حال ، ويسخطُ عليه فى حال حسب تغير المزاج ، والمكان ، والزمان ، وتُؤثر فى توجيهه النزعاتُ العرقيةِ ، ونوعُ التربية ، ومتقبَّلاتُ البيئة والوسط والعرف والرفقة ونحو ذلك ، لذا نجد الجَمَلَ قد استنوق فى المجتمعات المنحلة ، وفى البيئات التى لا ترى فى (الْخَنَا) .. خنا .

أما الضميرُ الذى هذَّبه الدينُ الحقُّ ، وصقلته شريعةُ الله ، فإنه ينظر إلى الأمور على بصيرة ، وينطلقُ فى المسير على هدايةٍ : فالخيرُ خيرٌ ، والشرُّ شرٌّ ، والحلالُ حلالٌ ، والحرامُ حرامٌ ، والخنَا خَنَا ، والشرفُ شرف تأسيساً على مقتضيات الفطرةِ الإنسانيةِ النقيَّةِ التى ربيت تربيةً صالحةً تستمدُّ مُقوِّماتِها وعناصرَها من أوامر الله ونواهيه ، وهو ــ سبحانه ــ أعلم بعباده وبما ينفعُهم ، وما يضرُّهم ، وما تَصْلُح به نفوسُهم وأحوالهم .

إحياء الوازع الدينى :

وبعد الإيمان بوحدانية الإلهٰ ، يجيءُ إحياءُ الوازع الدينى فى النفس ، وإيقاظُ الرقابةِ الإيمانيةِ فى القلب ، وتنبيهُ الضمير حتى يظلَّ على طريقه المستقيم :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ١٦)

يا بنى :

نداءُ الأبوة الرحيمة يتكررُ فى هذه الوصايا ، والدروسِ القيمة للإشعار بقرب الابن من قلب الأب ، وإشعار الابن بشفقة الأب وحُنوِّه وخوفه الذى يدفعه إلى إحاطة الابن بالنور الذى يوضح له معالم طريق حياته .

ثم انظر إلى المثل الذى ضربه ليقرب المعانى المرادة من العقل والقلب ، ويجعلها كأنها ماثلة أمام العين ، **وحبة الخردل مثل لأدنى ما يوزن** ، فلو كان هذا الجرم الصغير مطروحاً فى السموات على عظمة بنيانها وحجمها وأجرامها واتساع جوانبها أو فى الأرض كذلك ، أو كان فى جوف صخرةٍ صمَّاء لا يدخلها ضوء ، فإن ذلك يقعُ تحت علم الله لا يغيبُ عنه ، فكذا أعمال العبد مهما أسرَّ ما أسرَّ منها ، أو اختفى بها عن عيون الناس ، ومهما كانت صغيرة أو كبيرة ، قولًا أو فعلًا ، أو نية وعزماً ، فإن الله ــ عز وجل ــ يريها لصاحبها يوم الحساب ويجازيه عليها إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرٌ .

إنه مثَلٌ يصقُلُ ضمير المؤمن ، ويُحيى قلبه ، ويجعل رقيبه من نفسه ، فيقفُ عند حدود الله ــ عز وجل .

إن لقمان حقاً نموذجٌ سام عظيمٌ للمربِّين والآباء والأمهات والمرشدين فى منهجه وأسلوبه الرفيع فى تنمية الفضائل الثابتة ، وإذا استقام ضميرُ المرء تجنب المهلكات ، والموبقات ، فيسلم له عقلُه ، وبدنُه ، ونفسُه ، ويصير عضواً صالحاً نافعاً لذاته ولغيره .

وإذا صحَّ الإيمان ، وقوىَ الوازعُ الدينى ، أقبل الإنسان على طاعة الله ، وأعظم العبادات الصلاة ، فقد أمر الله بها جميع المرسلين والأنبياء ، ووصى بها جميع أولياء الله الصحالحين أولادهم وأهليهم وطلبوا من الله العون على أدائها والمحافظة عليها : « **يابنى أقم الصلاة** » وكلمة « **يا بنى** » مع كل وصية لها وقْعٌ جميلٌ فى النفس وتكرارها يستميل المنصوح .

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ (لقمان : ١٧)

إن إقامة الصلاة تتصلُ بالنفع الذاتى فمن أدَّاها نفع نفسه ، وأنقذ مُهجته ، وأسعد روحه ، ومن كان على هذا النحو من التربية الرشيدة ينصح بأن يكون له دور فى النفع المتعدِّى على حسب إمكاناته وفى حدود الآداب الشرعية يُوجِّه إلى الخير ، وينصحُ بالرجوع عن الشرّ ، ويصبر على أداء ما يمكنه فى هذا السبيل ، يصبر على الطاعة ،ويصبرُ على المشقة ، يصبرُ عن المعصية ، ويصبرُ إذا لحقة أذى محتسباً راضياً كافاً جوارحه عما يُسخط الله .

الوقار والتواضع والخُلق الكريم:

ثم إن بناء النفس المطمئنة بالإيمان الصحيح ، والطاعة والانقياد ، وإحياء الوازع الدينـى فى القلب ، ومراقبة الله فى السرِّ والعلن ، وبأداء الفرائض ، وإيصال الخير للناس ، إن هذا كله لا يكتمل جماله ورنقه ، ولا يتم قبوله إلا من النفس التى تتواضع لله ــ عز وجل ــ وتضع النعم فى مواضعها الصحيحة التى خلقت لها ، وهيئت من أجلها ، ويتسم صاحبها بالحلم والوقار والسكينة ولين الجانب وسعة الصدر والخلق الكـــريم والتواضع لعباد الله :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ .

أى : لا تتكبر على عباد الله ، احذرْ هذا لأن الكبرياء لله وحده فمن نازعه فى كبريائه قصمه وأذله .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ .

إياك والاختيال والعُجبَ فأنت من الطين وإلى الطين ، والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وإن الله يُبغض أهل الاختيال والعُجب والتعالى على الناس لأى سبب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان : ١٨) ، بل عليك بالقصد والتوسط والاعتدال والرفق فى كل أمورك ، ويظهر ذلك فى : مشيك ، وخفض صوتك ، فلا ترفعه فوق الحاجة فى مخاطباتك ومعاملاتك ؛ إذ الصوتُ العالى من غير سبب مُوجب له قبيحٌ ، ويُضرب له المثلُ بصوت الحمار الذى هو أبغض صوت إلى الناس :

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

(لقمان : ١٩)

هذا نموذجٌ رائع لنفس إنسانية عظيمة ضُرب بها المثل فى الحكمة وبعد النظر ، واستقامة الفكر ، والحنان الأبوى الذى هو أنموذجٌ توجه إليه الأنظار ، ويلتفت إليه أهلُ العقل والحكمة فى مجال رعايتهم لفلذات الأكباد .

إذ لا ينبغى أبداً أن يُتركوا هملًا ، أو يُلقى بهم فى خضم الحياة قبل التسلح بالدين والخلق الكريم والعلم المفيد ، وجدية الاستقامة على مبادىء الفطرة النقية الطاهرة التى نمّاها دين الله ، وهذبها ، وبصّرها ، ورشّد مسالكها وتوجهاتها .

قبس من أنوار النبوة

.. أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين

لفضيلة الشيخ

علي حامد عبد الرحيم

عن أبى موسى الأشعرى ـ يرفعه إلى النبى ﷺ قال : إن إبليس يبعث جنوده كل صباح ومساء فيقول : من أضل رجلا أكرمته ، ومن فعل كذا فله كذا ، فيأتى أحدهم فيقول : لم أزل به حتى طلق امرأته ، قال : يتزوج أخرى فيقول : لم أزل به حتى زنا ؛ فيجيزه ويكرمه ويقول لمثل هذا فاعملوا .

ويأتى آخر فيقول : لم أزل بفلان حتى قَتَل ، فيصيح صيحة يجتمع إليه الجن فيقولون له : يا سيدنا ما الذى فرَّحك ؟ فيقول : حدثنى فلان أنه لم يزل برجل من بنى آدم يفتنه ويصده حتى قتل رجلا فدخل النار فيجيزه ويكرمه كرامة لم يكرم بها أحدا من جنوده ثم يدعو بالتاج فيضعه على رأسه ويستعمله عليهم » .

رواه أبو نعيم فى الحلية ، والسيوطى فى جامع الأحاديث برقم ٧٢٦٤ .

خلق الله الملائكة من نور . وطبعهم على الطاعة لله رب العالمين ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

سورة التحريم ـ آية : ٦

ولهم عمل فى الكون يخفى على الإنسان ، ومنهم من يلازم الإنسان فى حياته كلها ، جاء فى الأثر

« إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرموهم » .

وهم مع الإنسان المؤمن بعد الممات ، كما قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ . سورة فصلت

وعالم الملائكة غيبى لا يدرك بالحس ولا بالعقل ، ونحن مكلفون بالإيمان بهم .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ **سورة البقرة ـ آية : ٢٨٥**

وخلق الله الجان من مارج من نار . منهم الصالح ومنهم دون ذلك . ومنهم الكفرة وهم الكثرة . وهم مكلفون كبنى آدم ، ورسلهم من البشر قال الله ـ تعالى ـ عنهم :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

سورة الجن ـ آية : ١٤ ، ١٥

ومنهم إبليس أبو الشياطين وأصلهم الأول من عالم الجن . وهم أهل التمرد على الله ، والتخريب ، والتدمير ، وتحريف الديـــن ، والخروج على الفطرة ، وتحريم الحلال ، وتحليـــل الحرام ، والتشكيك فى أمر الآخرة وقد طلب إبليس من الله ـ عز وجل ـ أن ينظره إلى يوم القيامة لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم واحتجاجه بأنه خير منه ، وإخراجه من الجنة . حين تكبر وادعى أنه خير منه حقدا وحسدا ، مقسما بالله .

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

سورة ص ـ اية : ٨٢

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ . **الإسراء**

فقعد لابن آدم فى كل طريق ، يصده عن ذكر الله وطاعته ، ويزين له ما تهفوا إليه نفسه ، ويميل إليه هواه من حب للجنس ، وطمع فى المال وحرص على المنصب والجاه ، أو إيثار للاستبداد والظلم والطغيان ، يغرى بالعداوة والبغضاء بين الناس ، ويفرق بين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجه ، يشعل نيران الفتنـــة بين الأفـــراد والجماعات ، ويوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب . حتى يهلك الحرث والنسل .

إن كل فساد جنسى ، أو خلقى ، أو اجتماعى ، إنما هو من نتاج إبليس وجنوده الأشرار .

عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال النبى ﷺ : « **إن إبليس الملعون يخطب شياطينه فيقول : عليكم باللمم وبكل مسكر وبالنساء** » رواه الحاكم .

لقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى ـ من مكايد الشيطان ومكره . لقد كاد لأبينا آدم ـ عليه السلام ـ ولأمنا حواء ، حتى أخرجهما من الجنة بأيمانه الكاذبة مدعيا أنه لهما ناصح أمين ، يريد خلودهما فى الجنة .

قال تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ سورة الأعراف

وهو الذى كاد لابن آدم : قابيل حتى قتل أخاه .

ومن مكره وكيده أنه يورد الموارد ، ويوقع ابن آدم فى المهالك ، فيأمره بالسرقة ويوقعه فى جريمة الزنا ، ويدفعه إلى القتل .

قال الله ـ تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٤٨) ﴾ **الأنفال**

وهو الذى يتدرج بابن آدم خطوة وراء خطوة حتى يخرجه إلى الكفر والضلال ..

وصدق الله حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧) ﴾ . (سـورة الحشـر)

لقد نهانا ربنا ـ سبحانه ـ عن تتبع خطوات الشيطان وأن نحذر منه وأن نتقى شره فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٦٨ ، ١٦٩

ثم فى مشهد من مشاهد يوم القيامة يميز الله فيه المجرمين ، ويوجه لهم الخطاب ناعيا عليهم طاعتهم للشيطان وعبادتهم له .

﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٥٩) * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ (٦٢) ﴾ .

(سـورة يس)

ويوم القيامة يخطب الشيطان فى الذين اتبعوه ملقيا عليهم اللوم فى ضلالهم ومتابعتهم له ليزيدهم حزنا إلى حزنهم ، وحسرة إلى حسرتهم :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ . **سورة إبراهيم ـ آية : ٢٢**

ولكن المؤمن بتوبته إلى ربه ، ورجوعه إلى خالقه تتغلب فيه جوانب الخير على جوانب الشر فيعرض لهداية الله ، ويبصر الحق والنور . كما قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾ . **سورة الأعراف**

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله فى الأرض مكلف أن ينمى فى نفسه معانى البر والخير والصواب والطاعة والتقوى ، وأن يقاوم نوازع الإثم والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحى الذى أراده الله له وإن زلت به القدم ، أو تورط فى الإثم ، أو جانبه الصواب ، فأمامه السبيل الذى

يسره الله ـ تعالى ـ وعلمناه ورسمه فى توبة أبينا آدم واستئناف حياة الطهر والعفاف والصفاء والنقاء . ويحذر الشيطان وكيده .

قال شقيق البلخى : ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد : من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ، فيقول : لا تخف فإن الله غفور رحيم ، فاقرأ :

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ . **سورة طه**

وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على من أخلفه ، فأقرأ :

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ .

سورة هود ـ آية : ٦

ومن قبل يمينى ، يأتينى من قبل النساء ، فأقرأ :

﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٢٨

ومن قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات ، فأقرأ :

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٥٤

وحينئذ يكون ذكر الله والاستعانة به على نوازع الشر ، والاستعاذة به من الشيطـــان وشركه ، والتوفيق لكل خير . والله المستعان ..

بسم الله الرحمن الرحيم

وقـت الفجـر

عقـب نشـر موضـوع تصحيح وقـت الفجر بعدد شوال من مجلـة الأزهر أودعت إدارة التحرير لمجلة الأزهر نسخا عدة بـدار الإفتـاء ليطلـع عليها فضيلة الدكتـور المفتى بشأن تحديد وقـت طلـوع الفجر ، وبالتالـى تصحيـح الأوقـات . علمـت إدارة التحريـر أن دار الإفتـاء قامـت بمخاطبة كل من مصلحـة الأرصاد الجوية وهيئة المساحة . وقسم الفلك بعلوم الأزهـر ، ومرصـد حلـوان - فى بدايـة من دار الفتـوى لاستطلاع الأمـر ودراسـته قبل أن تصـدر بيانـا رسمياً فى هذا الموضـوع ونسأل الله - تعالى - التوفيق ..

من رجال الحديث الشريف

جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني (*)

عرض الأستاذ/ أحمد تقي الدين

لهذا العالم الجليل وضع يثير الدهشة :

فمتى ولد ؟ أين ذهبت أسرته ؟ كيف قضى طفولته وصباه ؟ أسئلة تطرح حتى يومنا هذا عن العالم النحوى « جمال الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن مالك » وتظل بلا شجابة .

غير أن الأمر لم يخل من اجتهادات ؛ فالمقرى يرى أنه ولد سنة ٥٩٨ هـ ، وتوفى سنة ٦٧٢ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، وأيد هذا الرأى الخضرى والأشمونى استنادا إلى قول ابن غازى :

★ اعتمدنا فى إعداد مادة هذا المقال على كتاب: « شرح الكافية الشافية » تأليف العلامة جمال الدين أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك حققه وقدم له الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدى ، من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ط ١٩٨٢ م ، وجاء التحقيق فى خمسة أجزاء من القطع العادى ، مادة الكتاب تقع فى أربعة أجزاء جاءت فى اثنين وأربعين ومائتين وألفى صفحة فأما الجزء الخامس فقد احتوى على فهارس الكتاب وجاء فى ثلاثمائة وتسعين صفحة

وللتعريف بهذا السفر النفيس نقتطف بعضا مما أورده المحقق فى مقدمته يقول : « إن كثيرا من المكتبات العربية أصابها ما أصابها من جراء الحروب المتوالية .. مما كان يُخشى معه القضاء على الكنوز العربية الثمينة . وهنا تنبه العلماء فشمروا عن ساعد الجد .. يحفظون مايمكن حفظه من التراث العربى .. وقد سلك العلماء فى سبيل تذليل هذا أموراً منها نظم الضوابط المختلفة لبعض العلوم . وكان لابن مالك فى هذا المجال القدح المعلى .. بنظم القواعد النحوية وغير النحوية .. فى عبارة تخف معها المؤونة ، وتخف بها المعونة ، ويكون الغناء بها مضمونا .. وتضمن وصول المعلومات إلى أذهان المتعلمين فى يسر .. ومن أهم الأراجيز النحوية التى بدأ بها ابن مالك حياته فى مجال النظم .. « الكافية الشافية » .. وهى .. نظم موجز يحتوى على سبعة وخمسين وسبعمائة وألفين من الأبيات .. وقد جاءت مقدمة الأرجوزة فى سبعة عشر بيتا والختام فى خمسة والباقى اختص بالمادة العلمية وقسم النظم إلى ستة وستين بابا ، واثنين وستين فصلا . وقد ضمن الناظم مقدمته الداعى إلى هذا النظم ، وقد حصره فى شىء واحد هو قصد إفادة المتعلمين بما اجتهد هو فى تحصيله من علم يخشى أن يمضى دون أن يفيد به أحد .. وبعد أن نظم أرجوزته أتبعها بشرح ..» انظر مقدمة المحقق ص ٣٦ : ٤٥ .

قد خبع ابـن مالك فى خبعــا

وهـو ابـن عه كذا وعـى من قد وعـــى

والبيت قصد به بيان تاريخ وفاة ابن مالك وعمره ؛ فتاريخ وفاته يدل عليه قوله « خبعا » إذ الخاء : ستمائة ، والعين: سبعون ، والباء : ثنتان ؛ أما عمره فيؤخذ من قوله « عه » لأن العين: سبعون ، والهاء : خمسة .

يرجح هذا القول احتمال أن يكون ابن مالك هجر أرض الأندلس عقب موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ فى سن لن تكون بجال اقل من اثنتى عشرة سنة .

موطن ولادته :

اختلف المؤرخون أيضا فى موطن ولادة ابن مالك وذلك نظرا لتركه موطنه الأصلى فى سن مبكرة، والغموض الذى أحاط حياته فى الأندلس فضلا عن اقتران نبوغه بدمشق ، ولكن الأرجح أنه ولد فى « جيان الحرير » من كبريات بلاد الأندلس خاصة وأنه كتب اسمه بخط يده « محمد ابن عبدالله بن مالك الطائى الجيانى » .

وأيضا تضاربت الأقوال بشأن نسبه وينحصر هنا التضارب فى روايتين :

الأولى : رواية الشيخ شمس الدين محمد بن على ابن طولون الصالحى وتقول : إنه محمد بن عبدالله ابن عبدالله بن عبدالله بن مالك .

والثانية : أن اسمه محمد بن عبدالله بن مالك وهى رواية الدمامينى ، وعلى أى الأحوال فقد أجمعت المصادر على أنه كان يكنى بأبى عبدالله ، وأنه كان يلقب بـ « جمال الدين » .

وقد كتب رحمه الله إجازتين علميتين لتلمذه ابن جعوان ، جاء فى نهاية الأولى : « عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائى الجيانى » .

ثقافته ورحلاته

نشأ ابن مالك محبا للعلم والثقافة مقبلا على مؤلفات القدماء ساعده على ذلك عقل مفكر ، وذهن صاف وذاكرة حافظة ، ولم يطل به المقام فى (جيان) فقد انتقل منها إلى دمشق ، ومر فى رحلة انتقاله تلك بالقاهرة ، ومكث بها بعض الوقت ، وتذكر بعض المصادر أنه تولى القضاء بالقاهرة ، وهو أمر يكتنفه بعض الشك لصغر سنه وقتئذ ومن القاهرة ارتحل ابن مالك إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، ومنها انتقل إلى دمشق ، حيث تتلمذ على أيدى بعض علمائها ، ثم أنتقل إلى حلب ، واشتغل فيها بالتدريس ، ومنها إلى حماة ، ليعود بعد ذلك إلى دمشق .. يجمع من حوله طلاب العلم الذين تحلقوا حوله يستمعون إلى دروسه .

فكان ــ رحمه الله ــ عازفا عن زخرف الدنيا ، مؤثرا العلم ، مكبا على دراسة كتب أسلافه وأقرانه حتى استوعبها تماما ، وكان فى كل مكان يحل به يجذب حوله طلاب العلم يسمعون منه فى : النحـو والصرف ، واللغة ، والحديث ، والقراءات ، فكـان يقـرأ ويـدرس ، ويبـحث ويدون ، ويصنف ، ثم يملى على مريديه .

وفاته :

وظل هكذا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء ، الثانى عشر من شعبان سنة اثنين وسبعين وستمائة ، ودفن بسفح جبل (قاسيون) وقبره بالروضة شرقى قبر الشيخ موفق الدين بن قدامة .

مؤلفاته

كانت مهمته فى التأليف والتصنيـف شاقـة عسيرة ، حيث كان مريـــدوه متفـــاوتين فى

المستويات العقلية والعلمية ، وكان عليه ان يلبى رغبات الجميع ، ومن هنا اتسمت مؤلفاته بسمات شتى منها : التفاوت بين الطول والقصر ، والإطناب والإيجاز ، والسهولة ووعورة المسلك ، والاقتصار – أحيانا – على موضوع واحد .

أما أهم مؤلفاته فهى :

– عمدة الحافظ وعدة اللاحظ .
– شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .
– شرح الكافية الشافية .
– ألفية ابن مالك .

والواقع أن ما لم تمتد إليه يد الفناء من آثار ابن مالك ينبىء عن اتصال بنواح كثيرة من العلوم كاللغة ، والنحو ، والصرف ، والعروض ، والحديث ، والقراءات ، فتنوعت دراساته حتى كادت تشتمل أكثر علوم العربية فى عصره .

آية فى الحديث .

وامتزاج الثقافات ظاهر فى مؤلفاته ، حيث ساعدته درايته باللغة ، وإحاطته بالنحو والصرف ، وإلمامه بالأدب على حل المشكلات التى تنشأ من الاختلاف فى فهم النصوص ، حتى قال عنه المؤرخون : «كان ابن مالك آية فى الحديث» فقد كان يسمع الحديث ويرهف السمع ليضبط مشكله ، ويخرج ما فى ظاهره البعد عن قياس العربية ، ثم يصنف فيه ، وبذا يكون قد حصل منه ما لم يحصله كثير من(1) أمثاله حتى قال عنه أبو حيان : « قد نهج هذا المصنف فى تصانيفه كثيرا بالاستدلال بما وقع فى الحديث فى إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، ومارأيت أحداً من المتقدمين ، ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل »

وكان الشرف اليونينى يقرأ الحديث بين يدى شيخه ابن مالك ، فإذا مر بهم لفظ يوهم ظاهره مخالفة قوانين العربية . سأله الشيخ : « هل الرواية فيه كذلك » فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك فى توجيه الرواية لتسير فى ظلال القواعد العربية .

ومن ثم وضع كتابه المسمى « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » .

ومما كتبه ابن مالك على الورقة الأولى من الجزء الأخير من نسخة الشرف اليونينى من صحيح البخارى:

« سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخارى – رضى الله عنه – بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتفنن شرف الدين أبى الحسين على بن محمد بن أحمد اليونينى – رضى الله عنه وعن سلفه .

وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء، ناظرين فى نسخ معتمد عليها فكلما مر بهم لفظ دو أشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمى بالعربية .

وما افتقر إلى بسط العبارة ، وإقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء استوفى فيه الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عاما – إن شاء الله تعالى – وكتبه محمد بن عبدالله بن مالك – حامداً الله تعالى » .

كما كتب الحافظ اليونينى على ظهر آخر ورقة من نفس المجلد : « بلغت مقابلة وتصحيحاً ،

(1) سبق للأستاذ الدكتور هنادى أن نشر بحثا فى هذا الموضوع بأعداد ... وفيها للإمام النووى .... .

واسماعاً بين يدى شيخنا شيخ الإسلام، حجة العرب، مالك أزمة الأدب العلامة أبى عبدالله ابن مالك الطاتى الجيانى ــ أمد الله فى عمره ــ فى المجلس الحادى والسبعين ، وهو يراعى قراءتى ، ويلاحظ نطقى ، فما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه أصلحته ، وصححت عليه .. » .

وكان أهم ما يميز ابن مالك فى عمله : الرجوع إلى الحق ، ومن ذلك أنه ــ رحمه الله ــ لما سئل عن قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » هل هو بالراء أم بالنون ؟ أنكر النون .

فلما قيل له : إن فى « الغريبين » للهروى رواية بالنون رجع عن قوله الأول ، وكان رحمه الله لايكتب شئا من محفوظه حتى يراجعه فى محله .

ومن أمثلة استشهاده بالحديث ما أورده فى « شرح الكافية الشافية » التى أورد فيها ثمانية وسبعين حديثا:

قوله فى باب الأفعال الاسم الناصبة الخبر (جـ١ ص ٣٨٨ : ٣٩٠): « يساوى (صار) فى العمل ما وافقها فى المعنى .. وفى الحديث: (فاستحالت غربا)[٢] (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[٣] وقوله فى باب التعجب (جـ٢ ص ١٠٧٦) : « وللتعجب ألفاظ كثيرة لا يبوب لها ..

وكقول النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ: (سبحان الله . إن المؤمن لا ينجس)[٤] وقوله فى باب عوامل الجزم (جـ٣ ص ١٥٨٦) « .. ولابد لأداة المجازاة من فعل يليها يسمى شرطا ، وفعل بعده ــ أو مقامه ــ يسمى جوابا وجزاء .

وإذا كانا فعلين جاز أن يكونا مضارعين وأن يكونا ماضيين .

وأن يكون الشرط ماضيا ، والجواب مضارعا وأن يكون الشرط مضارعا والجواب ماضيا .

وأكثر النحويين يخُصُّون الروجه الرابع بالضرورة ، ولا أرى ذلك ، لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: « من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه[٥] وقوله رحمه الله فى باب الحكايـــة (جـ٤ ص ١٧٢٢ ، ١٧٢٣): « ...وإذا نسب إلى صرف أو غيره حكم هو للفظه دون معناه جاز أن يحكى، وجاز أن يُعرب بما تقضيه العوامل .

فمن الحكاية قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ (إياكم ولـو فإن لو تفتح عمــل الشيطان)[٦] .

---

(٢) اخرجه البخارى فى باب التعبير ص ٢٨ ، ٢٩
(٣) اخرجه البخارى فى باب العلم ص ٤٣ ، ومسلم باب الايمان ص ١١٨ ، ١٢٠ وابو داوود فى باب السنة ص ١٥ والترمذى فى باب الفتن ص ٢٨
(٤) اخرجه البخارى فى الجنائز ص ٨
(٥) اخرجه البخارى فى باب الايمان ص ٢٥
(٦) اخرجه مسلم فى القدر ٣٤

مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية

فى

لغة معاصرة

٢

تصنيف الدكتور : عبد العزيز عزت عبد الجليل حسن

أنواع المياه

المياه كثيرة : مياه الأنهار ، ومياه الآبار ، ومياه الأمطار ، ومياه البحار ، ومياه العيون ، وغير ذلك ، ونتناول هنا المياه من حيث ما يصح التطهير بها ، وما لا يصح ، وهى ثلاث أقسام : ـ

(١) الماء الطهور

الماء الطهور : هو الماء الطاهر فى ذاته المطهر لغيره باستعماله وهو كل ما نزل من السماء أو نبع من الأرض ، ولم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وهى : اللون والطعم والرائحة من الأشياء التى تسلب طهوريته ولم يكن مستعملا .

والمالكية قالوا : إن استعمال الماء لا يخرجه عن كونه طهورا فيصح الوضوء والغسل بالماء المستعمل مع الكراهة فقط .

والماء الطهور يرفع الحدث الأكبر ؛ وهو ما يوجب الغسل كالجنابة مثلا ، ويرفع كذلك الحدث الأصغر وهو ما يوجب الوضوء كخروج البول والغائط من السبيلين ، وهما : القبل والدبر .

(٢) الماء الطاهر

الماء الطاهر هو : الماء الذى لا يصح استعماله فى العبادات من وضوء وغسل وجنابة ونحوهما كما لا يصح تطهير النجاسة به عند غير الحنابلة الذين قالوا : إن تطهير النجاسة به يصح .

(٣) الماء المتنجس : ـ

الماء المتنجس هو : الماء الذى خالطته نجاسة وهو نوعان :

(ا) الماء الطهور الكثير : ـ

وهذا النوع لا يتنجس بمخالطة النجاسة إلا إذا تغير أحد أوصافه الثلاثة من لون أو طعم أو ريح .

(ب) الماء الطهور القليل : ـ

وهذا النوع يتنجس بمجرد حلول النجاسة به سواء تغيرت أحد أوصافه أم لا .

حد الماء الكثير : ـ

الماء الكثير هو ما كان قدر قلتين فأكثر ويقدر ذلك حاليا وزنا بالرطل المصرى $\frac{٣}{٧}$ ٤٤٦ أربعمائة وستة وأربعون رطلا وثلاثة أسباع الرطل وهو ما يساوى = ٢٠٠ لتر تقريبا = ١٠ عشر صفائح[١] .

أما مقدار مكان القلتين إذا كان مربعا : ذراع وربع ذراع طولا وعرضا وعمقا بذراع الآدمى المتوسط .

وإذا كان مدورا ؛ كالبئر فإن مساحته ينبغى أن تكون : ذراعا عرضا ، وذراعين ونصف ذراع عمقا وثلاثة أذرع محيطا .

أما إذا كان مثلثا ؛ فينبغى أن تكون المساحة : ذراعا ونصف ذراع عرضا ومثل ذلك طولا ، وذراعين عمقا .

وعند الحنفية أن الماء الكثير فيما إذا كان فى مكان أو حوض لا تقل مساحته عن عشرة أذرع فى عشرة أذرع ، أى لا تقل مساحة محيطه عن ستة وثلاثين ذراعا بذراع العامة كالماء الراكد فى المياضىء الكبيرة ومياه السواقى .

الماء القليل

الماء القليل يعرف عند بعض الفقهاء : بأنه ما نقص عن قلتين بأكثر من رطلين ، وعند

---

(١) الرطل المصرى يساوى ٤٤٩,٢٨ جرام .

الحنفية : هو ما كان أقل من عشرة أذرع فى عشرة أذرع .

ما لا يخرج الماء عن الطهورية : ـ

ذكر الفقهاء للتغير الذى لا يخرج الماء عن كونه طهورا أمثلة منها : ـ

أن تتغير أوصافه كلها أو بعضها :

١ ـ أن تتغير أوصافه كلها أو بعضها بسبب المكان الذى استقر فيه ، أو مر به مثل : البرك الموجودة فى الصحراء ونحوها ، والمياه التى تمر على المعادن مثل الملح والكبريت .

٢ ـ أن يتغير الماء بطول مكثه كما إذا وضع فى قربة أو ـ زير ـ ومكث فيه طويلا فتغير فإن هذا التغير لا يخرجه عن كونه طهورا .

٣ ـ تغير الماء بسبب ما تولد فيه من سمك أو طحلب .

٤ ـ ومما لا يخرج الماء عن طهوريته أن يتغير بسبب المادة التى دبغ بها الإناء ، فالماء الذى يوضع فى القربة المدبوغة إذا تغير أحد أوصافه لا يهم ولا يضر .

٥ ـ ومنها أن يتغير مما يتعذر الاحتراز منه كوقوع التبن وورق الشجر فيه ونحو ذلك مما تذروه الرياح وتلقيه فى الآبار والترع .

٦ ـ ومنها أن يتغير الماء بما جاوره ، كما إذا وضعت جيفة بشاطىء الماء فيتغير الماء برائحتها ، وهذا وإن أباح الشارع الحكيم الوضوء منه أو الغسل ؛ فإنه من جهة أخرى نهى عن استعماله نهيا شديدا إذا ترتب عليه ضررا أو إيذاء للمارة أو نحو ذلك .

الســـؤر

السؤر : جمع أسآر ما يبقى فى الإناء من الماء أو البقية مطلقا .

الأسآر أربعة :

الأول : طاهر غير مكروه وهو سؤر الآدمى جنبا كان أو حائضا أو مشركا .

الثانى : طاهر مكروه وهو سؤر الهرة والدجاجة المخلاة وسواكنها البيوت ، كالحية والعقرب والفأر .

الثالث : نجس وهو سؤر الخنزير والكلب ، وسبع البهائم .

الرابع : مشكوك فيه وهو سؤر البغل والحمار .

الوضـــوء

الوضوء لغة : الحسن والنظافة .

وشرعا : نظافة مخصوصة باستعمال الماء فى أعضاء مخصوصة وهى : الوجه ، واليدان ، والرجلان بكيفية مخصوصة .

الغَسْـلُ

الغَسْلُ : هو الإسالة ، وحدُّه أن يتقاطر الماء من العضو المغسول قطرتين على الأقل .

الغُسْـلَ

الغُسْلَ : بضم الغين معناه : استعمال الماء الطهور فى جميع البدن على وجه الخصوص .

الْمَسْـحُ :

المسح هو : إصابة العضو بالماء بمعنى أن يصيب العضو البلل .

المضمضـة

المضمضة هى : عبارة عن أن يغسل جميع فمه بالماء ويكفى فى ذلك وضع الماء فى فمه بدون تحريك خلافا للمالكية .

الاستنشـاق

الاستنشاق هو : جذب الماء بنفسه إلى داخل الأنف بحيث يصل الماء إلى مارن الأنف ، وهو نهاية العظمة اللينة .

الْـوَتَرَة

الْوَتَرَة : يجب غسل وَترة الأنف ــ بفتح التاء الفوقية والواو ، وهى الحاجز بين طاقتى الأنف لأنها من الأنف .

حـد الوجـه

حد الوجه : حد الوجه طولا لمن لا لحية له يبتدىء من منابت شعر الرأس المعتاد إلى منتهى الذقن ، ومنابت الشعر المعتاد من فوق الجبهة ــ القورة .

الأصـلع

الأصلع : هو الذى ذهب شعر رأسه من أمام حتى كأنه خلق بدون شعر ، وحكم هذا أنه لا

يجب عليه أن يغسل كل ما ليس عليه شعر من الصلع وإنما يغسل القدر الذى ينبت عنده شعر الرأس غالبا وهو ما فوق الجبهة بقليل .

الأفـــرع

الأفرع : بالفاء لا بالقاف ، وهو الذى طال شعره حتى نزل على جبهته ، وربما وصل عند بعض الناس إلى قرب حاجبيه وحكمه حكم الأصلع .

حد الوجه عرضا

حد الوجه عرضا : يبتدىء من أصل الأذن إلى أصل الأذن الأخرى ويعبر عنه بعضهم بوتد الأذن ، والبياض الموجود بين الذقن وبين الأذن داخل فى الوجه أيضا ويسمى النذار كذلك فيجب غسله عند الشافعية والحنفية خلافا للمالكية ، وذهب الحنابلة إلى أن البياض الموجود المذكور من الرأس فيمسح ولا يغسل .

تخليل اللحية والأصابع .

تخليل اللحية والأصابع والمقصود بذلك ، هو تشبيك الأصابع فى اللحية كأنها أسنان المشط وتخليل الأصابع كذلك .

التيامن :

التيامن : هو بدء كل عمل ، أو فعل ، باليمين ، إن الله يحب التيامن فى كل شىء حتى الترجل والتنعُّلْ .

سلس البــول :

سلس البول : هو مرض خاص يترتب عليه نزول البول أو انفلات الريح أو الاستحاضة أو الإسهال الدائم أو الرعاف الدائم أو نحو ذلك من الأمراض المعروفة ، فمن أصابه مرض من هذه الأمراض فإنه يكون معذورا ، ولكن لا يثبت عذره فى ابتداء المرض .

المعــذور :

المعذور هو : من استمر نزول حدثه متتابعا وقت صلاة مفروضة ، فإن لم يستمر كذلك لا يكون صاحبه معذورا ، والمعذور يتوضأ لكل صلاة ويصلى بهذا الوضوء ما شاء من الفرائض والنوافل حتى يخرج وقت الصلاة .

الاســـتنجاء

الاستنجاء هو : إزالة الخارج من أحد السبيلين ، القبل والدبر ـ عن المحل الذى خرج منه إما : بالماء أو الأحجار أو الورق ، ويعبر عنه أحيانا بالاستطابة أو الاستجمار .

الاســـتبراء

الاستبراء هو : إخراج ما بقى من المخرج من بول أو غائط حتى يغلب على الظن أنه لم يبق فى المحل أى أثر .

المـــذى

المذى هو : ماء أصفر رقيق يخرج من القبل عند اللذة غالبا وهو ينقض الوضوء .

الــودى

الودى : ماء ثخين أبيض يشبه المنى يخرج عقب البول غالبا وهو ينقض الوضوء .

الهـادى

الهادى : ماء أبيض يخرج من قُبل المرأة الحامل قبل ولادتها وهو ينقض الوضوء .

اللمس

اللمس : تارة يكون باليد ، وتارة يكون بغيرها من أجزاء الجسم ولمس من يشتهى ينقض الوضوء بشروط .

والشافعية قالوا : إن لمس الأجنبية ينقض مطلقا

المس

المس ما يكون باليد خاصة ، وحكمه فيه تفصيل فى المذاهب ، **فالشافعية والحنابلة** خلطوا بين أحكام المس واللمس ، **والمالكية والحنفية** فرقوا بين اللمس والمس وذكروا لكل منهما أحكاما تخصه .

الجنب

الجنب هو : من به جنابة من جماع أو احتلام أو أى سبب من الأسباب التى توجب الغسل ومن بينها الآتى :

الإيـلاج

الإيلاج : والمقصود بذلك إدخال رأس عضو التناسل ـ (الحشفة) فى قبل أو دبر .

نزول المنى

نزول المنى من الرجل أو المرأة فى اليقظة أو فى النوم .

دم الحيض أو النفاس

دم الحيض أو النفاس ، وهما من موجبات الغسل ، والحيض هو : الدم الذى تصير به المرأة بالغة ، وهو سيلان دم مخصوص من موضع مخصوص ، فى وقت مخصوص .

المحيض

المحيض : يشمل دم الحيض ، ومكانه ، وزمانه .

النفـاس

النفاس هو : الدم الخارج عقب الولادة أو قبلها بقليل ولكن الحنفية يرون أن الدم الذى يخرج قبل الولادة دم فساد ، ولا تعتبر المرأة به نفساء .

الســقط

السقط : إن ظهر بعض خلقه من أصبع أو ظفر أو شعر أو نحو ذلك ، فهو ولد تصير به المرأة بهذا الدم الخارج عقبه نفساء ، وإن لم يظهر من خلفه شىء من نحو ذلك بأن وضعته علقة أو مضغة فهو دم حيض إن صادف عادتها ، وإلا فهو دم علة وفساد ، **ولم يشترط الشافعية** فى النفاس أن يظهر بعض خلق الولد .

والإجهاض ، والإسقاط بمعنى واحد ويأخذان هذا الحكم من حيث كونه دم نفاس أم لا .

الاســتحاضة

الاستحاضة هى : سيلان الدم فى غير وقت الحيض والنفاس من الرحم ، فكل ما زاد على أكثر مدة الحيض أو نقص عن أقله فهو إستحاضة ، والمستحاضة من أصحاب الأعذار ، حكمها : حكم من به سلس البول وغيره ، ولا تمنع شيئا من الأشياء التى يمنعها الحيض والنفاس ، كقراءة القرآن ودخول المسجد وغير ذلك .

[**يتبع**]

كفارة القتل
دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى

٣

للدكتور السيد رضوان محمد جمعه

تقدمت أدلة الجمهور على عدم وجوب الكفارة فى قتل العمد من الكتاب والسنة وكلمة الفقهاء ، وتقدم فى هذا المقال :

مناقشـــة الأدلة

مناقشة أدلة الجمهور :

وردت على أدلة الجمهور ـ القائلين بعدم وجوب الكفارة فى القتل العمد ـ المناقشات الآتية :

أولا : القول بأن اقتران الجواب فى الآية بالفاء يقتضى أن يكون المذكور كل الجزاء مردود بالقصاص ، إذ القصاص واجب فى القتل العمد بالإجماع ، فلو اقتضى الفاء أن يكون المذكور بعدها كل الجزاء لزم أن يكون القصاص ـ أيضا ـ مذكورا فى الجزاء مع أنه لم يذكر فيه[١] ، وأجيب عليه : بأن الجزاء المذكور فى الآية الجزاء الأخروى فقط ـ كما هو الظاهر من النظم الشريف ـ ، والقصاص جزاء دنيوى فلهذا لم يذكر بعد الفاء[٢]

اعترض على هذا الجواب : بأن الأمر كذلك فى شأن الكفارة[٣] .

وأجيب على هذا الاعتراض بوجهين :

أحدهما : أن وجوب القصاص عرف بآية أخرى وهى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[٤] .

---

(١) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ .

(٢) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٧٨ .

فإن دلت إشارة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [٥]

على أن القصاص ليس من جزاء القتل العمد كالكفارة بمقتضى كون المذكور بعد الفاء كل الجزاء ، فقد دلت عبارة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [٦] .

على وجوب القصاص فى القتل العمد لما تقرر فى علم الأصول أن عبارة النص ترجح على إشارة النص عند التعارض فعملنا بعبارة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [٧] .

الثانى : أن القصاص جزاء المحل من وجه ، وجزاء الفعل من وجه آخر ، بخلاف الكفارة فإنها جزاء الفعل من كل الوجوه ـ كما تقرر فى علم الأصول ـ ، والظاهر من الجزاء المضاف إلى الفاعل فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [٨]

هو جزاء فعله من كل الوجوه فلا يلزم أن يكون القصاص مذكورا فيه ، بخلاف الكفارة لو أوجبناها [٩] .

ثانيا : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ .

مخصوص بالمستحل للقتل كما ذكره عكرمة وغيره ، بدليل سبب النزول ، فإنه نزل فى مقيس ابن صبابة الكندى [١٠] وجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ، ولم يظهر قاتله ، فأمرهم رسول الله

---

(٥) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٦ ، ٧) سورة البقرة ـ الآية ١٧٨ .

(٨) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٩) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(١٠) كان قد أسلم هو وأخوه هشام ، فوجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلا من بنى فهر إلى بنى النجار : أن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى مقيس فيقتص منه ، وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته ، فأبلغهم الفهرى ذلك فقالوا : سمعا وطاعة لله ورسوله ، والله ما نعلم له قاتلا ، ولكنا نؤدى ديته ، فأعطوه مائة من الإبل ، ثم انصرفا راجعين نحو المدينة ، فيأتى الشيطان مقيسا فوسوس له فقال : تقبل دية أخيك فتكون عليك سبة ، اقتل الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية ، فغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ، ثم ركب بعيرا ، وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا ، فنزلت هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا أومنه فى حل ولا حرم** » وأمر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق بأستار الكعبة .

انظر : تفسير البغوى ـ جـ١ ـ ص ٤٦٤ ـ طبع دار المعرفة ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ـ بيروت ـ لبنان .

ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا ، ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا فنزلت الآية ، ولأن المؤمن بارتكاب الجريمة لا يخلد فى النار [١١] .

وأجيب على هذا بثلاثة وجوه :

الأول : أنه لا وجه لحمل الآية على المستحل ، لأن المذكور فى الآية جزاء القتل العمد ، وإذا حمل على المستحل كان المذكور جزاء الردة ، ولأن زيادة الاستحلال زيادة على الشرط المنصوص فيكون نسخا [١٢] .

الثانى : أما الخلود فمؤول على أنه لو عامله بعدله ، أو على معنى تطويل المدة مجازا ، يقال : خلد فلان فى السجن : إذا طالت المدة .

قال القاضى البيضاوى : المراد بالخلود المكث الطويل ، فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم [١٣] .

الثالث : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ثالثاً : القول بأن القتل العمد كبيرة محضة ، وفى الكفارة معنى العبادة فلا تناط بمثلها معارض بقتل الصيد الحرمى ، فإنه كبيرة محضة ، ومع هذا تجب فيه الكفارة [١٤] .

وأجيب على هذا : بأن الجناية فى قتل الصيد الحرمى جناية على المحل ، وليس جناية على

---

(١١) تفسير القاضى البيضاوى ـ جـ٢ ـ ص ١٠٩ ـ مؤسسة شعبان للطبع والتوزيع ، شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ .

(١٢) المبسوط للسرخسى ـ جـ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٥ ـ .

(١٣) تفسير القاضى البيضاوى ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٩ ـ شرح فتح القدير لابن الهمام مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٥ ـ وأورد المحقق الكمال بن الهمام فى الرد على الجواب الأول والثانى قوله : « أقول ليس شىء من ذنبك الدليلين المسوقين لعدم وجه حمل الآية المذكورة على المستحل بمستقيم ، أما الأول منهما فلأن كون المذكور فى هاتيك الآية جزاء قتل العمد مما لا ينافيه كونه جزاء الردة ـ أيضا ـ على تقدير حملها على المستحل ، إذ يصير المذكور فيها على ذلك التقدير ، جزاء القتل العمد المخصوص ، وهو القتل بطريقة الاستحلال ـ والعياذ بالله ـ ، ولا شك أن القتل بهذه الطريقة مستلزم للردة ، ففى الآية إذ ذاك بيان جزاء الردة التى سببها القتل المخصوص ، وفى التعبير فى الشرط بمن يقتل مؤمنا متعمدا ، دون من يرتد عن الإسلام ، فائدة التنبيه على سببية قتل المؤمن بطريقة الاستحلال للارتداد الذى جزاؤه جهنم على الخلود ، وهذا معنى لطيف لا يخفى ، وأما الثانى منهما فلأنه لا يلزم من حمل الآية المذكورة على المستحل زيادة الاستحلال على الشرط المنصوص ، بل يكون الاستحلال حينئذ مدلول نفس الشرط المنصوص ، بأن يكون المراد من ـ متعمدا ـ معنى مستحلا مجازا ، بقرينة ذكر الخلود فى الجزاء .

(١٤) شرح فتح القدير لابن الهمام ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٣ ـ .

الفعل ، ولهذا لو اشترك حلالان فى قتل الصيد الحرمى يلزم جزاء واحد ، ولو كان جناية فعل لوجب جزاءان والجناية على المحل يستوى فيه العمد والخطأ (١٥) .

مناقشة أدلة الشافعية ومن وافقهم :

ناقش الجمهور ـ القائلون بعدم وجوب الكفارة فى القتل العمد أدلة الشافعية ومن وافقهم ـ القائلين بوجوبها ـ بالمناقشات الآتية :

أولا : حديث وائلة بن الأسقع يدل على أن من استوجب العذاب بفعل معصية كائنة ما كانت من قتل أو غيره كان التكفير مشروعا له ، ومن ثم فهو ليس نصا فى محل النزاع (١٦) ..

قال ابن قدامة فى المغنى : وحديث وائلة يحتمل أنه كان خطأ ، وسماه موجبا أى فوت النفس بالقتل ، ويحتمل أنه كان شبه عمد ، ويحتمل أنه أمرهم بالإعتاق تبرعا ، ولذلك أمر غير القاتل بالإعتاق (١٧) .

اعترض على هذا : بأن الحديث روى بزيادة : « قد استوجب النار بالقتل » (١٨) ، وهذه الزيادة نص فى محل النزاع .

وأجيب على هذا بوجوه :

الأول : قال الشوكانى : إن هذه الزيادة لم تثبت عند أحد من هؤلاء الذين خرجوه من أهل الحديث (١٩) .

الثانى : قال القاضى أبو بكر الجصاص : هذا الحديث رواه ضمرة عن إبراهيم بن أبى عبلة عن الغريف بن الديلمى عن وائلة بن الأسقع قال : أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ، يعنى النار بالقتل ، ورواه ابن المبارك وهانىء بن عبدالرحمن بن أخى إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى عبلة فلم يذكر أنه أوجب بالقتل ، وهؤلاء أثبت من ضمرة بن ربيعة ، ولو ثبت الحديث على ما رواه ضمرة لم يدل على قول المخالف من وجوه :

أحدها : أنه تأويل من الراوى فى قوله : أوجب النار بالقتل : لأنه قال : يعنى بالقتل .

الثانى : أنه لو أراد رقبة القتل لذكر رقبة مؤمنة ، فلما لم يشرط لهم الإيمان فيها دل على أنها ليست من كفارة القتل .

---

(١٥) نفس المرجع .

(١٦) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٥ .

(١٧) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

(١٨) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .

(١٩) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨١ .

الثالث : أنه إنما أمرهم بأن يعتقوا عنه ، ولا خلاف أنه ليس عليهم عتقها منه ، كما أن عتق الغير عن القاتل لا يجزيه عن الكفارة(٢٠) .

وقال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى فى رد هذا الحديث ـ أيضا ـ : « وأما حديث وائلة فلا يصح لأن الغريف مجهول ، وقد ظن قوم أنه عبدالله بن فيروز الديلمى وهذا خطأ ، لأن ابن المبارك نسب الغريف عن ابن عبلة فقال : ابن عياش ، ولم يكن فى بنى عبدالله بن فيروز أحد يسمى عياش ، وابن المبارك أوثق وأضبط من عبدالله بن سالم ، ثم لو صح هذا الخبر لما كانت لهم فيه حجة ، لأنه ليس فيه أنه كان قتلا عمدا ، فإذ ليس فيه ذلك فلا شبهة لهم فى هذا الحديث أصلا ، وإنما فيه أن صاحبا لنا قد أوجب ، ولا يعرف فى اللغة أن أوجب بمعنى : قتل عمدا ، فصار هذا التأويل كذبا مجردا ، ودعوى على اللغة لا تعرف ، وقد يكون معنى أوجب أى أوجب لنفسه النار بكثرة معاصيه ، ويكون معنى قد أوجب : أى قد حضرت منيته ، فقد يقال : أوجب فلان ، بمعنى مات ، فبطل قولهم ، وقد قال قوم : إن سكوت النبى ﷺ فى الخبر عن ذكر الرقبة أن تكون مؤمنة وعن تعويض الشهرين دليل على بطلان قول من أوجب الكفارة فى قتل العمد(٢١) .

الرابع : وقال صاحب العناية ـ أيضا ـ : فإن قال الشافعى قد دل الدليل على عدم اعتبار صفة العمدية وهو حديث وائلة بن الأسقع قال : أتينا رسول الله ﷺ بصاحب لنا قد استوجب النار بالقتل فقال : « أعتقوا عنه رقبة يعتق الله ـ تعالى ـ بكل عضو منها عضوا منه من النار » وإيجاب النار إنما يكون بالقتل العمد .

قلنا : لا نسلم لجواز أن يكون استوجبها بشبه العمد كالقتل بالحجر أو العصا الكبيرين(٢٢) وزاد صاحب المبسوط : ثم مراد رسول الله ﷺ التطوع بالإعتاق عنه ، ألا ترى أنه خاطب به غير القاتل ، والكفارة لا تجب على غير القاتل(٢٣) .

قال صاحب العناية : سلمناه لكنه لا يعارض إشارة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾(٢٤) فإن الفاء تقتضى أن يكون المذكور كل الجزاء ، فلو أوجبنا الكفارة لكان المذكور بعضه وهو خلف(٢٥) .

---

(٢٠) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٢١) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .

(٢٢) شرح فتح القدير لابن الهمام مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ .

(٢٣) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

(٢٤) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٢٥) شرح فتح القدير مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ . .

الخامس : قال الشوكانى : وعلى فرض ثبوته فهو خاص لمن استوجب النار بالقتل ، وهو القاتل عمدا عدوانا إذا سقط عنه القصاص بعفو أو نحوه[٢٦] .

ثانيا : حديث عمر بن الخطاب مردود بوجهين :

الأول : أنه حديث ضعيف .

قال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى : وأما خبر عمر بن الخطاب فلا يصح ، لأن فى طريقه إسرائيل وهو ليس بالقوى ، وسماك بن حرب وكان يقبل التلقين[٢٧] .

الثانى : قال الإمام على بن حزم : « وأيضا فكان يكون فى إيجاب ذلك على كل من قتل نفسا فى الجاهلية وهو كافر حربى كما كان قيس بن عاصم المأمور بهذه الكفارة فى هذا الحديث ، وهم لا يقولون بهذا أصلا ، فبطل تعلقهم بهذا الخبر »[٢٨] .

ثالثا : قياس القتل العمد على القتل الخطأ قياس مع الفارق من وجوه :

الأول : أن القتل الخطأ دون العمد فى الإثم ، فشرع الكفارة لدفع الأدنى لا يدل على دفع الأعلى .

وبعبارة أخرى : أن تعين الكفارة فى الشرع لدفع الذنب الأدنى وهو الخطأ ، لا يدل على تعينها لدفع الذنب الأعلى وهو العمد ، فكم من شيء يتحمل الأدنى للقدرة عليه ، ولا يتحمل الأعلى للعجز عنه[٢٩] .

الثانى : أن فى قتل العمد وعيدا محكما ، ولا يمكن أن يقال يرتفع الإثم فيه بالكفارة مع وجود التشديد فى الوعيد بنص قاطع لا شبهة فيه ، ومن ادعى غير ذلك كان تحكما منه بلا دليل[٣٠] .

قال ابن قدامة فى المغنى : « وما ذكروه من المعنى لا يصح ، لأنها وجبت فى الخطأ لتمحو إثمه لكونه لا يخلو من تفريط ، فلا يلزم من ذلك إيجابها فى موضع عظم الإثم فيه بحيث لا يرتفع بها »[٣١] .

---

(٢٦) السيل الجرار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .
(٢٧) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .
(٢٨) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٥ .
(٢٩) شرح فتح القدير مع التكملة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٤ .
(٣٠) تبيين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٠ (بتصرف) .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ـ جـ ٥ ـ المرجع السابق ـ ص ٣٣١ .
(٣١) المغنى والشرح الكبير لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٣ .

وقال ابن المنذر : لأن الكفارات عبادات ولا يجوز التمثيل ، وليس يجوز لأحد أن يفرض فرضا يلزمه عباد الله إلا بكتاب أو سنة أو إجماع ، وليس مع من فرض على القاتل عمدا كفارة حجة من حيث ذكرت (٣٢) .

اعترض على هذا : سلمنا عدم صحة القياس لكن العمد يلحق بالخطأ دلالة ، لأنهما مثلان فى المناط ــ وهو الستر ــ ، ومعتبر لصفة العمدية كالمحرم إذا قتل الصيد عمدا فإنه كقتله خطأ (٣٣) .

وأجيب عليه : بأن المماثلة ممنوعة ، فإن ذنب العمد مما لا يستر بها لعدم صلاحيته لعلتها ــ كما سبق (٣٤) .

وزاد السرخسى (٣٥) قوله : وكلامه ــ أى الشافعى ــ على طريقة الاستدلال ممنوع ، فإن الكفارة وجبت عندنا بطريق الشكر ؛ لأن الشرع لما عذره بالخطأ وسلم له نفسه ، فلم يلزمه القصاص مع تحقق الفعل منه ، كان عليه أن يقيم نفسا مكان نفسه شكرا لله ــ تعالى ــ ، وذلك فى أن يحرر شبحا ليتفرغ لعبادة الله ــ تعالى ــ ، فإذا عجز عن ذلك شغل نفسه بعبادة الله ، فصام شهرين متتابعين ، وهذا المعنى لا يوجب فى حق العامد ، فإن الشرع ألزمه القصاص ، وما سلم له نفسه .

وقال الكاسانى ــ فى هذا الصدد ــ أيضا ــ : ولنا أن التحرير أو الصوم فى الخطأ إنما وجب شكرا للنعمة ، حيث سلم له أعز الأشياء إليه فى الدنيا وهو الحياة ، مع جواز المؤاخذة بالقصاص ، وكذا ارتفع عنه المؤاخذة فى الآخرة مع جواز المؤاخذة ، وهذا لم يوجد فى العمد ، فبقدر الإيجاب شكرا أوجب لحق التوبة عن القتل بطريق الخطأ ، وألحق بالتوبة الحقيقة لخفة الذنب بسبب الخطأ ، والذنب ههنا أعظم فلا يصلح التحرير توبة (٣٦) .

قال صاحب المبسوط ــ أيضا ــ ، والدليل على أن المعنى ليس ما قلتم : أنه لو قتل مستأمنا أو ذميا خطأ يلزمه الكفارة ــ أيضا ــ ، وما نقص بفعله من عدد المسلمين أحدهم ، يوضحه أن فى نفس المقتول حرمتان ، والمال فى الخطأ واجب باعتبار حرمة صاحب النفس فقط فتجب الكفارة باعتبار حرمة حق الله ــ تعالى ــ .

فأما فى العمد الواجب هو العقوبة ، ولا تجب العقوبة إلا باعتبار الحرمتين جميعا ؛ لأن الفعل مالم يكن موجبا للعقوبة إنما يكون حراما لعينه لمجموع الحرمتين ، فلا يمكن إثبات الكفارة مع ذلك فى أحكام الدنيا (٣٧) .

---

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ــ جـ ٥ ــ المرجع السابق ــ ص ٣٣١ .
(٣٣) شرح فتح القدير مع التكملة لابن الهمام ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٤ .
(٣٤) شرح فتح القدير لابن الهمام ــ جـ ٩ ــ المرجع السابق ــ ص ١٤٤ .
(٣٥) المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٣٦) بدائع الصنائع للكاسانى ــ جـ ٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٢٥١ .
(٣٧) المبسوط للسرخسى ــ جـ ٢٧ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ ، ٨٧ .

الثالث : أن الكفارة فى القتل الخطأ ليست مستحقة بالمأثم ، فيعتبر عظم المأثم فيها ؛ لأن المخطىء غير آثم ، فاعتبار المأثم فيها ساقط ، وأيضا ـ قد أوجب النبى ـ ﷺ سجود السهو على الساهى ولا يجب على العامد ، وإن كان العمد أغلظ(٣٨) .

وقال السرخسى فى هذا الصدد ـ أيضا ـ : وتبين بهذه الآية :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ (٣٩).

إن المراد بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا ﴾ (٤٠).

الخطأ الذى هو ضد القصد ؛ لأنه عطف عليه العمد ، ولا يعطف الشىء على نفسه ، ولأنه قابله بالعمد ، ومتى قوبل الخطأ بالعمد فالمراد ما يضاد القصد ، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ (٤١) .

ولأنه استثنى الخطأ من التحريم بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِلَّا خَطَئًا ﴾ (٤٢) .

والاستثناء من التحريم إباحة ، فلو حمل هذا على ضد الصواب أدى إلى أن يكون القتل الصواب هو المحرم وهذا محال ، فعرفنا أن المراد : الخطأ الذى هو ضد القصد ، فإن أصل ذلك الفعل غير محرم لكونه رمى إلى قصد الصيد أو الحربى ، لكنه باتصاله بالمحل المحترم يصير محرما ، ولكنه لا يلحقه إثم الفعل لكونه موضوعا عنه كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾(٤٣) .

وإنما يلحقه نوع مأثم بسبب ترك التحرز ، والكفارة تلزمه لمحو ذلك الإثم ، والإثم فى حق قاتل العمد ليس من ذلك الجنس حتى تمحوه الكفارة(٤٤) .

وقال ابن العربى ـ أيضا ـ فى الرد على قياس الشافعى : قلنا : هذا يبعدها عن العمد ، لأن الله ـ سبحانه ـ لم يوجبها فى مقابلة الإثم ، وإنما أوجبها عبادة أو فى مقابلة التقصير وترك الحذر والتوق ، والعمد ليس من ذلك(٤٥) .

---

(٣٨) أحكام القرآن للجصاص ـ جـ ٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٥ .

(٣٩) سورة النساء ـ الآية ٩٣ .

(٤٠) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(٤١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥ .

(٤٢) سورة النساء ـ الآية ٩٢ .

(٤٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٥ .

(٤٤) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٤٥) أحكام القرآن لابن العربى ـ جـ ١ ـ ص ٤٧٤ ـ طبع دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

الرابع : قياس وجوب الكفارة فى قتل العمد على وجوبها فى قتل الصيد الحرمى عمدا مردود عليه بما سبق عند مناقشة أدلة الجمهور (٤٦) .

الخامس : أن الله ـ تعالى ـ ذكر أنواع قتل الخطأ ، ما يكون منها بين المسلمين ، وما يكون فى دار الحرب لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ ﴾ .

أى فى قوم عدو لكم ، وما يكون فى حق أهل الذمة ، لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ .

ونص على إيجاب الكفارة فى كل نوع ، ففيه إشارة إلى أنه لا مدخل للقياس فيه ، إذ لو كان للقياس مدخل لنص على الكفارة فى نوع من الخطأ ليقاس عليه سائر الأنواع (٤٧) .

رابعا : وجه إلى الحديثين الذين استدل بهما الزيدية الاعتراضات الآتية :

١ ـ الحديث الذى أخرجه أبو نعيم فى إسناده ابن لهيعة .

وأجاب الشوكانى على هذا فقال : قال الحافظ : لكنه من حديث ابن وهب عنه فيكون حسنا ، ورواه الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على موقوفا عليه (٤٨) .

٢ ـ حديث عبادة بن الصامت معارض بحديث أبى هريرة الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك والبزار من رواية معمر عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **ما أدرى الحدود كفارة لأهلها أو لا** » قال الحافظ : وهو صحيح على شرط الشيخين (٤٩) .

وأجيب عن هذا الاعتراض بجوابين :

الأول : قال الحافظ ابن حجر والقاضى عياض : إن حديث عبادة أصح إسنادا .

الثانى : يمكن الجمع بين الحديثين بأن حديث أبى هريرة كان قبل أن يعلم بأن الحدود كفارة ، ثم أعلم فقال الحديث الثانى [حديث عبادة] (٥٠) .

---

(٤٦) سيأتى بيانه فى نهاية المقال .

(٤٧) المبسوط للسرخسى ـ جـ ٢٧ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

(٤٨) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٨٤ .

(٤٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ١٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .
نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .

(٥٠) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ١٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٦ .

اعترض على هذا : بأن حديث عبادة المذكور كان بمكة ليلة العقبة لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ البيعة الأولى بمنى ، وأبو هريرة إنما أسلم بعد ذلك بسبع سنين عام خيبر ، فكيف يكون حديثه متقدما ؟!(٥١) .

وأجيب عن هذا : بأن أبا هريرة لم يسمعه من النبى ﷺ وإنما سمعه من صحابى آخر كان سمعه من النبى ﷺ قديما ، ولم يسمع أبو هريرة بعد ذلك من النبى ﷺ أن الحدود كفارة كما سمع عبادة (٥٢) .

اعترض على هذا الجواب : بأنه يبطله أن أبا هريرة صرح بسماعه عن النبى ﷺ وأن الحدود لم تكن قد نزلت إذ ذاك ، ففى هذا الجواب تعسف(٥٣) .

وأجيب عن هذا : بأن حديث عبادة المذكور فى هذا الباب لم يقع ليلة العقبة ، وإنما وقع ليلة العقبة ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل المغازى أن النبى ﷺ قال لمن حضر من الأنصار : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل إليهم هو وأصحابه »(٥٤) .

وقد ثبت فى الصحيح من حديث عبادة أنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثر علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه(٥٥) برهان » .

قال الحافظ فى الفتح : وحاصل الجواب أن البيعة المذكورة فى حديث الباب كانت متأخرة عن إسلام أبى هريرة بدليل أن الآية المشار إليها فى قوله : ' وقرأ الآية كلها » هى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾(٥٦) .

إلى آخرها ، وكان نزولها فى فتح مكة ، وذلك بعد إسلام أبى هريرة بنحو سنتين ، وإنما وقع الإشكال من قوله هناك : إن عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء ليلة العقبة قال : « إن النبى ﷺ قال : بايعونى على أن لا تشركوا » فإنه يوهم أن ذلك كان ليلة العقبة ، وليس كذلك بل البيعة التى

---

(٥١) المرجعان السابقان .
(٥٢) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .
(٥٣) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .
(٥٤) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٨ ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ .
(٥٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ ١٣ ـ المرجع السابق ـ ص ٧ ، ٤ ، ٢ .
(٥٦) سورة الممتحنة ـ الآية ١٢ .

وقعت فى ليلة العقبة كانت على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره .. إلخ .. وهو من حديث عبادة ــ أيضا ــ كما أوضحته لك(٥٧) .

وقال الإمام الشوكانى : فهذه أدلة ظاهرة فى أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية ، بل بعد صدور البيعة ، بل بعد فتح مكة وذلك بعد إسلام أبى هريرة بمدة(٥٨) .

٣ ــ سلمنا لكن يدخل فى عموم قوله ﷺ : « **ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته** » المشرك ، مع أن الإجماع قائم على أن المشرك إذا عوقب على شركه لم يكن ذلك كفارة ، بل زيادة فى نكاله .

كما أن القتل كفارة بالنسبة للولى المستوفى للقصاص فى حق المقتول ، لأن القصاص ليس بحق له ، بل يبقى حق المقتول فيطالبه به فى الآخرة كسائر الحقوق ، فتحصل من ذلك أن الكفارة تختص بحق الله ــ تعالى ــ دون حق الآدمى(٥٩) .

وأجيب عليه : بأن المشرك مستثنى بنص الدليل المذكور وهو قوله ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٦٠) .

وللإجماع المذكور .

الرأى المختــار :

وبعد عرض مذاهب الفقهاء وأدلتهم فى مدى وجوب الكفارة فى قتل العمد ، والمناقشات الواردة عليها فإننى أميل إلى ترجيح رأى الجمهور القائلين بعدم وجوب الكفارة فى قتل العمد ، لقوة أدلتهم وسلامتها ، وخلوها من المعارض ، فضلا عن دحض أدلة القائلين بوجوبها ، ولأن فى الأخذ بهذا الرأى اتفاقا مع تقسيم الله ــ عز وجل ــ للكفارة فى قتل الخطأ إلى الأنواع الثلاثة المذكورة فى قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾(٦١) .

---

(٥٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ــ جـ ١٢ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ .

(٥٨) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٨ ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٠ .

(٥٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ــ جـ ١٢ ــ المرجع السابق ــ ص ٨٦ .

(٦٠) سورة النساء ــ الآيتان ٤٨ ، ١١٦ .

(٦١) سورة النساء ــ الآية ٩٢ .

ورغم ذلك فإننى أرى مع المالكية والظاهرية والزيدية أن من ابتلى بقتل مسلم عمدا ينبغى له المبادرة إلى التوبة والتقرب إلى الله ـ تعالى ـ بالكفارة وبكل ما استطاع من أنواع الخير ، عسى الله أن يعفو عنه .

قال الإمام أبو محمد على بن حزم الظاهرى : فإذ لا حجة فى إيجاب الكفارة على قاتل العمد ، لا من قرآن ولا من سنة ، فإن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (٦٢) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٦٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام** »(٦٤) فصح أن الدين كله قد كمل وبينه الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ، وبيقين ندرى أنه لو كان فى قتل العمد كفارة محدودة لبينها الله ـ تعالى ـ كما بين لنا الكفارة فى قتل الخطأ ، وكما بين لنا رسول الله ﷺ وجود القود أو الدية أو المفاداة فى ذلك ، فإذا لم يخبرنا الله ـ تعالى ـ بشىء من ذلك ، ولا أوجبه هو ولا رسوله ﷺ فنحن نشهد بشهادة الله ـ تعالى ـ : أنه ما أراد قط كفارة محدودة فى ذلك ولكن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٦٥) .

إلى قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٦٦) .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٦٧) .

فمن ابتلى بقتل مسلم عمداً فقد ابتلى بأكبر الكبائر بعد الشرك وترك الصلاة ، ففرض عليه أن يسعى فى خلاص نفسه من النار ، فليكثر من فعل الخير والعتق والصدقة والجهاد والحج والصوم والصلاة وذكر الله ـ تعالى ـ ، فلعله يأتى من ذلك بمقدار يوازى إساءته فى القتل فيسقط عنه ونسأل الله العافية »(٦٨) .

---

(٦٢) سورة الأنعام ـ الآية ٣٨ .

(٦٣) سورة المائدة ـ الآية ٣ .

(٦٤) سنن الترمذى ـ جـ ٩ ـ ص ٣٤ ـ طبع دار الكتاب العربى ـ بيروت .

وروى بلفظ : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام » .

(٦٥ ، ٦٦) سورة الأنبياء ـ الآية ٤٧ .

(٦٧) سورة هود ـ الآية ١١٤ .

(٦٨) المحلى لابن حزم الظاهرى ـ جـ ١٠ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٦ .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

ردود المجوزين للتأمين على مسألة الغرر ومناقشتها

١٠

للدكتور / عبد الله مبروك النجار

بعد بيان حقيقة الغرر المحرم ، ووجوده فى عقد التأمين يكون من المفيد أن نبيّن ردود المجوزين للتأمين على مسألة الغرر فيه ، فالذين يرون جواز التأمين التجارى ، يردون على ذلك بعدد من الشبهات التى يثيرونها ، وهذه الشبهات أو الردود بدورها محل مناقشة .

تتمثل تلك الردود فى : أن الغرر فى التأمين لايؤدى إلى نزاع ، وأنه تعاون يستباح فيه الغرر ، وأن كثرة عقود التأمين تقلل الغرر ، وأنه غرر محسوب حسابه ، كما قالوا بأنه لا غرر فى التأمين بجانب المستأمن لحصوله على الأمان ، ولرضا المستأمن به ولأنه يمنع الغرر ، وهذه الشبه أو الردود سوف نبينها ، ونبيّن الرد عليها : على أن نخصص لكل شبهة فرع كما يلى :

الغرر فى التأمين التجارى لايؤدى إلى نــزاع

قال المجوزون للتأمين : إن عقد التأمين ليس من عقود الغرر المحرمة[1] ، لأنه لا يفضى إلى نزاع

(١) يقول الحجوى : إنما ورد النهى عن بيع الغرر ، والتأمين لا بيع فيه ولا معاوضة ، والقسط الذى يدفعه المستأمن للشركة ضئيل جداً ، وشبهه بالتبرع أقرب من شبهه بالبيع ، والغرر المنهى عنه ورد فى البيع خاصة لا فى التبرع ، وما فى التأمين من الغرر يسير ، كما أنه معاملة عمت بها البلوى ، راجع : الفكر السامى – جـ٢ – ص٥٠٤ ، ٥٠٥ ، طبعة دار التراث ، ولكن يؤخذ على هذا القول ؛ أنه يصف عقد التأمين بأنه عقد تبرع بالمخالفة لحقيقته القانونية ، كما أنه يقرر أن الغرر فيه يسير وهو غرر فاحش كما سبق أن رأينا .

بين أطرافه ، فما آلفه الناس ، وتعارفوا عليه ورضوا به ، دون ترتب نزاع حوله ، يكون غير منهى عنه[٢] .

ويُجاب عن ذلك : بأن هذا كلام غير صحيح لأن (التراضى) بين الناس فى مثل هذه العقود ليس هو مناط مشروعيتها ، فقد كانت بيوع الغرر التى نهى عنها النبى ﷺ مألوفة فى الجاهلية ، فنهى عنها النبى ﷺ لأنها من أكل المال بالباطل ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[٣]

بمعنى أن تكون تجارة لا غرر فيها ولا مخاطرة ولا قمار ، لأن التراضى بما فيه غرر أو خطر أو قمار لا يحل ولا يجوز ، وهذا متفق عليه[٤] .

وعلى فرض أن عقود التأمين لا يتسبب عنها نزاع بين شركات التأمين والمتعاقدين ، فليس هذا بمانع من كونها تتضمن الغرر الكثير الذى نهى عنه الشرع ، وليس اتفاق بعض الناس على المعاملات الربوية أو غيرها من المحرمات ، وكون تعاملهم بذلك لا يؤدى إلى نزاع بينهم ، كل ذلك لا يجعل هذه المعاملات مشروعة فى الإسلام[٥] .

تحليل هذه الشبهة :

بيد أن هذه الشبهة من خلال ماوردت فى كتابات أصحابها ، يمكن تحليلها إلى عنصرين : أولهما : أن الغرر فى التأمين غرر يسير ؛ ثانياً : لأنه لا يؤدى إلى نزاع[٦] ، فهل هذا صحيح ؟ ، ذلك ما سنحاول استبيان حقيقته :

---

(٢) د . محمد سلام مدكور – عقود التأمين – مجلة العربى – العدد ١٩٥ ، وبحث الشيخ الخفيف – التأمين المنشور بمجلة الأزهر – العددان (٥ ، ٦) السنة (٣٧) نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٦٥م ، ص ٣٥٤ حيث يقول : « وجملة القول : إن الغرر الذى عدّه الفقهاء مانعا من جواز المعاملة هو ما أدى إلى نزاع ؛ وفى هذا يقول الأستاذ الزرقا : وقد جوّز استئجار الظئر مع جهالة المعقود عليه ، لأنه لم يؤد إلى نزاع ، ويقرر فقهاء المذهب الحنفى : أن الجهالة لا تمنع صحة العقد إلا إذا كانت تفضى إلى نزاع مشكل – تتساوى فيه حجة الطرفين – كبيع شاة من قطيع مثلا بدون تعين ، فالبائع يريد إعطاء الرديئة والمشترى يريد أخذ الجيدة ، وكل منهما حجته عدم التعيين ، أما حيث لا تؤدى الجهالة إلى نزاع مشكل كابراء الانسان من دينه مثلا عن جميع الحقوق ، وكفالة شخص لغيره فى كل ما سيترتب عليه من ديون لفلان ، فهذه الجهالة فى الديون المبرأ عنها ، أو المكفولة لا تمنع صحة الإبراء والكفاله ، راجع له : نظام التأمين – حقيقته والرأى الشرعى فيه – ص ١٣٧ – مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤م ، وهذا قياس مع الفارق فالغرر فى حالة الظئر معفو عنه بالنص المبيح للعقد استحسانا كما قلنا ، وما ورد على سبيل الإستثناء لا يُقاس عليه ولا يتوسع فيه ، وهو عقد معاوضة معلوم المحل والغرر فيه غير مقصود ، أما الإبراء والكفالة ، فهما من عقود التبرع وعقود التبرع يتسامح فيها تشجيعا لفعل الخير ، ولأن المكفول والمبرأ لا يدفع مقابلا فيهما فافترقا .

(٣) سورة النساء – الآية ٢٩ .

(٤) راجع : تفسير القرطبى – جـ ٢ – ص ٣١٧ ، والأم – جـ ٣ – ص ٢ .

(٥) د . محمد بلتاجى – مرجع سبق ذكره – ص ٧٦ وما بعدها .

(٦) وفى هذا المعنى يقول فضيلة الاستاذ المرحوم الشيخ على الخفيف : « وما فى عقود التأمين من غرر ، فهو غرر لا يؤدى إلى نزاع ، بدليل كثرة تعامل الناس به ، وشيوعه فيهم ، وانتشاره فى كل مجال نشاطهم الاقتصادى ، وعليه فهو غرر يسير لا يترتب عليه منع ولا حظر » ، راجع : التأمين مجلة الأزهر ، العددان الخامس والسادس معاً . السنة السابعة والثلاثون ، نوفمبر وديسمبر ١٩٦٥م – ص ٣٥٤ .

الحكم الشرعى للتأمين التجارى

العنصر الأول:

الغرر فى التأمين لا يؤدى إلى نزاع :

يقوم العنصر الأول مما أثاره المجيزون للتأمين فى تلك الشبهة ، على أن الغرر فى عقود التأمين لا يؤدى إلى نزاع ، ويستدلون على ذلك بكثرة تعامل الناس به ، وشيوعه فيهم ، وانتشاره فى كل مجال نشاطهم الاقتصادى ، فما يظن أنهم يتعارفون عقدا يحوى غررا يؤدى إلى نزاعهم ثم يشيع بينهم ولا يتركونه ، بل المقبول أنهم إذا تعاملوا به فتنازعوا تركوه ، ولا شك أن مثل هذا يكون غير جائز(٧) .

وهذا أمر غير مسلم به ، فليس صحيحا بأن غرر التأمين لا يؤدى إلى نزاع ، والدليل على ذلك ماتغص به ساحات المحاكم من قضايا تتعلق بمنازعات فى عقود التأمين ، والقول : بأن هذه المنازعات لاترجع إلى الخلاف فى عنصر من العناصر الجوهرية التى تقوم عليه هذه العقود ، وإنما ترجع إلى خلاف المستأمن بما اشترطه عليه المؤمن من شروط تضمنتها هذه العقود(٨) ، أقول : هذا القول يخالف الواقع ، لأن المنازعات التى ترجع إلى عدم قيام شركة التأمين بما اشترط عليها القيام به ، وتعسفها فى تفسير بنود العقد ، ومحاولاتها التهرب بأسباب واهية من دفع مبلغ التأمين ، تزيد مرات على المنازعات التى ترجع إلى عدم قيام المستأمن بما اشترط عليه من شروط(٩) .

ولا يلزم من أداء المعاملة إلى النزاع ترك الناس لها ، حتى يستدل بكثرة تعاملهم بها وشيوعها فيهم ، و انتشارها فى كل مجال نشاطهم ، فإن بيوع الغرر المجمع على تحريمها ، قد كثر تعامل أهل الجاهلية بها ، وشاعت فيهم وانتشرت بينهم ، مع أن الغرر فى هذه المعاملات يؤدى إلى النزاع حتما فى رأى هؤلاء الباحثين(١٠) .

وإذا كان لا يظن بالناس فى حياتهم أن يتعارفوا عقدا يتضمن غررا مؤديا إلى النزاع ثم يشيع بينهم ولا يتركونه ، فلماذا جاءت الشريعة بنصوص قاطعة تمنع ما حوى غررا من المعاملات ؟ ، إن الحاجة إلى هذه النصوص لاتكون قائمة ما دام الناس لا يقبلون إلا على مالا يؤدى إلى نزاع منها .

العنصر الثانى :

مالا يؤدى إلى النزاع من الغرر فهو يسير :

وتقــوم تلك الشبهة على عنصر ثان حاصله : أن مالا يؤدى إلى النزاع من الغرر فهو يسير ، لا يترتب عليه حظر ، ولا منع ، وقد استدل المجيزون للتأمين ، بما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : « كان الناس فى عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار فإذا جذها الناس وحل تعاطيهم ، قال المبتاع : إنه أصاب الثمر عاهات يذكرونها ويحتجون بها ، فقال رسول الله ﷺ ، حين

---

(٧) المرحوم الشيخ على الخفيف – المرجع والمكان السابقان .

(٨) الشيخ على الخفيف – المرجع نفسه – ص٣٥٥ .

(٩) د. حسين حامد – ص١٠٤ .

(١٠) المرجع نفسه .

كثرت عنده هذه الخصومات : « لا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر » ، وقالوا فى بيان وجه دلالة هذا الحديث على ماأثاروه من شبهة فى هذا العنصر : إن سبب نهى النبى ﷺ عن ذلك ، ماأفضى إليه من الخصام ، واستنتجوا من ذلك : أن مايؤدى إلى نزاع من الغرر يمنع ، وما لا يؤدى إلى نزاع لا يمنع(١١) ، وهذا الكلام غير صحيح لأمور :

الأول : أن جميع تعريفات الغرر المؤثر عند جميع الفقهاء لم تجعل لوقوع النزاع بسببه دخلا فى التعريف ، فليس توصيل الغرر إلى النزاع ، جزءًا من ماهية الغرر الذى نهى الشرع عنه ، ولا شرطا فى وجوده(١٢) ، ومن يراجع تعريفات الغرر عند جميع الفقهاء يدرك هذا المعنى(١٣) .

الثانى : أن الغرر اليسير الذى لا يترتب عليه منع ولا حظر باتفاق الفقهاء ، هو ماتوافرت فيه العناصر الثلاثة التى قدمناها ، وهى يسارة الغرر ، وعدم قصده ، وضرورة ارتكابه ، فمناط تحقيق الغرر الذى لا يؤثر فى المعاوضات ، هو اجتماع هذه العناصر الثلاثة فيه ، وليس عدم ترتب النزاع عليه ، كما يدعى المجيزون للتأمين ، وقد استبان لنا ، عند بيان ضابط الغرر الذى يغتفر فى المعاوضات ، أن هذا الضابط لا ينطبق على ما فى عقود التأمين من غرر ، ذلك أن الغرر فى عقود التأمين ، هو غرر فى الحصول على العوض نفسه ، ولا يمكن القول بأن مثل هذا الغرر يسير غير مقصود دعت الضرورة إلى ارتكابه ، ولقد رأينا فقهاء المالكية الذين وضعوا ضابط الغرر المغتفر وبينوا عناصره ، يخرجون منه ما انطوى على غرر فى الحصول على المعاوضات ، كبيع السمك فى الماء والطير فى الهواء ، والغرر فى التأمين غرر فاحش فى القيمة والأجل ، لا يوجد فيه شرط اليسارة ، ويتعلق بأمر مقصود ، وفوق ذلك كله ، فإن مثل هذا الغرر لا تدعو ضرورة المعاوضة إلى ارتكابه .

الثالث : أن ما استدلوا به من حديث النبى ﷺ لا يدل لهم ، لأن كثرة النزاع والخصومات الواردة فى الحديث ليس هو العلة فى منع بيع الثمار قبل بدو صلاحها عند القائلين بهذا المنع من المجتهدين ، بدليل أن أحدا منهم لا يقول بجواز بيع الثمار قبل بدو الصلاح ، إذا لم يؤد هذا البيع إلى خصومه أو نزاع ، بل إنهم متفقون على المنع فى كل حال ، ومن جهة أخرى فإن أحدا من المجتهدين لا يقول بمنع المعاملة التى لا تنطوى على غرر أو جهالة إذا كثر بشأنها الخصام والنزاع ، فثبت أن وقوع النزاع والخصام ، ليس هو مناط المنع ، ولا مناط الحظر فى المعاوضات ، فالمعاوضة تجوز إذا خلت عن الغرر وإن أدت إلى نزاع ، وتمنع إذا انطوت على غرر وإن لم يثر بشأنها نزاع ولا خصام(١٤) .

(١١) المرحوم الشيخ على الخفيف ـ المرجع نفسه ص ٣٥٤ .
(١٢) حسين حامد ـ ص ١٠٥ .
(١٣) راجع الفروق للقرافى ، جـ ٣ ص ٣٦٥ ، مواهب الجليل ، جـ ٤ ص ٣٦٨ ، حاشيتا قليوبى وعميرة ، جـ ٢ ص ١٨٥ ، شرح منتهى الإرادات ، جـ ٢ ص ١٤٥ .
(١٤) د. حسين حامد ص ١٠٧

ولعل سبب اللبس الذى وقع فيه القائلون بجواز التأمين ، هو الخلط بين علة المنع فى بيع الثمار قبل بدو الصلاح وحكمته ، فعلة المنع التى يدور معها الحكم وجودا وعدما ، هى ما يتضمنه بيع الثمار قبل بدو الصلاح من غرر ، وهو غرر مؤثر فى المعاوضة ، لأنه من باب الغرر فى الحصول ، أما حكمة هذا المنع فهى ما قد يترتب على هذه المعاملة من نزاع وخصام ، ومن المقرر فى أصول الفقه أن الحكم يدور مع العلة لا مع الحكمة وجودا وعدما(١٥) .

الرابع : أننا إذا سلمنا التعليل بالحكمة ، فليس أداء الغرر إلى النزاع والخصام هو الحكمة ، أى العلة الوحيدة للنهى عن بيع الغرر ، بل ان هناك حكمة أخرى جاءت بها السنة ونص عليها العلماء ، وهى تحصين الأموال من الضياع ، وبذلك يكون وقوع النزاع بشأن بيوع الغرر جزء علة ، وليس علة كاملة ، والحكم يدور مع العلة الكاملة ، لا مع جزئها وجودا وعدما ، وعلى ذلك فإن المنع من بيع الغرر لا يرتفع بارتفاع النزاع بشأنه فقط ، لبقاء ضياع الأموال بسببه ، فقد جاء فى بعض روايات حديث النهى عن بيع الثمار قبل بدو الصلاح : « أرأيت إن منع الله الثمرة فيم يستحل أحدكم مال صاحبه »(١٦) ، فهذه الرواية تدل على أن الحكمة فى النهى عن بيع الثمر قبل بدو الصلاح ، هى أنه أكل مال الغير بالباطل على تقدير عدم حصول الثمر للمشترى بصفة الصلاح التى تم الشراء على أساسها .

يقول الخطابى : « أصل الغرر ما طوى عنك علمه ، وخفى عليك باطنه وسره وكل بيع كان المقصود منه مجهولا غير معلوم ، ومعجوزا غير مقدور عليه ، فهو غرر ، وذلك مثل أن يبيعه سمكا فى الماء أو طيرا فى الهواء ، أو لؤلؤا فى البحر أو جملا شاردا ، أو ولد بهيمة لم يولد ، أو ثمر شجرة لم تثمر ونحوها من الأمور التى لا يعلم ولا يدرى ، هل تكون أم لا ؟ فإن البيع يكون مفسوخا فيها ، وإنما نهى النبى ﷺ عن هذه البيوع تحصينا للأموال من أن تضيع ، ومنعا للخصومة والنزاع أن يقعا بين الناس فيها ، وأبواب الغرر كثيرة ، وجماعها ما دخل فى المقصود منه الجهل(١٧) .

والخلاصة : أن الغرر فى عقود التأمين ليس من الغرر اليسير ، بل من الغرر الكثير الذى يترتب عليه الحظر والمنع فى المعاوضات ، لأنه يدخل فى تعريف الغرر الذى ورد النهى بمنعه من جهة ، ولعدم انطباق ضابط الغرر اليسير عليه ، من جهة أخرى ، ذلك أن ضابط هذا النوع من الغرر ، هو يسارته ، وعدم قصده ، وضرورة ارتكابه ، والغرر فى عقد التأمين لا توجد فيه هذه العناصر ، والقول بأن ضابط الغرر اليسير الذى لا يترتب عليه منع ولا حظر فى المعاوضات هو عدم أدائه إلى نزاع وخصومة ، قول لا سند له فى الشرع ، ولم يقل به أحد من المجتهدين ، وقد ظهر فساده بالدليل .

---

(١٥) المرجع نفسه ص ١٠٨

(١٦) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه ، راجع : نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ١٩٥ .

(١٧) معالم السنن للخطابى ـ مطبوع مع مختصر سنن أبى داود للمنذرى ـ جـ ٥ ـ ص ٤٧ ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨هـ .

التأمين تعاون وتبرع يستباح فيه الغرر

كما قال المجوزون للتأمين : إن عقود التأمين من قبيل التعاون بين مجموعة من الناس ، وفى التعاون والتبرع يستباح الغرر الكثير لو وجد ، تأسيسا على ما قرره الإمام القرافى : من أن الإحسان الصرف اقتضت حكمة الشارع وحثه على الإحسان التوسعة فيه ، بكل طريق ، بالمعلوم والمجهول ، فإن ذلك أيسر لكثرة وقوعه قطعا ، وفى المنع من ذلك وسيلة إلى تقليله ، ومن المعروف أن مذهب الإمام مالك من أكثر المذاهب الفقهية مرونة فى النظر إلى الغرور فى العقود ، حيث أباح الغرر ولو كان كثيرا فى التبرعات والتصرفات التى يقصد بها البر والتعاون ، بخلاف المعاوضات التى يجب اجتناب الغرر فيها[١٨] .

وبناء على ذلك يقول الاستاذ الشيخ على الخفيف : « إن المستأمن لا يريد بتعاقده أن يكون له ربح مادى من وراء الحظ والمصادفة ، حتى يكون عقده معاوضة صرفة مما يمتنع فيه الغرر الكثير ، وإنما يريد أن يتوقى به مغبة الحظ والمصادفة لهم جميعا بحيث لا ينال أيا منهم إلا مقداراً يسيراً منها ، يستطيع تحمله فى غير عناء ولا مشقة ، أما المؤمن فهو بمثابة الوصى والولى على المال الذى يدفع إليه (أقساط التأمين) فليس التأمين التجارى إلا اتفاقا تعاونيا تقوم شركات التأمين بالإشراف عليه[١٩] .

ويقول الاستاذ الزرقا : « إن التأمين التجارى قائم من أساسه على فكرة التعاون على جبر المصائب والأضرار الناشئة عن مفاجآت الأخطار والموضوع الأصلى الذى تقوم عليه عقود التأمين ، هو إزاحة الضرر الذى يحدثه وقوع المخاطر على رأس من ينزل به رءوس كثيرة جداً هى رؤوس بقية المستأمنين ، عن طريق تعويض ذلك الضرر الذى ينزل بأحدهم من الأقساط التى يدفعونها »[٢٠] .

ويقول الدكتور محمد سلام مدكور : « إن شركات التأمين تقوم بدور الوسيط بين الأفراد المتعاونين ، وإن المتعاقد معها إنما يقصد دفع الآثار التى قد تصيبه من الخطر المحتمل المؤمن ضده ، وذلك بتعاونه ، عن طريق الشركة أو الهيئة مع مجموعة كبيرة من الأفراد الذين توسطت الشركة فى جمعهم معه ، ومن هنا يبدو التأمين عملا تعاونيا محضا ينحسر فيه الغرر إلى حد ضئيل مغتفر ولا يؤثر على سلامة العقد وصحته »[٢١] .

والمحصلة الفقهية لذلك كله هى أن عقود التأمين من قبيل التعاون والتبرع الذى يستباح معه الغرر كما ذهب الإمام مالك .

---

(١٨) راجع فى بيان مذهب الإمام مالك : الفروق للقرافى ـ جـ ١ ـ ص ١٥١ ـ عالم الكتب .

(١٩) راجع بحثه عن التأمين ، وحكمه على هدى الشريعة الاسلامية – المقدم للمؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى بمكة المكرمة – ص ٩ وما بعدها ، وبحثه المقدم إلى مؤتمر ليبيا عن التأمين – ص ١٠ .

(٢٠) أسبوع الفقه الإسلامى ـ ص ٤٠١ .

(٢١) د. محمد سلام مدكور ـ المرجع السابق ، وراجع : الفكر السامى – السابق – حيث يقول : والغرر المنهى عنه هو فى البيع خاصة لا فى التبرع ، وعلى العموم : استثنوا من البيع الغرر اليسير ، فإذا كان يسيرا كما فى السيكورتاه ، فهو جائز فإن الذى يعطى فيه يسير بالنسبة لرأس المال غير مجحف – جـ ٢ – ص ٥٠٥ .

مناقشـة هـذا الرد :

وهذا الرد محل نقد ومناقشة ، لأنه يقوم على افتراض يخالف الواقع ؛ وهو أن عقد التأمين عقد تبرع ، وهذا ما يخالف الواقع تماما ، لأن من خصائص عقد التأمين أنه من عقود المعاوضة[٢٢] ، والأستاذ الزرقا يذكر : أن عقد التأمين عقد معاوضة ويكرر هذا فى كلامه أكثر من مرة[٢٣] ، فعقد التأمين التجارى - إذن - من عقود المعاوضات التى لا يبيح فيها مذهب مالك ، ولا غيره من كافة مذاهب الفقه الإسلامى ، ما فيه من غرر كثير ، ومحاولة إدخاله فى تصرفات الإحسان والتعاون والبر المحضة ، بعيدة عن الصواب[٢٤] ، إذ من التأمين ما لا يستساغ اعتباره من التعاون والبر ، كالتأمين على سيقان الراقصات والتأمين من الانتحار إذا وقع بعد سنتين من تاريخ العقد (مادة ٧٥٦ مدنى) ، وكما تبيح قوانين التأمين فى بعض البلاد جواز التأمين من أخطار ناشئة عن سكر أو نوم أو عدم الإنارة فى حوادث السيارات ، وقد قضت المحاكم فى فرنسا بأن الإهمال وعدم الاحتياط وعدم مراعاة اللوائح تدخل ضمن الأخطاء التى يغطيها التأمين[٢٥] ، بل إنه يجوز التأمين من الخطأ الجسيم ، طالما لا يتوقف وقوع الخطر على محض إرادة المؤمن له فيكون احتماليا من حيث تحققه[٢٦] ، وليس فى تلك الصور تعاون أو حتى شبه تعاون ، كما ينبغى أن نلاحظ فى هذا المجال أن مذهب مالك يشترط فيما يستباح فيه الغرر أن يكون إحساناً (صرفا) خالصا من كل صفات المعاوضة ، يعنى أن تكون الرغبة الأساسية فيه ، هى محض التبرع والإحسان والبر ، وليس التأمين من هذا القبيل ، لأنه عقد معاوضة يحسب كل واحد من طرفيه فيه مقدار ما سيعود عليه منه ، ففكرة التبرع بعيدة عنه .

وفكرة التعاون المدعى بها تقوم على أمور ثلاثة كلها باطلة :

أولاً : تفترض تلك الفكرة أن عقد التأمين ليس إلا انضماما إلى اتفاق تعاونى منظم بين عدد كبير من الناس ، الذين يتعرضون لخطر معين ، وأن موضوع هذا الاتفاق ، هو تعاون الجميع على رفع أو تخفيض الضرر الذى ينزل بأحدهم من جراء وقوع خطر معين ، وأن هذا التعاون يتحقق ببذل ميسور لكل منهم وهذا التصوير يخالف الواقع من جهتين .

الأولى : أنه يفترض وجود اتفاق تعاونى سابق بين جماعة من الناس على تخفيف آثار الأضرار التى تنزلها بأحدهم المخاطر .

---

(٢٢) راجع : الوسيط للسنهورى - جـ ٢/٧ ص ١٤٤١ ، د. عبد الحى حجازى ص ١٣٩ ، د. أحمد شرف الدين ، ص ٧٦ ، د. عبد المنعم البدراوى - فقره ١٧٣ ، د. حمدى عبد الرحمن - ص ٥٠ ، د. عبد الرازق حسن فرج - ص ١١٨ ، د. محمد على عرفة - ص ٩٥ ، د. محمد على عمران - ص ٦٥ ، وبيكار وبيسون - ص ٧٠ فقره ٤٢ .

(٢٣) أسبوع الفقه الإسلامى - ص ٤٠٢ .

(٢٤) د. محمد بلتاجى - ص ٨٣ .

(٢٥) د. عبد الناصر العطار - السابق - ص ٣٢ ، د. محمد كامل مرسى - عقد التأمين - جـ ٣ - ص ٢٨ .

(٢٦) د. أحمد شرف الدين - ض ١٢٩ .

الثانى : أن عقد التأمين يمثل انضماما من المستأمنين لهذا الاتفاق ، وكلا الأمرين غير قائم ، وقصد التعاون مع عدم قيامهما غير موجود ، ولا يمكن القطع بوجود التعاون إلا بالنية ، والنية تعرف من صيغة العقد وعباراته ، فأين مثل هذا العقد حتى نتعرف على قصد المتعاقدين فيه ؟ ، وعقد التأمين ليس له إلا طرفين فقط هما شركة التأمين والمؤمن له المعين(٢٧) ، وما عدا ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الوهم .

ثانيا : كما تفترض أن دور شركة التأمين فى عقود التأمين التى تبرمها مع المستأمنين ، لا يعدو أن يكون « دور الوسيط » الذى يجمع أقساطهم وينظم تعاونهم وينوب عنهم .

وهذا فرض لا يقل إغراقا فى الخيال عن سابقه لأن شركة التأمين طرف أصيل فى عقد التأمين ، مع المستأمن ، وعقد التأمين لا يتم بين عدد من المستأمنين تتوسط الشركة فيما بينهم حتى يبرموا العقد ، وتكون العلاقة التى ينشئها العقد قائمة بينهم ، وما ترتبه هذه العلاقة من حقوق والتزامات ، نافذا فى حقهم ، بل على العكس من ذلك ، فعقد التأمين ينشىء علاقة ويرتب حقوقا والتزامات بين شركة التأمين ، ومن تعاقدت معه وهو المستأمن ، ولا تنفذ آثار هذا العقد فى حق غيره من المستأمنين(٢٨) .

ثالثاً : كما تفترض تلك الفكرة ؛ أن مركز شركة التأمين ووضعها بالنسبة للأقساط التى تجمعها من المستأمنين ، هو مركز الوصى أو الولى الذى يوضع المال تحت وصايته ، أو ولايته ، وبناء على هذا الافتراض ، تكون شركة التأمين غير مالكة لما يدفع لها من أقساط التأمين ، بل يكون أمانة تحت يدها باعتبارها وصيا أو وليا يتصرف لمصلحة القاصر أو المولى عليه ، ولا شك أن هذا التصور خاطىء ، لأن الولاية والوصاية لا تفرض إلا على ناقصى الأهلية ، وأنها لا تثبت إلا بنص شرعى يثبتها ويبين أحكامها ، ثم ان الولى أو الوصى لا يبرم من التصرفات مما تتعارض فيه مصلحته مع مصلحة المولى عليه ، فأين هذه الأحكام فى عقد التأمين ؟

إن عقد التأمين لا ذكر فيه لولاية أو وصاية ، وإنما فيه تعهد من جانب الشركة بدفع مبلغ التأمين عند وقوع الخطر ، وتعهد يقابله من جهة المستأمن بدفع أقساط التأمين فى مدة عدم وقوعه ، ثم إن مصالح شركة التأمين متعارضة تماما مع مصالح المؤمن لهم ، فهى تسعى إلى كسب أكبر ربح ، وتحاول الإفلات من التزاماتها بكل طريق ، والمستأمن يعمل على حماية نفسه وحفظ حقوقه قِبَل هذه الشركة(٢٩) .

والقول بأن مايدفع لشركة التأمين من أقساط توضع تحت يدها هى أمانة بوصف الشركة ولياً

---

(٢٧) د. حسين حامد ــ ص ٩٩ وما بعدها .

(٢٨) المرجع نفسه ــ ص ١٠١ .

(٢٩) المرجع نفسه ــ ص ١٠٢ .

أو وصيا على المستأمنين، قول ينافى أبسط القواعد الشرعية، ويتجاهل واقع المعاملة، وما يرتبه القانون عليها من أحكام، فهناك إجماع على أن شركة التأمين تملك تلك الأقساط وتتصرف فيها تصرف المالك فى ملكه[٣٠]، فإذا كانت حقيقة المعاملة كما قصدها المتعاقدان، وكما ينظمها القانون، فكيف يحق لعالم الشريعة أن يتجاهل كل ذلك، ويؤسس حكمه على أحكام وهمية للمعاملة، وآثار غريبة لم يرتبها القانون عليها ؟[٣١].

كثرة عقود التأمين تقلل الغرر فى جانب المؤمن

وقد ذكر بعض القائلين بجواز العقود التى تبرمها شركات التأمين، إن لعقد التأمين جانبين، أحدهما : جانب العلاقة بين شركة التأمين، ومؤمن له معين، وثانيهما : جانب العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم، وأن الحكم على عقد التأمين شرعا يجب أن ينظر فيه إلى الجانب الثانى دون الأول، وأننا إذا نظرنا إلى عقد التأمين من جانب العلاقة بين شركة التأمين والمستأمن، كان هذا العقد غررا، بل قمارا ومراهنة، أما إذا نظرنا إليه من جانب العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم، كان الغرر فيه يسيرا، إن لم يكن منتفيا، وذلك تأسيسا على أن كثرة العقود التى تبرمها شركات التأمين، والوسائل العلمية التى تلجأ إليها لحساب الإحتمالات، تمكنها من تحديد ماتعطى لمجموع المؤمن لهم من تعويضات، وما تأخذه منهم من أقساط فى مدة معينة، تحديدا يقرب من الدقة، فينتفى بذلك الغرر أو يقل فى جانب الشركة[٣٢]

وهذه الشبهة باطلة ومردودة من وجوه :

الأول : أن عقد التأمين الذى تبرمه شركة التأمين مع مؤمن له بالذات لا ينشىء علاقة بين هذه الشركة، ومجموع المؤمن لهم، بل إنه ينشىء فقط علاقة بين هذه الشركة والمؤمن له المعين، وفقا لقاعدة نسبية آثار العقود، فالعلاقة بين شركة التأمين، ومجموع المؤمن لهم علاقة مفترضة لا وجود لها فى الواقع وقد سبق بيان ذلك

الثانى : أننا إذا سلمنا بوجود مثل هذه العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المؤمن لهم، فإننا لا نسلم أن الوسائل العلمية المتاحة لشركات التأمين كحساب الاحتمالات، وقانون الكثرة، وقواعد الإحصاء، تمكن هذه الشركات من تحديد ما تعطى لجماعات المؤمن لهم، وما تأخذه منهم فى مدة معينة تحديدا يمنع الغرر والاحتمال، فقد تحدث كوارث لا تتوقعها شركات التأمين، كالحروب والفيضانات والأوبئة، وغيرها

(٣٠) راجع : فى استثمارات شركات التأمين لأموالها فى مجالات الاستثمار المختلفة، من صناعة وزراعة، وسياحة، وإسكان، واستثمار دولى، وفى مجال المال والتجارة، كتاب الأهرام الاقتصادى - صناعة التأمين فى مصر - ص ٣٤، ٤٩، ٥٠، ٦٢، العدد ٨٠ - أكتوبر ١٩٩٤م

(٣١) د. حسين حامد، المرجع نفسه.

(٣٢) الشيخ على الخفيف مجلة الأزهر - العدد الأول - السنة (٣٧) - مايو سنة ١٩٦٥م - ص ٨٨.

وراجع : الفكر السامى للحجوى - ج ٢ - ص ٥٠٥ وما بعدها.

مما يعرض شركات التأمين للإفلاس كما حدث فى حالات كثيرة[٣٣] .

الثالث : أننا إذا سلمنا بأن الغرر فى عقد التأمين غرر يسير فى جانب الشركة لكثرة العقود ، وتوافر الوسائل العلمية لحساب الاحتمالات ، فإن هذا لا يفيد جواز التأمين لخلوه من الغرر ، لأنه سيبقى فى جانب المستأمن الذى لا يملك مثل تلك الوسائل ، ومن ثم يكون العقد فى حقه قمارا ومراهنة ، لأنه لن يعرف - والحال كذلك - مقدار ما سيعطى لشركة التأمين أو يأخذ منها ، فلم يتغير موقفه ، والغرر فى أحد جانبى العقد فى عقود المعاوضات يبطلها للغرر ، فإن المستأمن يحرم عليه بذل العوض ، كما يحرم عليه أخذ ما يقابله من المؤمن تأسيسا على قاعدة أن ما حرم أخذه حرم إعطاؤه[٣٤] .

الغرر يسير لأنه محسوب حسابه

قال المجيزون للتأمين : إن الغرر فى عقود التأمين غرر يسير بالنسبة لشركة التأمين ، فلا يؤثر فى العقد بالبطلان والمنع ، لأن الشركة تتوقع هذا الغرر وتقدره وتحسب حسابه ، وتعد له ما يكفى لإزالة آثاره ورفع ضرره عند وقوعه ، فلم يكن من الغرر المريب المفاجىء ، ولكنه غرر أعد له ما يذهب بضرره ، ويفارق الغرر الممنوع ، وكان إلى العدم أقرب[٣٥] ، وهذه الشبهة مردودة من وجهين :

الأول : أن اعتبار المفاجأة أساسا للتفرقة بين الغرر الفاحش والغرر اليسير أمر لا اعتبار له شرعا ، ولا سند له فى أقوال المجتهدين ، وقد رأينا فى ضابط الغرر اليسير ، أنه يتوافر فيه ثلاثة عناصر ، هى اليسارة ، وعدم القصد ، وضرورة ارتكابه ، ومن ثم فلا دخل للمفاجأة أو التوقع فى جعل الغرر يسيرا .

الثانى : ولو فرضنا أن الغرر يسير فى جانب الشركة لأنها قد أعدت له عدته ، فإنه لم يزل فى جانب المستأمن موجودا لأنه لا يملك من الإمكانات ما يزيل به الغرر ، وبقاء الغرر فى جانب أحد طرفى المعاملة يبطلها .

« يتبع »

---

(٣٣) د. حسين حامد - ص ١١١

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) الشيخ على الخفيف بحث التأمين - مجلة الأزهر - ص ٣٥٦ ، نوفمبر وديسمبر ، سنة ١٩٦٥ م .

أولئك سيرحمهم الله

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ . سورة التوبة

المؤمنون والمؤمنات إخوة فى الله مهما اختلفت ألوانهم وأوطانهم ، بعضهم أولياء بعض ، يتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان ، فهم فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

والأخوة الإسلامية مرتبطة بالإيمان السليم بالله رب العالمين الواحد الأحد الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ **سورة الأنعام**

وقد نشأ الإسلام عزيزاً لا يقبل الذل كريما لا يتحمل الضيم ، وحمل رسالته إلى الدنيا رجال أبرار صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأسسوا دولة التوحيد التى قال عنها ربنا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[ال عمران / ١١٠]

والمسلمون اليوم قادرون على تطهير مجتمعاتهم من أمراض الباطن ، كالغل والضغينة والحقد والشحناء ، ومن التباغض والعداء الناشىء عن الأنانية والمطامع والجشع والمنافع ، ليكونوا رحماء أعزاء يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وينهون عن الفحشاء والمنكر والبغى .

(صفات المستحقين لرحمة الله)

هذه هى صفات المؤمنين والمؤمنات المستحقين لرحمة الله ـ عز وجل :

١ ـ يأمرون بالمعروف :

والأمر بالخير والنهى عن الشر يبدأ أول ما يبدأ بمحاسبة النفس وتوجيهها إلى ما ينفعها فى دينها ودنياها ، فمن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾

[الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الشمس]

فإذا تطهرت النفس من أدران الرذائل وموبقاتها ومطامع الدنيا وشهواتها وخدائع الحياة الدنيا وأخطائها ـ إذا تطهرت وأخلصت ـ صلحت للأمر بالمعروف لإصلاح النفوس وهداية الآخرين ، وقد فرض الإسلام الدعوة وقرر متابعتها لأن الأمر بالبر ضرورة اجتماعية وفريضة دينية .

والله ـ سبحانه ـ يقول :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة آل عمران]

٢ ـ وينهون عن المنكر :

والإسلام يوزع المسئولية فى تغيير المنكر على قدر الاستطاعة فيقول سيدنا محمد ﷺ :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والأمر بالمعروف هو سبيل ربك الذى يدعو إليه العلماء بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[الآية ١٠٨ ـ من سورة يوسف]

وبالنهى عن المنكر تستقيم الحياة ، ويستقر الأمر ويستتب الأمن ، لأن المجتمع النظيف تسعد به النفوس وتطمئن إليه القلوب وفى ظله تتحقق كرامة الإنسان وسعادته ، والله ـ سبحانه ـ يقول :

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

[الآية ٤١ من سورة الحج]

ولكن الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف هم جنود إبليس ، وهم شياطين الإنس .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ .

[الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة هود]

٣ ـ ويقيمون الصلاة :

أما الصلاة فهى ركن من أركان الإسلام التى تهذب النفوس وتتمم المكارم ، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث يقول الله ـ تعالى :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[الآية ٤٥ ــ من سورة العنكبوت]

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الآية ١١٠ من سورة البقرة]

وقد أوصى الله بها رسله ــ عليهم السلام ــ فيقول الله ــ تعالى ــ عن سيدنا عيسى ــ عليه السلام :

﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[من الآية ٣١ ــ من سورة مريم]

ويقول الله ــ عز وجل :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾

[الآيتان ٥٤ ــ ٥٥ من سورة مريم]

ويقول الله ــ تعالى ــ حاكيا دعاء سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾

[الآية ٤٠ من سورة إبراهيم]

٤ ــ ويؤتون الزكاة :

الزكاة فريضة دينية ، وصلة اجتماعية ، وعلاقة إنسانية ، وركن من أركان الإسلام ، وهى حق معلوم للسائل والمحروم وفى أدائها تنمية للمال ، وتزكية للنفس البشرية :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

[الآية ١٠٣ من سورة التوبة]

والناس فى حبهم للمال يقضون حياتهم فى حبه حبا جما ، وقد لا ينفقونه على أنفسهم وأسرهم فتراهم من خوف الفقر فى فقر ، ومنهم من يشقى بالمال ؛ فيحرم نفسه من الطيبات من الرزق فى الدنيا ومن ثواب الإنفاق فى سبيل الله .

ولنقرأ قول الله ــ عز وجل :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

[الآية ٢٦١ من سورة البقرة]

وإن تعجب فعجب أن يجهل المؤمن قول الله ــ تعالى :

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[الآيتان ٢٧٠ ــ ٢٧٢ من سورة البقرة]

وويل لمن منحهم الله نعما كثيرة وأموالًا وفيرة فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، فتجاوزوا الحدود ، وعصوا ربهم فجعلوا ثراءهم

نقمة وعاثوا فى الأرض فساداً ، وعتوا عن أمر ربهم عتواً كبيراً ؛ فسفكوا الدماء وأثاروا الحروب والكروب .

وهكذا لما بسط الله لهم الرزق فبغوا فى الأرض .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال / ٣٦]

إن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ، فلا ينبغى أن يعيش لذاته وملذاته ، وإنما وجد ليعيش لوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين .

والله يقول :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

[الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة التوبة]

٥ ــ ويطيعون الله ورسوله :

وهؤلاء هم المتقون العابدون الأوفياء المخلصون وهم الأبرار الأطهار الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فهم السعداء المقربون ، أهل الفوز العظيم .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

[الآية ١٣ من سورة النساء]

ولقد جعل الله طاعة رسوله من طاعته :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾

[الآية ٨٠ من من سورة النساء]

وجعل حكمه من حكمه :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

[الآية ٦٥ من سورة النساء]

ويوجه الله ــ تعالى ــ الخطاب للمؤمنين ويأمرهم بالاحتكام إلى الله ورسوله عند التنازع فى شيء فيقول ــ جل جلاله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[الآية ٥٩ ــ من سورة النساء]

ولا ريب أن طاعة الله ورسوله هى غاية كل مؤمن يحب الاستقامة وطهارة السيرة ونقاء السريرة وصفاء البصيرة ، فمن كان حاله كذلك كان سليم العقيدة عالى الهمة ، قوياً فى غير عنف ليناً فى غير ضعف يمشى على الأرض هوناً فلا كبر ولا استعلاء ، فالتقوى تهذب النفوس وتجعلها طاهرة أبية عفيفة عزيزة سامية عالية مطمئنة راضية مرضية .

ما أكرم المؤمنين والمؤمنات الذين توفرت فيهم هذه الصفات تلك الصفات التى جعلتهم قريبين من رحمة الله ــ عز وجل ــ ، فهم بهذه الصفات محسنون ،ورحمة الله قريب من المحسنين .

الأحرف السبعة

تأليف إسماعيل قراجام (*)

الأحرف : جمع الحرف ، والحرف فى اللغة له معان شتى منها أنه طرف الشىء وجانبه ، ومن الجبل أعلاه المُحَدَّدُ ، والحرف - أيضاً : كلّ واحد من حروف التهجى ، ويأتى الحرف بمعنى الوجه والأسلوب والقراءة . مثلا إذا قيل : « حرف ابن مسعود » أى : « قراءة ابن مسعود » .

والسبع بمعنى العدد المعلوم ، والمراد من الأحرف السبعة هنا : أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف . ولا يتفق العلماء إلى يومنا هذا على معنى « سبعة أحرف » .

وهناك أحاديثُ كثيرةٌ تفيد أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف . حتّى أنّ أبا عبيد قال : إن الحديث المرويّ المتعلق بالأحرف السبعة حديث متواتر[1] .

من هذه الأحاديث الشريفة : حديث عن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه المتفق عليه . قال : سمعت هِشَام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ماأقرؤها وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأنيها ، وكِدْتُ أن أعجل عليه ، ثمّ أمهلته حتّى انصرف ، ثمّ لَبّبْتُهُ بردائِهِ . فجئتُ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : إنّى سمعتُ هذا يقرأ على غير ماأقرأتنيها . فقال لى « أرْسِلْهُ » ثم قال له : « اقرأ » فقرأ ، قال : هكذا أنزلت ثم قال لى : « اقرأ » فقرأت ، فقال : « هكذا « أنزلت » : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقْرَأُوا ما تيسرَ منه »[2] .

ولقد ذكرنا أنه لا اتفاق بين القراء والعلماء فى معنى عبارة « سبعة أحرف » المذكورة فى الحديث . وقال ابن العربى (ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م) لم يأتِ فى معنى هذا السبع نصٌّ ولا أثرٌ ، واختلف الناسُ فى تَعْيِينِها[4] .

ونريد ـ بمشيئة الله ـ أن نحقق هذا الموضوع فنقول : إن ورود الحديث المتعلق بالأحرف السبعة يفيد تسهيل قراءة القرآن لأمته - صلى الله عليه وسلم - ويمكن فهم هذا المعنى من روايات كثيرة . فمن هذه الروايات - سوى الحديث الذى رواه عمر - حديث ابن عباس[4] وحديث

---

* الكاتب : أستاذ مشارك وعضو هيئة التدريس فى كلية الإلهيات بجامعة مرمرة ـ إستانبول .

١ ـ ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر ، نشر على محمد الضباع بلا تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١ : الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٩٥٧/١٣٧٦ ، ج ١ ، ص ٢١٢ ، السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن ، مصر ، ١٩٤٨/١٣٦٨ ، ج ١ ، ص ٤٧ .

٢ ـ محمد فؤاد عبدالباقى ، اللؤلؤ والمرجان ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ، ١ ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

٣ ـ الزركشى ، البرهان ج١ ، ص ٢١٢ .

٤ ـ انظر ؛ محمد فؤاد عبدالباقى ، اللؤلؤ والمرجان ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

أبى بن كَعْب[٥] وحديث ابن مسعود[٦] وهذه الأحاديث أدلّة واضحة لهذا الموضوع ، وهى أحاديث تبيّن فضل الله ورحمته بعباده بتيسير قراءة كتابه العزيز بألسنة هؤلاء العرب الذين تجمعهم لغة واحدة بينما تتشعب ألسنتهم فيها ، قال ابن الجزرى[٧] ولو كلّفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستْطاع ، وما عسى أن يتكلّف المتكلّف وتأبى الطباع .

وهذا ابن قتيبة – بعد ما أشار إلى هذا التيسير فى كتابه المسمّى بـ « تأويل مشكل القرآن » – قال : فالهذلىّ يقرأ « عتّى حينٍ » يريد « حتّى حينٍ » وفى « أَلَمْ أَعْهَدْ إليكم » التميمىّ يهمَزُ . والقرشىّ لا يهمز[٨] .

وأشار ابن قتيبة فى كتابه المذكور إلى خصوصيات أخرى للقراءة ممثلا لكل هذه الخصوصيات وعمر – رضى الله عنه – سمع هشام ابن حكيم يقرأ وهشام أسلم بعد فتح مكة ، وقد يكون فى ذلك دلالة أو احتمال على أن قراءة القرآن بالأحرف السبعة كان بعدَ الهجرة ، وقبل وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسنوات قليلة وقد أذن لقبائل من العرب أن يقرأوا القرآن الذى أنزل بلغة قريش بلغتهم وجوّز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم التى جرت عادتهم باستعمالها فى الألفاظ والإعراب ، ولم يكلِّف أحدًا منهم الانتقال من لغتهِ إلى لغة أخرى للمشقة ، ولطلب تسهيل فهم المراد ؛ لأن قراءتهم بلغة قريش التى نزل بها القرآن كان يعسر ويشقّ عليهم . ويجب أن نقول : إن المراد بهذا الإذن معناه جواز الإذن بقراءة القرآن بأيّة لغة من لغات العرب . وإنما يتلى القرآن الكريم بما ثبت بوجه صحيح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وليس لأحدٍ أن يقرأ القرآن على أية لهجة من لهجات العرب كيف شاء

ولأجل ذلك فإن إذن النبى – صلى الله عليه وسلم – المستند على الوحى متعلق بالشروط الآتية :

ـ عدم الخروج على قواعد فصاحة اللغة العربية ، وعدم تغيير المعنى وصدور القراءة من النبىّ – صلى الله عليه وسلم –[٩]

وليس المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف هذه القراءات السبعة المشهورة كما يظن بعض العوام .

هذا وأول من جمع هذه القراءات : أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) فى أثناء المائة الرابعة الهجرية .

وهناك آراء فى المراد بالأحرف السبعة نكتفى منها بما رآه أكثر العلماء فيها ؛ فقد قالوا :

١ – إنَّ المراد من الأحرف السبعة سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ ولا يجوز قراءة القرآن

---

٥ ـ النووى شرح صحيح مسلم ، مصر ١٣٤٩ هـ/١٩٣١ م ، ج ٦ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ : أبو داود ، السنن ، تحقيق أحمد سعيد على ، مصر ، ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م ، ج١ ، ص ٣٤٠ .

٦ ـ ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، مصر ، ١ ، ١٣ ، ج ٩ ، ص ٢٦ .

٧ ـ ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر ، ج١ ص ٢٢

٨ ـ ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣م ، ص ٣٠ .

٩ ـ ابن حجر العسقلانى ـ فتح البارى ج ٩ ص ٢٤ .

بغير هذه اللغات . وقال أبو عبيدة هذه القبائل هى : قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن[١٠] .

وقال أبو حاتم السجستانى نزل القرآن بلغة : قريش وهذيل وتميم وأزْد وربيع وهوازن وسعد بن بكر[١١] .

وهناك آراء أخرى .

٢ - وقال آخرون : إنها (أى الأحرف السبعة) سبع لغات فى الكمة - أى تدور فى الكلمة[١٢] والعلماء الذين قبلوا هذه الفكرة يرى بعضهم أن المراد بها : الأمر والنهى والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال .

وقال قوم : المراد بها : المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخصوص والعموم والقصص .

وقال قوم : المراد بها : المطلق والمقيّد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ وغيرها .

والآراء فى المراد بالأحرف السبعة كثيرة كما ترى ، ولم نحظ بخبر يقين يعين المراد بشأنها :

ولكل واحد من العلماء مثل ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وأبى الفضل الرازى (ت ٢٩٠ هـ/٩٠٦ م) والقاضى ابن الطيب (ت ٤٠٧ هـ / ١٠١٢ م) وابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) آراء اجتهادية خاصة بهم حاولوا فيها الوصول إلى المراد ، كما أن للزرقانى ، وصبحى الصالح وغيرهما من علماء عصرنا آراء فى نفس الأمر خاصة بهم .

وهناك مسألة أخرى متعلقة بالأحرف السبعة وهى : هل توجد الأحرف السبعة فى المصاحف التى استنسخت فى زمن عثمان (رضى الله عنه) الموجود اليوم فى أيدينا أم لا ؟

□ لعلمائنا فى هذا الموضوع رأيان :

أ- ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة وبنوا ذلك على أنّه لا يجوز على الأئمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة التى نزل القرآن بها .

ب- وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتَمِله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التى عَرَضَهَا النّبى - صلى الله عليه وسلم - على جبرائيل عليه السلام متضمنة لها لم تترك حرفا منها .[١٣]

وقد حُقِّقَ هذان الرأيان من قبل كثير من العلماء **والنتيجة التى وصلنا إليها بعد مناقشة هذه الآراء والأفكار هى أنّ هذا القول الأخير هو الذى يظهر صوابه ؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدلّ عليه وتشهد له ، وأعتقد أن رأيهم هو عين الحقيقة .**

١٠ - ابن الجزرى ، النشر ، ج١ ص ٢٤ .

١١ - ابن الحجر ، الفتح ، ج ٩ ، ص ٢٣ .

١٢ - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٣٣ ؛ مكى بن ابى طالب ، الاباحة فى معانى القرءات ، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبى ، مصر بلا تاريخ ، ص ٣٥ .

١٣ - ابن تيمية ، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، مصر ؛ ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م ص ٥١ - ٥٢ ؛ الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ج١ ص ١٦١ .

موافقات ليلة القدر

بين الرئيس والإمام الأكبر

إعداد : مصطفى عبد المجيد

فى ليلة ميمونة مباركة من ليالى شهر رمضان الفضيل، وبالتحديد فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، شهد كل من الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، وفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ـ احتفال مصر بهذه الليلة المباركة ، التى أشرق فيها نور الوحى بالرسالة الخالدة التى بعث الله بها نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكدا فيها على واجب المسلمين فى ان تكون لهم وقفة صادقة مع النفس يراجعون فيها أحوالهم ، ويحددون لأنفسهم وأوطانهم معالم الطريق إلى المستقبل ، ومكانهم بين الشعوب التى تتسابق إلى مواقع الريادة والتفوق ، مسلحة بالعلم والطاقة والإبداع ، فى هذا العصر الذى سقطت فيه الحواجز بين الشعوب ، وتهاوت الحدود الفاصلة بين الحضارات والثقافات واجتمعا ـ كذلك ـ على كلمة سواء فى فضل القرآن وأخلاقه وتحدث الإمام الأكبر عن منزلة القرآن وهدايته للإنس والجن ، وقيام الأزهر على العناية به بين أبناء المسلمين وبناتهم .

فى البداية تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن المقاصد المتعددة لنزول القرآن الكريم فقال فضيلته :

والقرآن الكريم قد أنزله الله عز وجل لمقاصد متعددة من أهمها : أن يكون هداية للناس فى كل زمان وفى كل مكان هداية للإنس وللجن ونحن نقرأ القرآن الكريم فنجد أن الجن عندما استمعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقرأ القرآن الكريم استجابوا له وتأثروا بما استمعوا ، وحكى لنا القران الكريم ذلك فى قوله ـ عز وجل:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
(٢٩) قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
(٣٠) يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾ . سورة الأحقاف

علينا إصلاح مجتمع المسلمين وإحياء القيم والمبادئ الإسلامية
الأزهـر سيـبقى منـارة لنشـر تعاليم الإسلام دون تعصب

المقصد الثانى الذى من أجله أنزل الله ـ عز وجل ـ القرآن الكريم على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون هذا القرآن معجزة ناطقة فى فم الدنيا بصدق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يبلغه عن ربه . لقد جاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس وقال لهم : انا رسول من عند الله ومعجزتى هذا القرآن ؛ فإن كنتم فى شك من ذلك فهاتوا مثله « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » ثم أرخى لهم الحبل فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا ، ثم تحداهم فى النهاية أن يأتوا بسورة واحدة ولو كأصغر سورة من سور القرآن الكريم فما استطاعوا ؛ وثبت أن هذا القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وحكى لنا القرآن ذلك فى قوله ـ عز وجل :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

سورة البقرة

كذلك من المقاصد التى من أجلها أنزل الله هذا القرآن ونحن نحتفل فى هذه الليلة بحفظة القرآن الكريم من هذه المقاصد أن يتقرب الناس إلى خالقهم عز وجل بقراءتهم للقرآن الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

سورة فاطر

رسالة الأزهر :

ثم تحدث فضيلته عن رسالة الأزهر قائلا :

أن الأزهر الشريف سيبقى لكى يقوم بتحفيظ أبناء المسلمين القرآن الكريم لكى يعلمهم أحكام هذا الدين تعليما سليما ملتزماً ليس فيه مغالاة وليس فيه تعصب أعمى إنما الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بأنها دراسة معتدلة نعاهد الله سبحانه وتعالى ـ ونعاهدكم بأننا نبقى دائما نعلم أبناءنا ونعلم أبناء المسلمين القرآن الكريم ، ونحفظهم ونتعاون كما علمتنا سيادتكم نتعاون مع وزارتى التعليم والأوقاف ودار الإفتاء معهمالكى نحفظ أبناءنا القرآن الكريم ولكى نحفظ بناتنا أيضاً القرآن الكريم ؛ لأن حافظ القرآن الكريم يصونه عن الانحراف ..

حافظ القرآن يبنى ولايهدم ، يعمر ولا يخرب ، يصلح ولا يفسد ، يقف إلى جانب الحق يحب بلده .

ونحن يا سيادة الرئيس نعلم أنك تحب مصر وتحب من يحب مصر لذا فنحن نعاهدك على أننا سنكون أوفياء بعهودنا نعلم أبناء المسلمين القرآن الكريم ونتعاون مع غيرنا على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان .

وتحدث سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فأشار إلى أنه: لا مكان للمنعزلين عن ساحة السباق ولا للمترددين والضعفاء والمشغولين فى هذا العصر عن هموم الحاضر وتحديات المستقبل بأحاديث عقيمة عن أمجاد الأسلاف والآباء والأولين .

إن رسالة الإسلام هى رسالة خير وهداية ونهضة تحمل المؤمنين فيها أمانة كبرى جعلت منهم شهداء على الناس، يحملون إليهم مفاتيح الخير حتى يتم الحق والعدل ، وأسباب النجاح والسعادة .

إن المسلمين لن يستطيعوا مواصلة حمل هذه الأمانة إلا إذا بدأوا بأنفسهم فأخذوها بأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه حتى يكونوا ترجمة أمينة وصادقة لكل ما تنطق به آيات القرآن الكريم وسنة النبى « محمد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرته المباركة ؛ فيكونوا بذلك القدوة الحسنة للناس كافة ، مؤكدا على ضرورة أن تكون الخطوة الأولى للدعوة إلى الإسلام فى هذا العصر هى : إصلاح النفس، وإصلاح مجتمع المسلمين وإحياء قيم الإسلام ومبادئه التى تفتح الطريق إلى النهضة والتقدم ، ألا وهى قيم العلم النافع والعمل المنتج ، والحرية المسئولة، التى تشجع الإبداع وتطلق المواهب ، وتجعل العقول والأفئدة مفتوحة لتعدد الآراء وتنوع الرؤى ، وتحض على احترام حقوق الآخرين ، انطلاقا من الإيمان بأن تعدد الآراء وتباين الرؤى هما من سنن الله ـ سبحانه وتعالى ـ : فى الكون ، كما قال ـ تعالى : فى كتابه العزيز .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٤٨

الانحراف والتطرف

وتناول سيادة الرئيس فى هذا الخطاب : قضية التطرف والغلو مشيراً إلى أن الفريق الذى انحرف عن الجادة ضاقت صدور أصحابه عن سماحة الإسلام ورحمته ، كما ضاقت عقولهم عن رحابه وإنسانية نظرته فشغلوا أنفسهم وشغلوا الناس من حولهم بقضايا فرعية وأمور ثانوية ، ثم أباحوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ـ جل شأنه ـ حين نصبوا أنفسهم أوصياء على الناس وقضاة على العباد، يفتعلون العثرات والسقطات ويتصيدون النقائص ويختلقون الاتهامات ؛ بل إنهم تجاوزوا كل مدى ، فسعوا إلى إكراه غيرهم على ما يظنون وما يزينه لهم خيالهم السقيم ومحرضوهم الآثمون ، وحاولوا أن يفرضوا على المجتمع كله أرهاباً فكرياً وسلوكياً لا علاقة له بالدين ونواميسه وأحكامه غافلين أو متغافلين عن قول الله ـ تعالى :.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ الغَاشِيَةِ

إن واجبنا جميعاً التصدى لصور الانحراف ومواجهتها بكل حزم وحسم .

وختم سيادته كلمته قائلا: نسأل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ فى هذه الليلة المباركة أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه نافعاً لعباده .

مجمع البحوث الإسلامية
(دراسة وثائقية)

بقلم دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

مقـدمة

يكتسب « مجمع البحوث الإسلامية » أهميته وقيمته من تعبيره عن رسالة الأزهر وأعماله وانطلاقه منه ، ذلك الأزهر الذى يحمل أمجاد أكثر من ألف سنة كان خلالها الحارس الأمين على الإسلام وعلوم القرآن الكريم واللغة العربية .

وتجدر الإشارة – ونحن بصدد التعريف بنشاط مجمع البحوث الإسلامية إلى قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١م ، لارتباطه بنشأة هذا الصرح الإسلامى وممارسة نشاطه العلمى .

□ **أهم خصائص قانون التطوير :**

أولاً : الأزهـر :

بين القانون أن . الأزهر هو الهيئة العلميـة الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كلّ الشعـوب ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية ، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن .

وذكر قانون التطوير أن : مقره القاهرة ويتبع رئاسة الجمهورية ويعين له وزير لشئون الأزهر بقرار جمهورى .

المجمع من أهم مصادر العلم والهداية فى العالم الإسلامى

تنقية كتب التفسير والحديث من الإسرائيليات مما يحسب للمجمع

ثانياً – هيئات الأزهر :

(١) المجلس الأعلى للأزهر :

وهذا المجلس يرأسه : شيخ الجامع الأزهر ، ويتكون المجلس من وكيل الأزهر ومدير جامعة الأزهر وعمداء الكليات بجامعته ، وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وأحد وكلاء وزارات : الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ، ومدير الثقافة والبعوث الإسلامية ، ومدير المعاهد الأزهرية ، وثلاثة أعضاء لهم خبرة فى التعليم الجامعى .

وللمجلس أمين عام ، وهو يختص بالآتى :

ا– رسم السياسة العامة للأزهر فى خدمة الفكرة الإسلامية .

ب– رسم السياسة العلمية لجامعة الأزهر .

جـ– النظر فى ميزانية الأزهر وهيئاته .

د– بحث شئون الأزهر ومنح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر .

(٢) مجمع البحوث الإسلامية :

وهو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل مايتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالدعوة الإسلامية .

وفضيلة شيخ الأزهر هو رئيس المجمع ، وللمجمع أمانات عامة تتكون من الأمين العام وأمين مساعد أو أكثر من الموظفين .

(٣) إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية :

وهى تختص بكل مايتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم فى نطاق أغراض الأزهر ، وعليها نشر مقررات المجمع وبحوثه ودراساته . وتنص المادة ٢٣ ، ٢٥ من قانون التطوير أن : هذه الادارة – ادارة الثقافة والبحوث الإسلامية – هى : الجهاز التنفيذى لأعمال المجمع ، وأن مديرها هو : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

أهميـة تعـاون المجمـع مـع الهيئـات الإسـلامية المماثلـة

(٤) جامعة الأزهر :

وتختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم ، أو تترتب عليه ، وتقوم بكلياتها التى تتألف منها على : حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والانتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا(*) .

(٥) المعاهد الأزهرية :

أما الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر فهو تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية وإلى جانبها الخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى والمماثلة ليخرجوا إلىٰ الحياة مزودين بوسائلهم وإعدادهم للدخول فى كليات جامعة الأزهر[١] .

ضوء على نشاط المجمع :

ثم نخص بالذكر من هيئات الأزهر المتقدمة : مجمع البحوث الإسلامية ، هذا الذى استهل نشاطه[٢] بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤م ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت مختلف أوجه الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية .

وقد حرص المجمع على إصدار بحوثه باللغتين العربية والإنجليزية فى مجلدات بضم كل منها : مجموعة البحوث التى ألقيت فى مؤتمراته :

□ أمانة المجمع :

تولى أمانة المجمع منذ إنشائه علماء أجلاء هم :

١ - فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حب الله - رحمه الله - تعالى -
فى الفترة من (١٩٦٣ - ١٩٦٨) م

٢ - فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / عبد الحليم محمود - رحمه الله - تعالى -
فى الفترة من (١٩٦٩ - ١٩٧٠) م

٣ - فضيلة الدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار - رحمه الله - تعالى -
فيما بين عامى (١٩٧٠ - ١٩٧٥) م

٤ - فضيلة الشيخ / خلف السيد على عبد الله - رحمه الله - تعالى -
فيما بين عامى (١٩٧٥ - ١٩٧٧) م

٥ - فضيلة الدكتور / عبد الجليل عبده شلبى - رحمه الله - تعالى -
فيما بين عامى (١٩٧٧ - ١٩٧٨) م

٦ - فضيلة الاستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم - رحمه الله - تعالى -
فيما بين عامى (١٩٧٨ - ١٩٨٦) م

٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح عبد الله بركه - رحمه الله - تعالى -
فيما بين عامى (١٩٨٦ - ١٩٨٨) م

(*) نصّ القانون على إقرار كليات بعينها ، لكن مع النهضة التوسعية للأزهر أنشىء العديد من الكليات بالمدن والأقاليم تيسيرا على أبناء مصر والعالم الإسلامى .

٨ - فضيلة الشيخ/ محمد عبد الحميد حسام الدين شاهين - رحمه الله - تعالى - فيما بين عامى (١٩٨٨ - ١٩٩٠) م

٩ - فضيلة الدكتور/ حامد عبد الحميد عبد الله جامع
فيما بين عامى (١٩٩٠ - ١٩٩١) م

١٠ - فضيلة الشيخ/ أحمد السيد عطا سعود
فيما بين عامى (١٩٩١ - ١٩٩٦) م

١١ - فضيلة الشيخ/ سامى محمد متولى الشعراوى

وقد أسندت إلى فضيلته أمانة المجمع فى منتصف ١٩٩٦م ، وهو الأمين الحالى لمجمع البحوث الإسلامية .

إدارات المجمع :

ولعل أهم إدارات مجمع البحوث الإسلامية :

١ - إدارة مجلة الأزهر .
٢ - إدارة إحياء التراث .
٣ - إدارة الثقافة الإسلامية .
٤ - إدارة البعوث الإسلامية .
٥ - إدارة الدعوة والإعلام الدينى .
٦ - إدارة البحوث والتأليف والترجمة والنشر
٧ - إدارة الطلاب الوافدين .
٨ - إدارة الأمانة الفنية للمجمع .
٩ - إدارة الشئون المالية والإدارية .
١٠ - الإدارة العامة للمكتبات .
١١ - الإدارة العامة للوعظ والإرشاد .

ومعظمها قد استحدث بقرار بعد موافقة الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة عليه ، وهى جميعها تتعاون وتتفاعل فى خدمة أهداف ورسالة المجمع .

مجمع البحوث الإسلامية بين الماضى والحاضر

قبل قانون تطوير الأزهر الذى نص على إنشاء المجمع كانت هيئة كبار العلماء تقوم بدورها فى مناقشة الأبحاث الإسلامية والوصول إلى حكم الله - تعالى - فيها .

وعندما اتسع نشاط البحث الإسلامى أصبحت الرغبة مُلحة لمسايرة التطور العلمى والفكرى الذى بات يؤثر على آفاق المعرفة فى بلادنا .

ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى مجمع البحوث الاسلامية ليجد العالم الإسلامى فى أعضائه ضالته المنشودة للحفاظ على دينهم وتراثهم ، وفى رحابه اجتهد علماؤه الأفذاذ وقدموا مجموعات من الأبحاث ألحت ظروف العالم الإسلامى على إنتاجها وظهورها ليتعرف المسلمون على حكم الله - تعالى - فيما استجد من الأمور .

وتقوم رسالة مجمع البحوث الإسلامية على التوحيد الفكرى لعلماء المسلمين فى ضوء روح العصر الذى يعيشون فيه .

تفسير الوسيط وإخراج «جمع الجوامع» للسيوطى أهم منجزاته

ولقد كان لصدى المؤتمرات التى عقدت بالقاهرة لعلماء المسلمين - التى دعا إليها مجمع البحوث الإسلامية - أن أخذت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التى تناولت نواحى الحياة التى يحياها المسلمون فى عصرنا ، فاهتدوا بها وعملوا بما جاء فيها .

مؤتمرات المجمع :

ومنذ نشأة مجمع البحوث الإسلامية وهو يؤدى رسالته فى الحركة الفكرية الإنسانية من خلال مؤتمراته المتعاقبة ، فقد هيأ الأزهر الشريف لكافة الدول الإسلامية أن تشارك بعلمائها ـــ من خلال هذا المجمع ـــ فى مؤتمراته ، وهى لقاءات مباركة تمت فى رحاب الأزهر ، وتم فيها مدارسة الأمور التى تتعلق بالدعوة الإسلامية ، وبحث المسائل التى تهم المسلمين فى جميع الأقطار والأوطان ، تدعيما لأواصر الأخوة والمودة بينهم ، وتوحيداً لجهودهم فى نشر الثقافة الإسلامية .

إنجازات المجمع :

عقد مجمع البحوث الاسلامية عدة مؤتمرات بلغت أحدعشر مؤتمراً فى ثلاث وعشرين سنة وذلك فى السنوات التالية :

المؤتمر الأول (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) .
المؤتمر الثانى (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م) .
المؤتمر الثالث (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م) .
المؤتمر الرابع (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) .
المؤتمر الخامس (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) .
المؤتمر السادس (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م) .
المؤتمر السابع (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .
المؤتمر الثامن (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .
المؤتمر التاسع (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
المؤتمر العاشر (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .
المؤتمر الحادى عشر (١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) .

☐ وقد أفرزت هذه المؤتمرات بحوثاً عدة فى غاية الأهمية ، هادفة وبناءة ، نوقشت فى جلسات جادة ، تؤكد جميعها أن هذه المؤتمرات عقدت فى إبانها وأنها كانت ضرورة لمراجعة ماتم إنجازه من قرارات وتوصيات سبقت فى مؤتمرات متقدمة ، والنظر فيما يحتاجه النشاط الدعوى من خطوات أخرى تعالج قصوراً أو تسد نقصاً أو تؤكد جهداً ، أو تبيّن رأى الإسلام فيما يعنُّ من قضايا مستحدثة .

وقد عبرت بحوث هذه المؤتمرات - فى مجملها - عن الموضوعات الآتية :

ـ مقاومة الاستعمار وأعوانه فى البلاد التى لم تزل تحت نيره ، أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفاً آثاره .

ـ المصدرين الأساسيين للأحكام الشرعية : القرآن الكريم والسنة النبوية .

ـ أحقية الاجتهاد فى استنباط الأحكام لكل من استكمل شروط الاجتهاد وكان اجتهاده موافقاً لها

● ● ●

ـ الزكاة والموارد المالية فى الإسلام وطرق استثمارها .

ـ تحكيم تعاليم الإسلام فى الحياة الدينية والإسلامية للدول الإسلامية .

● ● ●

قرارات وتوصيات المجمع تمثل «استراتيجية» متكاملة للعمل الإسلامى

ـ دعم القضية الفلسطينية باعتبارها « قضية المسلمين » المرتبطة بدينهم وتاريخهم وتراثهم .
ـ المعاملات المصرفية ومناقشة التأمين بأنواعه حتى يتم اتخاذ قرار فى كل أنواعه .
ـ مناقشة ما يفرض من الضرائب لمصلحة الدولة وبيان عدم إغنائها عن الزكاة وصدقات التطوع .
ـ مناقشة شئون الأسرة والشباب بشأن تعدد الزوجات ، والطلاق ، وتحديد النسل ، وتربية الشباب
ـ معالجة الشئون الاجتماعية والحضارية وأثرها فى سعادة البشرية ورقيها .
ـ تحديد أوائل الشهور القمرية واختصاصات المراصد والفلكيين فى هذا الصدد .

● ● ●

ـ بيان الرأى فى الذبائح والهدى فى موسم الحج .
ـ واجب الإخلاص فى النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .
ـ وضع التشريعات الإسلامية فى شكل تقنينات لتيسر على البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الإسلام .

● ● ●

ـ تأكيد فرضية « النفير العام » أو الجهاد بالأموال والأنفس على كل قادر من المسلمين لمواجهة قوى الاستعمار والصهيونية .
ـ مناقشة سبل الوحدة الإسلامية وإعانة الدول المحتاجة .
ـ مناقشة سبل نشر الدعوة الإسلامية وتطوير أساليبها بما يتلائم مع كل مجتمع وبيئة .

● ● ●

ـ معالجة قضايا الأقليات الإسلامية .
ـ سبل وقاية الأمة الإسلامية من الغزو الفكرى
ـ دور الدعوة والدعاة والإعلام فى خدمة الإسلام .

● ● ●

ـ ربط الحياة بالإسلام فكراً وسلوكاً .
ـ إخراج تفسير وسيط للقرآن الكريم بأسلوب ميسر خالياً من الإسرائيليات .
ـ مناقشة القضايا المعاصرة كالحرب الإيرانية والعراقية ، وجهاد الشعب الأفغانى ، والحرب الأهلية فى لبنان ومشكلات الأقليات الإسلامية فى ظل الاضطهاد العقائدى .

وقد انعقدت هذه المؤتمرات العلمية لمجمع البحوث الإسلامية ، فيما بين عامى (١٣٨٤ ـ ١٤٠٧هـ) وفيها نجد كثيراً من المواقف التى يذكرها التاريخ لهذا المجمع بالاعتزاز والفخر ، منها على سبيل المثال :

موقفه من شئون الأسرة .

موقفه من تقنين الشريعة الإسلامية .

موقفه من دراسات التفسير والحديث .

فقد حسم المجمع المسائل التى أثارت بلبلة فى هذه الدراسات ، حتى أنها أصبحت لا تثار إلا لتقابل برأى المجمع فتهدأ .

تركزت فكرة إنشاء المجمع على مناقشة البحوث جماعياً وعلمياً

فحسم المجمع موضوع تلحين القرآن فحكم برفضه رفضاً قاطعاً . وحسم المجمع موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى ، فحكم برفضه رفضاً قاطعاً . وأكد المجمع ضرورة التوسع فى تحفيظ القرآن، ووضع الخطط اللازمة لذلك .

إخراج التفسير الوسيط :

ـ عمل المجتمع على تنقية كتب التفسير والحديث من الإسرائيليات واختار الطريق الميسور لذلك بأن أصدر كتابين لبيان هذه الاسرائيليات والتحذير منها ، وأصدر تفسيراً حديثاً خالياً منها ، وهو « التفسير الوسيط للقرآن الكريم » وقد تم إصداره كاملاً .

إخراج موسوعة للحديث النبوى :

ـ أما عن الحديث : فقد رأى المجمع الحاجة ملحة إلى وضع موسوعة حديثة بين أيدى العلماء والباحثين تضم أغلب الأحاديث المروية ومراتبها من : الصحيح والحسن والضعيف ، ووقع الاختيار على كتاب « جمع الجوامع » للإمام السيوطى – المعروف بـ : الجامع الكبير ، وذلك لوفائه بالغرض تقريباً .

موقفه من الربا :

أوضح المجمع الرأى فى نقطتين كانتا مثاراً للمناقشة والبلبلة فى هذا الصدد

الأولى : هل الربا المحرم هو الربا الاستهلاكى فقط ، وبناءً عليه تجوز الفائدة فى القروض الاستثمارية التى تتعامل بها البنوك والشركات الاقتصادية فى المجالات المختلفة ؟

وفى هذه النقطة قرر المجمع أن الربا محرم لا فرق فيه بين ما يكون عن قرض استهلاكى أو قرض استثمارى .

الثانية : هل الربا المحرم هو ما يكون أضعافاً مضاعفة فحسب ، وبناءً عليه تجوز الفوائد على القروض التى تقوم عليها البنوك والشركات وغيرها ما لم تصل إلى حد المضاعفة ، إذ غالباً تقتصر على نسبة معينة فى المائة .

وفى هذه النقطة قرر المجمع أن الفائدة محرمة وهى ربا ، لا فرق فى ذلك بين ما يكون أضعافاً مضاعفة أو نسبة ضئيلة .

فاعلية دور المجمع :

وتأكيداً لفاعلية مجمع البحوث الإسلامية ، فإنه الآن ينتهج سياسة أكثر تناسقاً وتعاوناً مع الهيئات والمنظمات الإسلامية الأخرى فى العالم الإسلامى ، من أجل خدمة الأهداف المشتركة وهو الدور الذى وضعه فى اعتباره فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع ، ودعَّم من أجله المجمع بأعضاء جدد من العلماء المتخصصين ، تتمة لدوره الممتد .

وبعد ..

تلك كانت جولة علمية ألممنا فيها بنشأة ونشاط مجمع البحوث الإسلامية ، وبيان حجم المسئولية الملقاة على عاتقه ، وهى المسئولية التى قام بها خير قيام ، من خلال ماصدر عنه من بحوث ، وماعالجه فى مؤتمراته العلمية وأخرج بشأنها القرارات والتوصيات بأكثر من لغة أجنبية .

والحق أنه نتاج يعتز به المجمع - عبر تاريخه المجيد والممتد - فى دعم الأخوة الإسلامية وتوطيد أواصر التعاون بين علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، والنهوض بأعباء الدعوة إلى سبيل الله - عز وجل - امتثالاً لقوله - تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾
[**النحل - ١٢٥**]

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾
[**آل عمران - ١٠٤**]

واستكمالاً لهذه الدراسة الوثائقية عن نشاط مجمع البحوث الإسلامية ودوره المضطلع به من خلال لجانه وإدارته التى صاحبته منذ انشائه ، أو التى استحدثت بعد ذلك بقرارات اقتضتها ظروف العصر ، فأننا نأمل أن تواتينا الفرصة إن شاء الله لتفصيل عمل هذه اللجان والإدارات فى خدمة رسالة المجتمع .

مراجع الدراســـة

١ - نشرة القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ - (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) .

٢ - المؤتمرات التى صدرت عن مجمع البحوث الإسلامية منذ انشائه ، وهى فيما بين عامى (١٣٨٤هـ - ١٤٠٨هـ) .

٣ - د. أحمد عوف : الأزهر فى ألف عام - سلسلة البحوث الإسلامية - الكتاب الثانى من السنة الثالثة عشر (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

٤ - مجلة الأزهر - عدد شوال ١٣٩٧ - أكتوبر ١٩٧٧ - المجمع فى الميزان - للدكتور يحيى هاشم ، وذلك فى إطار أعمال المؤتمر الثامن للبحوث الإسلامية .

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السؤال :

يملك ا ، ب قطعة أرض مناصفة بينهما على الشيوع ، وعند الشروع فى البناء استقل كل منهما بنصيبه ؛ ثم إنهما خالفا الشروط القانونية للبناء من حيث الارتداد وكذلك العلو . وتفاديا لما عساه أن يكون من إزالة السلطات للوحدات المخالفة مما يشكل ضررا جسيما يلحق بالطرفين ، فقد بادر (ا) بإجراء مصالحة مع جهة الإدارة دفع بموجبها الغرامة عن نفسه وعن صاحبه (إذ القطعة كلها رغم استقلال كل منهما بالبناء وبمدخل خاص تعتبر فى نظر الإدارة وحدة يتعاين التصالح عليها جميعا) وهذا أخف الضررين .

وقد راعى (ا) عجز (ب) ماليا فى ذلك الحين ، فلم يطالبه بشىء وقتها لقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ... ﴾

سورة البقرة ــ آية : ٢٨٠

وفى وقت لاحق من رجوع جهة الإدارة عليه بشىء ارتفع بالبناء بضعة أدوار أخرى باع بعضها بمبالغ تزيد على مائتى ألف جنيه ولا تزال عنده وحدات معروضة للبيع ، بينما ما يخصه فى المصالحة لا يعدو بضعة آلاف جنيه ، يعنى أنه صار ميسورا وقادرا على السداد .

راح (ا) يطالبه بحصته فى المصالحة فأبى فى إصرار قائلا : « أنا ما قلتش لك اعمل مصالحة أنت لم تأخذ رأيى » .

وتدخل أهل الخير من جانبى الطرفين فانتهوا إلى أحقية (ا) تجاه (ب) ، ولكن هذا الأخير ثار وأبى النزول على رأيهم ، فعاد (ا) يعرض التنازل عن نصف المبلغ (يعنى نقسم البلد بلدين أنت النصف وأنا النصف) ولكنه ظل سادرا فى جحوده مصرا على موقفه قائلا :

[أنا ملكت البيت لأولادى ومش دافع حاجة وروح اشتكينى] ، وعلى فرض ذلك جدلا فإن أولاده ميسورون ويمكنهم السداد .

وجد (ا) نفسه أمام خصم يأبى إلا أن يجحد حقا يعلم بيقين أنه فى ذمته ولم يذعن لقرار مجلس الصلح فقال قولة اليائس المضطر الذى لا يملك سندا مكتوبا يقاضيه به ، ولا فائدة ترجى من الكلام بعد الذى كان .

[طيب ياعم .. أنا مش عايز منك حاجة] فهل يعد تنازل (ا) معتبراً شرعا ؟ وهو تنازل المضطر اليائس ؟ وبالتالى هل برئت ذمة (ب) مما يخصه فى أمر المصالحة ؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله ــ تعالى ــ .

ا.ا.أبو شادى

الجـــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإجابة على ما تضمنته الرسالة المرفقة بتوقيع أ.أ. أبوشادى المؤرخة فى ١٦ رمضان ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من يناير ١٩٩٧م نقول :

ــ أنه بعد قيام المشتركين بعملية فرز وتجنيب فى الأرض المشتراة بينهما على الشيوع ، وقد انتفع كل واحد بنصيبه بعد القسمة كانت القسمة حتما لازما ، ولو ادعى أحد المتقاسمين دينا فى التركة صحت دعواه .

ــ والغرابة التى هى محل النزاع وموضوع الدعوى شأنها شأن كل دعوى تخضع لأحكامها وهى تفسد بشيئين : أحدهما ألا تكون ملزمة لشىء على الخصم ، وفى هذه المسألة أنك دفعت للإدارة بطريق المصالحة أصلا عن نفسك وأما عن غيرك فأنت غير موكل منه بذلك أو مفوض فى المصالحة بدون إذنه أو رضاه ، وهو ما لم يتحقق وربما يكون الإسراع فى المصالحة يحقق لك شخصيا غرضا قد ينتفى عنه أولا يطالبه ، ويؤكد هذا قوله لك بصريح العبارة (أنا ما قلتش لك أعمل مصالحة أنت لم تأخذ رأيى) .

ــ والنقطة الأخرى قولك ــ أنا مش عايز منك حاجة ــ فإن هذا القول عند الحنفية يعتبر من هبة الدين لمن عليه الدين وهى جائزة ، وذلك مجاز عن إسقاط الدين عنه ؛ لأن الهبة تكون عينا لا دينا وهو قول المالكية أيضا ، وهو تنازل معتبر شرعا .

أما قولك هل برئت ذمة (ب) مما يخصه فى أمر المصالحة ــ نعم برئت ذمته قضاء . فأما ديانة فأمره مفوض إلى الله ــ تعالى ــ الذى يتولى السرائر .

هذا والله وحده من وراء القصد ..
والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / على عبده محمد يقول فيه :

قام بنك يزعم أنه إسلامى بنقض تعهده ، وتعاقده من تمويل مشروع اجتماعى (مساكن لفقراء المسلمين محدودى الدخل) بدعوى عدم توافر السيولة .. فما الحكم ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .. فنفيد بأن المسلمين عند شروطهم ولا يجوز للبنك التراجع فيما اتفق عليه ، فإن ثبت فعلا عدم وجود سيولة نقدية بالبنك فإن الانتظار جائز لحين ميسرة ، وإلا رفع الأمر إلى القضاء إذا غلب على الظن بأن هناك من يتلاعب بهذه الشروط لنقض العهد .. والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ......

زوجة تريد الطلاق من زوجها على أساس أنه لا ينفق عليها إطلاقا ، وأنه متهم بأكثر من قضية نصب وإصدار شيكات بدون رصيد ، وأنه غير أمين عليها ، وأنه دائم الاعتداء عليها بالضرب والسب بألفاظ نابية فهـل يحق لها طلب الطلاق .. وما الحكم ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بأنه إذا صح ما تدعيه المستفتية من أن زوجها يضربها ، ويسبها ، وأنه غير أمين عليها ، ولا ينفق عليها كان لها أن ترفع أمرها للقضاء وإثبات ما تدعيه ، وفى القضاء خير حل لها . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله ـ تعالى ـ أعلم .

السؤال من السيد / حامد محروس موسى ..

توفى رجل عن زوجة ، ثلاث بنات ، أخت شقيقة ، أخت لأم ، أولاد أخت / فمن يرث وما نصيب كُل ؟ .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .

فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلاث الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخت الشقيقة تعصيبا ، ولاشىء للأخت لأم لحجبها بالفرع الوارث كما فى لا شىء لأولاد الأخت ؛ لأنهم من ذوى الأرحام .

خميلة الشعر

إعداد وتقديم الأستاذ / محمد عبد الوهاب

يسعدنى تقديم باقة الشعر ، بعد اقتطافها مستوفية مثاليات : الخير والحق والجمال .. عازفة عن مثالب السطحية والمباشرة ، والتقليد والابتذال .

فالشعر فى خاطرى أمير متوج من أمراء البيان .. وبعد ..
فسيكون منهاجنا بإذن الله تعالى فى تقديم هذه الباقة أن نبدأ بنموذج من الشعر العربى

العريق وقد اخترنا ـ بمشيئة الله تعالى ـ لهذا العدد ، طرفة الشاعر الجاهلى : قيس بن عاصم المنقرى ، التى يخاطب فيها زوجه فى معنى رفيع ، من معانى الكرم بقوله :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له أكيلا ، فإنى لست آكله وحدى
أخاً طارقاً ، أو جار بيت ، فإننى أخاف ملامات الحديث من بعدى
وإنى لعبد الضيف من غير ذلة وما بى الا تلك من شيمة العبد

ثم ننتقل إلى خير النماذج التى وصلتنا من نتاج الشعراء ، المعاصرين . مطوفين بروائع الشعر من كل حدب وصوب .

مِنْ فَيْضِ النُّور

شعر/ ابراهيم عيسى

قل لى ياقـــلب : متـــى أدنـــو ؟ فحنينــــــــى حيره الظـــــــن
وحكايـــا السهـــر بليـــــلاتى عين قد خاصمهــــا الجفـــــن
وقيـــــام الليـــــل وسجدتـــــه روح لأمـــــانيها ترنـــــــو
وعلى أهــــداب النجـــم أرى ألقـــــاً لتسابيحـــــى يحنـــو
فإذا ما الشوق تلاعب بى وتلـــــــــــفت قلب أو عين

النور بأفقى يتجدّد
نـور يتغنى بمحمّد

ربـــاه .. أنـــا جبت زمـــانى وطـــويت الأرض بلا عنـــوان
أبحث عن نور يرعـــــــانى ويضم وجـــــــودى بالإيمان
فسمـــــا بى فضلك بجنـــــاح يتألـــق طهـــراً بالقـــرآن
فسقـــيت يقينـــــى بدموعـــى فنما حولى شجـــر الغفـــران
وأقـــول وروحـــــى مجداف فى بحر الحب بلا شطـــــآن

للقلب دعاء يتـردد
ويغنى حبا بمحمد

يا قلبـــــى يا شمعـــــة حب فى ليـــــل قد تاه ضحـــــاه حب
وينـــام النجـــــم فيوقظـــــه وعْـــدٌ بالفجـــــر فيرعـــــاه
وتمطـــى فى شرنقـــة الليـــــل يقين سبـــــح بسنـــــــاه
والليـــــل أضاء جوانبـــــه قرآن أشرق وسقـــــــــاه
كم أورق أمـــــلا وضيـــــاء والكـــــون يكبر : ربـــــاه

للنور حنين يتجدد
يتلفت شوقا لمحمـد

المطـــــر عقيم فى صحـــــراء العمـــــر .. وخاصمنـــــى الساق
لكـــن سقـــطت أمطـــار الدمـــع على ظمـــــأ فى أعمـــــاق
فتفجـــر فى صحـــراء العمـــر ضيـــــاء يسقـــــى أشواق
واحضرت واحــــــات الإيمان وفـــكت بالنــــور وثـــاق
فسبـــــــحت إلى شط الإحسان فـــلاح هنـــــالك إشراق

ألق فى قلبى لاينفد
وسناه من فيض محمد

عتاب

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

وحـــى شعـــرى هل توافى خاطـــرى بعـــد انقطـــاع
والمعـــانى فوق طرسى تتداعـــى من يراعـــى
تبهر الألبـــاب فى نظـــم على صدر الرقـــاع
أم نبـــذت الفكـــر فى عصـــر التـــردى والضيـــاع ؟
يـــذل الإنسان كل الجـــهـــد فى غث المتـــاع
لا تغب يا وحـــى عنـــى أو تجافينـــى مليـــا
لا تدعنـــى فى عكـــاظ الشعـــر مكبوتـــا عييـــا
ولتكـــن فى أفـــق فكـــرى حاضراً مادمت حيـــا
مذ وعـــيت الكـــون حـــولى كنت لى زادا وريـــا
كنت قيثـــاراً حنـــونـــا يرســـل اللحـــن الشـــجيـــا

***

إن تكـــن يا وحـــى شعـــرى قد نأيت اليـــوم عنـــى
وقلـــبت الآن .. بعـــد الـــو صل - لى ظهـــر المجن
طالما ياوحـــى قد أســـهـــرت طول الليـــل جفنـــى
وسكـــبت الشعـــر سلســـالاً بوجـــدانى وذهنـــى
لم أزل صب القـــوافى رغـــم أسقامـــى وسنـــى

***

إنما الأشعـــار للإنســـان روح وغـــذاء
وهـــى للمحـــزون والمحـــروم سلـــوى وعـــزاء
إنها روض بهيـــج فيـــه أفيـــاء ومـــاء
إن أفـــاض الفكـــر والوجـــدان فيها شعـــراء
لا هـــراء للتســـلى لج فيـــه الأدعيـــاء

من مواقف الشعراء

كان الشاعر أبو محجن الثقفى مولعا بالشراب ، فحبسه سعد بن ابى وقاص لذلك ، فلما كان يوم القادسية ثارت حميته حين بلغه ما يفعله المشركون بالمسلمين ، وهو حبيس عند أم ولد لسعد ، فأنشدها وهو فى قيده :

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا   وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت   مغاليق من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة   فقد تركونى واحدا لا أخا ليا
هلم سلاحى ، لا أبا لك ، إننى   أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

وعاهد أبو محجن أم ولد سعد أن يعود إلى محبسه لو أنها أطلقته حتى يستطيع أن يشارك فى المعركة ، فأطلقته ، وركب فرسا لسعد بلقاء وحمل على المشركين ، فقال سعد : لولا أن أبا محجن فى الوثائق لظننت أنه أبو محجن ، وأنها فرسى ، وانكشف المشركون ، وعاد أبو محجن إلى محبسه ووثاقه بإرادته ، وفيا لعهده ، فلما علم سعد بذلك أرسل إليه ، فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا ، قال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا .

ودخل ابن أبى محجن على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول :

إذا مت فاقذفنى إلى جلب كرمة   تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى   أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : لو شئت ذكرت أحسن من هذه من شعره قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسأل الناس : ما مالى وكثرته   وسائل القوم : ماحزمى وماخلقى
القوم أعلم أنى من سراتهم   إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
قد أركب الهول مسدولا عساكره   وأكتم السر فيه ضربة العنق

حديث و تأمّل

NORMAN C. DOWSETT

للشاعر / نورمان سى دوسيت

Waves of perfumed music tease my ear	موجات موسيقية عاطـــرة تداعب أذنى
Colour-Words of rhythm pass me by,	كلمات ملونة منظومة تعبرنى
Breathlessly I strive my heart to steer	أنفاس لاهثة ، أجاهـد قلبـى لكى أسير
Into the Light of Thy divinity	فى نورك القدسى
Flowers of mystic form that change their hue	زهرات غامضة تغير الوانها
Weave a garland of this vision rare,	تنسج باقة لهذا المشهد النادر
And high up in the canopy of blue	وتسمو فى أوج من الزرقة
White birds fly across the magic air	طيـور بيضاء تحلــق فى الجو الساحر
And there on mountain heights, a golden stream	وهناك ، بالمرتفعات الجبلية ، جدول ذهبى
Winds its way towards a deep abyss	رياح طريقها إلى هوة سحيقة
Where fall the golden showers of a dream	حيث تسقط الأمطار الذهبية للحلم
"Recall again", the Voices seem to say	كأن أصواتا تقول : أعد النداء ثانية
Thy journey through the worlds of amber Light,	رحلتك عبرعوالم متلألئـــة بالضياء
Ride the meridian majesty of day,	أركب الهجير العظيم لليوم
Sing in thy heart the Song of Love's delight!	غن فى قلبك أغنية المحبة البهيجة !

إبداع الشعراء

يروى أن أبا نواس أو جحا أو أحد أصحاب النوادر دعا بعض أصدقائه إلى وليمة فلما سمع بذلك أهل المدينة توافدوا إليه ليصيبوا من طعامه ، فخرج معهم إلى شاطىء البحر وصاد جرادة وألقاها فى البحر وقال لهم : من فاته اللحم فليحتس المرق .

وقد فاتنى الشعر ووهنت ملكتى فيه فلم أجد بداً من أن أحوم حوله ، أتبع الشعراء وأستمع إليهم وأطرب لشعرهم ، وقد أحاول تقويم بعضه أو نقده أو أسجل مايجول فى خاطرى عن الشعر والشعراء .

ومما جال فى خاطرى من مجالستى لبعض الشعراء أنهم يترددون فى إنشاد شعرهم ، ويتنصلون من أن يوصفوا بأنهم شعراء ، وكأن الشعر وصمة لا يرغبون أن تلصق بهم ، أو كأنه جريمة ينفرون من أن تنسب إليهم . أو لعلهم يخشون نفس مستوى شعرهم فيسكتون عنه خوفا من نقد ينال منه .

وليست هذه الظاهرة خاصة بالشعراء المحدثين ـ عفوا أقصد الشعراء اللذين ظهروا فى العصور الحديثة ، ولا أقصد المحدثين الذين يزعمون أنهم شعراء وما هم بشعراء ـ بل هى ظاهرة معروفة حتى فى العصور القديمة .

فكتب الأدب تحدثنا عن شاعر من فحول شعراء العصر الأموى ، وهو الكميت بن زيد الأسدى شاعر الهاشميات أنه كان يتردد فى نشر شعره :

فعندما ظهرت (أعراض) الشاعرية على الكميت ، وبدأ فى نظم الشعر ذهب إلى (الفرزدق) الشاعر المعروف وقال له :

يا أبا فراس : أنت شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ، وقد قلت شعرا ، وأحب أن أعرضه عليك ، فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره ، وأنت أولى من ستره علىّ .

فقال الفرزدق : إنى لأرى لك عقلا راجحا ، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدنى ما قلت :

قال الكميت :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

قال الفرزدق : وما لك لا تطرب ؟

قال الكميت :

ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب

قال الفرزدق : لم لا تلعب يا ابن أخى ، وأنت فى سن أوان اللعب ؟

قال الكميت :

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل   ولم يتطربنى بنان مخضب

قال الفرزدق : ومايطربك يا ابن أخى ؟

قال الكميت :

ولا السانحات البارحات عشية   أمر سليم القرن أم مر أعضب

قال الفرزدق : أجل يا بنى لا تتطير .

قال الكميت :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى   وخير بنى حواء ، والخير يطلب

قال الفرزدق : من هؤلاء ويحك ؟

قال الكميت :

إلى النفــــر البــــيض الذيـــن بحبهم إلى الله فيمـــا نابنـــى أتقــــرب
بنـــى هاشم رهـــط النبـــى فإننـــى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم منـــى جنـــاح مودة إلى كنــف عطفـــاء أهـــل ومـــرحب

قال الفرزدق : أذع يابنى أذع ، فإنك أشعر من مضى وأشعر من بقى ...

***

وشاعر آخر يتردد فى نشر شعره قبل أن يعرف رأى الناس فيه .

إنه نصيب بن رباح مولى بنى ضمرة الذى كان يقول الشعر ثم ينشده فى مجالس مواليه ، ويزعم لهم أنه من شعر أسلافهم ، فلما كثر ذلك منه ، وتعجبوا من انفراده بروايته وادعائه نسيان اسم قائله ورأوا أن ماينشدهم من الشعر لا عهد لهم به ، ولا يأثرونه عن أسلافهم ألحبوا عليه فى بيان الحقيقة ، فسألهم عما إذا كان هذا الشعر الذى ينشدهم قد أعجبهم أم لا فلما تأكد من إعجابهم أخبرهم أنه من شعره ، وأنه إنما كان ينسبه إلى أسلافهم ليعرف رأيهم فيه ؛ فإن استحسنوا أعلن لهم أنه قائله ، وإلا كتم على نفسه وستر شعره .

***

وفى هذا العصر عندما تجمعنا المجالس ببعض الشعراء كالشاعر البراء بن الشاعر عمر بهاء الدين الأميرى ، أو الشاعر عبد الرحمن العشماوى ، أو الشاعر الدكتور زاهر بن عواص الالمعى ، أو الشاعر أحمد سالم باعُطب ، أو غيرهم من الشعراء المجيدين ، ونطلب منهم أن ينشدونا شيئا من أشعارهم يحاولون التخلص من ذلك تارة بنفى الشاعرية عن أنفسهم ، وأحيانا بالزعم أنهم لم يحضروا معهم شيئا من شعرهم ولم يستظهروه ، وبعد تمنع وإباء ينشدوننا شعراً فنجده شعراً جميلاً رائعا قوى النبرة لطيف المعانى ، ويعتذرون بأن شعرهم ليس فى مستوى النشر والإنشاد .

وعلى النقيض من ذلك نجد أن بعض المتشاعرين لا يدعون فرصة إلا نشروا فيها شعرهم أو أذاعوه .

ويغلب على ظنى أن إجادة الشعراء لشعرهم ومعرفتهم لجيد الشعر ورديئه تجعلهم يترددون فى نشر شعرهم ، وكأنهم يتفادون أن يظن بهم أنهم مفتونون بشعرهم كما يفتتن بعض الناس بأولادهم ، وقد صور أبو تمام هذا الشعور فى قوله :

ويسيــــىء بالإحسان ظنـــا لاكمـــــن هو بابنـــــه وبشعـــــره مفتـــــون

وممن يسىء الظن بشاعريته الشاعر الكبير الأستاذ طاهر عبدالرحمن الزمخشرى رحمه الله الذى انتشر صيته كشاعر مبدع فى جميع أقطار العروبة وبخاصة مصر وتونس ، وأصدر عددا من الدواوين تحتوى على كنوز من الشعر الوجدانى الرقيق المتدفق نجوى وعاطفة .

ولقد قال لى الأستاذ الزمخشرى يوما : إنى لا أعد نفسى شاعرا حتى الآن ، ولما أبديت دهشتى من قوله هذا قال لى : إنى لم أقل حتى الآن ذلك البيت السائر الذى يتمثل به الناس ويتناقلونه فى أحاديثهم وأسمارهم .

وهذا تواضع من الشاعر ونكران لذاته ، وإلا فإن له عددا كثيرا من الأبيات بل القصائد السائرة التى تحفل بها دواوينه .

وإذا كان مقياس الشاعر هو سيرورة بيت للشاعر فقد حزت هذا (المجد) بقولى :

نحن والجيش فى السلاح رفـــــــاق أخـــــوة فى الكفـــــاح أو فى السلام

إن كثيرا من إخوانى رجال الأمن والجيش يرددون هذا البيت ويرونه معبرا عن واقع الالتحام الودى بين جناحين من أهم أجنحة الوطن : الجيش والأمن ، ومع أن البيت يحتوى على معنى جيد فإن كلماته عادية ولكن الحظ يستر ..

ومن الأبيات المحظوظة التى سارت على ألسنة الناس قول شوقى :

وإنما الأمم الأخـــــلاق مابقـــــيت فإن همُ ذهـــبت أخلاقهـــم ذهبـــوا

إن من يتأمل هذا البيت بعين الناقد الفاحص يجد فيه إطنابا شديداً يفيض عن حاجة المعنى ، فعبارة : (وإنما الأمم الأخلاق) هى الحكمة التى اشتمل عليها البيت ، أما ما بعد ذلك فهو تكرار عادى التركيب .

وأين هذا من قول شوقى نفسه :

ومانيـــــل المطــــــالب بالتمنـــــى ولكـــن تؤخـــذ الدنيـــا غلابـــا

كل كلمة فى هذا البيت الأخير وطيدة فى مكانها لو نزعت منه لاختل مبنى البيت ومعناه .

وقد عبر الشاعر العراقى معروف الرصافى عن سيرورة الشعر فقال :

الشعـــر ما اهتـــز منـــه روح سامعـــه كمـــن تكهـــرب من سلك على غفـــل
والشعـــر ما ظل دهـــراً بعـــد قائلـــه وصار يجرى على الأفـــواه كالمثـــل

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد غلاب

باحث فلسفي مستقل !

١

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

مُؤلفُ الفلسفة ، إذا كان عَزوفا منصرفا عن الناس إلّا فى دائرة اختصاصه ، لا يكاد يعرفه أحد ، مهما أكثر من المؤلفات ، لأنَ قراءهُ محدودون ، وتلاميذهُ فى أكثرهم يقرءون ما كُتب لينجحوا فى الامتحان ، فإذا تخرجوا إلى محيط الحياة تركُوا مادته العلمية ، وعَدُّوها طلاسم شاقة ، تُتعب الذهن ، ولا تفضى إلى متعة خَالِبة ، فإذا كان هذا المؤلف مضطرا إلى الانزواء لِعِلَّةٍ لَحقتْه فى عينه ، بعد تجربة حاولها فى عقد الصلات فلم يوفق فإنّ نسيانه يكون أكثر ، وهكذَا كان الدكتور البصير (محمد غلّاب) أستاذا فى فنّه ، كثيرا غزيرا فى نتاجه ، لم يكد يترك التأليف طيلة حياته فى شهر من الشهور ، حتى إذا جاءَه اليقين ، أصبح خبرا منسيّا ، وسكت عنه تلاميذهُ الأقرباء ، كما نسيه معارفه البعداء ..

وُلد الدكتور غلاب فى أول يوم من أيام القرن العشرين ، ونَشأ فى أسرة تَعْتزُّ بنسبها العربى الأصيل ، وترتفع به مُوَثّقا فى رأيها إلى الجدّ الأربعين ، ومهما يشكّ شاك من غير الأسرة فى هذه الصلة الممتدة إلى جُذور التاريخ فإنها عند الأسرة تورثها اعتزازا ، وكان والده رئيس قريته ، ولم تكتملْ فرحةُ طِفله به ، إذ فَارقَه فى الخامسة من عمره ، ثم ضَعف بصره ، حتى نَفد ، والتَحق بالأزهر فكان مُميزا بين أقرانه ، ثم أدركته ثورة سنة ١٩١٩ فرجع إلى بلدته ليقرأ علوم الأزهر على عالم أزهرى يُتقنها كلّ الإتقان ، فلم تضع أيامُ الإضراب السياسى عبثا بالنسبة إليه ، ثم دَفعته همته إلى أن يتعلّم اللغة الفرنسية ، وإلى الالتحاق بالجامعة المصرية القديمة ، وتنوعت أهدافه فَنَال

الدّبلوم العالى بمدرسة الحقوق الفرنسية ، وكأن الدكتور طه حسين قد رجع من فرنسا أستاذا شهيرا ، فأحيا الآمال فى طائفةٍ من أمثاله الذين صَمموا على الذهاب إلى فرنسا ليبلغوا مبلغه ، وهَكذا ارتحل غلّاب إلى جامعة « ليون » بفرنسا بعد جهادٍ شاق من أسرته ، ومما يذكرهُ بمرارة ، أنّه حين ركب الباخرة إلى فرنسا من الاسكندرية لم يودّعْه أحد ، مع أن لكلّ مسافر ــ حينئذ ــ مودعا ، وعاد فلم يستقبلْه أحد ، ولكنّه عاد بالدكتوراه ، نالَها بمرتبة الشرف مع تقدير التهنئة وتبادل الرسالة فى جامعات باريس ، وهُو سعيد بما ظفر ، فكم من طلّاب رجعوا من باريس ، واستقبلهم أهلوهم بالميناء الاسكندرىّ ولم يُحرزوا درجة علمية ما ، بل ركنوا لِلّهْو استجابة لنزوات الشباب ، ولم يكن الدكتور محمد غلاب أحد هؤلاء بداهة .

رجع الدكتور غلاب ليحذو حذو الدكتور طه حسين فى الاتصال بالصحافة ، وتوجيه الرأى العام ، وأصدر مجلة النهضة الفكرّية على مدى ثلاث سنوات متوالية لِيُنشىء جيلا من القراء يتشبع بمبادئه ، وقد التفّ حوله نفر من الشباب شجعّهم على النشر ، ودَعا طائفة من أساتذة المدارس العليا للإسهام فى نشر المقالات ، ولكنَّ المجلّة لم تبلغْ ما أراد لها ، لأنّ صاحبها لم يتصل بحزْب سياسى يَعرف زعَماءه ، ويسيرُ له بمقالاته الحزبية ذكر فى الناس ، كما فعل غيره فى مضماره ، بل جَعلها مقصورة على الثقافة والأدب والشعر ، وقد لاقْت حربا من منافسيها ذوى المجلات الذائعة ، فكانوا يصدون باعة الصحف عن ذيوعها ، وتمْضى إليهم النهضة الفكرية فترجعُ فى حِبالها كما ذهْبت ، هكذا قال الدكتور غلاب فى حديثه عن المجلة الموءودة ، وإخا له صادقا[1] ، ولَيس الأمر غريبا فى بابه ، فقد أنشأ الأستاذ عبدالعزيز الاسلامبولى مجلّة المعرفة فى هذه الفترة نفسها . فكانت منافسة صَعْبة لمجلتى « المقتطف والهلال » ، لأنها مع احتفالها بالبحوث العلمية قد انْفردت بصوت إسلامى له أهدافه الحبيبة ، وجمعت من كبار الكتاب من يعدون فى الصف الأول نَباهة ذكر ، ووفرةَ نتاج ، ثم جاءْت رِشوة الباعة فلاقت « المعرفة » مصير « النهضة » ، ومجلةُ الفكر غير مجلة السياسة ، فالأولى ذات قراء محدودين ، فإذا وجدْت مع ذلك حربا ماكرة فمصيرُها معلوم ! .

ولكن كلية أصول الدين قد أنشئت فى هذا العهد ، ورأى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى أن ينتفع طلّابُ الكلية بحامل الدكتوراه فى الفلسفة ، فعُين أستاذاً للأخلاق والفلسفة بالكلية ، واشترك فى وضع المناهج للطلاب بالكليات والمعاهد الأزهرية مع صفوة من خيرة القوم ، وأخذْت مؤلفاته الكثيرة تنهمر انهمار الْغيْث ، فأسدى فضلا ، وكشف عن جوهر نفيس ..

---

(١) فى عالم المكفوفين جـ ٢ للدكتور الشرباصى ص ١٤٧ .

اتجه الدكتور فى محاضراته إلى دَرس الفلسفة الشرقية ، والفلسفة الإغريقية ، وكَانت كتبُ الفلسفة بكلية الآداب تُنكر كلّ أثر للفلسفة الشرقية فيما تلاها من الفلسفات تبعا لما قرره جمهرة أساتذة الغْرب فى هذا المجال ، ثم أذاع الدكتور طه حسين كتابه : (قادة الفكر) فأيَّد هذه الفكرة بأقْصى ما يملك من بيان ، وكتب الدكتور أحمد أمين قصة الفلسفة اليونانية ، فَظَاهر هذا الرأى وأيده ، وفى طلّاب كلية أصول الدين من تلاميذ الأستاذ الدكتور غلّاب من قرءوا كُتب الأساتذة : يوسف كرم وطه حسين وأحمد أمين ، فعرفوا ما قالوه ، واستمعوا إلى أستاذهم ، فوجَدوا الرأى المخالف فحسبوه يَسترضى عواطفهم الشرقية حمية وحماسة ، لا عن بحث وتحقيق ، وتجرأ طالب متسرع فقال للدكتور غلّاب ولم لمْ تنشرْ ردّكَ على مُخالفيك فى صحيفة علمية ، ليتسع مجال النقاش خارج الكلية واستمع الدكتور إلى الطالب مفكرا ، وهنا صَح لديه أن ينشر خلاصة دروسه فى مقالات متتالية بمجلة الرسالة استموتْ عاما كاملا ، ثم جَمعَها فى جزأين ، ونَشرها مطبوعة فأحدثْت دويا صاخبا بين أهل العلم ، وهَكذا وفق الله طالبَ الكلية لاستدراج أستاذه إلى النشر فى فضاء فسيح ، فامتّد بفكرته إلى المحيط العربى جميعه بعد أن انكمشت فى جدران ضيقة الرحاب .

وقدْ ذكر الدكتور محمد غلاب فى مقدمة كتاب (الفلسفة الشرقية) أنه سيحاول دراسة النظر الإنسانى وَمَا مَرّ به من تطورات قبل أن يُطلق عليه كلمة الفلسفة ، لأنّ التفكير الشرق القديم لا يتّفق على تسميته تفكيرا فلسفيا كثير من باحثى الغرب ، لأنّه فى رأيهم يستمد آراءه من التعاليم الدينية ، وهى حجة داحضة لأنّ أصحاب هذا الرأى لم يُنكروا إطلاق الفلسفة على ما أنتجه مُفكروا العصور الوسطى الذين يستمدون تعاليمهم من المسيحية ، فكَيف يُنكرون ذلك بالنسبة إلى الشرق وحده ؟ .

وقد قرّر أرسطو أن الفلسفة لم تُعرف فى تاريخ العقل البشرى إلّا فى المستعمرة اليونانية (ايونيا) وقد أسسها قوم أغريقيون ، فالفلسفة إغرّيقيةُ الأصل والعنصر وهى لا تَصْعدُ فى رأيه إلى ما وراء القرن السادس ، فأصبح كلامُ أرسطو موضَع قبول الكثيرين ، وقد أكده (بارتلمى سانت) فى مقدمة ترجمته لكتاب « الكون والفساد » لأرسطو ، وهو ما نقله إلى العربية الأستاذ أحمد لطفى السيد ، فكان قولُه موْضَع يقين الدكتور طه حسين ومن تلاه .

يقول الدكتور غلّاب فى المقدمة : (ولهذا الرأى مقلّدون وأذنابُ مقلدين فى مصر فى كل فكرة تطعنُ على الشرق) وَكتب فى الهامش ما يدل على أن المقلّد طه حسين ، وذنب المقلّد أحمد أمين ، والتفرقة بين الرجلين لا معنى لها ، إذ هما يندرجان فى اتجاه واحد وقد قرأ أحمد أمين ما قرأ طه حسين ، وألّف فى الفلسفة قبل أن يؤلّف فيها ! .

هذا ما قاله أرسطو وتابعوه ، وتابعُوا التابعين ، أمّا الدكتور غلاب فقد تتبّع منشأ هذه الفكرة منذ قالها أرسطو ، ثم ذكر الرأى المقابل الذى سجله (ديوجين لا إرسى) فى كتابه : (حياة الفلاسفة) وقد عاشَ فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ، وألّف كتابه الذى اعتَرف فيه بفلسفة المصريين والفرس فى العصور الغابرة ويسبقهم القرب فى النظر العقلى بما ورَد عنهم من آثار .

ومِن أقوى آراء الدكتور غلاب أن الباحثين الأثريين عثروا على كلماتِ العدل ، والفضيلة ، والنفس ، والحياة الأخرى ، فى الشرق ، قبل تاريخ وجودها فى الغرب بقرون لا يُعرف مداها ، وأنّ علماء الرياضة قد فرغوا من تقرير أن بناء الإهرام قام على وضع هندسى تسبقه فلسفة رياضية مؤكدة ، وأن كثيرا من النظريات الأغريقية متوفر فيها جميع شرائط العقلية الشرقية وخواصها .. وتلك أدِلّة جديرة بالاهتمام .

وكتاب الدكتور أقوى ما كُتب فى مِوضوعه ، إن لم يكنْ أقوى كُتبه جميعا ، حيث بدأهُ بمقدمة اشتملت على مناهج البحث فِى العصر الحديث ، وعلى ما يجب أن يسلكه الباحث فى استعراضِ المذاهب الفلسفية ، مراعيا خطوات البحث العلمى فى ترتيب الحوادث وفق القانون المنطقى ، أما ثقافات الأمم الشرقية فقد وجدتْ مكانها المبسوط حين تحدث الدكتور غلاب بإفاضة عن الفلسفات المصرية والهندية والفارسية ، والصينية ، والكلدانية ، والعبرانية .. وكانَ وفياً كل الوفاء لمصر ، وفاء علميا ، لا وفاء عاطفيا ، حين أشبع الحديث عن الحياة العقلية فى مصر منذ نشأتها فى عصر ما قبل التاريخ ، ثم فى عصور ـ منفيس ومدينة الشمس ـ وغيرها ، ودورها فى التطورات التى تعاقبت لدى المصريين حولَ مسائل الألوهية ، والنفس ، والبعث ، والسؤال ، والميزان ، والثواب والعقاب ، هذَا غَيرُ ما اتجهوا إليه فى تأصيل قواعد للأخلاق والآداب ، وعَلى طريقته فى الحديث عن مصر ، تَحدث عن فلسفة الهند والفرس والصين ، وقد جد من الباحثين من نهج نهج الأستاذ فى تأريخ الفلسفة الشرقية ، وربما اتسع أكثر مما اتسع ، ولكن السابق هو الذى مَهّد وهَيّأ ورسم الطريق فكتابُ الفلسفة حين ظهر فى أواخر سنة ١٩٣٧ م كان جديدا جديدا ، وقد قُلْتُ إن فصولا منه نشرت قبل الطبع بالسنة الخامسة من مجلة الرسالة فأتيح لها أن تكون واسعة الذيوع ، وأن تكون مجال أخذ ورد .

وقد احتفلت الصحف العلمية بظهور هذا الكتاب القيم فأشادتْ بـ : مجلة الرسالة ، ونقل الأستاذ محمد فريد وجدى مقدمة الكتاب فى جزءين متتالين من مجلة الأزهر ، وقال تمهيدا لهذه المقدمة : [٢]

---

(٢) مجلة الأزهر ـ المجلد التاسع ص ٢٧٨ ـ سنة ١٣٥٧ هـ .

« شرع حضرة الأستاذ الألمعى الدكتور محمد غلاب أحدُ محررى هذه المجلة فى طبع بحوثه الفلسفية ، وهى تقع فى ثلاثة مجلدات ، وقد تَمَّ طبع المجلد الأول منها ، فرأينا أن ننقل المقدمة الفلسفية الممتعة ، التى افتتح بها هذه البحوث ، فقد أوجزت من تعريف الفلسفة ، وفوائد دارستها ، واطراد تقدم الفكر البشرى ما لا يمكن أن يستخلصه المستفيد إلّا بعد مطالعات تستغرق سنين طوالا فنشكرُ للمؤلف دراساته المدققة ، وجهوده الموفقة ، راجين له دوام الانتاج ، على هذا الأسلوب القيم والتمحيص الحكيم » .

وإذا كان الدكتور قد بدأ نتاجه العلمى بهذا الأثر الكبير فقد كان براعة استهلال فائقة لما تلاه من البحوث الغزيرة ، والبحثُ الفلسفى شاقٌ يحتاج إلى الصبر الطويل ، ويُخيل الىّ أن مخطوطات فلسفية كانت لدى الدكتور قبل أن يكون أستاذاً للفلسفة بالكلية ، فلما أتيح له أن يغمر طلابه بعلمه الوافر ، أخذَ يصدر كتبه المتوالية ، ومنها كتاب « مشكلة الألوهية » وكتاب « الفلسفة الإسلامية فى المغرب » ، وكتاب « المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة » ، وكتاب « الأخلاق النظرية » ، وكتاب « حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى » ، وكتاب « الأدب الهلينى » فى ستة أجزاء ، وكتاب « الفكر الأوربى فى القرن الثامن عشر » ، وكتاب « أدباء الرومانتيكية الفرنسية » ، وكتاب « الأدب المقارن » وغيرها .. وأكثر هذه الكتب كما احتاجت إلى صبر المؤلف فى الإعداد ، تحتاج إلى جلد القارىء فى الاستيعاب ، وقد تهيب بعضها ، فوقفتُ على شاطئه ، دُون أن أضع قدمى فى الماء ، لأن استيعابه يحتاجُ إلى دراسة مؤهلة لا أرانى وُفقت لها من قبل ، ولكن غيرى قد قرأ وهضم واستفاد ، وفى ذلك عزاء أى عزاء لذوى الجهد المرير .. وليست بعض هذه الآثار هى التى استغلقت على ، لأنى حين تصفحت كتاب (مشكلة الألوهية) وقد نشرته مجلة الأزهر مفرقا قبل أن يجمع ، حاولت أن أنتقل منه إلى كتاب (الله) للأستاذ العقاد فوجدتُه أعْتَى وأصْلب ، لأن العقاد يفترض فى قارىء كتابه أنّه ملم بأصول كثيرة مما يتحدث عنه فيفاجئه بالحكم على آراء لم تُبسط على وجه مريح ، أمّا الدكتور غلاب فلا يناقش رأيا قبل أن يوضحه على وجه كاشف .

وفيما ذكرت من مؤلفات الدكتور ما يتصل بالأدب وتاريخه مثل : كتاب « أدباء الرومانتيكية الفرنسية » ومثل كتاب « الأدب المقارن » وكتاب « الأدب الهلينى » .

والحق أن النزعة الأدبية قد تأصلت فى نفس الدكتور غلاب ، وهو طالبٌ بالأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة ، إذ كان ينشر بالمجلات الأسبوعية خواطر أدبية أشار إلى بعضها الدكتور زكى مبارك فى كتاب (مدامع العشاق) ، كما أنّه نشر مترجمات أدبية لبعض القصص الأوربية الشهيرة

بمجلات : « السياسة الأسبوعية والرسالة والرواية » وإن كُنتُ وقفت طويلا عند قصة تحت عنوان « يوميات جينيفييف »[3] نشرها فى ثلاثة أعداد من الرسالة لأنها ليست زات هدف إنسانى ، وإنما هى تصوير لنزوات هابطة ، ولعل المترجم أراد أن يقف القارىء على نوازع من التحليل النفسى الدقيق لكوامن الغرائز فجعل من هذه القصة مثالا ، أما كتاب « الأدب الهلينى » فموسوعة تقع فى ستة أجزاء .

وقد قال عنه الدكتور وهيب كامل[4] إن المؤلف قد اعتمد فى تأليف هذه الموسوعة على كتابين اثنين فى تاريخ الأدب اليونانى عينهما ، باسمى الكتابين واسمى مؤلفيهما ، ثم قال ونحن لا نعترض على هذا النحو من التأليف لأن الكتابين المشار إليهما حجة فى بابهما ! وهذا كلام لا يخْلو من نقد صائب ، لأنّ من يتصدى لتأريخ الأدب اليونانى لا يكفى أن يُلخص كتابين لم يقرأ سواهما ! ولكن ما يشفع للدكتور غلاب فى رأى الدكتور « وهيب كامل » أن الأستاذ « لويب الأمريكى » قد سَلَكَ هذا المسلك فى تأليف كتابين شهيرين أحدهما كتاب (الأدب السكندرى) لمؤلفه العالم الكبير « كويت » والثانى كتاب (داومى) فى تاريخ الكوميديا اليونانية المتأخرة للعالم الكبير (لاجراند) حين نقلهما نقلا إلى الانجليزية مُسْقِطا الهوامش فى ترجمته ! وتعقيبا على ذلك أقول إن الخطأ لا يبرر الخطأ ، وكان على الدكتور غلاب أن يُثبت فى المقدمة أنه يلخص كتابين لمؤلفين ، ويحدد الأسماء ، بل كان من الأوفق أن يَكتفى بعرض نصوص أدبية إغريقية مع التعليق عليهما ، وإذا فعل ذلك فلن يعترض عليه معترض ، لأن النصوص الأدبية ملك للجميع ، فى مجال الشرح والتعليق وقد استدرك عليه الناقد أشياء تدّل على تسرعه ، وقال فى خاتمة نقده إن الكتاب يحتاج إلى ثلاثة أجزاء أخرى لإتمام قصة الأدب اليونانى ، ودعا المؤلف أن يواصل العمل إذا وجد فسحة من الوقت ليتم هذا العمل الكبير .

---

(٣) مجلة الرسالة ، الأعداد : ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٤) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٥٢ م .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

خلتان

دخل الوليد بن عبدالملك المسجد ، فرأى شيخا هَدَّ كيانَه الزمن ، وأحنى ظهرَه الكبر فاقترب منه ، وقال له مداعبا : ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟ .

فقال الرجل : لا يا أمير المؤمنين . لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا الآن إذا قمت حمدت الله ، وإذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

« جواب مسكت

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة .

فقال لها : إنى سيء الخلق .

فقالت : أسوأ منك خلقا ، من أحوجك إلى أن تكون سيئا .

قال : أنت إذن امرأتى .

سيدنا عمر والشورى

لحافظ إبراهيم :

يا رافعا راية الشورى وحارسها
جزاك ربك خيرا عن محبيها
وما استبد برأى فى حكومته
إن الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفَردِ يُشْقِيهَا

أكره الزحمة على المائدة

جلس أبو الفضل الشاعر المعروف « بابن القطا » يأكل مع زوجته ، فقال لها : اكشفى رأسك .. ففعلت ، ثم قرأ سورة « الإخلاص » .

فقالت له : ما الخبر ؟ .

قال : إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ، وإذا قرئت سورة « الإخلاص » هربتَ الشياطين ، وأنا أكره الزحمة على المائدة .

ثمرة التجربة

قال بعضهم : طلبت الراحة لنفسى فلم اجد لها أروح من ترك مالا يعنيها ، وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أكبر من قرين السوء ، وغالبت الأقران ، فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ، ونظرت إلى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئا أذل ولا أكسر من الفاقة .

مخاطبة بخيل

كان بعض البخلاء إذا صار الدرهم فى يده خاطبه وناجاه وقبله ، وقال له :

بأبى أنت وأمى كم من أرض قطعت ، وكيس ! خرقت ، وكم من خامل رفعت ، إن لك عندى أن لا تعرى ولا تضحى ، ثم يُلْقيه فى الكيس ويقول : اسكن على بركة الله فى مكان لا تحول عنه ، ولا تخرج منه .

أربعة لا يطاقون

قال قيس بن زهير : أربعة لا يطاقون : عَبْدٌ مَلَك ، ونذل شبع ، وأَمَةٌ ورثت ، وقبيحة تَزوجت .

حقا

من صحب الناس بلسان صادق ، وعاملهم بحسن الخلائق ، وألزم نفسه رعى العهود والمواثق ، فقد أرضى المخلوق والخالق .

نصيحة

قال حكيم :

إذا جالست الجهال فانصت لهم ، وإذا جالست العلماء فانصت لهم ، فإن فى إنصاتك للجهال زيادة فى الحلم ، وفى إنصاتك للعلماء زيادة فى العلم .

دعاء

اللهم اجعلنى أخشاك حتى كأننى أراك وأسعدنى بتقواك ، ولا تشقنى بمعصيتك ، واختر لى فى قضائك ، وبارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أكبر أسباب الخلاف بين أصحاب الأديان

للأستاذ/ محمد فريد وجدي

إعداد وتقديم: أ/ عبد الفتاح حسين الزيات

التطور خاصية فى الأمم من قديم الزمان ، والاختلاف قاسم مشترك بين بنى الإنسان منذ فجر التاريخ ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن هذه سنة الله فى الخلق :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ سورة هود

والاختلاف فى العقائد قديم قِدَم الإنسان نفسه ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون عقيدة أياً كان نوعها .

وجاء الإسلام ديناً خاتماً للأديان كلها ، فكان له حكمه الأمين فى هذه المسألة ، فى القرآن وعلى لسان نبيه ﷺ بشكل قاطع وحاسم بالحجة والإقناع والمجادلة بالتى هى أحسن ، فأوّجد منهجاً جديداً للعلاقة بين الإنسان وربه ، وكل ما عدا هذا المنهج باطل بالكلية .

قال الأستاذ – رحمه الله .

أكبر أسباب الخلاف
بين أصحـاب الأديـان

بماذا تذرع الإسلام لحسم مادة هذا الخلاف ؟

أكبر أسباب الخلاف بين الأمم تعصبها لأنبيائها وذهابها فى تقديسهم وتنزيههم مذهبا لا يتفق مع العقل ، ولا يستقيم على دليل .

كانت الأمم فى العهود السابقة لا تدين للمقررات العلمية ، ولا تخضع للأحكام العقلية ، هائمة بين الحس والخيال ، فى واد لا يحده حد طبيعى ، ولا يسوده نظام من أى نوع كان .

كان الحس يزعج الأمم بأنواع من الفواعل الوجودية : من حر وبرد ، وجوع وظمأ ، ومرض وموت . فكانت تنفعل طبيعتها لهذه الفواعل أيما انفعال ، فتتطلب المخلص بالجد والكدح ، فإن أخفقت فى ارتياد المخلص من عالم يعلو متناول حسها ، نظرت إلى السماء مناجية قيوم السموات والأرض ، وهى نزعة ليس أكمل ولا أحق منها لو وقفت عند هذا الحد . ولكن الخيال يطمس جلالها وجمالها بما يحمل إليها من صنوف الأوهام والتصويرات الباطلة ، ويحمل الأمم على تجسيد هذا الشعور العالى ، فتدين الأمم لأنصاب وأصنام تتخيل فيها الوساطة أو الحلول ، أو غير ذلك من الأحلام ..

فكل رسول أرسل إلى تلك الأمم ، وسلم من بطشها ، رفعته إلى أوفع من مستوى البشرية ، وأكثرها دعاه إبنا لله ...

فلما جاء دور الاسلام كانت الأمم قد دخلت من حياتها الأدبية فى دور التعقل والتفهم ، وعرفت لأحكام العقل ونواميس الكون قيمتها ، فلم تعد للمعجزات من أثر على خيالها ، حتى أن العرب لما أرادوا أن يبطلوا دعوة النبى ﷺ ، اقترحوا عليه أن يأتيهم بالمعجزات ، ويؤخذ من سياق طلباتهم ، أنهم كانوا لا يأبهون بها ، بل يشكون فيها وينسبون حدوثها للشعوذة . فقالوا كما حكى الله عنهم فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

سورة الإسراء

يرى القارىء من سياق هذه التحديات مبلغ استخفافهم بالآيات . وقد نص الله تعالى على أنهم كانوا من الشك بحيث إنهم لو كانوا رفعوا إلى السماء لقالوا : إن ذلك من تخييلات السحر لا من الله عز وجل ، فقال تعالى :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾
[الحجر ١٤ – ١٥]

سكرت أبصارنا : أى سدت عن الإبصار بالسحر .

إلى هذا الحد كان قد وصل الشك على عهد النبى ﷺ فى صحة المعجزات ، وهو كما يدل على التغلغل فى الإنكار والجحود ، يدل على مبلغ خلاص العقل من الأوهام والخزعبلات ، فإن الجاهلىّ الذى يتشدد فى تصديق المحسوسات الخارقة للعادة ، وينتحل لها أسبابا خفية ، أحر به أن لا يقبل ما دونها من التخييلات السحرية ، والزخارف الشعوذية .

فاقتضت حكمة الخالق أن يرسل إلى الناس فى هذا الدور الأخير رسولا يأخذ الناس بأحكام العقل ، ويردهم إلى مقررات العلم والحس ، فكان نجاح النبى ﷺ فى مهمته – ذلك النجاح الذى لم يصادفه رسول قبله – أدل دليل على مبلغ ما يفعله البرهان الصحيح والعلم المؤسس على الحق الصريح فى نفوس الأمم .

من هنا انتقل الناس من دور التسليم بمجرد رؤية الخوارق ، إلى مستوى النظر فى الحوادث ، والاستدلال بالأعلام الوجودية ، وهى خطوة واسعة فى سبيل رقى البشرية ، تعتبر الغاية القصوى فى حياتها الدينية .

فكان سلاح نبى الإسلام فى بث دعوته : العقل ، ووسيلته : النظر فى الكون ، والاستدلال بأعلامه وبيناته ، وهذا مظهر لم يكن عهده الناس من مظاهر النبوة . فبعد أن كان الإنسان يقول للقائم بدعوة : ما هى معجزتك ؟ صار يقول له : ما دليلك العقلى ؟ فإن أدلى بالدليل كفاه ذلك عن كل خارق للعادة(١) .

سقطت فى هذا الدور دولة الخوارق ، وقامت دولة الأحكام العقلية والقياسات النظرية ، فقام المتدينون بالإسلام على غير السمت الذى كان يقوم عليه من قبلهم الأمم المتدينة . قاموا على سمت العلم والنظر فى الكون والاستدلال بالحوادث ، فلا غرو إن أصبح المسلمون بعد عدد محصور من السنين أرقى الأمم علما وعملا ، وأبعدهم بالوجود وحوادثه خبرا .

فكانوا يدرسون الطبيعيات والرياضيات ، وينقبون فى الأرض عن خفايا المعادن ذات القيمة العظيمة فى الصنائع والفنون باسم الدين والقرآن وخلافة الله فى أرضه ، بينما كان من تقدمهم يقتل بعضهم بعضا تأليها للرجال ، واختلافا فى الأباطيل التى أحاطوا بها عقائدهم ، فلا عجب إن دوّخ المسلمون من تلك الأمم فى أقل من قرن ما لم تستطع أكبر الأمم شأنا أن تدوّخه فى قرون عديدة ولا غرابة إن بلغ المسلمون من المدنية الفاضلة ما لم تبلغه سواهم من الأمم البائدة .

إن من المدهشات بل من المعجزات التى تشهد لهذا الدين بأنه وحى إلهى صادق ، أنه حشر إلى حظيرته فى قرن من الزمان نحو مائة مليون من الأتباع بمحض وجوده لا بسيف ولا إغراء ...

---

(١) ليس مؤدى هذا الكلام أن النبى ﷺ تصدر منه معجزات كسائر أخوانه الأنبياء ولكن مؤداه أنه لم يجعل المعجزات اساسا للدعوة ، أما معجزاته – صلى الله عليه وسلم – فكثيرة شهدها عدد من الناس لا يدع للشك فيها مجالا .

ولكن الشعوب كانت ترى الفرق واضحا بين تعاليم دينها وتعاليم الاسلام ، فكانت تترامى إلى أحضانه طائعة مختارة ، حتى بلغ عدد من دخل منهم فى أقل من قرن فى الاسلام نحو مائة مليون كما قلنا ، وهذا عدد لم يسمع بمثله فى تاريخ دين من الأديان .

ولا يزال الاسلام سائرا فى طريقه من الانتشار العظيم ، ولو كان المسلمون اليوم على ما كان عليه آباؤهم من الفضائل التى يندبهم إليها دينهم لانتشر دينهم بلا دعوة انتشارا لا يدع لغير الإسلام من الأديان مجالا لمنازعته .

وقد بذل الإسلام مجهودا عظيما ليزعزع فى الأمم تأليه النبيين حتى لا تقف هذه العقيدة حجر عثرة أمام ترقيهم ، فقال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل — ٤٣]

وزاد على هذا بيانا فذكر شيئا من تفصيل حالات أولئك المرسلين حتى يزيل كل احتمال لارتفاعهم عن مستوى الإنسانية ، فقال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ .

[الفرقان — ٢٠]

كأنه قال : إن من يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق لا يصح أن يكونوا آلهة أو أجزاء من آلهة فهم أفراد من خيار هذا النوع لا فرق بينهم وبين سائر أفراده إلا أنهم اختيروا لأن يكونوا رسلا لله إلى عباده .

كان لهذه الآيات تأثير كبير فى كسر غلواء المتدينين ، وصد تيار التأليه عن النبيين ، ولم يزل هذا التأثير يرقى وينتشر حتى صرنا فى قرن لا يجسر واحد فيه أن يعلن هذه العقيدة إلا فى بلاد لم تأخذ حظها من العلم والنظر ....

فالحوائل التى كانت تفرق بين الأمم ، وأشدها الغلو فى تقديس أنبيائهم ورفعهم إلى درجات الألوهية ، كادت تكون فى عداد الآثار التاريخية . فإذا وصل الانسان إلى الخلاص منها توحدت الأديان على أسلوب القرآن ، وكان الفوز لأصوله على مر الأزمان .

العلوم الكونية

التشريعات الإسلامية لحماية البيئة

٢

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

نظافة المدينة الإسلامية :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة البيئة وحمايتها والعمل على إصحاحها ونظافتها ، وحرصوا على توفير المواصفات البيئية السليمة قبل إنشاء أى مبنى أو مدينة أو تجمع ، فقد كانت جودة الهواء وتوافر المياه العذبة ونظافة الموقع شروطا أساسية لاختيار المكان المناسب للإنشاء .

وقد اعتنى حكام المسلمين بتجميل مدنهم ، وخاصة الحواضر والعواصم ، فأمروا بكنس الشوارع والطرقات ورشها بالمياه ، وطُلب من أرباب الحوانيت أن يضعوا عند أبواب حوانيتهم « أزيار » مملوءة بالماء لتسهيل إطفاء ما يقع من الحريق .

(*) أستاذ الفيزياء ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة .

وقام عمال متخصصون بنزح أسربة البيوت والحمامات وخزاناتها وتنظيفها ، ولذلك فإننا نرى الجغرافيين المسلمين فى تلك المرحلة ، عندما يتحدثون عن بلد ما ، يذكرون فى مقدمة صفاته طبيعة مائه وهوائه ومدى تأثيرهما على صحة سكانه .

وتذكر كتب التاريخ أن أحمد بن طولون عندما وضع أساس مدينة القطائع فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ، أنه عمرّها أحسن عمارة . وكانت بغداد مجمع المحاسن والطيبات ، أما فى الأندلس فقد حرص الخلفاء الأمويون على أن يجعلوا من قرطبة صورة جديدة لدمشق مثلما كانت أيام عظمة الأمويين ، ومنافسا لبغداد أيام عظمة الخلافة العباسية ، فأكثروا من تجميلها ونظافتها وإقامة المرافق العامة بها ، حتى قال بعضهم فى وصفها : (١)

دع عنك حضرة بغداد ومهجتها
ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قط مثل قرطبة
وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

ومثل ذلك يقال عن القاهرة التى وصفها ابن بطوطة عندما زارها فى القرن الثامن الهجرى بأنها « أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة المتناهية فى الحسن والنضارة »(٢) .

العلوم البيئية فى التراث الإسلامى :

يزخر التراث الإسلامى بمؤلفات عديدة حول البيئة وسلامتها من جوانب مختلفة . فعلى سبيل المثال(٣) ، ألف الكندى « رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء » ، و « رسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية » .

ووضع ابن المبرد كتابا أسماه « فنون المنون فى الوباء والطاعون » ، وتكلم ابن سينا بالتفصيل فى كتابه « القانون » عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال ، كما أنه وضع شروطا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع ما للسكنى .

أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضو الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد ، فاختار الناحية التى لم يفسد فيها اللحم بسرعة ، وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال ، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشىء مستشفى فى القاهرة اختار له أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء(٤) .

وقد ألف الرازى « رسالة فى تأثير فصل الربيع

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، الجزء الأول ، طبعة بولاق ١٨٦٢ ، عن : سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول ، الكويت ١٩٨٠ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ج١ . عن : سعيد عبدالفتاح عاشور ، المرجع السابق .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٣ .

(٤) المرجع السابق .

وتغير الهواء تبعا لذلك » ، بينما تحدث أبو مروان الأندلسى فى كتابه : « التـــيسير فى المداواة والتدبير » عن فساد الهواء الـــذى يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد ، وجاء فى كتاب « بستان الأطباء وروضة الألباء » لابن المطران الدمشقى ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض ، فقال : « ينبغى للطبيب إذا قدم على مداواة قوم فى بلد ، أن ينظر فى وضع المدينة ، ومزاج الهواء المحيط بها ، والمياه الجارية فيها ، والتدبير الخاص الذى يستعمله قوم دون قوم ، فإن هذه هى الأصول ، ثم بعدها النظر فى سائر الشرائط »(٥) .

وكتب ابن القيم الجوزية فى كتابه « الطب النبوى » فصلا عن الأوبئة التى تنتشر بسبب التلوث الهوائى ، والاحتراز منها ، وقد لخص ذلك الفصل بقوله : « والمقصود : أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون ، وأن فساد جوهر الهواء هو الموجب لحدوث الوباء ، وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة : لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه ، كالعفونة والنتن والسمّية ، فى أى وقت كان من أوقات السنة ، وإن كان أكثر حدوثه فى أواخر فصل الصيف ، وفى الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرهـــا فى فصل الصيف ، وعدم تحللها فى آخره ، وفى الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التى كانت تتحلل فى فصل الصيف ، فتنحصر فتسخن وتعفن : فتحدث الأمراض العفنة ، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا ، رهلا ، قليل الحركة ، كثير المواد ، فهذا لا يكاد يفلت من العطب »(٦) .

ويتضح من هذه الأمثلة التى ذكرناها أن علماء الحضارة الإسلامية تناولوا المشكلات البيئية فى أجزاء أو فصول من مؤلفاتهم .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، حيث نجد من بين علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع فى كتاب مستقل ليؤكد أهميته فى حياة الناس على مر العصور .. فقد صنف محمد بن أحمد التميمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كتابا كاملا عن التلوث البيئى وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه ، وفصّل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة ، وتبادل التلوث بين عناصرها ، وجعل عنوانه : « مادة البقاء فى إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء » ، وأوضح فى مقدمته الغرض من تأليفه بقوله : « .... وكان الباعث لى على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر ، أنى نظرت حال علماء الأطباء الساكنين بالأمصار الفاسدة الأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة ، الكثيرة الأمراض ، التى يحدث بها عند انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطواعين المهلكة لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود ، والمدائن التى تحدق بها الغدران ، ومنافع المياه الآجنة ، والمشارب الكدرة ، التى تتصاعد أبخرتها إلى الجو

---

(٥) المرجع السابق .

(٦) شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن القيم الجوزية ، الطب النبوى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ للنشر .

فتفسده وتغلظه ، مع ما يعضد ذلك ويقويه من أبخرة الزبول ومجارى مياه الحمامات بها ، وأبخرة الجيف من الحيوانات الميتة الملقاة فى أفنيتها وظواهرها وعلى ممر سالك طرقاتها كأرض مصر ودمشق ، والمدن التى تلى سواحل البحار ويعظم بها مدود الأنهار ، مثل بغداد ، والبصرة ، والأهواز ، وفارس ، وسواحل بحر الهند ، كعمان ، وسيراف ، وعدن ، وما جرى مجرى هذه الأمصار العظام التى تجاور البحار ، وتخترقها الأنهار ، وتحدق بها منافع المياه الراكدة والجارية ، وبخاص ما كان منها منكشفا لمهب ريح الجنوب مكتفلا بالجبال ، وبأقوار الرمال عن مهب ريح الشمال ، فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها ، وخاصة رؤسائها ، وعامة أهلها ، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد ، المحدث لوقوع الأوبئة بها ، الجالب الطواعين على سكانها ، أوْلى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة فى أجساد أهلها ، وأن يصرفوا همّهم إلى ذلك ويفرغوا له نفوسهم .... »(٧) .

محكمة إسلامية لحماية البيئة :

ليس التلوث الذى تعانى منه البشرية اليوم فى مختلف النظم البيئية سوى مظهر من مظاهر الفساد فى الأرض الذى جلبه الإنسان لنفسه فى غمرة انشغاله بالبحث عن تقنيات جديدة لتطوير نشاطه الصناعى والاقتصادى ، ولم تفلح المؤتمرات والمعاهدات الدولية حتى الآن فى استعادة التوازن البيئى المطلوب ، وذلك إلى الحد الذى جعل بعض الدول والهيئات تنادى بضرورة إنشاء محاكم دولية لحماية البيئة وإنقاذها من التدهور الخطير التى وصلت إليه ، وهنا نذكّر بسبق التشريعات الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان إلى وضع الضمانات الكفيلة بحماية البيئة ، ولو طبقت هذه التشريعات على الوجه الأكمل لما وصل الإنسان ببيئته إلى هذا الحد الذى يهدد حياته .

فقد جاء فى كتب السنة عن عبد الملك بن قرير عن محمد بن سيرين أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وقال : إنى أجريت أنا وصاحب لى فرسين إلى ثغرة ثَنِيَّةٍ (أى ثغرة فى الطريق) فأصبنا ظبيا ونحن محرمان ، فما ترى ؟ فقال عمر لرجل إلى جنبه : تعال حتى أحكم أنا وأنت ، قال : فحكما عليه بعنز ، فولى الرجل وهو يقول : هذا أمير المؤمنين لا يستطيع أن يحكم فى ظبى ، حتى دعا رجلا يحكم معه ، فسمع عمر قول الرجل ، فدعاه فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال .. لا .. قال : فهل تعرف هذا الرجل الذى حكم معى ؟ قال : لا .. فقال عمر : لو أخبرتنى أنك تقرأ سورة المائدة لأوجعتك ضربا ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه :

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ .

سورة المائدة ــ آية : ٩٥

---

(٧) استشهد ابن قيم الجوزية فى كتابه « الطب النبوى » بأقوال للتميمى من كتابه « مادة البقاء » ، انظر المرجع السابق .

وهذا عبدالرحمن بن عوف [٨] .

وتبين هذه القصة بوضوح قاطع وجود محكمة إسلامية على أعلى مستوى للنظر فى التعدى على الحياة البرية من قِبل رجلين محرمين قتلا ظبيا بمكة ، وأن هذه المحكمة حكمت على المخالفين بغرامة يشترى أحدهما بثمنها عنزا ويذبحها ويتصدق بلحمها على الفقراء والمساكين بالكعبة ، وقد قضى السلف فى النعامة ببدنــة ، وفى حمار الوحش ، وبقر الوحش ، والأبل (ذكــر الوعول ، والأروى (أنثى الوعل) ، فى كل واحد من ذلك ببقرة ، وفى الوبر والحمامة والقمرى والحجل (الدجاج الوحشى) والدبسى (نوع من الطيور) ، فى كل واحدة من هذه بشاة ، وفى الضبع بكبش ، وفى الغزال بعنز ، وفى الثعلب بجدى [٨] .

خـاتمة :

حاولنا فى سلسلة المقالات التى قدمناها عن البيئة ومشكلاتها أن نلقى الضوء على واحدة من القضايا الخطيرة التى أفرزتها حركة التقدم العلمى والتقنى فى ظل فكر نفْعى مهيْمن ، ولكنه عاجز عن إدارة الحضارة التى أنجبها ، ووجدنا من خلال النظر فى نصوص الشريعة الإسلامية وصفحات التراث الإسلامى ، أن المنهج الإسلامى هو الأقدر على تصحيح العلاقة بين الإنسان وبيئته ، وإنهاء التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله ، فالبيئة من المنظور الإسلامى ـ مرتبطة بتحمل الإنسان ، دون غيره من المخلوقات ، لأمانة الخلافة فى الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلْقه وخلْقها ، بعد أن سخر له كل ما فى الكون من نعم ظاهرة وباطنة لينتفع بها ويمجّد بانتفاعها رب العالمين ، ولا يكون الإنسان جديرا بحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال هذه النعم التى تتكون منها عناصر البيئة ، أو إذا تصرّف فيها على نحو غير مشروع ، جريا وراء منفعة خاصة ، أو استسلاما لأنانية مقيتة .

فالخلافة تعنى أول ما تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها ، وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع الإيجابى بكل المخلوقات التى سخرها الله لخدمة الإنسان ، ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٩] أى : عُمَّارا تعمرّونها وتسكنون بها ، وهذا لا يتأتى إلا بأمرين :

أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده .

والثانى : أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه ، ولا شك أن فى الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها .

(٨) السيد سابق « فقه السنة » ، دار الكتاب العربى ، المجلد الأول ، الجزء الخامس ، تحت عنوان : « حكومة عمر وما قضى به السلف » ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م ، ص ٦٨٥ .

ولمعرفة المزيد عن التشريعات الإسلامية لحماية البيئة بكل عناصرها راجع : د . على على السكرى ، البيئة من منظور إسلامى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م .

(٩) سورة هود : (٦١)

مشاكل الخصوبة عند الرجال

الضعف الجنسي (٢)

٩

للدكتور / أحمد رجائي عبد الحميد

أسلفنا فى المقال السابق مقدمة عن الجهاز التناسلى للذكر و « فسيولوجيا » الانتشار (الانتصاب) وبعض المشاكل المتعلقة به مثل العجز الجنسى ونزيد فى هذا المقال تكملة وتفصيلا لهذا الموضوع

وكما شرحنا فى المقال السابق أن « العُنَّة » أو العجز الجنسى هو عدم القدرة على الانتشار ، أو عدم القدرة على الاحتفاظ بانتصاب العضو لعمل لقاء جنسى ناجح .

ومن المهم أن نفرق بين العنة والمشاكل الأخرى مثل : فقدان الرغبة الجنسبة ـ مثلا ـ ففى الأولى : يكون المريض لديه الرغبة ولكنه غير قادر على تحقيقها .

وفى الثانية : يكون لديه القدرة ولكن ليس لديه الرغبة .. وفى كلتا الحالتين فإن السبب النفسى يشكل العامل الأكبر بنسبة (٩٠٪) .

مواصفات العجز الجنسى النفسى :

يتميز العجز الجنسى النفسى بالآتى :

ـ وجود انتشار « انتصاب » عند الاستيقاظ صباحا .

ـ حدوث الانتشار فى ظروف معينة ، وحدوث العجز فى ظروف أخرى .

ـ يحدث العجز بدون مقدمات .

العجز الجنسى ليلة الزفاف :

قد يحدث عجز جنسى ليلة الزفاف ، وقد انتشرت هذه الظاهرة حديثا ، ولها مظاهر مختلفة من أهمها .

ـ الانتشار ثم « الهبوط » عند محاولة الإيلاج :

وهذه الصورة الشائعة من صور العجز ليلة الزفاف ، حيث يحدث الانتشار طبيعيا ولكن عند محاولة الإيلاج يرتخى العضو ، وبخاصة إذا كانت هناك مقاومة من الزوجة أو إحساس بالألم أو الخوف .

ـ تكرار الانتشار والهبوط :

يحدث الانتشار طبيعيا ولكن يتلوه هبوط ثم يحدث انتصاب ، ويتبعه هبوط ، ومع تكرار المحاولة تقل مدة الانتشار وقوته إلى أن تصل إلى الهبوط تماما مهما كانت درجة الرغبة .

ـ القذف مع الارتخاء :

وقد يحدث القذف مع الارتخاء فى حالة الإثارة الشديدة وهذا يسبب إحباطا شديدا لكلا الزوجين .

ـ عدم الانتشار من البداية :

وهو من الحالات النادرة .

وفى المجتمعات الريفية غالبا ما يعزى أسباب العجز الجنسى إلى السحر والشعوذة ، أو ما يعرف « بالربط » وفى الحقيقة فإن السبب الهام فى هذا النوع من العجز هو نقص الثقافة الجنسية مما يزيد من سوء الحالة النفسية .

وغالبا ما يحدث تكرار للمحاولات مما يؤدى إلى زيادة سوء الحالة أكثر حيث إن الإخفاق يضيف بُعدا نفسيا آخر يجعل « الانتشار » واستمراره صعبا ، فإن شعور الرجل بالعجز يجعل تفكيره مركزا بصورة أساسية على هذا العجز وعواقبه ، وهل سينجح فى المرات القادمة ؟ .

ومما يزيد الأمور سوءا تدخل الأقرباء فى هذه الحالات ، بينما الواجب أن تواجه المشكلة منذ بدايتها بفهم ووعى من كلا الزوجين دون تدخل أحد من الأهل ، وفى أغلب الحالات يتم الشفاء بدون الحاجة إلى أى تدخل طبى ، وفى حالة اللجوء إلى الطبيب ، فإن كل ما ينصح به هو عدم المحاولة لمدة شهر ، وفى أغلب الأحيان تزول هذه الحالة قبل مروز الشهر تماما .

التشخيص :

لتشخيص العجز الجنسى يجب أخذ تاريخ مرضى شامل مع الاهتمام بالآتى :

اضطرابات الغدد الصماء مثل الغدة الدرقية ـ مرض السكر ـ الأمراض العصبية ـ أمراض العمود الفقرى ـ أمراض الأوعية الدموية مثل ارتفاع ضغط الدم ـ أمراض المسالك البولية مثل الفشل الكلوى ـ تضخم البروستاتا ـ تاريخ تعاطى عقاقير بالتفصيل مع التركيز على الهرمونات وأدوية ارتفاع ضغط الدم والمهدئات والعقاقير المنومة ، وكذلك العقاقير المنشطة للجهاز العصبى .

فحص المريض :

يجب أن يتم فحص شامل للمريض مع التركيز على :

ـ علامات الاضطرابات فى الغدد الصماء مثل تضخم الثديين ، صغر حجم الخصيتين ، فقدان شعر الجسم والوجه .

ـ فحص الجهاز العصبى .

ـ وجود علامات الفشل الكلوى ، أو علامات الفشل الكبدى .

التحـاليل : تجرى التحاليل التالية :

ـ قياس مستوى هرمون الذكورة فى الجسم .

ـ قياس نسبة السكر فى الدم .

ـ قياس نسبة « هرمون البرولاكتين » فى الدم .

ـ قياس هرمونات الغدة الدرقية .

عمل الفحوصات التالية :

(ا) مراكز الانتصاب فى النخاع الشوكى تكون فى الفقرات العجزية رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ولذلك يجب عمل الآتى :

ـ تقييم الإحساس العصبى فى منطقة « العجان » ومنطقة العضو الذكرى .

ـ تقييم الانعكاسات الوترية العميقة فى الساقين .

(ب) تقيم فعالية الدورة الدموية :

ـ الإحساس بنبض الشرايين التى تغذى العضو الذكرى ، والتى توجد فى الناحية الظهرية للذكر .

ـ قياس ضغط الدم داخل الشرايين الذكرية لمعرفة قوة تدفق الدم فى هذه الشرايين وذلك باستخدام جهاز خاص لذلك .

ـ قياس تدفق الدم داخل الشرايين الذَّكَرِيَّة بمقياس يطلق عليه اسم : « مقياس الامتلاء الدموى » وهذا المقياس له القدرة على قياس حجم الدم الواصل إلى العضو الذكرى .

ـ عمل أشعة بعد حقن صبغة معينة للشريان الذى يغذى العضو الذكرى وذلك تحت مخدر عام .

العــلاج :

معظم حالات العجز الجنسى كما أسلفنا لها أسباب نفسية ، وتستجيب لدرجة كبيرة للعلاج النفسى ، أما فى الحالات العضوية ، فإنه لا بد من توجيه العلاج نحو الأسباب ؛ فمثلا فى حالة قصور الخصيتين يكون السبب إما فشل فى الخصيتين ، أو فشل فى الغدة النخامية ، أو فشل فى مراكز المخ الصلب .

ـ فى حالة فشل الخصيتين يعطى هرمون الذكورة عن طريق الحقن العضلى كل أسبوعين .

ـ وفى حالة فشل الغدة النخامية تعطى هرمونات لتنبيه الخلايا فى الخصية لإفراز هرمون الذكورة .

ـ علاج عيوب العمود الفقرى عن طريق استئصال الأورام إذا وجدت أو علاج غضروف الفقرات العصبية إذا وجد .

ـ فى حالة وجود انسداد فى الأوعية الدموية التى تغذى العضو الذكرى فإنه تجرى جراحة دقيقة لإعادة توصيل تدفق الدم إلى العضو .

العلاج بالحقن الموضعى فى العضو الذكرى

تستخدم هذه الطرق فى الحالات التالية :

- مرض السكر المزمن .
- تصلب الشرايين الطرفى .
- الشلل التام للساقين .
- تلف الأعصاب الحسية .
- حالات العجز المزمن .
- العجز الجنسى النفسى .

ومن أهم الأدوية التى تستعمل فى الحقن الموضعى دواء : « **البروستاجلاندين** » ، وتعمل هذه الأدوية عن طريق تأثيراتها المختلفة حيث إنها تسبب ارتخاء للعضلات الملساء للعضو الذكرى ، وكذلك زيادة الدم المتدفق إلى العضو الذكرى ، ونتيجة لذلك فإن أنسجة الذكر تصبح ممتلئة بالدم مما يساعد على حدوث الانتصاب .

ويتم حقن العقار فى جسم الذكر قبل اللقاء الجنسى بحوالى ساعة أو ساعتين .

وأهمية العلاج أن المريض يستعيد ثقته بنفسه مما يؤدى إلى ممارسة الجنس بطريقة طبيعية .

وأخيرا فإننا نركز على أن الثقافة الجنسية الموجهة إلى المقبلين على الزواج لها أهمية قصوى ، ويجب أن تعطى فى إطار علمى وإسلامى سليم دون إثارة أو مغالاة .

الأمن الفكرى

للأستاذ / عبد السلام ابراهيم ناصف

تتسابق الأمم – المتقدمة منها والنامية على حد سواء – فى تحقيق أعلى مستوى للأمن سواء – فى ذلك – الأمن الخارجى والداخلى ، ويتميز حملة حقائبها الدبلوماسية بالحكمة والانضباط باعتبارهم على قمة أى تشكيل حكومى ، وقد تختلف تسمية هذه الوزارات من بلد إلى آخر إلا أن غايتها تتحد فى مسمى واحد هو الأمن ، وقد تتحالف الدول مع بعضها لتكوين (أحلاف) أو (جبهات) للدفاع عن أمنها الخارجى .. بل والداخلى أحياناً ؛ ففى عصرنا هذا استعانت دول بدول لتحقيق أمنها الداخلى .

وفى الأمن الداخلى تبذل الدول غاية جهدها ؛ لتحقيق الأمن لمواطنيها فتستورد نظم (الضبط والربط) من كل بلاد الدنيا وتدرب أعلى وأغلى أبنائها على وسائلها وأساليبها وتخصص لذلك معاهد ومدارس وكليات وأكاديميات متخصصة ، بل ترسل بعثات دراسية إلى الخارج لتحقيق هذا الأمن باعتباره هدفا فى ذاته ومدخلاً للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته فلا يزدهر قوم لا أمن لهم ولا أمان ومتى يتحقق هذا الأمن يتفرغ الأفراد للإنتاج والتنمية فيرتفع

مستوى معيشتهم ويتطلعون إلى المزيد من الديمقراطية والحرية التى تعطى كل منها مزيداً من مستوى المعيشة الأعلى .

وفى الأمن الفكرى وحمايته من الأفكار المرضية تتبلور نقاط قدمناها على هذه الصفحات لتحقيق الأمن الفكرى ، وفى مقدمة ذلك التنشئة الاجتماعية بمؤسساتها الأولية والثانوية ، الأساسية منها والهامشية بدءًا من نظام الأسرة ، الذى يعتبر الخلية الأولى فى تنشئة الفرد وزرع مبادىء الأمن الاجتماعى ، عن طريق التربية السليمة فى العائلة السوية مع أب دءوب منتج صادق مخلص لأسرته ،يبذل غاية جهده فى عمله لتحقيق أكبر عائد مادى يضمن أعلى مستوى لحياة أسرته ،

منتهجاً نهج الصدق والإخلاص فى تعاملاته مع الآخرين ليمتصها أبناؤه منه فهو يوفر الخبز وأنماط السلوك ليسلكوا سبلها التى يرضى عنها المجتمع -

وفى ذات الوقت ينمو فى أحضان أم حانية متفرغة له توفر له الغذاء والدواء والحماية ، وتحصنه من أمراض البيئة وأدرانها ، وتنشئه التنشئة السليمة الصحيحة التى يرسم خطوطها مجتمع متحضر مثقف ، ابتغى الخير لأفراده ليزدادوا إنتاجاً ووفرة لرفع مستواه .

ثم انتقلنا بعد ذلك لدور المدرسة فى إعداد النشء على نشأة سوية ، وفق مناهج وبرامج أعدها تربويون متخصصون فى علوم التربية والاجتماع ،

تلائم قدرة الطلاب وتدرجهم فى مراحل التعليم المختلفة ، بهدف بناء شخصية سوية جادة مستقيمة ، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف وقوانين استنها للسير على هداها

ثم كانت دور العبادة وعلى رأسها المسجد الذى بنى فى الأرض ليكون بيتا لله . قال تعالى :

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

(سـورة النـور)

وللمسجد دور بناء فى تنشئة الفرد ورسم خطوط المعرفة الحقة والإيمانية ، التى تحميه من الشطط ومن الانحراف وعبادة الله وحده دون سواه على أسس متينة قوية تدرأ عنه كيد الشيطان وأعوانه وما ينتهى به كيده إلى الإرهاب والترويع .

أما الإعلام بوسائله السمعية والبصرية والمقروءة - بعدما وصل إلى ما وصل إليه اليوم من انتشار ، وبعد أن أصبح يحسب حسابه على آراء الناس ، وفى تنشئة الأفراد أطفالاً وشباباً وشيوخاً وبعدما أصبح له الأثر الواضح القوى المستمر فى هذه العملية الاجتماعية ، وبعد أن تغلغل داخل البيوت والنوادى والمدارس والمكاتب ؛ بل الشارع ووسائل النقل المختلفة وبعدما أطل علينا بجرأة من بيوت الجيران بل وعلى الترع والمصارف والمقاهى والمتنزهات .

بعد أن طغى هذا الإعلام المحبب لنفوس المراهقين فانجذبوا إليه ، وتعلقوا بمحاوراته

ومسلسلاته ، بل شاركهم آباؤهم وأمهاتهم هذا العشق البغيض ، حتى طغى دوره على أدوار الوالدين الحقيقية ، منتهزاً فرصة انشغال الأب بالعمل الإضافى - أحياناً - وبخروج الأم للعمل بهدف رفع مستوى معيشة الأسرة وإشباع حاجيات ورغبات الأولاد ، مما قلل من أثرهما فى تربية أبنائهما ومن ثم تعليق تربيتهم على ما سواهما ... الإعلام الذى استولى على فكر الأطفال والمراهقين وانسل إلى نفوسهم عن رغبة فتغلغل فيها يحركها كيفما شاء ويهوى .

فالإعلام ذو أثر فعال فى وضع الدعائم الأساسية فى شخصية الطفل ، وفى غرس بذورها فى تربته وتربة أسرته ، فهو مكمل لمشوار المدرسة والرفاق فى تنمية خبراته واتجاهاته ، ودس للطفل المزيد من الثقافات السائدة فى المجتمعات البعيدة بشكل محبب مثير رغب فيه المراهق واقتنع .

لذا وجب أن تقوم أجهزة الإعلام بإعداد برامجها بدقة وأمانة وإخلاص من المتخصصين المهرة ، الذين يستطيعون سبر أغوار النفس البشرية ، ويمكنهم أن يسوقوا برامجهم فى إطار الثقافة السائدة فى مجتمعاتنا الشرقية والعربية المسلمة ، وأن يتخيروا الصالح منها ، مما يتناسب وعاداتنا وتقاليدنا ، وأن يختاروا من يقوموا بإعداد الحوار و « السيناريو » و « الإخراج » لمن يؤتمن عليها ولا يحرفها أو يغير مجراها أو فحواها ، حتى تكون معالجتهم لما يقدمون جادة وصائبة سوية تتفق مع الفطرة السليمة التى فطرها الله عليها .

وهكذا نخلص إلى أهمية الأمن الفكرى للشباب ببناء سياج قوى من الثقافات الرشيدة المنبثقة من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الراسخة يكون درعاً ووقاية لهم مما يرد من اسفافات الغرب ، التى تثير غرائزهم وتدفعهم إلى السعى الحثيث لإشباعها بأية وسيلة وبكل اسلوب شرعى أو شبه شرعى ، وفقاً لمبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، كما يحميهم - من ميدان أهم وأخطر - وهو ميدان الجريمة فلا يكونوا دعاة إرهاب ، ولقد ثبت من متابعتنا للصحف وغيرها أن (عبدة الشيطان) ما هم إلا نتاج إهمال الأسرة وعدم وفاء البرامج التعليمية بواجباتها وابتعاد هذه الفئة عن دينها حيث لا رقيب ولا متابع . فالمحبة والطمأنينة التى توفرها الأسرة والتربية الصالحة تحقق الصحة النفسية للفرد ؛ إذ هما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما الحياة الآمنة والنفس المطمئنة ؛ فإن خلت الأسرة من إحداهما ، انجذب الطفل إلى ما يخيل إليه أنه البديل أو العوض . فيسقط فى حبائل الشيطان .

ولقد كان للأستاذ الراحل د. محمد البهى أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر ، ووزير الأوقاف الأسبق رؤية علمية جديرة بالاقتباس .

ذلك أن سيادته رأى وأعلن .. حين كانت الدولة الرشيدة فى طريقها لوضع الدستور ، وفى جانب التربية - ألقى سيادته بفكرته ، ومؤداها :

أننا ننظر إلى الخطوات التى فى ضوئها نخرج المواطن الصالح فتجعلها جميعاً لبنة من لبنات الدستور فتعيش خطا ملزما تأتى الوطن العزيز بهذا النتاج المشبع أمنا وطمأنينة وسلاما ورحمة ، وحبا فى الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

«وَيخلق مَا لا تعلمُونَ ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

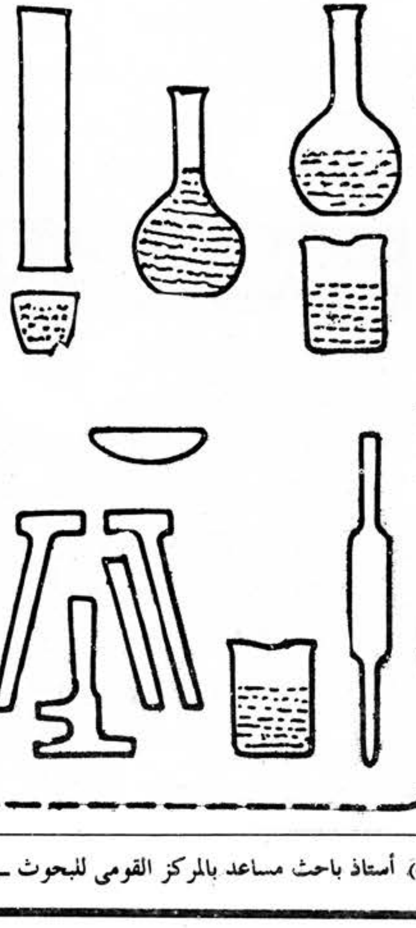

اهتمام عالمي بدراسة كوكب المريخ

قررت مجموعة من الدول الأوروبية إرسال بعثات من رواد الفضاء والعلماء إلى كوكب المريخ لدراسة غلافه الجوى وسطحه وتركيبه الداخلى ومناطق الفيضانات والماء من أجل الوقوف على تاريخ تطور المريخ ، وتم إطلاق مركبة الفضاء الأولى ، وسوف تنطلق مركبة أخرى فى نهاية العام القادم ، ويتم إطلاق مكوكَىْ الفضاء الأولى وسوف تنطلق مركبة أخرى فى نهاية العام القادم ، ويتم إطلاق مكوكَىْ الفضاء بواسطة صاروخين ، وسيتم وضعهما فى مدار إهليجى حول المريخ بعد عشرة شهور من انطلاقهما ، وقبل استقرار كل من المكوكين فى مدارهما سيقذفان وحدتين صغيرتين من الأجهزة على سطح المريخ لإجراء الأبحاث حول غلافه الجوى ، وجهازين آخرين على شكل سهم لإجراء قياسات تحت أرضه .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

أحدث وأصغر « كاميرا » تصوير

أنتجت شركة بريطانية « كاميرا تصوير » لا يزيد حجمها على « سنتيمتر مكعب » ويمكن أن تستخدم فى مكافحة الجرائم ، وتتكون من شريحة كمبيوترية دقيقة تلصق عليها عدسة ويتم تركيب الكاميرا فى أجهزة الإنذار ، ويمكنها أن تلتقط أربع صور متتالية والزمن بين الصورة والأخرى ثانية واحدة ، ويتم نقل الصور فوريا من خلال خط تليفونى إلى مركز المراقبة ، بالإضافة إلى نقل المعلومات العادية المتعلقة بالإنذار لتصل إلى شاشة المراقبة على شكل صور متحركة ، كما تعمل فى الظلام الحالك بمهارة بواسطة ضوء ذاتى من الأشعة تحت الحمراء .

مركبة فضائية استكشافية للنيزك « إبروس ٤٣٣ »

أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » الاستكشافية الجديدة « نير » فى رحلة تستغرق حوالى ثلاث سنوات الهدف منها دراسة النيزك « إبروس ٤٣٣ » وذلك لأنه قريب من الأرض ويقوم بدورة كاملة حول نفسه كل خمس ساعات وربع الساعة ، ويدور حول الشمس فى مدارات متغيرة غير ثابتة ، ويخشى العلماء من اقتراب النيزك من الأرض إذا تقاطع مداره مع مدار الأرض خلال المليون سنة القادمة ، والنيزك « إبروس ٤٣٣ » طوله حوالى ٤٠ كيلومترا ، ويأخذ شكلا غير منتظم .

جهاز لتنقية المياه آليا

اخترعت إحدى الشركات الألمانية جهازا لمعالجة المياه بالأوزون بدون الحاجة إلى استخدام المواد الكيماوية ، ويعمل الجهاز آليا حيث يقيس جودة الماء ، ويبدأ فى إنتاج الأوزون للمعالجة آليا عندما تقل جودة الماء ، ويتوقف الجهاز عن العمل بمجرد أن يصل درجة نقاء الماء إلى الحد المطلوب ، ويمكن استخدام الجهاز فى المجالات الصناعية والزراعية وتحت أى ظروف عمل ، كما يمكن تشغيله بالتيار الكهربائى أو الطاقة الشمسية .

فرّازات مائية لفصل الزيوت عن الماء

قامت شركة بريطانية بتطوير فرازات مائية « تكنولوجية » لفصل السوائل وتنظيف المياه الزيتية ، وتعتمد فى عملها على تحويل الطاقة الحركية للسوائل الجارية إلى قوى طاردة مركزية كبيرة ينتج عنها الفصل الآلى ، ويؤدى العمل الدوامى(*) داخل الفرازة إلى اندفاع السوائل الأخف وزنا فى اتجاه معاكس لاندفاع السوائل الأثقل فتتجمع فى الفرازة فى جانب والزيوت فى الجانب الآخر ، وتستخدم فى معاملة التلوث البترولى فى البحر ، وتتميز بصغر حجمها وخفة وزنها .

(*) أى على شكل دوامة .

تربة زراعية جديدة لنباتات الزينة

أنتجت إحدى الشركات الزراعية فى ألمانيا تربة زراعية جديدة لنباتات الزينة هى حبيبات الكريستال المائى من مادة « أكدريل أميد حمضى الأكريليك » وهى عبارة عن ملح بوتاسى ، والتربة الجديدة تحتفظ بالماء عدة أيام ولا تلوث البيئة وتصلح للنباتات المنزلية التى يغيب أصحابها لفترات طويلة ، كما يمكن خلط حبيبات الكريستال المائى بالتربة الزراعية العادية للمحافظة على الماء والعناصر الغذائية .

جراج للسيارات يعمل آليا

صممت شركة إيطالية لصناعة السيارات نوعا جديدا من الجراجات الآلية التى تعمل بدون عمال ، وتقام تحت الأرض كحل لمشكلة مواقف السيارات ، والجراج يتكون من ٩ طوابق ، ويتسع لحوالى ٩٦ سيارة ، يترك السائق سيارته فى الطابق الأول ويقوم الجراج آليا بنقل السيارة ، وحملها إلى أحد الطوابق حيث الأماكن الشاغرة .

اكتشاف المادة البروتينية المميزة للحوم الأبقار

توصلت مجموعةمن العلماء الأمريكيين إلى اكتشاف المادة الكيميائية التى تميز طعم « اللحم البقرى » عن باقى أنواع اللحوم الأخرى وهو نوع من « الببتيدات » أو البروتينات البسيطة ، والتى تحتوى على ثمانية أحماض أمينية وأطلق على هذا البروتين اسم « ببتيد اللحم البقرى » ويمكن أن يستخدم هذا البروتين مع اللحوم الأخرى لإكسابها طعم اللحم البقرى .

أسلوب جديد للكشف عن الإصابة بالسرطان

ابتكر بعض العلماء الكنديين أسلوبا جديدا للكشف عن الإصابة بالسرطان بواسطة الحاسب الآلى الذى يقوم بفحص الخلايا ، وتحديد ما إذا كانت الأورام حميدة أم سرطانية ، خلال عشر دقائق فقط ، والذى كان يستغرق الكشف عنه وقتا طويلا بالأسلوب المتبع حاليا .

نجاح التجارب فى علاج الأعصاب المقطوعة

نجح باحثان سويسريان فى علاج الأعصاب المقطوعة والعمود الفقرى لفئران التجارب بعد حقنهم فى الدماغ بنوع من البروتين المحول وراثيا والذى يسمى « مونوكلونمال أنتى بودى » حيث ساعد البروتين على نمو الأعصاب المقطوعة فى الفئران واستطاعت السير من جديد ، وأكد الأخصائيون بأحد المراكز الطبية « بنيويورك » أن هذا البروتين سوف يفتح باب الأمل أمام مرضى الكساح ، وإصلاح الأعصاب المريضة ، والمصابين فى حوادث السيارات أو السكتات الدماغية ، ومرضى الجهاز العصبى .

٧

الشواهد النحوية بين المتعة الأدبية والدلالة اللغوية

للشيخ
عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

من قصص الكرم العربية :

لم يبلغ أحدُ فى التاريخ القديم والحديث مابلغه حاتم الطائى فى الكرم ، وإن مآثره لباقية بقاء الدهر ، وبه يضرب المثل فى الكرم ومكارم الأخلاق ، وبذلك شهد النبى – ﷺ – حين أُسرت ابنته سفَّانه ، وجىء بها إلى النبى – ﷺ – فيما يرويه ابن الأثير فى ترجمتها فى أسد الغابة .

ويقص الإمام عبدالقادر بن عمر البغدادى فى « خزانة الأدب » حـ٢ صـ٢٩٣ الحوار الذى دار بينها وبين النبى ﷺ نقلا عن « الأغانى » فيقول :

حين أتى بسفانة إلى النبى – ﷺ – قالت : يامحمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولاتشمت بى أحياء العرب ؛ فإن أبى سيد قومه ، كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده ، أنا ابنة حاتم الطائى .

وقال النبى – ﷺ – : ياجارية ، هذه صفه المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق – مهذب الأغانى حـ١ صـ٨٨

.. وكان شاعرا مجيدا

وكان حاتم الطائى إلى جانب كرمه شاعرا محسنا ، واستشهد النحاة ببعض شعره ، ومن ذلك قوله فى قصيدة مشهورة :

وأغفرُ عَوْرَاء الكريم ادِّخارَه
وأعرِضُ عن شتم اللئيم تَكَرُّما(١)

والشاهد فى البيت قوله « ادخاره » حيث وقع مفعولا لأجله منصوبا مع أنه مضاف للضمير ، ولو جره باللام فقال : لادخاره لكان سائغا مقبولا .

وهذا البيت يرد به النحاة على من يقول : إن المفعول لأجله لايصح أن يكون معرفة ، لا بأل ولا بالإضافة ، ومن قال : إن الإضافة هنا فى البيت لفظية لاتفيد التعريف غير صحيح .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة   ادخاره : استبقاء لمودته – أعرض : أصفح يعنى أننى أغفر للكريم مايبدر من كلمة قبيحة إبقاء على مودته ، أما اللئيم فإنى أصفح عنه تكرما وترفعا .

رأى للمبرد فى البيت :

وقال المبرد فى كتابة « الكامل » : إن كلمة (ادخاره) وكلمة (تكرما) فى البيت ليستا من باب المفعول لأجله ، بل هما من باب المفعول المطلق لفعل مقدر ، والتقدير : أدخره ادخارا ، وأضافه إليه ، كما تقول : ادخارا له ، وكذلك تكرما ، إنما أراد التكرم فأخرجه مخرج تكرم تكرما .

ولكن جمهور النحاة يرون أن الأكثر فى المفعول لأجله أن يكون نكرة ، إلا أنه لامانع أن يجيء معرفة فى بعض الأحيان ، كما جاء فى هذا البيت ، وكما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ سورة البقرة ١٩

وكقول الشاعر :

لاأقعد الجبن عن الهيجاء
ولو توالت زمر الأعداء

يريد : لاأقعد جبنا .

من حاتم الطائى ؟ .

وحاتم هو ابن عبدالله بن سعد بن الحشرج ابن امرىء القيس بن عدى الطائى ، ويكنى : أبا سفانة وأبا عدى – وابنة عدى معدود فى الصحابة ، وله رؤية وصحبة ورواية .

وقد ورث حاتم الكرم عن والدته ، وهى : عتبة بنت عفيف بن عمرو الطائى ، كانت ذات يسار ، وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لاتمسك شيئا .

ولما رأى إخوتها إتلافها للمال حجروا عليها ، ومنعوها مالها ، فمكثت دهرا لايدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمَةً (٢) من الابل ، فجاءتها امرأة من هوازن وكانت تأتيها فى كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، فوالله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا ، ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقْدماً عَضنَّنى الجوع عضة
فآليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم : أعفنى
وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم
سوى عَذْلِكُمْ أو عَذْلِ من كان مانعا؟
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة
فيكف بتركى يابن أمى الطبائعا؟

من أمجاد حاتم :

قال ابن الأعرابى : كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جوادا يشبه جوده شعره ، ويصبدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا ، إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان أقسم بالله لايقتل واحدَ أُمِّهِ ، وكان إذا أهلَّ رجب نحر فى كل يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه .

أول ماظهر من جوده :

قال : وأول ماظهر من جوده أن أباه خلفّه فى إبله وهو غلام ، فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الأبرص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى يريدون النعمان بن المنذر ، فقالوا له :

(٢) الصرمة – بكسر الصاد – : القطعة من الإبل مابين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل : مابين الثلاثين إلى الخمسين والأربعين ، فإذا بلغت الستين فهى الصِّدْعة – بكسر الصاد .

هل من قرىً ؟ ولم يعرفهم .

فقال : أتسألونني القرى وقد رأيتم الإبل والغنم ؟ انزلوا . فنزلوا فنحر لهم لكل واحد منهم ، وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ، ففرق فيه الإبل والغنم .

وجاء أبوه فقال له : مافعلت ؟

فقال : طَوَّقْتُك مجد الدهر طوق الحمامة ، وعَرَّفَهُ القضية .

فقال أبوه : إذاً لأساكنك بعدها أبداً ولا آويك .

فقال حاتم : إذاً لاأبالى .

ومضى حاتم لوجهه فى الكرم ، حتى أصبح مضرب المثل فيه ، فيقال أجود من حاتم ، وأكرم من حاتم .

يقرى أضيافه وهو ميت

وذكر البغدادى فى « خزانة الادب » نقلا عن الأصفهانى فى « الأغانى » قال : روى محرز مولى أبى هريرة قال : مر نفر من عبدالقيس بقبر حاتم ، فنزلوا قريبا منه ، فقام اليه رجل يقال له : أبو الخيبرى ، وجعل يركض برجله قبره ، ويقول : أقْرِنا .

فقال له بعضهم : ويلك مايدعوك أن تعرض لرجل قد مات ؟

قال : إن طيئاً تزعم أنه مانزل به أحد الا قراه .

ثم أَجَنَّهم الليل فناموا ، فقام أبو الخيبرىُّ فزعا ، وهو يقول : وارحلتاه ..

فقالوا له : مالك ؟

قال : أتانى حاتم فى النوم وعقر ناقتى بالسيف وأنا أنظر ، وأنشدنى شعرا حفظته يقول فيه :

أبـــا الخيبرى وأنت امـــرؤ
ظلـــوم الـــعشيرة شَتَّامُهـــا
أتـيت بصحـبك تبغـى القـرِى
لدى حضرة قد صَدَتْ هامهـــا
أتبغـى لى الـذم عنـد المبـيت
وحـــولك طىٌّ وأنعامهـــا ؟
فإنـــا سنشبـــع أضيافنـــا
وتـــأتى المطـــىٌّ فتعتامهـــا(٣)

فقاموا ، وإذا ناقة الرجل تَكَدَّس(٤) عقيرا ، فانتحروها ، وباتوا يأكلون ، وقالوا : قرانا حاتم حيا وميتا ، وأردفوا صاحبهم ، وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيرا ويقود آخر قد لحقهم وهو يقول : أيكم أبو الخيبرى ؟

قال الرجل : أنا

قال : فخذ هذا البعير ، أنا عدى بن حاتم ، جاءنى أبى فى النوم ، وزعم أنه قراكم بناقتك ، فأمرنى أن أحملك ، فشأنك البعير ودفعه إليه ، وإلى هذا أشار ابن دارةَ الغطفانى فى قوله يمدح عدى بن حاتم :

أبـــوك أبـــو سفانـــة الخير لم يزل
لدن شبَّ حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الأمثال فى الشعر متعا(٥)
وكان له إذ ذاك حيـــا مصاحبـــا
قرى قَبْره الأضيـــافَ إذ نزلـــوا به
ولم يقـر قبر قبلــه الدهـــرَ راكبـــا

قصيدة الشاهد :

والبيت موطن الشاهد من قصيدة طويلة تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق ذكرها أصحاب موسوعة الشعر العربى وشرحوها وعلقوا عليها ،

(٣) تعتام : تختار .

(٤) تكدَّس : تعقر إحدى قوائم الناقة فتسير على ثلاث .

(٥) متعا : أى مرتفعة طويلة الأمد من قولهم : متع النهار إذا ارتفع وطال .

ووضعوا لها عنوانا هو : « حاتم يتصعلك » يعنى يشبه نفسه بالشعراء الصعالكة . والصعلكة هنا صفة مدح لاذم تعنى أن هؤلاء الصعاليك هم الفرسان الذين لايمسكون شيئا ، ولايقصرون فى حق الصديق ويؤثرون غيرهم على أنفسهم ، ولايفرطون فى قِرى الضيف ، ورزقهم من أسنة رماحهم .. ونقتطف من القصيدة التى أبلغتها الموسوعة أربعين بيتا واختزلها البغدادى فى خزانة الأدب فى سبعة وعشرين بيتا مايأتى :

أتعـرف أطـلالاً ونؤيـا مُهَدَّمـا
لخطك فى رقٍّ كتابـا منمنـا(٦)
أذاعت به الأرواح بعـد أنيسهـا
شهـورا وأياما وحـولا مُجَرَّمـا(٧)

ثم يقول مشيرا إلى من يعذل فى إتلاف المال :

وعاذلتين هبتـا بعـد هجعـة
تلومـان متلافـا ، مفيـدا ، ملومـا(٨)
تلومـان لمَّا غَوَّرَ النجـم ، ضِلَّـةَ
فتى لا يرى الإتلاف فى الحق مغرما(٩)
فقلت وَقد طال العتـاب عليهمـا
وأوعدتـانى أن تبينـا وتصر
ألا لا تلومـانى على ما تقدمـا
كفى بصروف الدهر للمرء محكما(١٠)

ومن ضروب الحكمة فى القصيدة :

فإنكمـا لامـامضى تدركانـه
ولست على مافاتنـى متندمـا
فنـفسك أكرمهـا فإنك إن تهن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
أهـن للـذى تهوى التـلاد فإنـه
إذا متَّ كان المالُ نهباً مقسما(١١)
ولاتشقين فيـه فيسعـد وارث
به حين تغشى أغبرَ اللون مظلما(١٢)
يقسمـه غنما ، وبشرى كرامـة
وقد صرت فى خط من الأرض أعظما
تحمل من الأدْنيْنَ واستبق ودهـم
ولـن تستطيع الحلم حتـى تحلمـا
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضرْ
وذى أود قَوَّمْتُـه فَتَقَوَّمَـا(١٣)
وأغفـر عوراء الكـريم ادخـاره
وأعـرض عن شتم اللـئيم تكرمـا

(وهذا البيت لم تذكره الموسوعة(١٤)وذكره البغدادى)

ولاأخـذل المولى وإن كان خاذلا
ولاأشتم ابن العم إن كان مفحما(١٥)
ولازادنى عنـه غنـائى تباعـدا
وإن كان ذا نقص من المال مصرما(١٦)

---

(٦) النُّؤْىُ : الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، والرَّق : الجلد الرقيق يكتب فيه .

(٧) الأرواح : جمع ريح وهو جمع قياسى ، والْمَجَّرم : الكامل . يقول : إن الرياح كانت تمرح فيه أياما طويلة يشير بذلك إلى خلدها .

(٨) هجعة : الهجوع النوم ، والهجعة النومة الخفيفة من أول الليل .

(٩) غَوَّر النجم : غاب .

(١٠) بينا وتصرما : تفارقا . يقول : لقد توعدتانى بالهجر فقلت لهما : لاتلوما فقد أعطانى الدهر بصروفه الحكمة .

(١١) التلاد : المال الموروث .

(١٢) أغبر اللون مظلما : القبر .

(١٣) العوراء : الكلمة النابية - والأَوَد : الاعوجاج .

(١٤) موسوعة الشعر العربى : اختارها وشرحها وقدم لها مطاوع صفدى ، إيلى حاوى ، وقدم لها الدكتور خليل حادى - شركة خياط للنشر بيروت - والقصيدة المذكورة صـ٥٠٩

(١٥) مفحما : منهوكا من الإعياء

(١٦) مصرما : فقيرا ، أو مقاطعا .

رواية أخرى لبيت الشاهد

وهناك رواية أخرى لبيت الشاهد هى :

واغفر عوراء الكريم اصطناعه ..

وهو افتعال من الصنع وهو الفعل الجميل ، ومعنى البيت لايتغير على هذه الرواية .

وأبيات القصيدة تشير فعلا الى مكارم الأخلاق التى جاء الاسلام ليقيم شأنها ويشيد بفضائلها من بذل للخير ، واكرام الضيف ، وصفح عن زلات الاخوان ، وصلة لذوى القربى ومحافظة على ودهم . حقا لقد صدق رسول الله ﷺ حين قال عنه : « ياجارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

استطراد طريف

وحول كلمة (العوراء) التى وردت فى بيت الشاهد نقول : إن هذه الكلمة من قبيل المجاز ، استعملها العرب فى الكلمة القبيحة والفعلة القبيحة ، وأصل ذلك – كما يقول ابن منظور فى لسان العرب – أن الكلمة القبيحة أو الفعلة القبيحة كأنها تعور العين فتمنعها من الطموح وحدة النظر ، ثم حولوها الى الكلمة والفعلة على سبيل المثل ، وإنما يريدون فى الحقيقة صاحبها . وقد جاء ذلك فى شعر العرب ، منه غير ماجاء فى بيت حاتم قول ابن عنقاء الفزارى يمدح ابن عمه عميلة ، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر :

إذا قيلت العوراء أغضى كأنه
ذليل بلاذل ، ولو شاء لانتصر

ويمكن الموازنة بين هذا البيت وبيت حاتم ، فيرجح بيت حاتم ، لأن حاتما لايكتفى بالاغضاء كأنه ذليل ، ولكنه يغفر ويصفح .

واذا كانت (العوراء) كناية عن الكلمة القبيحة فإن عكسها وهو (صحة العينين) يكون كناية عن الكلمة العذبة واللفظة الجميلة والرد الحسن ، وقد جاءت الكلمتان فى مقابلة طريفة فى قول الشاعر الذى يرويه ابن منظور فى لسان العرب :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها
بسالمة العينين طالبة عذرا

ولاشك أن هذا البيت أربى على البيتين السابقين بما فيه من جمال المقابلة غير المتكلفة ، والكناية اللطيفة والإضافة الحسنة التى تحملها عبارة (طالبة عذرا) .

وقد اشتهرت كلمة (العوراء) فى المعنى الجديد حتى نسى الناس أنها مجاز ، وأصبحت كأنها حقيقة فيما تعبر عنه ممايؤذى الأذن سماعه والعين رؤيته . قال أهل اللغة : العوراء كلمة التى تهوى فى غير عقل ولارشد .

وقال أبوالهيثم : يقال للكلمة القبيحة عوراء . وللكلمة الحسناء عيناء . وكانت السيدة عائشة – رضى الله عنها – من أهل البلاغة والفصاحة ومن مأثور كلماتها التى يستشهد بها اللغويون والبلاغيون قولها : « يتوضأ أحدكم من الطعام الطيب ولايتوضأ من العوراء بقولها » أى الكلمة القبيحة الزائفة عن الرشد .. لسان العرب .

ولعلها تشير – رضى الله عنها – الوضوء من الطعام الطيب إلى ماورد من أحاديث حول الوضوء مما مسته النار . أما العوراء فهى تقصد بها الكلمات النابية ومايحدث من غيبة أو نميمة أو بهتان .. وكلامها ذلك جاء على سبيل التبكيت والتوبيخ لهؤلاء الذين يتمسكون بالظواهر ويغفلون عن الحقائق . والله أعلم .

طبقات المحققين والمصححين

من المحققين الأعلام

الشيخ حسام الدين القدسي

١٩٠٦م - ١٩٧٩م

١٤

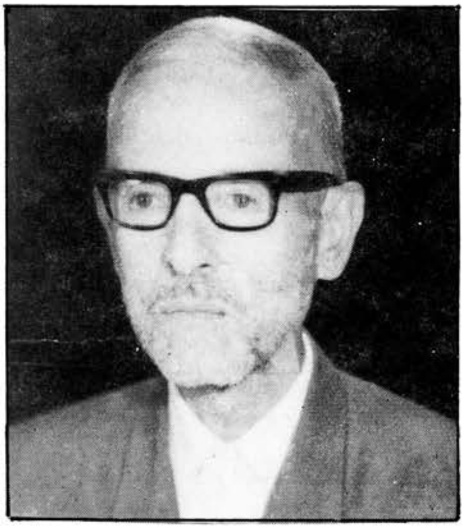

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

محقق كبير ، رفيع القدر ، جليل المنزلة ، ملحوظ المكانة لا يخفى فضله ، ومكافح جلد صبور .. حديد العزيمة ، صلب الإرادة ، ينطوى على ازدواجية حسنة محمودة لكونها قد جمعت القوة والشدة ، مع المرونة والسهولة والتمكين والثقة إلى التواضع والأريحية وإنكار الذات إلى درجة لافتة للنظر .

ثم إن هذه الشخصية نادرة ــ ليس فى عصرها فقط وإنما فى كل العصور ــ لا تجد لها ضريباً فى عالم اليوم المشحون بالغرائب والعجائب من تفلت وتدابر عن القيم والمبادىء والمثل والأخلاقيات فى إطار المعاملات بين الناس .

إنها الأمانة والاستقامة ، والنزاهة والتصون والترفع والاحتجان عن الدنية والاستهجان لكل شائِهٍ مقيت ، وهذا مؤدى قول الشاعر الخنذيذ :

ولــو أن أهــلَ صانـــوه صانهم
ولـو عظَّمُـوه فى النفوس لَعُظِّمــاَ

هذا مثلٌ رفيع نضربه لرجل انخرط فى عمله بإخلاص ودِربة وإتقان ، وكان ــ لقاء ــ تحقيق مأموله والوصول إلى مراده ــ يستعذب الكد والكدح ، والعمل الدءوب الشاق الذى لايحاكيه فيه إلا أقَل وأندر العاملين فى مجاله .

ولئن كان الإخلاص وحده ليس كافياً للنجاح فى أداء رسالة الحياة ، كذا العمل ذاته .. فإن الإخلاص مع العمل غير المنظم ، أو غير المنسق العشوائى قد يهدر كثيرا من الطاقات فى غير طائل .. كذا فإن الهدف عندما يكون محددا فإن العزيمة والصريمة تقدر ما يتقضيه ويستوجبه من طاقة فتكون الضرورة بقدرها .

لابد إذن من أدوات وآليات تتضافر مع بعضها فى واشجة وشجنة ومشيج متصل مترابط ، ليتولد عنها جمعاء طاقةٌ قوية خلاقةٌ مبدعة .

إنها العزيمةُ والأمانةُ والدقةُ والإخلاصُ والتفانى بغير حدود .

لقد كان الشيخ حسام الدين القدسى أمةً فى رجل ، ونحن بذلك نُعطى الرجل قدره وحقه الذى هو أحجى به ومحقوق به ، ولئن كان هو بطبيعته لم يسع إلى شهرة فى حياته لمجرد الشهرة إلا أن من حقنا أن نتناول هذا العملاق بالبحث والدراسة لكونه علما فريدا من الأعلام الذين تجشموا الأعباء الجسام ، وكان بعرقه وجهده ومثابرته مجموعةً من المؤسسات .

لقد كان ناسخاً ومحققاً ومصححاً ومشرفاً بنفسه على الحروف الطباعية ، يشرف على صف حروف الكتاب بنفسه ، ثم يصححها مرة أخرى ، بل مرات ومرات ، ثم كان مُخرجاً فناشراً فموزعاً .

أى رجل هذا ؟؟ !

وكان يكتب على الكتاب أحيانا أنه تحقيقه ، وأحيانا أخرى لا يكتب ذلك مكتفياً بذكر اسم مكتبته وحسب ، وهو بذلك يحتسب أجره عند الله ــ تعالى ــ إذ أن القارىء يستمتع بقراءة نَصّ دقيق مضبوط مشكول محقق مدروس بعناية فائقة.. وقد لايعلم أنه من صنع الشيح حسام الدين القدسى .

تحية لك وألف تحية فى حياتك البرزخية أيها العملاق الصنديد المغوار .

□ □ □

وُلِدَ حسام الدين ونشأ فى الأرض المقدسة .. وهو سورىٌ دمشقىٌ من أهل الشام ، وكان مولده سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة المشرفة ، الموافق لسنة ست وتسعمائة وألف للميلاد .

انتظم فى الدراسة وتلقى العلم صبياً حتى حصل على شاهدة الحقوق الفرنسية (الليسانس فى الحقوق) من جامعة دمشق ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد .

ما إن تخرج فى الجامعة وحصل على إجازتها العالية المذكورة آنفا — حتى انصرف إلى نهمته وغايته فى ثقة وقوة وإصرار.. فهو لم يعمل بالقانون ، ولم يمارس المحاماة كما كان ذلك مطلباً عزيزاً فى ذلك الوقت لشاب مثله .. لكنه عمد إلى مجال أرحب وأفسح ، والتفت إلى غاية أبعد وأسمى ، على الرغم مما يكانفها من مشاق وصعوبات .. وهى مهنة التحقيق والضبط والطباعة والنشر والتوزيع .. وهى عملية مركبة شديد التعقيد عندما يقوم بها شخص واحد ، ولا سيما فى مثل ذلك الوقت الباكر ، الحديث العهد بالطباعة .

نشط الشيخ حسام مشحوذ الهمة ، مطرور التأميل فى تنفيذ ما طمح إليه ، وطمع فيه بإصدار نشرات جيدة ، بل رائعة من عيون كتب التراث العلمى والأدبى والإسلامى فى طبعات متميزة غير مخدوجة ولا مبترة .

بدأ نشاطه الطباعى والنشرى فى سوريا بإصدار مجموعة ممتازة من الإصدارات أهمها :

- كتاب « تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرِى » من تأليف الحافظ ابن عساكر ، وكان ذلك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف .
- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبى . للحسينى والسيوطى وابن فهد . وكان ذلك فى نفس السنة السابقة .
- فى السنة التالية (سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف) نشر كتاب : « المبهج فى تفسير أسماء وشعراء الحماسة » لابن جِنّى .
- ثم الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ للعلامة شمس الدين السخاوى . وكان ذلك سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة المشرفة .

□ □ □

رأى الشيخ حسام الدين أن تحقيق أربه لا يكون إلا فى مصر المحروسة حيث النهضة العلمية والإسلامية والثقافية المشهودة ، فالأزهر الشريف وعلماؤه الكبار ، وأروقة العلم ، وتلاميذه من مختلف المعمورة ، يشخصون إلى رحاب الجامع الأزهر لينهلوا من معينه الذى لا ينضب ، وفُراتِهِ السائغ المشفوه ، ويتنسمون من رياضه النديَّةِ يتزودون من الثقافة الإسلامية على أعلى مستوياتها .

ثم بثاقب نظره رأى أن فى القاهرة المعُزِية تحقيقاً لطموحاته الفتية الشابة ؛ فلم يعرج ولم يَلْوِ على شيىء ، وأشخاص إلى جنابها ، مستنذرياً برحابها ، منضويا تحت لوائها ، حيث ألقى عصاه ، وضرب بجرانه فى حى الأزهر فأنشأ مكتبة كبيرة فى (**حارة رقعة القمح**) رقم واحد (١) وكان ذلك سنة سبع أو ثمان وثلاثين وتسعمائة للميلاد تقريباً .

ثم لم يلبث أن تحول عن هذا المكان بعد بضع سنوات ربما كانت ثلاثاً أو أربعاً على أكثر تقدير — إلى (**حارة الجداوى**) رقم واحد أيضاً ، خلف مديرية أمن القاهرة.. وثَمَّ أسس

مكتبة ومطبعة وربما كان ذلك سنة إحدى وأربعين أو اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف .

ثم أطلق يديه فى نسخ وتحقيق وطباعة المخطوطات على أوسع نطاق وظهرت إصداراته المتميزة ومنشوراته النفيسة القيمة تترى لا مقطوعة ولا ممنوعة .

ثم تحول بعد ذلك إلى (عطفة الصابونجى) رقم (٥) بـ (درب سعادة) وهو منهمك فى عمله بكل كفاءة ودقة وأمانة وانضباط .

تتوالى هذه المطبوعات والمصنفات أَرْسَالاً كالعقد النظيم ؛ فينهل منها رواد العلم والمعرفة أخيافا على مختلف ألوانهم وطبقاتهم ومشاربهم وهوياتهم ؛ إذ كان الأدب غضا وبضا متروعا إليه بصورة لافتة ، وكان مستقر الشيخ مكاناً حيوياً دقيقاً فهو قريبٌ من الأزهر الشريف أيضاً ، ومن حركة الحياة فى قلب العاصمة .

فالمكان اختير بعناية فائقة .

وعلى قدر الإخلاص والدأب وحسن الطوية ، وصفاء السريرة ، ونقاء الدخيلة ، والتوجه الصادق لله ـــ تعالى ـــ يكون التوفيق والتمكين واغتنام الآراب المبتغاة مهما كان الطريق وعراً شاقاً ومهما كانت الظروف والأحوال .

لذلك فقد كان للشيخ حسام الدين ما أراد فى هذه الرحلة التى قضى منها خمسة وعشرين عاما (ربع قرن من الزمان) بين الدروب القاهرية يحمل على ساعديه نبراساً قوياً متوهجاً ينير دروب السالكين ، شعاعه كفلق الصبح الذى يبدد غبش الظلمات .. أنار هذا الوميض المشع المتوهج عقول وأفهام الناس فكان على النهضة الإسلامية والأدبية خيرا وبركة وبَرْدًا وسلاماً .

□ □ □

كانت للشيخ حسام الدين صلةٌ وثيقةٌ ، وعروةٌ وطيدةٌ بالكثير من أعلام عصره .. وكان الأكابر من أولئك المنظورين يذهبون إلى محله الصغير فى مبتدأ الأمر يجالسونــــه ويحاكيهم ويحاكونه .. وكانت محاور الحديث ومداره على الطباعة والنشر والتوزيع ، أى صناعة الكتاب منذ أن كان مخطوطا إلى أن يصير مطبوعا معنيا به كل العناية .

حياة حافلة بالجد والنشاط والصرامة والالتزام لكونها مرصودة لتحقيق هدف ونيل وطر طال الزمان أم قصر .

كان من أخلص أصدقائه : « أحمد تيمور باشا » العالم المحقق المشهور المفتون بالتراث ، المشغوف بالكتاب وصناعته ، والمضروب به المثل فى كونه مريضا بداء عضال لم يشف منه حتى آخر عمره هو اقتناء الكتب والمخطوطات من أية بقعة من العالم مهما كلفَّه ذلك من مال ، وقد أسس مكتبة ذاخرة هى الآن فى دار الكتب المصرية مصدر دعامة رئيسية من أعمدة الدار .

كانت صلة تيمور بالقدسى صلة مودة وحبة من هذا العلامة المفتون بالكتاب فى كل أحواله ... وكانت هذه الصلة والصداقة المبرورة عونا أى عون كما كانت أيضاً خيرا وبركة على الكتاب العربى ، فرضى الله عن كلا العالمين الكبيرين الجليلين الحسيب النسيب تيمور باشا ، والوراقة الصابر المحتسب المكافح العلامة حسام الدين القدسى .

ظهرت النخوة العربية الأصيلة ، والشهامة التى لا مزيد عليها ، والتى لم تكن محاكاة ولا تكلفاً ولا اصطناعاً مدخولا فيه عند هذا الندب النحرير حسام الدين عندما فتح صدره وقلبه ووجدانه ، ومد ذراعيه إلى العلامة المجروح، الشيخ المكلوم ، العلم المفرد الذى دهمته الحوادث وأنحت عليه الأيام .. إنه الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية ، الذى انطفأ شهابه بغتة وأفل نجمه وتحاشاه الأقربون عند انهيار الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك ، وانفض السامر من حول الشيخ الكريم ، وتولى كل أحد عنه مستديرا ومشيحا طاويا كشحه ، فلم يجد من يستضيفه ويكرم شيخوخته ، ويوفر علمه ويصون وجهه من مسألة اللئام غير فارس القيم ومهندس الأخلاق والمبادىء الشيخ حسام الدين فاحتواه بين ذراعيه ، وضمه إلى صدره بدفء لا مثيل له ، وأكرم ضيافته بل جعله واحدا من أقرب أهله إليه .. وصدق فيه قول الشاعر العربى :

تنزل الطير حيث يلتقط الحب
وتُغشى منازل الكرماءُ

ولعل هذه الموقف الجليل الذى نسطره لهذا الجواد لايمكن أن يُنْسى ، وكأن القدسى حين لقى الشيخ كان لسان حاله يقول :

ياصيفنا لو جئتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

كان المَرْبَعُ مريعا ممرعا ، وخصيباً رائعا ، ومنتجعاً كريما طيبا للشيخ الطريد الفانى فنزل أهلاً ، وصادف سهلاً فهانت عليه الغربة فى الزمان والمكان .

كان من أصدقائه المرموقين أيضاً الأستاذ المؤرخ الكبير البحاثة « خير الدين الزركلى » مؤلف موسوعة « الأعلام » المعروفة .

وكان الزركلى يزوره فى مكتبته ومطبعته ويجالسه ساعات طوالاً دون أدنى سآمة .. وتوثقت عرى المودة بين كلا العالمين الجليلين ..

بل كانت تصل أحيانا إلى صورة شبه يومية من اللقاءات والمسامرات والمؤانسات الرقيقة .

بيد أن اللافت للنظر ، والمثير للاستراية غير المبررة أن يسكت الزركلى عن صديقه ولا يترجم له فى « الأعلام » على الرغم من ترجمته لكثير ممن هم دون طبقة صديقه وأقل رتبة ودرجة !!

وإنى لأرى أن كثيرا ممن أفرد لهم الزركلى تراجم وتنويهات إذا ما نوظروا وقيسوا بالقدسى من زوايا ووجهات عديدة تفوق عليهم بمسافات بعيدة من غير طعن فى أحد منهم أو تثريب أو تعمد انتقاص لكن المفروغ منه أن الناس من قديم الأزل وحتى الأبد الأبيد أخيافٌ مختلفون متباينون فى الفضل وليس معنى الأفضلية تأويل ذلك بانتقاص شأن المفضول .. فإن المفضول قد يكون فاضلاً أيضاً لكنه مفضول لمن هو أقرب للمثالية منه ولكن كلا الاثنين فاضل بلا ريب .

وفى مقام الكتابة للتاريخ ــ من مثابة ومرجعية الأمانة والدقة أن نطرح ، بل لابد أن نعرض الأحوال والملابسات والخوالج التى تعرض أو نكون بصددها ونناقش مايساير الحق أو نقيضه كما ننوه عما يساورنا ونعرض تصورنا الذى نرجو أن يكون صواباً .

وليس هذا مقام اتهام للزركلي بالتقصير المتعمد فإنني (كاتب هذه الدراسة) أعرف عن شخصه وعن حياته الكثير والكثير من أترابه ومعاصريه ومن عملوا معه عن قرب ، فقد أصفقوا جميعا وتواطأوا على شهادة واحدة مؤداها أنه كان رجلا طيبا صالحا فاضلا وعالما جليلا سرى الأخلاق .

وشهد الأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحي نفسه وهو العالم المحقق الفاضل ـــ شهد بأن الشيخ حسام الدين كان ذهب إليه ليزوره بمكتبه فى « معهد إحياء المخطوطات » بعد وفاة الزركلي ـــ رحمه الله ـــ فذكر للطناحي أنه رأى رؤيا تؤكد أن الزركلي مرضى عنه فى الآخرة .

لكننا لا نعتقد اعتقاداً جازماً ، ولا نكاد نقطع بأن هذا السقط المروع ورد على سبيل النسيان.. إذ أن رجلا كالقدسى ملء السمع والبصر من الرعيل الأول الذى حمل على كاهله مسئوليات جسيمة وأعباء ثقالا تنوء بها العصبة أولى القوة ـــ يكون مشاحا عنه بهذه الصورة .. وهو من هو ما أجدره وما أحجاه وما أخلقه أن يكون فى مقدمة المذكورين الملحوظين ، فما أَعْسَاهُ أن يكون كذلك وأولاه !!

لكننى إنصافاً للحق والواجب ـــ وعلى مسئوليتى ـــ ساورنى تبرير ربما كان صواباً أو راجحا وهو احتمال أن يكون الزركلي قد لمس من صديقه وصفيه أن ذكر ترجمته والكلام عليه لايرضيه لالتفاته عن الشهرة الشخصية وإيثاره العمل فى صمت ، وما أراد الزركلي أن يعمل شيئا يغضب صديقه وخليله . وقد تأكدت لدى هذه المظنة إلى درجة راجحة عندما سألت ابنه الأستاذ الشيخ محمد شفيق عن صورة لوالده فقال إن هذا مطلب عسير ، وصعب أن نجد صورة له ، لأنه لم يكن يرغب فى التصوير إلا للضرورة والضرورة القصوى كموجب استخراج بطاقة أو جواز سفر ، أو ما شابه ذلك .

لكن هذا الاعتقاد لا يمكن أن يكون مبرراً أيضاً فإن المؤرخ ليس مقيدا بالرغبات والميول والطبائع فى التحقيق والتوثيق من عدمه ... لأنه مسئول عن ذلك وهو الملوم أولا وأخيرا على أدنى تقصير طالما انبرى وتصدى لعمل خطير كهذا فليحذر أن يكون خطيراً بصورة من الصور ، وسبحان من له العصمة والكمال ـــ وحده ـــ دون أحد من خلقه .

□ □ □

كذلك كانت هناك مودة وصداقة بين صاحبنا وشيخنا وبين الأديب والمطبوع مصطفى صادق الرافعي الذى كان يتردد عليه دائما ولاتنقطع بينهما المسامرات ولا الحكايات عن الأدب والأدباء والكتاب والكُتَّاب .. وذكر الدكتور محمود الطناحي أن القدسى سأل الرافعي : ترى من يخلفك فى الأدب ؟ فذكر له الأستاذ محمود شاكر البحاثة الأديب الكبير والمحقق الممتاز شفاه الله وعافاه وأطال الله عمره وأسبغ عليه ثوب العافية .

□ □ □

وقد أكرم الله تعالى هذا الشيخ الصبور الطيب فأعقب من الأبناء أربعة : ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة .

● الشيخ محمد شفيق حسام الدين صاحب مكتبة القدسى وهو صورة مصغرة من أبيه العالم الوراقة الفاضل ، وهذا النبع والغراس الطيب مطوى على كرم الخلق، والنبل وحسن السيرة

والاستقامة والتواضع الشديد ودماثة الأخلاق ، وقد رأيت أباه ــ رحمه الله ــ مرتين فقط، وأعجبتنى شخصيته وأمانته إلى درجة قصوى ، وكلما رأيت ابنه « محمد شفيق » شعرت لأول وهلة بأنه امتداد مبرور لأبيه بما يزينه من حسن السمت ، وطهارة النفس، ورصانة الاسناخ وسلامة الصدر . وهو يسير على درب أبيه فى طباعة ونشر وتوزيع الكتاب على نطاق مرضى جيد ، وقد افتتح مكتبة عامرة بشارع البستان منذ ثلاث سنوات فقط فبورك له فيها ، وجعلها منفوحة بالخير والبركات .

● الابن الثانى : هو محمد عارف حسام الدين .

● الثالث : محمد زاهد حسام الدين ، وهو يعمل بالطباعة والنشر أيضاً وقد افتتح مكتبة « زاهد القدسى » بجوار مكتبة شقيقه فى شارع البستان بالقاهرة ، وهى حافلة أيضاً بنوادر وأمهات الكتب التراثية المحققة والمؤلفة . وهو شاب دءوب مرجو له الخير والمزيد من المستقبل القريب إن شاء الله ــ تعالى .

أخيرا وليس آخرا فلتنم أيها الشيخ الهمام قرير العين مطمئنا ، فإن غراسك الطيب لايزال بين أيدينا متجدد النفحات ، طيب المجتنى نسأل الله لك به الرحمة والرضوان وأن يسكنك الفردوس الأعلى فى جنات النعيم ، وسلام عليك فى الصالحين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

منشورات وتحقيقات الشيخ
حسام الدين القدسى

ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى (عشرة أجزاء) .

ــ فتاوى السبكى ، لتقى الدين السبكى (جزءان) .

ــ الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للإمام السخاوى (شمس الدين السخاوى) (اثنا عشر جزءًا) سنة ١٣٥٣هـ .

ــ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (ثمانية أجزاء) سنة ١٣٥٠هـ .

ــ اللباب فى تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير (ثلاثة أجزاء) سنة ١٣٥٦هـ .

ــ عيون الأثر فى فنون المعارف والشمائل والسير ، لابن سيد الناس اليعمرى (جزءان) سنة ١٣٥٦هـ .

ــ ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى. مجلد كبير من جزئين .

ــ الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى جزء واحد .

ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتُهِرَ من الأحاديث على ألسنة الناس ، للإمام العجلونى القاضى (جزءان من مجلد واحد) .

ــ معجم الشعراء للمرزبانى (صاحب الموشح) مجلد ومعه المؤتلف والمختلف للآمدى .

ــ المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة لابن قتيبة . رسالة صغيرة .

ــ الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة . رسالة .

ــ الحاوى للفتاوى للإمام السيوطى (مجلدان) .

ــ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى جزء واحد .

ــ شرح أدب الكاتب للجواليقى جزء مجلد .

ـ شرح مساوىء المتنبى للصاحب بن عباد ، ومعه ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى المعروف .

ـ ديوان السرى الرفاء .

ـ منجد المقرئين لابن الجزرى . (متن) .

ـ جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين .

ـ مراتب الإجماع لابن حزم . جزء متوسط . ومعه نقد مراتب الإجماع لابن تيمية .

ـ محاسن الإسلام للبخارى . جزء .

ـ دفع شبه التشبيه .

ـ رسائل تاريخية لأحمد بن طولون .

ـ تاريخ الإسلام للذهبى ، طبع فيه ستة أجزاء فقط، ثم توقف وأحجم عن ذلك لعدم وجود التمويل المالى الذى يعين على نشر هذه الموسوعة الضخمة ، بيد أن الأمل لم يزايله طرفة عين فى تتمة وإكمال نشر هذا الكتاب النفيس الذى عرف قدره كذخيرة من إمام حافظ جليل المكانة ، وظل هذا الأمل يساوره ويسيطر عليه حتى آخر أيامه فعرض ما يخالجه ويداخله ويعتمل فى صدره إزاء هذه الموسوعة التاريخية ــ على فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود ــ رحمه الله ــ فى أواسط السبعينيات أو بعدها بقليل فطرب الشيخ عبدالحليم لهذا المطلب ووعده بالمظاهرة على ذلك والمعاونة عليه ، لكن القدر لم يمهل كلا العالمين الكريمين فلقيا ربهما قبل أن يقضيا نهمتهما وبم يتم لهما ما أراداه .. لكن أراد الله لهذا العمل الخطير أن يظهر للنور فقيض له من مشايخ المحققين الأعلام من قام على تحقيقه ونشره تباعا فى موسوعة بلغت حتى الآن ثمانية وثلاثي مجلداً نشرتها وتوفرت عليها دار الكتاب العربى ببيروت بعناية المحقق الكبير الدكتور عبدالسلام التدمرى أستاذ التاريخ بالجامعة اللبنانية .

والمأمول أن يكون الفراغ منه وشيكا بإذن الله تعالى .

هذه لمحات نراها عابرة إزاء علم مفرد وما هى إلا جهد المقل ، لكن لعقيدة ومبدأ نحرص عليه وهو إظهار أقدار الرجال بما هم مستحقون له كفاء ما أسدَوْه وقدموه للعلم والعلماء حتى لاينعى علينا ناع ، ويشدد علينا النكير ، متهما إيانا بالتقصير وجحد الفضل ، وحجب الثناء المضنون به على غير أهله ، ويقرع الأسماع بقوله « مُضَاض بن عمرو »(١) .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفَا
أنيس ولم يسْمَر بمكة سامر

بعد هذه الرحلة الشاقة الشائقة الشائكة المضنية كان لابد أن يستريح هذا العزم الصليد ، والزند المورى على مدار اثنتين وسبعين سنة من العمل والحركة الدءوب ، منذ طفولته الأولى حتى أزفت لحظة الرحيل والوداع وهى مبلغ عمره المعدود بالسنوات الموازى قرونا طويلة لما قدمته يداه الكريمة من أعمال طيبة ، نسأل الله تعالى أن تكون فرطا له فى ميزان حسناته يوم نلقاه ، وقد عوجل إلى ربه فى ذى الحجة سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق ديسمبر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد .

وسلام على الصادقين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١١/١٥ و١٦ و١٨

من أنشد شوقى ؟

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

ذكَّرنى فضيلة الأستاذ الدكتور على الخطيب بمعلومة هامة، تتعلق بإحجام شوقى ــ أمير الشعراء ــ عن إلقاء قصائده بنفسه، وإيثاره أن يعهد بقصائده لغيره من الأكْفاء فى فن الإنشاد والإلقاء للشعر؛ كى يقوموا بإلقائها نيابة عنه .. وذكر فضيلته أنه استقى هذه المعلومة ــ منذ أكثر من أربعين عاما، من الأستاذ أحمد على عوض، صاحب صحيفة (العزيمة)، التى أصدرها فى عام ١٩٤٨ (أو عام ١٩٤٩) بالاسكندرية .. وكان على ماهر باشا ــ رحمه الله ــ قد اختار الأستاذ أحمد على عوض لإدارة مقر (جبهة مصر) بالاسكندرية وكان على ماهر قد أنشأ هذه الجبهة، تجْميعاً لوحدة شباب مصر بعد أن فرقتهم الأحزاب .. وذكر الأستاذ أحمد على عوض لفضيلة الدكتور على الخطيب أن (شوقى) كان يعهد بإلقاء شعره إلى محمد توفيق دياب عقب رجوعه من لندن حيث نال فيها شهادة فى فن الإلقاء وقد ذكَّرنى حديث الدكتور الخطيب بقول شاعر النيل حافظ إبراهيم فى حفل تكريم شوقى سنة ١٩٢٧:

يَعيبُون (شوقى) أن يُرى غيرَ مُنْشِدٍ ... وما ذاك عن عىٍّ به أو ترفُّع
وما كان عَاباً أن يجىء بُمنْشِدٍ ... لآياته، أو أنْ يجىء بِمُسْمِع
فهذا (كليم الله) .. قد جاء قبله ... بـ (هارون) ما يأمُرُهُ بالوحْىِ .. يصْدَع

وكان (حافظ) هو المبايع لشوقى بإمارة الشعر، بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن وفود شعراء الحفل، حينما قال بيته الرائع:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايَعَتْ معى ..

* * *

ويذكر الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فى مقال له بعنوان : «من أسرار العلائق بين شوقى وشعراء عصره»(١) أن (حافظا) تألم فى مرارة، حين أقيمت له حفلة تكريم، بمناسبة الإنعام الخديوىّ عليه، ورأى المحتفون أن تُشند رئاسة الحفلة إلى (شوقى) .

قال د. البيومى : «وانتظر حافظ أن يسمع من رئيس الحفلة قصيدة فى تكريمه، كالمعتاد فى مثل هذه المواقف .. ولكن شوقيا لاذ بالصمت، ولم يتكلم! وكان فى مقدوره أن يقول ..» .

والحق ان شوقيا ـــ رحمه الله تعالى : ـ قال ، فهذا (سركيس) يقول فى مستهل الحفلة المذكورة : «وتفضل شوقى بك، رئيس هذه الحفلة، وعَهَدَ إلىَّ أن أفتتح الاحتفال، وأتولى ترتيب الوقائع، «**وكلفنى أنْ أُنشد هذه الأبيات من نَظْمه**» ووقف سركيس بالفعل، وأنشد قصيدة شوقى فى حافظ، التى يستهلها بقوله:

نَظَمْنـــا سَنِـــىَّ التهنئـــات نَزُفُّهـــا إلى علـــم بين النوابـــغ مفـــرد

وبعد أن فرغ من إنشاء القصيدة، قال سركيس: «وقد كلَّفنى سعادته ـــ أى شوقى ـــ أن أقول لحضراتكم أنه ـــ عند وصوله إلى أوربا وتشرُّفهُ بمقابلة الجناب العالى ـــ سيرفع إلى سمُوِّه تفاصيل هذا الاحتفال، و ... تُصنع (بدلة التشريفة) لحافظ بك، على نفقة الجناب العالى ..»(١)

وقالت جريدة (الرقيب)، تصف قصيدة شوقى، بقولها: «وحَسْبنا فى وصف قصيدة شوقى بك، أنها من نظم شوقى بك فكانت كالمحرِّك الكهربى، هبط من الأسماع إلى القلوب، فهزَّها(٢)

* * *

ومالنا نذهب بعيدا، وهذا (شوقى) نفسه، يستهل قصيدته عن (دمشق)، أثناء احتدام الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسى.

سلامٌ من صَبَـــــــا بَرَدَى أرَقُّ ودمـــــع لايُكْفكَـــــف يادمشق

ثم يخبرنا أنه لم ينشد هذه القصيدة بنفسه، وإنما تولىَّ عنه هذا الأمر آخرون، بقوله :

---

(١) أنظر مجلة (الثقافة) عدد أكتوبر سنة ١٩٨٢م ص ٢١

(٢) أنظر عدد مجلة (سركيس) الصادر فى يونيو سنة ١٩١٢ .

وحـــولى فِتْيَـــة غُرٌّ صبــــاح لهم فى الـــفضْل غايـــات وسَبْـــق
على لهَـــــواتهم شعـــــراء لُسْن وفى أعطافهـــــم خُطبــــاء شُدْق
رواة قصائـــدى فاعْـــجَبْ لشعـــرٍ بكـــل مَحلَّـــة .. يَرْويـــه خَلْـــق

ويتحدث شوقى عن أحد الشعراء الذين قابلهم فى باريس، واسمه طاهر الصباغ، يقول عنه، إنه «رواية من رُواتى، كان ينشد شعرى الحاضرين»[٣] وهو من أدباء المملكة العربية السعودية، وكان يطلب العلم فى باريس.

* * *

ويذكر الأستاذ عبدالمنعم شميس أن شوقيا «كان صديقا لتوفيق دياب، صاحب جريدة الجهاد، الذى أمْضَى معه سهرته الأخيرة، قبيل عودته لكرمة ابن هانىء، ليلقى لحظة اللقاء مع الموت».

يقول شميس «وكان توفيق دياب واحداً من المُتَرنمين بشعر شوقى فى المحافل والحفلات، لأنه كان من كبار الخطباء أصحاب الأصوات الرنانة، والقفلات والوقفات، التى تُحبِّب إليك الشعر»[٤] .

وقد أهدى شوقى بيته المشهور :

قِف دون رأيك فى الحيـــاة مجاهـــدا إن الحيـــاة عقيـــدة وجهـــادُ

لتوفيق دياب .. ليتخذه شعارا لجريدته، وكان هذا البيت ينشر فى كل عدد من الجهاد، بصفة مستمرة، مرادفا عنوان الجريدة .

* * *

كذلك يذكر الأستاذ عبدالمنعم شميس، فى كُتَيِّبه : (شاعر النيل : حافظ إبراهيم) أن العقاد حينما وَصَفَ (حافظ) بأنه صَنَّاجة الأمة قال عنه : (إنه كان حسن الإنشاء، بل رائع الانشاء، يُلْقِى شعره بصوت جهورى عميق، ولهجة هى أقرب إلى الترتيل منها إلى مجرد الإلقاء، ويستعيده السامعون أبياته، ثم يستعيدونه القصيدة بعد الفراغ منها، طَرَباً للصوت والانشاد، قبل أن يمعن فى

(٣) أنظر كتاب (شوق : أو صداقة أربعين سنة) للأمير شكيب أرسلان ط سنة ١٩٣٦ ص ٧٨ .

(٤) أنظر كتاب (شخصيات فى حياة شوقى) ط أقرأ ص ٧١ .

نفوسهم الإعجاب بالمعانى والكلمات .. وكان يختار كلماته بجَرْسها وإيقاعها وموقعها، كأنه يَضَعُ ألحانا، ولا يضع كلمات[٥] .

وقال له العقاد ذات يوم مازحا، يداعبه : ما أجدرك أنْ تملأ بشعرك «أسطوانات» ولا تُطبعه فى صفحات .. فأجاب حافظ : وتكون أنت (عقَّاديًّا على تخت الغناء) مُشيرا بذلك إلى عازف القانون الشهير : (محمد العقاد) .

وقد عارض الدكتور محمد صبرى السربونى قول العقاد[٦]، وقال : إن شوق هو صَنَّاجة مصر .. مع أن أمير الشعراء لم يكُنْ فى استطاعته برغم عبقريته ــ إلقاء قصيدة من قصائده، **وكان الشاعر (على الجارم) هو الذى يتصدَّى لإلقاء قصائد شوق، فى الاحتفالات والمناسبات والمنتديات**[٧] .

وقول الأستاذ عبدالمنعم شميس، غير صحيح على إطلاقه .. فقد قام شوق نفسه ــ وهو فى ريعان شبابه ــ بإلقاء قصيدته التى تحمل عنوان: (كبار الحوادث فى وادى النيل) فى المؤتمر الشرق الدولى، الذى انعقد فى مدينة جنيف، فى سبتمبر سنة ١٨٩٤، وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه، وكان شوق فى عامة السابع والعشرين، وجاءت قصيدته فى ثلاثمائة بيت .

«... انتظمت كعقد اللؤلؤ : تاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عصرنا الحديث، وهزَّت رجال المؤتمر الدولى، الذى أُلقيت فيه، ثم هزت العالم العربى أيضا وأعجب الناس بها أيما إعجاب، وتألق بها اسم الشاعر الشرق المصرى الشاب، فى أكثر من مكان، حيث برز فى أوَّل عمل من أعماله الأدبية، غاية فى القوة والحيوية» كما يقول صديقنا الأستاذ أنور الجندى، فى أحد مؤلفاته ويقول شوق فى مستهل هذه القصيدة المتفردة .

همت الفُـــلْكُ واحْتواهـــا الماءُ   وحَداهــا بِمَـــنْ تُقِـــلُّ الرجـــاءُ

ومنها قوله :

قل لبـــانٍ بَنَـــى فشادَ فغـــالى   لم يجز مصر فى الزمـــان بنـــاء

أجْفَـــل الجنُّ عن عزائم فِرعَـــوْ   نَ، ودانت لبأسهـــــا الآناء

* * *

(٥) أنظر ص ٣٣ المصدر السابق ص ٥٠ ــ ٥١ .

(٦) أنظر ص ٣٣ المصدر السابق ص ٥٠ ــ ٥١ .

(٧) وخاصة لتفوق (حافظ)، منافسه الأوحد، بصوت جهير ضخم، رائع المقاطع .. فإذا أوقف ينشد الجماهير، هزَّها هزًّا، ورفع بإلقائه حظ الكلام درجات على درجات كما يقول عبدالعزيز البشرى .

كذلك وجدنا أحد تلاميذ الأستاذ كامل الشناوى ــ (الأستاذ يوسف الشريف) ــ يذكر فى كتابه (كامل الشناوى آخر ظرفاء ذلك الزمان) ــ ص ٢٥ ــ أن (شوقى) : **فتح صدره للشاعر الشاب (يعنى كامل الشناوى)، وضمَّه إلى صالونه الأدبى فى منزله المعروف بكرمة ابن هانىء، وكان يحلوله أن يسمع قصائده بصوت كامل الشناوى الرنان، وإلقائه الرائع، الواعى للمعانى والمواقف** «ويوما طلب منه أمير الشعراء أن ينوب عنه فى إلقاء قصائده فى الحفلات .. وكان كامل الشناوى يعتذر، ويقدم له يوسف حلمى، وقال شوقى :

ـ أنا لا أحب الممثلين وهم يلقون شعرى، خارج المسرح .

فقال كامل الشناوى :

ـ ولكن يوسف حلمى محامٍ، وليس ممثلا ..

وَأَصَرَّ شوقى بك على أن يلقى كامل الشناوى قصيدته فى حفل تأبين الزعيم الليبى عمر المختار، وكان الايطاليون قد ألقوا به من الطائرة !! وقد بلغ من العمر ٩٠ عاما، وهو يكافح استعمارهم لبلاده .. ورثاه شوقى بقصيدة حَمَاسيَّة مؤثرة .. واضطر كامل الشناوى ــ تحت الضغط الأدبى ــ أن يقبل إلقاءها، ولكن الظروف أنقذته، عندما قررت السلطات إلغاء الاحتفال فى آخر لحظة» ويُعقِّب الأستاذ يوسف الشريف على ماتقدم بقوله : ولو أن كامل الشناوى ألقى تلك القصيدة فربما تحوَّل إلى مجرد راوية للشعر وليس شاعرا متميِّزاً له مدرسته وأسلوبه، وتجربته الخاصة .

* * *

هذا وقد سبق لصديقنا شاعر السويس والاسكندرية الراحل : محمد فضل اسماعيل أن ذكر لى، أن شوقى كان يقنع بنشر قصائده فى أمهات الصحف والمجلات، وسماعه لشعره مُرَدَّدا على أفواه الشعراء المرموقين، والخطباء المفوَّهين، لأنه كان يعتبر إلقاء الشعر محتاجا لموهبة خاصة به إلى قوة أعصاب وقوة حنجرة لم تُتاحا له، كذلك، لأنه يعلم ما لحافظ من قدرة على إلقاء الشعر، ويخشى أن ينافسه فى ذلك، فتكون الغلبة لحافظ بلا مراء[٨].. **وذكر لى أن (الجارم) كان من أكثر الشعراء إلقاءً لشعر شوقى .. كما ذكر لى أنه هو الذى قام ــ أى محمد فضل اسماعيل ــ**

(٨) يقول الرافعى : «وكان تمام الشعر (الحافظى) أن ينشده حافظ نفسه، وما سمعت فى الإنشاد أعرب عربية من البارودى، ولا أعذب عذوبة من الكاظمى، ولا أفخم فخامة من حافظ (وحى القلم جـ ٣ ط أولى سنة ١٩٤١م ص ٣٤٠

بإلقاء مرثية شوق فى حافظ بالاسكندرية لأن أمير الشعراء كان يطرب لطريقة فضل الفذة فى إلقاء الشعر ، ويقول أبوشادى فى شعر فضل وإلقائه ، عَجُزَ بيت مازال عالقا بالذاكرة :

« ويعيش بالإلقاء عَمْراً آخرا »

هذا وقد استوقفنى فى الجزء الرابع من الشوقيات تقديم الأستاذ محمد سعيد العريان ــ رحمه الله ــ لبعض هذه القصائد « وهو ــ أعنى العريان ــ الذى قام بإعداد هذا الجزء » :
... استوقفنى قوله ــ تحت عنوان قصيدة « ذكرى محمد فريد » أنها « أُلْقِيتْ فى الاحتفال بالذكرى الخامسة للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤ فاستخدم الفعل مبنيا للمجهول ، كالربى بقوله « أنشدتْ فى الحفلة التى أقامتها رابطة الأدب الجديد ، تكريما للشاعر محمود أبو الوفا إلخ ... » وقصيدة « خليل مطران » بقول العريان عنها إن شوق : « نظمها لتُنْشَدَ فى حفلة أقيمت بدار الجامعة فى ١٨ يونيو سنة ١٩٦٣ لتكريم الشاعر خليل مطران إلخ .. »[٩]

وقد سألْتُ الصديق العالم الجليل الأستاذ عبدالحفيظ فرغلى عن تعليله لهذا الأمر ، فأخبرنى أن الأستاذ سعيد العريان نفسه ، هو الذى كان يقوم بإلقاء بعض قصائد أمير الشعراء ، حسب معلوماته الخاصة ، فلما سألته عن مصدر هذه المعلومات ، أفادنى بأن الذاكرة لا تعيها الآن ، وأضاف أن الأستاذ العلَّامة الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ، هو الباحث الوحيد ، غالبا ، الذى يمكنه أن يُوضِّح الكثير ، عمَّنْ قاموا بإلقاء شعر شوق .

ورحم الله ــ جل جلاله ــ شوقيا ، فإن ذلك لم ينقص قدره ، وبالله التوفيق .

---

(٩) صفحات ٦٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، بالجزء الرابع من الشوقيات على الترتيب .. وكذلك قصيدته شوق (الشوقيات جـ٤) بعنوان (فتية الوادى عرفنا صوتكم) يقول العريان فى تقديمها : «وهى آخر ما جادت به شاعريته ، وكانت (تلاوتها) يوم وفاته ! ولم يذكر لنا اسم من تلاها ، ومطلعها :

لا يُقيمن على الضيم الأسـنـد　　　نزع الشبل من الغــاب الوتـد

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

ورد إلينا كثير من الرسائل التى تحمل استفسارات من القراء عن الضوابط التى يجب أن يراعوها عند كتابة إسهاماتهم التى يرسلونها إلى المجلة .

ونحب أن نشير إلى أن هذا الباب يهم فى المقام الأول بمعالجة الفكرة الجيدة أو اللمحة الطريفة، وليس مما تعالجه المجلة من موضوعات على أيدى أساتذة متخصصين تتوالى مقالاتهم بالمجلة، إذ تشغلنا ــ فى المقام الأول ــ أن يقدم الباب من أبواب المجلة تحريرا يشد القارىء إليه دون نمطية مهلكة ... وها نحن نقدم بعض ماورد إلينا .

الظن السيئ آفة

رسالة القارىء : كمال عبدالمنعم محمد خليل
الكوم الأحمر ــ بنى سويف .

وردت هذه الرسالة عن سوء الظن، نعرض منها قوله :

نهى الله ــ سبحانه وتعالى ــ عباده المؤمنين عن الخوض فى أعراض المسلمين وسوء الظن بهم فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات ١٢ .

وسوء الظن آفة ذميمة يقع فيها البعض ، ونتائجها خطيرة وعواقبها وخيمة ، حيث تُبنى عليها الأفكار الخاطئة وبالتالى تأتى بعدها الأفعال التى ينال صاحبها الإثم والعقاب من الله ــ سبحانه ــ والظن حديث النفس إلى صاحبها سواء كان خيراً أو شراً .

وقد حذرنا النبى ﷺ من الظن السىء بالمسلمين ، فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه .

وقد يؤدى سوء الظن إلى التقاطع والتدابر بين المسلمين دون ما أسباب ، وهذا التقاطع والهجران يكون سببا فى عدم قبول الأعمال فقد روى أبوهريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيُقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا .. انظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم .

فعلى المسلمين أن يحسنوا الظن ببعضهم البعض ولا يستجيبوا لأزِّ الشيطان الذى يدفعهم إلى سوء الظن بإخوانهم المسلمين .

الإسلام رسالة الحضارة :

ومن القارىء : يحيى السيد النجار .

دمياط ــ شارع الحزاوى .

أرسل هذه الكلمة التى نقتطع منها قوله :

متى نستفيد من إسلامنا من أجل البناء الحضارى .. وبخاصة أن المسلم مكلف بنشر هذه الرسالة الحضارية .

وشريعة الاسلام تجنب الانسان مزالق الانحراف والهوى والزيغ والضلال .. والإسلام يرعى الحياة البشرية بكافة جوانبها : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية ؛ ليرقى بالإنسان فيبنى شخصيته وفق نسق حضارى سليم .

والانسان بحاجة إلى تدبر وتأمل ، ليتعرض لنفحات الله ــ تعالى ــ فيحظى ببعض الإشراقات النورانية التى يختصها الله عباده المتقين .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف ٩٦

وسبب مآسى أبناء الأمة غياب المعالم الايمانية والثقافية .. ولاشىء يحرر الإنسان إلا تشغيل العقل وحرية النقد وفتح باب الاجتهاد لكافة قضايانا المعاصرة .. خاصة ان الاسلام لا يلغى الرأى الآخر .. ما أحوج الأمة إلى قواعد الخلق الإسلامى قال تعالى : « وتزودوا فإن خير الذاد التقوى » البقرة ١٩٧ وللاسلام اهتمام بالاعلام خاصة لبلورة نهضة ثقافية إسلامية والاسلام دعوة خير وسلام يخاطب الفطرة .. والشريعة الاسلامية تملك آليات آداب النفس وتهذيب الأخلاق فى البر والرحمة .. والإخاء والمودة والصدقة والاحسان والوفاء وأداء الأمانة ..

من إبداعات القراء

رسالة من شاب فلسطيني

نعـــم .. سنحـــرر الأقصى　　بإذن الله يا مسلـــــــم
برغـــم القيـــد فى قلبـــى　　برغم الكسر فى الأعْظُـــم
برغـــم النـــار فى كبـــدى　　فلـــن أرْضَى ولـــن أكْتُـــم
برغـــم مدافـــع الأعْـــدَاء　　فلـــن يُنسى ولـــن يُهـــدم

محمد أحمد المعصرانى
طنطا ـ قطور ـ سجين

* * * * *

مناجاة

إلَهِـــي : كُنْتُ أرْتَـــعُ فِي حَيَـــاةٍ　　بَعيـــداً فِي الظَّـــلامِ، بلا قيـــود
وكـــنتُ أعَـــيشُ فى سَفْـــحٍ عَميـــقٍ　　فَهَـــلْ أحْظَـــى بِعَـــوْنِكَ فى الصُّعُـــودِ
إلَهِـــي : هذِهِ نَفْسِي، ومَـــــنْ لى　　على نَفْسِي سِوَاكَ يَشُدُّ عودِى
وَهَـــلْ عُذْرِى إلَـــيْكَ وَهَـــلْ مَتَابِـــى　　سَيُنْـــهِضُ حُجَّتِـــي يَوْمَ الـــوُرودِ
إلَهِـــي واعْطِنِـــي عَزْمـــاً جَدِيـــداً　　وَهَبْ رُوحِـــي الإرادَةَ فى الصُّمُـــودِ
أضِيءْ بالنُّـــورِ قَلْبِـــي ياحَبِيبِـــي　　لِأمْضِي فى الطَّرِيـــــقِ بلا شُرودِ
ويـــــا نَفْسِي فَذُوبِى ثُمَّ ذُوبِى　　فَروحِـــي اليَـــوْمَ مِنْ رُوحِ الـــوَدُودِ

د. محمد فخرالدين القعقاع
إستانبول ـ تركيا

عجيب ذلك الإنسان

● القارىء : محمد سعد محفوظ .

مشطا ـــ طما ـــ سوهاج .

أرسل هذه الرسالة التى نعرض منها هذا الجزء :

عجيب ذلك الإنسان الذى تذوق ألم الوحشة فى معصية الله ـــ تعالى ـــ ثم لا يطلب الأنس بطاعته ، وتذوق العذاب عند تعلق القلب بغير الله ولا يهرب ويفر إليه ـــ سبحانه ـــ ويقبل عليه ويتوب .

وأعجب شىء فيك أيها الإنسان علمك أنك لابد لك منه ـــ سبحانه ـــ وأنك أحوج شىء إليه وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب .

رسائل سريعة

* القارىء : عصام محمود طه أحمد .

أسيوط ـ أولاد إبراهيم .

لا نستطيع نشر شىء قبل قراءته وإجازة اللجنة المحكمة له .

* القارىء : محمود فوزى غانم .

قرية دراجيل ـ مركز الشهداء ـ منوفية .

إقتراحكم تخصيص مساحة للتعريف بدول العالم الاسلامى إقتراح طيب ، وسوف يكون للمجلة فيه شأن .

* القارىء : مسعود أحمد بدر الصباغ

محافظة البحيرة ـ كفر الدوار ـ منشية النصر .

يمكنكم الاتصال مباشرة بالادارة العامة لشئون العاملين بالأزهر الشريف ـ قسم التعيينات ، لإفادتكم بالرأى فى ذلك الشأن ونتمنى لكم التوفيق .

* القارئة : جميلة فريوة .

ولاية الوادى ـ الجزائر .

نشكر لك تحيتك الرقيقة للأزهر والعاملين به ، ومرحبا بمساهماتك وإبداعاتك .

مسابقة فى حفظ وتفسير القرآن الكريم

بعد ظهر السادس والعشرين من رمضان ١٤١٧ هـ الموافق الرابع من فبراير ١٩٩٧ م أقيم حفل لتكريم طلاب الأزهر الفائزين فى مسابقات القرآن الكريم برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالقاعة الرسمية بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر .

شرف الحفل فضيلة الإمام الأكبر وقام بتسليم عدة جوائز وقضى وقتا طيبا جداً وسط الطلاب .

شرف الحفل وعمل على إعداده فضيلة الشيخ فؤاد البرعى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ الغمراوى مدير عام رعاية الطلاب ، وقام عدد من الأساتذة العاملين بإدارة رعاية الطلاب فبذلوا جهدا مشكورا فى التنظيم داخل القاعة ، نذكر منهم السيد « أبوالجود سليمان محمد » الأخصائى الاجتماعى بمنطقة القاهرة .

* فاز فى هذه المسابقة مائة وست وخمسون طالبا وطالبة من مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى على أربعة مستويات .

حظى المستوى الأول بتسعة وتسعين متسابقا ومتسابقة حصل كل منهم على مائة وخمس وثمانين جنيها وشهادة تقدير .

أما المستوى الثانى فبلغت جائزته مائة وأربعين جنيها فاز بها واحد وأربعون طالبا وطالبة .. وجاء فى المستوى الثالث ثلاثة عشر طالبا وطالبة بجائزة قدرها خمس وتسعون جنيها لكل منهم وبلغت جائزة المستوى الرابع خمسة وخمسين جنيها فاز بها ثلاثة طلاب .

ويأمل الأستاذ مصطفى أحمد الغمراوى مدير عام رعاية الطلاب أن تزداد الميزانية المخصصة للأنشطة الاجتماعية والرياضية والثقافية والدينية والعلمية والفنية بالاضافة إلى الأنشطة المتنوعة للفتيات .

كما صرح سيادته أن رعاية الطلاب تستمد ميزانيتها للصرف على هذه الأنشطة من كل من :

(أ) نسبة من الاتحادات الطلابية بالمعاهدة الأزهرية .

(ب) نسبة من ميزانيات مجالس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية .

(جـ) دعم للأنشطة من المجلس الأعلى للشباب والرياضة .

وقال سيادته : إن تنفيذ البرامج الطلابية كالمعسكرات والرحلات وغيرها يحتاج إلى مبالغ كبيرة لتأمين الصرف على الانتقالات واستئجار « الأوتوبيسات » لزيارة المعالم فى كل رحلة أو معسكر بالاضافة إلى مبالغ للصرف على تنفيذ البرنامج الفعلى لكل رحلة .. حيث لا يقل

متوسط الصرف فى الرحلة عن ألفى جنيه قد ترتفع إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف إذا كانت الرحلة إلى الأقصر وأسوان .

ثم اختتم حديثه بقوله :

ونحن نحمد الله ــ تعالى ــ على أن رعاية الطلاب بالمعاهد والمناطق الأزهرية تؤدى واجبها على مدار العام وتنفذ مسابقاتها على مستوى الجمهورية فى جميع المعاهد .

إلى السادة كتاب المجلة

تتقدم إدارة مجلة الأزهر إلى السادة الذين يتفضلون بإمدادها بمقالاتهم بملاحظات تعنيها وتعنيهم سواء ، فمن اليقين أن جميع من يعمل بالمجلة من محررين وكتّاب ومطبعة يهمهم فى المقام الأول صدور المجلة على أنقى مستوى وأرفعه .

وما من شك أن السادة الكتّاب يعلمون أن هذه المجلة مجلة علمية ، فهى ــ فى المقام الأول مجلة (مقال) وليست مجلة (خبر) لذلك نرجو أن يتعاونوا مع إدارة المجلة بالتزام ما يحقق رسالتها :

(أ) فيذكرون مرجع ما يختارون من نصوص بالتعريف الكامل لصاحب النص ، وللنص جزءاً وصفحة ومطبعة وسنة طبع فى حاشية المقال وفى الصفحة التى وردها بها النص ، فأما إذا كان النص آية كريمة فيجب أن يضعوا جوار نهايتها اسم السورة ورقم الآية بين قوسين مربعين .

(ب) كذلك ينبغى تكريما للمادة العلمية ألا يذكر النص منسوبا نسبة عامة ، بل ينبغى إسناده لقائله ، فذلك يساعد القارىء على تقدير المادة واحترامها ، كما يساعد الباحثين على سهولة المراجعة ومتابعتها .

(جـ) التوقيع فى ختام المقال .

(د) يجب ــ كذلك ــ ترك عنوان السيد الكاتب بإدارة المجلة مع رقم تليفون يتيسر بواسطته الاتصال به عند الحاجة .

وإدارة التحرير تأسف لعدم نشر ما يرد لها من مقالات لم تهتم بهذه الملاحظات ، والله نسأل أن يسدد خطانا وأن يوفقنا بفضله .

التحرير

النشاطات الثقافية والعلمية للأزهر الشريف

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

الموسم الثقافى بقاعة الإمام محمد عبده :

امتدادا للمواسم الثقافية التى تقيمها مشيخة الأزهر الشريف أقيم الموسم الثقافى الثانى للعام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م وذلك برعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر . بقاعة الإمام محمد عبده بمقر جامعة الأزهر بالدراسة .

بدأ الموسم بمحاضرة عن « الإسلام ومستقبل الأنظمة الاقتصادية » ألقاها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ، ورئيس وزراء اليمن الأسبق .

وفى الأسبوع الثانى للموسم ألقيت محاضرة بعنوان : (الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية) ألقاها الأستاذ الدكتور / عبدالرحمن العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية والأستاذ بكلية الدعوة بالأزهر .

وفى الأسبوع التالى للموسم ألقى الأستاذ الدكتور / محمد عبدالرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية محاضرة بعنوان : (الإنسان بين ثبات حقائق الدين وثبات المدنية) .

وفى الأسبوع الرابع والأخير للموسم الثانى الثقافى ألقى الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر محاضرة كان موضوعها : (المجتمعات الإسلامية فى الغرب) .

شهد المحاضرات التى ألقيت على مدى أربعة أسابيع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر ، والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الشعب وبعض السادة الوزراء . وبعض القيادات السياسية والشعبية وطلاب الجامعات وخاصة جامعة الأزهر وطلاب المعاهد الأزهرية .

وشهد فضيلة الإمام الأكبر والمشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة دورة التوعية الشاملة التى تنظمها وزارة الدفاع لقادة القوات المسلحة ، وكذلك شهد الدورة وزيرا الإسكان وقطاع الأعمال .

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى كلمته أمام المشاركين فى الدورة على أن الجهاد على طريق نصرة الحق والدفاع عن الأرض والشرف هو أقدس مهمة يقوم بها الإنسان ، وأن الحق لا بد له من قوة قادره تحميه وتصونه متمسكة فى ذلك بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، والسنة النبوية المطهرة .

أكد سيادة المشير أن القوات المسلحة تمر هذه الأيام بمرحلة هامة من مراحل العمل الجاد والمكثف على طريق تطوير قدراتها وتحديث إمكانياتها وتأهيل كوادرها وصولا إلى أعلى درجات الاستقرار القتالى ، وأرقى مستويات الأداء .

هذا ، وتحدث الدكتور المهندس وزير الإسكان فتناول بالشرح والتحليل جهود الدولة فى مواجهة قضية الإسكان وتحدى الزيادة السكانية من خلال التوسع فى إنشاء المدن الجديدة والتركيز على بناء الوحدات والبنية الأساسية وبناء المجتمعات العمرانية .

وتناول الدكتور عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال وشئون البيئة بالشرح مؤشرات نجاح خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية بمصر ، والأسس العلمية التى يتم ــ بناء عليها ــ اتخاذ القرارات فى هذا المجال .

كذلك شهدت مدينة أبوقرقاص بمحافظة المنيا مظاهرة مصرية ضد الإرهاب والعنف شارك فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف نائبا عن الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية والسيد المحافظ منصور العيسوى محافظ المنيا وآلاف المواطنين من مسلمين ومسيحيين ، وذلك لتقديم واجب العزاء لأسر ضحايا كنيسة مارجرجس بأبى قرقاص .

وقد استنكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر هذا العمل الإجرامى الآثم الذى لم يفرق بين الطفل والمرأة والشيخ الكبير .. وأكد فضيلته باسم الأزهر الشريف : علمائه وطلابه وجميع هيئاته والمسلمين جميعا أن المسلمين والمسيحيين لهم نفس الحقوق والواجبات كأبناء وطن واحد .

وأكد فضيلة وزير الأوقاف باسم الدكتور الجنزورى رئيس مجلس الوزراء أن الاعتداء على المصلين فى كنيسة مارجرجس بأبى قرقاص عمل دنىء يستنكره كل مسلم وغير مسلم باعتباره جريمة نكراء ضد الآمنين ، مؤكدا على أن الحكومة ستواجه أى تحرك إرهابى بكل قوة ، وأن حماية أبناء الوطن واجب كل مسئول ، وكل مواطن أيا كانت ديانته .

كذلك أكد فضيلة مفتى مصر على أن الإسلام برىء مما حدث ، وأن مرتكبى هذه الجريمة لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه .

أعلن فضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر : أن مصر بكل فئاتها ترفض هذا العمل وتصمم على مواجهة العنف أيا كان مصدره ، وقال فضيلته : إن ما حدث لا يصيب المسيحيين ـ وحدهم ـ لأنه طعنة فى صميم قلب الأمان والسلام ، وإهدار حق الإنسان فى الحياة .

وشهدت القاهرة فى الفترة من ١٩ ـ ٢٠ فبراير الماضى اجتماعات هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وحضور المشير سوار الذهب نائب رئيس المجلس والأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس .

وقد استقبل الرئيس محمد حسنى مبارك السادة أعضاء هيئة رئاسة المجلس بمقر رئاسة الجمهورية بمصر الجديدة ، حيث بحث الرئيس مع الأعضاء كافة القضايا الإسلامية التى تخدم الأمة الإسلامية والعربية ، هذا وقد قام أعضاء الهيئة بشرح دور المجلس بالنسبة للأقليات المسلمة فى عدد من الدول الذى يقوم بدعم ومعاونة تلك الأقليات معاونة صادقة من منطلق الوقوف إلى جانب المضطهد المظلوم حتى يتمكن من الحصول على حقوقه المشروعة ، وكان على رأس الموضوعات التى تناولها اللقاء قضية القدس والقضية الفلسطينية وظاهرة الإرهاب .

وقد قام الأستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس بإبراز أنشطة المجلس المتعددة التى من أبرزها إجراء الحوارات مع الأديان والحضارات المختلفة والتعاون مع المنظمات العالمية الإنسانية فى مجالات الإغاثة الإنسانية .

وأشاد سيادته بالتعاون الوثيق بين المجلس والأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية مؤكدا على حرص المجلس على الاستفادة دائما من فكر مصر ونشره فى العالم كله خاصة بين الشباب .

وصرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقب لقاء الرئيس بأعضاء هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة : بأن مصر رئيسا وحكومة وشعبا وجميع الدول العربية والإسلامية رؤساء وحكومات وشعوبا تسعى من أجل أن تكون القدس عربية إسلامية وعاصمة لإخواننا فى فلسطين .

هذا وقد بدأت فعاليات مجلس هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة مساء يوم الأربعاء الموافق ١١ شوال ١٤١٧ هـ ١٩ فبراير ١٩٩٧ م حيث بحثت الهيئة الموضوعات المدرجة فى جدول أعمالها فاستمعت لبيانات السادة أصحاب المعالى والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة بالمجلس حول نشاطات تلك اللجان خلال الفترة الماضية .

كذلك استعرضت الهيئة العديد من الموضوعات الهامة وعلى رأسها قضية القدس . فناقشت الهيئة موضوع عقد (ندوة القدس الدولية) فى وقت لاحق من هذا العام حيث تعقد فى إحدى العواصم الأوربية للدفاع عن المدينة المقدسة فى مواجهة التهويد والاستيطان .

وبعد مناقشات استمرت مدى يومين أصدرت الهيئة عدة توصيات وقرارات كان من أبرزها إنشاء مركز عالمى للدعاة فى مصر لتلبية احتياجات العالم الإسلامى من الدعاة الأكفاء القادرين على مواجهة القضايا المعاصرة والتصدى لحملات تشويه الإسلام .

وفى نهاية اجتماعات الهيئة أبرقت لفخامة الرئيس مبارك شاكرة استقباله لأعضاء الهيئة ودعمه المتواصل المثمر لنشاطات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

كذلك أصدرت الهيئة بيانا استنكرت فيه الاعتداء الغاشم الذى وقع على إحدى الكنائس بمدينة أبو قرقاص بمحافظة المنيا وراح ضحيته أرواح مصريين أبرياء .

وأشار البيان إلى أن هذا العمل الإجرامى تحرمه الأديان السماوية ، وفى مقدمتها الإسلام ، كذلك يأباه الضمير الإنسانى اليقظ .

وتعليقا على ظهور طائفة عبدة الشيطان .. أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الإسلام دين يدعو إلى السلام كما يدعو إلى العلم والقضاء على الأمية بكافة أشكالها وصورها .. وأعرب عن أسفه لظهور تلك الطائفة فى مصر ، مشيرا إلى ضرورة أن ينتبه الآباء إلى أبنائهم ، وأن يقوموا بتربيتهم تربية دينية واجتماعية صحيحة . وقال : إن عبدة الشيطان انحراف فكرى يتحمل مسئوليته الآباء .

كذلك وصف الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف عبدة الشيطان بأنهم شياطين الإنس غرتهم فتنة المال والبذخ والترف وغياب دور الأسرة .

وأكد فضيلته أن الشطط العقلى الذى تجلى فى عبادة الشيطان ومن قبلها الإرهاب ليس من نبت مصر الإسلامية ، ولم يحدث فى تاريخها .

وأضاف فضيلته قائلا : إن ما أصاب قلة من شباب مصر من موجات تحلل سافرة لا تعد ظاهرة ، وإنما لا تعدو أن تكون إحدى موجات التحلل الخلقى الذى يصيب المجتمعات .

ومن جانبه أشار فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى جمهورية مصر العربية إلى أن أفكار تلك الجماعة وافدة ومشوشة ومتناقضة تهدف إلى إثارة الفساد داخل المجتمع ، الأمر الذى يدعو المجتمع كله لمقاومته .

وأضاف فضيلته إلى أن أسباب ظهور تلك الأفكار ترجع إلى الإهمال فى تربية النشء داخل الأسرة وقصور الرعاية الرياضية والثقافية داخل المدرسة .

هذا وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا يُسمح ـ بمقتضاه ـ للطالب الناجح فى امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية ويرغب فى تحسين درجاته بدخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية وفق القواعد التى يصدر بتنظيمها قرار من شيخ الأزهر بناء على اقتراح قطاع المعاهد الأزهرية ـ وذلك مقابل أدائه مصاريف ـ إعادة امتحانه ـ وقدرها (مائة واثنا جنيه) تؤول إلى إيرادات الدولة وفقا للقواعد المالية المقررة .

استقبالات الإمام الأكبر

● آستقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم السبت الموافق ١٤ شوال ١٤١٧ هـ ـ ٢٢ فبراير ١٩٩٧ م سماحة الشيخ / محمد مهدى شمس الدين ـ رئيس المجلس الشيعى الأعلى بلبنان والوفد المرافق لسماحته .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون العلمى والثقافى والدينى بين الأزهر الشريف والمجلس الشيعى الأعلى بلبنان والتقريب بين المذاهب الدينية المختلفة ، كما طلب سماحة الشيخ / محمد مهدى من فضيلة الإمام الأكبر إمداد الجامعة فى لبنان بالأساتذة والمناهج والمراجع الدينية والعلمية والثقافية حيث إنها جامعة وليدة تحتاج إلى مساعدة الأزهر الشريف ودعمه علميا وثقافيا وفنيا لما للأزهر بمعاهده وجامعته العريقة من دور بارز فى شتى أنحاء العالم لنشر الثقافة الدينية الإسلامية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن التعصب الأعمى والتمسك بالوسطية والاعتدال .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ محمد مهدى ووعد بدراسة كافة المطالب التى تقدم بها الضيف الكبير معربا عن استعداد الأزهر الشريف الدائم لمعاونة الجميع فيما يعود بالنفع على أمتنا العربية والإسلامية .

هذا وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر دعوة رسمية لزيارة لبنان من رئاسة المجلس الشيعى الأعلى بلبنان وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة توْطِئة لتلبيتها .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأربعاء البابا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية الذى حضر لمشيخة الأزهر الشريف لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك ، وقد شكر فضيلة الإمام له هذه الزيارة متمنيا للوحدة الوطنية كل تقدم واستقرار نهوضا بمصلحة مصر العليا وإعزاز لشأنها .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٠ شوال ١٤١٧ هـ ـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٩٧ م السيد / ديفيد بلازويك سفير المملكة المتحدة بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمملكة المتحدة فى مختلف المجالات الثقافية .

وقد تسلم فضيلة الإمام الأكبر من الضيف دعوة رسمية من كبير أساقفة كانتربرى القس / جورج كانتوار .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الضيف على هذه الدعوة ووعد بتلبيتها وحمل الضيف إبلاغ تحياته لكبير أساقفة كانتربرى .

● أستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ١٦ شوال ١٤١٧ هـ ـ ٢٤ فبراير ١٩٩٧ م الدكتور / بيتر بيوت مدير برنامج الأمم المتحدة للإيدز يرافقه الدكتور / محمد إسحاق الخواشجى ممثل منظمة الصحة العالمية .

تم خلال اللقاء بحث الإجراءات التى تتخذها المنظمة لمكافحة الإيدز على مستوى العالم أجمع موضحا مدى خطورة هذا المرض وسبل مكافحته والوسائل المتعددة للقضاء عليه وأهمية الدور البارز للأزهر الشريف فى المجال الإعلامى والدينى فى مكافحة هذا المرض كذلك تم بحث قيام الأزهر الشريف بمساعدة المنظمة فى برنامجها فى هذا المجال من خلال علمائه وكوادره العلمية ممثلة فى معاهده وجامعته العريقة .

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر من الضيف دعوة لحضور المؤتمر الذى تنظمه الأمم المتحدة فى السنغال خلال العام الحالى ، وذلك فى إطار محاربة المنظمة لهذا المرض الخطير .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلب الأمم المتحدة بمساعدة المنظمة فى محاربة هذا المرض ، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف بكافة هيئاته وعلمائه يعمل على نشر الفضائل ومحاربة الرذائل ـ ومنها العلاقات الجنسية غير المشروعة ـ مشاركة منه فى محاربة هذا المرض اللعين وذلك من خلال المنابر والندوات العامة واللقاءات المختلفة ، لأن محاربة هذا المرض فرض على كل عاقل .

كذلك وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة للمشاركة فى المؤتمر المزمع عقده فى السنغال هذا العام .

● تلبية للدعوة الموجهة من السيد الدكتور كلاوس كينكل المستشار الاتحادى ووزير الخارجية الألمانى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يقوم فضيلته على رأس وفد بزيارة دولة المانيا من الفترة من ١٩٩٧/٣/٩ إلى ١٩٩٧/٣/١٦ وقد صدر قرار بتشكيل الوفد المرافق له على النحو التالى :

١ ـ الأستاذ الدكتور / توفيق حامد شريف

برج .. الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر الشريف .

٢ ـ السيد الأستاذ / رجب مرسى البنا .. رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير مجلة أكتوبر .
٣ ـ فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على .. مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

٤ ـ السيد الرائد / أشرف فتحى رضوان .. رئيس قوة حرس مكتب شيخ الأزهر الشريف .

٥ ـ السيد / شريف أحمد فؤاد عبدالرحمن .. مدير التصوير بالتليفزيون المصرى .

ويقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال هذه الزيارة بعقد عدة لقاءات مع بعض الشخصيات السياسية والعلمية والاجتماعية ومنها لقاء مع أعضاء الاتحاد الإسلامى فى « مانهامن » وصلاة الجمعة بمسجد السلطان سليم بمدينة « مانهامن » كذلك يقوم فضيلته والوفد المرافق بزيارة لمدينتى بون وبرلين ، ويلبى فضيلته زيارة رسمية لرئيس جمهورية المانيا الاتحادية « رومان هيرتزوج » بمقر الرئاسة ، ثم لقاء تنظمه جمعية الصداقة العربية الألمانية كذلك من المنتظر أن يشارك فضيلته فى الندوة التى ستضم العديد من العلماء وممثلى الفئات والمؤسسات الاجتماعية والناشرين البارزين . ثم لقاء مع مجلس مديرى مؤسسة « كونراد إدناور » ومركز للأبحاث تابع للحزب المسيحى الديمقراطى الذى يرأسه المستشار هيلموت كول .

تأتى هذه الزيارة فى إطار برنامج ضيوف جمهورية المانيا الذى يتم اعتماده من البرلمان الاتحادى ويتم تنفيذه تحت رعاية معالى نائب المستشار الاتحادى ووزير خارجية المانيا .

أمة واحدة

أنباء العالم الإسلامى

أخبار تعليقات تقارير

للدكتور/ **حسن على محمد**
مدرس الإعلام - جامعة المنيا

أولاً : أخبار الأقليات الإسلامية

- في الصين : ١٠٠٠ معتقل من المسلمين فى السجون الصينية .
- فى موسكو : لأول مرة مهرجان دولى لتلاوة القرآن الكريم سنوياً .
- فى أمريكا : التقارير تؤكد فرصاً كبيرة لنشر الإسلام هناك .
- وعن حالة اللاجئين : ٨٠٪ من لاجئى العالم من المسلمين ..!!

ثانياً : أخبار العالم الإسلامى

- فى العراق : ٢ مليار دولار من بتروله تستخدم فى الغذاء والدواء والديون
- فى فلسطين : حى استيطانى جديد فى القدس .. !!
- أفغانستان : تسعة أيام مهلة لاطلاق اللحى وللمخالفين السجن ..!!
- مصر : ١٤٤٦٢ عاملاً بالأزهر منحهم الإمام الأكبر علاوات تشجعية .

أخبار تقارير تعليقات تحليلات

الأقليات الإسلامية فى العالم

حملة إعدامات واعتقالات واسعة للمسلمين فى الصين

● بكين - وكالات الأنباء :

نفذت فى الآونة الأخيرة السلطات الصينية حملة إعدامات واعتقالات للمسلمين فى إقليم شينجيانج غربى الصين حيث تم إعدام ١٠٠ مسلم واعتقال ١٠٠٠ آخرين .

والجدير بالذكر أن سجون الصين ضمت فى الأشهر الأخيرة ٧٥,٠٠٠ سجين ، كما بلغ حصاد المواجهات الدامية مع الشرطة هناك ١٧٠٠ شهيد .

● بلجراد - وكالات الأنباء :

أعلنت قوة حفظ الاستقرار التابعة لحلف شمال الأطلنطى أن منازل المسلمين لازالت هدفا للقناصة الصرب ، كما أعلنت أن منزلا لأسرة مسلمة قد نسفه الصرب فى شمال البلاد .

ومما يذكر أن الصرب يرفضون عودة العائلات المسلمة إلى منازلها ويقومون بتدمير جميع المنازل الصالحة للسكن لإجبار المسلمين على عدم العودة .

● روسيا :

عقد فى مسجد موسكو مهرجان لتلاوة القرآن الكريم شارك فيه عدد من الأطفال المسلمين الروس ، والجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وقد تقرر أن يعقد هذا المهرجان سنويا لتشجيع النشء على حفظ القرآن الكريم .

العالم الإسلامى

● السعودية :

برغم اعتراض إسرائيلى فج ، تعتزم المملكة العربية السعودية شراء ١٠٠ طائرة إف ١٦ من شركة « لوكهيد » الأمريكية فى اتجاه واضح لدعم القوة العسكرية السعودية .

وقد استطاع رئيس الوزراء الإسرائيلى خلال زيارته الأخيرة لواشنطن أن يحرك جماعات المصالح اليهودية بأمريكا ضد الرغبة السعودية على اعتبار أن قوة أية دولة عربية تعتبر تهديدا لأمن إسرائيل .. !!

والجدير بالذكر أن دول الخليج تنفق حوالى ٨٠ مليار خلال السنوات الخمس القادمة لتطوير جيوشها .

● العراق :

أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٩٨٦ الذى يرخص للعراق بيع ما قيمته « ٢ مليار دولار » من بتروله خلال ستة أشهر لشراء غذاء ودواء ، ويخصص جزء منه للتعويضات التى تطلبها الكويت .

• • تعليق الأزهر :

فى سلوك دولى معيب يكشف عن انحياز فاضح للأمم المتحدة مع إسرائيل وضد المسلمين فى العالم ، لم تبدأ بعد إجراءات الأمم المتحدة لإغاثة أطفال العراق بالغذاء والدواء .

وبشهادة المراقبين الدوليين فقد أوفى العراق بالشروط الدولية وحتى الآن لم يحصل العراق لا على الغذاء ولا على الدواء فيما عدا صفقة قمح استرالى ، وأخرى خاصة بأرز تايلاندى .. !! .

• القدس المحتلة :

يراهن رئيس الوزراء الإسرائيلى فى محاولة منه لاسترضاء المتعصبين اليهود .. ، يراهن على بناء حى استيطانى كامل فى القدس المحتلة لتهويدها كاملا ، ولطمس الوجود الإسلامى فيها ..

وصف وزير الخارجية البريطانى خطط إسرائيل لإقامة حى جديد فى منطقة (هار حوما) فى القدس الشرقية بأنه نكسة ، وأنه من المؤيف أن تمضى إسرائيل فى خطتها فى هذه المرحلة الراهنة .

• • تعليق الأزهر :

أين المجتمع الدولى .. وقرارات مجلس الأمن .. والفصل السابع ... والعقوبات ضد المعتدى ... ؟؟ .

ثم أى أسف هذا الذى تأسفه بريطانيا .. أليست هى التى وراء ذلك كله منذ كان الانتداب .. ! ؟ .

• المغرب :

تم بين المملكة المغربية وإيران عقد اجتماع تحضيرى لاجتماع اللجنة المغربية الإيرانية للتعاون الاقتصادى المقرر عقده فى العاصمة المغربية .

وقد أشادت الخارجية المغربية بالتعاون الأخوى القائم بين الدولتين الإسلاميتين فى ظل التكتلات الدولية الراهنة .

كذلك يقوم وفد من رجال الأعمال المغاربة بزيارة لمصر فى الشهر الحالى « ذى القعدة/مارس » لبحث التعاون الاقتصادى بين مصر والمغرب .

• البحرين :

يعقد بالعاصمة البحرينية معرض الكتاب الإسلامى التاسع (أقرأ ٩٧) تحت رعاية رئيس وزراء البحرين .

وقد وصل عدد المشاركين من مصر حتى الآن ١٢ دار نشر حكومية وقطاع خاص .

• مصر :

وافق فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر على منح (١٤٤٦٢) عاملا بالأزهر الشريف والمناطق الأزهرية بالمحافظات علاوات تشجيعية .

صرح - للأزهر - السيد فاروق عابدين رئيس نقابة العاملين بالأزهر بإنه تم تحقيق العدالة فى منح هذه العلاوات من منطلق حرص الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إثابة المجتهدين والارتقاء بالأزهر الشريف .

تقرير الشهر :

مجموعة الدول الإسلامية الثمانية

تكتل إسلامى اقتصادى جديد برز إلى عالم الوجود فى الشهور الأخيرة بمبادرة من رئيس الوزراء التركى أربكان ، وقد حرص على أن تضم هذه المجموعة كلا من :ـ

تركيا ـ ماليزيا ـ إيران ـ نيجيريا ـ مصر ـ إندونيسيا ـ باكستان ـ بنجلادش .

والملاحظ أن هذه الدول الثمانى تضم أكبر قوة بشرية فى العالم الإسلامى ، وأنها جميعا تأخذ بأسباب النمو ، وتحتل مراكز جغرافية حاكمة فى البحار والمحيطات ومواقع حقول البترول .

تأمل دول المجموعة أن تكون نواة لوحدة إسلامية تشمل العالم الإسلامى شرقا وغربا فى مواجهة التكتلات الدولية .

وقد صرح رئيس الوزراء التركى أن لديه الأمل فى أن تكون هذه المجموعة قوة معادلة اقتصاديا للدول الصناعية السبع التى تضم الدول الكبرى شرقا وغربا كاليابان وأمريكا والمانيا وبريطانيا..... الخ .

يمثل هذا المشروع [تكتل الدول الإسلامية الثمانية] خطوة مأمولة ومرجوة لمواجهة الضغوط الدولية لتحرير التجارة ، وللوقوف ضد سلبيات النظام العالمى الذى لم يضع فى حسبانه المسلمين وخسائرهم ونرى أن المشروع التركى أتى فى موعده تماما .. وعسى أن يخطو إلى الأمام خطوات واثقة ..

Surate 23 "al-Mu'minune" Les croyants V. 5 et 6.

Les mêmes versets reviennent textuellement dans la Surate "al-Ma'arig" (Les Escaliers) ce qui prouve l'importance accordée à la chasteté. De même, on trouve dans le Coran la prohibition de l'adultère et de ce qui y même, ainsi que la menace des pires châtiments pour ce péché.

Quant au rappel de la mort, nos pieux ancêtres ont dit: "Celui qui cherche une exhortation, la mort lui suffit". Le rappel de la mort est un facteur primordial qui retient l'homme de commettre ce qui suscite la colère du Seigneur. Ce rappel et ce qui suit la mort sont des bienfaits qu'Allah accorde aux plus fidèles de Ses serviteurs. Il a dit: [Et rappelle-toi Abraham, Isaac et Yacob, nos serviteurs puissants et clairvoyants. Nous avons fait d'eux l'objet d'une distinction particulière: le rappel de l'au-delà].

Surate 38 "Çad" V. 45 et 46.

Quant au rappel de l'anéantissement, il signifie que tout ce qui se trouve sur la terre sera réduit à néant; donc, pourquoi s'attacher aux plaisirs éphémères? Pourquoi lutter pour ces plaisirs, puisque le corps avec tous les aliments qui l'ont nourri, tous les vêtements qu'il a portés sera anéanti? Allah -gloire à Lui- a dit: [Tout ce qui est sur la terre doit disparaître - Seule la Face de Ton Seigneur, pleine de majesté et de noblesse subsistance].

Surate 55 "ar-Rahman" Le Tout Miséricordieux V. 25 et 26.

Le rappel de la mort et de l'anéantissement amène l'homme à sa souvenir du jour où il comparaîtra devant Son Seigneur et où il sera interrogé: à quoi a-t-il passé sa vie? qu'a-t-il fait de son savoir? comment a-t-il amassé ses biens et à quoi les a-t-il dépensés? qu'a-t-il fait de son corps? L'homme croyant, par pudeur envers Son Seigneur, n'aime pas que ses réponses provoquent l'insatisfaction d'Allah ou qu'elles soient pour lui une cause d'humiliation et de déshonneur.

A suivre

---

2) Le Hadj absoud tous les péchés, mais à condition que l'argent dépensé sur le Hadj provienne d'un gain licite. Le Prophète -b.s.- nous donne l'exemple de l'homme qui prolonge son voyage de Pélerinage, s'expose aux difficultés, aux intemperies atmosphériques, puis lève ses mains, pour implorer Son Seigneur et malgré cela tous ses efforts sont vains.

Un homme demanda au Prophète -b.s.-: "Quand l'Heure Dernière viendra-t-elle". Le Prophète -b.s.- lui répondit: Comment Qu'as-tu préparé pour ce jour? "Et cela, pour nous prouver que nous devons réfléchir sur ce qui est exigé de nous et non sur ce qui nous a été prédestiné. Le Coran blâme celui qui médite sur ce qui ne relève pas de ses capacités, Il nous dit: [L'homme vaudrait plutôt continuer à vivre en libertin; il interroge: "Quand, le Jour de la Résurrection viendra -t-il?"]

Surate 75 "al-Qiyamah" La Résurrection V.5 et 6.

Il ne faut pas que l'homme se préoccupe de la conduite d'autrui, ni qu'il pense à nuire aux autres, ni les épier ni dire du mal d'eux. En ce qui concerne le ventre et les entrailles, il est fait allusion à la maitrise des passions et des instincts sexcuels. De plus, on ne doit manger que ce qui est licite. De son vivant, le Prophète -b.s.- recommandait à l'un de ses compagnons: "Ne mange que de ce qui est licite et alors tes invocations seront exaucées".

Hadith rapporté par Ibn Abbas - Tabarany.

Le Prophète -b.s.- nous montre que celui qui mange ce qui provient d'un gain illicite verra toutes les portes du ciel fermées à ses invocations. Il nous dit: "Tu vois l'homme aux cheveux ébourriffés, poussiéreux, voyageant longtemps, levant ses mains et dire: "mon Seigneur! Mon Seigneur" alors que sa nourriture provient d'un gain illicite, que ses vêtements sont achetés avec de l'argent illicite, sa boisson est illicite, il est entièrement nourri de gains illicites, comment donc ses invocations peuvent-elles être exaucées?"(2)

Hadith rapporté par Muslim

La chasteté est l'un des préceptes les plus importants qu'Allah a ordonné de respecter. Il a dit: [Dis aux croyants de baisser leurs regards et de préserver leur chasteté. Cela est plus pur eux. Allah est certes au courant de ce qu'ils font. Et dis aux croyantes de baisser leurs regards, de préserver leur chasteté].

Surate 24 "al-Nur" La Lumière V. 30 et 31

Allah -gloire à Lui- a loué ceux qui obéissent à Ses ordres, Il a dit: [Et ceux qui préservent leur sexe (de tout rapport), si ce n'est avec leurs épouses ou les femmes qu'ils possèdent, car là vraiment on ne peut les blâmer].

La verset a signalé les deux choses les plus importantes dans la vie: les moyens de subsistance et la mort. Les moyens de subsistance, Allah -gloire à Lui- les a assurés pour chaque créature. Il a dit: [C'est Allah qui vous a créés et a pourvu les substances, ensuite Il vous fera mourir puis Il vous ramènera à vie]. Surate 30 "al-Roum" (Les Byzantins) V. 40.

Il s'adresse à son Prophète -b.s.- bien-aimé en ces termes: [Nous ne te demandons point de nourriture: c'est à nous de te nourrir].

Surate 20 "Taha" V. 132

Allah -gloire à Lui- nous montre que les modes de substance sont entre ses mains, ils sont fixés et prédestinés. Allah a dit:
[Et il y a dans le ciel votre subsistance et ce qui vous a été promis].

Surate 51 "al-Zariyat" Oui Eparpillent V. 22.

Quant à la mort et au destin de toutes les créatures, Allah par miséricorde les a caché et en a conservé le secret. Il a dit: [Et personne ne sait dans quelle terre il mourra]

Surate 31 "Luqman" V. 34.

Il nous montre aussi que personne ne peut échapper à la mort, Il nous dit: [Où que vous soyez, la mort vous atteindra, fussiez-vous dans les tours imprenables].

Surate 4 "al-Nissa" Les Femmes V. 78

Allah -gloire à Lui- nous explique que la mort n'est qu'une date remise et que c'est Lui seul qui en fixe le terme, Il nous dit: [Pour chaque communauté il y a un terme. Quand leur terme vient, ils ne peuvent le retarder d'une heure ni le hâter].

Surate 7 "Al-Araf" Les Limbes V. 34

Donc, il ne faut pas que quelqu'un se préoccupe des modes de subsistance ni du destin; car c'est Allah qui en a assumé la charge mais l'homme doit d'abord cherche à améliorer sa relation avec son Seigneur à méditer sur Ses signes et Ses grâces, comme nous le dit ce verset: [Et c'est à Lui que revient l'ordre tout entier. adore - Le donc et place ta confiance en Lui. Ton Seigneur n'est pas inattentif à ce que vous faites].

Surate 17 "Hud" V. 123

En quoi consiste donc la pudeur? Il faut éprouver de la pudeur envers Allah, envers les gens et envers soi - même. En faisant preuve de pudeur envers soi - même l'homme pudique ne commet pas dans sa solitude ce qui le gênerait en présence d'autrui. Le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Soyez pudiques envers Allah comme il convient". Les compagnons répondirent "nous le sommes, qu'Allah soit loué". Le Prophète -b.s.- leur dit: "Ce n'est point cela mais pour être vraiment pudiques devant Allah, gardez-vous de Lui manquer de respect: préservez la tête et tout les pensées qu'elle renferme le ventre et ce qu'il contient... ayez toujours présentes à l'esprit, la mort et la décomposition de votre corps... celui qui recherche la vie future néglige les parures de la vie d'ici - bas et préfère la vie future à la vie présente; celui qui agit ainsi a vraiment fait preuve de devant pudeur son Seigneur".

Hadith rapporté par al-Termizie.

Les savants ont expliqué la sens de la pudeur envers Allah, il ont dit: Allah ne doit pas constater ton absence durant les pratiques religieuses qu'Il a prescrites ni te trouver dans les prohibitions qu'Il a interdites. La tête comporte le visage: réseau de presque tous les sens: vue, ouïe, odorat et goût, elle comporte aussi l'imagination et la mémoire. Le respect des organes de la tête il consiste à ne pas s'occuper de ce qui ne nous regarde pas; ni surveiller les gens, ni les épier à l'aide des yeux, des oreilles, ni signaler leurs défauts avec la langue, ni utiliser à tort ses sens (contrairement à ce à quoi ils sont destinés). Celui qui poursuit les imperfections des gens, ne cessera d'éprouver du chagrin. Allah ne nous a pas tous dotés de nos facultés mentales identiques; donc personne n'a le droit des s'occuper des actes d'autrui qui sont en fait les produits de son intelligence... Le cerveau de chaque homme est complé parmi les grâces qu'Allah lui octroie. Il ne faut pas non plus se préoccuper du lendemain, car, Allah -gloire à Lui- a dit: [Et personne ne sait ce qu'il acquerra demain, et personne ne sait dans quelle terre il mourra].

Surate 31 "Luqman" V. 34.

1) L'intervention du Prophète -b.s.- dans ce cas est une invitation à laisser se développer ce caractère dans l'âme du musulman et à ne pas le contrarier, dût-il se priver de quelques simples droits, car perdre ces droits est plus avantageux pour le musulman que de perdre sa pudeur qui représente une partie de sa foi et la source du bien pour lui.

«La pudeur»

Trad. : Hoda Hussein Chaaraoui

La pudeur c'est le fait de se retenir d'accomplir n'importe quelle action laide, c'est un trait de caractère qui empèche de commettre ce qui peut nous attirer les reproches et les critiques. La pudeur est aussi un trait de caractère inné. Allah - gloire à Lui - nous le suggère par le récit - d'Adam et Eve - lorsqu'ils mangèrent le fruit de l'arbre défendu et que leurs parties intimes leur apparrent dans leur nudité: [Puis, lorsqu'ils eurent goûté de l'arbre, leurs nudités leur devinrent visibles, et ils commencèrent tous deux à y attacher des feuilles du Paradis pour cacher ce qui a été découvert].

Surate 7 "Al-Araf" les Limbes V. 22.

Adam et Even ont caché instinctivement leur nudité, car la pudeur est une qualité inhérente à la foi. Le Prophète -b.s.- dit: "La foi comprend plus de 70 branches - ou plus de 60 - dont la meilleure c'est l'attestation qu'il n'y a de Dieu qu'Allah et la moindre c'est l'action de débarrasser la voie publique de ce qui peut nuire aux autres. La pudeur est l'une des branches de la foi".

Hadith rapporté par al-Bokhary.

Cette qualité, quand elle se développe chez un homme, n'engendre que du bien. Le Prophète -b.s.- a dit: "La pudeur est un bien en tout". Hadith rapporté par al-Bokhary.

Un jour, le Prophète -b.s.- vit en passant, un ançariste en train de reprocher à son frère (à cause de) sa pudeur: "Cesse tes reproches, lui dit-il, la pudeur fait partie de la foi".[1]

Le Prophète avertit sur l'importance de la pudeur; il nous dit: l'un des préceptes de la première prophétie parvenue aux hommes est "celui qui n'a point de pudeur, agit à sa guise".

nous permet de manifester notre indulgence et notre pardon au malade si ce dernier nous a causé du tort lorsqu'il était puissant et despotique.

Ce malade donc vivait dans le lux et l'opulence. Il dépensait largement du trésor public en donnant à ceux qui méritent et à ceux qui ne méritent pas. Puis, lorsqu'il tomba malade et qu'il se trouva sur le point de comparaître devant son Seigneur, il se mit à passer en revue toutes ses actions et à se rappeler de l'argent dont il s'était emparé injustement et de ce qu'il avait dépensé sans raison valable.

Or, cet homme connaissait le mérite de "Abdallah Ibn Omar, sa piété et sa vertu; aussi eut-il recours à lui pour le supplier en ces termes. «N'invoqueras-tu pas Allah afin qu'Il m'accorde Son pardon et la miséricorde? peut-être Allah exaucera-t-il ta prière et pardonnera-t-il» ?

Or Ibn Omar savait que cet homme, au temps où il travaillait n'était un pas usurpateur. Il savait en outre qu'on a point de droit sur les biens des gens que la prodigalité avec les biens d'autrui est un péché et que l'aumône faite avec de l'argent volé n'est point une aumône.

Ibn Omar savait bien cela et il voulait le dire à cet homme afin que ce dernier fasse quelque chose pour se sauver en s'abstenant de commettre le péché après qu'il demande aux hommes pieux d'invoquer Allah en sa faveur. Aussi lui dit-il:
"J'ai entendu le messager d'Allah -b.s.- dire: «Ni la prière sans ablution, ni l'aumône faite par un usurpateur ne sont acceptées.» Or toi tu savais bien ce que tu faisais. Ton salut donc réside dans la restitution des biens à ceux à qui ils reviennent de droit et à effacer les injustices que tu as commises.»

C'est comme s'il lui disait: «Tu souhaites le salut sans emprunter les voies qui y mènent. Or le vaisseau ne peut voguer sur le sol. Il voulait lui dire par là: «Je vais invoquer Allah pour toi, mais il faut que tu saches que les droits des gens ne peuvent être rachetés que par leur restitution et non par les invocations. Restitue donc autant que tu le peux les droits des gens et ne perd pas l'espoir en la miséricorde d'Allah car Allah est le Clément et le Miséricordieux» Commence par te juger toi-même avant d'être jugé par Allah et repens-toi.»

"Nous souhaitons le salut sans emprunter les voies qui y mènent"

par Dr. Rokeya Gabr

Les directives du Prophète Mohammad - à lui bénédiction et salut sont si profondes et si vastes qu'elles n'ont laissé aucun domaine de la vie du musulman sans le traiter avec une profonde sagesse. A travers ses paroles, il prescrit un remède efficace qui nous assure la guérison et le repos de la conscience ainsi que l'approbation d'Allah.

Voici un hadith qui montre comment le prophète Mohammad -b.s.- guide sa communauté.

Selon "Ibn Omar" -qu'Allah soit satisfait de lui- a dit:

"J'ai entendu le Messager d'Allah dire: "Ni la prière sans purification, ni l'aumône faite par un usurpateur ne sont acceptées

(Hadith rapporté par Muslim)

Voici les circonstances dans lesquelles ce hadith fut prononcé:

Abdallah Ibn Omar qui était connu pour sa piété, sa vertu et son souci permanent de suivre à la lettre l'exemple du prophète -b.s. De plus, il s'acquittait parfaitement de son devoir de musulman: il recommandait de faire le bien et interdisait de faire le mal.

Abdallah Ibn Omar se rendit donc auprès d'un mourant car la visit du malade est une "sunna" assurée. En effet le visiteur en tire une leçon lorsqu'il voit la pâleur couvrir le visage jadis épanoui. Les muscles robustes devenir flasques et la tyrannie céder la place à l'humilité. Loué soit celui qui est éternel.

En outre la visite du malade réchauffe le coeur de ce dernier et nous permet de nous acquitter un devoir envers celui qui a des droits sur nous et à qui nous sommes redevables. D'autre part, cette visite

REVUE
AL AZHAR

Vol. 69 part XI

Zu-l-Qeda 1417H., Mar. 1997.

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

"But they killed him not, nor crucified him. Only a likeness of that was shown to them. And those who differ therein are full of doubts, with no (clear) knowledge. But only conjecture to follow, for a surety they killed him not; - Nay, Allah raised him up to Himself; and Allah is Exalted in Power, Wise -"

This is the view of Islam, which is completely different from that of the Jews and that of Christians. He was neither crucified nor killed.

The aim of, this article is to verify this statement from the Holy Qur'an; Verses from the Old Testament and the Bible will be used to support this statement.

The Orthodox Christian Churches make it a cardinal point in their doctrine that his life -Jesus- was taken on the Cross, that he died and was buried, that on the third day he rose in the body with his wounds intact, and walked about and conversed, and ate with his disciples, and was afterwards, taken up bodily to heaven. This is necessary for the theological doctrine of blood sacrifice and vicarious atonement for sins. Islam rejects this view. But some of the early Christian sects did not believe that Christ was killed on the corss. The Basilidans believe that some person was substituted for him. The Docetae held that Christ never had a real physical or natural body, but only an apparent or phantom body and that the crucifixion was only apparent, not real. The Marcionite Gospel (about A.D. 138) denied that Jesus was born, and merely said that he appeared in human form. The Gospel of St. Barnabas supported the theory of substitution on the Cross. The Qur'anic teaching is that Christ was not crucified nor killed by the Jews, notwithstanding certain apparent circumstances, which produced that illusion in the minds of some of his enemies; that dispositions, doubts, and conjectures on such matters are vain; and that he was taken up to Allah*.

(to be continued)

(*) The Holy Qur'an English Tanslation of the meanings and Commentary P. 267-288.

JESUS CHRIST WAS NOT CRUCIFIED

By Dr. Ahmed Shawky Arafa

The belief in the crucifixion of Jesus Christ is an important dogma of the Christians religion. It is the corner-stone of Christianity believe that the Jews killed the Messiah on the corss. This is stated in the Bible.

The Jews believe that they had killed Jesus on the corss. They even boast committing this heinous crime and mockingly say that they have killed Jesus the messenger.

This is clearly stated in the following verses of the Qur'an. These verses also describe several iniquities of which the Jews were guilty. These iniquities incurred divine displeasure as found in verses 4:155-158.

> "(They have incurred divine displeasure): in that they broke their Covenant; that they rejected the Signs of Allah; that they slew the Messengers in defiance of right; that they said: "Our hearts are the wrappings"; -nay, Allah hath set the seal on their hearts for their blasphemy, and little is it they believe; -"

The arrogant Jews of Madina told prophet Muhammad that their hearts are wrapped, so they do not understand what he is telling them. They also claim that all the wisdom and all knowledge of Allah is enclosed in their hearts.

> "That they rejected faith; that they uttered against Mary a grave false charge";

They alleged that she was an adulteress. They also alleged that Jesus was illegitimate.

> "That they said (in boast)," We killed Christ Jesus the son of Mary, the Messenger of Allah";-

The Jews claimed boastfully that they killed the messenger of God. They were also sarcastic as they did not recognize Jesus as a messenger.

nature of its Prophet (Peace be upon him) and holy book, " The Quran". In the author's view the great handicap for the Muslims is their inability and failure to utilize the modern Western mass media particularly we are living in a global village and an immense revolution in media technology represented by the satellite and the internet.

Dr. Akbar Ahmed opines that Western media encourage Muslim orthodoxy through focussing on it and neglecting other fundamentalist group in other religions. thus Islamic fundamentalism became the Western bogeyman.

In conclusion the author calls for building bridges between Islam and the West and insisted that efforts for this end should be exerted from both sides. In his view an important step in this direction is addressing the injustice done towards Bosnians, Palestinians and Kashmiris.

After reading the book and listening to some lectures by Dr. Ahmed, one finds himself in a position not only to appreciate the approach by Dr. Ahmed but also wishes that such ideas could got the greatest chance of publicity world-wide. by doing so a great contribution to redress the distorted image of Islam would be done and the road will be paved towards more cooperation between the Muslims and the West to enable the Muslims to rebuild their societies and to be ushered into the 21st century on solid ground.

one, the author ponders upon the distorted image of Islam in the West and the factors contributing to this, either related to the historical prejudices between the West and the Muslim World or due to the narrow mindedness of some Muslim religious groups towards theological or political issues. The author throws the light

on Gulf War of 1991 and the Imam Khomeni's Fatwa against Suleman Rushdi as examples for certain prejudices between the Muslim and the West. The author contends that the richness and complexity of Islamic culture cannot be judged only by such a Fatwa of Khomeni or the slogans raised by Saddam Hussain in the Gulf War.

He emphasizes that the Islam in itself is the history of ideas and their powers to affect peoples actions and life. He calls for "Un-locking Muslim Society", by saying so he emphasizes that the West should try to understand Islam according to its ideal emanating from the Quran and the life of the Prophet (Peace be upon him) particularly the Islamic ideal is based on the concept of balance and order. The author recognizes that unfortunately the Muslims do not live by the ideal as many of Muslims societies are plagued by anarchy, corruption, nepotism, and tyranny. He calls for correction of concepts such as the Ummah, Jehad, Fatwa, Da'awah and the role of Muslim religious leaders. These concepts have been distorted and misused which led to conflicts in Muslim societies as well as between the Muslim and the West.

The concept of Ummah or community or brotherhood allows ideas to be carried across and generate emotions wherever Muslims live. Jehad is not holy war in fact it means struggle in various forms, physical confrontation is just one form as the great struggle, according to the saying of the Prophet (Peace be upon him) is to be master of our passions and instincts. Fatwa means an opinion or decision on a point of Islamic law by a religious leader but it does not have the status of law. The authority of Fatwa is also restricted to the cultural or geographical boundaries.

In the author's view confrontation between Islam and the West could be avoided and must be avoided as Islam emphasizes co-existence and non-coercion in religion. The Muslims must learn to understand and respect the values of Western society without compromising their own central beliefs and practices. The author advises the West to understand Islam through understanding the

REVIEW OF A BOOK "LIVING ISLAM" BY AKBAR S. AHMED

By Dr. Mohamed Noman Galal

It is a very interesting book written by a Pakistani scholar who is a British national. The book has been telecasted by the BBC series to introduce Islam to the Western public opinion. The book contains more than 230 pages and is divided into six chapters.

The first chapter is an introduction while the second deals with various issues related to Islam·such as the meaning of Islam and the division among the Muslim such as Sunni, Shia and sufi-ism and their role in various Muslim countries.

In the third chapter the author deals with the Islamic societies in an innovative way as he calls it ," The challenges of the past", through an analysis of the history of empires and dynasties such as the Muslim empire in Spain, the Ottoman, the Safavides, the Mughals, as well as the early Arab dynasties. In this chapter the author takes realistic approach in dealing with the divisions in the Muslim world since the early days of Islam and through the ages.

In chapter four the author addresses the dilemma of the Muslim societies today, in modern Turkey, in Iran, in India and deals with the creation of Pakistan and Bangladesh. Moreover, the author addresses the very important topics in the Islamic society, I dare say in modern world, such as the concept of democracy, family and identity.

The author dedicates chapter five to the Muslim minorities in non-Muslim societies either in oriental countries such as India and in Central Asia or in the Western World. He envisages the Muslims in India as people still searching for a destiny. While he characterized Central Asia as Islam Forgotten frontiers.

In chapter six, Dr. Akbar Ahmed addresses the most important question of today, i.e. Islam and the West - confrontation or consensus. In this chapter as well as in the first

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Zu-l-Qeda 1417H.,

Vol. 69 part XI

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـرس

● الافتتاحية (الشهادة للوحدانية)
لفضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب ١٥٧٧
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٥٨٢
● أطفالنا أكبادنا .. تمشى على الأرض (٣)
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٥٨٩
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ١٥٩٣
● من رجال الحديث الشريف
عرض الأستاذ/ أحمد تقى الدين ١٥٩٧
● مجموعة تعريفات ومصطلحات فقهية معاصرة
للدكتور/عبدالعزيز عزت عبدالجليل ١٦٠١
● كفارة القتل (٣)
للدكتور/السيد رضوان محمد جمعة ١٦٠٨
● الحكم الشرعى لعقد التأمين التجارى (١٠)
للدكتور/عبدالله مبروك النجار ١٦٢٠
● أولئك سيرحمهم الله
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٦٣٠
● الأحرف السبعة
تأليف : إسماعيل قراجام ١٦٣٤
● موافقات ليلة القدر
إعداد الأستاذ : مصطفى عبدالمجيد ١٦٣٧
● مجمع البحوث الإسلامية
للدكتور/محمد عبدالحكيم محمد ١٦٤٠
● استفتاءات القراء
للشيخ السيد العراقى شمس الدين ١٦٤٨
● خميلة الشعر :
إعداد وتقديم الأستاذ/ محمد عبدالوهاب . ١٦٥١
● **من فيض النور**
شعر : إبراهيم عيسى ١٦٥٢
● **عتــاب**
للأستاذمحمدعبدالرحمن صان الدين... ١٦٥٣

● من أعلام الأزهر (د . محمد غلاب)
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ١٦٦٠
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦٦٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات ١٦٦٨

● العلوم الكونية ●

● التشريعات الإسلامية لحماية البيئة (٢)
للأستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ١٦٧٢
● الصحة الإنجابية (٩)
للدكتور/أحمد رجائى عبدالحميد ١٦٧٧
● الأمن الفكرى
للأستاذ/عبدالسلام إبراهيم ناصف ١٦٨٠
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د . نجوى السيد أحمد ١٦٨٣

● اللغة والنقد والأدب ●

● الشواهد النحوية بين المتعة
الأدبية والدلالة اللغوية (٧)
للشيخ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ١٦٨٦
● طبقات المحققين والمصححين (١٤)
للأستاذ الدكتور/السيد الجميلى ١٦٩١
● من أنشد لشوقى
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ١٦٩٩
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/عادل رفاعى خفاجة ١٧٠٥
● النشاطات الثقافية والعلمية للأزهر الشريف
لفضيلة الشيخ عمر البسطويسى ١٧١١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٧١٥
● أنباء العالم الإسلامى
للدكتور/حسن على محمد ١٧١٨
● القسم الفرنسى ١٧٢٩
● القسم الإنجليزى ١٧٣٥

ع ٢٢٢٢٦
دوريات

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / على أحمد الخطيب
مدير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله - تعالى - للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين.

حقول الشيطان

..وحقول الشيطان .. هى هذه الأبدان .. أبدان الناس..! وبعد :

فليس لأحد أن يدعى أنه يجهل أمر الشيطان ، ولا ما يبتغيه هذا الشيطان من البشر ؛ فالقرآن الكريم قد أحاط الناس علما بكل ما يتعلق به :

حدثنا عن خَلْقِهِ ، وعن سُخْطِهِ علينا وحِقده ، وسبب نقمته وهدفه ، وليس ذلك كل ما هنالك ، بل أعلمنا - عز وجل - بوسائله المختلفة لتحقيق مأربه الذى يريدُهُ منا .

يحكى المولى - عز وجل - حديث إبليس عن (مادة) خلقِهِ ، وذلك إذ يقول : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾[الأعراف - ١٢] ، وهى « نار السموم » .. أشد النار حرارة ... ولقد تذكرنا هذه الحرارة شيئاً من حرّ الدنيا - مع الفارق - فنحن لا نستطيع - عادة - أن نتقى حَرَّ الجو

بالسهولة التى نتقى بها لسع البرد ، ذلك لأنه يتخلل أجسادنا .. وكذلك الشيطان ينفذ إلى أطواء أبداننا ويجرى فيها مجرى الدم ، فيوسوس بما يشاء كيف يشاء ، وهو على علم وافر بحياة من يُغويه ، وأعماله وصداقاته وأمانيه ، ويلعب بكل ذلك إلا إذا تدارك الإنسان أمره ، واستعاذ بربه .

* * *

وإليك هدفه الذى يحرص بشَرِهٍ مُقِيت على تحقيقه فى الناس ، يوضحه المولى ـ عز وجل ـ لنا حيث يقول : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [**سورة النساء ـ آية : ٦٠** »

أى ضلالا يعسر الخلاص منه إلى الهدى والبراءة ، والاستقامة على الخير .

وهذا الإضلال الذى يريده للناس ـ هو الحقيقة السوداء التى نبه عليها القرآن الكريم أكثر من عشر مرات ، نذكر منها قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف : ٥

وتناسينا هذه الحقيقة .. والطريق للخلاص منها ميسور ، قد مهده ـ سبحانه وتعالى ـ برحمته ؛ فقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. ﴾ فاطر : ٦ ـ ومقتضى ذلك « المعاملة بالمثل » نبادله العداوة لنفصم شره ، ونتقى كيده ، ونستمر على ذلك ؛ لأن حبه للبشر مستحيل ، وعداءه قائم أبدًا ... لكنا لم نعمل ، بل أسرعنا إلى تلبية رغباته نشطين فتساقطنا من آلاف السنين .. فكم من البشر عادى الأنبياء ، وكم منهم من قتل وظلم وعاث وفسد ..؟!

وصَدَّق إبليسُ ظَنَّه ، فتبعه أكثر الناس طائعين ... مختارين فَأَعمل فيهم : مَسَّهُ ، ونَزْغَهُ ، وأَزَّهُ ورِجْسَهُ ، ونَجْوَاه ووعْدَه ، واستهواءَه واستزلالَه .. وما أراد من فحشاء أو منكر .

ولكل ذلك خنع الأتباع ... وقانا الله السوء برحمته !

* * *

ومن حقول الشيطان استثن قلبا ... ثم قلبا ... ثم تَسَّاقَطُ القلوب ، وشَرُّها قلبان :

استثن قلبا خَلَص لله ، فلم يعد للشيطان فيه نصيب ، فقد نُزِع نصيبه منه نزعا ؛ فصاحبه على مناعة تامة من كيد الشيطان .. وذلك قلوب الأنبياء . ولذا كان النبى ﷺ وكل أخوته من الأنبياء ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ لا يقع فى قلوبهم إلا الحق ... إلا الوحى .. إلا الإخلاص ، فإذا حَدَّثوا ... حدَّثوا عن وحى وحق ، وانظر قول إبراهيم لإسماعيل ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ ؟ تجد إجابة إسماعيل تلقائية لا تردد فيها ؛ إذ يعلم أن الرؤيا وحى ، فإنه نبى ، فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الصافات : ١٠٢ .

نبوة يفهم بعضها بعضا ، ليس للشيطان إليها سبيل .

ثم استثن القلب الآخر ... قلب الرقيب .. ليس قلبَ غوِى ولا عربيد .. قلبٌ لا ينسى الله ـ سبحانه ... قد يقع فى الخطأ لكنه سرعان ما يتوب ويجهد فى مراقبة الشيطان ، يسأل ربه : ألا

يتركه لنفسه طرفة عين ، ويستمر يزاول مقاومته ؛ فلا يستطيع الشيطان أن يلقيه فيما يرديه ، ويظل صاحب هذا القلب فى معاناة معه ؛ فلا ينال منه ـ إذا نال ـ إثما فاحشاً ولا استمراراً على خطيئة ... ويستغفر الله صاحبُ هذا القلب فيجد الله غفوراً رحيماً . وهؤلاء هم الذين ليس للشيطان على قلوبهم سلطان يلقيهم فى ذنب تضيق فيه الإنابة ؛ لأنهم دائماً ـ لله توابون ـ فإنهم خاصته من عباده قد هداهم واجتباهم .

ثم بعد هذين القلبين تجد ـ بين يدى الشيطان ـ قلوب العباد :

قلب غَرور ، وقلب مغرور ، وقلب خائن وقلب ظالم ، وقلب جاحد وقلب غادر ، وقلب حاقد ، وقلب حاسد ... قلوب .. وقلوب ... هى حقول الشيطان يبسط عليها سلطانه ، ويسعده أن يقول فيها : هنا ملاعبك .. أفسدها كيف شئت . قوض سعادتها .. اهدم أحلامها .. مزق كيانها ، فقليل منها من ينظر إلى الله ليعلم أن كيدى ضعيف .

★ ★ ★

وأسعد ما يُسعِد الشيطانَ قلبان :

قلب مريض بما يحمل فى كيانه من أهواء .

وقلب قاسٍ يبغض الرحمة ، وينفر من محاسن الأخلاق .

وشرهما هذا القلب الأخير .. ومنه قلب الظالم .. قد اتخذ الشيطان فيه وكره ، فهو كرسى عرشه ، ومستودع كيده . وحسبك من قاسٍ ظلمُهُ ، وحسبك من ظالم أن يحتقر الموعظة ، ويزدرى عدلَ السماء : فى قلبه من البلادة ما يمحو ـ من نفسه ـ نعمة الحياء ، فلا ترد على قلبه حرارة الإنصاف ، ولا تلوذ به روعة الخجل ، ولا يصرخ فى فؤاده غوث الضمير ؛ فإنه قلبٌ قُدَّ من صخر لا تُنَدِّيه الرحمة ، ولا يستمسك به الرجاء . وعادةً ما يكون فى المظلوم شيءٌ مَّا ... ميزة ما تنقص الظالم فيزداد حقدا على المظلوم .

وفى هذين القلبين : المريض والقاسى كانت الآية الكريمة ؛ يقول ـ تعالى :

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سـورة الحج)

فلا غرابة إذن أن يلحق الظالم بإبليس فيما حل به من لعنة ، وتتأكد فى القرآن الكريم ، موضحة أنه لا عذر لظالم مهما استكان إلى عذر أو رَكَن إلى سبب . قال ـ تعالى :

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود : ١٨

وقال ـ سبحانه :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ غافر

ويتوب الله ـ تعالى ـ على من أصلح ما أمكن وتاب .

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال – تعالى – : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

بعد كل هذه الأوامر والنواهى ، وبخهم الله – تعالى – وقرعهم على ارتكابهم لأمور لا تصدر عن عاقل . منها : أنهم يأمرون الناس بالخير ولا يفعلونه .

الأمر : طلب إيجاد الفعل ، والبر : اسم يتناول كل عمل من أعمال الخير . والنسيان : ضد الذكر ، وهو السهو الحادث بعد حصول العلم . والعقل : يطلق على قوة فى النفس ، تستعد بها لقبول العلم . وإدراك الشيء .

والمعنى : كيف يليق بكم يا معشر اليهود ، وأنتم تأمرون الناس بأمهات الفضائل ، وألوان الخيرات ، أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمروا بما تأمرون به غيركم ، وأنتم مع ذلك تقرأون توارتكم ، وتدركون أى عقوبة أليمة لمن يأمر الناس بالخير وينسى نفسه ، أفلا عقل لكم يحبسكم عن هذا السفه الذى ترديتم فيه ، ويحذركم من سوء عاقبته ؟

قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ، ولذى قرابته ، ولمن بينه وبينه صلة من المسلمين اثبت على الذى أنت عليه ، وما يأمرك به هذا الرجل ــ يريدون محمدا ﷺ ــ فإن أمره حق ، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه(١)

والمراد بالنسيان فى الآية الكريمة ، تركهم العمل بما يأمرون به غيرهم ، لأن الناسى حقيقة ليس مؤاخذا على ما نسيه ، فلا يستحق هذا التوبيخ الشديد الوارد فى الآية الكريمة ، وليس التوبيخ متوجها إلى كونهم كانوا يأمرون الناس بالبر ، لأنه فعل محمود ، وإنما التوبيخ متوجه إلى كونهم تركوا العمل بما يرشدون إليه سواهم ، فهم يداوون الناس ، وقلوبهم مليئة بالأمراض والعلل .

وقوله تعالى :

﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾

مزيد تقبيح لشأنهم ، ذلك أن قراءتهم لكتبهم أبطلت اعتذارهم بالجهل الذى قد يتشبث به بعض الفاسقين على أمر الله عندما ينكر الناس عليهم فسوقهم .

وفى قوله تعالى :

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

أسمى أنواع الهداية والإرشاد السليم ، فإن من ألطف الأساليب فى الخطاب والتوجيه ، أن يكون للموجه إليه النصح صفة من شأنها أن تسوقه إلى خير ، ولكنه ينساق إلى غيره من أنواع الشرور فيقع فعله من الناس موقع الدهشة والغرابة ، فيذكر له مُسْدِى النصح تلك الصفة فى معرض الاستفهام ؛ بغية تذكيره بأن ما صدر منه لا يلتقى مع ما عرف عنه .

وتطبيقا لهذا المبدأ نقول : إن المخاطبين بقوله تعالى :

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

يعقلون ويدركون الأشياء ، وبهذا الإدراك توجه إليهم التكليف بالعقائد والشرائع ، ولكنهم لم يسيروا على مقتضى ما لديهم من عقول ، حيث كانوا يأمرون الناس بالخير ، ويصرفون أنفسهم عنه ، فكأنه ــ سبحانه ــ يقول لهم : إن ما أتيتم من أفعال سقيمة . يجعل الناظر إليكم يحكم عليكم بلا أدنى تردد بأنكم لا عقول لكم ، ولا فضيلة لديكم ، وفى هذا الأسلوب ما فيه من الترغيب فى فعل الخير ، والترهيب من فعل الشر .

ولما كانت الأمور التى كلفهم الله بها قبل ذلك فيها مشقة لا يتحملها كل أحد بسهولة . فقد أرشدهم إلى الوسائل التى تقوى عزائمهم ، وتطهر قلوبهم ، وتعالج أمراض نفوسهم فقال تعالى :

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٦٥ ط دار الكتب سنة ١٢٤٥ هـ ١٩٢٥ م .

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦ ﴾ .

قوله تعالى :

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

الاستعانة : طلب المعونة ، والصبر حبس النفس على ما تكره يقال : صَبَّرَ على الطاعة أى حبس نفسه عليها متحملا ما يلاقيه فى أدائها من مشاق ، وصَبَّرَ عن المعصية . أى كف نفسه عما تنزع إليه من أهواء .

والمعنى : واستعينوا على ترك ما تحبون من شهوات الدنيا ، والدخول فيما تستثقله نفوسكم من قبول الاسلام ، والتقيد بتكاليفه بفضيلة الصبر التى تحجز أنفسكم من غشيان الموبقات ، وبفريضة الصلاة التى تنهاكم عن الفحشاء والمنكر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾

كبيرة : أى صعبة شاقة . يقال كبر الشيء إذا شق وثقل ، ومنه قوله تعالى :

﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ الشورى — ١٣

أى ثقل وصعب .

والخاشعين : من الخشوع ، وهو فى الأصل : اللين والسهولة » ومعناه فى الآية الكريمة : الخضوع والاستكانة لله — تعالى ، والضمير فى — إنها — للصلاة لعظيم شأنها واستجماعها لضروب من الصبر ، والاستثناء مفرغ . أى كبيرة على كل الناس إلا على الخاشعين .

والمعنى : إن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين المخبتين المتطامنة قلوبهم وجوارحهم لله — تعالى ، لأنهم موقنون أنها من أهم وسائل الفلاح فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة ، ولأنهم يجدون عند أدائها اغتباطا وسرورا يجعل نفوسهم تنشط إليها كلما حل وقتها بهمة وإخلاص .

قال الإمام الرازى : « فإن قيل : إن كانت ثقيلة على هؤلاء سهلة على الخاشعين ، فيجب أن يكون ثوابهم أكثر ، وثواب الخاشع أقل ، وذلك منكر من القول ؟ قلنا : ليس المراد أن الذى يلحقهم من التعب أكثر مما يلحق الخاشع . وكيف يكون ذلك ، والخاشع يستعمل فى الصلاة جوارحه وقلبه ، ولا يغفل فيها ، وإذا كان هذا فعل الخاشع فالثقل عليه بفعل الصلاة أعظم ، وإنما المراد بقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾

أى ثقيلة على غير الخاشع ، لأنه لا يعتقد فى فعلها ثوابا ، ولا فى تركها عقابا ، فيصعب عليه فعلها ، فالحاصل : أن الملحد لاعتقاده عدم المنفعة فى أدائها ثقل عليه فعلها ؛ لأن الاشتغال بما لا فائدة فيه يثقل على الطبع ، أما الموحد فلما اعتقد فى فعلها أعظم المنافع ، وفى تركها أكبر المضار ،

لم يثقل عليه أداؤها . بل أداها وهو سعيد بها ، ألا ترى إلى قول الرسول ﷺ : « جعلت قرة عينى فى الصلاة »(٢) وصفها بذلك لأنها كانت لا تثقل عليه .

ثم وصف ــ سبحانه ــ الخاشعين وصفا يناسب المقام ، ويظهر وه الاستعانة ، فقال ــ تعالى ــ

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

الظن : يرد فى أكثر الكلام بمعنى الاعتقاد الراجح ، وهو ما يتجاوز مرتبة الشك ، وقد يقوى حتى يصل إلى مرتبة اليقين والقطع ، وهو المراد هنا ، ومثل ذلك قوله ــ تعالى ــ

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾ المطففين

أى ألا يعتقد أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . وقوله تعالى :

﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ الحاقة ــ ٢٠ ــ

أى علمت أنى ملاق حسابيه .

وملاقاة الخاشعين لربهم معناها الحشر إليه بعد الموت ، ومجازاتهم على ما قدموا من عمل .

والمعنى : إن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين ، الذين يعتقدون لقاء الله ــ تعالى ــ يوم الحساب ، وأنهم عائدون إليه لينالوا ما يستحقونه من جزاء على حسب أعمالهم .

قال ابن جرير ــ مرجحا أن المراد بالظن هنا العلم واليقين ــ :

« إن قال لنا قائل : وكيف أخبر الله ــ تعالى ــ عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه يظن أنه ملاقيه ، والظن شك ، والشاك فى لقاء الله كافر ؟

قيل له : إن العرب قد تسمى اليقين ظنا : والشك ظنا ، نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة ، والمغيث صارخا ، والمستغيث صارخا ، وما أشبه ذلك من الأسماء التى يسمى بها الشىء وضده ، ومما يدل على أنه يسمى به اليقين ، قول دريد بن الصمة :

« فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج ..» يعنى بذلك : تيقنوا أن ألفى مدجج تأتيكم .

ثم قال : والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن فى معنى اليقين أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكرنا لمن وفق فى فهمه كفاية ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ الكهف ــ ٥٣ ــ

وعن مجاهد قال : « كل ظن فى القرآن فهو علم »(٣) .

---

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٢٨٥ .

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٢٦٢ .

والذين قالوا : إن الظن هنا على معناه الحقيقى ، وهو الاعتقاد الراجح ، فسروا « ملاقاة الخاشعين لربهم » بمعنى قربهم من رضاه يوم القيامة « ورجوعهم إليه » بمعنى حلولهم بجواره الطيب ، واستقرارهم فى جناته .

أى : وإن الصلاة لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يتوقعون قربهم من ربهم ، ودخولهم جناته عند رجوعهم إليه .

وإلى هذا التفسير ذهب صاحب الكشاف ، فقد قال :

« فإن قلت : مالها لم تثقل على الخاشعين ، والخشوع فى نفسه مما يثقل ؟

قلت : لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم . ألا ترى إلى قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾

أى يتوقعون لقاء ثوابه ، ونيل ما عنده ويطمعون فيه » .(٤)

وإنما كان شعور الخاشعين بذلك كله ظنا لا يقينا ، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب ، ففى وصفهم بأنهم ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ إشارة إلى خوفهم ، وعدم أمنهم مكر الله ــ تعالى ــ وهكذا يكون المؤمن دائما بين الخوف والرجاء .

ومن هذا العرض لمعنى الآية الكريمة يتبين لنا ، أن من فسر الظن هنا بمعنى اليقين والعلم ، يرى أن لقاء الخاشعين لله معناه : الحشر بعد الموت ، ورجوعهم إليه معناه : مجازاتهم على أعمالهم . والحشر والمجازاة يعتقد صحتهما الخاشعون اعتقادا جازما .

أما من فسر الظن هنا بمعنى الاعتقاد الراجح ، فيرى أن لقاء الخاشعين لله معناه توقعهم لقاء ثوابه ، ورجوعهم إليه معناه ظفرهم بجناته ، وتوقع الثواب والظفر بالجنات يرجح الخاشعون حصولهما ، لأن مرجعهما إلى فضل الله وحده .

والذى نراه أن الرأى الأول أكثر اتساقا مع ظاهر معنى الآية الكريمة وبه قال قدماء المفسرين ، كمجاهد وأبى العالية وغيرهما .

(يتبع)

---

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣٤

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض

الثمرة الطيبة

الجزء الأخير

لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون

العلاقة بين الرجل والمرأة والميل الطبيعي بينهما أمر فطرى اقتضته الحكمة الإلهية فى إطار النظام الكونى البديع المتناسق الذى وزعت فيه الوظائف وأنماط التسخير المتعددة لصالح تكامل الحياة على اليابسة ، ليتسنى لآدم وأولاده من بعده أن يقوموا بما كُلفوا به ، وينهضوا بالأعباء التى أشار إليها نبى الله صالح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فى إيجاز بليغ معجز : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١]

فهى أعباء باطنة وظاهرة ، روحية نفسية ومادية عملية ، ومن خلال هذه العلاقة التى تتم عن طريق الزواج الشرعى يتم التكاثر ، ويبقى النوع إلى الآماد المقدَّرة فى لوح القدر :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الحجرات

وإن هذا التعدد بين الشعوب والقبائل ، واختلاف السمات وتنوع الملامح والقدرات والهبات داعية إلى التآلف والتعارف ، لا إلى التناكر والتناحر : « **لتعارفوا** » ذلك أن التعاون أمر تفرضه حاجات الإنسان وضرورات حياته ، ومنذ قديم الزمان وهذا التعاون قائم من أجل تبادل الخيرات والبركات ، ونقل الخبرات من بيئة إلى أخرى ، وقد نما هذا التعاون على مرّ السنين ، وكرّ الأعوام ، حتى صار فى زماننا أمراً ملموساً للكبير والصغير ، والحاضر والبادى ، والدانى والبعيد ، ففى عمُق أفريقيا مثلًا نجد المنسوج اليابانى والبريطانى والفرنسى وغير ذلك ، كما نجد خطوط الانتاج المجلوبة من أقصى الشرق والغرب ، وحتى فى مجال المأكولات المحفوظة والطازجة مما يمكن الإنسان من تحقيق التكامل المنشود لسد حاجاته ، وكما يقول المثل العربى :

فالناس للناس من بدو ومن حضر
بعض لبعض وإن لم يشعروا خَدَمُ

وتلك حكمة عالية ، وعبرة نافذة ، وإن البقاء والنماء للأصلح ، ومن كان أتقى قلباً ، وأنقى باطناً ، وأقوم طريقاً وأهدى وأرشد ، فهو القوة التى تبنى ولا تهدم ، وتجمع ولا تفرق ، وترشد ولا تضلل ، فإنه يجب على أهل الدين الحق أن يكونوا منارات على طريق الحياة يمدون شجرتها بالعناصر الحية التى تجعلها أكثر صلاحية ، وأعظم نفعاً ، وأكثر خيراً ، وتكسبها رونقاً وجمالًا وبهاءً ، بحيث يتفيأ الإنسان ظلالها الرحيمة فى أمن وسكينة ورضى .

الأســـاس :

إن الأساس الذى تتكون منه الشعوب والقبائل هو « الأسرة » إذ الشعب هو الجمع العظيم المنتسب إلى أصل واحد ، و« الشعب » : يجمع القبائل ، و« القبيلة » تكوينها من « العمائر » و« العمارة » تتألف من البطون ، و« البطن » يضم بين جناحيه الأفخاذ ، و« الفخذ » يتكون من الفصائل ، و« الفصيلة » هو ما اصطلح على تسميتها : بالأسرة الصغيرة التى تجمع بين جناحيها : الأب والأم وأولادهما ، وهـــؤلاء يكونون فى المعتاد فى إطار أسرة أكبر ، تتكون من عدد من الأفراد أو الأسر الصَغيرة التى تجمع الأعمام وأولاد الأعمام ، والإخوة وأولادهم ممن ينتسبون إلى جدّ واحد يحتويهم تحت اسمه ، وقد تسمى الأسرة أيضاً بالعائلة .

وللتوضيح بمثال : فإن أولاد العباس عم النبى ﷺ « فصيلة العباس » وهم جزء من « فَخذ » هم « بنو هاشم » ، وهـــؤلاء من « بطن » جدُّهم « قصّى » الذين هم جزء من « عمارة » هى : « قريش » وقريش إحدى قبائل « كنانة » و« كنانة » من شعب « خزيمة » .

ولا شك أن هذا التقسيم ونحوه إنما تم التوفيق إليه لتظل حلقات السلسلة مترابطة ، والملامح الخاصة بكل شعب وما تفرع منه بينة واضحة ، وبذلك يحفظ التاريخ البشرى نقاوته مادامت بداية الأساس سليمة .

التكوين وعناية الإسلام به :

الاختيـــار :

رغب الإسلام فى الزواج وحث الشباب القادر على أعبائه على المبادرة لما فى ذلك من المنافع والمصالح الجمة التى تعود على الفرد والجماعة ،

وفى الحديث المتفق عليه يقول عبد الله بن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » .

والباءة : تعنى القدرة على أعباء الزواج ، بحسب الوسط والزمن مع الطاقة اللائقة به .

والوجاء : تمثيل للعفة التى هى ثمرة لضبط النفس والاعتدال وقوة إرادة المؤمن التى ينميها الصوم والإمساك عن المفطرات مع ما فى العبادة من تعويد على المراقبة والملاحظة ، وهو فى أصله : الخِصَاء وقد شُبّه الصوم فى تعويد صاحبه على ضبط شهواته ودفعها عند الحاجة لوقاية نفسه بالخِصاء الذى يمنع صاحبه ويحول بينه وبين « الوقاع » .

ومع حث الإسلام على الزواج جاء نهيه عن الرهبنة نهياً قاطعاً وجازماً مادامت القدرة على الباءة متوافرة ، فعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالباءة ، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، ويقول : « **تزوجوا الولود الودود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** » [أخرجه أحمد وصححه ابن حبان] .

والتبتل : أصله القطع والمراد الانقطاع للعبادة وترك الزواج لهذا .

ثم انظر إلى حرص الإسلام على حسن اختيار الزوجة بأن تكون ممن يتوقع منها كثرة الولادة وذلك يكون فى المعتاد بالنظر إلى حال قرابتها ونحو ذلك وبأن تكون « ودوداً » أى مُحبَّبة بكثرة ما هى عليه من خصال طيبة وحسن خلق ، وحياء ، ومن بيئة مستورة الحال تعين على طاعة الله .

وحسن الاختيار له ثمراته الطيبة :

وإن الاجتهاد فى حسن اختيار الزوجة يساعد كثيراً على تجنيب النسل الصفات الوراثية السيئة من الناحيتين البدنية والنفسية ؛ لذا أكد الإسلام على تحرّى الخلق الكريم والبيئة الصالحة فى ضوء هداية الإسلام والتدين والتوجهات الطيبة لديها ولدى أسرتها ، ونرى هذا واضحاً فى الحديث الذى رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » [متفق عليه] .

والحسب : المراد به الفعل الجميل للرجل وآبائه .

وتربت يداك : معناه فى الأصل : التصقت بالتراب من الفقر ، ولكنها جاءت فى كلام العرب على صورة الدعاء ، ولا يراد بها الدعاء ؛ ولكن يراد الحث والتحريض .

توجيه نبوى كريم إلى تحرّى الدين عند اختيار الشاب شريكة حياته ؛ إذْ الداعى إلى الزواج عند الرجل أحد هذه الأربع : الثراء ، وعراقة الأصل ، والنسب ، وكذلك الجمال ، وآخرها : الدين كما هو مشاهد من أحوال الناس ؛ فوجه الرسول ﷺ الهمم إلى جعل الدين والصلاح فى أعلى قائمة المرجّحات لاختيار الزوجة ؛ فإذا وجدوا ذات الدين كان خيراً وبركة ؛ لأن الزواج سكن وسكينة وهو السبيل لإنجاب الذرية التى تحظى من ذوى العقل والحكمة بالعناية والرعاية وتهيئة المناخ الصالح لنموها على أفضل وجه ممكن ، فإذا توافر مع الدين المال ، أو الجمال ، أو الحسب

فيها وَنِعْمَتْ ، وإذا توافرت الأسباب كلها كان فضلًا من الله وإحساناً .

وفى إطار التأكيد على قصد اختيار ذات الدين جاء بيان ما قد يوقع المرء فى مشاكل سوء الاختيار إذا غفل عن البحث على هذا الجانب أولًا .

ففى حديث ابن عمر عند البزار وابن ماجة والبيهقى : « **لاتنكحوا النساء لحسنهن فلعله يُرْدِيهن ، ولا لمالهن فلعله يُطغيهن ، وانكحوهن للدين ولأَمَةٌ سوداء خرقاء ذات دين أفضل** » .

صفة المحَبَّة غى هذا المجال :

وإذا وفق الإنسان للمرأة التى تُعنى بنفسها وتسر زوجها إذا نظر إليها ، وتكون مطيعة سمحة سهلة فى معاملة زوجها ، أمينة على نفسها وعلى ماله وماها ؛ كان ذلك أدعى إلى استقرار الحياة الزوجية ، وسبباً قوياً فى تثبيت أركان الأسرة ، وفى حديث أبى هريرة عند النسائى : « قيل : **يارسول الله ، أى النساء خير ؟ قال : التى تسره إن نظر إليها ، وتطيعه إن أمرها ، ولا تخالفه فى نفسها وماها بما يكره** » .

العناية بتربية الفتيات :

إن الزوجة هى سِرُّ زوجها وضجيعته ، وأم أولاده ، والأمينة على المنزل والمال ، فتوجيه الجهود إلى حسن تربية الفتيات منذ نشأتهن ، وتوجيههن الوجهة الصالحة ، وتعويدهن على أداء العبادات ، وتنمية الوازع الدينى فى نفوسهن وتبصيرهن بأوامره ونواهيه يعطى أعظم الثمرات ؛ لأن المرأة قوام أساسىٌّ فى بناء الأسرة ، وإذا صلحت الأسرة عزّت الأمة ، وازدهرت ، وقوى جانبها .

لهذا جاء الحث على حسن رعاية البنات ، والقيام بتربيتهن على أفضل وجه ، والترغيب فى الرفق بهن .والصبر على التوجيه والإحاطة بكل صنوف الإحسان حتى تستغنى البنت عن بيت أبيها أو أخيها بزوج تنفرد معه بتكوين أسرة جديدة ، وقد عقد الإمام البخارى باباً « الأدب المفرد » تحت عنوان : « **باب من عال جاريتين أو واحدة** » وفيه عن عقبة بن عامر – رضى الله عنه – أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له ثلاث بنات وصبر عليهن ، وكساهن من جِدَتِه ، كن له حجاباً من النار » وأخرجه أيضاً ابن حبان وأحمد .

وفيه تأكيد حق البنات فى الرعاية والصيانة والتوجيه وفق مرامى الشريعة وآدابها ، فهن ولا شك يحتجن إلى قدر زائد فى مجال التربية والرعاية عن الذكور حتى تصير البنت مهيأة للقيام بدورها على الوجه المرغوب ، فاهمة لواجباتها ، مدركة لوظيفتها ، وبذلك ينال المربى المؤمن هذا الثواب العظيم ، وهو النجاة من النار والفوز بجنات النعيم .

وفى الحديث الذى رواه ابن عباس : « **ما من مسلم تدركه ابنتان ، فيحسن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة** » وإحسان الصحبة إنما يتم بالرعاية ، والرحمة ، والصبر على التربية والتوجيه ، وجاء مثله عن جابر بن عبد الله وفيه يؤويهن ويكفيهن ، ويرحمهن ، فقد وجبت له الجنة ألبتة ، فقال رجل من القوم : وثنتين يارسول الله ، قال : « **وثنتين** » .

وزاد أحمد : فرأى القوم أن لو قال « وواحدة » لقال : واحدة .

وفى رواية أبى سعيد الخدرى جاء الترغيب للآباء والإخوة فى الإحسان إلى البنات ، وفيه « **لا يكون لأحد ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات ، فيحسن إليهن إلا دخل الجنة** » زاد بعض الرواة : « أو بنتان أو أختان » .

وقد جاء فى الحكمة على لسان « نمير بن أوس » قاضى دمشق فى عهد هشام بن عبد الملك : « **الصلاح من الله ، والأدب من الآباء** » أى : الصلاح من عطية الله وبتوفيق منه ـ سبحانه ـ وهذا هو الحق ، لكن لا يتغافل الآباء عن الأخذ بالأسباب ، ولا يتوانى الآباء ما وسعهم الجهد فى أدب الأبناء وحسن تربية البنين والبنات .

وأصاب الشاعر الحكيم المعاصر فى التعبير عن مقاصد هذا الأمر :

الأم مدرسة إذا أعـــــددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

إن تهيئة الفتاة بالتربية السليمة ، وتجميلها بمحاسن الآداب ، ومعرفة الحقوق والواجبات ، وتقوية الوازع الدينى فى نفسها ، أمر يوجبه الإسلام لما للأنثى من دور مهم فى بناء الحياة وتقويم أجيال صالحة للنهوض بالتبعات .

مثل للتوضيح :

ومع توجيه الرسول ﷺ باختيار ذات الدين فإنه ﷺ حذر من التسرع انجذاباً بالجمال الذى يمكن أن يحمل جراثيم نفسية وخلقية من حياة بعيدة عن السلامة والصحة والاستقامة المطلوبة لأهل الإسلام ، ففى الحديث الذى رواه أبو سعيد جاء : « **إياكم وخضراء الدِّمَن** » قيل : يارسول الله ، وماذا ؟ قال : « **المرأة الحسناء فى المنبت السوء** » قال ابن عدى : تفرد به الواقدى واللفظ فى « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » للإمام القسطلانى قال : ومعناه : أنه كره نكاح الفاسد ، وقال : إن أعراق السوء تنزع أولادها .

أما تفسير المثل الذى ضربه فى الحديث للمرأة الحسناء التى رُبت تربية فاسدة ، فى بيئة غير مواتية : فهو أن الريح تجمع الدمن وهى : البعَرُ فى البقعة من الأرض ، ثم يركبُه السافى ـ أى التراب ـ فإذا أصابه المطرُ أنبت نباتاً غضاً ناعماً جميلا يهتز وتحته الأصل الخبيث ، فيكون ظاهرة حسناً وباطنه قبيحاً فاسداً .

والدمن : جمع دمنة وهى البعرة .

وفى هذا الإطار جاءت الآثار بتوضيح هذا الأمر لينشأ الأطفال من بيئة طيبة تؤتى ثماراً حسنة ، ومن ذلك :

« **تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم** » .

و« **انظر فى أى نصاب تضع ولَدَك فإن العرق دساس** » .

وبالنسبة للخاطب جاء قوله ﷺ : « **إذا أتاكم من ترضَوْن خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** » رواه ابن ماجة ٦٣٣/١ .

فانظر هذا التكامل والنظرة الشاملة من أجل أجيال صالحة .

ما أحوج الناسَ إلى رحمة الإسلام ونظمه للحياة من أجل استقرار الإنسان ، وأمنه ، وسكينته ، والحفاظ على تاريخ كل شعب نقياً واضحاً لتزدهر حياة البشر ، وتنمو فى الطريق الصحيح .

قبس من أنوار النبوة

من فقه الحديث في حجة الوداع

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

.. قال عطاء حدثني جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ أنه حج مع رسول الله ﷺ عام ساق الهدي معه وقد أهلوا بالحج مفردا فقال: رسول الله ﷺ أحلوا من إحرامكم فطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا حلالاً حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج ، واجعلوا التي قدمتم بها متعة قالوا : كيف نجعلها وقد سمينا الحج ، قال : افعلوا ما آمركم به ، فإني لولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله ففعلوا » .

رواه مسلم شرح النووي جـ ٨ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

الحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام ، وهو رحلة روحية ، وعبادة بدنية ومالية فرضها الله على من استطاع فى العمر مرة واحدة .

وعندما علم الناس بعزمه ﷺ على الحج وتسامعوا بأن النبى – عليه الصلاة والسلام – سوف يحج أقبلوا من حول المدينة فى أعداد وفيرة . وكلهم يلتمس أن يكون فى معية رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة . يأتم برسول الله – عليه الصلاة والسلام – ويعمل مثل عمله فى أداء مناسك الحج .

وها هو أحد أعلام الصحابة – جابر بن عبدالله – رضى الله عنه وعنهم أجمعين – يخبر عن حجة رسول الله ﷺ ، فقال – كما جاء فى صحيح مسلم وشرح النووى:إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين [1] لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله ؛ فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ؛ فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ :كيف أصنع ، قال : « اغتسلى واستثفرى [2] بثوب وأحرمى » قال النووى : فيه استحباب غسل النفساء – وكذا الحائض للإحرام . غير أنها لا تطوف بالبيت إلا بعد الطهر .

« فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء [3] حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدّ بصرى بين يده من راكب وماشٍ ، وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شىء عملنا به . فأهل – أى رفع صوته بالتلبية – بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأهل الناس بهذا الذى يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته » .

قال النووى : قال القاضى عياض – رحمه الله تعالى – : فيه إشارة إلى ما روى عن زيادة الناس فى التلبية من الثناء والذكر ، كما روى فى ذلك عن عمر – رضى الله عنه – أنه كان يزيد لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك .

وعن ابن عمر – رضى الله عنه – : لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل .

وعن أنس – رضى الله عنه – : لبيك حقا تعبدا ورقا . قال القاضى : قال أكثر العلماء :

---

(١) أى : بالمدينة بعد الهجرة .

(٢) الاستثفار : أن تشد المرأة فى وسطها شيئا ، وتجعل خرقة على محل الدم ، لمنع سيلان الدم .

(٣) ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

المستحب : الاقتصار على تلبية رسول الله - صلى الله علية وسلم - وبه قال مالك والشافعى .

قال جابر - رضى الله عنه : لسنا ننوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة :

قال النووى : فيه دليل لمن قال بترجيح الإفراد :

« حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا » .

قال النووى :

فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك .

وفيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفات يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه .

وفيه أن الطواف سبع طوافات .

وفيه أن السنة أيضا : الرمل فى الثلاث الأول ويمشى على عادته فى الأربع الأخيرة .

قال العلماء : الرمل هو أسرع المشى مع تقارب الخطا وهو الخبب .

قال أصحابنا : ولا يستحب الرمل إلا فى طواف واحدة والاضطباع سنة فى الطواف الذى فيه رمل . وقد صح فيه الحديث فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما ، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه .

« ثم نفذ ﷺ إلى مقام إبراهيم - عليه السلام - فقرأ :

و﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ .

سورة البقرة - آية : ١٢٥

فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان أبى يقول : « ولا أعلمه ذكر إلا عن النبى ﷺ » كان يقرأ فى الركعتين :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾

قال النووى : معناه قرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾

وفى الركعة الثانية بعد الفاتحة :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

« ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا » قال النووى :

فيه دلالة لما قاله الشافعى وغيره من العلماء : أنه يستحب للطائف طواف القدوم - إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام - أن يعود إلى الحجر الأسود فيستلمه ثم يخرج من باب الصفا ليسعى والاستلام سنة لو تركه لم يلزمه دم » . « فلما دنا من الصفا قرأ » .

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

سورة البقرة - اية ١٥٨

أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك ، مثل ذلك ثلاث مرات » .

قال النووى : فى هذا اللفظ أنواع من المناسك :

منها : أن السعى يشترط فيه أن يبدأ من الصفا ، وبع قال مالك والشافعى والجمهور ..

ومنها : أنه ينبغى أن يرقى على الصفا والمروة . قال أصحابنا : هو سنة ليس بشرط ولا واجب فلو تركه صح سعيه ..

وفيها أنه : يسن أن يقف على الصفا مستقبل القبلة ويذكر الله بهذا الذكر المذكور ثلاث مرات « ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا » ، وسعى بمعنى رمل ـ وهذا السعى مستحب فى كل مرة من السبع ، وإذا سعى فى الجميع أو مشى أجزأه وفاتته الفضيلة وهذا مذهب الشافعى وموافقته . وعن مالك فيمن ترك السعى الشديد فى موضعه روايتان :

إحداهما كما ذكر ، والثانية تجب عليه إعادته . ومن السنة الذكر والدعاء والرقى على المروة ، وفى الذهاب من الصفاء إلى المروة حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم : ألعامنا هذا أم لأبد ؟ ، فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين .لا بل لأبدٍ أبدٍ » .

قال النووى : « دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لأبدٍ أبدٍ قال : اختلف العلماء فى معناه على أقوال : أصحها وبه قال جمهورهم . معناه أن العمرة يجوز فعلها فى أشهر الحج إلى يوم القيامة ، والمقصود به بيان إبطال ما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة فى أشهر الحج .... » .

« وقدم علىّ من اليمن بِبُدْنِ النبى ﷺ . فوجد فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ممن حل ولبست ثيابا صَبيغا واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : إن أبى أمرنى بهذا ، فكان علىّ يقول ـ بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشا على فاطمة للذى صنعت مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال : صدَقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إنى أهل بما أهل به رسولك قال : فإن معى الهدى فلا تحل . قال فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به النبى ﷺ مائة . قال : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى ﷺ ومن كان معه هدى » .

« فلما كان يوم التروية » هو اليوم الثامن من ذى الحجة « توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس » .

قال النووى : فيه بيان سنن :

إحداها أن الركوب فى هذه المواطن أفضل .

الثانية : أن يصلى بمنى هذه الصلوات الخمس .

والثالثة : أن يبيت بمنى هذه الليلة وهى ليلة التاسع من ذى الحجة ، فلو تركه لا دم عليه بالإجماع .

ومن السنة أن لا يخرجوا من منى حتى تطلع الشمس .

« وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة » .

قال النووى : فيه استحباب النزول بنمرة ؛ لأن السنة أن لا يدخلوا عرفة إلا بعد زوال الشمس وبعد صلاتى الظهر والعصر جمعا . وفيه جواز الاستظلال للمحرم بقبة وغيرها .

« فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية . فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى زاغت الشمس ، أمر بالقصواء فرحلت له ـ أى جعل عليها الرحل ـ فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا . ابن ربيعة بن الحارث ـ كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هزيل ، وربا الجاهلية موضوع ـ باطل ـ وأول ربا أضع رِبَانا .. رِبَا عباس بن عبدالمطلب ، فإنه موضوع كله ؛ فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مُبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : بأصبعه السبابة ـ يقلبها ويرددها إلى الناس ـ « يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس : اللهم فاشهد . ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا » .

قال النووى :

فيه أنه يشرع الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم ، وقد أجمعت الأمة عليه ، واختلفوا فى سببه ، فقيل : بسبب النسك وهو مذهب أبى حنيفة .. وقال أكثر أصحاب الشافعى : هو بسبب السفر .

« ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل (حبل) بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه . وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب . مورك رحله ، ويقول ـ بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة[4] ـ أى الزموا السكينة وهى الرفق والطمأنينة .

« كلما أتى حبلا ـ مجتمعا ـ من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا . ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة . ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن ـ جمع ظعينة وهى البعير عليه المرأة ـ « يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول

الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن مُحَسِّرٍ فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها . مثل حصى الخزف رمى من بطن الوادى ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه فى هديه » .

وكان هدى النبى ﷺ فى تلك السنة مائة بدنة – ومعنى غبر أى بقى .

« ثم أمر من كل بدنة ببضعة » أى قطعة « فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال : انزعوا بنى عبدالمطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلوا فشرب منه » أى طاف بالبيت طواف الإفاضة ثم صلى الظهر ، وهذا الطواف يقال له طواف الزيارة .

ثم كان الحلق بعد النحر ومن بعده حل له كل ما حرم عليه بالإحرام .

وأما إذا رمى جمرة العقبة ولم يطف فإنه يحل له كل شىء ما عدا النساء . فأعمال يوم النحر : الرمى ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف بالبيت . ولو قدم نسكا على آخر فلا شىء عليه عند أكثر أهل العلم .

فما سئل النبى عن شىء قدم ولا أخر إلا قال : أفعل ولا حرج . وذهب أبوحنيفة إلى أنه إن لم يراع الترتيب .. فعليه دم ، وقوله ولا حرج لرفع الإثم دون الفدية ..

جاء فى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له – عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه ﷺ : قال : « إنك إذا خرجت من بيتك تؤم – تقصد – البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة . وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل – عليه السلام – وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة . وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط – تنزل رحمته – إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها . أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم لهم . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات .. وأما نحرك فمدخور لك عند ربك . وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة . وأما طوافك بالبيت بعد ذلك تطوف ولا ذنب لك يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : أعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى » .

هذه حجة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – تتضح فيها جميع مناسك الحج ، وشعائره ، من فرائض ، وسنن ، ومستحبات . فى يسر وسهولة من أداها بإخلاص نية ، ونفقته من حلال ، ولم يزاحم وتجنب الرفث والفسوق والجدال ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه . والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله جنود السماوات والأرض

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

سنة إلهية بثها الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فى كل الكائنات لِيَعْلَم الطغاة من البشر أن لهذا الكون إلها واحدا يدبر أمره ، ويُصَرِّف شئونه ، بمقتضى قدرته ، وتبعا لمشيئته ، وأنه لا دخل للقوانين المادية ، إن اقتضت إرادة البارى أمراً يرى فيه ـ عز وجل ـ صلاحَ شئون عباده ، ويتم ذلك : إما بحرمانهم من نعمة ألفوها وتوهموا بقاءها فى أيديهم . وإما بأن يخصهم بنعمة كانوا لحيازتها من القانطين . ولا يحتاج الأمر منا أن نُذَكِّر بمعجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء والصالحين الذين خرَقَ الله لهم نواميس الطبيعة ؛ تأييدا وتعضيدا ، فتلك أمور أيقنت بصدقها القلوب ، وأثمرت حقيقتها فى الألباب عقيدة إيمانية خالطت بشاشتها الأرواح .

ولكن جولة فى كون الله الفسيح ، وما بث فيه من آيات تجعل المؤمن يهتف من أعماقه : حقا

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الفتح (٧)

والجولة تأخذنا إلى أمريكا ، تلك البوتقة التى حَوَتْ من الغرائب ما يفوق الخيال المجَنَّح .

فلوريدا والمخلوقات الغريبة :

فى ولاية فلوريدا ـ ذلك المِرْجَل الذى يَغَصُّ بكل صاحب ـ تتجلى هذه السنة الكونية ، حيث يتفاقم الوضع هناك ، عاما بعد عام ، بقدوم المخلوقات الغريبة ، وتدفق الكائنات العجيبة من حيوانات غريبة الأطوار ، إلى حشرات شاذة الطباع ، إلى نباتات غير مألوفة ، ملأت أنحاء ولاية (الشمس الساطعة) إما مصادفة أو عمدا ، وأفلت زمامها ، وواتَتْها الظروف المناخية الملائمة ، فهاجت وماجت .

فعلى مدى السنوات الماضية كانت هجرة البشر إلى فلوريدا ، تسير بمعدل ألف شخص فى الأسبوع ، لكن هجرة الحيوانات ، والحشرات ، والنباتات ، فاقت كل التصورات ، مما جعل الولاية أشبه بحديقة حيوان ، أو متحف طبيعى للكائنات الحية ، منها بمكان يليق بِسُكنى الإنسان .

فمن (الصراصير الطيارة) إلى تلك (الفحاحة) ومن (الضفادع السامة) إلى (سمكة القط الراجلة) إلى أنواع (النمل الأبيض) آكل المعادن إلى (الذئب الأمريكى) وانتهاء بـ (الأشجار المتوحشة) التى تخنق كل كائن حى يقع فى مرماها .

إن استقدام واستزراع بعض النباتات الضارة ، تتضاءل أهميته ، وتضمحل ، إذا ما قورنت بهذه المخلوقات .

نباتات غير مرغوب فيها

وحتى (Hydrilla) ذلك النبات المائى الذى يسد الآن الأنهار والبحيرات ويعد عامل إزعاج بسيط « وثانوى » إلى جانب (شجرة الفلفل البرازيلية) و (شجرة Melaleuca الاسترالية) .

إن هذه النباتات الغريبة من المستحيل إبادتها ، فهى سريعة الانتشار ، لدرجة أن علماء الأحياء لا يستطيعون حتى تحديد معدل نموها .

ولقد أنفقت إحدى الشركات أكثر من (مائة وخمسين ألف دولار) فى محاولة لتنظيف عشرة هكتارات من أشجار الفلفل المذكورة . وبعد الإزالة اليدوية ، واستخدام المبيدات العُشبية ، لم تتمكن الشركة إلا من تطهير هكتار واحد مما اضطرها للتحول إلى برنامج يتكلف (مائة وثمانين ألف دولار) لاستخدام آلة لتسوية هذه النباتات بالأرض .

إن (شجرة الفلفل) هذه ببذورها الصغيرة تعتبر من النباتات (نووية التوالد ـ انشطارية التكاثـر) . إنها تصيب الإنسان بالعطـــاس والبكاء ، الذى يصل إلى حد الوباء ، فالقنابل المسيلة للدموع تعد إلى جانبها (لُعَب أطفال) . كما أن بذورها السامة للطيور ، وللحياة البرية بأثرها تتخذ طريقها إلى المناطق الساحلية ، لتزاحم النباتات النافعة ؛ ولتنشىء لنفسها خيمة كبيرة تحجب الشمس ، بينما تتملك بذورها عيون الماء عالية القيمة ؛ لتحرم منها نباتات أخرى فى مسيس الحاجة إليها .

أما عن نظيرتها الاسترالية ، فحدث ولا حرج . إنها تنتج أزهاراً ذات رائحة عفنة كريهة ، تتسبب فى الإصابة بالحساسية كما أنها تنشر فى الفضاء مظلة خانقة . ولا يراودنك الخيال فتحاول حرقها ، فإنها تنفجر كما تنفجر القنابل ، ناثرة بذورها على مساحة شاسعة ، مما يؤدى إلى اكتسابها أرضاً جديدةً ، فتزيح من طريقها نباتاتٍ أكثر نفعاً .

إن عدم اكتراث الإنسان ، ولا مبالاته بأوامر الله هو سر البلاء ، فقد تروقه فكرة ينخدع ببريقها ، وسرعان ما يكتشف سوء تقديره ، ويتضح ذلك جلياً فيما يقوله العلماء ، الذين قدروا وجود أربعمائة نبات غريب نمت فى جنوب ووسط (فلوريدا) .

كائنات حية سامة

كل ذلك بسبب التصرفات العابثة للإنسان ، خذ مثلا (Bufo Mannus) وهو ضفدع سام ضخم ينتج سما يصيب من يتناوله بنوع من

الهلوسة . وتأمل « قدرة الله » ! لقد تم استقدام هذا الحيوان أصلا إلى جنوب فلوريدا منذ ثلاثين عاما ، ليقوم بالتهام الحشرات التى تتغذى على قصب السكر ، لكن إرادة الله شاءت أن ينتقل ذلك الحيوان الخطير إلى شمال ووسط الولاية ليأكل أى شيء يروق له التهامه . ومما ساعد على تفشى خطورته أن طائفة من الشباب المنحرفين اعتادوا اصطياد هذه الضفادع و (لعق أجسادها) تلذذا بنشوة رخيصة على الرغم من أن سم ذلك الضفدع فتاك لصغار الحيوانات كالكلاب ، بل وحتى للآدميين ، لو وجد ذلك السم طريقا مباشرا إلى الجسم ، إن تسرب سم ذلك الضفدع الذى يشبه سائل اللبن إلى العين ، يعد أشد فتكا من التوابل ، ومع علمهم بذلك الضرر الفادح ، فإن محال بيع الحيوانات الأليفة تبيع هذا الضفدع لهواة جمع الضفادع .

ولقد حدث أن قام أحد المتعهدين فى تلك الولاية باستيراد نوع من الصراصير يعرف بـ (صُرصور مدغشقر الفحاح) ولكنه سرعان ما أطلق سراحها فى الفضاء ، عندما أخبر بأنها من الأنواع المحظور استيرادها . والله وحده يعلم المكان والزمان الذى ستظهر فيه ذراريها..

ولا يزال وسط فلوريدا يتفوق على ريفها فى حيازة (الصُرصور الآسيوى) وهو نوع يسافر فى أسراب ، ويزداد نشاطه ليلا ، ويطير متقافزاً ناحية الضوء ، مما يجعل النزهات الخلوية ، والمعسكرات الخارجية من المستحيلات . لقد أتت تلك الحشرة مع السفن ، وهى تحتل الآن مساحة تقدر بخمسة آلاف ميل مربع . وهو سريع التزاوج مع (الصُرصور الألمانى) المعروف والذى أكتسب مناعة ضد معظم المبيدات الحشرية ، والمتوفرة بكثرة فى هذه الولاية ، بالإضافة إلى آفة النخيل دائمة التواجد ، وخمسين نوعاً آخر من الصراصير .

الصرصور الآسيوى والسرعة الفائقة

إن الصرصور الآسيوى يطير بسرعة الطائرة النفاثة ، إذا قورن بـ (النحل الإفريقى) القاتل الذى فر من معمل برازيلى سنة ١٩٥٧ ، وبعد رحلة بطيئة دامت ثلاثين عاما عبر الحدود المكسيكية الأمريكية ، ووصل إلى فلوريدا سنة ١٩٩٤ .

إن منطقة جنوب فلوريدا وما وراءها هى الآن موطن لنمل « فرموزا الأبيض » المفترس الذى يستطيع أن يأكل خمسة عشر نوعا من الخشب ، بالإضافة إلى أعمدة (البرق) و (الهاتف) و (وصلات السكك الحديدية) كما أوردت ذلك (Wall Street Journal) .

وتقول تقارير أخرى : إن ذلك النمل يَطْرُدُ فى طريقه النمل الأبيض المحلى ، ويحاصر منه أعدادا كبيرة ، بل وصلت مقدرته إلى أن ينخر المواسير النحاسية : « وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » .

(سورة الفتح) (٧)

إن المستعمرة تأوى من ذلك النمل فى المتوسط ثلاثة ملايين نملة بيضاء ، وهو رقم يمثل عشرة أضعاف ما تحويه أى من مستعمرات النمل الأبيض المحلى .

أسماك راجلة وببغاوات عجيبة

أما عن سمكة القط الراجلة فإنها لم تسافر إلى الشمال كثيراً ، لكنها تمكنت من الخروج من القنوات ، والجداول بحثا عن بيئات أفضل ،

وحيث إن ترع وبحيرات و (غدران) ـ جمع غدير ـ جنوب فلوريدا أفسدها الهواة الذين يغرقون فيها كائنات مائية مثل :

الـ (Oscars) و (السمكة المحاربة) فإن سمكة (القط الراجلة) أحست حاجتها إلى الانتقال شمالا بأسرع من المتوقع .

وفى منطقة أخرى تسمى (دانيا) فإن الببغاوات ، وهى بعض ما أفلت من محال بيع الحيوانات الأليفة تتكاثر الآن فى البرية وتحدث أصواتا لم تسمع بها الأرض من قبل .

ويستمر حماة الحيوان فى البحث عن الأحناش [جمع : حنش] والحيات التى تعيش فى البرية ، والتى وجدوا منها مخلوقات يزيد طولها على ستة أقدام ، وذلك سنة ١٩٨٩ وفى جنوب فلوريدا وجدت حية شبكية الشكل زاد طولها عن اثنين وعشرين قدما ، تعيش تحت بيت ، وتتغذى على ما تملك الأسرة من حيوانات أليفة .

الذئب الأمريكى

وماذا عن الذئب الأمريكى ؟ وما أدراك ما الذئب الأمريكى ، لقد شوهد فى أرياف فلوريدا المزدحمة بالماشية ، ولا أحد يدرى الكيفية التى وصلت بها جماعاته إلى هناك من الغرب أو ما تخبىء جماعات الذئب الأمريكى لسكان تلك البلاد أكثر مما تحدثه من ضوضاء ، وضجيج ليلى .

علاقة النشاط النباتى بمعدلات النمو

ويعتقد بعض العلماء هناك أن ذلك النشاط النباتى والزَّهْرِى يمكن أن يؤدى إلى إبطاء معدلات الهجرة البشرية إلى هذه الولاية ، تماما كما عرقلت قصص الرعب التى أحاطت بحيوان (القاطور) ـ الذى يشبه التمساح ـ التطور فيما مضى من الأيام ، وفى واقع الأمر فإن (القاطور) نفسه عاد للظهور ، وذلك بعد ثلاثة عقود من حمايته ، كنوع من الحيوانات المعرضة لخطر الانقراض ، ولقد أدى جفافٌ نادر إلى التحذير من أن ذلك الحيوان سيُرى فى الحدائق والبساتين الملحقة بالبيوت ، وهو يبحث عن الماء ، وعن الأماكن التى يستطيع فيها التزاوج ، ومن يدرى ، فلعله يحاول النجاة بجلده من الضفادع السامة أو أى من القادمين الجدد .

إلى السادة قراء مجلة الأزهر

نوجه عناية قرائنا الأفاضل إلى أن فكرة رفع سعر مجلتهم الحبيبة « الأزهر » إلى « جنيه » واحد للعدد بدلًا من « ٧٥ » قرشاً ، كانت مطروحة من عدة سنين لتواكب ـ فى جانب من تكلفتها سعر ارتفاع الورق عالمياً . لكن الرأى قد استقر على هذا الرفع إن شاء الله ـ تعالى ـ من أول عدد المحرم فى السنة الهجرية القادمة .

والله المستعان .

من رجال الحديث الشريف

أبو يوسف صاحب أبي حنيفة

عرض الأستاذ/ أحمد تقي الدين

نسبة وولادته

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حسنة الأنصارى .

وسعد بن حسنة أحد الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ وهو مشهور فى الأنصار بأمه هى حبتة بنت مالك من بنى عمرو بن عوف .

وكان سعد بن حبتة فيمن عُرِضَ على رسول الله ــ ﷺ ــ يوم أحد مع رافع بن خديج وابن عمر ، فاستصغره .[1] أى لم يسمح له بالحرب لصغره .

وولد أبو يوسف بالكوفة سنة ١١٣هـ ، وكانت الكوفة حينذاك واحدة من أهم مراكز الحضارة الإسلامية ، حيث شهدت نمو كثير من العلوم والمعارف الإسلامية وازدهارها مثل : القراءات ، والفقه ، والحديث ، وعلوم اللغة.. وغيرها .

رحلته فى طلب العلم

أورد الخطيب البغداد عن أبى يوسف قوله : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاء أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة ، فانصرفت معه ، فقال : يابنى لاتمدن رجلك مع أبى حنيفة . فإن أبا حنيفة خبزه مشوى ، وأنت تحتاج إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب ، وآثرت طاعة أبى ، فتفقدنى أبو حنيفة ، وسأل عنى ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدى ، فجلست ، فلما انصرف الناس دفع إلىَّ صرة ، وقال استمتع بهذه ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، فقال لى : إلزم الحلقة ، وإذا نفدت هذه فأعلمنى . فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة

(١) وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٣٧٨ ، تاريخ بغداد ، جـ ١٤ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٨٠

يسيرة دفع إلىَّ مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدنى : وما أعلمته نحلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء ، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت »[٢] .

وينقل ابن كثير عن أبى يوسف قوله : « توفى أبى وأنا صغير فأسلمتنى أمى إلى قصار ، فكنت أمر على حلقة أبى حنيفة ، فأجلس فيها ، فكانت أمى تتبعنى ، فتأخذ بيدى من الحلقة ، وتذهب بى إلى القصار ، ثم كنت أخالفها فى ذلك ، وأذهب إلى أبى حنيفة ، فلما طال ذلك عليها ، قالت لأبى حنيفة : إن هذا صبى يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلى ، وأنك قد أفسدته على . فقال لها ابوحنيفة : اسكتى يارعناء ، ها هو ذا يتعلم العلم ، وسيأكل (الفالوذج) بدهن الفستق فى صحون (الفيروزج). فقالت له : إنك شيخ قد خرفت » .

يقول أبو يوسف : «فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أُتى بـ (فالوذج) فى صحن (فيروذج) فقال لى : كل من هذا ، فإنه لا يُصنع لنا فى كل وقت. قلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا (الفالوذج) قال : فتبسمت ، فقال : مالك تتبسم ؟ فقلت : لاشيء أبقى الله أمير المؤمنين . فقال : لتخبرنى . فقصصت عليه القصة ، فقال : إن العلم ينفع ويرفع فى الدنيا والآخرة » .

شيوخه :

جالس محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، ثم جالس أبا حنيفة وسمع أبا إسحاق الشيبانى ، وسليمان التيمى ، ويحيى بن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعبيدالله بن عمر العمرى ، وحنظلة بن أبى سفيان وحجاج بن أرطأة ، والحسن بن دينار ، وليث بن سعد ، وأيوب بن عتبة ، وغيرهم وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة .

تلامذته :

روى عنه محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى ، وبشر بن الوليد الكندى ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعمرو بن محمد الناقد ، وأحمد بن منيع ، وعلى بن مسلم الطوسى ، وعبدوس بن بشر ، والحسن بن شبيب .[٤]

رأى العلماء فيه :

قال عنه يحيى بن معين : « أبويوسف أنبل من أن يكذب » .

وقال عنه أيضاً : « كان أبو يوسف يحب أصحاب الحديث ويميل إليهم .. وقد كتبنا عنه أحاديث » .

وقال عنه أيضاً : « كان أبويوسف ثقة »[٥] .

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : « أول ما طلبت الحديث ذهبت إلى أبى يوسف القاضى .. وهو صدوق .[٦]

(٢) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص٢٤٣ ، ٢٤٤

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٠ ص ١٨٠

(٤) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٣٧٩ ، تاريخ بغداد جـ ١٤ ص٢٤٢

(٥) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٥٥ ، ٢٥٩

(٦) تاريخ بغداد جـ ١٤ ص ٢٥٥

وذكر أبو عمر بن عبدالبر صاحب كتاب « الاستيعاب » فى كتابه الذى سماه كتاب « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء » أن أبا يوسف كان حافظا وأنه كان يحضر المحدث ، ويحفظ خمسين وستين حديثاً ، ثم يقوم فيمليها على الناس ، وكان كثير الحديث »[٧] .

ويقول عنه ابن قتيبة : « كان صاحب حديث حافظا »[٨] .

تنبأ له أبوحنيفة بما سيفتح الله عليه ، وقال لزوجته : « إنما هى أيام قلائل وسيصير لأبى يوسف نبأ وذكر ، ولعل الله يفتح لكم أفضل ما تؤملونه وترجونه »[٩] .

ويقول عنه طلحة بن محمد بن جعفر : « لم يتقدمه أحد فى زمانه ، وكان النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر ، وهو أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، أملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة فى أقطار الأرض »[١٠] .

وقال عنه هلال بن يحيى : « كان أبويوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب » .

وقال عنه أبوزرعة : « كان سليما من التجهم »[١١] .

ويقول عنه عمار بن أبى مالك : « ما كان فى أصحاب أبى حنيفة مثل أبى يوسف ، ولولا أبو يوسف ماذُكر أبو حنيفة ، ولا محمد بن أبى ليلى ، لكنه هو الذى نشر قولهما وبث علمهما »[١٢] وأورده الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، فى الطبقة السادسة ونقل قول الإمام أحمد عنه : « كان منصفا (ولعلها مصنفاً) فى الحديث »[١٣]

مؤلفاته :[١٤]

لأبى يوسف إملاء رواه بشر بن الوليد القاضى يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه أبو يوسف : كتاب اختلاف الأمصار ، كتاب الرد على مالك بن أنس ، كتاب الجوامع ويحتوى على أربعين كتاباً ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذ به .

وله مؤلفات مطبوعة وهى :

- الآثار
- الرد على سير الأوزاعى
- اختلاف أبى حنيفة وأبن أبى ليلى
- الأصول والأمالى
- الخراج

ومن آرائه :

وكان ــ رحمه الله ــ يقول : « من قال القرآن مخلوق فحرام كلامُهُ ، وفرض مباينته ولا يجوز السلام ولا رده عليه » .

وكان يقول أيضاً : « من طلب غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء

(٧) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٣٧٩
(٨) كتاب الخراج لأبى يوسف ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البنا ، مقدمة المحقق .
(٩) نفس المصدر السابق .
(١٠) نفس المصدر السابق .
(١١) نفس المصدر السابق .
(١٢) نفس المصدر السابق .
(١٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ص ٢٩٢
(١٤) الفهرست ص ٢٨٦ ، الزركلى ، الأعلام جـ ص ٢٥٢
(١٥) الذهبى ، تذاكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٩٢
(١٦) البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٨٠
(١٧) نفس المصدر السابق .
(١٨) الفهرست ص ٢٨٦

افتقر ، ومن طلب الدين بالكلام ، تزندق» ولما تناظر هو والإمام مالك بالمدينة بحضرة الرشيد فى مسألة (الصاع) وزكاة الخضراوات ، احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولة عن آبائهم وأسلافهم ، وبأنه لم يكن الخضراوات يخرج فيها شيء فى زمن الخلفاء الراشدين ، فقال أبو يوسف : « لو رأى صاحبى ما رأيت لرجع كما رجعت »

القاضى أبو يوسف

اشتهر أبو يوسف بالقضاء حتى كان أحد أشهر من تولاه ، وكان تقلد منصب القضاء ببغداد بعد أبى بكر بن أبى سبرة حيث ولى القضاء أيام الخليفة العباسى المهدى وهو أول من لقب بـ (قاضى القضاة) وكان يقال له : قاضى قضاة الدنيا ، لأنه كان يستنيب فى سائر الأقاليم التى يحكم فيها الخليفة واستمر أبويوسف قاضيا للقضاة فى خلافة الهادى ثم هارون الرشيد ، الذى كان يكرمه ويجله ، وذلك حتى وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائة للهجرة فى خلافة الرشيد (على نحو ما ذكر ابن النديم) .

ويعد كتاب الخراج لأبى يوسف من أبرز وأهم ماصُنف فى موضوعه من ناحية ويعد أيضاً واحداً من أبرز وأهم ماصنفه أبو يوسف .

ذلك لأنه كان الحبة الأولى فى عقد من المؤلفات حذت حذو أبى يوسف وأهمها :

ـ الخراج ليحيى بن آدم القرش المتوفى سنة ٢٠٣هـ

ـ الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

ـ الاستخراج لأحكام الخراج لأبن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

ـ الخراج لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ

ـ الخراج لأبى العباس أحمد بن محمد بن عبدالكريم المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

كما أن الكتاب جاء استجابة من أبى يوسف لرغبة الخليفة العباسى هارون الرشيد ، الذى طلب من أبى يوسف أن يضع له كتاباً جامعاً يُعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات وغيرها .

وجاء كتاب أبى يوسف الذى أسماه « الخراج » ليكون بمثابة المنهاج للسياسة المالية للدولة حيث احتوى بداية على مقدمة تعد نموذجا يحتذى فى النصح والإرشاد ، ومما جاء فيها قوله للرشيد :

« واعمل لِأَجَلٍ مقبوض ، وطريق مأخوذ وعمل محفوظ » .

وقوله : « فكفى بالحسرة والندامة يومئذ فى ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل ليوم تزل فيه الأقدام » .

وقوله : « فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولايدينهم بمنازلهم»

« وإن الله سائلك عما أنت فيه وماعملت به »

وبجانب المقدمة اشتمل الكتاب على أربعة وثلاثين فصلا ـــ مثَّل الحديث الشريف والأثر عماد مادتها ـــ وجاءت على النحو التالى :

١ ـ فى قسمة الغنائم .

٢ ـ فى الفيء والخراج .

٣ ـ ما عومل به فى السواد .

٤ ـ ما عومل به فى الشام والجزيرة .

٥ ـ كيف كان فرض أبى بكر وعمر لأصحاب النبى ﷺ .

٦ ـ فيما ينبغى آن يعمل به فى السواد .
٧ ـ فى ذكر القطائع .
٨ ـ فى إسلام قوم من أهل الحرب والبادية على أرضهم وأموالهم .
٩ ـ فى موات الأرض فى الصلح والعنوة وغيرهما .
١٠ ـ الحكم فى المرتدين إذا حاربوا ومنعوا الدار .
١١ ـ حد أرض العشر من أرض الخراج .
١٢ ـ فيما يخرج من البحر .
١٣ ـ فى العسل والجوز واللوز .
١٤ ـ قصة نجران وأهلها .
١٥ ـ فى الصدقات .
١٦ ـ فى تحريم منع الصدقة ، وفى مصرفها ، وما يلتزم به عاملها .
١٧ ـ فى الزيادة والنقصان من الخراج .
١٨ ـ فى والى الخراج .
١٩ ـ فى بيع السمك فى الآجام .
٢٠ ـ فى إجارة الأرض البيضاء وذات النخيل .
٢١ ـ فى الجزائر فى دجلة والفرات والغروب .
٢٢ ـ فى القنى والآبار والأنهار والشرب .
٢٣ ـ فى الكلأ والمروج .
٢٤ ـ فى تقبيل السواد وغير السواد واختيار الولاة لهم والتقدم إليهم .
٢٥ ـ فى شأن نصارى بنى تغلب ، وسائر أهل الذمة ، وما يعاملون به .
٢٦ ـ فيمن تجب عليه الجزية .
٢٧ ـ فى لباس أهل الذمة وزيهم .
٢٨ ـ فى المجوس وعبدة الأوثان وأهل الردة .
٢٩ ـ فى العشور .
٣٠ ـ فى الكنائس والبِيَع والصلبان .
٣١ ـ فى أرض الدعارة والتلصص والجنايات وما تجب فيه الحدود .
٣٢ ـ فى المرتد عن الإسلام والزنديق .
٣٣ ـ فيمن يمر بمسالح الإسلام من أهل الحرب ، وما يؤخذ من الجواسيس .
٣٤ ـ فى قتال أهل الشرك وأهل البغى ، وكيف يُدعَوْن ؟

وبلغ عدد النصوص التى استند إليها أبو يوسف ثلاثة وثلاثين وخمسمائة نص من الحديث والأثر منها :

ما قاله فى تحريم منع الصدقة :

١٧٦ ـ وبلغنا عن عبدالله بن مسعود أنه قال : « ما مانع الصدقة (الزكاة) بمسلم ، ومن لم يؤءها فلا صلاة له » .

١٧٧ ـ وأبوبكر يقول : « لو منعونى عقالا مما أعطوه رسول الله ـ ﷺ ـ لجاهدتهم » حين منعوا الصدقة رأى قتالهم حلالا طلقا له .

١٧٨ ـ وجرير يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « ليصدر المصدق عنكم حين يصدر وهو راض » .

فمر يا أمير المؤمنين باختيار رجل ثقة ، أمين عفيف ناصح ، مأمون عليك وعلى رعيتك فوله جميع صدقات البلدان ، ومره فليوجه فيها قوما يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم يجمعون إليه صدقات البلدان..»

وقال فى سرقة المسلم من الذمى :

أنه يلزمه ما يلزم السارق من المسلم ، وكذلك لو كان السارق ذمياً لزمه ما يلزم السارق المسلم .

٤٢٢ ـ حدثنا أشعث، عن الحسن قال : « من سرق من يهودى أو نصرانى ، أو أحدا من أهل الذمة من غيرهما قطع» .

زمزم

على مر العصور

للدكتور أحمد رجب محمد على (*)

تعد بئر زمزم التى تفجرت تحت أقدام إسماعيل ـ عليه السلام ـ من العناصر الهامة داخل المسجد الحرام، وقد مرت هذه البئر بالعديد من الحوادث ، وطمرت فترة من الزمن ، وفى هذا البحث القصير نتناول تاريخ زمزم على مر العصور منذ تفجرها حتى الآن .

زمزم قبل العصر الاسلامى:

ذكر الأزرقى فى كتابه « أخبار مكة »[1] عن مسلم بن خالد الزنجى عن ابن جريج عن كثير بن كثير عن عبد المطلب ابن أبى وداعه عن سعيد بن جبير أنه قال : حدثنا عبد الله بن عباس أن إبراهيم – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – قدم وأم إسماعيل ، وإسماعيل صغير ترضعه إلى مكة ، ووضعهما فى مكان زمزم ، ثم توجه خارجا على دابته ، واتبعت أم إسماعيل أثره وقالت له : إلى من تتركنا . قال : إلى الله –عز وجل– قالت : رضيت الله . فرجعت حتى مكان ابنها عليهما الصلاة والسلام، وكانت معها شنة بها ماء فأخذت تشرب منها وتدر على ولدها حتى فنى ماء شنتها ؛ فانقطع درها فجاع ابنها فاشتد جوعه حتى نظرت إليه يتشحط قال : .. فحسبت أم اسماعيل أنه يموت ، فعمدت إلى الصفا حين رأته مشرقا تستوضح ما عليه ، ثم ذهبت من الصفا إلى المروة حتى كان مشيها بينهما سبع مرات . ثم رجعت إلى ابنها فسمعت صوتا – فقالت : أسمع صوتك فأغثنى ان كان عندك خير . قال :

---

* الكاتب عضو هيئة التدريس ـــ كلية الآثار ـــ جامعة القاهرة

(١) الأزرق : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جـ ١ ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٥٥

فضرب جبريل الأرض فظهر الماء فحاضته أم اسماعيل برمل ترده خشية أن يفوتها ، قبل أن تأتى بشنتها فشربت ودرت على ابنها .

وقد روى البخارى - رضى الله عنه - هذه الواقعة مطولة جداً بـ « صحيحه » .

وكانت زمزم هى مقدمة عمران مكة إذ يذكر المؤرخون [٢] أن ركبا من (جرهم) مَرَّ قافلا من بلاد الشام . فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم : ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس . فَأَرْسَلُوا رجلين لهما حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم رجعا إلى ركبهما فاخبراهم بمكانها ؛ فرجع الركب كله حتى حَيَّوْها فردت عليهم واستأذنوها فى أن ينزلوا معها على الماء فوافقت وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا إليهم وأنكحوا إسماعيل امرأة منهم .

وفى صحيح البخارى : صريح موافقتها على إقامتهم دون أن يكون لهم حق فى الماء . أى يكون لهم منحة منها ، فوافقوا . وأخذ العمران يزداد بمكة بعد بناء سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام ، واستمرت جرهم تلى أمر البيت الحرام وزمزم فترة من الزمن إلى أن قدمت قبيلة يمنية هاجرت من الجنوب بعد تهدم (سد مأرب) وهى قبيلة خزاعة ، واحتكت خزاعة بجرهم فتقالت القبيلتان وانتصرت خزاعة ووليت أمر البيت ، وخرجت جرهم عن (وادى مكة) كما خرج أبناء إسماعيل عليه السلام وتفرقوا حول مكة [٣] وفى تهامة ، وقد بدأت مكة تتطور أيام خزاعة فقد عمل عمرو بن لحى زعيم خزاعة على تنشيط الحج إلى الكعبة [٤] .

وفى منتصف القرن الخامس الميلادى استطاع قصى بن كلاب بن مُرَّة القرشى أن يجلى قبيلة خزاعة من مكة ، وفرض سلطانه على بطون كنانة ، وأنزل قريشا مكة وقسمها بين بطونها [٥] .

وكانت زمزم فى تلك الأثناء قد أهملت إلى أن درست وخفت معالمها وظلت على ذلك حيناً حتى حفرها عبدالمطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم [٦] .

ويذكر الأزرقى عن حفر عبد المطلب بن هاشم لبئر زمزم أنه عقب حادثة الفيل جاء إلى عبد المطلب هاتف فى المنام ، قال له : احفر

(٢) الأزرق : أخبار مكة جـ ١ ، ص ٥٩ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، الطبعة الأولى جـ ١ ، القاهرة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٩م ص ١٨٧ .

(٣) جاء بتاريخ العرب قبيل الاسلام للدكتور جواد على حديث عن أبناء اسماعيل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وملكهم الواسع الذى شارف شمال الجزيرة وظلوا زمنا على ذلك ، فإن حياة هؤلاء الأبناء كانت فى القرن الثامن عشر من قبل الميلاد وما يليه تقريبا أنظر أيضا للعقاد ـــ أبو الأنبياء طبع دار أخبار ليوم .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ، طبعه بدون تاريخ طبع، جـ ١ ، ١٢٥ .

(٥) د. احمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة فى العصر الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١١٧ .

(٦) قد يتساءل القارى، كيف كان يشرب أهل مكة وحجاجها بعد طمر مياه زمزم والإجابة : أنه كانت هناك آبار وعيون بديلة حفرت بعد زمزم منها : بئر حفرها مرة بن كعب بن لؤى تعرف باسم بئر اليسرة ، وبئر أخرى تعرف باسم بئر الرُّوا بضم الراء المشددة المهملة وكانت البئران (اليسرة والروا) بواد يلى عرفه ، أنظر محمد عبدالله مليارى : توسعة المسجد الحرام ، بحث بمجلة المنهل العدد ٤٧٥ السنة ٥٦ ، ربيع الآخر ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ص ٣٤

زمزم ، فاستيقظ من منامه ، ثم عاوده الهاتف مرة أخرى فى منامه . فقال له : احفر زمزم بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب ، فى قرية النمل مستقبله الأنصاب الحمر ، فلما استيقظ عبد المطلب وذهب إلى المسجد الحرام جلس فيه فرى ماسُمِّىَ له من الآيات حيث نحرت بقرة بالحزوره[٧] فانفلتت من جازرها حتى غلبها الموت فى المسجد فى موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة فى مكانها حتى احتمل لحمها فأقبل غراب فهوى حتى وقع فى الفرث واجتمع حول ماتبقى النمل ، فقام عبد المطلب فحفر هناك فجاءته قريش . فقالت له : ماهذا الصنيع ، لم تحفر فى مسجدنا ؟ فقال عبد المطلب : إنى حافر هذه البئر ومجاهد من صدنى عنها فطفق هو وابنه الحارث وليس له ولد يومئذ غيره فسفه عليهما يومئذ أناس من قريش فنازعوهما .

وقاتلوهما ، وتناهى عنه أناس آخرون لما يعلمون من عتقة نسبه ، حتى إذا اشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم ، ثم استمر فى الحفر حتى أدرك سيوفا ذهبية فى زمزم فلما رأت قريش السيوف - قالت له : ياعبد المطلب أجزنا مما وجدت ، فقال : هذه السيوف لبيت الله الحرام ، فحفر حتى انبط الماء فى القرار ثم بنى عليها حوضا فطفق هو وابنه يملأن الحوض فيشرب منه الحاج فيكسره أناس من قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح ، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه ، فجاءه هاتف فى المنام فقال له قل : اللهم إنى لا أحلها لمغتسل ولكن هى للشارب حل . فلما أصبح عبد المطلب نادى بالذى أرى فى المسجد ، ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه أحد من قريش إلا رمى فى جسده بداء حتى تركوا إفساد حوضه ثم تزوج عبد المطلب حتى ولد له عشرة ذكور فهم بنحر أحدهم وأصابت القرعة عبد الله والد النبى - صلى الله عليه وسلم - فكرروا القرعة عشر مرات إلى أن افتدى عبد الله بمائة ناقة[٨].

زمزم فى العصر الإسلامى :

ظلت زمزم بعد حفر عبد المطلب بن هاشم لها المصدر الرئيسى لسقاية حجاج بيت الله الحرام ، وقد ازدادت أهميتها ومكانتها فى العصر الإسلامى حيث ورد العديد من الأحاديث[٩] فى فضل زمزم وبركة مائها الذى يشفى من الأسقام والعلل .

على أن زمزم كانت مجرد بئر محاطة بسور من الحجارة بسيط البناء وظل الحال كذلك **حتى عصر أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى الذى يُعد أول من شيّد قبة فوق زمزم وكان ذلك سنة مائة وخمس وأربعين**[١٠] .

وقد سقفت حجرة زمزم بالساج على يد عمر بن فرج وكسيت القبة الصغيرة بالفسيفساء كما جددت عمارة زمزم وأقيم فوق حجرة الشراب قبة كبيرة من الساج بدلاً من القبة

(٧) الحزورة : اسم لسوق فى الجاهلية كان يعقد بالقرب من المسجد الحرام فى الجهة الغربية منه .

(٨) الأزرقى : اخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(٩) من هذه الأحاديث ما أورده الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عفان عن أبى جمرة قال : كنت أدفع الناس عن ابن عباس فاحتبست يوما فقال : ما حبسك ؟ قلت : الحمى . قال : أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : «ان الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم» .

أنظر مثالا لذلك أحمد بن حنبل : المسند ، حديث رقم ٢٦٤٩ وإسناده صحيح ورواه البخارى ٦ : ٢٣٨ مختصرا .

(١٠) البتانونى : الرحلة الحجازية ، القاهرة ، ١٩١٠م ، ص ٨٦ .

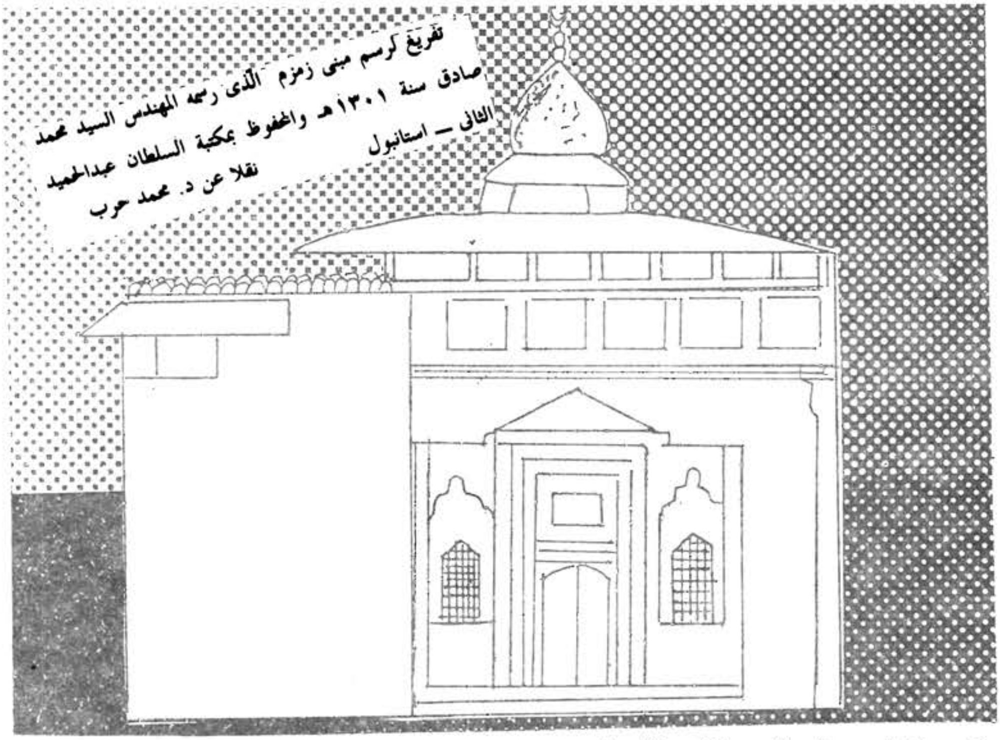

تفريغ لرسم مبنى زمزم الذى رسمه المهندس السيد محمد صادق سنة ١٣٠١هـ والمحفوظ بمكتبة السلطان عبدالحميد الثانى ـــ استانبول
نقلا عن د. محمد حرب

الصغيرة التى تعلو البئر وكان ذلك فى عهد الخليفة المهدى سنة ١٦٠ هـ . كما جددت بئر زمزم وكسيت بالرخام وجددت قبتها فى عهد الخليفة العباسى المعتصم سنة مائتين وعشرين من الهجرة(١١)

ويقدم لنا الأزرق وصفا لحوض زمزم فى القرن الثالث الهجرى فيذكر أن :

ـ ذرع تدوير الحوض كان من الداخل تسعا وثلاثين ذراعا ، ومن الخارج أربعين ذراعا وقطره اثنا عشر ذراعا وهو مفروش بالرخام ، وجدرانه ملبسة بالرخام ، وطول جدرانه أحد عشر إصبعاً وعرضه (سُمْكُهُ) ثمانية أصابع ، وما بين الحوض الذى فى زمزم والحوض الكبير الذى يشرب منه الحاج ثمانية وعشرون ذراعا ، وحول هذا الحوض اثنتا عشرة أسطوانه من الساج طول كل أسطوانه أربعة أذرع ، وعلى الحجرة قبة من الساج خارجها أخضر وداخلها أصفر ، عملت فى خلافة المهدى، سنةَ ستين ومائة(١٢) .

وقد جرى على قبة زمزم ـــ بعد ذلك ـــ العديد من الإصلاحات والترميمات .. ومن الرحالة الذين زاروا المسجد الحرام ووصفوا قبة زمزم «**الرحالة ابن جبير**» الذى زار المسجد الحرام فى أواخر القرن السادس الهجرى وقدم لنا وصفا لقبة زمزم فذكر أنها قبة جميلة مفروشة من الداخل والخارج بالرخام الأبيض(١٣) .

وفى عصر المماليك جرى على زمزم العديد من الإصلاحات ، ومن أهم تلك الإصلاحات ما تم

(١١) الأزرق : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

(١٢) الأزرق : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ١٠٣

(١٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، تقديم محمد مصطفى زيادة ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣ ص ٧٦ .

فى عهد السلطان الناصر : فرج بن برقوق عقب حريق أصاب المسجد الحرام فى ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة(١٤) .

كما عمرت قبة زمزم سنة ٨١٥ هـ على يد **قاضى مكة جمال الدين محمد بن أبى ظهيرة(١٥)** .

وفى عهد «**السلطان قايتباى**» تم إصلاح بئر زمزم وتجديد رخامها ، وكان ذلك سنة ٨٨٤ هـ(١٦) .

أما فى العصر العثمانى فقد كان الاهتمام كبيراً بالمسجد الحرام ، وقد جرى العديد من الإصلاحات على مبنى زمزم ، وخصوصا فى عهد «**السلطان سليم الثانى**» سنة ٩٨٢ هـ(١٧) كما تم تجديد قبة زمزم فى عهد **السلطان أحمد سنة ١٠٢١ هـ(١٨)** وفى عهد **السلطان أحمد الرابع** سنة ١٠٨٣ هـ أمر بإصلاح وترميم جدران بئر زمزم ، وفى عهد **السلطان عبدالحميد الأول** ١١٨٧ — ١٢٠٣ هـ تم تجديد مبنى زمزم(١٩) .

على أن أكبر عمارة جرت على قبة زمزم — قبل أيامنا هذه — هى تلك التى تمت فى عهد السلطان عبدالحميد الثانى حيث أوفد السلطان عبدالحميد الثانى سنة ١٣٠٠ هـ القائم مقام المهندس السيد محمد صادق(٢٠) إلى المسجد الحرام لمعرفة ما يلزمه من إصلاحات وعمل الرسوم الخاصة بذلك ، وقد قام المهندس السيد محمد صادق بعمل رسوم للمسجد الحرام ، وباب السلام ، ومبنى زمزم وأرفق ذلك كله بتقرير يصف حالتها جميعا واقترح فيما اقترح إجراء بعض التعديلات على مبنى زمزم من ذلك وضع بابين بشبكتين على الواجهة الشرقية للمبنى ، وعمل نوافذ ذات شبكات فى الجهة الشمالية والغربية وَصفٌ من النوافذ أعلى البناء للتهوية ، وقد تم بالفعل إجراء هذه التعديلات بمبنى زمزم سنة ١٣٠١ هـ (أنظر الشكل الموضح لموقع مبنى زمزم فى المسجد الحرام ورسما بعد عمل التعديلات به سنة ١٣٠١ هـ من عمل المهندس السيد محمد صادق .

وفى العصر الحديث أعيد بناء زمزم من جديد بعيداً عن مكانها الأصلى نظرا لأن المبنى القديم بالقرب من الكعبة يعوق الطواف فى العصر الحديث لكثرة إعداد الحجيج ، وقد تم توصيل مياه زمزم إلى مكانها الجديد فى الجزء الشرقى من الحرم عن طريق (مواتير) رفع ومواسير كما تم تخصيص مكان للرجال وآخر للنساء .

وأخيرا فرغم مرور آلاف السنين على بئر زمزم فقد بقى ماؤها للنقاء والطهارة والشفاء .

---

(١٤) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٢١٢ ، عبدالكريم بن محب الدين القطبى : أعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥ تاريخ ، صفحة ١٨ .

(١٥) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٢٥م ، ص ٢٤٠ .

(١٦) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ طبع ، جـ ٥ ، ص ٢٠٧ .

(١٧) القطبى : مخطوط ، ص ٩١ .

(١٨) البتانونى : الرحلة الحجازية ص ٩٠

(١٩) د. عبداللطيف هريدى : شئون الحرمين الشريفين فى العهد العثمانى فى ضوء الوثائق التركية ، القاهرة ١٩٨٩م ص ٤٧ .

(٢٠) د. محمد حرب : خريطة لمنطقة الحرم المكى ، بحث بمجلة الدارة السعودية عدد ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ هـ / نوفمبر ١٩٨٧م ص ٤٣ : ٥٤ — حيث أورد الدكتور محمد حرب نص التقرير الذى رفعه المهندس السيد محمد صادق الى السلطان عبدالحميد والمحفوظ حاليا بمكتبة السلطان عبدالحميد — استانبول .

الملكية وضوابطها الشرعية

الجزء الأخير

بقلم الأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

تعريف الملكية وأنواعها :

يمكن تعريف الملكية بأنها : (الاحتواء والقدرة على الاستبداد (أو الاستئثار) بالشيء ويراد بها حق الفرد فى احتواء شيء ما ، وتمكينه من الانتفاع به بكافة الطرق الجائزة شرعا ، بحيث لايجوز للغير الانتفاع بهذا الشيء إلا بموافقة المالك الأصلى وفقاً لصورة من صور التعامل الجائز .

وتختلف علاقة الفرد بالمال عن علاقته بالملك ، لأن الملكية ليست شيئا ماديا كالأموال ، وإنما هى حق يحتاج إلى اعتبار شرعى ، ولهذا فإن الملكية تعبر عن معنى العلاقة بين الفرد والمال وتستدعى البحث عن أسباب التملك وطريقة استعمال هذه الملكية واستثمارها لكى تلائم الأسلوب الشرعى .

وقد ورد فى القرآن الكريم من الأحكام مايدل على إقرار الملكية الفردية وتثبيتها كأحكام الارث ، فهى دالة على ملك المورث الذى مات ، وعلى تمليك الوارث بصرف النظر عن الشيء الذى هو موضوع الملك . كما أن أحكام المعاملات من بيع وتجارة أو دين يدل على ذلك . ومن المعروف أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته رضوان الله عليهم تملكوا فمنهم من ملك نقدا أو عقارا أو انعاما أو دواب او بساتين او غير ذلك قليلا كان أو كثيرا .

واذا استعرضنا آيات الكتاب الكريم نلاحظ أن الملك والمال نسبا إلى الله – تعالى – ثم إلى الانسان .

تقسيم الملكية :

وعلى هذا الأساس ، فانه يمكن تقسيم الملكية فى الاسلام إلى قسمين رئيسيين : ملكية عامة وملكية خاصة .

أما الملكية العامة فإننا نجد الاشارة إليها – على سبيل المثال – فى نيل الأوطار (٥/٣٤٣) : «باب الناس شركاء فى ثلاث» .

وفى سنن ابن ماجة : (كتاب الرهون : «باب المسلمون شركاء فى ثلاث» .

ويروى الامام أحمد وأبو داود بسند رجاله ثقات أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال : «المسلمون شركاء فى ثلاثة : فى الماء والكلأ والنار» .

وفى رواية لابن ماجة بإسناد صحيح : «ثلاث لايمنعن : الماء والكلأ والنار» . وعند الشيخين (البخارى ومسلم) : «لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ» .

وأيضا فى رواية لمسلم : «لايباع فضل الماء ليباع به الكلأ» .

وهذه الاشياء الثلاثة ضرورية للغاية ، لايستغنى عنها احد . ولهذا كانت الملكية عامة اولا لله ، ثم صورة متداولة بين الناس فيما يسمى الملك الخاص حيث يكون المالك قائما على اصلاحها واستثمارها....الخ .

فالأصل فى الملكية التامة أنها لله – عزوجل – فهو – سبحانه وتعالى – الخالق ، لاشريك له فى ملكه ، الرازق الواهب المانح المانع ، مالك الملك والملكوت : (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا)(١) ، (وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ)(٢) ، (لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ)(٣) ، (وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)(٤) . (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)(٥) ، (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ)(٦) ، (وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ)(٧) ، والايات الكريمة كثيرة فى هذا المعنى .

ومما يلحق بالملكية العامة صورة – بناء على ان الملك لله وحده ماكان ملكا للدولة : كأراضى بيت المال التى كانت ترعى فيها إبل الصدقة ، والأرض التى جعلت لابل عامة الناس دون أغنيائهم .

ولما كان المال كسائر الممتلكات ملكا لله – تعالى – وجدنا إلى جانب التذكير بالانفاق من رزق الله ، نسبة المال إلى الله – عز وجل : (وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ)(٨) . ولكنا نجد فى آيات اخرى نسبة المال للناس ، كقوله تعالى :

(وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ)(٩)

و(وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ)(١٠) .

(خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)(١١) .

(وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ)(١٢) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ١٨٠ .
(٣) سورة طه ، الآية ٦ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٠
(٥) سورة الحجر ، الآية ٢١ .
(٦) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .
(٧) سورة الشورى ، الآية ٢٧ .
(٨) سورة النور ، الآية ٣٣ .
(٩) سورة المعارج ، الآية ٢٥ .
(١٠) سورة الذاريات ، الآية ١٩
(١١) سورة التوبة ، الآية١٠٣ .
(١٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٩ .

فالملكيـة هنـا إنما تعنـى «ملكيـة المنفعـــة والتصرف» . ومـن ثم فالملكيـة فى الشريعـــة الاسلامية إذن «حق فردى مقيد ، وهو كائن باستخلاف ومنح وتوظيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليقوم المالك من خلالها بأداء وظائف شخصية واجتماعية حددتها الشريعة الغراء .

وملكية البشر هنا إنما جعلت تبعا لمبدأ الاستخلاف (﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[١٣] . فالمالك – عزوجل – استخلف البشر فى ماله ، وجعل لهم حق المنفعة وهذا الحق جعل فى بعض الأموال – وهو مايعرف بالملكية الخاصة – وفى بعضها الآخر جعل للجماعة أو الدولة وهو مايعرف بالملكية العامة[١٤] .

وإذا كان من المعلوم ان ملكية الانسان للمال «ملكية وكالة واستخـلاف» ، فهـذا الاعتقـاد للمسلم ينتج عنه – حكما – ان تصرف الانسان الاقتصادى كسبا وإنتاجا وإنفاقا محكوم بإرادة المالك الأصلى وهو (الله) – تعالى – وهذا يعنى بشكل أوضح – كما يقـول عمـر حسنـة : أن الانسان لايمتلك حرية التصرف من كل ضابط فى كسب وانفاق المال ، وانما هناك ضوابط شرعية وضعها المالك الأصلى لتحكم ممارسات الانسان جميعها ، الأمر الذى يترتب عليه قيود للكسب ، وقيود للانفاق «أو بمعنى آخر : هناك وسائل كسب شرعية ووسائل كسب محظورة ، لايحق للمسلم ممارستها أو الاقدام عليها فى معاملاته فى المجتمع ، كالربـا والميسر والاحتكـار ، والغبـن والغش وكل العقود التى تتضمن الغرر والخداع . وهو ماسنفصل له فى موضعه من هذا الفصل تحت عنوان «ضوابط الملكية الشرعية فى الاسلام» .

أنواع الملكية :

نخلص من ذلك إلى ان الملكية – فى وضعها الثانى – هى ايضا نوعان خاصة (أو فردية) وعامة (أو جماعية) أو كما يسميها بعض الباحثين بـ(الملكية المزدوجـة الخاصة والعامـــة)[١٥] ، وسنتنـــاول بالتفصيل هذين النوعين من الملكية لما لهما من ارتباط وثيق بالزكاة ودورها فى تنمية المجتمع ، وذلك على النحو التالى :

١ – الملكية الخاصة :

تجمع كل المؤلفات القديمة والحديثة.. على أن الاسلام أقر الملكية الخاصة (الفردية) وحماها إلى أقصى الحدود ، معلنا أن «كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه»[١٦]، وأنه «لا يحل مال امرؤ مسلم إلا بطيب نفس»[١٧] ، بل إن «من قتل دون ماله فهو شهيد»[١٨] .

وتقرير حق الملكية الفردية يحقق العدالة بين «الجهد والجزاء» ، فوق مسايرته للفطرة واتفاقه مع الميول الأصيلة فى النفس البشرية ، تلك الميول

(١٣) سورة الحديد ، الآية ٧ .

(١٤) الطبيعة المذهبية للاقتصاد الإسلامى ، بحث/ أشرف عبداللطيف ، مجلة (منبر الشرق) المركز العربى الإسلامى للدراسات ، القاهرة ، العدد/١٥ ، سبتمبر ٩٤ ص ٣٤ .

(١٥) النظام المالى فى الإسلام ، للدكتور إبراهيم حامد الانصارى ، ص ٧٦ ـ ٧٨ .

(١٦) رواه أبو داود وابن ماجه ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه .

(١٧) رواه أحمد فى مسنده .

(١٨) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان .

التى يحسب الاسلام حسابها فى إقامة نظام المجتمع ، وفى الوقت ذاته يتفق مع مصلحة الجماعة بإغراء الفرد على بذل أقصى جهد فى طوقه لتنمية الحياة . فوق مايحقق من العـــزة والكرامـــة والاستقلال ونمو الشخصية للأفـــراد بحيث يصلحون أن يكونوا أمناء على هذا الدين ، يقفون فى وجه المنكر ويحاسبون المخطىء فالنصيحة لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين : خاصتهم وعامتهم واجبة ، وهكذا نجد أن الشريعة الإسلامية تكفلت بوضع القواعد التى تضمن تحقيق مصالح الفرد والجماعة فى توازن مطلوب ودون غلو او شطط أو إلغاء للحقوق أو مساس بجوهرها .

ان حق الملكية حق شخصى لايجوز التعرض له مادام المالك يلتزم باستعماله وفق ماأراد الشارع الحكيم ، ولقد يرى البعض ان حق الملكية ليس وظيفة اجتماعية ، لأنه لم يتم بتوظيف من المجتمع ، وانما بتوظيف من الشارع .

ونحن نختلف مع صاحب هذا الرأى ، ونميل إلى أن حق (الملكية) وظيفة اجتماعية بمعنى أنه يؤدى دورا ايجابيا فى المجتمع سواء كانت هذه الملكية فردية أم جماعية ، نظرا إلى الهدف الذى يحققه فى المجتمع ، وبما أنه يتم «بتوظيف» من الشارع فهو بمثابة «تفويض» من الله – تعالى – للانسان فى الدنيا لممارسته هذا الحق أو تلك الوظيفة الاجتماعية فى هذه الحياة بطبيعة الحال .

ودليلنا على ذلك أن الاقتصاد الاسلامى يقرر – منذ البداية – الملكية الفردية ويقرر كذلك الملكية الجماعية ويجعل لكل منها مجالها الخاص ، الذى تعمل فيه ، وان كانت كل منهما ليست مطلقة ، وانما مقيدة بقيود ترجع لتحقيق مصلحة الجماعة ولمنع الضرر أو وقوعه فى المجتمع ، الأمر الذى ينتهى بالملكية إلى ان تصبح «وظيفة اجتماعية»[١٩] .

وسائل التملك الفردى :

ويرتب الاسلام على نظريته لطبيعة الملكية نتائجها المنطقية ، فيضع الشروط الصحيحة للتملك ، بحيث لايخرج عن مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد الداخلة فى مصلحة الجماعة لاتنفصل عنها أبدا .

فهو يقرر : أولا أن الملكية لاتكون إلا بسلطان من الشارع «فالشارع فى الحقيقة هو الذى أعطى الانسان الملك بترتيبه على السبب الشرعى ، ولذا جاء فى بعض التعريفات : «ان الملك حكم شرعى مقدر فى العين أو المنفعة ، يقتضى تمكين من يضاف إليه من انتفاعه بالشىء وأخذ العوض عنه» ؛

ولبيان ذلك نقول : إن وسائل التملك ابتداء التى يعترف بها الاسلام هى :

اولا : الصيد وهو الوسيلة البدائية الأولى فى حياة البشرية ، وإن كانت ماتزال وسيلة للحصول على نوع من المال فى الأوساط التى ارتفعت وتحضرت ، فصيد السمك واللآلىء والمرجان والاسفنج – وماإليها – موارد ضخمة من موارد الدول والأفراد . وصيد الطير والحيوان هواية وتجارة .

ثانيا : إحياء الموات : وهى الأرض الخراب التى لايمتلكها أحد ولاينتفع بها أحد ، وهى – كما ذكر

---

(١٩) المذهب الاقتصادى فى الإسلامى ، للدكتور محمد شوقى الفنجرى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٥ .

الفقهاء – أرض خارج البلد لم تكن ملكا لأحد ولاحقا له خاصا ، فلايكون من أرض المواتِ :

١ ـ الأرض التى تكون داخل البلد ولو كانت خربة .

٢ ـ الأرض التى تكون خارج البلد ولكنها من المرافق العامة لأهل المنطقة المجاورة لها .

٣ ـ الأرض التى تكون فيها المعادن ، وقد مثل الفقهاء الأقدمون لذلك بالملح والنفط والقار وما أشبهها مما لا يستغنى عنه الناس .

وإحياء الأرض الموات يكون بجلب الماء لها إن كانت خالية من الماء أو بتجفيفها إن كانت مغمورة بالماء ، أو بزراعتها ، أو بالبناء فيها أو بكل شىء يجعلها صالحة للاستثمار بعد أن كانت معطلة .

قال الماوردى : وصفة الإحياء معتبرة بالعُرْف فيما يراد له الإحياء ؛ لأن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أطلق ذكره إحالة على العُرْف المعهود فيه .

وحكم من أحيا أرضا مواتا كان مالكا لها وقد وردت فى ذلك أحاديث وآثار : فقد صح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال: « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وما أكلت العافية منها فهى له صدقة »[٢٠] .

وفى رواية أخرى : « من عمَّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها »[٢١] .

هذا ، ولابد من أن يقوم الفرد بإحياء الأرض التى وضع يده عليها خلال ثلاث سنوات من وضع يده عليها وإلا سقط حق ملكيته لها ؛ لأن الغرض من ذلك هو إحياء الموات لتحقيق المصلحة العامة فى الاستفادة به ، وثلاث سنوات محك كاف لقدرة واضع اليد على هذه الأرض ، فإن لم تتبين هذه القدرة عادت الأرض الموات التى لم يكن لها مالك للجماعة ، لا يحتجزها فرد منها ، أو يستولى عليها بحجة وضع اليد ـــ كما هو معروف فى النظم الوضعية ، طبقا للحكم « ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » .

والحكمـــة من ذلك الشرط ـــ باتفـــاق الفقهاء ـــ هى أنه إذا مضت ثلاث سنوات ولم يقم محتجر الأرض بإحيائها انتزعت منه وأعطيت لغيره ؛ لأن القصد من تمليكه لأرض الموات أن ينتفع المجتمع والدولة الإسلامية بزيادة الثروة العامة أو الدخل القومى وتوسيع رقعة الأرض الصالحة للزراعة والاستثمار .

وهذا الجانب مراعى الآن لدى اكثر من دولة حتى بعض الدول العلمانية رأت أنه لا يجوز لها أن تعطى الأرض لشباب ثم تتركه هملا .

ثالثاً : استخراج ما فى باطن الأرض من المعادن (الركاز) وهذا العمل يجعل أربعة أخماس ما يستخرج من معدن ملكا لمن استخرجه ، والخمس زكاة ، إذ كان هذا الركاز مباحا يحصل عليه الفرد بجهده وكده . وهنا لابد من كلمة

(٢٠) رواه أحمد والنسائى وابن حبّان والضياء فى المختار ، عن جابر ـ رضى الله عنه .

(٢١) راجع كتاب الأموال لابن سلام .

تقال : فقد كان ما يستخرج من الركاز إلى الوقت الذى شرع فيه هذا الحكم هو من المعادن القليلة الاستعمال ، كالذهب والفضة ، وهذه ليست من ضروريات الجماعة كلها كالبترول والفحم والحديد ، فهل يلحق البترول والفحم والحديد وما فى حكمها بالضروريات المشاعة ، كالماء والكلأ والنار ، أم الركاز الذى كان معروفا فى أوائل عهد الإسلام ؟

نحن نميل ــ هنا كما يميل بعض الكتاب ــ إلى رأى المالكية فى اعتبار هذه الأنواع ملكاً عاماً لا تنتقل ملكيته إلى مالك الأرض التى وجد فيها ، لأن تملكه للأرض لا يعنى تملك ما فيها ، إذ ليس لمثلها تملك الأرض وتطلب فى العادة .

رابعاً : الإقطاع : وهو فى الشريعة يعنى : تمليك الإمام أرضا لا مالك لها ، لإنسان يقوم بعمارتها واستغلالها ، على أن يتم ذلك خلال مدة معينة[٢٢] .

١ ــ الأراضى غير المملوكة لأحد ولو كانت خرابا .

٢ ــ الأراضى التى ليست من المرافق العامة ، التى يحتاج إليها سكان المدن أو القرى أو الصحراء .

٣ ــ الأراضى التى ليس فيها معادن يحتاج إليها الناس ، كالفحم والبترول والذهب والفضة .. الخ . وماعدا هذه الأنواع الثلاثة من الأراضى فمن حق الإمام أن يُقْطِعَها لمن يشاء ، ولا يجوز له أن يفعل ذلك محاباة ، وإنما عليه أن يبتغى فى ذلك نفع الأمة والبلاد[٢٣] .

وقد أقطع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبدالرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وغيرهم ، فهو إقطاع لعمل عمرانى أدى أجل الخدمات المالية للدولة وعمل على تنمية ثروتها الأقتصادية . وفى أكثر الحالات لم يخرج الإقطاع عن حدود الشريعة ، وهو أن تكون الأرض المُقْطَعَة أرضا مواتا ، غير مملوكة لأحد أو من أراضى الدولة غير المحظور إقطاعها على النحو الذى أشرنا إليه ، ويكون ذلك لمن يحسن عمارتها واستغلالها ، ونصوص الفقهاء كلها مجمعة على ذلك[٢٤] .

رابعاً : تصنيع المادة الخامة ، لتفى بحاجة حيوية وتحقق منفعة لم تكن تحققها وهى خامة ، أو تحسين وظيفتها بحيث تؤدى منفعة أكبر .. وقيمة العمل ــ بأنواعه ــ واضحة فى هذه العملية .

خامساً : التجارة وتتضمن مراحل متعددة قد يقوم بها كلها فرد واحد أو أفراد متعددون ، ولكن الغاية التى تتحقق فى النهاية هى نقل الأشياء الخامة أو المصنعة من يد إلى يد ، مما يزيد الانتفاع بالخامة أو السلعة .

سادسا : العمل بأجر للآخرين . والإسلام يحترم هذا العمل ويعظمه ويدعو إلى توفية أجره معجلا كاملا غير منقوص . « وقل أعلموا فسيرى

(٢٢) راجع اشتراكية الإسلام ، السباعى ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٢٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢٤) النظام المالى فى الإسلام ، د. إبراهيم الأنصارى ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . التوبـة (١٠٥) ، وفى ذلك حث على التجويـد والإحسان .

سابعاً : الميراث : يعد إيضا بابا من أسباب الملكية بانتقال التركة ـ بعد سداد الديون ـ إلى الوارث .

ثامنا : شتى صور « العمل » التي تتجدد وتتمثل فى بذل جهد عقلى أو عضلى .. تلك هى الأسباب التى يقرها الإسلام سببا للتملك ابتداء . دون ما عداها حتى يكون للفقهاء فيه تحكيم .

ومادام العمل ـ بشتى صوره ـ هو سبب التملك فتقرير حق الملكية الفردية فى الحدود التى بينا لا يضار به أحد .

الإسلام وحماية الملكية الخاصة

من أهم المقومات التى صانها الإسلام : الحريات ـ بحقها ـ والملكيات كذلك حتى تشيع فى حياة الأفراد وحياة الجماعة روح الاطمئنان ، فيتوجه الناس إلى أعمالهم وقد ملأ الأمن جوانب نفوسهم ، وانعكس على حياتهم .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام السرقة ، قال تعالى « والسارق السارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله»[٢٥] . والاختلاس والنهب .

كما حارب الإسلام الادعاءات الباطلة والأيمان الكاذبة قال سبحانه وتعالى :ـ

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ ﴾ سورة البقرة

يقول الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود :

وقد وضع الله ـ سبحانه وتعالى : قواعد لكسب المال ، وقواعد لطهر المال ، وقواعد للأغنياء الذين آتاهم المال . ونظم الأمر فى كل مايتعلق بالمال : تجارة وزراعة وإجارة وبيعا وشراء وكتابة للدين .. الخ[٢٦] .

أما قواعد كسب المال فانها تكاد تتلخص فى كلمة الحلال وتعنى : أن يكون المال خالصا من وجوه الحرمة ، لاشبهة فيه . ولقد شدد الاسلام كثيرا فى اشتراط أن يكون الكسب من حلال .

فعن ابن عباس ـ فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ـ قال : تليت هذه الآية عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » فقام سعد بن أبى وقاص وقال : يارسول الله : ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : ياسعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوما (يعنى صلاة أو دعاء) ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به ..

ومما يتصل بذلك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)[٢٧] .

وأخذ المسلمون فى إطار تلك المبادىء الإسلامية يعملون فى جد لكسب العيش ولاستثمار المال ، كانوا يتاجرون ويزرعون ويسافرون بالتجارة هنا وهناك أو يرسلون من يقوم نيابة عنهم بالتجارة فى أموالهم .

(٢٥) سورة المائدة ، الآية ٢٥ .

(٢٦) د. عبدالحليم محمود . أبو ذر الغفارى والشيوعية ص ٤٢ ـ ٤٤ ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ .

(٢٧) رواه الترمذى والحاكم ، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه .

رد علمي على مقال الأستاذ كليب،

الفجر الصحيح وترشيد التصحيح

للأستاذ الدكتورة مرفت السيد عوض (*)

طالعتنا مجلة الأزهر الشريف فى عدد شوال المبارك بمقالة للأستاذ (عبد الملك على الكليب) تحدث فيها ـ عما ظنه خطأ ـ فى الوقت المقدر لبدء حلول صلاة الفجر ، واقترح ما عنَّ له من تصحيح ، وحيث إن لهذا الموضوع الهام جانبيه : الشرعى والعلمى الفلكى رأيت لزاماً علىّ توضيح ما التبس على الأستاذ الكاتب مع دعائى له أن يثيبه الله على اجتهاده ، وأن يوفقنى الله ـ سبحانه ـ فى تجلية الأمور . وقبل أن أعرض للرأى العلمى الصحيح المبنى على تعريف دقيق لوقت الفجر أرى من الضرورى أولًا إبداء ملاحظات واضحة على المقالة المذكورة .

ملاحظات على مقالة الأستاذ الكليب :

يقول الكاتب بصفحة ١٤٣٨ :

« من المتفق عليه فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية أن الظلام يكون دامساً عندما يكون انخفاض الشمس ١٨° تحت الأفق وأن أول خيط من الفجر يظهر بعد دقائق ليست بالقليلة من الوقت الذى يكون فيه مركز الشمس عند هذه الدرجة (١٨°) » .

(*) الكاتبة : أستاذ الفلك وعلوم الفضاء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

والجزء الأخير من هذا القول فيه الكثير من عدم الدقة : فهذا الانخفاض للشمس يقصد به تحديد الوقت الملائم لإجراء الأرصاد الفلكية سواء كان بعد غروب الشمس أو قبل شروقها ، أما إذا ارتفعت الشمس تحت الأفق بأكثر من ذلك أضاءت السماء بنورها بدرجة لا تسمح بإجراء تلك الأرصاد .

ويقحم الكاتب أول صفحة ١٤٣٩ – العلم ببساطة غريبة حيث يقول : « ولكن العلم والواقع ينفيان ذلك نفياً قاطعاً » .

والعلم لا يصح أن يقحم إلا بواسطة المتخصصين وبعد إجراء حسابات وقياسات دقيقة ومعقدة .

كذلك أورد الكاتب فى ذات الصفحة تعليقاً خاطئاً تحت الرسم حيث يقول : « فالراصد الذى ينظر إلى الموضع الذى سوف تطلع منه الشمس يرى فقط تلك الأجزاء المتوهجة من الغلاف الجوى فوق الارتفاع (ع) » .

والصحيح أن الراصد لن يرى شيئاً غير ما يتشتت من ضوء الشمس على مكونات الغلاف الهوائى ليصل إليه فوق مستوى الأفق الخاص به .

وجاءت صفحة ١٤٤١ استشهاد الكاتب بما ورد عن السيدة/ عائشة – رضى الله عنها – فيقول : إن الرسول ﷺ « لم يكن ينتظر فقط طلوع الفجر ثم يصلى الركعتين الخفيفتين بل كان يمهل حتى يستتير الفجر ثم يصليهما » .

بينما لا يفهم هذا بأية صورة من حديث السيدة/ عائشة .

وأورد فى نفس المقال صفحة ١٤٤٠ ما نصه « كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين بعد أن يتبين الفجر » .

وشبه الجملة الأخيرة لا تعنى انتظاراً حتى (يستتير الفجر) كما يقول الكاتب ، بل تعنى تثبتاً من حلول الوقت حيث كان دخول الوقت يعتمد على الرؤية الشخصية وليس له معايير أخرى ، يؤكد ذلك ما أورده (السندى) و (البغوى) عن تفسير الشافعى للحديث الشريف « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر » على أن المقصود تيقن طلوع الفجر وزوال الشك .

وفى صفحة ١٤٤٢ أورد سيادته تبسيطاً غريباً للأمور حيث يقول : « يوجد فى علم الفلك والملاحة والعلوم الجوية اتفاق عام على أنه عندما تكون زاوية انخفاض الشمس ١٨° تحت الأفق أو أقل من ذلك بقليل (٣٠ ١٧° أو ١٧° مثلا) فإنه لا يوجد أى أثر لضوء الفجر على الأفق .

ونتساءل : من أين جاء الكاتب بالأرقام ما بين القوسين ، ثم هل يصح أن نستخدم كلمة (مثلا) فى هذا السياق شديد الجدية . إن كل ما استشهد به من تعريف للشفق سواء فى « جداول سمثونيان » أو الموسوعة البريطانية حدد انخفاضاً للشمس مقداره ١٨° .

● ● ●

حديث الكاتب مع المراصد العالمية :

تحدث الكاتب عن مراسلات بينه وبين مراصد عالمية نلخص هنا ردودها التى أوردها هو نفسه فى مقاله .

يقول مرصد البحرية الأمريكية :

١ ـ ينتهى الظلام التام فى الصباح عندما يكون مركز الشمس هندسياً تحت الأفق بمقدار (١٨°) .

٢ ـ على أى حال تكون الإضاءة وقتئذ خافتة لدرجة غير مؤثرة .

٣ ـ يحتاج الأمر فى موقعك الجغرافى المحدد لإجراء أرصاد مطولة لتبين الفترة الزمنية التى تمضى بعد بدء الشفق الفلكى صباحاً وحتى يظهر أول ضوء مرئى .

أما رد مرصد جرينتش فقد نص على أنه :

« من المهم أن تكون الشمس تحت الأفق بأكثر من (١٨°) حتى لا يؤثر الشفق فى الأرصاد الفلكية » .

ملاحظة أخيرة عن الأرصاد التى يقول : إنه أجراها لإثبات ما ذهب إليه ، وهى أن الأرصاد التى تجرى لاختبار أمر كهذا لا تكون بالنظر للنجوم لاستطلاع إمكانية رصدها من عدمه ؛ بل بطرق أخرى يعرفها المتخصصون .

كذلك وقع سيادته ـ فى بدء مقاله ـ فى خطأ علمى فادح حين ذكر أن أخفت نجوم السماء تكون من الدرجة السادسة .

والصحيح أن نجوم القدر السادس هى أخفت ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، ومما يرى من السماء بالعين المجردة ؛ بل بالعين من خلال المناظير ما هو إلا قطرة فى محيط الكون الفسيح .

تعريف الفجـر :

قال الله ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ .

سورة البقرة ـ اية : ١٨٧

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾

(سـورة الإسـراء)

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ٢٦

فى الآية الكـريمة الأولى حدد لنـا الله ـ سبحانه ـ وقت بداية الفجر تحديدا لا يقبل فى تفسيره أى لغو ، فضوء الفجر يبدأ فى الظهور كضوء خافت مواز لخط الأفق ويميل لونه للحمرة بينما يكون كل ما يعلوه من السماء سوادا كالحا ، وتشبيه هذا الضوء بالخيط لم يأت من فراغ فهو تعبير ربانى ، إن الله ـ سبحانه ـ يخبرنا أن وقت الفجر يبدأ مباشرة بمجرد ظهور أقل ضوء على الأفق وليس بعد أن ينتشر هذا الضوء . ما يحدث بعد ظهور هذا الخيط من الضوء أنه يبـدأ فى الانتشار فيزداد عرضا فوق الأفق كما يزداد انتشارا على امتداده ، وتضطرد الزيـادة إلى أن تشرق الشمس لتضيىء الأرض بنور ربها .

وكما ورد فى تفسير القرطبى لهذه الآية الكريمة وتحديد بدء فترة الفجر فقد قال الجمهور من الفقهاء : « ذلك الفجر المعترض من الأفق يمنة ويسرة » كذلك روى مسلم عن سمرة بنجندب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « **لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا** » وأداه حماد بيديه قال : يعنى معترضا .. وفى حديث ابن مسعود ينبه لوجود

الفجر الكاذب « إن الفجر ليس الذى يقول هكذا ــ وجمع أصابعه ثم نكسها إلى الأرض ــ ولكن الذى يقول هكذا ــ ووضع المسبحة على المسبحة ومد يديه » كذلك روى الدارقطنى عن عبدالرحمن بن عباس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « هما فجران : فأما الذى كأنه ذنب السرحان ، فإنه لا يحل شيئا ولا يحرمه ، وأما المستطيل الذى عارض الأفق ففيه تحل الصلاة ويحرم الطعام » .

أما الآية الكريمة الثانية فتتحدث عن وقت صلاة العشاء وفى تفسيرها ذكر القرطبى : يقول الإمام مالك ــ رضى الله عنه ــ فى الموطأ : « فإذا غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء » وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه والحسن وأحمد وإسحق وأبو ثور وداود .

والآية الكريمة الثالثة لا تتعلق بتحديد وقت للفجر أو للعشاء ، ولكنها تخبرنا بأن الله ــ سبحانه ــ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بمعنى أنهما غير منفصلان تمام الانفصال فالانتقال بينهما يتم تدريجيا فلا تكون ظلمه ثم يبهتنا الضياء فجأة أو يكون نهار فيفجأنا الظلام .

الفجر الصادق **والفجر الكاذب** :

مثلما ينعكس ضوء الشمس على المرايا والسطوح اللامعة ، تبعا لقوانين الانعكاس المعروفة ، ينعكس كذلك على جزيئات الهواء وبخار الماء والأتربة العالقة به ؛ ولأن هذه الجزيئات والعوالق تملأ الفراغ متحركة فى كل اتجاه لا يسمى الانعكاس عليها انعكاسا بل تشتتا وهو يحدث فى جميع الاتجاهات ، ويصلنا على الأرض نوعان من هذا الضوء المتشتت :

١ ــ ضوء الشفق : وهو ما يضىء الأرض لفترة بعد غروب الشمس وقبل شروقها ، وهذا الشفق ناجم من تشتت ضوء الشمس على مكونات غلافها الجوى .

٢ ــ الضوء البروجى : وهو ضوء خافت يظهر قبل الفجر تجاه الشرق على شكل هرم قاعدته على الأفق ورأسه لأعلى ، وهذا الضوء ناجم من تشتت ضوء الشمس على الغازات والأتربة الموجودة فيما بين الكواكب .

والضوء البروجى هذا هو ما اصطلح على تسميته بالفجر الكاذب .

على ذلك فإن الفجر الكاذب هو ضوء هرمى الشكل تنطبق قاعدته على الأفق ويرتفع لأعلى ، أما الفجر الحقيقى أو « الصادق » فهو خيط الضوء الذى أخبرنا به الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى سورة البقرة ، ويميزه عن ضوء البروج أنه مواز للأفق منتشر يمين الشمس ويسارها ولونه مائل للاحمرار ، وما أن يبدأ حتى يأخذ فى الانتشار أفقيا لأعلى إلى أن يظهر قرص الشمس فوق الأفق .

وقد ورد فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى ، أن سائلا أتى الرسول ﷺ يسأله عن مواقيت الصلاة قلم يرد شيئا ، قال : فأمر بلالا فأقام الفجر حين انشق الفجر والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا ــ ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها والقائل يقول : قد طلعت الشمس أو كادت ، ثم دعا السائل فقال : « الوقت بين هذين » ، كذلك فعل الرسول ﷺ بالنسبة للمغرب ليبين لنا أنه فيما بين غروب الشمس وانتهاء الشفق حيث يحل وقت العشاء .

الشفق ووقت الفجر :

يتضح من العرض السابق أن الشفق – هو إضاءة السماء (أو الأفق) بضوء الشمس – لا يأتى مباشرا بل متشتتا على مكونات جو الأرض ، وضوء الشفق بطبيعة الحال ينقص بازدياد انخفاض الشمس تحت الأفق وبذلك يكون له تعريفات مختلفة منها :

١ – الشفق الفلكى : تكون الشمس فيه فى انخفاض تحت الأفق يقل عن ١٨° حيث يمكن إجراء الأرصاد الفلكية ، **وزاوية الانخفاض هذه ليست حاسمة تماما كما ظن الأستاذ / الكليب فهى تعتمد على الظروف الجوية أى : إنها زاوية استرشادية لدرجة كبيرة** وكل فلكى أقدر على مواءمة ظروف أرصاده التى يجريها . ودليل ذلك فى بعض أيام الخماسين حين يظل الأفق منيرا حتى بعد العشاء .

٢ – الشفق البحرى : ويقدر فيه انخفاض الشمس بحوالى ١٢° تحت الأفق حيث يمكن رصد بعض النجوم اللوامع وذلك لصفاء الأفق فوق البحر والمحيط .

٣ – الشفق المدنى : ويقدر فيه انخفاض الشمس تحت الأفق بحوالى ٦° حيث لا يمكن عندها تسيير الحياة المدنية بغير استخدام الأنوار الصناعية .

إذن فتعريف الشفق يعتمد على الهدف منه ، ومن حقنا كمسلمين أن نتبنى ما يتماشى مع ما أمرنا به الله ورسوله . إن الظروف الجوية وقت غروب الشمس تعجل بعضا بصلاة العشاء فتحل حين يصل انخفاض الشمس تحت الأفق إلى ١٧,٥° ، أما قبل الفجر فتسكن الحياة وتتغير الظروف الجوية فمثلا بتكثف قدر كبير من بخار الماء قرب سطح الأرض ، يؤدى هذا إلى ازدياد قدرة الهواء على تشتيت ضوء الشمس مما يعجل بظهور الشفق ، لذلك يحين وقت الفجر والشمس تحت الأفق على انخفاض قدره ١٩,٥° .

هاتان الزاويتان لم تقدرا جزافا وإنما بعد دراسات وقياسات دقيقة لإضاءة ضوء السماء قبل لحظة بدء الفجر وبعدها وكذلك بالنسبة للعشاء . وقد جرت مراجعات عديدة لهذه القيم ، وهى – وإن اختلفت بقدر ضئيل تبعا للظروف الجوية – إلا أننا لا يمكن أن نحدد زاوية لكل يوم من السنة فهاتان القيمتان (١٧,٥° للعشاء ، ١٩,٥° للفجر) تمثلان الواقع بصورة كاملة بما يرضى الله ويبعد عنا أثم مخالفة شرعه سبحانه .
(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا)

☐ **مجلة الأزهر :**

نلاحظ أن دراسة الأستاذ الدكتورة مرفت مضادة – تماما – لدراسة الأستاذ كليب ، وليس ذلك كل ما هنالك ؛ فهناك أكثر من دراسة فى الموضوع ، وقد اهتمت بها الهيئات الدينية الرسمية لاستخلاص الصواب الرشيد فى هذا الأمر وعلى الله قصد السبيل .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السؤال التالى من السيد/ محمود لطفى محمد عبدالرحيم الطالب بالأزهر عن حكم قول : « صدق الله العظيم » بعد تلاوة القرآن الكريم ، وهل هو بدعة ، وهل يصح أن يصدق الإنسان على كلام الخالق أفيدونا أفادكم الله ؟

الجواب : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد فقول « صدق الله العظيم » من القارىء أو من السامع بعد الانتهاء من القراءة أو عند سماع آية من القرآن ليس بدعة مذمومة .

أولا : لأنه لم يرو نهى عنها بخصوصها .

وثانيا : هى ذكر والذكر مأمور به كثيرا .

وثالثا : أن العلماء تحدثوا عن ذلك داعين إليه كأدب من آداب قراءة القرآن ، وقرروا أن قول ذلك فى الصلاة لايبطلها .

ورابعا : أن هذه الصيغة أو قريبا منها ورد الأمر به فى القرآن .

قال تعالى :

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾

سورة آل عمران ٩٥

وقال : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ .

سورة الأحزاب

وجاء فى فقه المذاهب الأربعة : أن الحنفية قالوا : لو تكلم المصلى بتسبيح مثل « صدق الله العظيم » عند فراغ القارىء من القراءة لا تبطل صلاته إذا قصد مجرد الثناء والذكر أو التلاوة ، وأن الشافعية قالوا : لا تبطل مطلقا بهذا القول .

فكيف يجرؤ أحد فى هذه الأيام على أن يقول : إن قول « صدق الله العظيم » بعد الانتهاء من قراءة القرآن بدعة .

السؤال من السيد/ م . أ . جمال نرجو الإفادة عن مشروعية الاشتراك فى مجلس إدارة شركة للمشروبات تقوم بتصنيع وتعبئة البيرة (الكحول) والبيرة الخالية من الكحول والمشروبات الغازية والمياه المعبأة ، هل الاشتراك فيها حلال أم حرام وما الحكم ؟

الجـواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد بأنه إذا حرم الشىء حرمت كل الوسائل المؤدية إليه ، ومجلس الإدارة الذى يشرف على إنتاج هذه المشروبات لاشك أنه مسئول أمام الله - تبارك وتعالى - .

وبناء على ذلك فترك الاشتراك فى مثل هذا المجلس هو الواجب ، واستبراء لذمة الشخص من تشجيع المحرم وأكل أموال الناس بالباطل ، وإذا كانت هذه الشركة تقوم بإنتاج أصناف أخرى غير محرمة كالبيرة الخالية من الكحول والمشروبات الغازية والمياه المعبأة فإنها إلى جانب ذلك تنتج البيرة (الكحول) فلذلك ينبغى على المرء المسلم أن يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه حتى يكون كسبه حلالا لا شبهة فيه والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة/ ن . م . ع تقول فيه : لقد طلقنى زوجى طلقة بائنة على الإبراء ، وذلك أمام قنصلية مصر بفرنسا ، وحيث إن لى من مطلقى المذكور طفلة فى حضانتى ؛ فأرجو إفادتى عمن يتولى الإنفاق عليها علما بأن إبرائى لمطلقى لم يشمل التنازل عن نفقتها فما الحكم ؟

الجـواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن الحضانة تكون للأم متى توافرت فيها الشروط ، الولاية تكون للأب ، وحيث إن الزوج المذكور أعلاه قد طلق زوجته على الإبراء من جميع حقوقها الشرعية من نفقة زوجية ونفقة عدة ونفقة متعة طبقا لقانون الأحوال الشخصية المعمول به فى مصر ، ولم يشمل تنازل الزوجة المطلقة عن نفقة ابنتها من والدها ، ولم يكن هناك عقد اتفاق بتعهد الزوجة بالإنفاق على ابنتها فإن الزوج أى والد الطفلة يكون مسئولا عن الانفاق على ابنته شرعا وقانونا ، والله تعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

أرجو الإفادة عن الحكم الشرعى فيما يأتى :
تزوجت ابنتى ، ولم توفق فى زواجها واضطررنا إلى إبراء الزوج من كافة مستحقات كريمتى : مؤخر الصداق ، ونفقة عام ، والمتعة ، وارتضينا بمبلغ خمسين جنيها شهريا نفقة لابنته من ابنتى .

وظل الحال على ذلك نحو سنة ونصف ، وشاء القدر أن يوجد إنسان رغب فى الزواج من ابنتى وتم الزواج ، وهنا طلب مطلقها استرداد ابنته مدعيا أن ذلك من حقه الشرعى فى حين أن جدة الطفلة أم أمها على قيد الحياة ، كذلك لم تزل والدتها ببيتى لم تدخل ، هذا مع موافقة الزوج الجديد على قبول حياة هذه الطفلة عنده أو عند جدتها أم أمها على سواء .

نرجو افادتنا بتحديد حق الحضانة لمن ؟ وإلى متى ؟ ولكم جزيل الشكر والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

س.ذ.م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ عليه وسلم وبعد :

فنفيد بأن الحضانة لأم الطفلة فإن تزوجت فإن الحضانة تنتقل إلى أمها (الجدة لأم) متى توافرت فيها شروط الحضانة . هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة س.م.م :

توفى رجل عن زوجة ، ابنين ، بنتين، تاركا : منزلا مبنيا (دور أول) على شقتين . وخمسة أفدنة زراعية ، وحصة فى منزل آخر آل إليه بطريق الميراث الشرعى ، وقبل توزيع التركة أو فرز وتجنيب التركة قامت الأم والبنتان بصفتهن بالغاتببيع جزء من الأرض الزراعية بما يعادل نصيبهن لغرض بناء دور ثان لصالح الورثة جميعاً ، وأن نصيب الابنين كان موجودا حيث إنهما كانا قاصرين بوصاية أمهما فى ذلك الوقت .

ثم بعد ذلك توفى أحد الابنين تاركا : أمه وأخيه الشقيق وأختيه الشقيقتين ، ثم توفيت الأم تاركة : الابن والبنتين .

الجـــواب :

أولا : إذا صح ما تدعية المستفتية من أن الأم والبنتين بعن جزءا من الأرض الزراعية بما يعادل نصيبهن ، وأخذن الثمن كله ، ودفع كله فى بناء الدور الثانى لصالح الورثة بثمن المبيع كله ، وأن البيع كان مشاعا ، ولم يتم فرز أو تجنيب حتى الآن فإن عناصر التركة مازالت موجودة للجميع .

وحيث إن أحد الابنين توفى فيكون لأمه السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والباق للأخ والأختين الشقيقتين تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وبما أن الأم ماتت هى الأخرى فإن التركة كلها المنزل والباق من الأفدنة وكذلك الحصة التى كانت آلت للأب عن طريق الميراث ، وماتركته الأم أيضا يعد تركة للجميع الابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد غلاب

الجزء الأخير

باحث فلسفي مستقل!

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

للدكتور محمد غلاب بحوث فلسفية كتبها للطلاب فى مذكرات متداولة ، وهذه البحوث تلتزم المنهج المقرر فى لائحة الكلية ، فمجالُ الابتكار فيها قليل ، لأنّ المؤلفِ يحاول أن يلم بالمقرر جميعه ، ولا يتسع المجال لمناقشة كل رأى على حدة ، وإذا أفادت هذه البحوث طالب الكلية ، فإن غيره من المثقفين يحتاجُ إلى غذاء أدسم وأوفر ، لذلك كانت بحوث الدكتور خارج نطاق الكلية

تدل على شخصيته العلمية أكثر من غيرها ، وما جاءَ من هذه البحوث تقليديًّا سرديا فهو مما كُتب للعامة ، ولا يزال كُتاب الفلسفة يستنزلونها من عليائها إلى مُستوى الجمهور ليضعوا أرضا ممهدة للمسير ، ومن هذه البحوث التقليدية ما كتبه الدكتور غلاب خاصا بعلم الكلام ، فهو أشبهُ بالمذكرات لا بالتحقيقات ، وما كتبه عن التصّوف الإسلامى ، إذ جعل تراجم رجال التصوف والمتكلمين بابا للحديثِ عن مواقفهم ، ولا شّك أن ترجمةَ العالم تفيد إذا شملت الحديث عن اتجاهاته الفكرية باشباع ، أمّا لو كانت تلخيصا لكتب الطبقات فإنها لا تُشبع حاجة القارىء المتعمق ، وإن أشبعتْ رغبة القارىء المبتدىء .

ولأترك الحديث عن ما يُشبه المذكرات المدرسية من آثار الدكتور ، إلى ما هو أليقُ بمستوى فكره الفياض ، وأبدأ بحديثه عن : الإسلام والفلسفة ، لأن شخصيتهُ العلمية قد برزتْ فى هذا الحديث . فقد بدأ القول بما اتهم به « رينان » العقل السامّى ورَدَ عليه فى اختصار ، وهو حديث كان أسبقَ مَن جلّى فيه الأستاذ مصطفى عبد الرازق فيما كتبه فى دروس الفلسفة الإسلامية . ثم ثنى بالحديث عن أسباب تفلسف العرب ، وجعل السبب الأول كتاب الله ، فأصاب حين ذكر أنّ القرآن أوّل كتاب سماوى فَرَض تعلم الحكمة على أبنائه فرضا حين دعاهم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وما نزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض ، ثم أفاض فى تأكيد هذا السبب بما تجاهله غيره حين جعل السبب الأوّل لفلسفة المسلمين هو الترجمة ، ولا أنكرُ أن ترجمة كتب الهند واليونان والفرس بعثت على الفلسفة ، ولكنّ التراجمة كانوا نَقَلة فقط وحظهم من الفلسفة حظ من وجد كلاما فنقله ، أما من قَرَءُوا الكتب المترجمة وتأثروا بها ونقدُوها فهم الجديرون بالانتساب إلى الفلسفة ، وقد أحسنَ الدكتور حين ردّ على مَن ذهبوا إلى أنّ فلاسفة المسلمين فى الأندلس كانوا أقوىَ من فلاسفة المسلمين فى المشرق ، وعلة ذلك عندهم ، أن البيئة الطبيعية بالأندلس أخصب منها فى بغداد ، وهى نَغْمة التفريق بين الأجْناس التى ابتدعها رينان ــ فقال الدكتور غلاب :

إن أمثالَ الكندى والفارابى وابن سينا ليسُوا بأقل من ابن رشد ، وإذا كان هناك نبوغ فى مؤلفات ابن رشد الأندلسى فمرجعه إلى التقدم الزمنى وإلى نضوج الفلسفة الإسلامية واطلاع اللاحق على آثار السابق فأفاد منها وزاد عليها ، وتلك طبيعة البحث على تداول العصور .

وقد عرضَ الدكتور غلاب إلى ما أفاض فيه فلاسفة المشرق من نقل عن فلسفة أرسطو ظهرتْ آثاره فى آراء الكندى والفارابى وابن سينا من حديث العقل الأوّل والعقل الثانى إلى العقل العاشر ، وما يُشبه هذه الخيالات ليبرىء الإسلام منها ، وينقل ما ذكره الغزالى عن تهافت

الفلاسفة ، ثم أعلن أن الفلسفة الحقيقية لا تصطدم مع حقائق القرآن فى شىء ، وأنّ كل ما سبق من حديث العقول بعيد عن منطق الإسلام..

وقال فى صراحة واضحة(١) .

« إن مشاهير فلاسفة الإسلام كالفارابى وابن سينا وابن رشد قدموا بعض النظريات اليونانية الخاطئة فَهووا فى نظر المسلمين هويًّا أفعم قلوب الأمة الإسلامية بالريب والشكوك فى الفلسفة كلها » .

والذين كتبوا فى هذا المجال من أساتذة الأزهر ، قد تحدّثوا عن هذه الآراء ليبيّنوا بُعدها عن الإسلام ، وإذا كان للإسلام فلسفة فليستْ هى التى توافق آراء أرسطو ، ولكنّها هىَ التى تنبع من آيات القرآن .

ومن أحسنِ ما كتبه الدكتور غلاب تحت عنوان (الأخلاق الفلسفية)(٢) مَا ذكره عن الدين وقوة سلطانه على النفوس فقد بدأه بحديث الشعوب الوثنية حين رأتْ مظاهر الكون الخارقة من : شمس ورعد وبرق ونار ، والنافعة من : حيوان وطير ونبات ، فاعتقدتْ أنها تُمثل المحرّك الأول لهذه المظاهر فاستحقت التقديس والعبادة ، وهى على بطلانها الواضح قد أفادتْ فى نزع الشرور وتخفيف الآثام ، لأنّ الاعتقاد بالمحرك الأول قد أوجد الخشية فى نفوس هؤلاء الوثنيين ، ولكنّ الله ـ عز وجل ـ لم يشأ أن يدومَ هذا الباطل رائناً فوق النفوس فبعث الرسل تترى لإعلان الحقيقة الأبدية ، وهى ربّ الوجود ، وبذلك انتقل الناس من الوثنية إلى التوحيد ، وإذا كان للدين أثره فى نزع كثير من الشرور فقد قام خلافٌ بين علماء أوربا حولَ نظرية تأسيس الأخلاق ، أيكونُ ذلك التأسيس على الدين أم يكون منفصلا عنه ؟ .

أما القائلونَ بقوّة الدين فى نزع الشرورِ فقد لمسُوا الحقيقة الواضحة فى أثر الإيمان فى الكفّ عن الضرر ، والتسامى بالغرائز الهابطة إلى مستوى النقاء والطهر ، كما أنّ ارتقاب الجزاء ثواباً أو عقابا فى الآخرة قد غلَّ المؤمنين بقيد خلقىّ لا ينفكّ ؛ فكان مصدرَ سعادة للبشرية ، لذلك وَجب أن تهتمّ الحكومات بالتربية الدينية ليسعد المواطنون فى ظلالها ، وأىّ قانون لا يستند إلى رقابة السماء فما أسهل عصيانه إذا أَمن المجرم على نفسه ، ولم يَر من يشهد جريمته من الناس ، وإذا كنّا نقدس القانون ونجعله كفيلا بصلاح البشرية فلا بدّ أن يستشعر الإنسان قوته المتمكنة منه ، ولن يكون ذلك إلا فىَ حياطة الدين ، إذ أنزله الله دستورا لصلاح الناس .

---

(١) مجلة الأزهر ـ المجلد السادس ص ٧٠٥ .

(٢) مجلة الأزهر ـ المجلد الثامن (أعداد متوالية ابتداء من ص ٢٨٢) .

وهذا المنطق الواضح قد وُجد من يخالفه ، ونشر الدكتور غلاب حجة هؤلاء ملخّصة فى أمور منها : أن الأديان كثيرة متعددة ونَشْرُ أخْلاقِ دين معين ، يجبر غير معتنقيه على قانون لا يؤمنون به !! وهذه سفسطة واهية ، لأن الأديان السماوية جميعها تتفق على الفضائل وتُحارب الرذائل دون نكوص ، فإذا نُشرت أخلاق الإسلام فى مصر – مثلا – فلن يرى النصرانىُّ فيها ما يخالف أخلاق دينه ، ومن الحجج أن بعض الحكومات لا دينية فكيف نُجبرها على أخلاق الدين وقد فَصلتْه عن السياسة ؟

والرّد على ذلك أنّ الشرائع السياسية يُمكن أن تتبدل ، أما قوانين الأخلاق فثابتةٌ ، والنصرانىُّ فى حكومة لا دينيّة كفرنسا يؤمن بأخلاق الإنجيل ويحتذيها ، وإنْ نادت الدولة بفصل السياسة عن الدين ، على أنّنا فى الإسلام لا نقرّ هذا الفصل ونراهُ خَرْقاً لشريعة الله ! فالمسألة تخصّ المسلمين ، وقد رَأى الفيلسوف (كانت) كبير الفلاسفة العقليين أن فَصل الدين عن الأخلاق خطر على الحياتين الاجتماعية والأخلاقية معاً ! والذين يحاربون انتساب الأخلاق إلى الدين ، يُريدون أن يتحلّلوا من الدين فلا يقعوا تحت حدوده إذا ارتكبوا الموبقات ، ولكن الإنسان السوىّ لا يخشى هذه الناحية ، لأنه بعيد عن أوبئة الانحلال ، والمفروض فى المسلم أن يكون من هذا الطراز .

ومتى انتهى الأمر إلى رعاية الأخلاق فى كنف الدين ، فمن أقوى وسائل الاجتماع أن يكون صاحبُ الدين ممّتعًا بضمير حىّ ، وهو ما عبر عنه القرآن بالنفس اللوامة ، وقد تحدث الدكتور غلاب عن الضمير وقوة تأثيره فى النفوس ، فقسم الضمير إلى نوعين : ضمير نفسى ، وضمير أخْلاق .. أما الأول فيقف عند إدراك ما يجيش فى النفوس من انفعالات .. وأما الثانى فهو الحكم الصادق على ما يأتيه المرء من أفعال ، وقد شاء له إطلاعه أن يزحم القارىء بآراء فلاسفة الأخلاق فى أوربا مُطيلا مجيدا ، لينتهى إلى : أن الأخلاق الإسلامية قد قامت على رعاية الضمير والاستماع إلى صوته ، وأنّ المثل الأعلى فى الإسلام ذروةٌ يطمح إليها المسلمون فهم دائمو السعى إلى الوصول إليها ، ومنهم من رزق الحظوة فارتقى ، ومن قصرت به خطاه فتلكأ .

وتابع الدكتور بحثه منتقلا إلى بحوث من علم النفس تتعلق بالغريزة ، وبحوث من علم الاجتماع تتعلق بالعادات والعرف والتقاليد ، ولكن ذلك كله فى نطاق التوجيه الإسلامى ، المؤيد بالشواهد والنصوص .

ولقد كان من الخير لأستاذ الفلسفة فى جامعة الأزهر ولطلّابه وقرائه أن يعالج هذه البحوث بوحى من ثقافته الدينيّة أولًا ، وبهدى من اطلاعه على أحدث الآراء الأوربية فى هذا المجال ليأخذ منها ويدع وفق تعاليم دينه ، لأن كثيرا من الذين ألفوا فى هذه الشئون الدقيقة ، قد نقلوا مترجماتٍ

أوربيّة عن أناس كثرتُهم الكاثرةُ من الماديين فأحدثوا بلبلة فى النفوس ، وانتشر ضلالهم على صفحات مجلّات تحب أن تنحدر النفوس إلى حضيض الشهوات ، ولم يجد الوعظ المنبرى شيئاً فى ردع هؤلاء ، فكان واجباً على الملتزمين من أساتذة الأخلاق والفلسفة أن يكشفوا النقاب عن مموّهاتٍ تَتَزيَّا بزى البحث الدقيق ، وهى فى الواقع لا تعرف طريق البحث الرشيد .. وما كتبه الدكتور غلاب يسدّ كثيرا من الثلمات ..

قضى الدكتور غلاب ردَحا فى فرنسا ، فقرأ كثيراً مما كُتب عن الإسلام فى الغَرْب ، وعَرف طرق التهجم الكاذب على حقائق هذا الدين ، وقد شغَله عمله الجامعى عن التصدى لهذه الافتراءات ، ولكنه أَخَذَ يرصدها ، ويسجلها فى أوراقه ليفرغ إلى معارضتها بعد أن ينتهى من عمله ، ولم يكن كقومٍ سمعوا هذه الأراجيف من أبناء مصر ، فاعتقدُوا صحتها ، وأخذوا يُشيعون الكثير منها فى مؤلفاتهم تزلُّفا إلى من بيدهم منح الدرجات العلمية هناك ، لذلك كتب الدكتور غلَّاب عدة بُحوث تحت عنوان : (الإسلام كما يراه الأوربيون) فأظهر أنّ قدماءهم كانوا يكذبون على الإسلام ، فيلصقون به وبرسوله ﷺ التهم الفاضحة دُون تمحيص ، ومنهم من حاوَل أن يثبت أنّ الإسلام دين التثّليث ، وقد أخذ هذا التعدّد عن المسيحيّة ، مع أنّ الإسلام دين التوحيد ، وما جاء إلّا لنشر التوحيد ، وإذا كان التثّليث مصدر تهمة يصمُ بها الإسلام فلماذا اعتنقه هذا المستشرق وآمن به ؟ وكم كان جميلا من الباحث الدكتور غلاب أن يأتى بالفرية الاستشراقية ثم يرد عليها بما كتب مستشرق آخر فى موضوعها ، لَا لأنه عاجز عن الإفاضة فى تفنيدها ، بل ليثبت للقراء أن الحق لا يعدم النصير ، فقد أثبت ما قال « رنيان » عن محاربة الإسلام للعلم ، وردَّ عليه بما قال الأستاذ « كارادى فو » كما نقل ما قاله الأخير عن الوحدانية وهو حقٌّ فى أكثره ، ولكن غيوماً تراكمت على بعض نواحيه فأزاحها بالدليل المقنع ، وقد قال عن (كارادى فو)[٣] :

« بعد أن انتهى الأستاذ من بسط آلهية القرآن عرض لما فيه من أخلاق فلسفية ، فكانت إبانته إياها بمثابة ردّ قاطع على أولئك الجاهلين الذين زعموا أن القرآن ليس فيه إلا نوع من الأخلاق العملية الساذجة المألوفة عند الشرقيين من مثل : الأمر بالصدق والأمانة والنهى عن الكذب والخيانة ، فأثبت لهم أنه قد احتوى بين آياته على أخلاق فلسفية هى فى أسمى درجات النظر ، ونقل من أقواله الشافية ما يؤكد هذا الاتجاه .

وإذا كان الباحث قد ذكر أنماطاً من الآراء المنحرفة لهؤلاء فقد وجد من الإنصاف أن يذكر أنماطاً تمثل الاتجاه المستقيم ، فكتب مقالًا عن : (الأستاذ أميل دير مانجيم) يُثبت فيه نواحى من السمو الرفيع للإسلام ونبيه الكريم ﷺ ، وقال إنه وفق إلى الكثير من الحقائق وإنْ كانت له هو

(٣) مجلة الأزهر ــ المجلد العاشر ص ٢٦٢ .

الآخر هفوات سأعرض لها فى حينها ، ثم نقل نصوصاً صحيحة من تفكيره المعتدل تحت عنوان[٤] (محمد إنساناً) و (محمد حكيماً) و (محمد نبيًا) وهى نصوص يقبلها المسلم بارتياح .

هذا وقد أطال الدكتور الوقوف عند آراء الأستاذ (بول كازانوفا) لأنه قد انتدب أستاذ بالجامعة المصرية حينًا من الدهر ، فذاعتْ آراؤه بين كثير من الطلّاب ، وقد ألّف كتاب : (محمد ونهاية العالم) ليثبت أن القرآن قد أضيف له بعد وفاة النبى ﷺ ما دعت الحاجة إليه فى نظريْ « أبى بكر وعمر » مثل الآيات التى صرَّحت بأن « الساعة من الأمور التى استأثر الله بعلمها » وتُهمةُ « إضافة شيء للقرآن » فريةٌ ، يعرف هذا المستشرق كذبها ، ولكنه علم أن الأناجيل قد حُرّفت وزيد عليها ، فأراد أن يجعل القرآن كالإنجيل ، ومضى يسوقُ مفتريات لا تثبت لأدنى تحقيق ، وقد ساعد عليها جهله بالأسلوب العربى لأنّه لا يعرف اللغة إلا عن طريق المعاجم ، كما يجهل الفرق بين الحقيقة والمجاز فى الأسلوب البيانى « وإذ ذاك يتورط فى الحكم الفاسد ، لأنه يضل معانى الكلمات ، وهذا ما كشف عنه الأستاذ غلاب فى تعقيباته الشافية ، وجاء بعد « كازانوفا » أكبر حاقد من المستشرقين وهو « الأب لا مانس » فجعل يجمع أشباه هذه المفتريات ، فإذا لم يجد اختلق وبالغ حتى سقطت سُمعته العلمية عند أصدقائه من ذوى نحلته ، والذين أشادوا به لم يستطيعوا أن يشفوا صدورهم من الحقد فمضوا على جمرهم محترقين ، وقد حدَّد الدكتور غلاب موقف هذا الحاقد وكشف عن خطئه المريب .

هذا نمط من الشبهات التى تصدّى لها الدكتور غلاب فى بحثه عن (الإسلام كما يراه الأوربيون) ، ولعلّى وقد رسمت خطوطا واضحةً عن اتجاهه الفكرى لا أعفيه من نقد هادىء أسجله عليه ، إذ كان يضيق كل الضيق بما يُوجّه إلى مقالاته وكُتبه من اعتراضات هادفة ، قد يكون قائلها مُخالفًا وجهة نظره ، ولكنّه دارس له حقّ المؤاخذة والتعقيب ، واذكر بهذا الصدد أن الأستاذ درينى خشبه قد نقد بعض مترجماته نقدًا صائباً مسبباً ، فضاق الدكتور غلاب ، والحق أنّ الكتاب المنقود ذُو أخطاء كتبها المؤلف وغفل عنها المترجم فلم يعقّب عليها ، فاستدرك الأستاذ درينى ما كان ، وظلّ الدكتور غلاب ضائقاً بالنقد حتى فرج عن نفسه بمقال كتبه تحت عنوان (النقد عندنا وعندهم)[١] بدأه بالضيق النافر من ركود الحركة النقدية الصحيحة ، ثم اشترط فى الناقد شروطاً جميعها فى قوله ! « إن هذه المهمة الشاقة لا تتيسر إلا لمن توافرت لديه شروط خمسة ، هى غزارة الثقافة ، واتزان المنطق ، والقدرة على اكتناه النفوس والدراية الاجتماعية ، والنزاهة الخلقية » وأفاض فى مثل هذه المعانى

لقد كان الدكتور غلاب باحثاً مثابرا نشيطاً ، ومؤلفاته الكثيرة شاهدة فضل ، ودليل مثابرة وإخلاص .. وهى بعد تسير فى عدة اتجاهات ..

---

(٤) مجلة الأزهر ـ المجلد العاشر ص ٣٧٩ .

(٥) مجلة الثقافة ـ العدد ـ ٦٣١ ـ ١٩٢٩/١٩٥١م .

خميلة الشعر

إعداد وتقديم الأستاذ/ محمد عبد الوهاب

وفاء لما أعلناه فى عدد ذى القعدة ـ فسوف نثرى هذا الباب بروائع من عيون الشعر العربى ، عقب قصيدة (من وحى الكعبة ، لمناسبتها العزيزة للشهر الحرام .. شهر الحج المبرور) ..

من وحي الكعبة

د. عزت شندى موسى

حديثـــا يا كعبـــة المسلمينـــا ما الـذى قد شهـدتِ عَبْـر السنينـا
كيـــف مرّت على حماكِ الليـــالى وعــــركْتِ الأيّـــامَ فيها قرونـــا

• • •

كنتِ أولى البيـــوت قامت على الأرضِ وأعــــلاكِ أوّلُ المومنينـــــا
وبقـــيتِ الـــنبراس والهدَى دوْمـــاً فى عصور التّـــاريخ للمدلجينـــا

• • •

منْ تولّـــى سقايـــة الحجّ ، بل من قد آقـــامَ الأركان فيك حصونـــا ؟
منْ مضَى يُوقــف المغيريـــن ، بل من قد تولّـــى صدَّ العـــدا المعتدينـــا ؟

• • •

كيـــف يوفى الحجيـــج عامـــاً فعامـــاً ثم يُخْنـــونَ فى ثراكِ الجبينـــا ؟
كيـــف طاف الوفـــود حولك تدعـــو فى ابتهال .. والدمع يكوِى الجفونـــا ؟

• • •

كيـــف قد هاجـــروا إلـــيك هُيامـــا بك .. حتّـــى نسوا لديك البنينـــا ؟
كلّمـــا عاد من رحـــابِك صَبٌّ ظَلَّ يهفـــو إلى الرحـــاب حنينـــا

• • •

ثم هل تذكريـــــــن يومَ قُرَيْشٍ حين هَبّـــوا فى خُلْفِهـــم مصبحينـــا ؟
مَنْ مِنَ السادة الكبـــــارِ قمين أنْ يقـــود الجمـــوع مسترشدينـــا ؟

• • •

فى احتكـام .. من يرفـــع الحجـــر الأسْـــعَـــدَ .. حتّـــى يُرْسِيـــهِ رُكْنـــاً ركينـــا ؟
ثم قالـــوا : ترقّبـــوا البـــاب كيْمـــا يحسم الأمْـــــرَ أوَّلُ المقبلينـــــا

• • •

واستـــــداروا فإذْ بأنـــــوار (طه) فوق هام الجميـــع تُضْفـــى فنونـــا
واطمأنـــوا لما سيـــقضى ، فهـــذا من قضى العمـــرَ .. صادقـــا وأمينـــا

• • •

كيـــف جاء الفتـــح المبين جـــزاء للـــذى أكمـــلَ الرسالـــةَ دينـــا
حيث قال الله العلـــىُّ « لطـــه » قد فتحنـــا علـــيك فتحـــا مبينـــا

• • •

بأبى أنت يا رســـول ، وأمّـــــى جئتَ للنـــاسِ شافِعـــاً وضمينـــا
فكُـــنْ الشافـــع المعين لعبْـــدٍ ظَلَّ طول الحَيـــاةِ ، يَرجـــو المعينـــا

إبداع الشعراء

من لامية العرب للشاعر ثابت بن أوس الأزدى

ونبدأ باقتنا الشعرية بنموذج من الشعر العربى العريق ، ويسعدنى أن أقدم فى هذا العدد شاعرا جاهليا من « الصعاليك » هو ثابت بن أوس الأزدى ، الملقب بالشَّنْفَرَى ، والذى عاش ونشأ بين بنى سلامان من بنى فَهْم .. وهؤلاء كانوا قد أسروه وهو طفل صغير ، فلمّا شَبَّ ، علم بحكاية أسره ، فأقسم أن يقتل منهم مائة رجل ، وقد تمكن من قتل تسعة وتسعين أمّا القتيل المائة ، فبعد موت الشنفرى ، رفسه هذا الرجل على جمجمته ، فدخلت شظية فى قدمه فقتلته .. ! هكذا تقول القصة .. ولعلها أسطورة .

تنسب كتبُ الأدب إلى الشنفرى قصائد ومقطوعات عديدة إلّا أنّ أكثرها تفوّقا هى قصيدته العصماء : (لاميّة العرب) وذلك لبروز الخصائص الفنية واللغوية الممتازة ، منها تلك الخصائص التى تجعل هذه القصيدة من أروع نماذج الشعر الجاهلى عامة وشعر الصعاليك خاصة ، وفيها يُظهر الشنفرى قوته النفسية والبدنية ، حيث يواجه الخطُوب الجسام وتحديات الطبيعة ، وتظهر قدرته على شنّ الغزوات ليلا أو نهارا .

يبدأ الشاعر قصيدته بقراره هجرته إلى أرض الله الواسعة ، وأظهر أنه يفضّل عشرة وحوش البريّة على عشرة قومه .. ونتابع معا الآن بعض أبيات هذه القصيدة الرائعة : لاميّة العرب :

أقيموا بنـى أمّـى ، صدورَ مَطِيّكُـمْ ... فإنى ، إلى قَوْمٍ سِوَاكُـمْ ، لَأَمْيَـلُ !

فقد حُمَّت الحاجَاتُ ، والليْلُ مُقْمِـرٌ ... وشُدَّتْ لِطيَّـاتٍ ، مِطايَـا وَأرْحُـلُ

وفى الأرضِ مَنْـأى للكريـمِ عن الأذَى ... وفيهَا لِمَـنْ خافَ القِلَـى ، مُتَعَـزَّلُ

لَعَمْرُكَ ، مَا بالأرضِ ضِيقٌ على امْـرِئٍ ... سَرَى رَاغِبا أوْ رَاهِبـا ، وهْـوَ يَعْقِـلُ

وَلى دُونَكُمْ أهْلُـونَ : سِيـدٌ عَمَـلَّسٌ ... وأرْقَـطُ زُهْلُـولٌ ، وعَرْفَـاءُ جَيْـأَلُ

هُمُ الأهْلُ . لَا مسْتَوْدَعُ السِّرَّ ذَائـعٌ ... لَدَيْهِـمْ ، ولا الجانى ، بِما جَرَّ يُخْـذَلُ

وَكُـلٌّ أبِـىٌّ ، بَاسِلٌ ، غَيْـرَ أنَّنِـى ... إذَا عَرَضَتْ أولى الطّرائِـدِ ، أبْسَـلُ

وننتقل ـ بعد ـ إلى نتاج شعرائنا المعاصرين .. مطوفين بروائع شعرهم من كل حدب وصوب ..

قصيدة لها قصة

إنها قصيدة جميلة ، تعتبر من عيون شعرنا العربى ، ولم يلحق بتراثنا الشعرى غيرها من نتاج ناظمها « أبى الحسن على بن زريق البغدادى » ، وهى تُظهر قدرة الشاعر البلاغية والشعورية ، حيث ضَمَّنَهَا صدق تعبيره ، وروعة تصويره وأحاط ذلك كله ببيانه الآسر ، ثم وشّاه بحُسْنِ عبارته ، وعطّره بعبير روحه الشاعرة .

والسبب فى نظمه لهذه القصيدة يعود إلى رغبته فى توفير أسباب الحياة الكريمة ، لزوجته ، وهى ابنة عمه ، مما دعاه إلى شدّ الرحال إلى الأمير أبى الخيبر عبدالرحمن الأندلسى لنيْل عطائه - برغم معارضة زوجته الشديدة - فلما وصل إلى الأمير ومدحه ، منحه الأمير مبلغا ضئيلا .. لم يكن يتوقعه الشاعر فأسقط فى يده ، واغتمَّ اغتماما عظيما ، أفضى إلى وفاته غريبا محروما .

ولم يعلم الأمير بذلك ، حيث أرسل خلفه من يسترضيه بالعطاء الجزيل ، ولكن رسل الأمير عثروا عليه فى الخان الذى كان نازلا فيه وقد فارق الحياة ، ووجدوا عند رأسه أبيات هذه القصيدة الخالدة التى يناجى فيها طيف حليلته قائلا :

لا تعذليه ، فإنَّ العذْلَ يُولِعُهُ ... قد قُلْتِ حَقاً ، ولكنْ لَيْسَ يسمعُهُ
جاوزتِ فى لومِهِ حَداً أضَرَّ بِهِ ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أنّ اللومَ ينفعُهُ
فاستعملى الرفْقَ فى تأنيبه بدلا ... مِنْ عذلِهِ فهو مُضْنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالخطب يحمله ... فضلعت من خطوب الدهر أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد أن له ... من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب مِنْ سَفَرٍ إلا وأزعجه ... رأىٌ إلى سَفَرٍ بالبين يجمعُهُ
تأبى المطالبُ إلا أنْ تجشمه ... للرزق كدحا وكم ممن يودعُهُ
كأنما هو من حِلٍّ ومرتحلٍ ... موكّلٌ بفضاء الأرض يزرعه
إن الزمان أراه فى الرحيل غِنى ... ولو إلى السَّدِّ أضحى وهو يُزمعه
وما مجاهدة الإنسان واصلة ... رزقا ولا دعةُ الإنسان تقطعُهُ
قد وَزّعَ الله بين الخلْق رزقهم ... لم يخْلُق الله من خلْق يُضيعه

لكنهم كلفـــوا حِرصا فلست ترى ... مسترزقـا وسوى الغايـات تقنعُـه

والحرص فى الرزق والأرزاق قد قسمت ... بغـىٌّ ألا إنّ بغـى المرءِ يصرعُـه

والدهرُ يعطى الفتى من حيث يمنعـه ... إرْثـا ويمنعُـه منْ حيث يُطمِعُـه

استـودعُ الله فى بغـدادَ لِى قمـرا ... بالكـرخ منْ فلك الأزرار مطلعُـه

ودّعتُـه وبـودّى لو يُودّعُنـى ... صفـوُ الحيـاةِ وأنّـى لا أودّعُـه

كم قد تشفّـع بى أن لا أفارقـه ... ولـلضرورة حالٌ لا تشفّعُـه

وكم تشبث بى خوفَ الفراق ضُحـى ... وأدمُعـى مستهلاتٌ وأدمعُـه

لا أكـذبُ الله ثوبُ الصبر مُنخـرقٌ ... عنـى بفرقتـه . لكـنْ أرقّعُـه

إنّـى أوسّع عُذرى فى جنايتـه ... بالـبين عنـى وجُرمـى لا يوسّعُـه

رزقتُ مُلكـا فلـم أحسنْ سياستـه ... وكـلُّ من لا يَسوسُ الملك يخلعُـه

ومـن غدَا لابسا ثوبَ النـعيم بلا ... شكـر عليـه فإنّ الله ينزعـه

اعتضْتُ من وجهِ خِلّى بعد فُرقتـه ... كأسا أجـرّع منها ما أجرّعـه

كم قائـل لىَ ذقتَ البيـنَ قلت له ... الـذنبُ والله ذنبـى لست أدفعـه

ألا أقمت فكـان الـرشدُ أجمعـه ... لو أننـى يوم بان الـرشدُ اتبعـه

إنى لأَقطـعُ أيامـى وأنفِذُهـا ... بحسره منـهُ فى قلبـى تقطعـه

بمن إذا هجـع النـوّام بتُّ به ... بلوعـة منـه ليلى لستُ أهجعـه

لا تطمئـن لجنبـى مضجـعٌ وكـذا ... لا يطمئـن له مُذ بنتُ مضجعَـه

ما كنت أحسبُ أنَّ الدهـر يَفْجَعُنـى ... به ولا أنّ بى الأيـام تفجعُـه

متى جرى البيـنُ فيمـا بيننـا بيـد ... عسراء تمنعُنـى حظـى وتمنعُـه

قد كنتُ من رِيبِ دهرى جازعا فرقا ... فلـم أوق الـذى قد كنت أجزعُـه

بالله يا منـزل الـبين الـذى دَرَست ... آثـارُه وعـفّتْ مُذْ بنتُ أربعُـه

هل الزمـانُ مُعيـدٌ فيك لذتنـا ... أم الليـالى التـى أمضَتـه تُرجعُـه

فى ذمّـة الله من أصبـحت منزلـه ... وجـاد غيث على مضنـاك يُمرعُـه

من عنـده لِىَ عهـدٌ لا يضيعـه ... كما له عهـدُ صدق لا أضيعـه

ومـن يُصدع قلبـى ذكـرُه وإذا ... جرى على قلبـه ذُكـرى يُصدعـه

لأصبرن لدهـر لا يُمتعنـى ... بهِ ولا بى فى حال يُمتعـه

عِلما بأنّ اصطبَارى معتـقبٌ فرجـا ... فأضيـقُ الأمـر إنْ فكـرتُ أوسعُـه

عسى الليـالى التـى أضنتْ بفرقتنـا ... جسمـى ستجمعُنـى يومـا وتجمعُـه

وإن تغُـلْ أحـدا مِنّـا منيتُـه ... فمـا الـذى بقضاء الله يصنعُـه ؟

لأنى أحبك يا مصر

للشاعرة : نور نافع

أخشى عليك مِنَ الحسيس الخافى ... وتجاهُلِ الفَوْضَى ، وقولك : ما فى !
والداء موجودٌ .. وحينَ تَساءلوا ... ماذا ؟ ـ أجَبْتِ بهزَّةِ الأكتاف
ومضيتِ فوق الجرح ، لم تَتَلَفَّتى ... للأمّ .. فى هَمَلٍ وفى استخفافِ
يا كَمْ سَكَتِّ .. كفى سكوتا إنها ... ما بين أعراق لنا وشغافِ
يا مصرُ رُبَّ شرارةٍ أهملتها ... شَبَّتْ ، فطالَتْ قِمَّةَ الأعْرَافِ
لا تأمنى للنّارِ إنَّ صغيرَها ... ككبيرها فى جُمْلَةِ الأوْصَافِ
مَنْ ذا نعِيبُ وكلنا فى مركب ... لا تحملوا ضِغْنا على المجدافِ
تُزجى مسيرته أمام فينثنى ... عَمْدا ويُرجِعُ وَجْهَهُ لِخلافِ
رحنا نُدَمِّرُ كُلَّ غالٍ عُنْوَةً ... ونُذيبُ مُرًّا فى المعينِ الصافى
لم نُبْقِ مِنْ ماضٍ لنا ، أو حَاضِرٍ ... لم نُبْقِ وَجْها فوق أىّ غُلافِ
عِشنَاهُ عَصْرا للتفاهَةِ لمْ يَجُدْ ... فيها حَكِيمٌ بالدواءِ الشافى
خُلِطَتْ معايير الحياةِ أمَامَنَا ... والجهلُ داسَ معالمَ الأسْلافِ
جزعَ الشبابُ ولا مسار أمامهمْ ... أوْ حَوْلهم هدفٌ مِنَ الأهْدَافِ
خرجوا حَيَارَى ضائعين يردّهم ... مستقبلٌ وَغْرُ المسالِك خافى
ما جَمَّعَتْهُمْ أسْوَةٌ أو أسْرَةٌ ... شَبُّوا جُفَاةً فى زمانٍ جافى
والكلُّ لاهٍ ، والدراهم تَشْتَرى ... وتبيعُ بَيْعا فى الضميرِ الغافى
عُدْنا سُكَارَى مِنْ شرابِ همومنا ... مُترنّحينَ بغير كأْسِ سُلافِ
من قد تساءل حينما شهد ابنه ... فى خلعةٍ مقطوعة الأطراف
أو حينَ شَاهَدَ شعْرَهُ : كَصَبِيَّةٍ ... ينْسَابُ مُنْسَدِلا على الأكتافِ
أو حين يرقصُ والوجودُ مُغَيَّبٌ ... مُتمايلا بالخصْرِ والأرْدَافِ
ها قد جَرَى الشيطانُ بين رُبوعِنا ... وسَقى بِسُمٍّ ، مِنْ لديه زُعَافِ
يا مصرُ قولى : لم أكُنْ أرْعَى الخنا ... يوما ولا مَزَّقْتُ ثوبَ عَفافِ
هوَ أنتِ مصرُ .. وأنت حكمك نافِذٌ ... والكَفُّ وَاصِلَهُ ، وقولُك ضافى
قولى : أفيقوا .. قبل أنْ تَهْوِى بِكُمْ ... أرْضِى .. وتصرخُ بالهوانِ ضِفَافى

السخرية في شعر ابن الرومي

بقلم الأستاذ
أحمد مصطفى حافظ

مرَّت الحِقَبُ والأجيال ، على شاعرية ابن الرومى ، وكادت ـ عَبْرَ ألف عام أو تزيد ـ أن تُطْمر فى خضم الجحود والنسيان .. حتى أتيح لشعره أن يُبعث من مرقده ، ويُذاع على الناس ، بعد أن قام الشيخ (محمد شريف سليم) بإعداد وشرح ، مختارات من شعره ، فى جزءين كبيرين ، ثم قام الأستاذ كامل كيلانى بعد ذلك ، بجمع مختارات أخرى ، « جعلها ـ كما يقول المازنى ـ ثلاثة أجزاء ، فى مجلد واحد ، جُمْلة صفحاته خمسمائة ، فيها قريب من سبعة آلاف بيت ، وصدَّرها بمقدمة رائعة ، وضعها العقاد فى : (عبقرية ابن الرومى) ، لم يدع فيها شاردة ولا واردة ، ولا ترك شيئاً لسواه ، يقوله .. حتى صار قصارى غيره ـ إذا كتب ـ أن يترسَّمه ، ويفصِّل ما أَجْمل .. »[1] إلى أن يقول : « وما بالقليل أن يفوز بذلك : مَنْ خَمَلَ فى حياته خمولا منقطع النظير ، فى تاريخ الآداب ، مع وُضُوح حقِّه »[2] .

* * *

(١) ، (٢) أنظر كتابه (حصاد الهشيم) ط سنة ١٩٢٤ ص ٢٧٠ .

حياته : يذكر الزيات فى كتابه : (تاريخ الأدب العربى ص ٢٧٦) ـ الطبعة الرابعة والعشرين : أن حياة ابن الرومى ، لا تزال سرا مكتوما فى ضمير الزمان ، فلم يترجم به أحد ترجمة وافية ، وقد ذكر الأستاذ (كليمان هيار) أن أبا عثمان سعيد الخالدى ــ من علماء سيف الدولة ــ كتب ترجمة مفصَّلة لابن الرومى ، ولكن ــ يقول الزيات ــ :.أين هى ؟..

وما أمكن الوقوف عليه بهذا الشأن ، أنه « هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج ــ وقيل جورجيس ــ المعروف بابن الرومى ، مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ، الشاعر المشهور .

ولد فى بغداد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة ٢١ هـ وتوفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ٢٨٤ »[٣] ، ويضيف (عزت العطار) إلى ما تقدم ، قوله :

« وكان شعره غير مرتب ، ورواه عنه (المتنبى) ، ثم عمله أبو بكر الصولى ، ورتَّبه على الحروف ، وجمعه أبو الطيب »[٤] .

ويضيف الزيات إلى ما تقدم ، قوله : « وكان أبو الحسن وزير المعتضد ـــ لا يفتأ حذرا منه (أى من ابن الرومى) ، خائفاً من هجائه .. ولا يكاد يُصدِّق أنه يسلم من لسانه .. وكان هذا الوزير شِرِّيراً سفَّاكاً للدماء ، فَدَسَّ عليه مَنْ سَمَّه فى أُكْلة ، وهو حاضر .. فلما أَحَسَّ ابن الرومى بالسُّمِّ ، قام . فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى الوضع الذى بعثْتَ بِى إليه !

فقال له الوزير : سلِّمْ عَلى والدى !

فقال ابن الرومى : ليس طريقى إلى النار !

ولحق ابن الرومى بمنزله ، فأقام به أياماً .. وكان الطبيب يتردّد عليه ، فزعم أنه غَلِطَ فى بعض العقاقير ، فقال ــ وقد سأله نفطويه النحوى عن حاله ــ وهو يجود بنفسه :

غَلَــطَ الطبــيبُ علــىَّ غَلْطــةَ مُوردٍ ... عجــــــزتْ مَوارده عن الإصْدار
والنـــاس يلحـــوْن الطبـــيب ، وإنما ... غَلَــطُ الطبــيب : إصابــةُ الأقــدار[٥]

ولم تكن نهاية ابن الرومى المأساوية ، هى غاية ما عانى من ناس زمانه ، ولكنه ظل يتجرَّع غصص البأساء طوال حياته ، ويُعانى من شظف العيش وضيق ذات اليد ، حتى اضطر إلى استجداء الكساء من ذوى الثراء ، الذين أَزْورَّ أكثرهم عنه ، ولم يمنحوه إلا الفتات الذى لا يليق به كشاعر جهير ، يدرك قَدْر موهبته ، حتى قال فى أحدهم ، ساخرا متضرِّراً :

(٣) استقينا هذه الترجمة لحياة ابن الرومى من كتاب (المتشابه فى نظم النثر وحلّ الشعر) تأليف عزت العطار حفيد العلامة مفتى الديار الشامية الشيخ سليم العطار الدمشقى ط سنة ١٣٤٥ هـ ــ ١٩٢٧ م ، ص ٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٠ ، ولم يوضح مصدر معلوماته تلك ..

(٥) (تاريخ الأدب العربى) للزيات ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ .

جُعِلتُ فِدَاك لم أسأ لْكَ ذاك الثوبَ للكَفَنِ
سألتك لا .. لألْبسَهُ ورو حى بعدُ فى البدنِ !

وقال فيمن عابوا شعره بغير علم ، ومنعوه رِفْدَهم وعطاءهم :

عابوا قريضى وما عابوا بمعرفةٍ ولن ترى الشمس أبصارُ الخفافيشِ
أبعد ما اقتطعوا الأموال واتخذوا حدائقاً وكُرُوما بعد تَعْريش
أيحسدونى .. وبيتى بيْتُ مَسْكنةٍ قد عشَّش الفقرُ فيه أىَّ تعشيش !

* * *

وكان لابن الرومى من تشاؤمه الذى عُرف عنه ، ما حال بينه وبين اكتساب الرزق ، بالحلّ والترحال ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾
الملك : ١٥

إذ كان يُؤْثر الإقامة فى عُقْر داره ، مكتفياً بمدح بعض الأثرياء والوجهاء ، وما قد يجودون به عليه ، خشية هجائه اللاذع !.. وهو يقول عن زهده فى الأسْفار :

أذاقتِنىَ الأسفارُ ماكَرَّه الغِنَى إلىَّ وأغرانى برفْض المطالب
فأصبحتُ فى الإثْراء أزْهد زَاهدٍ وإنْ كنتُ فى الإثْراء أرْغب راغب !
حريصاً جباناً اشتهى ثم .. انْتهى بلحظى جنابَ الرزق لحظ المراقب
ومَنْ راح ذا حرص وجُبْن ، فإنه فقيرٌ أتاه الفقر من كل جانب
تنازعنى رغب ورهب .. كلاهما قوىٌّ وأعْيانى اطِّلاعُ المغايب
فقدَّمْتُ رجْلًا رغبةً فى رَغيبةٍ وأخَّرْتُ أخرى رَهبةً للمعاطب !

وربما كان الفقر والحرمان ، هما اللذان أرْهفا مَلَكَةَ الوصف والتصوير عند ابن الرومى (والجوعان يحلم برغيف العيش) فأعطانا هذا الوصف البديع للخَبّاز ورقاقته :

إنْ أنس لا أنس خبَّازًا مَرَرْتُ به يدحو الرقاقةَ وشْكَ اللَّمْح بالبصرِ
ما بين رؤيتها فى كفِّه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر :
إلا بمقدار ما تنداح دائرة فى صفحة الماء يُرْمَى فيه بالحجر

كان ابن الرومى ، كما يقول العقاد : « فنانا بارعا ، أُوتى ملكة التصوير ، وَلُطْف التخيُّل والتوليد ، وبراعة اللعب بالمعانى والأشكال »(٦) « فإذا قصد أحدا أو شيئاً بهجاء ، صوَّب إليه مصورته الواعية ، فإذا ذلك الأحد ، أو الشىء ، صورة مهيَّأة من الشعر ، تهجو نفسها بنفسها ،

وتعرض للنظر مواطن النقص من صفحتها ، كما تنطبع الأشكال فى المرايا المعقوفة والمحدَّبَة ، فكل هَجْوِهِ تصوير مستحضر لأشكاله ، أو لعب بالمعنى ، على حساب من يستثيره .. »[٧] .

ولسنا مع العقاد فيما ذهب إليه ، وشايعه فيه المازنى وأيده ، بقوله : « الرومية هى أصل هذا الفن الذى اختلف فيه ابن الرومى عن عامة الشعراء فى هذه اللغة ، وهى السمة التى أفْرَدَتْه بينهم ، إفرادَ الطائر الصادح فى غير سِرْبه ، وربما بذَّهم فى أشياء ، وقصَّر عنهم فى أشياء غيرها ، ولكنه لا يشبههم ، ولا يشبهونه ، فى تفوُّقه وتقصيره على السواء ، فلهذا انقطع ما بينه وبينهم من نسب الأدب ، وجرثومة الفن ، لا لأنه أفضل منهم جميعا ، ولا لأنهم جميعاً أفضل منه . »[٨] .

فالعقاد لم يقدِّم الدليل العلمى الذى يدعِّم به ما ذهب إليه ، فالموهبة لا تُورَّث أو تكتسب بالانتماء إلى الأصل الآرى أو الحامى أو السامى ، وإنما هى فَيْضٌ ، أو قبس إلّهى سرىّ ، يختص الله به مَنْ يشاء من عباده وقد قال (حفنى ناصف) متحسِّرا :

أتقْضِى معـــى إنْ حان حِينـــى تجاربى   ومــــا نِلْتها إلا بطــــول عنــــاءِ

إلى قوله :

إذا ورَّث الجُهَّـــال أبناءهـــم غنًـــــى   ومـالًا .. فما أشْقَـــى بنـــى العلمـــاء

فالعلم لا يورَّث تلقائيا ، وكذلك الأدب والشعر عامة .. وكما يقول (كولـردج) : « ليست الصورة وحدها ـ مهما بلغ جمالها ، ومهما كانت مطابقتها للواقع ، ومهما عبَّر الشاعر بدقة ـ هى الشىء الوحيد الذى يميِّز الشاعر الصادق .. وإنما تصبح الصورة معيارا للعبقرية الأصيلة ، حين تشكلها عاطفة سائدة ، أو مجموعة من الأفكار ، والصور المترابطة ، أثارتها عاطفة سائدة .. وحينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة ، والتتالى إلى لحظة واحدة .. وحينما يضفى الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية .»[٩] .

ونحن مع صديقنا الأستاذ الفاضل الدكتور على على صبح ، حينما يقول ـ فيما ذهب إليه العقاد والمازنى ـ أنهما : « أهملا ـ وهُما مؤمنان أشد الإيمان بالوراثة ـ ما للفارسية من جهة أمه (أى أم ابن الرومى الفارسية الأصل) . من أثر فى عقله ودمه ، وأخيراً .. أهْمَلَا أثر البيئة الغالية الحاكمة المسيطرة على الشاعر ، وعلى آبائه من قبله ، وهى البيئة العربية الإسلامية ، التى أَحَالتْ ـ بالعقيدة الجديدة ـ كل جنس إلى شكل آخر ، وصبغته بالحياة الجديدة .. »[١٠] .
ويستطرد فيقول :

(٦) ، (٧) أنظر كتاب العقاد (مراجعات فى الآداب والفنون) ، ص ١٥٣ .
(٨) أنظر كتاب (حصاد الهشيم) للمازنى ص ٢٨١ .
(٩) أنظر كتاب (دراسات فى الشعر والمسرح) للدكتور مصطفى بدوى ، ط دار المعرفة ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .
(١٠) أنظر كتابه (عبقرية ابن الرومى) ط سنة ١٩٧٥ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

وشاعرنا ـ أى ابن الرومى ـ يعيش فى القرن التاسع الميلادى ، إذن بينه وبين عصر العباقرة اثنا عشر قرنا ، أفلا يتأثر ابن الرومى بهذه البيئة الجديدة ، التى تناقض تماما بيئة العباقرة اليونانيين قبل الميلاد ؟ »[(١١)] « وأما ابن الرومى المسلم العربى العبَّاسى ، فشعره العربى كَفِيلٌ بهذه النسبة ، لأن الأسلوب ، وهو عربى ـ لاشك ـ هو القالب الذى يصب فيه الشاعر معانيه وأغراضه ، وهو الصورة التى تُعبر عن مشاعره وأحاسيسه وخواطره » .

ومن ذلك ، أنه يؤمن بالقضاء والقدر ، فيقول :

وإذا أتـــاك من الأمـــور مُقـــدَّرٌ وهـــربْتَ منـــه ، فنحـــوه تتوجَّـــهُ

والروح الإسلامية ، تُلبس الصور لبوسَ الجلال ، وتُغشِّيها بالوقار والهيبة ـ يقول وقد ازدانت الدنيا بأثواب الربيع :

أصبحتْ الدنيا تروق مَنْ نظَـرْ
بمنظـرٍ فيـــه جلاءٌ للـــبصر
أثْـــنتْ على الله بآلاء المطـــر[(١٢)]

★ ★ ★

وأخيرا ، وليس آخراً ، نحن مع المازنى ، حينما يتحدث عن الشاعر ، حين يسخر ، بقوله إنه : « يتناول بُعد ما بين الأشياء والطبيعة ، ويركض فى حلبة يتقابل عند طرفيْها الواقع من ناحية ، وَمثل الكمال من ناحية أخرى .. وقد يفعل ذلك جادًّا ، أو مُتفكِّهاً مُدَاعِباً ، أى أنه قد يستوْحِى إرادته ومشاعره ، أو يستمْلِى عَقْله ، فإن كانت الأولى : فهو هاجٍ منتقم ، وإن كانت الثانية : فهو ساخر يركب ما بدا له من الدعابة »[(١٣)] .

ويمثل النوع الأول ، قول ابن الرومى ساخراً لأحد ممدوحيه :

رَدَدْتَ علـىَّ مَدْحِـى بعـــد مطْـــلٍ وقـــد دنَّستَ مَلْـــبَسَهُ الجديـــدا
وقُـــلْتَ : امْـــدَحْ به من شئت غيرى ومـــن ذا يقْبَـــل المدح الرَّدِيـــدا
وهـــل للحـــى فى أكفـــان ميْتٍ لَبُـوسٌ .. بعدما امتـــلأتْ صديـــدا ؟!

والنوع الثانى يمثله قوله :

كل امـــرىء مَدَحَ امـــرءًا لنوالـــهِ وأطال فيه .. فقـــد أطـــال هجـــاءه
لو لم يقـــدِّرْ فيـــه بُعْـــد المُسْتَقَـــى عنـــد الـــوُرُودِ .. لما أطـــال رشاءه

---

(١١) المصدر السابق ص ٦٧ .

(١٢) المصدر السابق ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(١٣) حصاد الهشيم للمازنى ص ٣٠٢ .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«ثلاثيات»

ثلاثة لا تتنازل عنها : الدين ، والأمانة ، وقول الحق

ثلاثة ابتعد عنها تعش آمنا : الخيانـــة ، والفضول ، والخصام .

ثلاثة ما برح الناس يبحثون عنها ولا يجدونها : السعادة ، والراحة ، والسلام .

ثلاثة ضيقة : سم الخياط ، وعين الحسود ، وكيس البخيل .

ثلاثة طويلة : ليالى البائس ، وأيام الهم ، وانتظار الفرج .

ثلاثة قصيرة : ليالى الهنا ، وأيام الصفاء ، وحبل الكذب .

ثلاثـة واسعة : للغرور ، والأمل ، وذم الكثير .

الذنب ليس ذنبى

وقف اللص أمام القاضى قائلا :

إن الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى .

فقال القاضى : إنك تثير الشفقة إلى حد بعيد ! وعلى هذا فستجد الطعام والمأوى والرفاق طوال الأشهر التسعة القادمة .

قالوا ..

فضل الأدب فى غير دين مهلكة ، وفضل الرأى إذا لم يستعمل فى رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب ، والحفظ الزاكى الواعى لغير العلم النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المورِّع من الذنوب خازن الشيطان .

نصيحة

إذا جادت الدنيا عليك فجدبها
على الناس ، واعلم أنها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هى تذهب

ما أسمنك ؟

قيل لرجل رئى سمينا : ما أسمنك ؟
قال : أكلى الحار ، وشربى القار ، واتكائى على شمالى ، وأكلى من غير مالى .

« حقيقة »

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل
وَيُكْدِى الفتى فى دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحِجَا
هلكن ـ إذا منْ جهلــن ـ البهائم

« جواب »

قيل للحسن البصرى ـ رحمه الله ـ :
إن الحجاج يذكرك بسوء .
فقال : كل امرىء بما كسب رهين .

لم تسمع منى واحدة

قال رجل للأحنف بن قيس : إن قلت كلمة لتسمعن عشرا ، فقال له الأحنف : لكنك لو قلت عشرا لم تسمع منى واحدة .

عجبت من ثلاث

قال يحيى بن معاذ : عجبت من ثلاث :
رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ، وهو يرى تناقض تدبيره ، ورجل شغله هم غده ، وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط .

دعاء

اللهم يا من بيده خزائن السموات والأرض ، عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإنا ضعفاء عن حملها ، وإن كنا أهلا لها ، فعافيتك أوسع لنا يا واسع يا عليم .

ماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

للأستاذ / محمد فريد وجدى

اعداد وتقديم : أ / عبد الفتاح حسين الزيات

الحق اسم من أسماء المولى ـ عز وجل ـ وكل ما سمى الله به نفسه فهو واجب التقديس .

ونظرا لقدسية هذه الكلمة ومدى الاحتفاء بها فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم (٢٤٨ مرة) ما بين اسم وفعل لتقرع أسماعنا المرة بعد المرة ، أن اعملوا بى ، ولى ، فأنا عليكم رقيب وعلى عملكم شهيد ، فوجودى أزلى ، وبقائى أبدى .

وإن دينا يتضمن هذه الكلمة أساسا من أسسه ووصاياه لا عجب أن بلغ أهله خلافة الأرض ، فدانت لهم الأمم وخضعت لهم الرقاب بسلطان الله بعد أن أفاقت من سباتها الذى ران عليها قرونا طويلة ، واستشعرت أن دين الإسلام جاء بالحق الناصع فأقشعت الظلمة التى كانت تضرب أطنابها فى جنبات الكون .

من أجل ذلك دُعى الإسلام بدين الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، قال الأستاذ ـ رحمه الله :

ما ترددت كلمة الحق فى كتاب ، بقدر ما ترددت فى القرآن الكريم ، حتى إن موحيه ـ جل وعز ـ سمى الدين الذى بعث به خاتم رسله بدين الحق ، فقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ (١)

أى أرسله بالهدى الذى لا يضل معه من اتبعه ، وبالحكمة التى تؤدى إلى كمال المعرفة ، ليجعله ظاهرا على الأديان كلها ، وقد تكررت هذه الكلمة الجامعة فى الكتاب المجيد قريبا من ثلاثمائة مرة ، وعلى وجه التحديد نحو أربع وثمانين ومائتى مرة ما بين اسم وفعل ، وليس هذا بعجيب ، فإن الحق قيوم كل عمل نافع ، وكل علم ثابت ، وكل خصلة شريفة ، وكل نية صالحة ، حتى إنه ـ سبحانه وتعالى ـ قال :

﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ (٢) .

وقد ضرب الله مثلا للحق والباطل فقال :

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ (٣)

أى أن الله تعالى أنزل من السماء ماء إلى أودية بالقدر الذى يكفيها ، ويكون عليه زبد عال من شدة التدفق ، ومما توقدون عليه فى النار كالذهب والحديد لصنع حلية أو أداة نافعة ، زبد مثله من شدة الغليان ، فأما الزبد فيذهب جفاء أى غُثاء لا ينتفع به ، وأما ما ينفع الناس كالماء والمعادن النافعة ، فيبقى فى الأرض للانتفاع به ما دام العالم الأرضى صالحا للبقاء .

وقد أشاد الله ـ جل وعز ـ بذكر الحق فى آيات تأخذ بالألباب روعة ، وتستولى على القلوب رهبة ، دعوة إلى التمسك بالحق ، وزجرا عن التعويل على الباطل ، فقال تعالى :

﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (٤) .

جاء الحق أى الإسلام بما اشتمل من هدايات ، وما كلفه أهله من رسالات ، فأصبح الباطل هالكا ، والباطل لا يستطيع أن يبدى ولا أن يعيد .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾

سورة الإسراء ـ ٨١

أى قامت دولة الحق بقيام الإسلام ، وهلك الباطل وتقوضت دولته ، إن الباطل من طبيعته الزهوق والاضمحلال .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

سورة الأنبياء .

أى أننا لم نخلق الوجود المادى بقصد التلهى والتسلى ، لو أردنا ذلك لاتخذناه من عندنا مما يليق بقدرتنا إن كنا فاعلين .

---

(١) سورة الفتح ـ آية : ٢٨
(٢) سورة يونس ـ آية : ٣٢ .
(٣) سورة الرعد ١٧
(٤) سورة سبأ ٤٩ .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٨

أى بل ليس من شأننا ، ولا يليق بنزاهتنا أن نتخذ اللهو ؛ بل من شأننا أن ننصر الحق الثابت على الباطل فيدمغه ، والدمغ : كسر الدماغ وشقه المؤدى إلى أزهاق الروح ، وهذا تصوير بديع لإبطال الباطل بالحق ، ومبالغة فيه على حال تخشع لها النفس ، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٨

أى ولكم الهلاك مما تصفون الخالق به مما لا يليق بجلاله ، ولا يصح لكماله .

ومما هو أقوى وقعا على النفس الإنسانية ، وأشد تأثيرا على مواطن الإذعان منها ، أن قيِّم الوجود ـ جل شأنه ـ خص بالحق وموقف الإنسان منه سورة قال عنها ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : « لو لم يكن فى القرآن إلا هذه السورة لكفت الناس » ، ذلك لما تجلى فيها من الروح الإلهى ، وما أشرق بين سطورها من نور الحكمة الربانية ، ألا وهى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

سورة العصر

يقسم الله ـ وهو غاية فى التأكيد ، ولا يكون ذلك إلا فى أمر جد خطير ـ بأن الإنسان بما أودع من الميول الجسدانية ، وما استدعاه تركيبه من الحاجات الحيوانية ، لفى خسران مبين ، إن تمحض لها ، وتغلبت عليه بجواذبها ، إلا الذين آمنوا بالله ووقفوا من شهواتهم الجثمانية عند الحدود التى رسمها لهم فى كتبه السماوية ، وانصرفوا إلى الأعمال الصالحة مؤدين رسالتهم التى حُمِّلوها نحو أنفسهم ونحو مجتمعهم ونحو الإنسانية جمعاء ، متجهين فى جميع محاولاتهم الحيوية نحو الحق ، وموصين بذلك بعضهم بعضا ، ومتحلين بشيمة الصبر ، وهى أخص ما يلجأ إليه أولو البصائر النيرة حيال ما تقتضيه حياتنا الأرضية من المكاره ، وما تثيره من الشدائد ، لتتجرد الشخصية الإنسانية العلوية المحتد ، مما يحجب من أنوارها عنا ، ويضيع من إشراقها علينا .

هذه السورة تعتبر من أمهات المثل الإسلامية العليا التى كان لها أكبر أثر فى ترقية المجتمع الإسلامى ، وتوجيه آحاده نحو الحياة التى جعلت منهم أمة فذة فى تاريخ العالم الإنسانى ، وقد أثرت فى تطوره وتكميله ما لم يرو عن أمة سواها فى الأرض .

دُعى الإسلام بدين الحق ، وأحيطت هذه التسمية فى كتابه من الوصايا والتعاليم بما يجعل أعدى أعدائه يعترفون بصحة هذه التسمية ، فقد بُنى على العقل ، وقام على الدليل ، وأطلقت لأهله فى هذه السبيل حرية البحث ، وقد حث المسلمين على الاجتهاد وراء إدراك الحقائق ، حتى قرر أن للمخطىء أجرا ـ وإن أخطأ ـ وللمصيب أجرين ، ولم يسمع فى سيرة العالم كله ما يشبه هذا التنشيط على البحث .

وطولب الآخذون به أن ينظروا فى الوجود وفى عقائدهم ، وكُلفوا أن يقيموا الدليل على صحتها ،

وحُرِّم عليهم التقليد ؛ ودُعوا للسياحة فى الأرض وراء اكتساب العبر ، والاستماع لكل قول ، وتلقف الحكمة ولو من المشركين .

لا جرم أن دينا يحاط بكل هذه التعاليم والوصايا يجب أن يسمى دين الحق ، ولا عجب أن يبلغ أهله خلافة الأرض .

إن تحت ظلال هذا المثل الأعلى من التعويل على الحق ، وصل المسلمون إلى أرقى ما بلغ إليه الأقدمون ، وزادوا عليه ما جعل تراثهم العلمى المادة الأولية للعلم إلى يومنا هذا .

وتحت رعايته اختلفوا واحترموا خلافاتهم ، وأطاقوا أن تتعدد مذاهبهم .

وتحت نوره بحثوا ونقبوا ، واحترموا كل صاحب علم من الأجانب ، واحتفوا به وأخذوا عنه ، وشرحوا تعاليمه وتدارسوها .

وتحت قيادة هذا المثل الأعلى أسس أهله الجامعات فى عواصم البلاد التى افتتحوها ودرسوا فيها العلوم المختلفة ، وقبلوا فيها المخالفين لهم فى العقيدة من نصارى أوروبا ومن الإسرائيليين ، وأخلصوا لهم فى تثقيف عقولهم ، وتنوير أذهانهم ، فمهدوا بذلك السبيل لعهد البعث لهم ، مما كان سببا مباشرا لنهضة أوروبا علميا ومدنيا ، ولم يُخْفِ الأوروبيون هذا الأمر ، فاعترفوا به على رءوس الأشهاد ، قال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه « حضارة العرب » :

« إن تأثير العرب فى الغرب كان عظيما كتأثيرهم فى الشرق ، وإن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها ..

« ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخل العرب الحضارة إليها ، وقال المسيو (ليبرى) : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون » .

وعاد الأستاذ (لوبون) فقال : « وقد كانت ترجمات كتب العرب العلمية المصدرَ الوحيد للتدريس فى جامعات أوروبا نحو ستة قرون » .

وتحت سلطان هذا المبدأ ترجموا الكتب القديمة وتدارسوها ، وقاموا بنشر ما فيها ، وساحوا فى الأرض لاستكشافها ؛ وأحسنوا للأجانب وبَرُّوهم وساووهم بأنفسهم أمام الشريعة ، وعاشروهم وأصهروا إليهم ؛ وهى ميزات اختصوا بها دون سائر الأمم ، جعلتهم قريبين من قلوب مخالفيهم فى العقائد ؛ وقد كان من أثر ذلك أن دخل فى دينهم ـ فى مدى قرن واحد ـ نحو مائة مليون نسمة ، وهدأ روع مقهوريهم وأخلصوا إليهم ، فلم يشغبوا عليهم ، ولم يحاولوا الاستقلال عنهم ؛ ولولا هذه الخلال الكريمة التى بثها فيهم دين الحق لاشتعلت فى تلك الأقطار الفتن ، ولعجز المسلمون عن حفظ امبراطوريتهم مدى قرون عديدة ، كل هذه الظواهر الاجتماعية ليس لها شبيه فى تاريخ العالم كله . وهذا مصداق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ .

سورة النور ـ آية : ٥٥

أضواء على إعجاز القرآن الكريم (*)

عرض وتحليل
أ.د. أحمد فؤاد باشا

إن القرآن الكريم هو الآية الكبرى التى أيد الله بها رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون معجزة خالدة على مرّ الزمان . وتتجلى جوانب الإعجاز القرآنى فى مجالات عديدة منها : بلاغته الخارقة للعادة ، ومنهجه التربوى والخلقى ، وإخباره بالغيب ، وإشاراته إلى الحقائق الكونية قبل أن يكتشفها العلماء والباحثون .

وقيل : إن إعجاز القرآن الكريم يتجلى فى نظرته الثابتة إلى الوجود والإنسان ، باعتباره فى الأساس منهج حياة وعقيدة للإنسانية حتى قيام الساعة .

وقيل : بل فى كون قارئه لا يكلّ وسامعه لا يملّ . وفى سلامته من التناقض والأختلاف .

وقيل : أمر نحسّ به ولا نستطيع وصفه .

والحق : إننا نجد فى القرآن الكريم سلسلة من الإعجازات لا تنتهى ، فقد ضرب الله فيه للإنسان من كل مثل . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ . (ســورة الكهف)

والكتاب الذى بين أيدينا يلقى الضوء على بعض جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم ، وهو يقع فى (١٣٩ صفحة) من القطع المتوسط موزعة على مقدمة وتمهيد وخمسة عشر فصلا وخاتمة ، بالإضافة إلى تصدير بقلم د . عبدالرحمن عباد الناطق الرسمى فى « هيئة العلماء والدعاة بفلسطين » ، وقائمة المصادر والمراجع .

(*) الشيخ عكرمة سعيد صبرى مفتى القدس « أضواء على إعجاز القرآن الكريم » الطبعة الأولى ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

ومؤلف الكتاب هو : سماحة الشيخ عكرمة سعيد صبرى . المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية ، ورئيس مجلس الفتوى الأعلى فى فلسطين ، وخطيب المسجد الأقصى ورئيس هيئة العلماء والدعاة ، وقد حرص فضيلته على أن يتبع فى تأليف الكتاب منهجا توثيقيا دقيقا يتناسب مع أهمية الموضوع ، كما أنه اتبع منهجا انتقائيا فى اختيار الموضوعات للتدليل على الإعجاز القرآنى الذى لا تُحدّ مظاهره ولا يُحاط بها ، لأن القرآن الكريم لا تنقضى عجائبه وأسراره ، وعلومه مازالت تمدّ الباحثين بفيض غامر لا ينضب من المعانى والكشوف .

حدثنا المؤلف فى الفصول الأولى عن تحدى القرآن الكريم العرب بما نبغوا فيه من فصاحة وبلاغة وبيان ، حتى يكون التحدى ، من باب أوْلى ، قائما للناس كافة إلى يوم القيامة ، وأشار إلى أن أسلوب القرآن الكريم ـ بشهادة العرب وغير العرب ، والمسلمين وغير المسلمين ـ يختلف تمام الاختلاف عن أسلوب الحديث الشريف ، وهذا يدل على صدق النبى العربى الأمى الأمين فيما بلّغ عن رب العالمين ، وحين فشل العرب فى تحدى القرآن الكريم ، لجأوا إلى إطلاق الشائعات بحق الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ووصفوه بأنه مجنون وكاهن وشاعر ، كما وصفوا القرآن الكريم بأنه سحر ، وبأنه أساطير الأولين . وعندما رأوا أن إطلاق الشائعات لم يحقق مآربهم ، لجأوا إلى الإيذاء الجسدى ، واستعمال القوة والعنف والسيف ، ولأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبى ورسول ، فقد استطاع تجاوز جميع العقبات التى واجهته ، ولو لم يكن كذلك لما استطاع تجاوزها .

وعن شمولية القرآن الكريم فى العقيدة والتشريع ، يوضح صاحب « الأضواء » أن الشمول العقدى يتمثل ببيان حقيقة توحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما يتمثل بربط الكون والإنسان والحياة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ .

ومن ثمرات هذا التصور أن الإنسان يشعر برقابة الله ـ سبحانه وتعالى ـ له فى جميع أقواله وأفعاله ، فيولد فى نفسه عنصر النقد الذاتى والمحاسبة الذاتية ، وبالتالى فالمسلم يخلص لله فى عمله ، ويخلص لله فى عبادته ، ويلتزم بأوامر الله ويتجنب نواهيه وكل أمر مردّه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ .. أما الشمول التشريعى الذى يمتاز بالعمومية والديمومة ، فيشمل مختلف مناحى الحياة ، ويعالج وقائع الناس السابقة واللاحقة عبر الأجيال والعصور مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأزمانهم .

والإنسان فى ظل هذا النظام القرآنى المتكامل ، يستطيع أن يعيش لآخرته وهو فى دنياه ، وأن يعمل لله وهو يعمل لمعاشه ، وهذا تصور معجز ينفرد به الإسلام ، مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سورة القصص ـ آية : ٧٧

والدليل على أن هذا التصور الشمولى للقرآن الكريم معجزة هى سلامته من التحريف وكفالة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ . سورة الحجر
ويمضى سماحة مفتى القدس فى بيان مظاهر الإعجاز القرآنى التى تناولها فى كتابه ، وذلك من خلال عدة مواقف منتقاة من كتب التاريخ والسنة ، توضح تأثير القرآن الكريم فى عقول العرب ومشاعرهم ، وتدل على انفراده بقوة روحية لها أثرها البالغ فى تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وتوحيد الأمة ، فالإنسان الذى يستعرض القوة الروحية فى القرآن يدرك تلك المعجزة الاجتماعية التى نهض بها القرآن فى الجزيرة العربية والعالم الإسلامى .

وعند الحديث عن الإعجاز فى إخبار القرآن بوقائع ماضية وأحداث مستقبلية ، حذر المؤلف من الروايات الإسرائيلية التى تخرجنا عن الهدف السامى للقصص القرآنى ، فينبغى أن يكون الشرح على قدر ما يفيده النص ، ولا يجوز أن نحمله أكثر مما يحتمل ، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الأعلم بحقيقة ما أخبر من أنباء الغيب ، مصداقا لقوله ـ جل وعلا ـ :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ .
سورة هود ـ آية : ٤٩

وأوضح الباحث أن الأخبار والقصص فى القرآن الكريم جاءت بأسلوب إيجازى بليغ ، الهدف منه هو العظة والعبرة وليس التسلية ومضيعة الوقت ، فالقرآن **ليس كتاب حكايات ولا كتاب تاريخ ولا جغرافيا وإنما هو كتاب هداية فى المقام الأول** . .

وعن الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم أشار المؤلف الكريم بشىء من التفصيل إلى بعض صور الجمال الفنى الذى حدا بعلماء اللغة والأدب والفلسفة ـ على حد تعبيره ـ لأن يقولوا إن للقرآن لفظه ونغمه ونسقه وأسلوبه المتميز به ، لا يشبهه ولا يجاريه كتاب آخر ، إنه النسق القرآنى فى الألفاظ والمعانى معا لا انفصال بينهما ، فألفاظ القرآن تنقاد لمعانيه ، ومعانيه تنقاد لألفاظه ، بحيث لا تتغلب إحداها على الأخرى .

أما الحقائق الكونية فقد عرض لها المؤلف بإيجاز من خلال عشرة أمثلة ، شملت موضوعات نشأة الكون ووحدته وتمدده ، وشكل الأرض وحركتها ، وبعض الخصائص التى أودعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الماء ، ونقص الأوكسجين فى الأماكن المرتفعة ، وتحديد جنس المولود ، وأغشية الجنين ، وبصمة الإصبع ، والتلقيح بالرياح .

ثم جاء الفصل الأخير ليحدثنا عن الإعجاز العددى والإحصائى ، من حيث مشروعيته ومؤلفات الأقدمين والمحدثين فيه ، ومظاهره المتمثلة ، من وجهة نظر المؤلف ـ فى غزارة المادة اللغوية ، والتوازن فى الكلمات ـ وبإعجاز العدد ١٩ .

وهكذا نجد أن الكتاب تطرق إلى موضوعات كثيرة تهمّ القارىء العادى ، كما تهم الدعاة ، وتمدهم بزاد وفير ومتنوع فى مجال إعجاز القرآن ، لكن هناك بعض الملاحظات التى نود الإشارة إليها ونوجزها فيما يلى :

١ ـ ذكر المؤلف فى المقدمة (ص ١٢) أن علم الحديث الشريف « علم نبت ونضج واحترق ، أى أنه لم يبق للاحقين ما يضيفونه إلى هذا العلم » ، وهو تعبير جانبه الصواب ، لأن شجرة العلم ـ أىّ علم ـ تؤتى ثمارها كل حين

بفضل جهود أجيال الباحثين ، ولو حذف كلمة « احترق » لكان أبلغ وأصوب .

٢ ــ خصص المؤلف فصلا مستقلا لسرد عدة مواقف عتابيّة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، واعتبر هذا من أوجه الإعجاز القرآنى ، مع أنه عرّف المعجزة فى التمهيد (ص ١٤) : بأنها أمر خارق للعادة ، تظهر على النبى فقط لإثبات صدقه وليتحدى بها المكذبين له فيعجزون عن الإتيان بمثلها ، فما هو الأمر الخارق للعادة فى إيقاع العتاب من الله ــ سبحانه وتعالى ــ على صفيّه وحبيبه ورسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟! .

٣ ــ الحديث عن الحقائق الكونية فى الفصل الرابع عشر جاء تقريريا مقتضبا على حساب المعنى العلمى ، خاصة فيما يتعلق بموضوعات نشأة الكون ووحدته وتمدده ، بينما جاء الحديث عن الإعجاز العددى والإحصائى مفصلا بالرغم من عدم اقتناع الكثيرين بجدوى هذا النوع من الدراسات الشكليّة التى تصرف الناس عن معانى القرآن الكريم فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تدبّر آيات القرآن الكريم والعمل بأحكامه وتعاليمه .

وبصرف النظر عن مبررات المؤيدين والمعارضين لهذه القضية ، خاصة فيما يتعلق بالعدد ١٩ الذى قدسته طائفة باطنية مرتدة عن الإسلام ــ هى طائفة البهائية ــ فإن الكتاب الذى بين أيدينا لم يسلم من الوقوع فى المحظور عندما نقل عن بعض المراجع دون تدقيق (ص ١١٩) أن « اليوم » ورد فى القرآن الكريم مفردا ٣٦٥ مرة .. ولو رجع الباحث إلى « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ، الذى وضعه المرحوم محمد فؤاد عبدالباق ، وأشار إليه فى صفحة ١١٤ ، لوجد العدد مختلفا ، ولما وافق من نقل عنه فى القول خطأ بأن « اليوم » ورد مفردا بعدد أيام السنة ، كما أن الربط بين ورود كلمتى « الأيام » و « يومين » بصيغتى الجمع والمثنى ٣٠ مرة ، وبين عدد أيام الشهر غير دقيق ، فأيام الشهور والسنين تختلف باختلاف التقاويم ، وقد استشهد صاحب التصدير بهذه البيانات مرة أخرى (ص ١٠) ، فجاء تعليقه عليها مجافيا لحقائق القرآن والعلم معا .

كذلك نقل المؤلف عن أحد المراجع أن كلمة « فرعون » وردت ٧٤ مرة فى القرآن الكريم ، وهذا ضعف ورود كلمة « السلطان » (٣٧ مرة) ، مدلّلا بهذا على توازن الكلمات المتوافقة وتناسبها فى القرآن الكريم ، فأين التوافق بين الكلمتين ؟ الكلمة الأولى « فرعون » تعنى لقب ملك مصر فى التاريخ القديم ، ويلقب بها كل عات ، أما الكلمة الثانية « السلطان » فمن معانيها . الملك والولى ، ، أو القهر والقوة ، أو الحجة والبرهان ، وقد وردت بالمعنى الأخير فى عدة مواضع من القرآن الكريم ، كما فى قوله ــ تعالى ــ :

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة النمل)

وعلى أية حال ، فإن هذه الملاحظات يمكن مراعاتها فى الطبعات القادمة ، وهى لا تقلل أبدا **من مكانة المؤلف** المرموقة ، ولا من أهمية الجهد **الطيب** المبذول فى إعداد كتابه القيم .

هذا .. والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الآثار الثقافية والاجتماعية للبث التليفزيوني الأجنبي المباشر

دراسة استطلاعية

د. حسن على محمد (*)

تمهيـد :

إذا كان القرن الثامن عشر قد شهد مولد الثورة الصناعية الأولى مع ظهور الآلة ، وإذا كان القرن التاسع عشر قد عرف الثورة الصناعية الثانية مع ظهور الكهرباء ؛ فإن القرن العشرين قد شهد ثورة فى « عالم الاتصالات » ، جعلت العالم كله غرفة الكترونية ؛ نرى ونسمع كل شىء فيها ... ولا نقول : قرية الكترونية .. !!

إن الثورة الاتصالية التى بلغت ذروتها فى نهايات هذا القرن لم تكن إلا إمتدادا لتطوير « تكنولوجى » متسارع شمل أدوات الاتصال ، فظهر منها « الفاكس » و « الفيديو تكس » والبث عبر الأقمار الصناعية وثورة « الكمبيوتر » والانفجار (المعلوماتى) المذهل وظهور شبكات (الأنترنت) .

والثورة الإعلامية فى هذا القرن يمكن القول أن لها مكونات ثلاثا : ـ

ـ الإعلامية والمعلوماتية .

ـ الاتصال عبر الأقمار الصناعية (الاتصال عن بعد) .

ـ تطور سريع فى الوسائل السمعية البصرية .

ولقد تعددت الوسائل الاتصالية التى استفاد منها الإعلاميون أكبر استفادة ممكنة وبالتالى جاءت الكلمة والصورة تمتزج فى المنظومة الرقمية (ديجيتال) وجاءت الأقراص البصرية الرقمية (CD ROM) التى توفر القدرة على اختزان النصوص والأصوات والصور والألوان[1] .

* مدرس الإعلام ـ جامعة المنيا

(١) رضا مثنانى ، الثورة الاتصالية ، أبعادها وتأثيراتها دوليا ووطنيا ، المجلة التونسية لعلوم الاتصال ، العدد ٢٨ (معهد الصحافة وعلوم الأخبار ، ١٩٩٦) ص ٩ ـ ١٠ .

ومن معطيات الثورة الاتصالية لهذا القرن .. ظهور « التليفزيون » عابر الحدود الذى أتاحته الأقمار الصناعية مع ازدياد قنوات البث فى جميع أنواع التليفزيون مثل « التليفزيون المشفَّر » ، « الفيديو » ، « الكابل » ، (الكلاسيك) وبالتالى أصبح الإرسال التليفزيونى ميسورا للمشاهد ٢٤ ساعة يوميا ولأول مرة يجد المشاهد نفسه ـ وقد أتاحت له الثورة الاتصالية كل ذلك ـ أن بإمكانه مشاهدة أكثر من (١٨٠) قناة تليفزيونية عابرة للحدود منها : قنوات الاتحاد الأوربى البالغ عددها (١٩٩) قناة فضلا عن قنوات الولايات المتحدة وآسيا ، وبعض البلدان العربية الآن ..

وإذا كان الإنتاج التليفزيونى مكلفا إلى حد أنه أصبح صناعة مؤثرة لها اقتصادياتها ومخاطرها ... ، وإذا كان التليفزيون المصرى لا يمكنه الوفاء بساعات إرسال كاملة من إنتاج مصرى ، فإنه غالبا ما يلجأ إلى الإستيراد أو المشاركة ، وللولايات المتحدة دور بارز فى هذا الشأن حيث تحتل $\frac{3}{4}$ البرامج المتداولة عالميا ولا تستورد من الخارج سوى ٢٪ فقط ، وتستورد مصر معظم برامجها الأجنبية من الولايات المتحدة(٢) .

وإذا كانت أصوات أوربية قد علت محذرة من هيمنة ثقافية للبرامج الأمريكية(٣) ، فما أجدرنا أن ندرس نحن ظاهرة البث الأجنبى لمعرفة تأثيراته على الشباب قيما وثقافة وعلى الإنتاج الوطنى .. قبولا أو رفضا .. !!

الفصل الأول

المبحث الأول :

صور البث الأجنبى غير الفضائى عبر التليفزيون المصرى

تسرب البث الأجنبى إلى شاشة التليفزيون المصرى رويدا .. رويدا على سبيل التجديد والانفتاح على الثقافة العالمية ، وتقديم بعض الإبهار للأطفال والكبار من برامج ومسلسلات : أمريكية أو فرنسية أو حتى يابانية .. ! وفى البداية نود الإشارة إلى مفهومنا « للبث الأجنبى » ثم نشير إلى صوره وأشكاله فى هذا المبحث .

أولا : مفهوم البث الأجنبى : نطلقه على جميع البرامج والمواد التليفزيونية التى لم تنتج محليا أى داخل مصر ، ويتم الحصول عليها إما بالشراء أو الإهداء أو عن طريق الاشتراك فى القنوات الدولية كما فى حالة قناة (C.N.E) المصرية .

---

(٢) حسن على محمد ، البرامج الأجنبية المستوردة الموجهة للأطفال فى التليفزيون المصرى دراسة تطبيقية (قسم الإعلام ـ جامعة عين شمس ، ١٩٩٢) .

(٣) رضا مثنانى ، المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) أجرينا دراسة للحصول على درجة الدكتوراه فى الموضوع الأول عام ١٩٩٣ ، واستكمالا لدراساتى ، تجرى هذه الدراسة على النوع الثانى الذى يتم عبر الأقمار الصناعية .

وتدفع له الدولة أو الأفراد مقابلا ماليا ، وتلجأ الدولة إلى إذاعة هذه البرامج ضمن برامجها ، وعلى جدول قنواتها لعجزها عن توفير الاكتفاء الذاتى كما يشمل البث الأجنبى كل مادة مذاعة من قناة غير مصريـــة عبر القمـــر الصناعـــى من خلال « هوائيات » الالتقاط .

وبهذا المفهوم يكون لدينا نوعان من البث الأجنبى هما فى الحقيقة نوع واحد فى أصله :

الأول : يمر عبر قنوات الرقابة ، ويُضمَّن فى برامجنا وعبر جهاز الدولة وهو ما يتم الحصول عليه بالشراء ، أو الإهداء أو الاشتراك من قبل الدولة ودول الانتاج[٥] .

الثانى : وهو ما يمر عبر الأقمار الصناعية ولا يدخل فى خريطة برامجنا المصرية ولا يخضع للرقابة ويتم الحصول عليه عبر أطباق الالتقاط (**الدِّش**) وعبر شاشة المواطن مباشرة دون تدخل من الدولة ، وهنا مكمن الخطورة وما جعلنى أهتم بالبحث وأخصص هذه الدراسة لهذا النوع الثانى ..

ثانيا : البث الأجنبى عبر برامج التليفزيون المصرى :

اتخذ البث الأجنبى عدة قنوات للوصول إلى خريطة البرامج المصرية منها :

(ا) الإهـداء[٤] :

وكثيرا ما تتم اتفاقيات تعاون وتبادل برامجى بين مصر ودول كثيرة عربية وأجنبية ، وطبقا لهذه الاتفاقيات يتم إهداء بعض المسلسلات أو البرامج أو الأفلام التسجيلية ، وهذه المواد المهداة تخضع للفحص الفنى (الرقابة) والفحص الهندسى لضمان صلاحية المادة فنيا وهندسيا قبل إذاعتها على الهواء .

والبرامج المهـداة تغطى جزءا من ساعات الإرسال ، وتوفر على الدولة التكاليف الإنتاجية ، وفى نفس الوقت تقدم للمواطن شيئا جديدا على حد قول رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون ، أما كون هذا الشىء الجديد مفيداً أو غير مفيد فهذا دور الرقابة .. !! .

(ب) الشـــراء :

ويمثل الشراء من السوق الدولية رافداً آخر تغطى به الدولة ساعات البث ، وشراء المواد التليفزيونية المعلبة أقل تكلفة من الإنتاج ويوفر جهداً بشرياً ووقتاً زمنياً ، حيث يبلغ ثمن شراء مسلسل أمريكى ٢٠٠٠ دولار بأسعار عام ١٩٩٥ ويبلغ ثمن شراء مسلسل فرنسى ١٠٠٠ دولار بأسعار نفس السنة أيضا .

وفى العادة يكون ثمن الشراء يساوى (واحد على مائة) من التكلفة الإنتاجية للمادة المشتراة وبخاصة ما تبيعه فرنسا والصين واليابان حيث ترغب هذه الدول فى نشر ثقافتها ، وتعتبر نشر قيمها وثقافتها عملا وطنيا تدعمه بملايين الدولارات ، ومن خلال دراستى لنيل درجة الدكتوراه تبين لى أن ٩٢٪ من البث الأجنبى على الشاشة المصرية مقدم من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها[٥] .

(٤) راجع هذا الموضوع تفصيلا للكاتب فى رسالة « البرامج الأجنبية المستوردة الموجهة للأطفال فى التليفزيون المصرى دراسة تطبيقية » القاهرة (جامعة عين شمس ١٩٩٢) .

(٥) د . حسن على محمد : سابق ص ٣٨ ـ ٤٨ .

فإذا علمنا أن فرنسا ؛ بل أوربا كلها فى حالة ضجر وقلق من البث الأمريكى ، وأن فرنسا شكت أمريكا رسميا فى هذا الشأن خوفا من تسرب الثقافة الأمريكية إلى فرنسا ، وأن الفرنسيين يرغبون فى حماية مواطنيهم من البث الأجنبى .. ، إذا علمنا ذلك كله تبين لنا أهمية دراستنا الميدانية هذه ! .

ثالثا : الاشتراك فى الشبكات والقنوات العالمية .

وقد قام التليفزيون بالاشتراك فى القناة الفرنسية وقناة C.N.N الأمريكية وكوّن شركة مصرية C.N.E ليقدم خدمة إخبارية متميزة .. وجعل هذه الخدمة خاصة بمن يدفع اشتراكا سنويا . !

ولا شك فى أن التليفزيون يطبق بمرونة قواعد الرقابة على هذه الخدمة ، ويمر من خلالها الكثير من المفاهيم والآراء والأخبار التى تحمل وجهات نظر غربية .. بل كثير منها يصطدم بواقعنا ..

غير أنه للحق يمكن القول إن هذه الخدمة مطلوبة وضرورية ومأمونة فى كونها تقدم لمن يطلبها ويدفع مقابلا .. بينما الخطورة فيما يقدَّم للمشاهد العادى ، وفى قنواتنا العامة والمحلية دون رغبة من المشاهد المصرى ، ودون أن يتنبه لما تحويه ، ولا يستطيع – إلا فى النادر – إلّا أن يشاهد ما يقدم .. !!

المبحث الثانى : الإجراءات المنهجية :

١ – مشكلة البحث وتساؤلاته :

● ومن خلال متابعة الباحث لهذه المحاور الثلاث التى يقدم عن طريقها المضمون الأجنبى على شاشة التليفزيون المصرى .

● ومن استمرار لمتابعة البرامج الأجنبية ورصد لها واستكمالٍ لبحوثى .

● ومن متابعتى لما تتركه هذه البرامج الأجنبية من أثر على شباب مصر (آخرها جماعة عبدة الشيطان) ، وجدت أن الحاجة ملحة لإجراء دراسة حول الأثر الثقافى والإجتماعى للبث الأجنبى ، وأن المكتبة العربية بحاجة إلى المزيد من البحوث فى هذا المجال .

تساؤلات الدراسة :

فى ظل انتشار أطباق التقاط البث المباشر (الدِّش) وجد الباحث نفسه محاطا بالكثير من التساؤلات أولها ذلك السؤال الأساسى :

إلى أى مدى يؤثر المضمون الذى تحمله الأقمار الصناعية فى شباب مصر ؟ .

ثم تفرغ من هذا التساؤل تساؤلات عدة تضمنتها استمارة (الاستبيان) منها على سبيل المثال :

– ما معدل ملكية أطباق التقاط البث الأجنبى لدى شباب العينة ؟

– ما المستوى التعليمى لهؤلاء الشباب ؟

– ما مدى تعرضهم وكثافة مشاهدتهم ؟

– أية سن من شباب العينة أكثر مشاهدة ؟

– أى المهن والوظائف أكثر إقبالا على مشاهدة

البث الأجنبى من خلال (الدِّش) ؟

ـ هل يوجد علاقة بين السفر للخارج والاقبال على مشاهدة البث الأجنبى من عدمة ؟ .

ـ ما الدوافع التى جعلت شباب العينة يشترى (الدش) ويُقبِل على مشاهدة البث الأجنبى ؟

ـ أى البرامج والموضوعات المذاعة التى يفضلها شباب عينة البحث ؟

ـ ما معدلات مشاهدة الشباب (عينة) البحث للتليفزيون المصرى مقارنة بمعدلات مشاهدته للقنوات الفضائية الأخرى ؟

وهل أثر ذلك على إقبال أو إحجام الشباب على التليفزيون المصرى ؟

ـ ما أثر ذلك على رؤيته لتليفزيون بلده ؟

ـ ما القضايا التى يعالجها المضمون الأجنبى كما يراها المبحوثون أفراد العينة ؟ ... الخ .

ثانيا : أهمية البحث :

لأول مرة فى هذا القرن يعبر التليفزيون الحدود ويحقق البث الفضائى معجزة هندسية كانت حلما ..

كما ترتب على هذا مشكلات سياسية وقانونية بين الدول فقد رأينا فرنسا تشكو الولايات المتحدة وتتهمها بمحاولات غزو ثقافى للمجتمع الفرنسى من خلال البث المباشر الذى يستقبله الحائزون على أطباق استقبال .

ورأينا خلافا ألمانيا فرنسيا حول وصول البث التليفزيونى الفرنسى إلى بعض المقاطعات الألمانية ، بما يهدد الثقافة الألمانية ..

١ ــ كما ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها تعتبر الأولى من نوعها ــ فى تقديرى ــ تتناول علاقة الشباب المصرى بالبث الأجنبى ، وتحاول رصد اختيارات شبابنا ورصد أسباب إقبال شباب مصر على البث الأجنبى وما يفتقدونه فى التليفزيون المصرى .

٢ ــ كذلك ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أننا نعيش عصر السماء المفتوحة ، وأن التحريم والمنع فى ظل « تكنولوجيا » متقدمة لم يعد ممكنا ، وبالتالى لابد من البحث والتحليل والرصد للخروج بأفكار جديدة تجعلنا نواجه البث الأجنبى بشكل واقعى لنطور من برامجنا وواقعنا الإعلامى .

ثانيا : منهج البحث :

تنتمى هذه الدراسة إلى المنهج الوصفى الذى يهتم بجمع المعلومات التى تساعد على وصف وتحليل ظاهرة مًّا من ظواهر المجتمع .

ويعتبر الباحثُ دراستَه أقرب إلى الدراسات الاستطلاعية التى ترتاد ميداناً تندر فيه البحوث وتشح الدراسات ، وبخاصة أن اقتناء المصرى لأطباق التقاط البث الأجنبى لم يمر عليه أكثر من عشر سنوات على أكثر تقدير .

ثالثا : أدوات البحث :

(ا) استبيان بالمقابلة :

حيث استخدم الباحث استمارة استقصاء أجراها بالمقابلة .

(ب) التحليل الإحصائى :

ــ معاملات ارتباط .

ــ كا ٢ .

ــ المتوسطات الحسابية .

الصحة الإنجابية

مشاكل الخصوبة عند الرجال

تسرب الدم (٣)

١٠

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

كما أسلفنا – سابقاً – فإنه عند حدوث إثارة جنسية تقوم بعض المراكز العصبية الموجودة فى المخ بإرسال إشارات عبر الأعصاب المغذية للجهاز التناسلى الذكرى ، حيث تؤدى هذه الاشارات العصبية إلى حدوث تمدد فى الشرايين المغذية للعضو مما يزيد من تدفق الدم بالجسمين الكهفيين الموجودين داخله زيادة كبيرة مما يسبب انتفاخهما الذى يؤدى بدوره إلى الضغط على الأوردة الدموية التى تنقل الدم الخارج من العضو إلى الدورة الدموية وينتج عن هذا الضغط إغلاق هذه الأوردة ، مما يعوق خروج الدم من العضو ، وباستمرار تدفق الدم إليه وعدم خروجه .. يزيد الضغط داخله ويتمدد حتى يصل إلى الانتشار الكامل .

وفى بعض الأحيان يحدث خلل فى هذه الميكانيكية مما يؤدى إلى تسرب الدم من العضو الذكرى أثناء الانتشار ، فلا يرتفع الضغط الدموى داخل الجسمين الكهفيين بالمعدل المطلوب ، وهذا يؤدى إلى فقدان الانتشار بعد حدوثه بفترة قصيرة أو يحدث حدوثا جزئيا غير كامل فى حالة تسرب بشدة قد يحدث فقدان كامل للانتشار .

الأسباب :

ـ من أهم الأسباب : العيوب الخلقية ، ففى بعض الحالات توجد بعض الأوردة الإضافية فى حالة تقدم العمر مما يؤدى إلى حدوث ترهل فى الأنسجة والأوعية الدموية فى أعضاء الجسم ، ومنها العضو الذكرى .

التشخيص :

ـــ من الأعراض ، وكذلك قياس كمية السائل الازمة لحدوث الانتشار ، وقدرة الجسم الكهفى على الاحتفاظ به ، فينبغى حقن العضو بمحلول ملح معقم (٩ر٪) وهو محلول الملح المستخدم فى التغذية بالوريد ، ويتم حساب معدل الضخ (معدل الضخ هو حجم السائل مقسوم على الزمن) اللازم لحدوث الانتشار ، وكذلك قياس معدل الضخ اللازم لاستمراره .. ويتم تشخيص التسرب إذا لوحظ ازدياد معدل الضخ اللازم لحدوث الانتشار أو استمراره فى المعدلات الطبيعية .

ـــ حقن صبغة خاصة فى الجسم الكهفى مما يؤدى إلى مرورها فى الأوردة ، ويتم التصوير

بأشعة خاصة حتى يظهر الجسم الكهفي والأوردة ، ومن خلال ذلك يمكن تحديد مكان التسرب .

العلاج :

حسب درجة الحالة :

التسرب البسيط :

استخدام حلقة خاصة مصنوعة من المطاط يتم ادخال العضو فيها عقب حدوث الانتصاب وتقوم هذه الحلقة بالضغط على أوردة الذكر ، ويؤدى ذلك إلى الإقلال من التسرب .

التسرب المتوسط والشديد:

يعالج بالجراحة ، حيث يتم ربط واستئصال الأوردة المتسببة فى تسرب الدم والتى يتم تحديدها باستخدام الأشعة الملونة - كما سبق شرحه .

استخدام الأجهزة التعويضية :

وهى أجهزة دائمة وليست مؤقتة .

الاجهزة التعويضية

منذ دخول جراحة زراعة الأجهزة التعويضية إلى مجال العلاج الطبى للعجز الجنسى وهى تتقدم بسرعة من ناحية التكنولوجيا ، وكذلك من حيث الاقبال عليها . وقد رأينا أنه من الواجب علينا إعطاء فكرة مفصلة عن الأجهزة التعويضية ، لكى تكتمل الصورة لدى المريض بهذا العجز .

وفكرة هذه الاجهزة التعويضية هى : زراعة جهاز يساعد على الانتشار بداخل الجسم الكهفى للعضو الذكرى يتيح للمريض أن يحقق الانتشار الكافى فى أى وقت ولأى مدة يرغب فيها وبدون مضاعفات تذكر .

وقد مرت هذه الأجهزة التعويضية بمراحل متعددة أقدمها كان زرع سيقان السليكون الصلب داخل العضو الذكرى ، ثم تطورت بإضافة كابلات البلاتينيوم وذلك مما ساعد على توفر المرونة الكافية وهذا يمكن المريض من ارتداء ملابسه دون حرج .

ثم حدث تطور آخر وهو : الأجهزة الهيدرولوكية والتى يتم ملؤها بمحلول معين بواسطة مضخة توضع فى كيس الصفن وكذلك خزان لهذا المحلول يزرع خلف جدار البطن ، وبعد إتمام الجماع يتم الضغط على صمام معين للتفريغ .

وهذه الأجهزة الهيدرولوكية لها أنواع : فمنها مايتكون من جزء واحد ، أو جزئين ، أو ثلاثة أجزاء .

الإفرازات غير الطبيعية للرجل

أحيانا يشكو الرجل من إفرازات غير طبيعية نتيجة الاصابة بأمراض ميكروبية ، أو طفيلية ، أو فيروسية .

ومن أشهر الأسباب : مرض السيلان ، وفى كل الحالات فإن الإصابة تكون نتيجة علاقة جنسية مع طرف آخر مصاب ، ومن أهم أعراض هذا المرض - بالاضافة إلى الإفرازات - هى الألم والالتهاب و(الحرقان) المصاحب لها . وهذا الألم له درجات حسب نوع الالتهاب إذا كان حادا أو مزمنا ، وتظهر هذه الإفرازات عند الاستيقاظ من النوم ولذلك سميت نقطة الصباح Morning Drop التى ميزت مرض السيلان منذ القدم ، وتاريخ مرض السيلان من التواريخ التى تستحق الدراسة حيث إنه كان من الأمراض الخطيرة التى تهدد صحة الإنسان ، ثم انتهى إلى الأمراض سهلة العلاج بعد اكتشاف المضادات الحيوية لكن مع سوء استعمال المضادات الحيوية فى السنوات

رسم رقم (١) تركيب العضو الذكرى الداخلى موضحا به الأوردة الرئيسية

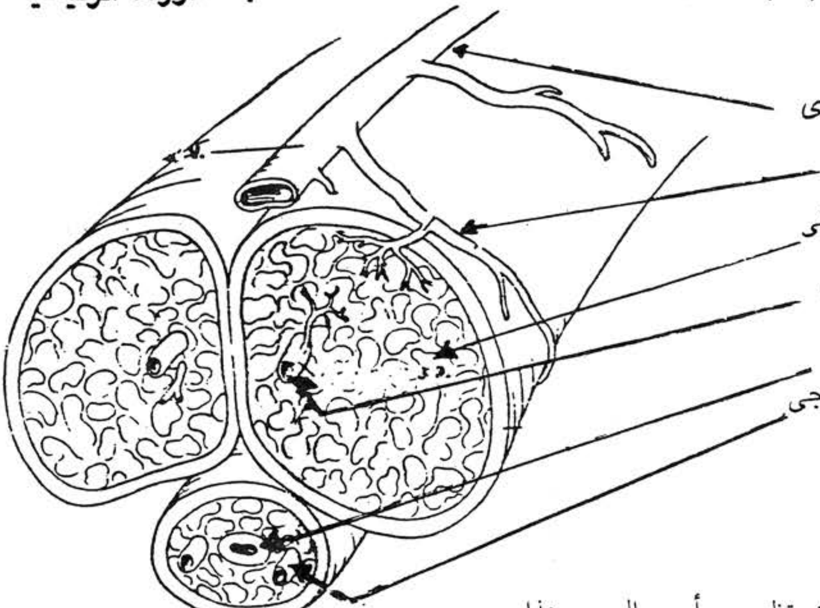

الأخيرة ــ بدأت تظهــر أجيــال من هذا الميكروب ـ والميكروبات ولاتشفى بالسهولة العلاج بالمضادات الحيوية ولاتشفى بالسهولة السابقة .

وهناك أنواع أخرى من الإفرازات : نتيجة التهابات مثل التهاب فيروس الهربس التناسلى Herpes Genitalis **[وكــذلك توجــد بعض الالتهابات ومنها التهاب يسمى «التهاب قناة البول غير النوعى»** Non , Specific Urethritis وذلك لأسباب كثرة العملية الجنسية عن الحد غير المقبول وممارسة العادة السرية بشراهة .

وهناك بعض الالتهابات الفطرية المصاحبة لمرض السكر : ويجب التفريق بين هذه الإفرازات ، والإفرازات الطبيعية التى تحدث عند الإثارة الجنسية ، فى العربية «المذى» وهو سائل أبيض شفاف لزج يساعد على إتمام العملية الجنسية ، وتسهيل حركة العضو الذكرى داخل المهبل .

ومصدر المذى غدتان تقعان تحت البروستاتا فى منطقة العجان على جانبى قناة مجرى البول بعد خروجها من البروستاتا ويطلق عليها غدتى كوبر Cooper Glands وكل غدة لها قناة صغيرة تسير لمسافة بسيطة بجوار قناة مجرى البول قبل أن تفتح بداخله .

خصائص المذى : هو سائل مخاطى شفاف وقلوى فى تأثيره وتتفاوت كميته بين شخص وآخر وكذلك فى الشخص نفسه بين لحظة وأخرى .

ــ **وظائف المذى** : المذى يقوم بغسل قناة مجرى البول الأمامية من آثار البول ، وذلك لعدم الإضرار بالحيوانات المنوية التى تفرز فى السائل المنوى .

ــ يقوم المذى كذلك بتسهيل الأداء الجنسى ، حيث إنه يغطى رأس العضو الذكرى مما يسهل عملية الإيلاج .

من منظور إسلامى

ماذا قبل الإيدز وبعده

الجزء الأخير

للدكتورة فاطمة عمر نصيف (*)

الإباحية .. الإدمان .. الإيدز

وتؤكد سائر الأرقام المنشورة حتى الآن عن مختلف بلدان العالم وجود تناسب طردى بين درجة انتشار الإباحية والإدمان ، ودرجة انتشار مرض الإيدز ويعيش الإنسان اليوم فى الغرب الضنك بكل صوره وأنواعه من بأس وألم وملل ومرض وتمزق وضياع نتيجة بعده عن دين الله ، فقد انتقل من عبودية الله إلى عبودية الشيطان والهوى ، ولم ينقذه من مهاوى الرذيلة ، ومن أوحال الفاحشة وثمارها المرة التقدم التكنولوجى الذى بلغه .. ولا التقدم العلمى والطبى الذى وصل إليه ، ولا الحضارة التى بناها ، ولم يجن إلا الويلات ، ومن بينها هذه الأمراض الجنسية التى تنبأ بها الرسول ﷺ فى حديثه حيث قال : « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب الله به بعض الأمم قبلكم ثم بقى بعد بالأرض فيذهب المرة ويأتى الأخرى »[٩] .

فمع كل التقدم العلمى والطبى ازدادت الأمراض الجنسية انتشارا وتعددا وتنوعا وتعقيدا ، وتعددت أسبابها ، وتميزت بصفات تجعلها بحق عقوبة قاسية نهلك الأفراد والجماعات على السواء .

أما الصفات التى تمتاز بها هذه الأمراض فهى :

أولا : ليست ــ ككثير من الأمراض التى تصيب الإنسان فيشفى فيكتسب جسده مناعة ضدها (Antibodeies) .

ثانيا : ممارسة الجنس ولو لمرة واحدة مع طرف آخر مصاب يمكن أن تؤدى إلى العدوى ليس بمرض واحد ، بل بأمراض عدة قد تصل إلى خمسة ، وهذا ينقلها كاملة وبأمانة إلى غيره مع كل اتصال

(٩) مسلم ، بن الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم ، ص ١٧٣٧ ، طبعة دار الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

جنسى ، في حلقة متصلة من البلاء يسلمها السابق إلى اللاحق فى غمرة هذه الفوضى الجنسية .

ثالثا : أغلب الأمراض الجرثومية استطاع العلم إعداد مطاعيم Vaccines محسنة لها تساعد الإنسان وتقيه شرورها ، أما فى الأمراض الجنسية فالوضع مختلف تماما حيث إن الطب لم يستطع تحضير « مطاعيم » واقية منها .

رابعا : بطء ظهور المرض أو أعراضه مما يفوت على المريض تدارك الخطر ، بل لا يشعر المريض بهذه الأعراض بعد فوات الأوان ، حيث يكون المرض قد بلغ مرحلة الخطر الأليم وصار معديا .

خامسا : هى أمراض تقتل ببطء ، وكذلك هى كل الأمراض الجنسية بآلامها وعذابها بجسم المصاب تقتله قبل أن يموت . ليدفع ثمن المتعة القليلة أضعافا من العذاب والألم ، لعله يكون صارفا ورادعا لكل رشيد يرى هذا العذاب فيتقى الوقوع فى جريمته ، فالعقوبات فى الإسلام روادع وزواجر .

الإيدز وأمثاله وليد الجاهلية المثقفة والحضارة الخاربة ، والنهاية المدمرة ، وليس يمكن أن يقال : إن مريض الإيدز يمكن أن ينال رعاية طبية متقدمة ، وذلك لخوف العاملين والعاملات بالمستشفيات من مرضه اللعين .

إن الانتشار السريع لهذا المرض والخسائر العظيمة فى الأموال والأرواح ، والبلايين التى تصرف لعلاج مرض الإيدز ، تؤكد فداحة الضريبة التى تدفعها الأمة ، والعالم بأسره لمخالفتهم الفطرة .

وخســـــائره :

بلغت سرعة انتشار المرض وخسائره فى الأرواح الكثير من ذلك :

١ ـ إنه اكتشف عام ١٩٨١ م فى خمس حالات .

٢ ـ تم التعرف على فيروس الإيدز من مجموعة الفيروسات المنعكسة عام ١٩٨٣ م فى فرنسا ، و ١٩٨٤ م فى الولايات المتحدة .

٣ ـ بنهاية ١٩٩٢ م انتشر الإيدز فى العالم أجمع وأعلنت ١٧٣ دولة عن حدوث حالات إيدز لديها .

٤ ـ فى نهاية ١٩٩٣ م قدرت منظمة الصحة العالمية عدد حاملى فيروس الإيدز فى العالم بخمسة عشر مليونا[١٠] .

وليت الأمر اقتصر على هذه الخسائر الفادحة فى الأرواح ، بل إن الخسائر فى الأموال لا تقل عنها بحال . وتتحدث الإحصائيات والأرقام عن البلايين من الدولارات التى تصرف سنويا على هذا المرض :

١ ـ فقد بلغت تكلفة التشخيص والعناية بأول (٣٠٠) حالة إيدز فى أمريكا ١٨ مليون دولار ، ماتوا جميعا[١١] .

٢ ـ بلغ متوسط تكلفة الرعاية الصحية لمريض الإيدز فى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ ألف دولار فى السنة ، ويتوقع (فريد هلنجر) المسئول بوزارة الصحة الأمريكية أن يتضاعف إجمالى تكلفة الرعاية الصحية لمرضى الإيدز من

(١٠) أسامة قنديل ، الإيدز هذا القاتل الرهيب ، مقالة فى مجلة أهلا وسهلا ، ص ٢٠ ، عدد أكتوبر ، ١٩٩٣م .

(١١) عبدالحميد القضاة ، أيْدز حصاد الشذوذ ، ص ١٠٠ ، الطبعة الثانية ، لندن ، دار ابن قدامه للنشر ، دار النشر الطبية ، لندن ، ١٩٨٦م/١٤٠٦ هـ .

٣,٦ بليـون دولار إلى ٧,٤ بليـــون دولار عام ١٩٩٤ م[١٢] .

(وقد أشار إلى ذلك وكيل وزارة الصحـة السعودى د . عبدالرحمن السويلم بقوله : الإيدز كارثة تهدد اقتصاديات العالم)[١٣] .

(وتقول الباحثة الأمريكية كمبرلى هاملتون ، مساعدة مدير برنامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكى : يقفز فيروس الإيدز إلى مقدمة الأخطار التى تهدد الأمن الاقتصادى لكثير من دول العالم الثالث ، فهذه الدول لا تمتـلك الامكانيـات الاقتصاديـة الكافية لمحاصرة الوباء أو حتى الإنفاق على حملات التوعية الوقائية منه)[١٤] .

(لقد اجتمعت لهذا المرض والفيروس المسبب له خصائص وصفات غريبة ، ويلازمه غموض يكتنف بعض أعراضه وأطواره ، ولآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع نجد :

أولا : اختياره العجيب لأهم أجهزة الجسم (جهاز المناعة) فيدمره ، فيرث المريض هذا الوهن المريع الذى يؤول إليه حتى ليمكن أضعف الجراثيم أن تقضى عليه .

ثانيـا : تأثيره على السائـل المنـوى ووظيفتـه الحيوية ، فبعد أن يكون هذا السائل مادة الحياة الأولى ، يصبح أداة لزراعة الموت والدمار عندما يُساء أستغلاله)[١٥] .

ثالثـا : رغـم أن فيروس الإيـدز من أصغـر الكائنات ، يحتوى على عشر وحدات وراثية فقط بينما البكتريا بها خمسمائة وحدة وراثية ، وذبابـة الفاكهة بها خمسة آلاف ، والإنسان عنده خمسين ألف وحدة وراثية ، فسبحان الله الذى جعل واحدا من أكثر الكائنات بساطة يحير أكثرها تعقيـدا ورقيا)[١٦] ويدمره ، قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

سورة المدثر ــ آية : ٣١

لقد سلط الله على الشاذين هذا الفيروس الصغير ليبين لنا قوته وقدرته على إهلاك العاصين ، وهذا ما يؤكد أن هذا المرض إنما هو عقوبة إلهية عاجلة ، تحقيقا لوعيد الرسول ﷺ حيث قال : « **يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزلن فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعملوا بها ألا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم** »[١٧] .

وقد صدق رسول الله ﷺ وتحقق كل ما تنبأ به فإنه وحى ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد ظهرت الفاحشة فى المجتمع الغربى بشكل فاضح مُخز ، ولا تكف وسائل الإعلام وبرامجهم عن الحديث عن الشواذ وأعمالهم ومخازيهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل أصبحت لهم نواديهم وجمعياتهم ، وأصبح لهم حقوق يطالبون بها . ولما تحقق الشطر الأول من الحديث الشريف تحقق الشطر الثانى ، فقد تفشت الأمراض والطواعين التى لم تكن من قبل ، فقد اكتشف الإيدز عام ١٩٨١ م ، وبدأ يظهر أول ما ظهرفى الشاذين جنسيا والمدمنين على المخدرات ، وعلى وجه التحديد فى الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(١٢) أسامة قنديل ، الإيدز هذا القاتل الرهيب ، المقالة السابقة .

(١٣) صحيفة عكاظ ، عدد خاص ١٠٧٠٣ ، معا فى مواجهة الإيدز .

(١٤) مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، مقال الإيدز لمحمود الخطيب .

(١٥) عبدالحميد القضاة ، الإيدز حصاد الشذوذ ص ٩٦ .

(١٦) أسامة قنديل ، نفس المقالة السابقة .

(١٧) الحاكم ، النيسابورى ، المستدرك ، ج٤ ، ص ٥٤٠ ــ ٥٤١ .

وهم إلى الآن أكثر فئات المجتمع عرضة للأمراض التناسلية خاصة الإيدز والذى اختصهم الله به بنسبة ٧٥٪ دون غيرهم .

برغم الإنتشار السريع لهذا المرض الخبيث القاتل (طاعون العصر) الإيدز ، وبرغم الأرواح التى يحصدها بالملايين ، وبرغم الأموال الباهظة التى تنفق لعلاج مرضى الإيدز دون جدوى ، لم ينتفع الناس بهذه الدروس البليغة ، ولم يتعظوا بهذه العقوبات الإلهية الرهيبة ؛ بل لازالوا مسترسلين فى غيهم وضلالهم ، ونجدهم يتناولون هذه المشكلة العويصة ، باهتمام بالغ ، دون أن يتوصلوا إلى حلول مجدية ونستطيع أن نقول : إنها حلول هامشية غير نافعة ، وهكذا تبين ضلال البشرية بدون هدى القرآن والسنة . وهذا مالمسناه من خلال المؤتمرات الطبية المتتابعة التى تعقد لمكافحة الإيدز ، والجهود العظيمة التى تبذلها منظمة الصحة العالمية والدول مجتمعة .

فبالإطلاع على نتائج المؤتمرات التى تعقد هنا وهناك ، والتى لم تقدم حلا نافعا ولا علاجا ناجحا لهذا المرض ؛ بل لم تستطع اتخاذ التدابير الكافية لمكافحته ومقاومته . كل ذلك يدل على أنه عقوبة إلهية لهذه البشرية التى انحرفت عن منهج الله .

وعلى سبيل المثال كان آخر هذه الندوات ، الندوة الدولية الحادية عشرة حول الإيدز التى عقدت بمدينة فانكوفر بالغرب الكندى ، وامتدت مدى ستة أيام من ٧ - ١٢ يوليو ١٩٩٦م ، واشترك فيها قرابة ١٥ ألفا من المرضى والأطباء وأصحاب القرار ، وكان من المتوقع أن تكون متميزة عن سابقاتها .. إلا أن النتائج كانت مخيبة للآمال ، برغم أن المعلومات التى أعلنت فى الندوة من خلال البحوث التى طرحت كانت مثيرة وخطيرة وخاصة الاحصائيات فقد كانت مرعبة ومخيفة ، ففى احصائية المنظمة العالمية للصحة التابعة للأمم المتحدة فى ٣١ ديسمبر ١٩٩٤م بلغ عدد المصابين بالإيدز حوالى ٤,٥ مليون ، وسيصل العدد فى عام ٢٠٠٠م إلى ١٠ ملايين شخص . أما عدد المصابين بالفيروس حتى عام ١٩٩٦م بلغ ١٩,٥ مليون شخص من بينهم ١,٥ مليون طفل[١٨] .

كما تفيد آخر إحصائية صادرة عن منظمة الصحة العالمية والبرنامج التعاونى للأمم المتحدة عن الإيدز ، فى يوليو ١٩٩٦م ، أن عدد حاملى الفيروس بلغ ٢١,٨ مليون ، وبلغ عدد مرضى الإيدز ٧,٧ مليون مريض . وهذه الإحصائيات تبين بوضوح الارتفاع السريع فى معدل زيادة عدد المرضى الزيادة المرعبة والرهيبة التى تحتاج إلى علاج سريع وإنقاذ عاجل وحركة سريعة لاستئصال المرض من المجتمع الدولى .

وكان المتوقع أن تكون التوصيات والحلول قوية وناجحة وجذرية تتناسب مع الأرقام المرعبة ولكن للأسف نجدهم يلفون ويدورون حول العلاج دون أن يهتدوا إليه ويناقشون مواضيع جانبية غير هادفة ، كالتى طرحت ونوقشت فى الندوة والتى لاتزال تثير حولها الكثير من الجدال بين مؤيد ومعارض مثل :

---

(١٨)مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، تقرير من إعداد جمال الطاهر «الإيدز وباء العصر المدمر» .

(١) وقاية الأجنة والأطفال من الإصابة بهذا الفيروس عن طريق أمهاتهم .
(٢) مزيد من تطوير العازل النسائى الذى يعتبره المهتمون بالإيدز انتصارا فى مجال وقاية الأم من الإصابة .
(٣) موضوع الدول الفقيرة وتوجهها نحو مقاومة الإيدز وعجز هذه الدول لنقص الامكانات المادية .
(٤) قضية مساعدة المصاب على الانتحار بواسطة الطبيب المشرف .
(٥) تأثير استهلاك المخدرات .

بينما نجد الحل سهلا وبسيطا ولايحتاج لكل من هذه الأموال التى تنفق ، ولا لكل هذه الأرواح التى تزهق ، ولا لكل هذه الجهود التى تبذل دون جدوى . إنه ـ ببساطة ـ تغيير أسلوب الحياة . فالحياة الإنسانية كما هى سائدة اليوم ، وكما هى صائرة ـ وفق التقديرات الظاهرة ـ إلى الأسوأ وإلى الدمار والهلاك ، ولابد لها من تغيير أساس القواعد والمبادىء والمفاهيم التى تستند إليها ، لابد من تغيير يعصمها من تدمير خصائص الإنسانية قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد ـ ١١

فبدلا من الفوضى الجنسية يلتزم الإنسان بما سن له الرحمن من «**الزواج المشروع**» وتكوين أسرة والامتناع عن المحرمات ، والاقتناع بالطيبات ، والإقلاع عن التصرفات المشبوهة والشاذة ، وعدم تبديد الطاقة الجنسية خارج العلاقة الزوجية . ولابد أن يغير الزناة والشاذين من تصرفاتهم بالاقتناع ، فإن ا «**فبقوة القانون**» ، وبالأسلوب الرادع الزاجر «**إقامة الحدود**» . وهذا هو الحل الجذرى ولكنه يحتاج إلى دعاة تدعمهم قوة السلطان ، ليعلموا الناس دين الله ، ويحضروا كل المؤتمرات الطبية ، ويعلنوا للعالم بكل اللغات أن الإيدز الذى نزل بهذه الفئات هو عقاب من الله بسبب ارتكاب الفواحش التى حرمها الله فى كل الاديان ، وأن ما أصاب غيرهم من الأسوياء إنما هو بسبب سكوتهم على هذه الجريمة . وأنه لن يفلح مع هذا المرض أى علاج إلا الإقلاع عن الفاحشة والجريمة ، حتى ولو توصل الأطباء بعد سنوات من الخسائر العظيمة فى الأموال والأرواح إلى الدواء ، يكون الإيدز قد أدى مهمته وكلف المجتمعات الغربية ثمنا باهظا لاتنساه ، ولابد أن يعلم الجميع أنه سيظهر مرض آخر أشد فتكا من الإيدز وحينئذ سيترحمون على عهد كانوا يكونون فيه ويشكون من مرض الإيدز ، لأن الله قد توعد مرتكبى الفاحشة بالعذاب فى الدنيا والآخرة ولن يخلف الله وعده .

الوقاية من الإيدز والقضاء عليه :

تعرفنا على الإيدز علمنا أنه عقوبة إليهة والله ـ سبحانه ـ عادل رحيم ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ فكيف نتقيه ، ونقضى عليه ـ هذا ـ فيما أراه ، أسباب الوقاية :

أولا : العفة التى نص عليها القرآن وهى العامل الأول فى الوقاية قال ـ تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ المعارج

يقول الدكتور أسامة قنديل عضو الجمعية الأمريكية لعلماء المناعة والمتخصص فى علاقة المناعة بالأمراض الانتهازية والإيدز بجامعة هارفارد بأمريكا . (وأما الوقاية من هذا المرض اللعين فلا محالة من أن العامل الأول والمهم هو العفة «وهى **تصريف الغريزة بالطرق المشروعة**» .

كذلك صرحت الدكتورة جون أو سبورن رئيسة اللجنة القومية للإيدز بالولايات المتحدة ، وعميد كلية الصحة العامة بجامعة متشجان ـ فى حديثها للمؤتمر الدولى السادس للإيدز قالت : **«إن من أنجح الطرق لمنع انتشار المرض هو تجنب التصرفات المشبوهة مثل الشذوذ والجماع خارج العلاقات الزوجية»**[١٩] .

ثانيا : التمسك بالدين والالتزام بتعاليمه ، فإنه المنهج الإلهى الحق الذى فيه سعادة البشرية ، ودوره فى وقاية الناس .

وفى تقرير أعده محمود الخطيب(*) بعنوان (الإيدز .. المجتمعات المسلمة أقل الشعوب معاناة من أخطاره)[٢٠] ذكر فيه لقد كان عامل الدين والقيم والأخلاق حاجزا فى وجه انتشار الاصابة به جغرافيا فى مناطق معينة لاسيما البلدان الإسلامية بموجب إحصائيات منظمة الصحة العالمية .

ثالثا : نشر التعاليم الدينية ـ بطريقة مقنعة يتقبلها الناس عن رضا ، يعلمون بها ما فيها من أحكام الحلال والحرام ، والتوعية الصحية فهما من أهم أسباب الوقاية .

رابعا : إنكار المنكر والتصدى لأهله والقضاء على كل الفواحش الظاهرة والباطنة ، والضرب بيد من حديد على يد كل عابث .

خامسا : سد الذرائع المؤدية للفاحشة . بمراقبة كل وسائل الإعلام الوافدة المرئية والمسموعة والمقروءة ، مراقبة شديدة والتصدى للعادات والأخلاق المنافية للدين .

سادسا : محاربة الجريمة والمجرمين بإقامة الحدود **«تطبيق قانون العقوبات الإسلامى»** .

سابعا : تسهيل وتيسير سبُل الزواج المشروع وتشجيع الناس عليه لإشباع الغريزة الجنسية ، بطريقة سليمة ومأمونة لحفظ النسل وعمارة الأرض .

ثامنا : التأكيد على نظام الأسرة ، ودعمه بكل الوسائل خاصة بعد ظهور أفكار مناهضة لنظام الأسرة فقد شهد العالم فى السنوات الأخيرة فكرة تفكيك عُرى الأسرة ونشر الإباحية المتزامنة مع ظاهرة الشذوذ[٢١] . وأن هناك جهودا مكثفة لهذا الغرض شهدتها بعض المؤتمرات الدولية العملاقة ، كمؤتمر السكان فى القاهرة ١٩٩٥ وقد كان فرصة أمام المخلصين الصادقين لفضح المؤامرات على الانحراف .

تاسعا : الالتزام بأسباب الوقاية الطبية[٢٢] والتى نبهت إلى أن الإيدز من الأمراض التى تنقل من مصاب إلى آخر نتيجة أسباب رئيسية ثلاثة هى :

---

(١٩) أسامة قنديل ، نفس المقالة السابقة .

(٢٠) مجلة المجتمع ، العدد ١٢١١ ، تقرير من إعداد محمود الخطيب .

(٢١) وثيقة مؤتمر بكين ومؤتمر الإسكان بالقاهرة .

(٢٢) أعمال مؤتمر فانكوفر بكندا .

(١) العلاقات الجنسية إذا ماكان أحد الطرفين مصابا .
(٢) نقل الدم الملوث إلى الشخص السليم .
(٣) الأم المصابة التى تنقل المرض خلال الحمل والمخاض والرضاعة لجنينها .

عاشرا : اتخاذ أسباب الوقاية المشروعة بالأدعية المأثورة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتى منها :

أ ـ قراءة هذا الدعاء ثلاث مرات صباحا ومساء :

«بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء» .

فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : «**مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم «ثلاث مرات لم يضره شىء»**[٢٣] .

ب ـ قراءة آية الكرسى صباحا ومساء .
جـ ـ قراءة المعوذات فقد ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لعتبة : ألا أخبرك بأفضل ماتعوذ به المتعوذون ؟ قلت بلى ، قال : **﴿قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس﴾**[٢٤] .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن حبيب : قل «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء»[٢٥] . وهذه الأدعية تحفظ الإنسان بعد الأخذ بالأسباب وهى تفيد حُسن التوكل على الله ولها دور عظيم فى حماية الإنسان .

أما وقد انتشر المرض فأصاب أعدادا كبيرة من البشر ، ولم تبق مدينة على وجه الأرض إلا بها عدد من المصابين يزيد أو ينقص تولدت بسببه مشاكل اجتماعية ، ومسائل فقهية تتطلب الإجابة والحل .

وبناء عليه فقد صدرت قرارات وإجابات فقهية من كل من مجمع الفقة الإسلامى ، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبيه بالاشتراك مع مجمع الفقه الإسلامى ومنظمة الصحة العالمية ، ووزارة الصحة الكويتية بشأن الإيدز والجوانب الفقهية المتعلقة به وتشمل الآتى[٢٦] :

١ ـ حكم تعمد نقل العدوى .
٢ ـ حقوق الزوجة المصابة وواجباتها .
٣ ـ حق الزوجة غير المصابة فى طلب الطلاق .

---

(٢٣) النووى ، الأذكار الأبرار ، ص ١٢١ ، مكتبة الغزال ، دمشق ، مؤسسة مناهـــل العرفـــان ، بيروت ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م .

(٢٤) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ١١ ص ١٢٥ ، دار الفكر .

(٢٥) الترمذى ، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذى ، ج٥ ، ص ٤٧٣ ، تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(*) كذلك أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله تعالى ـ دراسات فقهية متعددة بهذا الموضوع ضمن خمس مجلدات فقهية طبعت جميعها .. مجلة الأزهر .

(٢٦) محمد على البار ، الإيدز ، مشاكله الاجتماعية والفقهية ، ص ١٨ ـ ١٩ .

٤ ـ حق الزوج المصاب فى المعاشرة .

وكانت الإجابات باختصار :

(١) تعمد نقل العدوى بأي صورة من صور التعمد عمل مُحرم يستوجب العقوبة الدنيوية . وتتفاوت هذه العقوبة بقدر جسامة الفعل وأثره على الأفراد وتأثيره على المجتمع . فإذا كان قصد المتعمد إشاعته فى المجتمع فعمله هذا يُعد نوعا من الحرابة يستوجب عقوبتها .

وإذا كان قصده نقل العدوى إلى شخص بعينه ، وأدت إلى قتل المنقول إليه يُعاقب بالقتل قصاصا ، فإذا لم يمت المنقول إليه عُوقب المتعمد بالعقوبة التعزيرية المناسبة .

حق السليم من الزوجين طلب الفرقة من الطرف المصاب بعدوى الإيدز باعتباره مرضا مُعديا تنتقل عدواه بصورة رئيسية بالاتصال الجنسى .

حق المعاشرة الزوجية : إذا كان أحد الزوجين مصابا بالإيدز فإن لغير المصاب منهما أن يمتنع عن المعاشرة الجنسية لما سبق ذكره .. الخ قرارات أخرى ذات أهمية تحتاج ـ عند طرحها ـ إلى بسط يوضح للقارىء مطلوب هذه القرارات .

(وهكذا نرى الإسلام فى علاجه لمشكلة الأمراض الجنسية وعلى رأسها الإيدز يصحح نظرة الفرد إلى المجتمع ، وإلى الجنس بتقديم الموقف العدل الوسط ، والمنهج الأخلاقى الراقى الرائع ، وبعد أن تسد الذرائع ويقيم الرقيب الداخلى «**الإيمان**» وتستقيم النظرة والفطرة ، تكفى الكلمة أو العبارة فى ردع الإنسان عن الشر والفساد)[٢٧] ، فإن لم تفلح كل هذه الاحتياطات يأتى قانون العقوبات ليعيد للمستهترين صوابهم فيكمل بذلك واسطة العقد فى برنامج الدين الفريد .

---

(٢٧) عبدالحميد القضاة ، الأمراض الجنسية ، ص ١٥٦ .

« وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د / مجوى السيد أحمد (*)

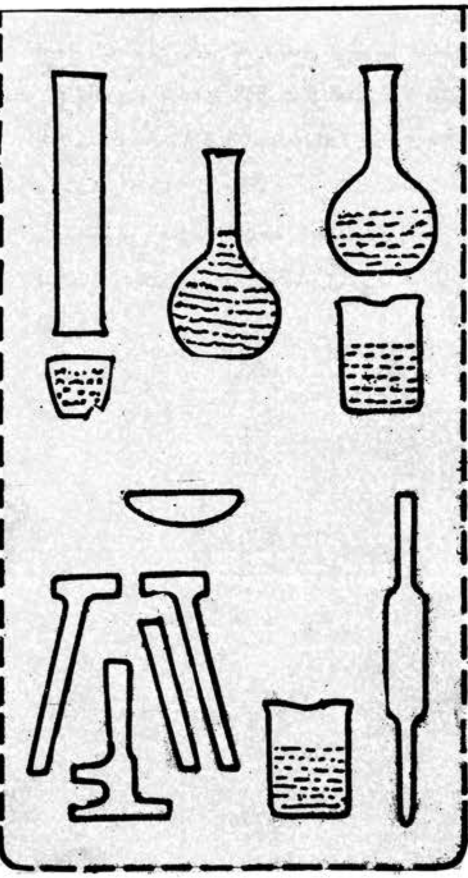

رصد مذنب لم يظهر منذ ثلاثة آلاف سنة :

تهتم المراصد الفلكية فى العالم كله برصد أحد المذنبات التى يتكرر ظهورها كل ثلاثة آلاف سنة ، وهو مذنب « هيل - بوب » Hail — Popp نسبة إلى مكتشفيْه « هيل » و « بوب » ، والفترة المتوقعة لظهور هذا المذنب وإمكانية رصده من الأرض هى أواخر مارس وأوائل إبريل سنة ١٩٩٧ ، أى خلال شهرى ذى القعدة وذى الحجة ١٤١٧ هجرية .

مرصد متطور لتأمين الملاحة البحرية

بدأ مركز رصد الأحوال الجوية فى جنوب بريطانيا تأمين البحارة من العواصف وتسهيل رحلاتهم البحرية من خلال مراقبة العواصف الاستوائية والتنبؤ بحالة الطقس ، باستخدام الحاسب الآلى المزود بنموذج للمجال الجوى فى

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث - الدقى

العالم كله ، ويقدم المركز خدماته لقطاع النقل التجارى ، ولوكالة أعمال التطوير البريطانى للبلاد الأجنبية ، وإلى الفريق الخاص بالإغاثة عن حدوث حالات الطوارىء ، وبناء على تنبؤات المرصد بالرياح والأمواج سيتم إرشاد السفن لاختيار الطرق البحرية الصالحة فى مختلف الظروف الجوية .

بطاقة الكترونية جديدة للحاسب الآلى :

أنتجت شركة فرنسية بطاقة الكترونية جديدة تستطيع أن تعمل عن بعد تصلح للحاسب الآلى الشخصى ، وتتميز بسهولة استخدامها ، ولا تحتاج إلى أى تدريب عليها بالنسبة لتركيبها أو استخدامها ، وتسمح البطاقة بالدخول إلى شبكة « الأنترنت » خلال ثانيتين فقط ، ويتم العمل بالبطاقة والصيانة عن بعد بواسطة أنظمة معينة ، وتتيح أيضاً الاتصال التليفونى باستخدام سماعة تليفونية خاصة بها .

جهاز صغير لترشيد استهلاك المياه :

أنتجت شركة أمريكية جهازاً صغير الحجم يقيس مقدار استهلاك المياه أثناء استخداماتنا اليومية فى المنزل أولا بأول ؛ فنعدل من استهلاكنا للمياه فى الحدود المناسبة ، ويمكن تركيبه على محبس المياه الرئيسى بالمنزل ، وهو أيضاً يصلح للشركات والعيادات ، ويوجد منه أحجام مختلفة لكى تتناسب مع المصدر الذى سيوصل به .

جهاز لتنقية الهواء :

طور معمل أبحاث يابانى جهازاً لتنقية الهواء ، يمكنه تمييز أربعة أنواع من الروائح هى دخان السجاير والكحول والأمونيا ومعطر الهواء ، والجهاز يضم مركبين كيميائيين حساسين ، يستعمل أحدهما لكشف تسرب الغاز فى مقاومة كل مركب ، ويصدر حكمه على الرائحة المتولدة ، ثم يتولى تنقية الجو من هذه الرائحة .

جهاز تبريد يعمل بالهواء الجاف المضغوط :

أنتجت شركة فرنسية متخصصة فى معالجة الهواء المضغوط جهاز تبريد يعمل بالهواء الجاف المضغوط حيث يتم تكثيف جزيئات الهواء وامتصاص بخار الماء منها باستخدام مادة تسمى المادة المجففة دون إدخال أى تعديلات فيزيائية أو كيميائية عليها ، وتجدد ذاتياً ، وتصل درجة الحرارة تحت ضغط منخفض إلى ـ ٢٠°م ، ـ ٤٠°م ، ـ ٧٠°م حسب الطلب ويصلح فى الصناعات الكيميائية والزراعية والغذائية والمنشآت البترولية ، ويقلل من استهلاك الطاقة الكهربائية .

آلة حديثة لغسل اليدين :

صممت إحدى الشركات الأوربية المتخصصة فى الصناعات التكنولوجية آلة حديثة لغسل اليدين وتطهيرها وتنظيفها من الجراثيم والقاذورات العالقة بها بطريقة صحيحة فى ١٠ ثوان فقط ، والآلة يبلغ ارتفاعها حوالى ٤ أقدام ، ومصممة خصيصاً للعاملين فى المطاعم أو المجالات التى تتطلب درجة عالية من النظافة .

بكتيريا محوَّلة وراثياً بدلاً من المنظفات الصناعية :

نجح علماء التكنولوجيا الحيوية بفرنسا فى تطوير مورثات البكتيريا ، وتوصلوا إلى جيل جديد لديه قدرة عالية على التخمر وغير ضار بالبيئة ، ويمكن حفظه فى حالة سكون على شكل مسحوق أو مادة جيلاتينية ، وعندما يوضع فى وسط مائى يبدأ نشاطه الذى يتراوح من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ مرة ضعف نشاط البكتيريا العادية ، ويتم استخدامها فى تنظيف البيئة بدلا من مساحيق المنظفات الكيميائية حيث توفر المجهود العضلى ولا تسبب أى تلوث .

الزيوت العطرية لعلاج بعض الأمراض :

كشفت دراسة علمية حديثة فى جامعة « نورث كارولينا » بأمريكا أن الزيوت العطرية يمكن أن تستخدم لعلاج بعض الأمراض حيث إنها تؤثر على الغدة الليمفاوية التى تتحكم فى منطقة الإحساس ، فمثلا رائحة زيت القرنفل تعالج الصداع النصفى ، والياسمين يقلل من التوتر النفسى والعصبى ، أما الليمون فيعطى إحساسا بالنشاط ، والنعناع مقو ومنشط عام ، والبرتقال رائحته تستخدم كمسكن للألم .

مؤتمر دولى فى الهندسة الوراثية لدراسة المورثات البشرية :

عقدت منظمة الجينات الوراثية « هوجو » فى هايدلبرج بألمانيا أول مؤتمر دولى شارك فيه علماء الوراثة من أربعين دولة لتبادل المعلومات ، ومحاولة فك رموز (٣ مليارات) من « الجينات » الوراثية البشرية ، ولتحديد مخاطر الأمراض الوراثية فى المستقبل ، وكانت حصيلة الدراسات اكتشاف ٣٠ ألف مورثة بالإضافة إلى تحديد المورثات المسئولة عن الإصابة بـ ٧٠٠ مرض وراثى .

دراسة طبية عن فوائد اللبن :

كشفت دراسة طبية استمرت عدة سنوات ، واشتركت فيها مجموعة دول أوروبية أن اللبن يحمى الإنسان من الإصابة بسرطان الجهاز الهضمى لاحتوائه على بعض أنواع البكتيريا الطبيعية ، والتى تعمل على تخفيض نشاط بعض الإنزيمات التى تساعد على الإصابة بمرض السرطان .

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم
مادة (جَمُل)

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان*

لم يذكر من مشتقات هذه المادة فى القرآن الكريم سوى خمس كلمات فقط هى :

١ ـ (جَمال) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾

الآية ٦ من سورة النحل

٢ ـ (جميل) وقد ذكرت سبع مرات فى سبع آيات هى :

(أ) ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

الآية ١٨ من سورة يوسف

(ب) ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ الآية ٨٣ سورة يوسف

(جـ) ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ الآية ٨٥ ـ سورة الحجر

(د) ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٢٨ ـ سورة الأحزاب

(هـ) ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٤٩ ـ سورة الأحزاب

(و) ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ الآية ٥ سورة المعارج

(ز) ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ الآية ١٠ سورة المزمل

---

*مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم

٣ ـ (جَمالِةٍ) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾

٤ ـ (الجَمَــل) فى قولــه تعــالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الأعراف ـ ٤٠

٥ ـ (جملة) فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ سورة الفرقان ـ الآية ٣٢

وسنتناول هذه الكلمات فى آياتها السابقة بشىء من التفصيل إن شاء الله ـ تعالى ـ لكن ينبغى قبل ذلك أن نشير إلى المعنى أو المعانى التى تدور حولها مشتقات مادة (جَمُل) . وهى تدور حول معنيين أساسيين هما : الحسن والكثرة .

قال الفيروز أبادى : (جَمُل ككرُم فهو جميل وجُمَال وجُمَّال على التكثير ، واعتبر من هذه المادة معنى الكثرة مُجْمل فقيل لكل جماعة غير منفصلة : جُمْلة ، ومنه قيل للحساب الذى لم يفصل والكلام الذى لم يبين تفصيله : « جُمل » .

والجميل : الشحم يذاب فيجمع ويجملُ أكله[1] . والحُسْن الذى تدور حوله هذه المادة يكون معنويا كما يكون حسيا .

قال ابن سيدة : (الحسن يكون فى الفعل والخلق) .

وقال ابن الأثير : (الجمال يقع على الصور والمعانى ومنه الحديث : « إن الله جميل يحب الجمال » أى حسن الأفعال كامل الأوصاف)[2] .

وقال صاحب البصائر : « الجمال الحُسْن وهو على ضربين جمال مختص بالإنسان فى ذاته أو شخصه أو فعله ، والثانى ما يصل منه إلى غيره وعلى هذا الوجه يُحْمَل ما صح عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله جميل يحب الجمال** » تنبيهاً إلى أنه يفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يختص بذلك[3] .

والجميل والجملانة طائر ، قال سيبويه : هو البلبل ويجمع على جملان[4] .

وقد لوحظ فيه معنى الحسن أيضاً ولنأخذ ـ بعون الله وتوفيقه ـ فى تناول الآيات التى وردت فيها مشتقات هذه المادة بشىء من التفصيل على حسب الترتيب الذى ذكرناه آنفاً .

أولًا : كلمة (جمال) :

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل : ٦

أى بهاء وحسن وزينة ، وهو من الجمال الحسى ، والمعنى ولكن فيها زينة فى أعين الناس ، وعظمة ووجاهة عندهم ، حين تريحون أى تردونها بالعشى من المرعى إلى مراحها ، وحين تسرحون ، أى تخرجونها فى الصباح من حظائرها إلى مراعيها . والسر فى تعيين هذين الوقتين أن جمال الأنعام إنما يكون فيهما أظهر وأبين فى الذهاب والمجىء حيث يراها الناس تزين الأفنية ويتجاوب ثغاؤها ورغاؤها لأنها عندما تكون فى الحظائر لا يراها أحد ، وعندما تكون فى المراعى لا يراها إلا أربابها وقدم الإراحة على السرح أو العودة على الذهاب مع أنها متأخرة عنها فى الوجود لكون الجمال فيها أتم إذ فيها الحضور بعد الغيبة على

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ ٢ ص ٣٩٥ للفيروز أبادى .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٦٨٥ ط دار التحرير .

(٣) بصائر ذوى التمييز جـ ٢ ص ٣٩٥ .

(٤) المصدر السابق .

أحسن ما تكــون ملأى البطــون حافلــة الضروع[٥] .

ثانياً : كلمة جميل :

وقد جاءت فى القرآن الكريم سبع مرات كما ذكرنا من قبل يُراد منها جميعاً الجمال المعنوى ، فقد جاءت فى آيتى سورة يوسف وصفاً للصبر وهو أمر معنوى قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف ـ الآية ١٨

والمعنى ليس الأمر كما زعمتم من أكل الذئب ليوسف ، بل زينت لكم أنفسكم فى شأنه أمراً غير ما ذكرتم ، فلن يكون منى سوى الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ، والله ـ سبحانه ـ هو المسئول أن يعيننى على الصبر مع عظم المصيبة فالصبر صبران : جميل : وهو ما لم يكن معه جزع ولا شكوى ، لعلم الصابر أن البلاء من الله ولا اعتراض على قضائه ، وفى الأثر : « من بث لم يصبر » وقال الثورى : (الصبر الجميل ألا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك) .

أما إذا كان الصبر ـ لا لأجل الرضا بقضاء الله ـ فذلك صبر لا يكون جميلا وكذا لو كان مع البلاء جزع وشكوى[٦] . ونفس الشيء يقال فى قوله ـ تعالى ـ حكاية عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أيضاً : (﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ (يوسف ٨٣) غير أن هذا القول الكريم صدر عنه بعدما احتال يوسف ـ عليه السلام ـ على احتجاز أخيه الشقيق عنده بجعل فتيانه صواع الملك فى رحله وادعائهم أنه سارق فلما عاد بقية الأسباط إلى أبيهم وذكروا له ذلك لم يصدقهم هذه المرة أيضاً ؛ لأنه يدرك أن أمراً ما غير ما ذكروا حدث ، وإن لم يكن من فعلهم ، وأعاد نفس المقالة التى قالها عند فقد يوسف ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ غير أنه زاد ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ أى يوسف وبنيامين (ويهوذا)[٧] ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ العليم بما فى نفسى وأنفسكم ، الحكيم الذى تجرى أحكامه وفق الحكمة والصواب .

أما الآية الثالثة التى جاء بها كلمة جميل فهى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ سورة الحجر : اية ٨٥ ـ وقد جاءت وصفاً للصفح وهو أمر معنوى كذلك والصفح : ترك اللوم ، وجماله خلوه من العتاب . والمعنى ـ والله أعلم : أن يوم القيامة آت لا ريب وحينئذ يجازى الله ـ تعالى ـ كل إنسان على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فدع يا محمد أمر المشركين الذين يكذبونك ويناوئونك إلى الله ينتقم منهم فى هذا اليوم لا محالة و ﴿ اصفح الصفح الجميل ﴾ أى اعرض عنهم إعراضاً جميلا ، واحتمل أذاهم وتأن عليهم واحلم عنهم وخالقهم بخلق حسن ، لأن ربك هو الخلاق العليم وخالقك وخالقهم وعليم بأحوالك وأحوالهم ، وقد علم ـ سبحانه ـ أن الصفح الجميل هو الأَوْلَىٰ فى هذه المرحلة ، فخليق بك أن تكل الأمور إليه إلى أن يحكم السيف بينك وبينهم[٨] .

---

(٥) روح المعانى للآلوسى جـ ١٤ ص ٩٨ ط دار إحياء التراث بتصرف شديد .

(٦) مفاتيح الغيب للرازى مجلد ٩ ص ٨ وما بعدها بتصرف .

(٧) لم يتقدم فى المقال ذكر لـ (يهوذا) فيمكن متابعته ـ مجلة الأزهر .

(٨) تفسير المراغى جـ ١٤ ص ٤٢ ، ٤٣ .

وجاء لفظ الجميل أيضاً فى آيتين من سورة الأحزاب بمعنى واحد ، وصفاً لتسريح الزوجات الأولى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ — الأحزاب

لقد اختار النبى ﷺ لنفسه وأهل بيته حياة الكفاف لا عجزاً عن حياة الترف ، فقد كان أجود بالصدقات والهبات والهدايا من الريح المرسلة ؛ لأن الله فتح له البلاد وكثرت الغنائم والفىء ، ومع ذلك فقد كان يمضى الشهران ولا توقد نار فى بيوته ، ولم يكلفه الله بهذا الكفاف الذى أخذ به نفسه ؛ لأن الطيبات حلال فى شرعته ؛ ولذلك لم يكلف أحدا من أمته بذلك إلا أن يختارها من يريد ، ولكنه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فعل ذلك استعلاء على متاع الدنيا وإيثاراً لما عند الله ، وكان يحب لأزواجه أن يرتفعن إلى هذا الأفق السامى الوضىء ، المتجرد من كل أوشاب الدنيا لكنهن مازالت بهن مشاعر البشر فلما رأين السعة والرخاء الذى صار فيه كثير من المسلمين بعد الفتوح

راجعن النبى ﷺ فى النفقة فعظم ذلك فى نفسه واحتجب عن أصحابه حتى شق عليهم ذلك ، وتجمعوا أمام بابه ؛ فلم يؤذن إلا لأبى بكر وعمر ــ رضى الله عنهما ــ وحين علما سبب احتجابه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ قام كل منهما إلى ابنته ليضربها فنهاهما ﷺ وقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده وأنزل الله آية الخيار السابقة ومعناها ــ والله أعلم : يا أيها النبى قل لأزواجك مخبراً لهن ليخترن ما يردن إن كنتن ترغبن فى متاع الحياة الدنيا وزينتها الزائلة وتؤثرنها على القرب من الرسول ﷺ والتمتع بجواره الكريم وبيته الطاهر ، فتعالين أطلقكن طلاقاً طيباً جميلًا بأن أعطيكن متعة تقر بها أعينكن ، ما دمتن تفضلن الدنيا على الله ورسوله . وقد اخترن ــ رضوان الله عليهن ــ الله ورسوله والدار الآخرة اختيارا مطلقاً ، وارتفعن إلى ذلك الأفق العالى الكريم اللائق ببيت الرسول العظيم .

أما آية الأحزاب الثانية التى وصف فيها السرح بالجميل فهى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الأحزاب :

والآية تبين حكم المطلقة قبل الدخول بها وقبل تسمية المهر ، فلها فى هذه الحالة متعة مع السراح الجميل وليس للأزواج عليهن عدة .

والآية السادسة التى ذكر فيها وصف الجميل هى قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ المعارج ٥ ــ وفيها كما فى آيتى يوسف وصف الصبر بالجميل ومعنى الآية والله أعلم : لما هدد الله تعالى المشركين بذكر يوم القيامة استهزأوا برسول الله ﷺ واستعجلوا العذاب وقال النضر : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنفال : ٣٢ ــ فأمر الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بالصبر الجميل عليهم ، وقيل : إن الرسول استعجل بعذاب الكافرين فبين الله له أن العذاب واقع بهم لا محالة ولا دافع له ، وأمره بالصبر الجميل[٩] . الذى لا قلق معه .

---

(٩) مفاتيح الغيب مجلد ١٥ ص ٧١٤ .

والآية الأخيرة التى جاء فيها لفظ الجميل هى قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل : ١٠ - وقد وصف بها الهجر وهو معنوى أيضاً والمعنى والله أعلم إذا اتخذت الله وكيلا فاصبر على أذى الكافرين ورميهم لك بالسحر والجنون والكهانه فإذا يئست من هدايتهم فاهجرهم هجراً جميلًا بحيث لا يحملنك الهجر على بغضهم أو الدعاء عليهم بل قل لهم : سلام عليكم لى عملى ولكم عملكم فهذا هو اللائق بمقامك السامى .

ثالثاً : كلمة جمالة :

وقد ذكرت فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ المرسلات : ٣٢ ، ٣٣ - والجمالة جمع جمل كحجر وحجارة ، وقرىء جمالات وهى جمع جمال كرجال ورجالات ، وقيل هى حبال السفن يجتمع بعضها إلى بعض حتى تكون غليظة كأوساط الرجال[١٠] .

والمعنى والله أعلم أن النار التى يؤمر الكفار بالانطلاق إليها ترمى بشرر كالقصر ، أى البناء العظيم فى الضخامة ثم هو كالجمال فى الشكل واللون والخفة وسرعة الحركة[١١] .

رابعاً : كلمة (الجمل) :

وهى مذكورة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف : آية ٤٠ - وسَمُّ الخياط هو ثقب الإبرة والأرجح أن الجمل هو الذكر من الإبل إذا بلغ أربع سنين ، وقيل : إن المراد الحبل الغليظ جداً .

وقرىء (الجُمَّل) بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها وهو حبل السفينة الغليظ وعلى كلا المعنيين فالمراد استحالة دخول الكافرين الجنة ؛ لأنه علق على مستحيل ومعنى الآية - والله أعلم : إن المكذبين بآيات الله المستكبرين عن هداه لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا ولا لدعائهم إذا دعوا ولا تفتح لهم أبواب الجنة لأنها فى السماء ، ثم أكد فقال : ﴿ فلا يدخلون الجنة ﴾ إلا إذا دخل الجمل البالغ أربع سنوات فى ثقب الإبرة وهذا محال ومثل ذلك الجزاء يجزى الله المجرمين .

خامساً : كلمة (جملة) :

فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

والمعنى أن المشركين لما لم يجدوا سبيلًا إلى العيب فى القرآن نفسه ، عابوا الطريقة التى نزل بها فقالوا : لماذا لم ينزل القرآن على محمد جملة واحدة بلا تفريق ولا تنجيم إذ لو كان هذا القرآن من عند الله لأنزله مرة واحدة ؛ لأن الله لا يعجز عن ذلك لكن محمدا يعاود البحث والنظر والتفكير حتى يختار الكلمات والمعانى المناسبة ، فرد الحق عليهم رداً قاطعاً لألسنتهم مبيناً الحكمة من التنجيم وهو تثبيت قلبك يا محمد وحتى يسهل ترتيله وحفظه وفهمه وتطبيقه[١٢] .

هذا والله أعلم وبه التوفيق ،

---

(١٠) لسان العرب مجلد ١ ص ٦٨٣ ط دار التحرير .

(١١) التفسير الواضح د. حجازى جـ ٢٩ ص ١٥٠ .

(١٢) التفسير القرآنى للقرآن للأستاذ عبدالكريم الخطيب جـ ١٩ ص ١٧ وما بعدها بتصرف .

أسلوب الشرط

فى مقررات اللغتين العربية والإنجليزية فى مدارس التعليم العام والأزهرى فى بلادنا

للأستاذ / سليمان بركات (*)

تدرس فى بلادنا اللغة العربية لغة أم ، واللغة الإنجليزية وغيرها من لغات أجنبية . وأقتصرُ فى حديثى على اللغة الإنجليزية لتخصصى فيها من ناحية ، ولأنها اللغة الأجنبية المشتركة فى التعليم العام والأزهرى قبل الجامعى عندنا ؛ وأتخذُ من أسلوب الشرط موضوعا فى ذاته وشاهدا على ضرورة أدعو إلى الالتفات إليها .

النحو منطق اللغة والمنطق واحد عند كل الناس ؛ لذلك فإن وجوه القرابة بين اللغات موجودة بنفس قوة تمايزها ، تبارك الله أحسن الخالقين الذى من آياته اختلاف الألسنة . ولابد أن الطالب الذكى تتحرك فى نفسه بواعث الربط بين لغته القومية واللغة الأجنبية التى يدرسها ، والتوسعة على نفسه بمد الجسور بينهما ؛ غير أن هذه الحركة لا يتسنى لها الهداية والإنماء ، اكتفاء بمختارات المقررات المفروضة واقتصارا على مقاصد ورقة الامتحان .

تدخل معالجة « أسلوب الشرط » فى مناهج اللغتين عندنا فى باب النحو العربى والأجرومية الانجليزية ، وتوشك ألَّا يعرض لها من منظور بلاغى فى أبواب التعبير والتذوق فى أى اللغتين . وإذ كان النحو فى العربية يجرى على « الإعراب » ، والأجرومية فى الانجليزية على « التركيب » ، وتختلف معانى أنماط الشرط فى العربية (فيما بين « اليقين ، والاحتمال والإمكان والاستحالة » ، و« الحال والمستقبل ، وما مضى من الزمان ») ، باختلاف « أداة الشرط » فى المقام الأول ، بينما ينبنى هذا وذاك فى الإنجليزية على « صيغة الفعل » ، فقد فرض هذا التباين على العملية التعليمية أن يسير تدريس « أسلوب الشرط » فى كل لغة منهما فى اتجاه مغاير للآخر .

وقد يتراءى أن حدود التخصص اللغوى تشبه الحدود الجغرافية ، وبالتالى ، فإنى أثير مشكلة لا داعى لها ، ولا أحد لها خالٍ . غير أنى رأيت الأمر يستحق قولة حق فى مقررات النحو والأسلوب فى اللغتين ، بمدارسنا ومعاهدنا الأزهرية ، وفى الانفصام القائم بينهما . إذ لم يعد له مبرر ؛ بل هو ضار ، فى وقت أصبح العالم فيه قرية واحدة . ولقد آن الأوان لأن يقوم

(*) الكاتب : موجه عام اللغة الإنجليزية بالتربية والتعليم ـ سابقاً .

القائمون المتعاقبون على المناهج والمقررات عندنا بإعادة النظر فى « التموين » المدرسى واستكشاف الذخائر المهملة فى غيابة الجب ، وإدخال التغيير والحداثة المطلوبين ، وتيسير الانطلاق المرجو ؛ وكذلك لقطع دابر الكثير من الخلافات التى تقع بين من تُجاوز معلوماتُهم حدودَ المقررات ومن تقوقعوا داخلها ، وخاصة فى زمن يُوسَد فيه التعليم لغير أهله ؛ وأيضاً لمنع وجود « مختارات » صحيحة فى أسئلة « الاختيار من متعدد » فى الإنجليزية تعتبر غير صحيحة فى الإجابة النموذجية التى يتم تقدير الدرجات المستحقة على أساسها !

١ ــ ضمّت مقررات أسلوب الشرط فى اللغتين أنماطاً ، واجتمعت على إهمال أنماط ، وانفردت مقررات اللغة الإنجليزية بإهمال أنماط .

٢ ــ فقد اهتمت مقررات اللغتين ، فى التعليم العام والأزهرى قبل الجامعى ، بأسلوب الشرط الذى يركز على « علّيَة فعل الشرط ومعلوليّة جوابه » ، وقوعا وامتناعا . أى أنها اتفقت على الانتحاء « من السبب إلى الأثر » ، أو « من السابق إلى اللاحق » ، مثل :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ المنافقون ــ ٤

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء ــ ٢٩

﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾ الرعد ــ ١٨

« **إن يفعل ذلك فلا تثق به بعدها** » . – If he did that, you shouldn't trust him again.

إذا كان الغاز أوكسيجين فسيتوهّج اللهب – If the gas is Oxygen, the flame will brighten. –

« لو كنت عرفت لكنت ساعدت » — If I'd known, I'd have helped.

وأهمل المقرر العربى إشكالية إبانة « زمن » الفعل على « الوقت » الحقيقى للجملة ، استنادا إلى « العادة المكتسبة » لدى الطالب بتلقائية التعبير بلسان اللغة الأم .

٣ ــ كما أهملت المقررات فى اللغة الإنجليزية أسلوب الشرط بفعل أمر ، مثل :

« دع ذراعى وإلا فسأصرخ » — Let go my arm, or I'll shout.

« أعْطه ، وإذا به يطمع فى مزيد » — Give him some, and then he'll want more.

٤ ــ ثم أهملت مقررات اللغة الإنجليزية أربعة أنماط شرطية أساسية أخرى :

(أ) « معلولية فعل الشرط وعلّية الجواب » أى : أُهمل الانتحاء « من النتيجة إلى السبب » ، أو « من اللاحق إلى السابق » ، مثل :

« إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » « ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا »

« لئن كانو سرقوا شيئاً فبما ضغطت عليهم الحاجة » « إذا توهج اللهب فالغاز أوكسيجين »

If they've run away with something, then they had been pressed by need..

If the flame brightens, then the gas is Oxygen.

(ب) « انتفاء العلّية بين فعل الشرط وجوابه ، مثل :

« فإن تولّيتم فما سألتكم عليه من أجر / / « أتقتلون رجلا أن يقول ربّىَ الله وقد جاءكم بالبينات » / « إذا هي وشَتْ بك فما شأنى أنا ؟

If she's told on you, what for am I to blame ?

(جـ) ذريعة المغايرة ، مثل :

« بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » / « لئن أخطأ مرة فلقد أصاب مرات »

If he's been wrong this time he always did well.

(د) ذريعة المشابهة

« سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » / « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر قبل غيره »

He that is without sin among you, let him first cast a stone at her.

ولست أدرى سر هذا الخوف لما هو شائع فى معتاد الفكر والتعبير ، وفى ضرورتهما الحياتية والعلمية والأدبية ، وليس بذى صعوبة ، خاصة والطالب قد تمرس على مختلف صيغ الفعل فى الإنجليزية .

٥ ـ إشكاليات إبانة الصيغة الزمنية للفعل tense / form عن الوقت الحقيقى time فى الإنجليزية جزء هام ، ويتم التدريب عليها فى مقرر الأجرومية الانجليزية طوال المرحلتين الإعدادية والثانوية . ومع ذلك فقد اقتصر « أسلوب الشرط » فى المقررين على ثلاثة أنماط types : نمط واحد فيه فعلُ الشرط يقينٌ أو احتمال كبير ، حاضرا أو مستقبلا ، ونمط ثان فيه فعلُ الشرط ممتنع غير واقع (افتراض ـ تمنّ ـ تعذّر ـ استحالة) فى الحال أو القابل ، وثالثها ممتنع غير واقع ومتعلق بالماضى . ولكل نمط فعلُ شرط فى صيغة معينة وجوابُ شرط فى صيغة ملازمة له .

ومع ذلك فقد اقتصر واضعو المقررات الإنجليزية على بعض ما يدخل تحت كل من هذه الأنماط الثلاثة وأغضوا عن غيره رغم أنه ليس من شوارد اللغة أو نوادرها ، وإنما لخروج تركيبه عن أضلاع الشكل الموحد الذى وضعوه لكل نمط . ويتكرر هذا الاقتصار فى المرحلتين الإعدادية والثانوية ، مع بعض اختلاف فى المفردات والأمثلة لا أكثر ، مما يعدّ تثبيتا ومعاودة له وإنكارا لما سواه .

٦ ـ إن للفعل فى الإنجليزية ما لا يقل عن ثلاث عشرة صيغة tenses / forms ، كلها قابلة للدخول فى أسلوب الشرط ، وكلها قابلة لأن تَستدعى صيغةُ « فعل الشرط » أكثر من صيغة لـ « جواب الشرط » ، فتعطى معنى مختلفاً كل مرة . وقد أورد أحد نحاة اللغة الإنجليزية أكثر من

عشرين نمطاً شرطياً ليس فيها نمط واحد متكلف أو نادر . فإنّ يَرَ واضعو المناهج عندنا أنها كثيرة بما قد يسبب ارتباكا للطالب ؛ فلابد من التنبيه على وجود بعضها ، أوتخصيصه لمستوى متقدم ، لاسيما الأنماط التى طال إهمالها بدون مبرر . كما أنصح بالحيطة عند استخدام طريقة « الاختيار من متعدد » فى اختبارات أسلوب الشرط فى اللغة الإنجليزية .

وأورد فيما يلى أمثلة لأنماط فى مستوى طالب المرحلة الإعدادية وطالب المرحلة الثانوية ، تندمج فيها « صيغ الفعل » tenses / forms ، مع « أساليب الشرط » ، أدلل بذلك على وجودها وجدواها ، وانتفاء المبرر لغيابها عن المقررات .

- If you are waiting for him, you are wasting your time.
- If you are waiting for him, we are, too.
- If you are waiting for him, he never sees a visitor at this hour.
- If you are waiting for him, why don't you sit down?
- If you are waiting for him, sit down please.
- If you are waiting for him, he's gone home.
- If you are waiting for him, he won't be back until 5.
- If you are waiting for him, you should have told his secretary.
- If you are waiting for him, why didn't you tell his secretary ?

- If you've sent a letter, then your name is on the list.
- If you've sent a letter, a copy is being made.
- If you've sent a letter, it hasn't arrived yet.
- If you've sent a letter, you (must have) expected to be chosen.
- If you've sent a letter, I'll do, too.
- If you've sent a letter, when did you write it ?

- If he said that, he was a liar.
- If he thought that, he must be a fool.
- If he('s) failed this time, he always managed before.

كما أرجو أن يكون المقال باعثا للإخوة رجال اللغة العربية على التفكير فى إدخال منظورات جديدة على العملية التعليمية تتواصل بها أرحام النحو والبلاغة فى العربية تواصلا أكثر ، وإنى لعلى يقين أن فى ذلك خيرا .

والله ولى التوفيق .

طبقات المحقّقين والمصحّحين ١٥

من الأعلام المحققين

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

رجل جلدٌ صليد العزيمة شديدُ الصريمة، حديدُ الإرادة .. ما أبعد همته وأحمد شيمته، وأحسن سيرته، وأنقى سريرته.. ذلكم هو المؤلف الكبير والمحقق الشهير والناقد البصير الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، صاحب التصانيف الغزيرة ، والمحررات الشهيرة ، والتحقيقات المتميزة، والآراء الواعية المحفوة، واللطائف المقفوة.

قرأنا من مؤلفاته جملة صالحة وإضمامة نفيسة، عالية القيمة فى قوتها ورصانتها لما انطوت عليه من دقة فى الوصف، وجمال فى الرصف، ورشاقة فى التحبير والتحرير وسلاسة فى السبك، وجمال فى الأسلوب. ولم تقنع هذه العبقرية الفذة بمضمار التأليف والتصنيف ، وإنما تجاوزت هذين إلى التحقيق العلمى الرفيع على أعلى مستوياته.

والحقيقة فإن ثمة تنازعا بين فريقين متقابلين: أنصار التأليف وأنصار التحقيق، حيث يرى الأولون أن التأليف هو الأشرف والأكرم لكونه دليلاً على شخصية المؤلف وفيه تتجلى عناصر الأفكار والابتكار والتجديد والإضافة التى تدل على درجة صاحبها من المهارة والقدرة والإبداع والإضافة، ولكن التحقيق فى نظرهم ما هو إلا استحضار أعمال السابقين السلف ـ رضى الله عنهم ـ وليس للمحقق من فضل سوى إخراج النصوص وضبطها ونشرها.

وهؤلاء يَرَوْن أن المؤلف هو صاحب الفضل الأول، وما للمحقق إلا الفضل الثانى فى المرتبة الثانية.

لكن الفريق الثانى يرى أن التحقيق فنٌ لا يليق بالتوفر عليه والاضطلاع عليه وبه إلا الأقوياء ، وإنه ليس كل عالم محققاً ، كما أنه لابد أن يكون المحقق عالماً، والأكثر من هذا أن يكون عالما موسوعياً. ومجرد أن يذكر اسم المحقق فهذا كفيل أن تعرف مقدار الجهد المبذول فى الكتاب من غير أن تقرأ العمل نفسه . لأن العمل العلمى والشروح الدقيقة، والآراء السديدة، والأفكار المنتقاة والدقة فى الضبط والتخريجات لصيقة بالاسم الذى اشتُهِرَ بتلك الدقة والانضباط العلمى.

لكننا نرى أن كلا الرأيين فيه حق، وفيه غلو فما ذكره الفريقان من خير فهو صحيح من شرف التأليف وعلو شأنه ، وكذلك من أهمية التحقيق وشريف ممارسته، وجليل مقصده، فإن كلا العملين طويل الباع فسيح المدى فى الفضل.

على أنه يجب إن تعلم أن التحقيق هو الشىء الوحيد الذى يسد الفجوة فى التراث، ولولاه ـ وهذا أمر الله تعالى ـ لما وجدنا التراث حلقة متصلة ، إن المنظور المنصف غير الغالى هو أن كلا العملين مكمل للآخر، وقد يقوى على الأول من لايقدر على الثانى، وقد يبرع فى الثانى من لاقبل له بالأول.

لكن من الندرة من يقوى على الاثنين معاً ويمارس هذيْن النشاطين بدقة وثقة وعمق وإتقان .

□ □ □

قرأت كثيراً من مؤلفات الأستـــاذ أحمد عبدالغفور عطار ، وكذلك مجموعة طيبة من تحقيقاته العالية القدر، رفيعة المستوى، لكن لم أقرأ له شعراً البتة .

وقد لفت نظرى حرصُهُ على إبراز قدراته اللغوية فى بحوثه ومؤلفاته بصورة طبيعية بريئة من التكلف، والاصطناع بما تستطيع أن تقطع معه بفطرية صاحبها وأنه مجبول مفطور على الأدب، وقد اغتذى من أخلاف الفصَاحة، ونهل من عذب البيان.

وقد قرأت فى قائمة كتبه المؤلفة أن له ديوانا وحرصت على الحصول عليه دون جدوى.

رجوت أن اتصل بهذا الرجل النابه النحرير، فلم تُيسر لى الظروف ذلك لانشغالى، وعدم معرفتى بمحل إقامته على وجه التحديد، وأعرف أنه من المملكة العربية السعودية الشقيقة، كرَّمها الله وطيَّب ثراها..

وذكرت لصديقى العالم المحقق الأستاذ الدكتور عبد المجيد رغبتى فى لقاء الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، فعجبت كل العجب إذ ذكر لى الدكتور دياب أنه كان فى المملكة العربية السعودية سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف، وأنه حاول الاتصال بالأستاذ عبد الغفور عطار لكن لم يتم لهما اللقاء الذى كان مرجوا مأمولاً.

وهذا بالتأكيد يؤكد إعجاب الدكتور دياب بالرجل واطمئنانه معنا بأنه رائد من الرواد العمالقة الذين حملوا على كاهلهم أعباء جساما، وأنه من المعالم الحضارية والثقافية والعلمية فى المملكة حتى يومنا هذا.

□ □ □

قرأت كتابه الشائق الممتع «المقالات» وقد صدرت نشرته الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد.

وهذا الكتاب يحتوى على موضوعات قيمة نشر أكثرها فى صحف الحجاز، وبعضها فى صحف مصر.

وذكر عطار فى مقدمة هذا الكتاب أن عمر الأدب فى الحجاز لايبلغ خمسا وعشرين سنة ، بل يبلغ عمر الأدب الصحيح عشر سنين.

ثم هو يطوف بنا فى رياضه النَّدِية المورقة الوارفة الظلال من فصول سبق له نشرها فى صورة مقالات فى الصحف المختلفة كما أشار إلى ذلك فى مقدمته ـ تنتظم مساحة واسعة من الفكر والثقافة وهى أيضا تشمل تعقيبات وآراء حرة، وأفكاراً جديدة ـ فى وقتها ـ لانطوائها على نظرات وتطلعات وإرهاصات مستقبلية كان ينظر إليها عطار من زهاء نصف قرن من الزمان (أواسط الأربعينيات) أو يزيد، من هذه الأشياء ما تحقق وصدق حدسه وتخزيره وتظنيه، ومنها ما نبا به الزمان، وهذا لايشينه أبدا، فإن حسبه من ذلك شرفا وفخرا أن كان مضطلعا بكل هذه الأعباء والهموم الفكرية والإنسانية فى جلد وصبر واحتمال ينوء به كثيرٌ من أضرابه فى ذلك الوقت، وليس حسبه من القلادة ما أحاط بالعنق وحسب ، بل إنه زاد على ذلك وأفاض وأسدى .

□ □ □

أما أسلوبه النقدى الأدبى فقد امتاز (من وجهة نظرنا) بالدقة البالغة والرصانة الأسلوبية ،والدراية والدربة فى هذا المضمار، بما يؤكد لنا توفره على دراسة أمهات الكتب فى اللغة، وإحاطته الواعية بالمصادر والمراجع والمعجمات ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين.

كتب للمؤلف

أ ـ كتب نفدت

١ ـ كتابى (مجموعات مقالات)
طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة ـ حرسها الله ـ سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٤م).

٢ ـ محمد بن عبدالوهاب
الطبعة الاولى، القاهرة، سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م).

٣ ـ الهوى والشباب (ديوان شعر)
٤ ـ الخراج والشرائع
٥ ـ أريد أن أرى الله (مجموعة قصص)
٦ ـ المقالات
٧ ـ صقر الجزيرة، ٣ أجزاء
٨ ـ البيان (نقد أدبى)
٩ ـ الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور، مترجمة عن البنغالية)
١٠ ـ المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الامام الجوهرى)
١١ ـ قطرة من يراع
١٢ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية
١٣ ـ مقصورة ابن دريد (بحث تاريخى أدبى) .
١٤ ـ الإسلام والشيوعية
١٥ ـ حرب الأكاذيب
١٦ ـ الفصحى والعامية
١٧ ـ عشرون يوماً فى الصين الوطنية
١٨ ـ الشريعة لا القانون
١٩ ـ الإسلام طريقنا إلى الحياة
٢٠ ـ آراء فى اللغة
٢١ ـ كلام فى الأدب

٢٢ ـ المفتش (مسرحية لنقولا جوجول)
٢٣ ـ الزحف على لغة القرآن
٢٤ ـ الإسلام خاتم الأديان
٢٥ ـ إنسانية الاسلام
٢٦ ـ اليهودية والصهيونية
٢٧ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء (وهو غير الكتاب السابق)
٢٨ ـ ابن سعود وقضية فلسطين
٢٩ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية
٣٠ ـ الماسونية
٣١ ـ عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود.
٣٢ ـ حجة النبى صلى الله عليه وسلم
الطبعة الاولى ـ دمشق، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)
٣٣ ـ مؤامرة الصهيونية على العالم
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).
٣٤ ـ بروتوكولات صهيون (مترجم)

ب ـ كتب محققة

٣٥ ـ تهذيب الصحاح (معجم لغوى، تأليف الامام الزنجانى) ٣ أجزاء
بالاشتراك مع الاستاذ عبدالسلام هارون
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)
٣٦ ـ مقدمة تهذيب اللغة، للإمام الأزهرى
٣٧ ـ ليس فى كلام العرب، للإمام ابن خالويه
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)
٣٨ ـ آداب المتعلمين ورسائل أخرى فى التربية الإسلامية، لابن خلدون وغيره
الطبعة الأولى ـ القاهرة، سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م)
٣٩ ـ الصحاح، للإمام الجوهرى ٧ أجزاء (منها المقدمة)
الطبعة الأولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)
٤٠ ـ شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمى.

ج ـ كتب مترجمة للمؤلف

٤١ ـ محمد بن عبدالوهاب، باللغة الانجليزية
ترجمة الدكتور راشد البراوى
٤٢ ـ محمد بن عبدالوهاب، باللغة الأردية
ترجمة الشيخ محمد خليل صادق، الطبعة الثانية ـ مكة المكرمة
٤٣ ـ إنسانية الإسلام، باللغة الانكليزية
الطبعة الأولى ـ بيروت، سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)

د ـ مؤلفات أخرى

٤٤ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم .
٤٥ ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبى وعمراته .
٤٦ ـ الحجاب والسفور .
٤٧ ـ وفاء الفقه الاسلامى بحاجات هذا العصر وكل عصر .
٤٨ ـ وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر .

٤٩ ـ دفاع عن الفصحى .
٥٠ ـ الهجرة .
٥١ ـ جحا يستقبل نفسه .
٥٢ ـ اليهودية والصهيونية .
٥٣ ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات .
٥٤ ـ الاسلام دين خاص أم عام .
٥٥ ـ انحسار تطبيق الشريعة فى أقطار العروبة والاسلام .
٥٦ ـ الجوهرى .
٥٧ ـ أصرح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة .
٥٨ ـ انسانية الاسلام .
٥٩ ـ الديانات والعقائد فى مختلف العصور .

هـ ـ كتب أعيد طبعها

١ ـ حجة النبى ﴿ ﷺ ﴾
الطبعة الثانية ـ دمشق، سنة ١٣٩٦هـ ـ (١٩٧٦م)
٢ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء
الطبعة الثانية ـ بيروت، سنة ١٣٩٧هـ ـ (١٩٧٧م)

و ـ كتب معدّة للطبع

١ ـ المكتبات
٢ ـ فيصل
٣ ـ مئة كلمة
٤ ـ لاأؤمن بالاشتراكية لأنى أؤمن بالإسلام
٥ ـ مع الكتب والمؤلفين
٦ ـ الأسرة
٧ ـ نقد كتاب «كشف الظنون»
٨ ـ مذكرات لارا
٩ ـ قال بيدبا
١٠ ـ خمس دقائق قبل الفطور
١١ ـ وراء القضبان
١٢ ـ ورود من كلام
١٣ ـ العقاد
١٤ ـ مسلمة فى سيبيريا
١٥ ـ مع الملوك والرؤساء
١٦ ـ الأدب الضاحك
١٧ ـ الرحلات
١٨ ـ عائشة أم المؤمنين
١٩ ـ فى اللغة
٢٠ ـ الأزمنة ، لقطرب
٢١ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، لأبى العميثل
٢٢ ـ كشف الظنون. لحاجى خليفة
٢٣ ـ مجموعة المعانى (مختارات شعرية) طبعة الجوائب

وللأستاذ عطار نقود واستدراكات لغوية ولطائف جميلة وجليلة فى التعقيب على المؤلفين وهى ملاحظات مسوقة فى قالب مهذب رقيق، ليس مدفوعة ولا مفحمة بأغراض ملتوية تحت ستار نقد مزعوم.

هذا الأسلوب الراقى جدير ومحقوق بالتقدير لكونه يبدى ويبرز أهمية الكاتب والكتاب المنقود فى عبارات صادقة، وإكبار وإبراز لما كانفه من مميزات مع إشادة بمواضع التبريز والتميز الفارق فيه، ثم يجعل من تنويهاته وتصويباته واستدراكاته فى صورة علمية محضة ـ تكميلاً يعتز به المؤلف لانطوائه على الرغبة الصادقة المخلصة فى الإصلاح والتقويم.

لكن هناك بعض المغالاة والمخالفة لضوابط النقد المعمول بها، والتى يكون بموجبها موافقا للقواعد المستقرة، وهذا ما حمله على تخطئة أشياء وهى صحيحة، أو ليس خطؤها مطلقا وإنما يجوز حملها على المعنى أو المجاز، أو ربما كان لها وجه آخر أو وجه مرجوح من الصحة، فكان الحكم بتخطئتها ليس سديدا من كل الوجوه.. هذا ما أراه..

وليس ذلك قدحا ولا ثلبا ، وإنما هو مجرد آراء وملاحظات على تلك الآراء والملاحظات.

أقدم مطبوعات عبدالغفور عطار وقع تحت أيدينا تحت مسمى : (مجموعة المقالات) نشره بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، الموافق سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد.

وقد بحثنا ونقبنا عن ترجمة له فى كتاب «الأعلام» للزركلى فلم نجد أثراً له، ولا فى كتاب «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة ويلحق بنفس الاتجاه معجم «المنجد» فهو الآخر أهدر حق الرجل وسحب على اسمه ذيلا من النسيان.

وليس أحمد عبدالغفور عطار بما سوَّغه وموله وأسداه ـ مستحقا لهذا الجحد والصدوف، فهو رجل قدَّم للمكتبة الأدبية والثقافية زهاء مائة كتاب مابين مؤلف ومحققَّ ومترجم له إلى الإنجليزية وإلى الأوردية وديوان شعر، وغير ذلك من عشرات بل مئات البحوث والمقالات والدراسات العلمية وعندى أنه ليس من شك فى أن الإنتاج الغزير والعمل الدءوب الشاق المضنى ـ جدير بالتقدير والعرفان، والشكر والامتنان. بلى ورب الكعبة..

إن الرجل من خلال استقراء كتاباته نراه حريصا على الإسلام وعلى مقدساته، وهو بموجب هذه الخاصية والسمة ليستحق التكريم والإشادة..

لقد شارك الأستاذ عبدالسلام محمد هارون العلامة الشهير شيخ المحققين فى تحقيق كتاب «الصحاح للجوهرى» وهذه المشاركة وحدها فى حد ذاتها أبلغ إشارة، وأعظم دليل على كفاءة الرجل وقدرته فى هذا المضمار، وما كان لعملاق جهبذ مرموق المكانة مثل عبدالسلام هارون ليقبل أن يشاركه تحقيق كتاب خطير المكانة والمرتبة بين معاجم اللغة العربية مثل «الصحاح» رجل غير موثوق به أو مجهول الحال، أو منكور الفضل فى هذا المضمار.

ولدى وفى مكتبتى (صاحب هذه الدراسة) ورقة بخط يد المرحوم العلامة الأستاذ عبدالسلام محمد هارون يقول فيها: شاركنى أخى وصديقى الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار تحقيق كتاب «الصحاح للجوهرى».. الخ وهذا إقرار ضمنى بأهليته وقدرته على مستوى الباحثين والمحققين الكبار من الطراز الأول.

وتتوالى مطبوعات عطار مابين سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف حتى سنة ثمانين وتسعمائة وألف للميلاد أى على مدار ست وأربعين سنة (نصف قرن من الزمان) تقريبا. وربما صدرت له طبعات أخرى بعد هذا التاريخ لكتب جديدة لم تقع فى أيدينا، ولم تصلنا أخبارها.

□ □ □

ظهرت عبقرية أحمد عبدالغفور عطار فى وقت ثرى، كثير الخصوبة الأدبية وهذه مقتطفات من

أقوال أرباب الفكر والقلم فيه وقد نشرت المقتطف كلمة عنه مؤداها:

«الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار من أدباء الجزيرة المبرزين، وشعرائها الذين يصنعون أسس النهضة للشعر هناك، فأسلوبه قائم على دعائم من قوة الفكر وحلاوة التعبير، ودقة التصوير، زاخر بالأخيلة والمعانى المستحدثة».

وقال عنه الدكتور محمد حسين هيكل «باشا»:

«وأسلوب الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار أسلوب يجمع إلى السهولة الصفاء، وهذا الأسلوب الممتلىء بالحياة يدفعك لتمضى فى مطالعة الكتاب فلا تقف حتى تبلغ آخره ».

هذا ولم نقف على تاريخ مولد الأستاذ عطار، لكن من المرجح أن يكون وُلِدَ فى مطلع هذا القرن وأغلب اعتقادى أن يكون ذلك سنة تسعمائة وألف للميلاد، أو قبل ذلك ببضع سنوات أو بعده.

وإننا لنرجو أن يكون مازال حيا مرزوقا بالصحة والعافية، وإننا لنوجه إليه نداء من خلال هذه الترجمة المتواضعة أن يتفضل علينا بموافاتنا بما يريد أن يضاف إلى هذه الدراسة ـ أو أحد أبنائه أو أقربائه أو مريديه.

تحية لك وألف تحية فى حلك وترحالك، فى شبابك وشيخوختك، فى قربك وفى بعدك، فى دنياك وأُخراك.. فإن جهدك مشكور وصنيعك مذخور، وأياديك البيض منشورة الصفحات، فهنيئا لك ولكم منا الثناء والتقدير اللذان يليقان بمثلك.

والحمد لله رب العالمين.

زكى مبارك

جاحظ القرن العشرين

١

بقلم دكتور / محمد عبد الحكيم محمد

الواقع أن « د. زكى مبارك » يعتبر فى مقدمة من ترسموا خطى « الجاحظ » وأفادوا من فنونه الأدبية والعقلية الواسعة فى شتى الموضوعات والمجالات ، ذلك أن ثورته التى استحدثها فى تاريخ النثر العربى تركت ظلالها الممتدة على معاصريه ومن جاء بعدهم .

وبرغم سريان القرون المتطاولة بينهم إلا أن روح « الجاحظ » ظلت هائمة حتى حلت فى « زكى مبارك » فكانت منه تلك النفحة الأدبية الخالدة فى صفحات التاريخ ، فقد جمع بينهما القرطاس والقلم وتعدد المواهب وتوحد المنهج ، حتى أننا نرى الخصائص الفنية بينهما قد اتحدت وتشابهت فى أمور كثيرة ، أهمها :

١ ـ اللغة الصحفية :

فهما يتلاقيان فى مفهومهما الواعى للغة المباشرة ، أو للغة الصحافة المعاصرة التى تحقق التناغم بين المرسل والمستقبل على اختلاف بيئاته وطبقاته ، ذلك أنه « فى الحضارة العربية ظهرت إرهاصات بلغة الصحافة حتى قبل اختراع المطبعة ، فالجاحظ ـ وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى جدير بأن يكون أول صحفى ممتاز لو أنه عاش فى القرن الذى نعيش فيه »[1] .

ولا غرو فقد استحدث فى النثر العربى لغة جديدة تتسم بالمرونة ، هى التى نطلق عليها فى عصرنا « لغة الصحافة » ، أو « لغة الاتصال بالجماهير » فهو ينادى فى كتاباته بضرورة التلاؤم ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ويقول : « كما لا ينبغى أنْ يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغى أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ، فإن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى »[2] .

(١) إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٣٣ .

و « الجاحظ » كان يدعو إلى أن تشفَّ الألفاظ عن المعانى حتى تبلغ الأسماع والقلوب ، من ذلك قوله : « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيرة ، ومعناه فى ظاهر لفظة ، وإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة »(٣) ، وفى ضوء هذا الفهم نظر بعض الإعلاميين المعاصرين إلى « الجاحظ » على أنه : « فنان صحفى » أدرك أهمية « اللغة الوسطى » أو أهمية « المستوى اللغوى الاجتماعى الذى يستعمل فى الحياة العادية اليومية »(٤) ، ودوره فى تحقيق التفاهم فوضع له قاعدة تنص على : أن الألفاظ يجب ألا تكون ساقطة عامية ولا غريبة وحشية ، وهى القاعدة التى آمن بها « مبارك » وطبقها على تحريره الإعلامى ، بل ودعا إليها بقوله : « إننا نريد لغة من لغات المدنية ، لغة يفهمها الفلاح والملاح والنجار والبناء ، نريد لغة سخية تسعد أبناءها جميعا بغير حساب ، نريد لغة تجمع بين التواضع والجبروت يرى فيها الخواص ما يريدون من السمو والتحليق ، ويرى فيها العوام ما يشاءون من البساطة والجمال ... وأنا بهذا أدعو إلى الديمقراطية اللغوية »(٥) .

ونلحظ استخدام « مبارك » للفظه « الديمقراطية » ، وهذا يعكس ــ أيضاً ــ احترامه للألفاظ الشائعة والعبارات المتداولة التى انطبع لها فى أذهاننا مدلول لا يتحقق إلا بها ، وقد وضح هذا التطبيق العملى بقوله : « إنى أدعو إلى تيسير اللغة تيسيرا يقربها من جميع القارئين والسامعين ، أدعو إلى القصد فى احترام الألفاظ القاموسية ، وأشير باحترام ما اصطلح عليه الناس من الألفاظ فى مختلف الفنون »(٦) .

والواقع أن « الجاحظ » لم يغفل ــ أيضاً ــ عن نشر المستحدثات اللفظية كما هى ــ عامية كانت أو عربية ــ فى سبيل أن تصبح لغته أداة تفاهم بين جميع الطبقات ، وهو ينصح بذلك فيقول « إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب ، أو تتخير لها لفظا حسنا من فيك ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له »(٧) .

ولعل الجاحظ بالقياس إلى كتاب القرن الثالث الهجرى كان الأقدر على تيسير اللغة العربية تيسيراً يقربها من الأذهان والأفهام دون ما خلل لدلالاتها اللغوية أو إفساد لجزالتها اللفظية .

---

(٢) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى ط ٢ دار المعارف بمصر (١٩٧٣) ص ٥٩٤ ، نقلًا عن البيان والتبيين ١٤٤/١ .

(٣) البيان والتبيين : تحقيق حسن السندوبى ــ المكتبة التجارية بالقاهرة (١٩٢٦) ط ١ جـ ١ ص ٧٣ .

(٤) د. إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال ، الإنجلو المصرية (١٩٨٠) ص ١١٦ .

(٥) زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ــ مطبعة الحلبى بالقاهرة . (١٩٣٦) صفحات ٢٦ ــ ٢٧ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) البيان والتبيين ١٤٥/١ ، العصر العباسى الثانى ــ مرجع سبق ــ ص ٥٩٤ .

وما أشد استجابة « مبارك » لهذه « الوسطية » فى التعبير الإعلامى ، فهو يقول « إننى قد أضع عامدا (بعض الألفاظ والتعابير) لغرض أرمى إليه ، هو إحياء بعض الألفاظ القديمة ، أو إيثار بعض الألفاظ الحديثة ، فاللغة لا تتهذب ولا تتطور إلا بأقلام الكتاب »(٨) .

ولا شك أن هذه المرونة الإعلامية أو السماحة التعبيرية هى التى « تمكن اللغة العربية من أن تكون لغة دولية بين أهل الشرق »(٩) .

٢ ـ النظرية الإعلامية :

وذلك أن كليهما صاحب نظرية فى الإعلام تتشابه مع نظرية صاحبه ، « فللجاحظ نظرية فى الإعلام تضارع النظريات الحديثة ، فهو يتحدث عن ضرورة تجسيد المعانى فى ألفاظ وإشارات ، وكلما كانت الدلالة عنده أوضح وأفصح ، وكانت الإشارات أبين وأنور كان أنفع وأنجح ، ومدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأى شيء بَلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع »(١٠) .

ونحن نستخلص لمبارك نظرية تتفق ونظرية الجاحظ الإعلامية ، فهو يطالب بضرورة التناغم بين المرسل والمستقبل من خلال « عرض الآراء بأساليب هى الغاية فى الوضوح والجلاء »(١١) ، وأساس نظريته ـ فى التحرير الإعلامى ـ يقوم على حسن التوجيه « لأن الكتابة فن ، والفنون تتجه إلى الهدم كما تتجه إلى البناء ، وفن البناء يحتاج إلى سياسة عالية قوامها : إرسال النفس على سجيتها بعيدا عن التفصح الثقيل »(١٢) ، وعلى هذا فقد رأى زكى مبارك : « أن الشيخ على يوسف وصل إلى قمة البلاغة وليس فى كلامه نظم متكلف »(١٣) .

وهنا تبدو مجافاة نظريته للنثر الذى يتكلفه الكتاب ؛ لأنه لا يصل إلى الأفهام ، وفى ذلك يقول « فأنا بصريح العبارة أتهم أهل التكلف وأراهم أطفالا فى دولة البيان ، فليست القوة فى اللفظة اللغوية التى يدلنا المجمع اللغوى على قبرها المجهول »(١٤) .

ومن ثم فإن « مبارك » و « الجاحظ » يعينان بمطابقة كلام الإعلامى لمعانيه ، ويحثان على الملائمة بين الكلام والجمهور ، فمخاطبة الناس عندهما ـ بلا تكلف ـ أساس ضرورى فى الأدب الصحفى البليغ ، لذلك « يطلب إلى المتكلم إذا خاطب أوساط الناس ألا يرتفع عن

---

(٨) البلاغ : ١٢ نوفمبر ١٩٣٠ ، البدائع جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٩) الهلال : أول فبراير ١٩٣٩ ، مقال زكى مبارك « مستقبل الأدب العربى » .

(١٠) الإعلام الإسلامى ـ الأنجلو المصرية بالقاهرة ص ١٢٧ .

(١١) الرسالة : ٢٠ يناير ١٩٤١ ، مقال زكى مبارك « المختار للأستاذ البشرى » .

(١٢ ، ١٣) الرسالة : المرجع السابق .

(١٤) الرسالة : المرجع السابق .

مداركهم بما يورد عليهم من ألفاظ واصطلاحات حتى لا تنقطع الصلة بينه وبينهم ، وهذا ما يعبر عنه الإعلاميون المحدثون بضرورة أن يتحدث المرسل ضمن الإطار الدلالى للمستقبل وفى حدود نطاقه ليتم الاتصال بنجاح »(١٥) .

٣ ـ النشاط الصحفى :

لم تكن العصور السابقة قد عرفت المطبعة ، ولكنها كانت تعتمد على وسائل إعلامية لا تقل عن الصحيفة والمطبعة ، وكان من أخطر تلك الوسائل :

وسيلة : الكتاب

ووسيلة المناظرة ... كما هو معروف .

وعلى هاتين الوسيلتين اعتمد « الجاحظ » فى إخراج إعلامه الصحفى من آداب ومعارف وانتصار للمذهب الاعتزالى ، تماما كما اعتمد « زكى مبارك » على الجريدة والمجلة لنشر فنه الصحفى .

ومن ثم ، فإننا ننظر إلى رسائل الجاحظ ومناظراته على أنهما لون من النشاط الصحفى لا فرق بينه وبين الإعلام الصحفى « المباركى » إلا وجود المطبعة وما أدت إليه من انتشار الصحف على أوسع نطاق .

٤ ـ المدرسة العقلية :

فقد جمعت بينهما مدرسة واحدة فى التفكير هى : المدرسة التى تقوم على احترام العقل ، ولعل هذا ما دفع « ابن العميد » على القول بأن « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً »(١٦) ، لما تحتويه من وضوح المنطق وقوة الاستدلال ، والقدرة على توليد المعانى .

وقد سلك « مبارك » منهج المدرسة الجاحظية فى تحكيم العقل واحترامه ، على أن تلمذته لهذه المدرسة قد عادت عليه بأجزل النفع ، إذ استطاع بها أن يوازن بين الدين والدنيا ، ويوفق بين المعقول والمنقول ، ويكفى أن نراجع « نزالياته الأدبية » لتتراءى لنا معالمه العقلية المعتدلة من خلال أسلوبه الجدلى وطريقة نقاشه ومذهبه الإصلاحى .

فهو لا يهجم على مُنازِلِهِ برأيه فيلقيه إلقاء الآمر ، إنما يلقاه صديقا لطيفا ثم يأخذ بعقله ويدور معه محللا وناقداً ، يشركه معه فى البحث حتى يسلمه الرأى ناضجا ويلزمه به فى حذر بالغ ، ثم يتركه ويقف غير بعيد ، متحديا له ، أو ضاحكا منه ، وذلك فى عبارات قوية جزلة يطنب فيها حتى لا يفوته شىء ، ولا يخشى فى ذلك السآمة والملال ، متأثراً فى ذلك بالمدرسة الجاحظية فى

(١٥) الدكتور إبراهيم : الإعلام الإسلامى ص ١٢٥ .

(١٦) د. أحمد فريد الرفاعى : عصر المأمون ط ١ دار الكتب المصرية (١٩٢٧) ص ٤٢٦ .

التعبير ، و « هى مدرسة ذات خصائص فنية معروفة ، من أهمها : الإسهاب والاستطراد واتساع العبارة وجذب القارىء وسحبه بلطف ومهارة »[١٧] .

وقد نص « مبارك » على احترامه لتلك المدرسة الجاحظية ، وبيّن سر تعلقه بها قائلا : « أما أنا فأمثل مدرسة ثانية هى المدرسة التى تحكم العقل فى كل شىء ، وتفرض على الباحث أن ينقد أولا المصادر التى يعتمد عليها وتروضه على إدراك الفروق بين الأذواق والأحاسيس فى مختلف العصور الأدبية ... على أن المدرسة التى أمثلها هى المدرسة التى توفق بين المعقول والمنقول »[١٨] ، ولا يفوت « مبارك » أن يغض من المدرسة النقلية بقوله : « أن المدرسة التى تعتمد على النقل وحده مدرسة ذات خطر فى تكوين النشىء الجديد من طلاب الآداب »[١٩] .

وفى ضوء ما تقدم نرى منهج « المدرسة العقلية » وقد جمع بين « الجاحظ ومبارك » ، وهو منهج له الفضل فى ترويض العقول على فهم الواقع وترك ما درج عليه بعض المحافظين من التعليق بالأوهام .

حرية التفكير :

فقد بدا واضحاً أثر المنهج الاعتزالى[٢٠] فى الإنتاج الفكرى والعقلى والإعلامى للعصر الحديث ، غير أن هذا المنهج قد ترك بصماته بصفة خاصة على « زكى مبارك » حتى لنراه مسيطرا على حياته الفكرية والشخصية بشكل عام ، فالجاحظ « كان بُوقاً للمعتزلة أو بمعنى آخر جريدة مذهبية لهم » ، وقد مثل « مبارك » منهجهم فى هذه الناحية خير تمثيل ، غير أن حرية التفكير الدينى التى نهج بها « مبارك » ثد دفعته إلى أن يعيش الحرية كما كان يعيشها « الجاحظ » .

فحرية فى الدين جعلتهما يرتكزان على العقل والمنطق والاستدلال والاستنتاج وعدم الأخذ بالظاهر دون نظر إلى العلل والمسببات ، وحققت لهما التوازن بين العقل والنقل .

وحرية العلم : جعلتهما يستندان إلى العقل ويتجهان إلى البحث والتنقيب واختيار الفروض والمصادر التى يعتمدان عليها ، فهما يناقشان ويعارضان حتى لو كانت هذه الآراء للنظَّام ـ أستاذ الجاحظ ـ أو لطه حسين أستاذ زكى مبارك .

---

(١٧) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ـ دار الفكر العربى بالقاهرة (١٩٥٦) ص ١٢٨ .

(١٨ ، ١٩) البدائع جـ ٢ صفحات ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢٠) ليس معنى ذلك تفوق المنهج الاعتزالى برغم ما يصحبه من طنطنة ، إذ أنه اضطر أمام أدلة أهل السنة إلى التأويل ، وحسبك أن تلمح ذلك فى تأويلهم قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ القيامة ٢٢ ، ٢٣ حيث أدعوا أن (إِلَى) جمع ، لا حرف جر ... ولقد نَمَّ المنهج الذى اتبعه أهل السنة فى إيراد الحديث الصحيح عن وعى نقدى سليم .

وحرية فى اللغة : حملتها على إحياء بعض الألفاظ القديمة إلى جانب إيثار بعض الألفاظ الحديثة والعبارات الشائعة ، إرضاء للخاصة وتبسيطا للعامة ، حتى وصلا إليهما من أسهل الطرق وأيسرها .

وحرية فى الأدب : حببت إليهما التخفف من قيود البديع ومحسناته اللفظية والأسلوبية ، وأفسحت لهما الكتابة بالطريقة التى تتفق وطبيعتهما السخية اللبقة التى تعودت الإتقان والإجادة فى شتى فنون القول ، فيجدان ويهزلان ويسخران ويطنبان ما شاءت لهما براعتهما .

٦ ـ الواقعية فى التعبير :

إذ بلغ من نقل كل منهما لواقع مجتمعه أنه كان مرآة صادقة لعصره ، فلقد « كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه غزير الإنتاج إلى درجة تلفت النظر ، وإنتاجه وثيق الصلة بالأفكار الشائعة فى عصره ؛ بل هو صورة دقيقة لما يحيط به فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات وتقاليد اجتماعية »[٢١] ، و « واقعية الجاحظ لا تقف عند تلك التفصيلات الدقيقة والظواهر الحسية ؛ بل تستند إلى تحليل نفسى واجتماعى وتصوير لبعض الأحاسيس والعواطف »[٢٢] .

وقد وصف « شوقى ضيف » مدى التفاعل بين « الجاحظ » وعصره بقوله « وكأنك بإزاء أشرطة سينمائية تعرض عليك كل ما فى مدن العراق الكبيرة من صور الحياة فى أشدها ترفا ونعيما ، وأشدها بؤسا وضنكا ، حتى لكأنما كتبه دائرة معارف لكل ما كان هناك من أزياء وعادات ومستوى معيشة وأخلاق »[٢٣] .

والواقع أن التسلسل التاريخى فى مقالات « مبارك » شاهد على أن أديه الصحفى من أدق المواد الوصفية فى حياة المجتمع، فهو صحافة كاملة لعصره كما كان أدب الجاحظ، فقد استطاع « مبارك » أن ينقل واقع مجتمعه بكل ما له وما عليه ، وعندما اضطر ـ بسبب دراسته ـ أن يقيم بفرنسا مدة من الزمن ، نراه قد استثمر إقامته فيها وعكس بفنه الصحفى واقع المجتمع الفرنسى ، وحتى لا نقرر أحكاما غير مدعومة بالدليل نستطيع النظر إلى مقالاته التى كتبها عن الحياة فى « باريس » ، ومنها :

ـ أنظمة الحكم الفرنسى فى حياة الشعوب .... (٢٤)
ـ عيد الحرية فى باريس .... (٢٥)

---

(٢١) دراسات فى الفن الصحفى ص ٣٣ .
(٢٢) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب البخلاء للجاحظ ـ ط ٢ دار الفكر بدمشق (١٩٦٥) ص ٢٧ .
(٢٣) العصر العباسى الثانى ص ٥٩٣ .
(٢٤) البلاغ : ١٥ سبتمبر (١٩٣٣) .
(٢٥) البلاغ : ١٥ يوليه (١٩٣٣) .

ـ كيف يساس الطلبة فى المدارس الفرنسية .... (٢٦)

ـ النباتيون فى باريس .... (٢٧)

ـ قهوة سوفليه .... (٢٨)

ـ التعليم فى فرنسا .... (٢٩)

كما نستطيع النظر إلى المقالات التى نشرها فى صحيفة واحدة ، وفى فترة زمنية محددة (١٩٣١ ـ ١٩٣٤) لنعرف مدى التصاقه بمجتمعه المصرى ، ومنها :

ـ أخلاق الناس .... (٣٠)

ـ الشباب المصرى بين التردد والاقدام .... (٣١)

ـ مكاتب الموظفين .... (٣٢)

ـ الأمم والحكومات .... (٣٣)

ـ المكتبة المصرية .... (٣٤)

ـ خطر يهدد الثقافة المصرية .... (٣٥)

ـ طه حسين بين البغى والعقوق .... (٣٦)

ومن هذه العناوين يتبين الخط البيانى لانغماس « مبارك » فى مجتمعه ، وهو لا يلجأ إلى الرمز فى الكتابة بل يصرح بذكر المحاسن والعيوب ويرى ذلك أوضح للصورة ، وأبرز للفكرة وأقرب إلى الواقعية ، خاصة ، وأن منزعه التوجيه السليم والإرشاد القويم .

ومن ثم يصبح فنه الصحفى « ديمقراطيا » من حيث التفكير ومن حيث التعبير ، إذ أوقفه على خدمة الشعب والحكومة معا ، كما يصبح فنه الصحفى سجلا لكل ما يدور فى مجتمعه ومرآة تنعكس عليها آراء المجتمع وأفكاره وحركاته وسكناته ، وكتابا نقرأ فيه أخباره ونعرف به آثاره .

٧ ـ فن الفكاهة :

فعقلية « مبارك » سليمة إلى أبعد الحدود ، ولا يغض منها أنها تجود بالمضحكات فى كثير من الأحايين ، فقد كان لا يلجأ إلى المعابثة والمداعبة إلا إذا استشعر ملل القارىء على نحو ما كان

---

(٢٦) البلاغ : ١٢ نوفمبر (١٩٣٠) .

(٢٧) البلاغ : ١٩ أغسطس (١٩٣٣) .

(٢٨) البلاغ : ٢٨ يوليه (١٩٣٣) .

(٢٩) البلاغ : ٢٦ أكتوبر (١٩٣٠) .

(٣٠) البلاغ : ١٩ سبتمبر (١٩٣١) .

(٣١) البلاغ : ٢١ أكتوبر (١٩٣٣) .

(٣٢) البلاغ : ٩ ديسمبر (١٩٣٤) .

(٣٣) البلاغ : ٢٨ أكتوبر (١٩٣٣) .

(٣٤) البلاغ : ٢٥ سبتمبر (١٩٣٣) .

(٣٥) البلاغ : ٩ فبراير (١٩٣٣ .

(٣٦) البلاغ : ٢٣ نوفمبر (١٩٣٤) .

يفعل « الجاحظ » من قديم الزمان ، فقد « شاد الجاحظ مدرسة فكاهية لا تزال إلى يومنا الشاهد ذات طابع ، تأخذ منه المدارس الفكاهية الأخرى ، وتقوم على فنه وضلاعته »(٣٧) .

ويصور « الجاحظ » مذهبه فى الفكاهة قائلا « وليس ينبغى لكتب الآداب أن يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعانى الصعبة التى تستكد النفوس ... فلا بأس أن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل »(٣٨) ، كما يقول : « ولو استعمل الناس الرصانة فى كل حال والجد فى كل مقال لكان السفه خيرا له ... ولكن لكل شىء قدر ، ولكل حال شكل ، فالضحك فى موضعه كالبكاء فى موضعه »(٣٩) .

وقد طبق الجاحظ مذهبه على أسلوبه فكان يقصد الترويح والإضحاك ونشر المرح والدعابة إمتاعا لغيره ، لا سيما وهو يعرف أن النفس بطبيعتها ملول تسأم »(٤٠) ، وقد تأثر « مبارك » بمدرسة الجاحظ « الفكاهية ، فكان يسرد بمقالاته بعض النوادر والملح والفكاهات ، لا سيما وهو يعلم » أن الشعب المصرى شعب طرب وجزل وله افتنان فى ضروب اللهو »(٤١) .

ومن طرائفه على سبيل المثال أنه أثناء زيارته لبعض أنحاء « العراق » رأى نباتا اسمه « الهعخع » ـ الذى يذكر اسمه فى مقدمات كتب البلاغة ـ فيقول « وقد بلغته تحيات الأساتذة فى الأزهر الشريف »(٤٢) .

ولعل اتصاله بالوظائف الحكومية والمحافل الأدبية والسياسية كان له أكبر الأثر فى تزكية روح الفكاهة لديه ، حتى أنه يؤلف النكتة تأليفا حين يعز عليه النقل .

وهذا ينطق بأن « مبارك » كان إذا تخوف ملل القارىء من متابعة مقاله الموسوعى « **الحديث ذو شجون** » خرج من جد إلى هزل قصد الترويح والدعابة ونشر المرح .

وفى تقديرنا أن « مبارك » فى هذا الصدد لا يرقى إلى مستوى « الجاحظ » الذى عرف عنه فكاهته وأصبح سمة بارزة له ، وأكاد أعزو ذلك إلى اختلاف طبيعة الأدب فى الفترة التى عاش فيها « الجاحظ » عن تلك الفترة التى احتوت « مبارك » واختلاف الظروف المحيطة بحياة كل منهما من ناحية أخرى ، فبينما كان « الجاحظ » يعيش مترفا ومحبوا بمنح الخلفاء »(٤٣) ، والوزراء حيث كان يهديهم بعض مؤلفاته ، كان « مبارك » فى أثارة من قيود الفقر والظلم والاضطهاد ، والتى كان له من غير شك فضل تحطيمها(*) .

– يتبع –

(٣٧) فتحى محمد معوض : الفكاهة عند الجاحظ ـ رسالة دكتوراه ـ (١٩٧٣) مودعة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ـ ص ٩ .

(٣٨) العصر العباسى الثانى ـ مرجع سبق ـ ص ٥٦٣ ، نقلا عن مجموعة رسائل الجاحظ ص ٢٦٦ .

(٣٩) المرجع السابق ، نقلا عن رسالة التربيع والتدوير ـ طبعة شارل بلات بدمشق ص ٥٣ .

(٤٠) فتحى محمد معوض : المرجع السابق ص ١٢ .

(٤١) البدائع ـ مرجع سبق ـ جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٤٢) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة تحليلية ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة ص ١٨٨ .

(٤٣) فن السخرية عند الجاحظ ـ مرجع سبق .

(*) هذا البحث خاضع للمناقشة ، ونشر طرحا لحرية النشر ... مجلة الأزهر .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

الرأى للشعب

فى صفحة الرأى للشعب بجريدة الأخبار الصادرة فى ٢٣/٣/١٩٩٧ . وهى صفحة أعدها تحرير الأخبار للآراء الوطنية التى تقدم جديدا يشارك فى مسئولية البناء الديمقراطى وسطور الآراء الحرة فى كل اتجاه فكرى يعمل من أجل مصر .

فى هذه الصفحة المعدة لأجل مصر كتب صاحب مقال « جبال الثلج المختفية » يقول أذكر ـ وأنا على متن طائرة مصر للطيران أن قائد الطائرة أخذ يذيع على الركاب والغالبية العظمى من الأجانب قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سـورة الزخرف)

ثم استمر يقرأ وما أذكره : « نعوذ بك من وعثاء السفر » .

ومرة أخرى ، ونحن نركب سيارة سياحية فاخرة ، وإذا بالسائق تركنا فى عرض الصحراء ـ ونحن فى غاية الإرهاق ليؤدى صلاة الظهر ».. الخ .

ماذا يقصد الكاتب :

إن كان احتجاجا على قائد الطائرة.. واحتجاجا على سائق السيارة ، يهدف من خلاله إلى منع الدعاء والصلاة فى مقاميهما هذين فإن مكان هذا الاحتجاج مسرح الواقعة نفسها ؛

ليكون له مفعوله .. وليس صفحة الأخبار ، فإنها ليست أرض الحديث . وإنما أرضه نفس الطائرة مع توجيه الخطاب إلى القائد.. وكذلك مكان الصلاة أمْ كان هناك مانع ؟.. وما هو ..؟

وبما أن « الرأى للشعب » كما تحمل شارة الصفحة ، فليت الشعب يدلى برأيه فيما كتب .

واجبنا نحو الدعوة الإسلامية فى العالم

ويرسل / الأستاذ الدكتور احمد شوق عرفة بمصر الجديدة هذه الكلمة يقول :

عقب إنهيار الاتحاد السوفيتى انفـــردت الولايات المتحدة بقيادة العالم بصفتها القوة العظمى . أخذ ساستها وقوادها العسكريون فى البحث عن العدو التالى الذى يمكن أن يهدد نفوذها وأمنها وثرواتها وحضارتها. خيل لهم جهلاً أو عن سوء نية أن الإسلام يمكن أن يكون هو هذا العدو . لم يعرفوا أن الإسلام دين سلام ودين سماحة يدعو إلى السلم وإلى التعاون فيما بين الأفراد والشعوب والدول لخير الإنسانية ولعمارة الأرض ، دين يحض على العدل وعلى التسامح ، دين يحض على الوئام يبغض البغى والعدوان وينهى عنهما ، بل انه يحاربهما ما استطاع إلى ذلك سبيلاً أو هم قد عرفوا عن الإسلام كل ذلك ولكنهم أقنعوا شعوبهم وأبناءهم عكس طبيعته ، وعمدوا إلى تأليف الكتب ودبجوا المقالات فى الصحف والمجلات فى وصف هذا الخطر. ولم يكتفوا بهذا بل عمدو إلى تشويه الإسلام ووصفه بما ليس فيه فيدخلون فيه أشياء ليست منه كما فعلوا بإدخال البهائية والأحمدية على أنها من الإسلام فى بعض كتبهم ومؤلفاتهم ، وحديثاً فى شبكة الانترنت ، ومن ثم وضعوا الخطط وبنوا استراتيجيتهم لدفع هذا العدو ودحره والانتصار عليه لإبقائه متقوقعاً منعزلا لا صوت له ولا حس ولا فاعلية ، يبغون حصار هذا الدين والدول التى تدين به .

إزاء هذه الهجمة الشرسة والمركزة فحقيق علينا ان نُعَرِّفَ العالم أجمع بالإسلام على حقيقته وأن نجعله متاحاً لبنى البشر أجمع فى شتى بقاع العالم . وللوصول إلى هذا الهدف السامى يجب تجميع الجهود وتركيزها فى نخبة من المسئولين والهيئات والجماعات والأفراد والعمل بكل الوسائل المتاحة لتعريف العالم بالإسلام ، يجب أن نقوم باختيار الكتب والمقالات التى تعرف بالإسلام تعريفا علميا صحيحا سلسا مبسطا وتأليف كتب حديثة لهذا الغرض ثم بعد تجميع هذه المؤلفات يمكن ترجمتها إلى اللغات المختلفة .

ويمكن نشر هذه المؤلفات بالطرق الآتية :

١ ـ طبع كتب ومجلات دورية تحتوى على هذه المؤلفات ، ثم توزيعها فى العالم حتى تكون متاحة لمن يبغى القراءة أو الدراسة أو الاطلاع مع وضع نسخ منها فى السفارات والقنصليات المصرية أو أى مكاتب حكومية بالخارج لتكون متاحة لرعايا هذه البلاد .

٢ ـ استغلال القنوات التليفزيونية والفضائية لبث الأحاديث الدينية ومعانى القرآن الكريم وقصص

من القرآن الكريم ومن التاريخ الإسلامى وكذلك التعريف بأوجه الحضارة الإسلامية .

٣ ـ استغلال شبكة الانترنت بإدخال المعلومات الصحيحة عن الإسلام .

٤ ـ لا يفوتنا أن نوصى مبعوثينا للدراسة بالخارج وموظفى سفاراتنا بوجوب التمسك بالدين الحنيف واتباع تعاليمه وإقامة شعائره مع تعريفهم بالشبهات التى يدعيها المستشرقون على الإسلام وكيف يقومون بالرد عليها . لقد انتشر الإسلام فى آسيا وفى أفريقيا بواسطة التجار والبحارة فكانوا خير سفراء فى بلاد هاتين القارتين .

إن ترجمة المؤلفات إلى اللغات الحية هى السبيل لتوصيل المعلومات عن الدين إلى الشعوب الأخرى والتعريف به . كما فعل أجدادنا من قبل أقاموا دار الحكمة حيث قاموا بترجمة مؤلفات العالم فى العلوم والفنون من اللغات السائدة فى هذا الوقت إلى اللغة العربية ، فإن من واجبنا الآن أن نقوم بانشاء دار حكمة جديدة لنقوم بترجمة الكتب والمقالات والبرامج المختارة إلى اللغات الحية والعالمية حتى نبلغها إلى العالم أجمع بلغاتهم ؛ ليعلم الناس حقيقة الدين وسماحته ، وأنه دين سلام وأمن لا دين حرب واعتداء ، وأنه دين حضارة وتقدم ، لا دين تخلف وتأخر ، ومن يدرى فقد نكسب إخوة لنا هنا وهناك يسبحون بحمد ربهم .

سنغافورة درة الشرق الأقصى وأحد النمور الآسيوية

وأرسل إلينا احد القراء من سنغافورة هذه الكلمة :

سنغافورة دولة فنية ذات موقع متميز :

تقدر مساحتها بـ ٦٠٠ كم٢ وتقع فى جنوب شرق آسيا وتبعد ١٤٠ كم شمالا من خط الاستواء. وتحدها من الشمال شبه جزيرة الملايو ، وتتصل بها عن طريق جسر طويل، وشرقا ماليزيا وكلمنته ، وجنوبا سومطرة وجاوة .

وقد استطاع أبناؤها ان يستثمروا موقعها ، لتصبح أهم ميناء للشحن والتفريغ ومركزا متميزا للحركة التجارية والمواصلات .

وقد كان لتفاعل الحضارات المختلفة من إسلامية وهندية أثر فعال فى وضع أسس سليمة وقوية فى بناء سنغافورة الحديثة لتصبح أحد النمور الآسيوية فى ثلاثين عاما بدلا من ثلاثة قرون .

وفى ٩ من أغسطس ١٩٦٥ أصبحت سنغافورة دولة حرة مستقلة ذات سيادة ، وانضمت إلى الأمم المتحدة فى ١٩٦٥/٩/٢١

وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥ أصبحت جمهورية وانتخب السيد / يوسف إسحاق (المسلم) أول رئيس لها وقد تضاعف عدد سكان سنغافورة من ألفى شخص تقريبا فى عام ١٨١٩ إلى ٢,٤ مليون نسمة عام ١٩٨٣ ليصبح العدد الان ٣,٢ مليون نسمة ومتوسط دخل الفرد حوالى ١٠,٠٦١ دولار سنغافورى أى بما يعادل ٧٠٠٠ دولار أمريكى وهذا يعنى ارتفاع مستوى معيشة الفرد فيها .

وهـذا نتيجـة تقدمهـا حضاريـا واقتصاديـا وعمرانياً وسياحياً .

مما يجعلها على قدم المساواة مع دول الشمال الصناعية الفنية فهى معجزة العصر التى ارتفعت هامتها إلى السماء فى أقل من ثلاثين عاماً .

وقد تمكنت سنغافورة من تحقيق هذه المعجزة بالعمل الدءوب والجد المتواصل وتكاتف أبنائها بجنسياتهم المختلفة فى تناسق رائع وتكافؤ تام بين الأفراد والحكام .

الإسلام فى سنغافورة

انتشر الإسلام فى منطقة الملايو، سنغافورة وإندونيسيا ، وجزر الفلبين وماليزيا على أيدى الحضارمة من العرب الذين جاءوا عن طريق الهند، وذلك بين القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى بحيث أصبح المسلمون حينئذٍ هم الغالبية العظمى .

وفى عام ١٨١٩ مع دخول الاستعمـــار البريطانى دخلت ديانات أخرى غير سماوية ونتيجة لهذا فقد أصبح المسلمون يكونون ١٦٪ فقط .

وللمسلمين فى سنغافورة العديد من الأجهزة التى تهتم بشئونهم منها :

١ ـ المجلس الإسلامى الذى يتولى شئون المسلمين .

٢ ـ المفتى .

٣ ـ مكتب عقد الزواج للمسلمين .

٤ ـ إدارة التعليم العربى الإسلامى .

٥ ـ إدارة شئـــون الحج وإدارة الدعـــوة والمساجد ويشرف المجلس على ٤٨ مسجداً .

ويعتنى المجلس الإسلامى بحديثى العهد بالإسلام الذين بلغوا حوالى (٣٠٠٠) فرد ويشارك فى تقديم بعض الخدمات إلى المسلمين الجدد جمعية الدعوة الإسلامية .

ومن أهم إنجازات المجلس الإسلامى وأعظمها إنشاء صندوق الزكاة وصندوق بناء المساجد وقد تمكن المسلمون من إعادة بناء مساجدهم على أحدث الطرز المعمارية بفضل الله ومساهمة المحسنين وتبرعات الموظفين والعمال المسلمين بما قيمته ٢٥٠,٠٠٠ دولار أمريكى شهرياً .

فالمسجد الآن فى سنغافورة ليس مكانا للعبادة فقط بل يساهم مساهمة فعالة فى تلبية احتياجات المسلمين ، بل أصبح منارة علمية تنشر النور والأمل والبسمة .

وفى حركة التجديد الشاملة التى تقوم بها الحكومة فى إعادة تحديث المبانى القديمة وتجميلها لكى تتناسب مع التقدم تم تحديث المساجد القديمة .

وقد حظى المسلمون فى مناطقهم الجديدة بتخصيص الحكومة قطعة أرض فى كل منطقة لبناء مسجد ومجمع إسلامى حديث متطور يفى بتقديم جميع الخدمات .

وتساعد الحكومة المجلس الإسلامى فى جمع التبرعات ، وبما أن تحضر الدول ورقيها يتوقف إلى حد بعيد على ارتفاع مستوى مواطنيها علمياً واقتصادياً مثل مؤسسة مندالحى التى يتولى وزير شئون المسلمين والبيئة الأشراف عليها .

ومندالحى مؤلفه من عشر جمعيات إسلامياً .

١ ـ مجلس (قوسة) ـ الملايو .

٢ ـ جمعية تثقيف الشباب السنغافورى المسلم .

٣ ـ جمعية الشباب المسلمين .

٤ ــ الجمعية الأدبية للشبان المسلمين والشابات المسلمات .

٥ ــ جمعية طلاب الدين الإسلامى .

٦ ــ المؤسسة الإسلامية للمنح الدراسية .

٧ ــ الغرفة التجارية الملاوية .

٨ ــ جمعية مدرسى الملايو .

٩ ــ المركز الأدبى للشبان المسلمين .

١٠ ــ جمعية مدرسى الدين الإسلامى بسنغافورة .

ولعل أعظم تغيير فى المجال العلمى والجدير بالاعتبار هو ازدياد عدد النساء الملاويات اللاتى يقبلن على الدراسة الحديثة بحيث ازدادات نسبة الحاصلات على شهادات جامعية بنسبة ٣٥,٥٦٪

ومازال هناك الكثير مما يجب القيام به لرفع المستوى التعليمى للمسلمين ، وخاصة للملاويين السنغافوريين حتى يصلوا إلى المستوى المطلوب ويسهموا بفاعلية كبيرة فى تقدم ورقى سنغافورة .

من إبداعات القراء

مولد الهادى

ولــد الــرسول محمــد وضاءَ ... فالنــور عم الكــون والأجــاء
جاء الــذى من أجلــه ولفضلــه ... رحــم الإلــه الخلــق والأحيــاءَ
أنت الــبشير لكــل عبــد طائــع ... يخشى الجزاء ويرحــم الضعفــاء

م. صلاح رشاد حسيب عبدالمطلب
كفر السيد ــ منوفية

ورد الى مجلة الأزهر كتاب بعنوان « مدح العــدل وذم الظلــم » تأليــف أبى هلال العسكرى . تحقيق يوسف عبدالوهاب ، وليس لدى إدارة التحرير بالمجلة معلومات شافية عن الأستاذ المحقق ، نرجو الاتصال بالمجلة فى أقرب فرصة لتذويدها بالمعلومات .

القارىء محمد منصور الدفراوى
مقال سيادتكم جيد ، نرجو مراجعة مقالك مراجعة دقيقة فيبدو أن إسراعكم فى الكتابة تسبب فى إلحاق نقص فيما دونت من نصوص . ونحن فى انتظار المقال مرة أخرى .

إلى القارىء الأستاذ : إبراهيم عبدالوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .

لم تذكر سيادتكم منهجكم فى إحصاء كلمات القرآن الكريم ، وماذا فعلتم سيادتكم فى كلمة نحو « ليوسف » هل اعتبرتموها كلمة أم كلمتين؟ ومثــل كلمــة « ولنذيــقنهم » .. وكلمــة

« فسيكفيكهم » وغيرها من الكلمات القرآنية المعجزة.. نرجو توضيح هذا الأمر حتى يمكن النظر فى النشر .

القارىء : محمد أحمد جمعة السحرى
المحلة الكبرى – الغربية

نشكر لكم اهتمامكم بالمجلة ، وإشادتكم بما يعرض بها من موضوعات ذكرت منها : «الأصولية الإسلامية فى الأعلام الغربى» للدكتورة ألفت حسن أغا عرض الأستاذ عثمان الجوهرى لما فى الموضوع من تبصرة للشباب المسلم بكيفية الدفاع عن إسلامه ودفع خطر أجهزة الاعلام الغربى .

القارىء : محمد عبدالمعطى تعلب
ساحل طهطا

وصلتنا رسالتكم ، بعنوان « من هدى الرسول » – صلى الله عليه وسلم وهى رسالة جيدة لم يحجب نشرها سوى عدم ذكر المرجع الذى اعتمدت عليه .

كتاب لم يتناولوا مكافأتهم

ورد إلى مجلة الأزهر من حسابات مجمع البحوث الإسلامية أسماء كتاب لهم مكافـآت بإدارة الحسابات ليتخذوا إجراءات صرفها .

١ – ورثة الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى .
٢ – الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى .
٣ – الأستاذ الفاغ بن محمد ولد الشيبانى
٤ – الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى .
٥ – ورثة الأستاذ الدكتور محمد سعاد جلال .
٦ – الأستاذ الدكتور صفوت حسن لطفى .
٧ – الأستاذ السيد صديق حافظ
٨ – الأستاذ محمد كمال الدين إمام .
٩ – الأستاذ إبراهيم محمد عيسى .
١٠ – د . كارم السيد غنيم .
١١ – الأستاذ أحمد عبدالفتاح عبدالمعطى .
١٢ – الأستاذ عبدالباسط محمد سعد .
١٣ – الأستاذ محمود أحمد عبدالجواد .
١٤ – د . فاطمة عمر نصيف .
١٥ – الأستاذ عبدالستار محمد أحمد سليم .
١٦ – د . رقية محمود جبر .
١٧ – د . محمد عبدالوهاب عبداللطيف .
١٨ – الأستاذ نبيل صلاح محمد العربى .
١٩ – الأستاذة نجاة شاور ربيع .
٢٠ – الأستاذ محمد فتحى عبدالصادق .
٢١ – د . محمود سالم الخطيب .
٢٢ – د. مها يسرى التاجورى .
٢٣ – الأستاذ أحمد السيد حطيبة .
٢٤ – د . إبراهيم الدسوقى محمد .
٢٥ – د . رمضان حافظ السيوطى .
٢٦ – د . جعفر عبدالسلام على .
٢٧ – د . عبدالغنى محمد شامة .
٢٨ – الأستاذ عبدالفتاح إبراهيم سلامة .
٢٩ – الأستاذ محمد فخرالدين القعقاع .
٣٠ – الشيخ عبدالعزيز عبدالله بن باز .
٣١ – د . نبيل عبدالسلام هارون .
٣٢ – الشيخ يوسف محمد الأبنودى .
٣٣ – الأستاذ محمد فريد عبدالخالق .
٣٤ – الأستاذ د./ خالد محمد إبراهيم سالم .
٣٥ – الأستاذ محمد عبدالصمد مهنا .

٣٦ – ورثة المرحوم محمد أبوالفضل إبراهيم .
٣٧ – الأستاذ محمد عبدالمحسن التقاوى .
٣٨ – الأستاذ د./ عبدالفتاح أبوسنة .
٣٩ – فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين .
٤٠ – الأستاذ البسيوى كنعان سليمان .
٤١ – الأستاذ عصام الغزالى محمد .
٤٢ – د . ربيع محمد صادومة .
٤٣ – د . عبدالغفار محمد الدلاش .
٤٤ – د . محمد رياض السيد كريم .
٤٥ – د . أحمد شوقى عرفة .
٤٦ – الشيخ أبويحيى زكريا سعيد .
٤٧ – الشيخ عبدالغني أحمد ناجى .
٤٨ – د . أحمد رجائى عبدالحميد .

وعلى السادة الكتاب السابق ذكرهم الاتصال مباشرة بالسيد مدير الشئون المالية والإدارية بمجمع البحوث الإسلامية ؛ لاتخاذ ما يلزم نحو صرف مستحقاتهم .

(تنــويه)

إلحاقاً بالدراسة التى نشرتها « مجلة الأزهر » فى العدد الماضى عن : نشاط « مجمع البحوث الإسلامية » وإنجازاته ، بقلم الدكتور / محمد عبدالحكيم محمد ، ننوه بأنه قد سقط من الطبع ـ عند الإشارة إلى إدارات المجمع ـ إدارة « لجنة الفتوى » بالأزهر الشريف ، وفى النية إن شاء الله ـ تعالى ـ تقديم عدة مقالات تكشف عن عمل كل إدارة ودورها التى تضطلع به فى خدمة رسالة المجمع بالأزهر .

كما أننا ننوه بأنه كان من الشخصيات الجليلة التى تولت أمانة المجمع عبر تاريخه الممتد ، فضيلة الأستاذ الدكتور/عبدالفتاح عبدالله بركة ، وكان ذلك بين عامى (١٩٨٦ ـ ١٩٨٨ م) أمدّ الله ـ تعالى ـ فى عمره ونفع به .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

نشر بالعدد الماضى « ذى القعدة » ١٤١٧ هـ موضوع إبداع الشعراء ولم يذكر اسم الكاتب وهو : الفريق يحيى عبد الله المعلمى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فلزم التنويه .

محبـة الهـادى

للشاعر :محمد أحمد المعاصرنى (*)

يافـــــؤادى ، هذه حَجَّـــــــــــةُ طه تهلَّـــــــــلْ
تم فيها وحـــــــــــــىُ ربٍّ عنـــه كلُ الكـــونِ دلَّـــل
وسما فيها كتـــــــابٌ ظلَّ يُتْلَـــــى ويُرَتَّـــــل

•••

أيها الهادى ، فؤادى مَعَ وادى النيـــــل هَلَّـــل
ياحبيبـــــــى كُنْ نصيبـــــى يَسْكَـــرُ القـــلبُ ويَنْهَـــل
ياطبيبـــــــى هاك طيبـــــى خُذْهُ طَيِّبـــــه لأرْحَـــل
وادع ربى أن يلى دعـــوة القـــلب المكبـــل
يا صَفِـــىَّ الله .. رُوحـــــى من أحاديـــثك تَثْمَـــل !!
فهـــى ورد وهـــى عهـــد وهـــى للأكـــوان مشعـــل

(اســـــتدراك)

الحديث الشريف الوارد بافتتاحية ذى القعدة : « الشهادة للوحدانية » ص ١٥٧٩ نصه الآتى :

البخارى : والأنبياء أولاد عَلَّات ـ ٢ / ٢٢٠ المطبعة الوهبية .

الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ـ نفس المطبعة ٢ / ٢٢٠ .

مسلم : نفس النص الأول دون واو العطف ـ الحديث رقم ٢٣٦٥ .

وآخر : الأنبياء أبناء علات .

والحديث الذى أورده الكاتب فى المقال مأخوذ بنصه الآتى :

« الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » ص ٦٠٨ التفسير الوسيط وللحديث الشريف روايات أُخر ، فمن رواته أيضاً أبو داود ، والإمام أحمد .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

زيارة رئيس جمهورية النيجر للإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فخامة الرئيس إبراهيم ساربارى رئيس جمهورية النيجر والوفد المرافق لسيادته ، وقد رافقه أثناء الزيارة الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة ورئيس بعثة الشرف المرافقة للضيف أثناء زيارته لجمهورية مصر العربية .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بضيف مصر الكبير والوفد المرافق لسيادته ، ثم تناول اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة النيجر فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية . أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف يفتح قلبه وعقله ومعاهده العلمية لأبناء دولة النيجر مشيراً فى هذا الصدد إلى أعداد الطلاب التى بلغت حوالى (١١١) (مائة وأحد عشر طالباً) يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته على مِنَحِهِ التى يقدمها لأبناء العالم الإسلامى ، ومشيراً كذلك إلى بعثة الأزهر الشريف الموفدة إلى النيجر والتى تضم أكثر من أربعين عالماً ومبعوثاً يقومون بنشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى ربوع النيجر ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على حرص الأزهر الشريف على توثيق عرى التعاون مع دولة النيجر . كذلك تم بحث زيادة عدد المنح المقدمة من الأزهر الشريف لأبناء دولة النيجر .

وقد أعرب الرئيس إبراهيم ساربارى عن تقديره العميق واحترامه الكبير للأزهر الشريف ودوره البارز فى خدمة الأمة الإسلامية ، وقضايا الأمة كلها .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

.. ورئيس وزراء البوسنة والهرسك

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء ١٦ من ذى القعدة ١٤١٧هـ ٢٥ مارس ١٩٩٧م الدكتور حارث سيلاجيتش رئيس وزراء البوسنة والهرسك والوفد

المرافق لسيادته بصحبة بعثة الشرف المصرية برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد جويلى وزير التموين والتجارة الخارجية المصرى .

تم خلال اللقاء بحث مجالات التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية البوسنة والهرسك دينيا وثقافيا وعلميا .

قال فضيلة الإمام : إن مصر دولة الأزهر الشريف تكن لدولة البوسنة والهرسك حكومة وشعباً كل حب وتقدير مقدرة وداعمة لكفاحها المجيد ضد مجرمى الصرب دعاة العنصرية والحرب أعداء الإنسانية والسلام .

وقد أعرب السيد رئيس وزراء البوسنة عن تقديره واحترامه لمصر وأزهرها الشريف وتقدير حكومته للموقف الرائد والداعم لدولة البوسنة والهرسك ، فمصر بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك خير مناصر وداع للسلام ، وخير نصير لنا فى الماضى والحاضر والمستقبل .

وقد وجه السيد رئيس الوزراء دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة البوسنة والهرسك وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة .

.. وسفير السنغال بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٤ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ/٢٣ مارس ١٩٩٧ م السيد المستشار حسن بشير ضيوف سفير السنغال بالقاهرة . تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف ودولة السنغال .

كذلك تم بحث إنشاء معهد أزهرى بالسنغال يقوم الأزهر الشريف بالإشراف عليه وإمداده بالمناهج العلمية والخطط الدراسية والأساتذة العلماء فى إطار الاتفاقية الثقافية بين الأزهر الشريف ودولة السنغال التى تمت أثناء زيارة الإمام الأكبر الراحل للسنغال .

وفى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على زيارته ووعد فضيلته بتنفيذ كافة الاتفاقات المبرمة بين الأزهر ودولة السنغال والعمل على دعم تلك الاتفاقات مؤكداً أن الأزهر الشريف لن يدخر وسعاً فى مد يد العون لكافة الدول العربية والإسلامية والإفريقية .

وسفير الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد السفير كنوال سيبال سفير الهند بالقاهرة صباح يوم الأحد الموافق ١٤ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ/ ٢٣ مارس ١٩٩٧م .

دار الحديث حول نتائج زيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة الهند فى أكتوبر ١٩٩٦م والدور الهام الذى يضطلع به الأزهر الشريف فى خدمة الدعوة الإسلامية فى شتى بقاع الأرض .

كذلك تم استعراض الترتيبات النهائية لافتتاح معرض الكتب والإصدارات الهندية باللغة الإنجليزية المزمع إقامته بجامعة الأزهر الشريف صباح يوم الإثنين الموافق ١٦ من ذى القعدة ١٤١٧ هـ ٢٥ مارس ١٩٩٧م والذى سيشرفه بالحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

فى نهاية اللقاء قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شكره وشكر بلاده وتمنيه للعلاقات الثقافية

والدينية التى تربط الأزهر والهند دوام التقدم والازدهار .

.. وفد جمعية الدعوة الإسلامية فى غينيا كوناكرى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه ظهر يوم الاثنين ٢٢ من ذى القعدة ١٤١٧هـ ٣١ مارس ١٩٩٧م وفد جمعية الدعوة الإسلامية فى « غينيا كوناكرى » برئاسة الشيخ القاسم السيسى رئيس الجمعية .

دار الحديث خلال هذا اللقاء حول الدور البارز للأزهر الشريف فى العالم أجمع مع تقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر لاختياره شيخا للأزهر الشريف .

طالب رئيس الجمعية بزيادة المنح الدراسية لطلاب « غينيا كوناكرى » للدراسة بالأزهر ودعم البعثة الأزهرية بالعلماء وتزويدهم بالكتب والمراجع العلمية للاستعانة بها فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية بغينيا كوناكرى .

فى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر أفراد الوفد على تهنئتهم ووعدهم بدراسة مطالبهم وبحث إمكانية تنفيذها .

فرع جديد لجامعة الأزهر بقنا

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى مصر وفضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، بزيارة لمحافظة قنا حيث كان فى استقبال الضيوف السيد اللواء صفوت شاكر محافظ قنا .

قام فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته بافتتاح كلية الهندسة التابعة لجامعة الأزهر التى تعد نواة لفرع الجامعة بمحافظة قنا .

تأتى هذه الزيارة فى إطار احتفال المحافظة بعيدها القومى الذى تم خلاله افتتاح العديد من المشروعات التنموية والخدمية لأبناء المحافظة .

شهد فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته مؤتمراً للدعاة ، أكد فيه فضيلته على : أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبيرة تستوجب لمَّ الشمل العربى الإسلامى لمواجهة المتطفلين على الدعوة الإسلامية الذين يسعون لخرابها وتدميرها لا إلى وحدتها وتقدمها .

وأضاف فضيلته أن الفتوى بغير علم تعد من علامات الساعة ، وأنه يجب مواجهة هؤلاء لأنهم يسيئون للإسلام والمسلمين .

شيخ الأزهر وممثلوا الجمعيات الأهلية

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة المؤتمرات الكبرى بالأزهر وجمعاً غفيراً من ممثلى الجمعيات الأهلية الدينية بمناسبة تنظيم رحلات الحج لهذا العام . حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف وأجاب عن كافة الاستفسارات المتعلقة بمناسك الحج والعمرة حتى يكون الحجاج

على دراية وعلم بتلك المناسك فَتُؤَدَّى صحيحة على ما جاء بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أكد فضيلته ـ أثناء اللقاء ـ على ضرورة التمسك بتوحيد الفتوى ليكون مصدرها واحداً ، فلا يقع بين الحجيج اضطراب .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور عبدالرحمن العدوى وفضيلة الشيخ محمد عبدالرحمن الراوى أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف .

توديع أول فوج من حجاج القرعة

● قام فضيلة الإمام الأكبر صباح الأحد الموافق ٢١ من ذى القعدة ١٤١٧هـ ٣٠ مارس ١٩٩٧م يرافقه الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف والسيد اللواء حسن الألفى وفضيلة مفتى الجمهورية بوداع أول فوج من حجاج القرعة بالبواخر من ميناء السويس .

وقد ألقى فضيلته كلمة عن أهمية الحج كفريضة على المسلم ، وأوضح شيئاً من المناسك الصحيحة للحج وأشار إلى أنه قد تقرر تخصيص ٤٥ واعظا لإرشاد حجاج القرعة بالأراضى المقدسة .

كما أهدى فضيلة الإمام الأكبر كتاباً عن مناسك الحج والعمرة لكل مسافر ليهتدى به فى أداء الفريضة .

تحديد موعد الامتحانات بالمعاهد :

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على تحديد موعد امتحانات النقل والشهادات الأزهرية على اختلاف أنواعها للدورين الأول والثانى ومسابقة القبول لمعاهد القراءات بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٩٦/١٩٩٧ على النحو التالى :

أولا ـ امتحانات النقل :

١ ـ المعاهد الابتدائية الأزهرية : دور أول ١٠ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٦ أغسطس ١٩٩٧ .

٢ ـ المعاهد الإعدادية الأزهرية والصف الأول تجويد : دور أول ٣ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٢ يوليو ١٩٩٧ .

٣ ـ المعاهد الثانوية الأزهرية والقراءات والمعلمين : دور أول ٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٣ يوليو ١٩٩٧ .

٤ ـ النقل الإعدادى لمعاهد البعوث الإسلامية : دور أول ٣ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٢ يوليو ١٩٩٧ .

٥ ـ النقل الثانوى لمعاهد البعوث الإسلامية : دور أول ٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٣ يوليو ١٩٩٧ .

ثانياً ـ امتحانات الشهادات الأزهرية :

١ ـ الشهادة الابتدائية : دور أول ٢٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ٢٦ يوليو ١٩٩٧ .

٢ ـ الشهادة الإعدادية والثانوية والقراءات والمعلمين : دور أول ٧ يونيو ١٩٩٧ .. دور ثان ١٦ أغسطس ١٩٩٧ .

٣ ـ الشهادة الإعدادية لمعاهد البعوث : دور أول ٢٤ مايو ١٩٩٧ .. دور ثان ٣٠ أغسطس ١٩٩٧ .

٤ ـ الشهادة القانونية لمعاهد البعوث : دور أول ٢١ يونيو ١٩٩٧ .. دور ثان ٣٠ أغسطس ١٩٩٧ .

ثالثاً ـ امتحانات مسابقة القبول لمعاهد القراءات : السبت ٦ سبتمبر ١٩٩٧ . وذلك فيما عدا الجمع تستمر جميع الامتحانات السابقة فى أيام العطلات الرسمية إذا ما اعترضت سيرها .

تشكيل هيئة إشراف على امتحانات الأزهر :

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتشكيل هيئة الاشراف ولجان المراقبة لامتحانات الشهادات الأزهرية لتكون على النحو التالى :

● تكون هيئة الإشراف على أعمال امتحانات الشهادات الأزهرية تحت الإشراف العام لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

● تشمل الهيئة كلا من فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر مساعدا للمشرف العام .

● فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهر رئيسا عاما لجميع الشهادات .

● فضيلة الشيخ أحمد على الصغير وكيل قطاع المعاهد الأزهرية مساعدا للرئيس العام .

● فضيلة الشيخ فؤاد محمد البرعى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا للشهادة الثانوية .

● فضيلة الشيخ على محمد فتح الله وكيل قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا للشهادة الإعدادية .

● فضيلة الشيخ محمد عبدالسميع شبانة مدير عام التعليم النوعى بقطاع المعاهد رئيسا لدبلوم المعلمين .

● فضيلة الشيخ متولى معوض مليجى مدير عام التعليم الإعدادى بقطاع المعاهد رئيسا لشهادات القراءات .

● فضيلة الشيخ عبدالفتاح عبدالخالق راجح مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية رئيسا لشهادات معاهد البعوث .

● فضيلة الشيخ محمد ابراهيم خفاجى مدير عام التعليم الإبتدائى بقطاع المعاهد رئيسا للشهادة الإبتدائية .

هذا وقد تضمن القرار أسماء السادة مساعدى رؤساء الشهادات والسادة رؤساء لجان النظام والمراقبة بكل شهادة .

● ● ●

كذلك أصدر فضيلته قراراً بتجديد عضوية كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

٢ ـ السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم جميل مصطفى بدران عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٣ ـ فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى عبدالحميد عضو مجمع البحوث الإسلامية .

كأعضاء بالمجلس الأعلى للأزهر ممثلين لمجمع البحوث الإسلامية لمدة عامين اعتباراً من ٩٧/٢/٢٧ وهو تاريخ انعقاد مجلس المجمع .

● **دورة للدعاة :**

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية السابعة والثلاثين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من ١٩٩٧/٥/١ وحتى ١٩٩٧/٧/٣١ ، تضم الدورة عدد (٢٢) إماما وواعظا يمثلون دول (السنغال - النيجر - باكستان - البرتغال - الصومال) .

علاوة تشجيعية للعاملين بالأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على منح العلاوة التشجيعية للسادة العاملين بالأزهر لعدد ١٤ ٤٦٢ بمختلف المجموعات النوعية حيث جاءت على النحو التالى :

٧٣٣٠ الكادر التخصصى بجميع الدرجات ومجموعاتها النوعية .

٣٣٢٧ الكادر الفنى المتوسط بجميع الدرجات ومجموعاتها النوعية .

١٦٨٠ الكادر المكتبى ، جميع الدرجات والكتبة غير المؤهلين .

٢١٢٥ الكادر العمالى ، جميع الدرجات .

وقد تم منح هذه العلاوات لمستحقيها وفقاً للضوابط المحددة فى هذا الشأن بما يحقق العدالة بين العاملين بمختلف قطاعات الأزهر الشريف .

- من ناحية أخرى اعتمدت منطقة المنيا الأزهرية أكبر حركة ترقيات للعاملين بمختلف معاهد المنطقة حيث شملت الحركة ترقية (٦٢٤) من المعلمين والوكلاء والنظار وشيوخ المعاهد والموجهين ورؤساء الأقسام منهم ٣٢١ للمرحلة الابتدائية و١٥٤ للمرحلة الاعدادية و١٤٩ للمرحلة الثانوية .

● **مؤتمر البيئة :**

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مؤتمر البيئة والتنمية الدولى الذى نظمته كلية العلوم - جامعة الأزهر - برعاية الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

ألقى فضيلته كلمة أكد فيها أن الأديان السماوية جميعها تأمر بنشر العلم والتعمق فيه ، وأن فضيلة العلم على رأس الفضائل التى ميز الله بها الإنسان على غيره مشيراً إلى أن الأمم ترقى وتتقدم بالعلم عندما يتكاتف أبناؤها . كل فى مجال تخصصه . مؤكداً أن الذين يخدمون أمتهم عن طريق العلم لا يقلون فى المنزلة عن الذين يخدمون أمتهم فى ساحة القتال دفاعاً عن أوطانهم ومقدساتهم .

وأكد فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن المؤتمر جاء تحقيقا لخطة علمية لفتح قنوات العلم ومد جسور التواصل بين الأزهر الشريف وسائر الجامعات العلمية فى مصر .

مؤتمر الأوضاع القانونية والاقتصادية للعمال :

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم والسيد أحمد العماوى وزير القوى العاملة « مؤتمر الأوضاع القانونية والاقتصادية » للعمال الذى تنظمه جامعة المنصورة برئاسة الدكتور أحمد أمين حمزة .

وفى كلمته أمام المؤتمر أكد شيخ الأزهر على أن الفتوى تكون فى الأمور التى تقبل التغيير مع الزمان والمكان والأموال ماعدا الثوابت الراسخة والتكاليف الشرعية التى ثبتت بالقرآن الكريم .

وأعلن وزير التعليم أن الاوضاع القانونية والاقتصادية تمثل تحديا خطيرا لكل المجتمعات ، وطالب سيادته بتحقيق التوازن الاجتماعى لمواجهة التأثير « التكنولوجى » المتقدم على فرص العمل بآثارها النفسية والاجتماعية .

وأوضح سيادته أن هذا العام هو عام تطوير المناهج الجامعية لتكون أكثر قدرة على التعامل مع المتغيرات الجديدة وآليات السوق ومتطلبات العصر .

مؤتمر شعبى بالجامع الأزهر

شهدت ساحة الجامع الأزهر الشريف عقب صلاة الجمعة يوم ١٢ من ذى القعدة ١٤١٧هـ/ ٢١ مارس ١٩٩٧م مؤتمرا شعبيا حضره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف والسادة إبراهيم شكرى وخالد محيى الدين ومصطفى كامل مراد وضياء الدين داود .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى بداية المؤتمر أن المسلمين جميعا لا يوافقون على أهداف إسرائيل الاستيطانية ، مشيرا الى ضرورة التصدى لتلك الممارسات الاستفزازية فى بناء المستوطنات ، ووجه فضيلته فى الخطبة التى ألقاها فى صلاة الجمعة إلى ضرورة تكاتف طوائف الأمة الإسلامية والعربية ومقاطعة العدو الصهيونى وأعوانه .

ودعا فضيلته لاتخاذ رد فعل قوى تجاه إسرائيل دفاعا عن القدس الشريف والمسجد الأقصى ومساندة إخواننا الفلسطينيين .

ووجه فضيلته الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله حفاظا على كرامة المسلمين والعرب والمقدسات الدينية . مشيرا إلى أن المسلمين على استعداد للتضحية بالنفس والروح من أجل القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وافقت لجنة الجهود غير العادية فى اجتماعها الثالث للعام المالى ١٩٩٧/٩٦ برئاسة فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر على الدراسة المقترحة بزيادة الحوافز الشهرية للعاملين بالأزهر الشريف وفقا للضوابط المعمول بها فى صرف الحوافز للعاملين بالأزهر بقرار شيخ الأزهر رقم ٣٥٩ لسنة ١٩٨٤ والقرارات المعدلة له وفى حدود الاعتمادات المالية المدرجة فى موازنة الأزهر وذلك على النحو التالى :

١ ـ رفع الحافز الشهرى لكل من مدرس الأزهر بالمعاهد الابتدائية والإعدادية والثانوية والمعاهد

المشتركة من خمسة جنيهات إلى عشرة جنيهات شهريا .

٢ ـ رفع الحافز الشهرى لنظار المرحلة الابتدائية من خمسة عشرة جنيها إلى عشرين جنيها شهريا .

٣ ـ رفع الحافز الشهرى لشيوخ المعاهد الأزهرية الابتدائية ـ الاعدادية ـ الثانوية ـ المشتركة من سبعة عشر جنيها إلى اثنين وعشرين جنيها شهريا .

٤ ـ رفع الحافز الشهرى للسادة الوعاظ والدعاة والمديرين العاملين فى مجال الدعوة بالأزهر من خمسة جنيهات إلى عشرة جنيهات شهريا .

٥ ـ رفع الحافز الشهرى للاداريين بالمناطق والمعاهد الأزهرية والوعظ من اثنى عشر جنيها إلى خمسة عشر جنيها شهريا .

٦ ـ رفع الحافز الشهرى لعمال المناطق والمعاهد الأزهرية والوعظ من عشرة جنيهات إلى ثلاثة عشر جنيها شهريا .

٧ ـ رفع الحافز الشهرى للعاملين بالادارات المركزية بالأزهر من (٢٥٪ و٣٠٪ و٣٥٪) إلى (٤٠٪ و٥٠٪ و٦٠٪) من الراتب الأساسى شهريا على أن يحدد من يقوم بالصرف للعاملين بنسبة الانجاز المحقق فوق معدل الأداء وفقاً للشرائح المبينة بمحضر اللجنة والذى نص على أن يتم تنفيذ هذه الزيادات اعتباراً من شهر ابريل ١٩٩٧ المستحق فى ١٩٩٧/٥/١ .

أمة واحدة

أنباء العالم الإسلامى

أخبار تعليقات تقارير

يحررها . د. حسن على محمد

من المحرر :

قديماً قال الشاعر :

ولايـــقيم على ضيم يرادبـــــه   إلاّ الأذلاّن عير الحى والوتـــــد

تابعت «مجلة الأزهر» أخبار المسلمين فى العالم بقلق بالغ .. ، فالأخبار طوال هذا الشهر لم تقدم بارقة أمل فى خلاص المسلمين من كبواتهم وتفرقهم ..

وأكبر دليل على ذلك .. إقدام إسرائيل على مزاولة تهويد القدس ، ونقدّم فى هذا العدد تغطية سريعة لردود الفعل فى العالم الإسلامى

كما أقدم رهبانِ بوذيون على رشق مساجد المسلمين بالحجارة فى بورما وتايلاند ، ونقدم خبرين فى التغطية الاخبارية للاقليات الإسلامية فى العالم ، كذلك أشارت دراسة أعدتها منظمة المؤتمر الإسلامى إلى وجود «١٤» دولة إسلامية من الدول الأكثر فقراً فى العالم ، وأن هذه الدولة يقترب سكانها من نصف السكان المسلمين فى العالم..!!

أيضاً تحولت بعض المساجد فى أوروبا إلى هدف لعمليات تخريبية يقودها متعصبون ألمان أو فرنسيون .

فى خضم هذه الأخبار غير السارة يطالعنا بريق خافت لحركة إسلامية داعية لمجموعة الدولةَ الثمانية الإسلامية لمواجهة الفقر والتخلف ، وإجماع القادة فى المؤتمر الإسلامى بباكستان على إسلامية القدس واتخاذ خطوات فعالة لمواجهة الجبروت الإسرائيلى .

إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون هذه الأيام إلى الاعتصام بهدى السماء :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ .. ﴾ آل عمران ــ ١٠٣

أخبار · تقارير · تعليقات · تحليلات

ردود فعل عالمية ومحلية فى العالم الإسلامى حول محولات إسرائيل تهويد القدس المحتلة

□ القمة الإسلامية بإسلام أباد : القدس أرض فلسطينية إسلامية .

فى نهاية اجتماعات قادة الدول الإسلامية الأعضاء بمنظمة ، المؤتمر الإسلامى المجتمعين فى إسلام أباد ، صدر الإعلان الخاص بالقدس الشريف :

ـ تطالب الدول الأعضاء إسرائيل بالانسحاب من القدس المحتلة ، وجميع الأراضى المحتلة فى يونية ١٩٦٧ .

ـ يؤكد الأعضاء على أن مدينة القدس الشريف جزء من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ويطالبون بتنفيذ قرارات مجلس الأمن بشأن القدس خاصة القرار ٢٥٢ لسنة ١٩٦٨ ، والقرار ٢٧١ لسنة ١٩٦٩ ، والقرار ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠ ، والقرار ٤٧٨ لسنة ١٩٨٠ ، والقرار ١٠٧٣ لسنة ١٩٩٦ وقرار الجمعية العامة ٥١/٢٢٣ لسنة ١٩٩٧

ـ مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة إتخاذ التدابير اللازمة لحمل اسرائيل على الوقف الفورى لمصادرة أراضى الفلسطينيين وإقامة المستوطنات الجديدة فى (جبل أبوغنيم) .

ـ يدين الأعضاء بشدة استمرار إسرائيل فى سياستها التوسعية الاستطانية بمدينة القدس .

ـ دعوة الدول الأعضاء لإعادة النظر فى سياستها وعلاقاتها مع إسرائيل حتى تنصاع للقرارات الدولية .

تعليق :

قد تحولت إسرائيل إلى نمر ، تتصرف كتصرفه . وكم نود أن تكون للقرارات فاعلية تقمع بصوابها هذه الشراسة التى تعيث فى الأرض المقدسة فساداً .

□ مجلس الشعب المصرى يدين سياسة الاستيطان اليهودى

القاهرة . أ.ش.أ.

أدان مجلس الشعب المصرى فى بيان له سياسات إسرائيل التوسعية، وأوضح المجلس فى بيانه أن شروع إسرائيل فى بناء مستوطنات بالقدس الشرقية رغم إرادة أصحابها الشرعيين يجافى حق الشعوب فى السيادة على أراضيها ويتناقض مع إلتزام إسرائيل بمقررات مدريد ، ويمثل انتهاكاً إسرائيلياً ، لطمس المعالم الإسلامية للقدس .

□ مقتل ثلاثة وجرح خمسين يهوديا فى إحدى عمليات المقاومة فى تل أبيب

تل أبيب . وكالات الأنباء :

رداً على الغطرسة اليهودية ومحاولاتها تهويد القدس، قام شاب فلسطينى بمقاومة أسفرت عن مقتل ثلاثة وجرح خمسين يهودياً.

وقد أعلن وزير الحرب الإسرائيلى إغلاق الضفة الغربية وقطاع غزة إغلاقاً تاماً .

وقد سارعت العواصم الأوروبية والعربية بإدانة العملية..!!

□ عشرات الجرحى فى مواجهات عنيفة مع اليهود فى الخليل.

الخليل : مراسل جريدة الشرق الأوسط:

سقط العشرات من الفلسطينيين جرحى بعد مصادمات عنيفة مع الشرطة اليهودية ، وقد أعلن الجيش اليهودى حظر التجول فى المدينة والمعروف أن مدينة الخليل يعيش فيها أربعمائة مستوطن تحت حماية الجيش اليهودى ، ومن أجلهم تقيد حرية ١٠٠ ألف فلسطينى .

□ وفى القاهرة : الإمام الأكبر يؤكد أن مصر ملتزمة بالدفاع عن الحق وأننا مستعدون للتضحية دفاعاً عن القدس

أكد فضيلة الأمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن مصر ملتزمة بالدفاع عن الحق ، وأننا مستعدون للتضحية بأنفسنا وبكل ما نملك اذا اقتضى الأمر ، لأننا لن نرضى بالقهر والظلم ، مشيراً إلى أن الصراع مع اليهود ممتد منذ مئات السنين .

كذلك أدان رؤساء الأحزاب المصرية بناء المستوطنات فى القدس الشريف وطالبوا بوقف التطبيع .

□ وإسرائيل تهدد ..!!

تل أبيب ــ وكالات الأنباء :

هددت إسرائيل بطرد الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات من قطاع غزة ، وأعلنت انه لاحصانة لأى شخص يرغب فى القضاء على الإسرائيليين وهدد وزير العدل اليهودى بطرد عرفات فى حالة تجدد أعمال العنف ضد اليهود .

□ وتحوّل حائط البراق ـ إلى « مصلى » يهودى

القدس : نقلاً عن جريدة « المسلمون » .

فى إطار السياسات التوسعية لإسرائيل ومحاولاتها تهويد القدس ، قامت السلطات اليهودية بتحويل ساحة البراق ـ الجدار الغربى للمسجد الأقصى ـ إلى أثر دينى ، ووضعت مشروع قانون ينص على تحويل ساحة البراق إلى ساحة للمبكى ، وبالتالى يحول اليهود ساحة البراق من أثر إسلامى إلى مكان يهودى مقدس ..!!

□ تشكيل الحكومة الشيشانية الجديدة

موسكو ـ أ.ب :

شكل الرئيس الشيشانى أصلاح مسخادوف الحكومة الجديدة التى ضمت عدداً من أعضاء الفصائل السياسية المنافسة له فى الانتخابات ، كما أصدر قراراً بتشكيل قوة الحرس الوطنى التى تضم معظم القادة العسكريين الذين شاركوا فى الحرب ضد روسيا .

أخبار - تقارير - تعليقات - تحليلات

□ المسلمون فى أمريكا يطالبون بإزالة لوحة تسىء للإسلام

واشنطن : أ.ف.ب.

طلبت ست عشرة منظمة إسلامية أمريكية إزالة لوحة جدارية من الرخام بمبنى المحكمة العليا بواشنطن تصور الرسول ﷺ ولم يستجب رئيس المحكمة لهذا الطلب .

□ وفى كشمير مظاهرات حاشدة احتجاجاً على رفض المحكمة الأمريكية إزالة هذه اللوحة

سرينجار أ.ب.

خرج الآلاف من المتظاهريـــن فى شوارع العاصمة الكشميرية للاحتجاج على رفض المحكمة الأمريكية إزالة اللوحة الجدارية التى تصور الرسول ﷺ وهو يمسك القرآن فى يده اليسرى والسيف فى يده اليمنى .

□ تركيا توقف قرار طرد المسلمين البلغار

ألغت الحكومة التركية قرار طرد أربعمائة ألف مسلم بلغارى يعيشون على الأراضى التركية منذ عام ١٩٩٣ بطريقة غير قانونية، وقد قررت حكومة تركيا إعطاء إقامات دائمة لهم ، ولكل مسلم بلغارى على أراضى تركيا حتى إبريل القادم .

□ وفى كشمير : السلطات الهندية تغتال ٣ من القيادات الإسلامية

أعلنت الشرطة ان قوات الأمن الهندية قتلت ثلاثة من قادة حركة المقاومة المسلمة فى كشمير، كما قتلت قوات الأمن الهندية ستة آخرين من رجال المقاومة .

المعروف أن كشمير الهندية تشهد انتفاضة كبيرة منذ سبع سنوات للحفاظ على هويتها الإسلامية ، ولم تهن أمام محاولات الهند لتحويل أهلها عن الإسلام ، وقد قتل خلال السنوات السبع الماضية أكثر من ١٧ ألف مسلم .

□ المركز الإسلامى المصرى فى كازاخستان

أقامت الحكومة المصرية مركزاً إسلامياً فى مدينة (ألماآتا) عاصمة كازاخستان من خلال وزارة الأوقاف ، وقد تكلف هذا المركز حوالى ٢٠ مليون جنيه مصرى هدية لشعب كازاخستان.

□ ومجلة جين أفريك الفرنسية تسأل لماذا لا يُمنع الزى التقليدى لليهود مثلما مُنع الحجاب ؟

ناقشت فى الأسبوع قبل الماضى مجلة (جين أفريك) الفرنسية تجدد أزمة الحجاب فى فرنسا وقرار وزير التعليم الفرنسى بمنع الحجاب فى المدارس .

وقد تم إنشاء لجنة لحماية العلمانية ولمنع الحجاب فى المدارس ..!!

أخبار تقارير تعليقات تحليلات

مفتى مصر يبحث دعم التعاون مع الشيشان :

أكد فضيلة د. نصر فريد مفتى الجمهورية أن مصر لا تدخر وسعاً فى التعاون مع جميع المسلمين فى العالم ، وفى وصول الدعوة الصحيحة إلى المسلمين فى الشيشان .

صرح بهذا خلال استقباله لمفتى الشيشان .

قتل مغتصبى النساء فى باكستان

رحب العلماء الباكستانيون بإقرار عقوبة لإعدام لمغتصبى النساء والأطفال ، وجاء هذا القرار بعد تعدد حوادث اغتصاب النساء فى أماكن متفرقة من باكستان .

وكانت الحكومة الباكستانية قد أصدرت قراراً بتطبيق الأحكام الشرعية بحق من يغتصب النساء والأطفال .

خصم ٥ أيام نظير التطاول على الأديان

القاهرة ـ عقيدتى :

قضت المحكمة التأديبية بشمال القاهرة بمعاقبة معلمة بمدرسة ناصر الثانوية بنات بخصم خمسة أيام من راتبها .

كانت المعلمة قد تطاولت على القرآن الكريم والرسول ـ ﷺ ـ وتقدمت الطالبات بشكاوى إلى مدير المدرسة الذى بادر بتحويلها إلى النيابة الإدارية .

انفجار فى مسجد بباريس يصيب شخصاً بجراح

باريس ـ وكالات الأنباء :

انفجرت قنبلة فى مسجد الدعوة بشمال شرق باريس مما أسفر عن إصابة الحارس ، وقد ذكرت مصادر الشرطة الفرنسية أن الانفجار دمر باب المسجد وحطم بعض نوافذه .

ولى عهد بريطانيا : أعمل منذ سنوات على تحسين التفاهم بين النصارى والمسلمين

أكد الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى (ندوة العمارة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الغربية) على أن العمارة الإسلامية قيمة جمالية رفيعة المستوى ، كما صرح بأنه عاكف منذ سنوات على تحسين التفاهم بين النصارى والمسلمين .

فهرس مجلة الأزهر للعام الهجرى ١٤١٧هـ
١٩٩٦ - ١٩٩٧ م

إعداد الأستاذ / عبدالسلام ناصف

حـــرف الألـــف (أ)

- **إبراهيم الدسوقى خميس (الدكتور)**

مع سورة يس ١٢ - ١٧٥ - ٣٣٧ - ٧٧٦

- **إبراهيم عيسى (الشاعر)**

قلق الأشواق	قصيدة	٥٤٠
ذنب توضأ بالدموع	قصيد	١٣١٢
من فيض النور	قصيدة	١٦٥٢

- **أحمد السيد تقى الدين (الأستاذ)**

- من رجالات الحديث :

الإمام يحيى بن معين	٢٤
إبراهيم النخعى	١٨٨
ابن الأثير	٣١٩
عثمان بن سعيد الدارمى	٦٤٨
الإمام الخطابى	٨١٥
الإمام أبو عبيد القاسم	٩٥٨
يزيد بن الهيثم	١٢٦٨
العباس بن محمد الدورى	١٤٣٤
ابن مالك الطائى	١٥٩٧
أبو يوسف صاحب أبى حنيفة	١٥٦٠

- عرض كتاب الدعاء

للدكتور محمود رسلان ٥٨٤

- عرض لما دار فى المؤتمر الاقتصادى لشمال

إفريقيا ١١٧٢

ـ أحمد رجائى عبدالحميد (الدكتور/طبيب)

الصحـــة الإنجابيـــة ١٠٤ ـ ٢٤٨ ـ ٥٤٧ ـ
٧١٥ ـ ٨٦٢ ـ ١٠٢١ ـ ١١٦٢ ـ ١٣٣٢ ـ
١٥٠٩ ـ ١٦٧٧ ـ ١٨١٧

ـ أحمد رجب محمد على (الدكتور)

زمزم على مر العصور ١٧٦٥

ـ أحمد عمر هاشم (الدكتور)

ـ القدس ٦٧٨
ـ كلمة فى احتفال الأزهر بالشاعر محمد إقبال ١١٣٨

ـ أحمد فؤاد باشا (الدكتور)

ـ من دلائل القدرة ٣٩٠ ـ ٥٤٢
ـ البيئة ومشكلاتها ٧١٢ ـ ٨٥٨ ـ ١٠١٦
ـ الهواء وتصريف الرياح ١١٥٨
ـ قراءة فى كتاب الكون ١٣٢٤
ـ التشريعات الإسلامية لحماية البيئة ١٤٩٨ ـ ١٦٧٢
ـ أضواء على إعجاز القرآن الكريم ١٨٠٨

ـ أحمد محرم (الأستاذ)

استقبال المدينة لنبى الهدى ٨٤

ـ أحمد مصطفى حافظ (الأستاذ)

ـ الرافعى فى ذكراه ١٢٧ ـ ٢٧١
ـ شياطين الشعر ٥٧٨ ـ ٧٣٦ ـ ٩٠٠ ـ ١٠٣٦ ـ ١١٩١
ـ تكريم حافظ إبراهيم ١٣٥١ ـ ١٥٣٢
ـ من أنشد لشوقى ١٦٩٩
ـ السخرية فى شعر ابن الرومى ١٧٩٧

ـ أحمد بن محمد طاحون (الشيخ)

ـ القدوة الحسنة ٥٧
ـ احذروا العرافين والمنجمين ١٠٨٤
ـ أطفالنا أكبادنا ٥٧٠ ـ ١٢٥٤ ـ ١٤٢٦ ـ ١٥٥٩ ـ ١٧٤٥

ـ اسماعيل قراجام

ـ الأحرف السبعة ١٦٣٤

ـ البسيونى قنعان سليمان (الشاعر)

ـ الضرير قصيدة مطولة ٣٨٥

ـ السيد إبراهيم الجميلى (الطبيب)

ـ طبقات المحققين
ـ الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٧
ـ الأستاذ / على محمد البجاوى ٢٥٦
ـ الأستاذ / عبد المتعال الصعيدى ٤١١
ـ الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباق ٥٦٩
ـ المدكتور / شوقى ضيف
ـ الدكتور / عبد القادر حسين ٥٦٩
ـ الدكتور / عبدالنبى محمد عبدالخالق ٧٣٣
ـ الشيخ / حسام الدين القدسى ٨٩٣
ـ الدكتور / طه الحاجرى ١١٨٤
ـ الدكتور / صلاح الدين المنجد ١٣٦٤
ـ الدكتورة / عائشه عبد الرحمن ١٥٢٦
ـ الدكتور / عبد المجيد دياب ١٦٩١
ـ الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطار ١٨٤٠

ـ السيد أحمد أبو الفضل (المحقق)

ـ مكة ٨٤

ـ السيد أحمد المخزنجى (الأستاذ)

ـ أهمية العمل فى الإسلام ٦٧٢
ـ الملكية وضوابطها الشرعية ١٢٩٤ ـ ١٧٧٠

ـ السيد الصديق حافظ (الشاعر)

ـ رابع الأقداس قصيدة ٨٦

- السيد العراق شمس الدين (الشيخ)
- استفتاءات القــراء ٦٩ - ٢١٤ - ٣٦٠ -
٥١٧ - ٦٨٨ - ٨٣٤ - ٩٨٨ - ١١٢٥ -
١٣٠٦ - ١٤٧٣ - ١٦٤٨ - ١٧٨٢

- السيد رضوان جمعه (الدكتور) كفارة القتل ١٠٩٣ - ١٤٥١ - ١٦٠٨

- السيد عبد الفتاح خضير (الشيخ) فضيلة البر ١٢٨٤

- السيد عبد المقصود عسكر (الشيخ) الأبعاد الإنسانية للدعوة الإسلامية ٩٨٠

- السيد يحيى الزيات (الدكتور) - ليزر الإكزيمر ٩٧

حـــــرف الجـــيم (جـ)

- جليلة رضا (الشاعرة)
- من وحى الأمومة قصيدة ٥٣٩
- جمال عبدالعزيز أحمد (الشيخ)
- بين النحاة والفقهاء ٨٨٩

حـــــرف الحـــاء (حـ)

- حسن على محمد (الدكتور)
أنباء العالم الإسلامى ١٧١٨
- الآثار الثقافية والاجتماعية للبث التليفزيونى ١٨١٢

حـــــرف الزين (ز)

- زكريا أحمد نور (الشيخ)
- الإسلام وصلة الرحم ٦٣٣

حــــــرف السين (س)

- سعد عبد المقصود ظلام (الدكتور)

– إقبال .. والكلمة :
في ذكرى إقبال قصيدة شعرية ١١٤٤
– فضيلة الشيخ حسنين مخلوف دراسة وثائقية ١٤٧٨

- سليمان بركات (الاستاذ)

– أسلوب الشرط ١٨٣٦

- سناء السعيد (الأستاذة)

– حديث مع فضيلة الإمام الأكبر ٨٠٣ – ١٤٢٢

- سيد خضر (الشيخ)

– إعجاز القرآن الكريم ١٢٤٧

- سيف النصر عبد العزيز (الشيخ)

– الجــــــارم ١٣٥٦

حــــــرف العين (ع)

- عادل رفاعي خفاجة (سكرتير التحرير)

– بين المجلة والقارىء ١٣٢ – ٢٧٧ – ٤١٧ –
٥٩١ – ٧٥٢ – ٩١٠ – ١٠٤٧ – ١١٩٦ –
١٣٧٢ – ١٥٤٩ – ١٧٠٥ – ١٨٥٥

- عبد الحفيظ فرغلي القرني (الشيخ)

– أهل الفضل من العلماء ٢٠٨
– خصائص النبوية ٧٤١
– الشواهد النحوية ٨٧٧ – ١٦٨٦
– فضائل شهر رجب ٩٦٦
– أسرار إسلام العظماء ١٢٨٧

- عبدالحفيظ محمد عبدالحليم
(مدير التحرير)

– طرائف ومواقــف ٧٢ – ٢١٦ – ٣٧٠ –
٥٢٠ – ٦٩٢ – ٨٤٤ – ١٠٠٤ – ١١٢٨ –
١٣١٦ – ١٤٧٦ – ١٦٦٦ – ١٨٠٢

ـ عبدالرحمن أحمد السمان (الدكتور)

ـ الرياضيات علم العلوم ٥٥١

ـ عبد السلام إبراهيم ناصف (الأستاذ)

ـ نقباء الأنصار عرض وتقديم ١٢٤

ـ التنشئة الاجتماعية ٧١٨

ـ الأسرة ودورها فى التنشئة الاجتماعية ٨٦٥

ـ المدرسة ودورها فى التنشئة الاجتماعية ١٠٢٥

ـ دور العبادة ودورها فى التنشئة الاجتماعية ١١٦٦

ـ الطفولة والمراهقة عرض وتقديم ١٣٣٦

ـ النبأ فى القرآن الكريم ١٥٠٦

ـ الأمن الفكرى ١٦٨٠

ـ عبد العاطى موسى عبد العاطى (الشاعر)

ـ خيوط العنكبوت قصيدة ٨٥٦

ـ عبد العزيز أحمد رضوان (الشيخ)

ـ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ٦٤٢

ـ عبد العزيز عزت عبد الجليل (الدكتور)

ـ عرض كتاب خير القرون ٨٧٢

ـ تعريفات ومصطلحات فقهية ١٤٦٦ ـ ١٦٠١

ـ عبد الغفار الدلاش (الشاعر)

ـ المنتصرون قصيدة شعرية ٧١٠

ـ الناى الحزين قصيدة شعرية ١٣١٤

ـ حقائق وأوهام قصيدة شعرية ١٤٩٢

ـ عبد الغنى أحمد ناجى (الشاعر)

ـ امتحان اليقين قصيدة ١٠١٤

ـ عبد الغنى عبود (الأستاذ)

ـ العربية الفصحى فى وسائل الإعلام ١٥٢١

ـ عبد الفتاح إبراهيم سلامة (الشيخ)

ـ ظهور الإسلام حجة ظاهرة ٣٤٧

ـ عبد الفتاح أبو سنة (الدكتور)

ـ محمد بن على الخروبى مؤرخا ٣٥٧

ـ عبد الفتاح حسين الزيات (الأستاذ)

ـ من روائع الماضى :
ـ هل يمكن أن يحكم الإنسان نفسه
لمحمد فريد وجدى ٩١
ـ صراع : للشيخ يوسف الدجوى ٢٣١
ـ الإسلام والمباحث النفسية: للشيخ صادق
عرجون ٣٧٣
ـ رسالة إلى الإمام الأكبر الشيخ المراغى ٥٣٠
ـ الميراث : للشيخ مصطفى شادى ٦٩٩
ـ دعوة : للشيخ إبراهيم الجبالى ٨٤٦
ـ فى ظلال الإسلام : للدكتور زكى مبارك ١٠٠١
ـ أساس الرق فى الإسلام : للشيخ محمد
عرفة ١١٥٣
ـ هلال رمضان: للأستاذ عبدالقادر المغربى ١٤٨٥
ـ أسباب الخلاف : لمحمد فريد وجدى ١٦٦٩
ـ ماذا بعد الحق إلا الضلال: محمد فريد وجدى ١٨٠٤

ـ عبدالفتاح سيد جمعان (الشيخ)

ـ مادة (حجّ) ٥٦٢
ـ نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم ١٨٣١

ـ عبد الله مبروك النجار (الدكتور)

ـ مشروعية التأمين ٢١٨ ـ ٤٨٩ ـ ٨٢٨ ـ
١٢٧٢ ـ ١٦٢٠

ـ عبد الملك على الكليب (الأستاذ)

ـ تصحيح وقت آذان الفجر ١٤٣٢

ـ عثمان الجوهرى (الأستاذ)

ـ الأصولية الإسلامية ـ عرض كتاب ١٠٤
ـ مبادىء التعايش السلمى ـ عرض كتاب ١٥٤٥

ـ عزت شندى موسى (الدكتور)

ـ من وحى الكعبة ١٧٩٢

ـ عصام الغزالى (الشاعر)

ـ الشيخ الغزالى والموت على المنبر ٣٨٣

ـ على أحمد الخطيب (الدكتور) رئيس التحرير

ـ الافتتاحية :

ـ الهجرة وموقف عسير ١

ـ العباس ـ رضى الله عنه ـ وصحبة الكبار ١٦١

ـ وأنتم الأعلون ، والله معكم ٣٠٥

ـ هذا الشباب ٤٤٩

ـ العلم أمانة مؤداة ٦٢٥

ـ سلوا أهل الذكر ٧٨٥

ـ هموم الرشيد ٩٤٥

ـ جناحا الإيمان فى الإسلام ١٠٧٣

ـ هل نصحب الملائكة كما تصحبنا ؟ ١٢٣٣

ـ دائرة تسع العالم كله ١٤٠٩

ـ الشهادة للوحدانية ١٥٧٧

ـ حقول الشيطان ١٧٣٧

ـ على جمعه (الدكتور)

ـ الإمام الراحل وآماله العلمية ٣٢

ـ على حامد عبد الرحيم (الشيخ)

ـ قبس من أنوار النبوة

ـ من رحمة الرسول بأمته ١٨

ـ ما عند الله ١٨٦

ـ أحب العباد إلى رب العالمين ٣١٧

ـ دعوة الإسلام للعمل ٤٨٦

ـ دخول الجنة برحمة الله ٦٤٥

ـ أضمن لكم الجنة ..! ٨١١

ـ من هدى الرسول فى تصحيح العقيدة ٩٥٦

ـ أنت ومالك لأبيك ١٠٨٩

– مع القراء فى شهر القرآن ١٢٥٨
– الشجاعة فى الحق ١٤٣١
– ألا تعبدوا الشيطان ١٥٩٣
– من فقه الحديث فى حجة الوداع ١٧٥٠

– عمر البسطويسى (الشيخ)

– أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٣٦ – ٢٨٣ – ٤٢٤ – ٥٩٩ – ٧٥٩ – ٩١٤ – ١٠٥٠ – ١٢٠٠ – ١٣٧٧ – ١٥٥٥ – ١٧١٥ – ١٨٦٣
– النشاطات الثقافية بالأزهر ١٧١٧

حــــرف الفـــــاء (ف)

– فاطمة عمر نصيف (الدكتورة)

– ماذا قبل الإيدز وبعده ؟ ١٣٢٧
١٨٢٠

حرف الميم (م)

– مجدى عبدالحميد بشير(الاستاذ)

– أنباء العالم الإسلامى :
١٤٠ – ٢٨٦ – ٤٣٢ – ٦٠٧ – ٧٦٤ – ٩٢٥ – ١٠٥٤ – ١٢٠٤ – ١٣٨٤ – ١٥٥٨
– ولله جنود السماوات والأرض ١٧٥٦

– مجدى يوسف أمين (الدكتور)

– الغلاف الجوى ٢٤٤

– محمد إبراهيم الفيومى (الدكتور)

– من أعلام الأزهر أمين الخولى ٧٤
– النزعة العقلية عند الإمام الشافعى ٩٧١ – ١١٠٧ – ١٤٥٨

ـ محمد أبو الفضل إبراهيم (المحقق)

ـ الثروة الإسلامية ٢٠٥

ـ تجاربي فى تحقيق التراث ٥٠٩

ـ أبو العباس المبرد وكتابه الكامل ٦٦٦

ـ أسباب النزول ٨٠٧

ـ الشريف المرتضى ١١٧٨

ـ مراتب النحويين ١٥١٨

ـ محمد إقبال (الشاعر)

ـ طلوع إسلام قصيدة ١١٤٠

ـ محمد التهامي (الشاعر)

ـ هذه شريعتنا قصيدة ١١٤٦

ـ محمد الخضر حسين (الإمام الأكبر الأسبق)

ـ فلسطين قصيدة ٣٨٤

ـ محمد السيد

ـ أثر الأخطاء الصوتية ٤٠٤

ـ محمد حافظ سليمان (الشيخ)

ـ ذكرى أفضل مولود فى الوجود ٣٢٧

ـ أثر الأخلاق فى بناء الفرد والمجتمع ٦٥١

ـ رحمة الإسلام بالطير والحيوان ١١٠٢

ـ أولئك سيرحمهم الله ١٦٣٠

ـ محمد حسنى مبارك (رئيس الجمهورية)

ـ كلمة فى ذكرى المولد ٤٥٢

ـ رسالة إلى مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٥٩

ـ محمد رجب البيومى (الدكتور)

ـ من أعلام الأزهر :

ـ محمد بخيت المطيعى ٢٢٥

ـ محب الدين الخطيب ٣٦١ ـ ٥٢٢

ـ د. محمد يوسف موسى ٨٣٧ ـ ١٠٠٦

ـ الشيخ الأحمدى الظواهرى ١١٣١ ـ ١٣١٨

ـ د. محمد غلاب ١٦٦٠ ـ ١٧٨٥

- محمد رياض كريم (الدكتور) — أبو منصور الثعالبى ٧٢٦ ـ ٧٨٢

- محمد سيد طنطاوى (الدكتور والإمام الأكبر)
  - تفسير سورة الفاتحة ٣
  - مقاصد سورة البقرة ١٦٣
  - تفسير سورة البقرة ٣٠٧ ـ ٤٦٧ ـ ٦٣١ ـ ٦٨٦ ـ ٧٨٨ ـ ٩٤٧ ـ ١٠٧٦ ـ ١٢٣٦ ـ ١٤١٢ ـ ١٥٨٢ ـ ١٧٤٠
  - كلمة فى مولد الرسول الكريم ٤٥٧
  - رسالة إلى المؤتمر الإسلامى ٤٦٣
  - فتوى فى ختان البنات ٦٨٦
  - كلمة فى احتفال الأزهر بالشاعر محمد إقبال ١١٣٧

- محمود سيد غزلان (الدكتور) — الكفالة وهل يجوز تقاضى الأجر عنها ؟ ٨٢٢

- محمد عبدالحكيم محمد عبدالله (الدكتور)
  - مع الشريف الرضى .. مقدمة عن شعره ٩٠
  - مالك بين الريب وشعره ٢٣٨
  - استطلاع عن : مؤتمر القمة العربى الأخير ٥٠٥
  - الإمام الشافعى شاعراً ٧٠٥
  - شرح جزء تبارك ـ عرض وتقديم ٧٤٤
  - دراسة عن : موقف الأزهر من القدس ٩٢١
  - تغطية إعلامية لحفل تكريم : « محمد إقبال » بالأزهر ١١٣٦
  - الشمائل المحمدية للترمذى ـ عرض وتقديم ١٣٤٣
  - الأساطير الصهيونية المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ١٥٣٩
  - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر دراسة وثائقية ١٦٤٠
  - زكى مبارك جاحظ القرن العشرين (بحث) ١٨٤٧

ـ محمد عبدالرحمن صان الدين (الشاعر)

ـ الموت مظلوم قصيدة ٨٨

ـ الإسلام يشرق من الغرب قصيدة ٢٣٧

ـ هذا القرآن قصيدة ٣٧٨

ـ السحر والساحر قصيدة ٧٠٦

ـ أيتها القيم العالية قصيدة ٨٥٢

ـ غرور الإنسان قصيدة ١١٤٧

ـ الإسلام شمس الأنام قصيدة ١٣١٣

ـ عتاب قصيدة ١٦٥٣

ـ محمد عبد الصمد مهنا (الدكتور) القانون الدولى فى فقه الإمام الشيبانى ١٩٧ ـ ٣٥٣

ـ محمد عبد المحسن التقاوى (الشيخ) هداية الإنسان فى ذكر الرحمن ٦٢ ـ ٧٣٧

محمد عبدالمنعم خفاجي (الدكتور) ـ ليلة الإسراء قصيدة ١٠١٣

ـ محمد عبد الوهاب (الشاعر) ـ حول خاتمة ابن عباد المأسوية ٤١٤

ـ خميلة الشعر (تقديم) ١٦٥١

ـ محمد عزت الطهطاوى (الأستاذ) ـ من معجزات الرسول ٤٧

ـ من أعلام الأزهر : الشيخ الدميرى ٦٩٤

ـ من أعلام الماضى : ابن خلدون ٩٨٥

ـ مدينة القدس ١١١٧

ـ محمد محمود حسين (الشاعر) ـ رثاء (أبو نغم) قصيدة ٢٤٢

ـ محيى الدين حسين يوسف (الشيخ) ـ يوم عاشوراء وصيامه ١٩٣

ـ حول القرآن الكريم ١٢٦٢

ـ مرفت السيد عوض (الدكتورة) ـ الفجر الصحيح وترشيد التصحيح ١٧٧٧

ـ مصطفى صادق الرافعى (الكاتب) ـ ربنا إياك ندعو قصيدة ٥٣٨

ـ مصطفى عبد المجيد عبد الفتاح (الشيخ) ـ أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٣٦ ـ ٢٨٢ ـ ٤٢٤ ـ ٥٩٩ ـ ٧٥٩ ـ ٩١٤ ـ ١٠٢٠ ـ ١٢٠٠ ـ ١٣٧٧ ـ ١٥٥٥ ـ ١٧١٥ ـ ١٨٦٣
ـ موافقات ليلة القدر ١٦٣٧

ـ معوض عوض إبراهيم (الشيخ) ـ السعادة والإيمان ٥٢
ـ الرحمة المهداة ٣٤٣

حــــرف النون (ن)

ـ نجوى السيد أحمد (الدكتورة) ـ الجديد فى العلم والتقنية ١٠٨ ـ ٢٥٢ ـ ٤٠٠ ـ ٥٥٨ ـ ٧٢٢ ـ ٨٦٩ ـ ١٠٢٧ ـ ١١٦٩ ـ ١٣٤٠ ـ ١٥١٤ ـ ١٦٨٣ ـ ١٨٢٨

ـ نور نافع (الشاعرة) لأنى أحبك يا مصر ١٧٩٦

حــــرف اليــــاء (ى)

ـ يوسف الأبنودى (الشاعر) ـ تحية وتقدير لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٨٥

فهرس هدية مجلة الأزهر لسنة ١٤١٧ هـ

م	الموضوع	الكاتب	الشهر
١	التـــــأمين	للشيخ/ على الخفيف	المحرم ١٤١٧هـ
٢	الاجتهـــــاد	للشيخ/ محمد مصطفى المراغى (شيخ الأزهر الأسبق)	صفر ١٤١٧هـ
٣	حكمة النبى ﷺ فى تغيير أسماء أصحابه	للشيخ/ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى	ربيع الأول ١٤١٧هـ
٤	بحث فى حكم الشريعة على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاث	للشيخ/ على الخفيف	ربيع الآخر ١٤١٧هـ
٥	حكم الإسلام فى أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار	للشيخ/ يس سويلم طه	جمادى الأولى ١٤١٧هـ
٦	المختار من كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن (جـ ١)	للإمام النووى	جمادى الآخرة ١٤١٧هـ
٧	رحلة الإمام الأكبر إلى الهند	للشيخ/ محمد مصطفى جميعة والشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف والشيخ/ سامى محمد الشعراوى	رجب ١٤١٧هـ
٨	رحلة الإمام الأكبر إلى باكستان	للشيخ/ فوزى الزفزاف والشيخ/ سامى الشعراوى والشيخ/ محمد مصطفى جميعة	شعبان ١٤١٧هـ
٩	المختار من كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن (جـ ٢)	للإمام النووى	رمضان ١٤١٧هـ
١٠	الريح والرياح فى القرآن الكريم وفى كلام العرب	للدكتور على محمد حسن العمارى	شوال ١٤١٧هـ
١١	المعاملات فى الإسلام	للإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى	ذى القعدة ١٤١٧هـ
١٢	المسلمون فى أوربا	للأستاذ/ مصطفى دسوقى كسبة	ذى الحجة ١٤١٧هـ

Du vivant du Prophète -b.s.- Othman -a.s.l- demanda la permission d'entrer chez lui. Le Prophète -b.s.- était assis et ses habits relevés découvraient une partie de sa cuisse. En apprenant la visite de Othman, le Prophète -b.s.- se redressa sur son séant, ajusta ses habits puis reçut Othman. Lorsque ce dernier partit, Aïcha -a.s.e- demanda au Prophète pourquoi il avait agi ainsi. Il lui dit: "Othman est un homme pudique, s'il m'avait vu dans cette position, il aurait eu honte de m'exposer son problème".

La pudeur est exigée en toutes les affaires, sauf en ce qui concerne les problèmes religieux. Il est inexact que l'homme par pudeur s'abstienne de poser des questions pour avoir des explications au sujet de sa pratique religieuse. La pudeur n'a pas empêché, une ançarite, de venir dire au Prophète -b.s.-: "Ô messager de Dieu! Allah n'a point honte de dire la vérité: la femme doit-elle se laver quand elle copule durant son sommeil?" La pudeur non plus n'a pas empêché le Prophète -b.s.- du lui répondre: "Oui! Si elle constate l'écoulement d'un liquide".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Om Salama -a.s.e- qui assistait à cette conversation, cacha son visage et dit à l'ançarite: "Tu viens de faire honte aux femmes". Mais le Prophète -b.s.- ne réprimanda pas la femme pour sa question. On raconte aussi, qu'une femme se rendit auprès du Prophète -b.s.- et lui demanda comment il fallait procéder pour se purifier de ses menstrues, et qu'il répondit à sa question sans protester ni lui faire de reproches.

Pour montrer l'importance de la pudeur et les conséquences néfastes qui peuvent résulter du manque de pudeur, le Prophète -b.s.- nous dit: "Lorsqu'Allah veut faire périr un de Ses serviteurs, Il le prive de la pudeur; une fois qu'il est dépouillé de sa pudeur; il ne peut être que dégoûtant et détestable; arrivé à ce stade, Allah lui arrache son honnêteté; lorsqu'il est dépourvu d'honnêteté il devient tricheur et trompeur; arrivé à ce stade, la miséricorde lui est arrachée, alors il devient maudit et donné; arrivé à ce stade, la foi de l'Islam est arrachée de son coeur".

Hadith rapporté par Ibn Magah.

la vie terrestre, le peuple se détourne du travail et de la production pour s'enliser dans les turpitudes et les divertissements illicites; ce qui exposera la nation à la colère d'Allah. Nous savons qu'Allah -gloire à Lui- a anéanti le peuple de Loth pour avoir commis publiquement et sans pudeur des turpitudes. Il a dit: [Vous faites le commerce charnel avec les mâles, vous pratiquez le brigandage et vous commettez ce qui est blamâble dans votre assemblée].

Surate 29 "Al-Ankabout" L'araignée V. 29.

Craignez donc Allah en tout ce qui est diffusé au public à travers les mass-médias et en tout ce qui pénètre dans les foyers et que les parents ne peuvent pas empêcher leurs enfants de voir. Sinon l'effort de la bonne éducation fourni par les parents sera vain et ils ne pourront pas inculquer les valeurs morales à leurs enfants. En outre, si le dévergondage se répand parmi les gens, Allah répandra un malheur sur l'ensemble de la population. Il fera sévir parmi eux les maladies et les épidémies. La bénédiction disparaîtra alors que la famine et la disette règneront.

Quant à la pudeur du Musulman envers lui même, il importe que l'homme dans sa solitude ne fasse pas ce qui aurait indigné les gens s'ils le découvrent. Il importe aussi que l'apparence soit semblable à ce qu'on cache, car la vertu est ce qui réjouit le coeur et que tu aimes que les autres voient.

Par contre, le mal est ce qui te range et que tu crains que les autres ne voient. Par pudeur envers soi-même aussi on entend qu'il ne faut pas interdire une chose et la commettre soi-même. Allah -gloire à Lui- a dit: [Commanderez-vous aux gens de faire le bien alors que, vous-mêmes, vous l'oubliez?]

Surate 2 "al-Baqara" La Vache V. 44.

Le Prophète -b.s.- nous raconte l'histoire d'un érudit qui prêchait le bien, interdisait le mal, mais qui fut jeté en Enfer; car il prêchait le bien, mais ne le faisait point, interdisait le mal et le faisait lui-même. Le Prophète -b.s.- nous apprend la pudeur même dans l'intimité du couple. Il nous dit de ne jamais rester nu, mais de se couvrir d'un drap par exemple.

péché, il est privé du pardon d'Allah, de Son absolution et il sera exposé au scandale, à l'humiliation et au déshonneur. C'est une forme de pudeur que de ne point chercher à connaître ce que les gens cachent ni à découvrir aux autres ses secrets intimes. Les femmes qui ont perdu leur pudeur et qui ont découvert les parties de leur corps qu'elles devraient couvrir sont menacées de la privation du Paradis et même de la respiration de ses parfums. Le Prophète -b.s.- dit: "En Enfer il y a deux catégories d'hôtes que je n'ai pas vues: des hommes tenant des fouets avec lesquels ils frappent les visages des gens; et des femmes nues-habillées, inclinées, cherchant à attirer les coeurs, leurs têtes ressemblant à la bosse du chameau. Ceux-là n'entrent pas au Paradis, ni ne respirent son parfum, bien que ce parfum se répande à une distance de mille années".

Hadith rapporté par al-Bokhary.

Le Prophète -b.s.- a interdit également aux femmes de se parfumer exagérément. Il a dit que la femme qui se parfume et passe devant des hommes qui respirent ce parfum, est considérée femme adultère? dévergondée? Les savants en ont déduit que le parfum est l'un des préludes de l'adultère: il incite l'homme et éveille ses instincts sexuels. Le mot adultère est employé pour avertir et prévenir contre tout ce que peut engendrer l'excès de parure chez les femmes. Ibn Abbas -a.s. eux- a raconté que le Prophète a dit: "Allah a destiné au fils d'Adam sa part d'adultère qu'il aura inévitablement: l'oeil commet l'adultère à travers le regard, la langue à travers la parole, l'âme souhaite et désire puis les organes sexuels approuvent ou désapprouvent cela".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Parmi les actes qui blessent la pudeur et qui prouvent le manque de pudeur de ceux qui les commettent, il y a le comportement des jeunes filles, des jeunes gens que nous voyons ces jours-ci, dans les jardins publics et dans les rues. De même, ce que nous voyons dans les films et les feuilletons (spectacles obscènes, consommation d'alcool etc) destinés à être présentés au public, sans aucune censure de la part des autorités ce qui expose la communauté à un danger certain. Dans

La pudeur[1]

Trad. : Hoda Hussein Chaaraoui

La pudeur envers les gens exige que le comportement envers eux ne porte pas atteinte à leur dignité, ni les blesse ou les offense. On raconte que le Prophète -b.s.- n'a jamais abordé quelqu'un d'une manière qu'il déteste; en effet il avait plus de pudeur que la vierge dans son harim. Il disait: "La pudeur fait partie de la foi et la foi est au Paradis; l'impudence fait partie de la dureté et l'aversion est en enfer."

Hadith rapporté par Abu-Horaïra

Il a dit également: "Celui qui n'a point de pudeur, n'a point de foi". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le manque de pudeur est l'une des causes de la propagation des péchés, quant au fait de divulguer cela ouvertement, est pire encore. Le Prophète -b.s.- a dit: "Toute ma communauté sera pardonnée sauf ceux qui se vantent de leur dévergondage?

Hadith rapporté par Abu-Horaïra

Car celui qui s'abstient par pudeur de commettre les péchés devant les gens pourrait être proche du repentir, Son Seigneur pourrait effacer ses fautes... Quant à celui qui commet impudemment le

---

1) D'après Cheikh Yassine Rushdy

Notons ici que nombre de rites du Pèlerinage sont liés à l'histoire d'Abraham et des siens; non seulement en ce qui concerne la fondation de la Ka'ba et le monothéisme, mais encore la course de son épouse Hadjir entre les collines d'Al-Safa et Al-Marwa à la recherche de l'eau pour son enfant Isma'il, la commémoration du sacrifice sur le Mont 'Arafate) ainsi que la lapidation de Satan.

En effet, l'un des rites du Pèlerinage est l'accomplissement d'une prière de deux rak'as à la Station d'Abraham (Maqâm Ibrahim).

Un autre rite consiste à refaire les sept trajets accomplis par Hadjir entre les monticules d'Al-Safa et Al-Marwa avec l'espoir d'apercevoir une éventuelle caravane susceptible de sauver son enfant Isma'il laissé au fond de la vallée à l'endroit même où jaillit par un miracle divin la source de Zamzam aux pieds de l'enfant. Et c'est là même que les pèlerins viennent se désaltérer.

La station sur le Mont Arafate commémore le sacrifice exigé par Allah de la part d'Abraham pour mettre à l'épreuve sa foi et celle de son fils. Lorsqu'Abraham reçut en songe l'ordre d'immoler son fils, ce dernier lui dit: "Ô Fère, exécute l'ordre que tu as reçu et tu me trouveras soumis à la volonté d'Allah."

C'est alors qu'Allah les récompensa en demandant à Abrahim d'immoler un mouton à la place de son fils. C'est pour cette raison que les pélerins immolent des bêtes qu'ils présentent en offrande à Allah le premier jour de la Fête du Sacrifice, après la Station à Arafate.

Enfin, la lapidation est l'un des rites essentiels du Pèlerinage. Satan, ennemi déclaré de l'homme, était dépité de la soumission absolue d'Abraham à Allah. Aussi entreprit-il de détourner le prophète de sa résolution d'immoler son fils.

Il lui apparut plusieurs fois en usant de tous les stratagèmes pour le dissuader mais, à chaque fois, Abraham lui lança au visage une poignée de cailloux. Tel est le symbolisme de la lapidation par les pèlerins des trois stèles qui représentent Satan.

Nous souhaitons avoir réussi à mentionner brièvement le symbolisme de chacun des rites du Pèlerinage.

Dr. Rokeya Gabr

Le symbolisme des rites du Pèlerinage

par Dr. Rokeya Gabr

Pour une meilleure compréhension des rites du Pèlerinage, il est indispensable de connaître les raisons pour lesquelles ces rites ont été prescrits.

Commençons par la Ka'ba située dans l'Enceinte Sacrée de la Mecque, lieu vers lequel doit se dériger tout pèlerin musulman.

On trouve dans le Coran (La Famille de 'Imran, V. 96-97)

[Certes, le premier temple édifié pour les hommes est celui de Bakka (anciens nom de Makka] La Ka'ba c'est le lieu vers lequel se dirigent les gens pour le Pèlerinage et pour l'orientation de la Prière.

[Allah a prescrit aux hommes, comme devoir envers Lui, le Pèlerinage à cette Maison Sacrée]

Par ce culte le pèlerin trouve qu'il suit la religion d'Abraham à laquelle Allah nous invite. En effet, terre bénie et ennoblie par Allah, capitale spérituelle du monde musulman, la Mecque est le berceau du monothéisme. C'est là que fut construit, selon la Parole divine, [le premier temple édifiée pour les hommes]. Elle contient des preuves évidentes de son caractère sacré, de la profusion de ses biens ainsi que le lieu où Abraham se tenait pour faire sa prière ("Maqâm Ibrahim"). C'est également là que naquit le dernier des prophètes, Mohammed — à lui bénédiction et salut — et qu'il reçut les premiers versets d'une Révélation qui allait changer la face du monde.

D'autre part, tous les exégètes et les rapporteurs de Hadiths sont unanimes sur le fait que la Ka'ba est la première Maison où l'on adora le Dieu unique.

2.- **Le respect des liens de parenté (Cilat Al Rahim) Rabei Al Awal 1417 H.**
Mme Hoda Hussein Charaaoui

1.- **Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan (suite)** *Dr. Rokeya Gabr* **Rabei Al Akhar 1417 H.**

2.- **Le respect des liens de parenté (Cilat Al Rahim) (suite)** *Mme Hoda Hussein Charaaoui*

1.- **Le musulman et le croyant Jumada Al Awal 1417 H.**
Dr. Rokeya Gabr

2.- **Les rapports du bon voisinage**
Mme Hoda Charaaoui

1.- **Après le Pélerinage Jumada Al Akhira 1417 H.**
Dr. Rokeya Gabr

2.- **La prise en charge des orphelins**
Mme Hoda Hussein Charaaoui

1.- **La consultation en Islam Rajab 1417 H.**
Dr. Rokeya Gabr

2.- **La fraternité dans l'amour d'Allah - à suivre -**

1.- **Le voyage et l'ascension nocturnes du prophète Chaaban 1417 H.**
Muhammad (B.S.) *Dr. Rokeya Gabr*

2.- **La fraternité dans l'amour d'Allah -2-**
Mme Hoda Hussein Charaaoui

1.- **Le jeûne et le Coran intercèdent en faveur du musulman**
Ramadan 1417 H.

2.- **L'aide accordée aux pauvres**
Mme Hoda Hussein Charaaoui

1.- **Tous les musulmans fêtent la rupture du jeûne le jour de Id Al Fitr Chawal 1417 H.**
Dr. Rokeya Gabr

2.- **La piété filiale**
Mme Hoda Hussein Charaaoui

1.- **Nous souhaitons le salut sans emprunter les voies qui y mènent Zou Al Keida 1417 H.**
Dr. Rokeya Gabr

2.- **La pudeur - à suivre -**
Trad. Mme Hoda Hussein Charaaoui

REVUE
AL AZHAR

Zu-I-Heja 1417 H., Apr.1997 Vol. 69 Part XII

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

La Revue d'Al Azhar en 1417 H- 1996 - 1997

1.- Eloge funèbre du Révérent Cheikh Gad Al Haq Ali Gad Al Haq Cheikh d'Al Azhar *Dr. Rokeya Gabr* **Al Moharram 1417 H.**

2.- Les qualités morales du vrai musulman *Mme Hoda Hussein Charaaoui*

1.- La piété filiale *Mme Hoda Hussein Charaaoui* **Safar 1417 H.**

2.- L'utilité des animaux dans la vie humaine d'après le Coran.
Iman Ahmad Farahat

1.- Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan
Dr. Rokeya Gabr

recent booklet by Seven, a non-Muslim. Theologian affirms a reality that Muslims believe in entitled :

"The Myth of God Incarnate" being "A Unique Collection of Theological Essays" (As printed in an "Impartial Survery of its main topics by Abdus-Samad Sharafuddin", and is an **invitation** to think about the problem that has long been in existence. May be it will lead to acceptance and a guide to the most straight path.

This is not a charge (or accusation) from the Muslim Scholars, (including Theologians) but it is mainly on **inquiry** carried out by non-Muslim professors of Theology that may inspire some realities and truths .

God Almighty says; (171 - 173 An-Nisa-a (the Women) "O People of the Book (of the Scripture) do not exaggerate in your religion nor utter anything concerning Allah but the Truth. Christ, (The Messiah) Son of Mary was only a Messenger of Allah, and His Word which He bestowed upon Mary and a Spirit of Him, So believe in Allah and His Messengers, and do not say 'three' (Trinity). Cease ! It is better for you ! For Allah is only One God. He is above having a son. His are all things in the Heavens and in the earth. And Allah is sufficient Advocate (The Champion-to him all beings relegate their affairs, so He becomes their Advocate or Ch...) .

"The Messiah will never disdain (in the hereafter) to be a slave to Allah, nor do the favoured Angels. These who sworn His service and are proud will be gathered all together to Him"

"But, to those who believed and acted well, He will repay them in full, and more, out of His Bounty, and to those who were disdainful and arrogant, He will punish them with painful doom, and they will find none besides Allah, to protect and help them .

And, Jesus, denies by himself, the saying that he is a deity, and affirms his servitude to Allah and calls to worship Him alone .

The Holy Qur'an says : (115 - 117 Al-Maida (The Table Spread / 5) "And when Allah said: O Jesus, son of Mary ! Did you say to mankind : worship me and my mother as two gods besides Allah He said: Be Glorified! Never could I say what I have no right to say, even if then you would have know it. You know what is in my mind (and heart and soul) and I do not know what is in yours, for you are the Full-Knower of all Unseen" .

"I said to them only what you commanded me to say, that is Worship Allah, my Lord and Your Lord, and as I was witness to them so long as I was with them, and as you took me up, you were the Watcher over them, and you are Witness over all Things".

This is the faith and belief of Muslims, concerning Jesus as a Servant of Allah and a Messenger of Allah, like all other Apostles and messengers, Peace and Blessings of Allah be upon them all, and this is how we would love to meet Allah

As for the stories saying of godliness, incarnation and trinity, these we do not believe in or accept as true. Also, we are not alone in such disbelief and distrust, since a

And God, Glory be to Him said : (38 - 41 An-Naim (The Star) "And that no soul bearing burdens can bear the burden of another" .

"**And that man has only what he** strived for (in the way of good deeds)" .

"And that his striving (as recorded) will be seen". "Then he will be repaid in the fullest payment".

God, Glory be to Him, says: (110 - 115 Al-Maida. The Table Spread) "When Allah says: O'Jesus, son of Mary ! Remember my favour to you and to your mother, and how I filled you with the Holy Spirit, so that you spoke to mankind, both in the creadle and in maturity, that I taught you the Book and Wisdom and the Law (the Torah) and the Gospel, how to make out clay, as it were the shape of a bird, and you breathe into it, and it becomes a bird, by my leave. And how you healed the born-blind and the leper, by my leave; and how you raised the dead, by my leave and how I restained the children of Israel from (harming) you when you showed them the clear (evident) signs and those of them who did not believe said "This is nothing but evident magic". "And when I inspired the disciples to have faith in Me and My Messenger,so they said we believe and bear witness that we have surrendered (as Muslims)".

"And when the disciples said: O Jesus, son of Mary! So your Lord able to send down for us a Table Spread with food from heaven ? He said : "Fear Allah, if you have faith" .

"They said, we wish to eat from it and satisfy our hearts, and to know that you have indeed told us the truth, and be ourselves witnesses of it (the miracle)" .

"So, Jesus, son of Mary said: O, Allah, our Lord ! send down for us a Table Spread with food from heaven, that may be a feast for us, for the first and the last of us, and as a sign from you. Give us sustenance for you are the best Sustainer (of our needs)" .

"Allah said : I will send it down to you and if ever anyone of you afterward resists faith, surely, I will punish him with such penalty as I have not inflicted upon anyone of my creatures" .

The Qur'an assures (affirms) the human nature of Jesus (pbuh), and that he was, like all the prophets and messengers of Allah, a servant of Allah .

God, Almighty said : (An-Nisa 153 - 159 / 4) "The People of the Book ask you to let an actual Book descend upon them from Heaven. They asked Moses even a greater thing; for they said : Show us Allah in public ! They were seized by the storm (of thunder and lightning) for their arrogance. **Yet,** they worshipped the calf, after the clear signs (of Allah's Sovereignity) had come to them and we bestowed on Moses evident authority" .

"And we caused Mount Sinai to rise upon them at (the taking of) their covenant (so that they get afraid and accept it) and told them (while the Mount towered above them), enter the while you are bowing, and command them not to transgress on the Sabbath (Saturday, meaning not to fish on the Sabbath) and we took from them a firm covenant (which they breached)" .

Then because of the breach of their covenant, and their disbelief in the Signs of Allah and killing their Messengers wrongfully and their saying : our heart are hardened (do not conceive your sayings). But, Allah has sealed their hearts owing to their disbeliefs (so that they listen to no preaching), thus they do not believe but very little" .

"And because of their disbelief, and of their speaking against Mary and tremendous false charge" .

"And their saying : We killed the Messiah, Jesus, son of Mary, Allah's Messenger. But, they did not kill nor crucify him, but this was what seemed to them. And, those who differ about this are in great doubts thereof, and they have no knowledge thereof except the pursuit of conjectures. What is definite is that they did not kill him".

"No, but Allah raised him up to Himself, and Allah is All-Mighty and Wise".

"And there is none of the People of the Book but must believe in him before his death, and on the Day of Judgement he (Jesus) will be a witness against them". Thus, Islam solved complicated problems with both ease and facility .

And, Islam confirms that every person is responsible for his own works, and nobody **else** is to carry another's sins .

God Almighty said : (13 Al Isra- a/17) "And, every man's fate we have fastened to his neck, and on the Day of Iudgement, and for everyone, will present his record which he will see exposed" .

"And among those who say we are Christians, we took their covenant, but they forgot a good part of the message that was sent to them. So, We stirred up enmity and harred among them till-day of judgement, and Allah will inform them of what they did" .

"O People of the Book, here, has come to you Apostle (Messenger) explaining to you (and revealing) much of what you used to hide (in) the Scripture (Book), and forgiving much. Nowhas come to you Light from Allah and distinct (clear-unmistakeable) book."

"With which Allah guides those who seek his good pleasure to the path of peace, and leads them out of darkness into Light, by His decree, (will) and guides them to the Straight Path".

"They have indeed Blasphemed! (disbelieved) those who said that the Messiah, son of Mary is God! Say, who has anything against Allah if he wills to destroy the Messiah, son of Mary, and his mother and everyone on earth ? For to Allah belongs all sovereignty on heavens and the earth and all that lies in between them. He creates what he wills, and Allah has power over everything" .

"The Jew and the Christians say we are the sons of Allah and his beloved. Say : Why then does he punish you for your sins ? No. But you are only mortals of his creation. He forgives whom he wills and punishes whom he wills, and to Allah belonggs the Sovereignty of Heavens and the earth and all that is in between them, and to Him is the final goal" .

"Oh, People of the Book ! (Scriptures) Now, and after an interval of the Messengers, Our Messenger has come to you to make things clear, lest you should say: there came to us no bringer of glad tidings nor a warner ! But now you have received a messenger of cheer and a warner. Allah has power over all things".

And , the Holy Qur'an narrates how the people of the Book were arrogant in asking for miracles, and that they breached their covenant, killed the Apostles, and claimed that they crucified Christ, while this was merely what appeared to them, (an illusion) because Allah has raised him to Himself, and that he is alive in Heaven, body and soul. Muslims do not believe at all in the crucifixion .

enjoined upon me Prayer and Charity as long as I live. And made me dutifiul (kind) to my mother and has not made me arrogant or disobedient (to my Lord). So, Peace on me, the day I was born, the day I die and the day I shall be raised alive ! "Such (was) Jesus, the son of Mary (this is) a statement of the truth, about which they vainly dispute. It is not benefiting to Allah that he takes a son. Glory be to Him ! When he decrees a thing, he says to it "Be" and it "Becomes!"

Also, the Holy Qur'an affirms that Mary was a very high example of purity .

God Almighty says: (91 Al-Anbiya-a/21 - The Apostles) "And (remember) her who guarded her bodily Chastity. So, we breathed into her Body of Our Spirit (meaning gabriel when he breathed into her and she conceived) and we made her and her son a Sign to all creatures".

And he, Glory be to Him, says: (12 - At-Tahreem (Banning / 66) "And Mary, daughter of Imran, whose body was chaste, and we breathed into her (The Spirit-Gabriel. He breathed into the pockets of her underwear) something of our spirit. And she put faith in the words of Her Lord and His **scripture**, and was of the devout obedience" .

The Qur'an also mentions those who altered and changed what was revealed to them, and that they exaggerated when describing their Prophets as sons of God, or that they are the preferred race. And our Prophet Muhammad **(PBUH)** came to call all people to worship Allah alone .

He, Almighty, said: (12 - 19 Al-Maida / 5) "Allah made an agreement (covenant) with Israels descendants and we appointed twelve Captains among them. And Allah said: I am with you, if you only establish regular and pay regular Charity and believe My Messengers and support them, and lend to Allah a handsome loan, verily I shall remit (wipe out from you sins, and admit you to Gardens, underneath which rivers flow. But, if any after this resists faith (or disbelieves), he has then verily gone astray from the straight path .

" And because of their breach of Covenant, We cursed them, and made their hearts hard. They change the word from their right places, and forget a good part of the message that was sent to them. you will not cease to discover treachery from them, all but few of them. So, forgive and pardon them : For God loves those who are kind" .

children of Israel, (saying) I came to you, out of clay the likeness of a bird, and I breathe into it, and it becomes a bird, by Allah's permission. I heal born-blind; and the leper, and I raise the dead by Allah's leave. I declare to you what you eat and what you store at your homes. Verily, there is a portent for you, of you believe. And I come confirming which came before me in the Torah, and to make lawful some of what was forbidden to you. I have come to you with a **Sign** from your Lord. So, fear Allah and **obey me.** It is Allah who is my Lord and your Lord, so worship Him. That is a straight Path".

The description of the place, the appearance of the Angel to her, her argument with him, the story of the miraculous conception, the miracle of her baby who spoke while so young, the blessing of **Jesus (P.B.U.H.)** and denial of being the son of God, etc. The **Holy Qur'an narrates all to us, both in purity, appreciation and respect.**

God, Glory be to Him, says : (16 - 36, Mary / 19) "And mention in the Book, Mary, when she withdrew from her people to a place in the East" . And she screened herself (off) from them. Then we sent to Our Angel (Gabriel) who assumed for her the likeness of a perfect man. She said: "I seek refuge from you to the Most Merciful One, if you fear Him. He said : "I am only a messenger of your Lord to bestow upon you a holy son". She said: "How can I have a son while no man has touched me, nor have it will be, your Lord has said: It is easy for Me, and we wish to appoint him as a Sign to men and a mercy from Us, and it was a thing ordained". And she conceived him and retired with him to a far place. And the pains of childbirth drove her to the trunk of a plam tree. She said: "I wish I had died before this, and that I was forgotten and abandoned". Then (one) cried to her from below her, saying : "do not grieve ! your Lord has placed a rivulet beneath you. And shake the trunk of the palm tree toward you, to cause ripe dates to fall you. So, eat and drink and be consoled. And if you meet any man say: "I have vowed a fast to the Most Merciful, and may not speak today to any human being". Then she brought him to her people. They said: "O Mary, you have come with an amazing thing". "O sister of Aaron! Your father was not a wicked man, nor was your mother an unchaste woman, "But she pointed at him. They said "How can we talk to one who is a child in the cradle"? He spoke saying: "I am the servant of Allah. He has given me the Scripture and made me a prophet. And he has made me blessed wherever I may be, and

He said, Glory be to Him (35 - 51 Al-Imran) (Remember) Imran's wife when she said: "O my Lord I dedicate to you what I bear in may womb for your special service, so accept it from me, for it is you and only you the All-Hearer, and the All-Knower". When she was delivered she said : "O my Lord I am delivered of a female child", and God knows best what brought forth and in no way is the male like the female. I have called her Mary, and commend her to your protection, as well as her offspring, from Satan, the rejected. And her Lord accepted her with utmost grace, and assured her growth in purity and goodness making Zakariyah her guardian. Every time he entered the sanctuary, where she was, he found that she had sustenance! He said : "O Mary, whence comes this to you" ? She answered " "It is from Allah; for Allah gives without measure to whom He pleases". Then and there Zakariyah prayed to his Lord, saying : Grant me of Your Bounty an offspring that is pure, for you are the Hearer of Prayer. While he stood praying in the sanctuary, the Angel called to him : God gives you the tidings of Yahya (John) to withness the Truth of a Word from Allah, and to be nobel chaste and a Prophet of the (good), company of the righteous. He said : "My Lord, how can I have son, when I am very old and my wife is barren. The answer was : As does Allah perform what he wills ! He said : My Lord, give me a sign. The answer was: your sign shall be that you shall speak to nobody for three days, except with signs. Then, remember your Lord, praising and glorifying Him in the eveings and in the morning. And, when the Angels : O Mary, Allah has chosen you and purified you and preferred you above the women of all creations. O Mary, obey your Lord devoutly. Prostrate and bow with those who bow down (in worship). These are some of the tidings of the Unseen, which we reveal to you (Muhammad). You were not with them as they cast lots with arrows to know which of them should be the guardian of Mary, nor were you present when they quarrelled (about it). Behold! When the Angels said: "O Mary, Allah gives you glad tidings of a Word from Him, whose name will be the Messiah, Jesus, son of Mary honoured in this world and in the Hereafter, and one of those brought near (to Allah). He will speak to mankind, in his cradle and in his maturity, and will be of the righteous. She said "O my Lord, how can I have a child when no man has touched me ? He said: "Even so, Allah creates what he wills. If he decrees something, He but says to it "Be and it Becomes". And he will teach him the Scripture and wisdom, and the Torah and the Gospel. And make him a Messenger to the

And, if we refer to our Holy Book, concerning our subject, "Jesus, son of Mary (P.B.U.H.)", we find clarity, simplicity and conciseness, enough to convince a researcher and enrich the believer .

The Grandparents of Jesus (P.B.U.H.), his mother, since we believe he had no father, are all pure and righteous, chosen by Allah and preferred by Him to all mankind, from their times .

He said, Glory be to Him (33 - 34) Al -Imran (The Family of Imran) "Allah has chosen Adam and Noah and the family of Abraham and the family of Imran above all His creatures. Offspring, one the other, and Allah is All-Hearing and All Seeing" .

And, Imran's wife, who was a good and religious lady, who willing to serve Jerusalem, so, she vowed to God, her expected child, who came to be a female, namely Mary (May Allah Accept her). She was accepted by those of God's Apostles and those who served Jerusalem, and she stayed with them, worshipping Allah, Glory be to Him .

God showed signs at her presence so she was supplied with ease, with livelihood, and she received winter fruit in summer and vice-versa. The Apostle Zakariyah, (P.B.U.H.) asked about that and she replied that it is livelihood from Allah who gives whoever He chooses without limit .

Also, God's angels have brought the happy tidings to Mary, that Allah has chosen her and preferred her to all women, in her time. To her the apostles announced the good news of the "birth of Christ" (P.B.U.H.), without a father, and despite the fact that she was a virgin. The Power of Allah came according to what he decided at the commencement of universal eternity. She gave birth to Jesus of distinction in this world and the hereafter, and among those brought near to Allah. He spoke to people in his cradle and miracles were caused by Allah to take place by him. These miracles baffled the scholars of his time, and he called to worship Allah Alone.

Allah, Glory be to Him, created Adam without father or mother, so was the creation of Jesus(P.B.U.H.), from a mother without a father. A miracle, an example and a proof to the power of the Creator, Glory be to Him .

God Almighty said : (44 - 50 Al-Maida/5) :

"We revealed the Torch, containing guidance (and light), to be used by the Apostels (of Israel) who obeyed God, for those who became Jews and their learned ones and scholars. God entrusted in them His Book (not to be altered) and they were made witness of the Truth. So (Hebrews) do not fear mankind and fear Me, and do not trade my revelations for a mean (worldly) price that you may receive to (withhold) them. He who does not rule according to what God revealed are those who disbelieve in it. We have written (as duty) for them (the Jews) in (The Torah) that a life is for a life, an eye for an eye, and a nose (broken) for a nose, and ear (cut) for an ear, a tooth (broken) for a tooth, and that wounds are to be paid for . (This is a matter of judgement).

He who made good (by subjecting himself to the Penalty), it is better for him. He who does not rule according to the Revelations of Allah, is unjust. And, we sent after them (The Prophets). Jesus, son of Mary, who believed what came before (of rules) him in the Torah. We gave him the Bible, and what it contained of guidance and advice to those who fear God. Let the followers of the Bible rule (judge) according to what was revealed in it, and truly, those who rule apart from what Allah revealed are those who are dissolute (indulging in harmful pleasures, lacking in moral restraint). And we have revealed to you (Muhammad) the Book (The Book meaning the Books), (The Qur'an) with all the Truth,supporting what is before it and Witnesses to it, so rule amongst them (If they ask you to): according to the rules revealed by Allah, and be just (not follow their likes). For every one of you (nation) we have laid down a Low and an open way (or clear path). Had Allah willed, He would have made one single nation but that He tests you by way of giving you the Low. So join into the race for good deeds and virtues. Know All of you, that your ultimate goal is to God. There, He will show you the Truth of matters about which you dispute. So, judge between them as Allah has revealed to you, and do not follow their desires. Beware of them, lest they seduce you from some part of what Allah has revealed to you. If they turn away, be sure that Allah will punish them for some of their crimes, and truly most men are evil-doers. So is it the Judgement of (pagan) ignorance they seek ? And. who is better than Allah for Judgement to a people who certainly believe" ?

"Say ! He Allah, is One. Allah, the Everlasting Refuge. He did not breed, nor was he bred. And no one has ever equalled Him". And we believe that Muhammad is his servant and Apostle, sent by Allah to be the last of Messengers and Apostles until the Day of Judgement. All Apostles are brethren to one father who was Adam (P.B.U.H.), and our faith-as Muslims - is not complete except through Belief in Allah. His angels, His Books, His Apostles and the Day of Judgement. We do not differentiate between any of his Apostles, and that our Prophet (P.B.U.H.) has asked us not to perfer him to any of the other Prophets. God Almighty said: (285 Al-Baqara/2) :

"This Messenger believed in what was revealed to him from his Lord, and so did the believers, all believed in Allah, His Angels. His Books and His Messengers, saying : we do not differentiate between any of His messengers, and said: We heard and obeyed, our Lord, bestow Your forgiveness upon us, to you we all go !" .The Almighty said : (150 - 152 An-Nissa) :

"Truly, those whose disbelief in Allah and want to differentiate between Allah and His Messengers and say; we believe in some and disbelieve in some (of them), and want to take in between (belief and disbelief) a path for themselves, those are really the real disbelievers, and for them we have arranged punishment. And those who believed in Allah and all His Apostles and did not discriminate between any of them, are those whom we will pay their duse, and Allah is really Oft-Forgiving, Most Merciful".

The Holy Qur'an is really the Book that **treated fairly,** the people of the Scripture, repaid them justly in full, and recorded their duse and their debts, mentioned **the preceding books that were revealed to them by Allah, and that the base of all religions** is one

To believe in One God, Who has no partners, and to worship Him alone, and to adopt righteousness, truth and good, and avoid falsehood and evil .

The Message of Muhammad (P.B.U.H.) was the final message because it included all that was in the previous religions and that it is suitable for every place or time, and **does not need anything to complete it,** nor is it bound by **any space, time or race.**

The Qur'an came to control and verify the Authentic Books that preceded and were Revealed by Allah to His Servants and Messengers .

JESUS, SON OF MARY IN THE QURAN

by : Dr. Tawfiq Muhammad Shaheen

Some days before Christmas 1981, I attended a religious Workshop concerning the truth about Jesus (P.B.U.H.) .

Someone started the discussion on Jesus, son of Mary. His speech concentrated on showing that Jesus is a god, incarnate as a human being, so that human being can receive him, and that his coming down from heaven was mercy and salvation for humanity. He explanined incarnate saying that he took human form, thus he is both whole god and whole man, and that it is he alone who combines both attributes in their exact meaning.

Another Christain also spoke saying: Jesus is the Second Person of the Trinity-Incarnation doctrine, through whom we come to the trinitarian God, and that he is the Christian's norm in worship. He quoted a verse, saying "And the word was made flesh, and dwelt amongus", - John 1:14, that means he is a God on the form of man .

The third speaker, also a Christian said that Jesus is not a god, but a human being and stated a verse "the Acts of the Apostles, 2 : 22 ("Men of Israel, hear these words, Jesus of Nazareth was a man approved by God among you by miracles and wonders and signs, which God did through him in the midst of you, as you yourselves know") .

Also, one of the speakers mentioned that his mother Mary was not virgin because she was married to Joseph. Some of them opposed him saying that she was a virgin, not married. I, as a Muslim said the following :

We, as Muslims, believe in a single God, Who has no partner, because our Holy Book says : (Suratul Ikhlas 122) :

English Index

— Commemorating the Prophèt's Hijra to Al Medina.
by : Dr. Nahed M. Wasfi. **P. 158**

— Why Islam (Proofs of Modern Science)
by : Nabil Abdel-Salam Haroun
P. 151, 302, 446, 617, 782,

— The Great Battles of Islam.
by : Dr. Nahed M. Wasfi
P. 299, 443, 942, 1224,

— The Message of Islam
by : Dr. Tawfiq M. Shahin
P. 622,

— Alms, The Third Pillar of Islam
by : Sheikh Muhammad M. Gemea
P. 775

— Hold Fast to Sunna
by : Ahmed Shawky Arafa
P. 936

— The Basic Principles of The Islamic Economy System
by : Dr. Nahed M. Wasfi
P. 1970

— Why does the West Fear Islam ?
by : Dr. Abdel Rahim Saad
P. 1066.

— Da' wa In Islam.
by : Dr. Tawfiq M. Shahin
P. 1230.

— Review of a book "Living Islam"
by : Dr. Mohammad Noman Galal.
P. 1734

— Jesus Christ was not Crucified
by : Dr. Ahmed Shawky Arafa
P. 1731.

— Jesus, Son of Mary in the Quran
by : Dr. Tawfiq Muhammad Shaheen
P. 1909

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

Zu-I-Heja 1417 H.,

Vol. 69 Part XII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس

● الافتتاحية (حقول الشيطان)
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ١٧٣٧
● مع سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٧٤٠
● أطفالنا أكبادنا تمشى على الأرض
للشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٧٤٥
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ١٧٥٠
● ولله جنود السماوات والأرض
للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٧٥٦
● من رجال الحديث الشريف
عرض الأستاذ أحمد تقى الدين ١٧٦٠
● زمزم على مر العصور
للدكتور أحمد رجب محمد على ١٧٦٥
● الملكية وضوابطها الشرعية
للأستاذ السيد أحمد المخزنجى ١٧٧٠
● الفجر الصحيح وترشيد التصحيح
ا. د. مرفت السيد عوض ١٧٧٧
● استفتاءات القراء
للشيخ : السيد العراق ١٧٨٢
● من أعلام الأزهر
ا. د. محمد رجب البيومى ١٧٨٥
● مخيلة الشعر :
إعداد الأستاذ محمد عبدالوهاب ١٧٩١
● من وحى الكعبة
د . عزت شندى موسى ١٧٩٢
● إبداع الشعراء ١٧٩٣
● قصيدة لها قصة ١٧٩٤
● لأنى أحبك يا مصر
للشاعرة نور نافع ١٧٩٦
● السخرية فى شعر ابن الرومى
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٧٩٧

● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٨٠٢
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٨٠٤
● العلوم الكونية ●
● أضواء على إعجاز القرآن الكريم
ا.د. أحمد فؤاد باشا ١٨٠٨
● الآثار الثقافية والاجتماعية للبث التليفزيونى الأجنبى
د . حسن على محمد ١٨١٢
● الصحة الإنجابية ـ تسرب الدم
للدكتور أحمد رجائى عبدالحميد ١٨١٧
● ماذا قبل الإيدز وبعده
للدكتورة فاطمة عمر نصيف ١٨٢٠
● الجديد فى العلم والتقنية
د . نجوى السيد أحمد ١٨٢٨
● نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم
للشيخ عبدالفتاح سيد جمعان ١٨٣١
● الشرط فى مقررات اللغتين العربية والانجليزية
للأستاذ سليمان بركات ١٨٣٦
● طبقات المحققين والمصححين
للأستاذ الدكتور السيد الجميلى ١٨٤٠
● زكى مبارك جاحظ القرن العشرين
للدكتور محمد عبدالحكيم محمد ١٨٤٧
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ١٨٥٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر للأستاذين :
عمر البسطويسى ومصطفى عبدالمجيد ... ١٨٦٣
● أنباء العالم الإسلامى ١٨٧١
● الفهرس السنوى :
إعداد الأستاذ عبدالسلام ناصف ١٨٧٦
● القسم الفرنسى ١٨٩٧
● القسم الإنجليزى ١٩١١